

مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ
 فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف الأستاذ المحقق والشيخ المفيد الشريف أبي عبد الله

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي

صاحب موطوع عليه سيدنا محمد الرسول محمد وآله

بفقهنا

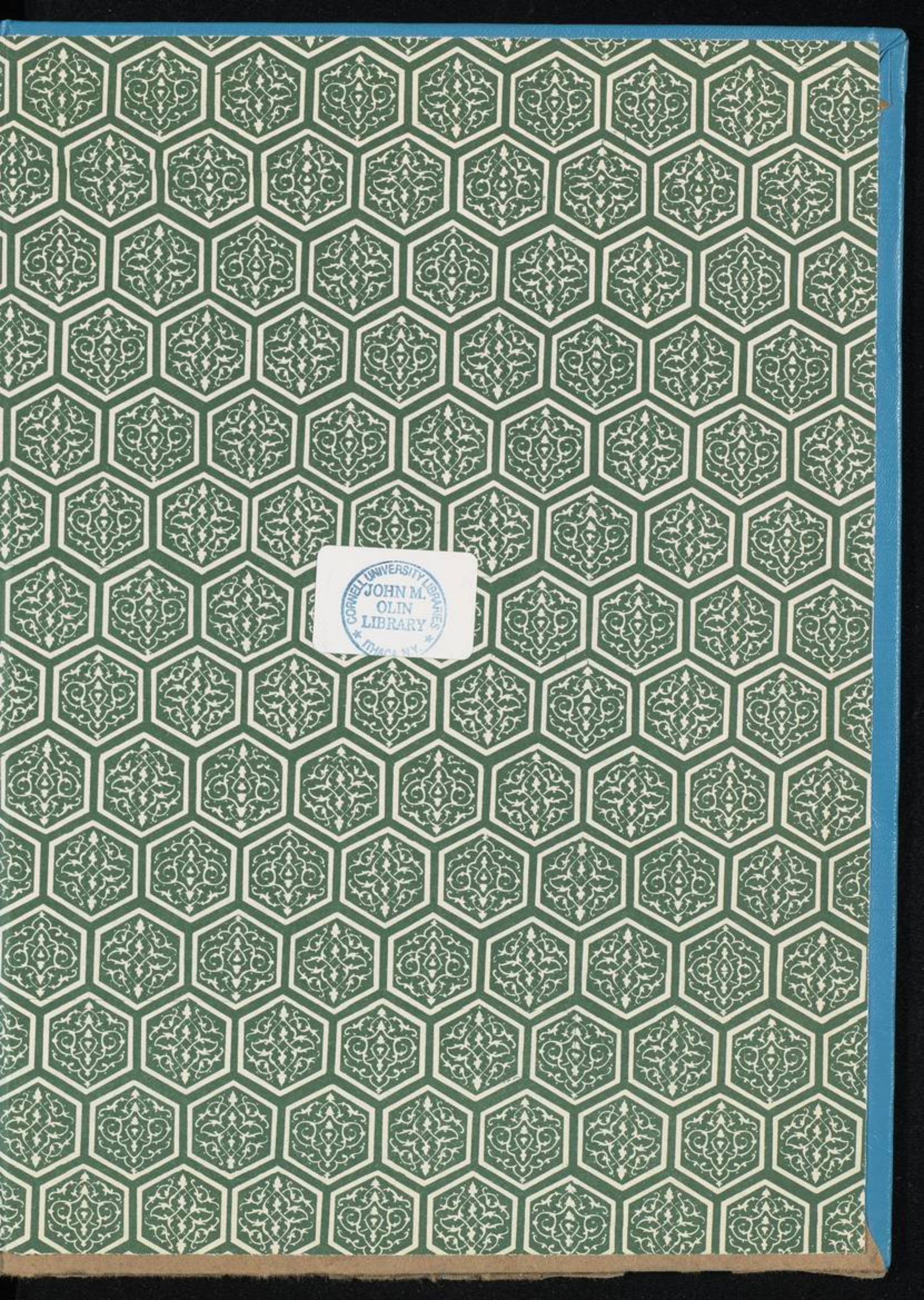
الشيخ أبو جعفر الشيخ محمد بن أبي بكر

الناشر

مكتبة العلمانية الإسلامية

طهران - سوق الشيرازي

بازار ۵۶۲۵۵۹ } تلفون
 ناصري ۴۹۴۵۲۹ }

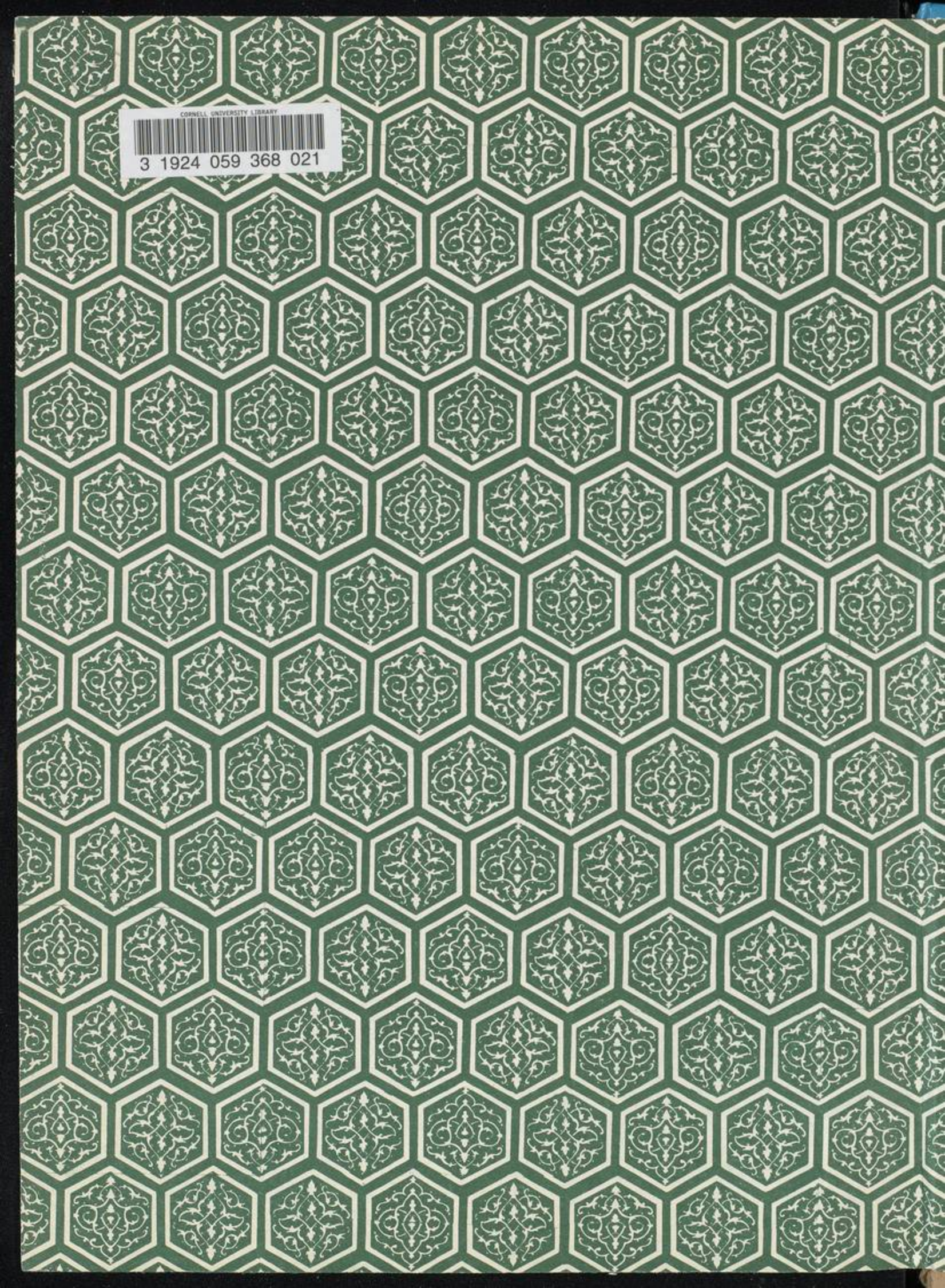


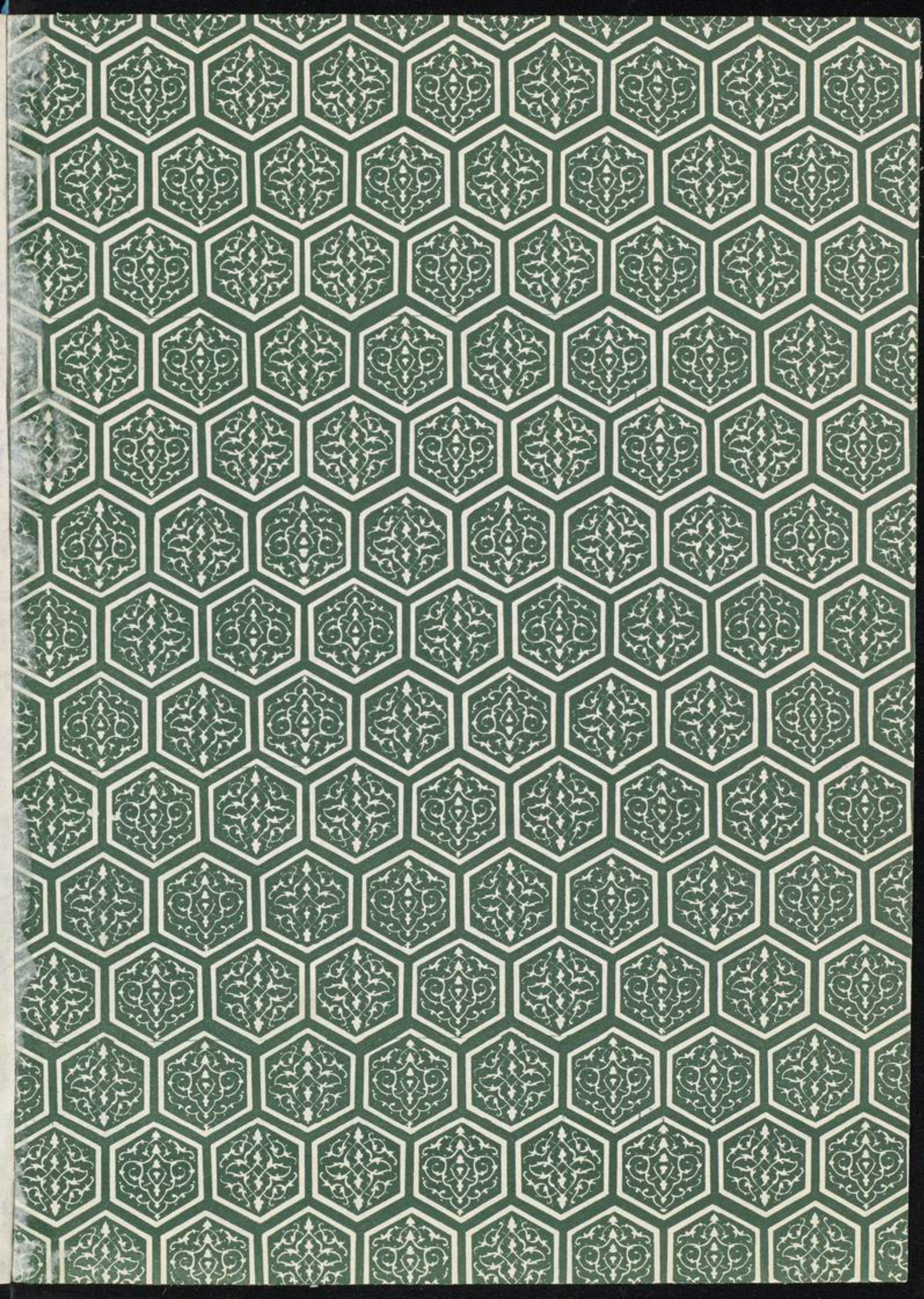
CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 059 368 021





مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

في
تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق والمفسر الميرزا محمد باقر
الشيخ أبي علي الفضل الحسيني الطبرسي

الطبعة سنة ٥٤٨

صححه وعلق عليه سيد هاشم الرسولي الحيدري
بنفقته

السيدي محمد باقر الحاج السيد محمد زكي الكاظمي
الناشر

مكتبة علمية لا سلافية
طهران - سوق الشيرازي

بازار ٥٦٢٥٥٩ } تلفون
ناخري ٣٩٤٥٢٩ }

كلمتنا

الاصل في نسختنا هذه هي النسخة المطبوعة بـ «صيداء» الا انها لما
لم تكن خالية عن الاغلاط حاولنا تصحيحها فراجعنا فيه الى عدة من النسخ
منها : نسخة مخطوطة مسححة عتيقة لخزانة كتب العلامة النسابة الآية العجبة
السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دامت بركاته العلية .
منها : نسخة مخطوطة عتيقة اتحفنا بها العالم الجليل الحاج الشيخ حسن
المصطفوي دام ظلّه العالی .
منها : النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران المعروفة بـ (طبع ملاحسن)
فما كان من تحريف او تصحيف او زيادة اصلحناء في المتن واماماً كان من سقط
بتعذر فاوردناه بالهامش بين المعقفتين مضافا الى بيان المشكلات ، وحلّ الممضلات
فجاءت بحمد الله نسخة صحيحة لم يطبع مثلها ، والكتاب أقوى شاهد و
برهان .

OLIN
+
BP
130
.4
T14
1980
Juz'1



حقوق الطبع بهذه الصورة المزدانة

بالتعاليق والمقدمة و ساير الخصوصيات

محفوظة للناشر

ترجمة المؤلف

هو امين الدين وامين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي او الشهدي رحمه الله تعالى
(اقوال العلماء في حقته)

عن كتاب نقد الرجال للسيد الاجل الامير مصطفي التفرشي وفي تعليقه العلامة الآقا محمد باقر البهبهاني على رجال ميرزا محمد الكبير ثقة فاضل دين عين من اجلا. هذه الطائفة . وعن نظام الاقوال للمولى نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي ثقة فاضل دين عين . وعن فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه بعد وصفه بالامام ثقة فاضل دين عين . وفي الوجيزة للعلامة المجلسي ثقة جليل . وفي مستدركات الوسائل فخر العلماء الاعلام وامين الله والاسلام المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل صاحب تفسير مجمع البيان الذي عكف عليه المفسرون وغيره من المؤلفات الرائقة الشانعة جملة منها . وعن رياض العلماء للشيخ الحافظ المتبحر ملا عبده الله الاصفهاني المعروف بالافندي انه وصفه بالشيخ الشهيد الامام وانه قال رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدي قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي وعلى ظهرها ايضا بخطه هكذا : تأليف الشيخ الامام الفاضل السعيد الشهيد انتهى قال في مستدركات الوسائل بعد نقل ذلك ولم يذكره ولا غيره كيفية شهادته ولما كانت باسم انتهى . وعن صاحب رياض العلماء ايضا انه قال بعد مدحها بمباراة عالية كان قدس سره وولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق وسبطه ابو الفضل علي بن الحسن صاحب مشكاة الانوار وسائر سلسلته واقربائه من اكابر العلماء انتهى . وفي الروضات : الشيخ الشهيد السعيد والخبير الفقيه الفريد الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ثم حكى عن صاحب رياض العلماء انه ترجمه بنحو ذلك . وفي المقابيس لرئيس المحققين الشيخ اسدالله التستري عند ذكر القاب العلماء ومنها امين الاسلام للشيخ الاجل الاوحد الاكل الاسعد قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين امين الدين ابي علي الخ قدس الله نفسه الزكية وافاض على تربته المراحم السمرمية . وعن مجالس المؤمنين ما ترجمته : ان عمدة المفسرين امين الدين ثقة الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي كان من نحارير علماء التفسير وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان بيان كاف ودليل واف جامعته لثبوت الفضل والكمال انتهى . وسيأتي عند ذكر جملة من آثاره حكاية وصفه بالشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الرواس . وبالجملة فنسمل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم وثقته امر غني عن البيان واعدل شاهد على ذلك كتابه مجمع البيان كما اشار اليه صاحب مجالس المؤمنين بما جمعه من انواع العلوم واحاط به من الاقوال المتشعبة في التفسير مع الاشارة في كل مقام الى ما روي عن اهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات بالوجه البينة المقبولة مع الاعتدال وحسن الاختيار في الاقوال والتأدب وحفظ انسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الحضم او يشتمل على التهجين والتقيح وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك وانظر الى كلامه في مقدمة جامع الجوامع في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله تعلم انه من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية
(مشائخه)

يروى هذا الشيخ الجليل عن جماعة (١) الشيخ ابو علي بن الشيخ الطوسي (٢) الشيخ ابو الوفاء عبد الجبار ابن علي القرني الرازي عن الشيخ الطوسي (٣) الشيخ الاجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب الفهرست (٤) الشيخ الامام موفق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكرابادي عن ابي علي الطوسي (٥) السيد ابو طالب محمد بن الحسين الحسيني القصبى الجرجاني (٦) الشيخ الامام السعيد الزاهد ابو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري روى عنه صحيفة الرضا المعروفة (٧) الشيخ ابو الحسن عبيدالله

ترجمة المؤلف

محمد بن الحسين البيهقي الذي قال في حقه صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه انه فاضل عالم محدث من كبار الامامية يروي عنه الشيخ ابو علي الطبرسي على ما يظهر من تفسير سورة طه في مجمع البيان انتهى (٨) الشيخ جعفر الدوريسي الذي هو من تلامذة المفيد

(تلامذته)

يروى عنه جماعة من افاضل العلماء منهم ولده رضي الدين ابو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الاخلاق المشهور الذي طبع مرارا في مصر محرفا تحريفاً قبيحاً ثم تصدى بعض اهل الفضل والثيرة لطبعه طبق اصله في بلاد ايران مع التنبه على مواضع التحريف في الطبعة المصرية وهو من تلامذته ايضا كما في المقابيس . ويروي عنه ايضا رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب وهو من تلامذته ايضا قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء على ما حكى عنه . شيخي ابو علي الطبرسي . والشيخ متعب الدين صاحب الفهرست وهو من تلامذته ايضا قال في فهرسته شاهدهته وقرأت تفقها عليه . والقطب الراوندي والسيد فضل الله الراوندي صاحب كتاب الحرائج والجرائح (١) والسيد ابو الحمد مهدي بن تزار الحسيني القابلي . والسيد شرف شاه بن محمد بن زيادة الافطسي والشيخ عبد الله بن جعفر الدوريسي وشاذان ابن جبرئيل القمي وغيرهم . وعن صاحب اللؤلؤة انه عد من جملة مشايخ برهان الدين بن محمد بن علي القزويني الهمداني

(مصنفاته)

له مصنفات كثيرة وافقه وجمعة منها مشهورة . وفي المقابيس له مؤلفات فائقة راتقة وقد سمعت قول الفاضل الثوري ان له مؤلفات راتقة وجمعة منها شائعة . وقال السيد مصطفي التفرشي له مصنفات حسنة . وفي التعلية له تصانيف حسنة الى غير ذلك من اقوال العلماء . ونحن نذكر اسما ما وصل الينا من مصنفاته وهي (مجمع البيان) علوم القرآن فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات المستمد من البيان لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي كما ألمع الى ذلك في مقدمة مجمع البيان والفائق عليه في الترتيب والتهديب والتحقيق والتسبيق واختصار الفروع الفقهية التي اكثر الشيخ من ذكرها وهو من احسن التفاسير واجمها لقنون العلم واحسنها ترتيبا فرغ من تأليفه منتصف ذي القعدة سنة ست وثلاثين وخمسة . (قال) في كشف الظنون مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ فقيه الشيعة ومصنفهم ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي التوفي سنة احدى وستين وخمسة وهو كبير وقد رأيت تفسيره السمي مجمع البيان وهو على طريقة الشيعة وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع (٢) انتهى . وقال في مقام آخر جوامع الجامع في التفسير للشيخ ابي علي الطرطوشي صاحب مجمع البيان انتهى . فقد اشبهه عليه مصنف مجمع البيان بمصنف البيان وجعل جوامع الجامع تارة للشيخ ابي جعفر الطوسي وتارة للشيخ ابي علي الطبرسي مع تصحيف الطبرسي بالطرطوشي والاشتباه في تسميته بجوامع الجوامع مع انه انما يسمى بجوامع الجوامع او جوامع الجامع كما ستعرف وجعل تاريخ وفاة الطبرسي تاريخاً لوفاة الشيخ الطوسي فان الطوسي توفي سنة ستين واربعمائة مع ان التاريخ المذكور لا ينطبق على وفاة الطبرسي ايضا كما ستعرف من انه توفي سنة خمسمائة وثمان واربعين او اثنتين وخمسين ولم يذكر احد انه توفي سنة احدى وستين وله في بيان كتب الشيعة اشتباهات كثيرة غير هذا يجدها التتبع . (ولمعد) الى ذكر بقية مؤلفات الطبرسي وهي (الكاف الشاف) من كتاب الكشاف (جامع الجوامع) او (جوامع الجامع) صنفه بعد اطلاعه على الكشاف لأنه صنف مجمع البيان قبل ان يطالع على الكشاف فاما اطالع عليه صنف جامع الجوامع ليكون جامعا بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار كما صرح به في مقدمته . وعد الشيخ متعب الدين على ما نقل عنه في الفهرست في مصنفاته (الوسيط) في التفسير اربع مجلدات (الوجيز) مجلدة وعن نقد الرجال عند ذكر مصنفاته الوسيط اربع مجلدات والوجيز مجلدان وفي المقابيس ان جامع الجوامع هو الوسيط الذي في اربع مجلدات او الوجيز الذي في مجلد او مجلدين والظاهر ان الوسيط

(١) وصاحب الشرح الكبير على نهج البلاغة (٢) مختصر الكشاف انما هو الكاف الشاف لجامع الجوامع كما لا يخفى على من آما

ولعل الاسمين لسمى واحد كما ستراه قريبا

ترجمة المؤلف

هو الكاف الشاف انتهى ويظهر مما تقدم عن كشف الظنون ان الكاف الشاف هو جامع الجوامع (الروافي) في تفسير القرآن ايضا (اعلام الوردى) باعلام الهدى في فضائل الائمة (ع) في مجلدين . قبل ومن الترائب ان السيد رضي الدين بن طاووس الف كتاب ربيع الشيعة على نهج اعلام الوردى وقد وافقه في جميع الابواب والقصول والمطالب وبالجملة لا تفاوت بينها اصلا (تاج الموائد) (الآداب الدينية) (الحُرانة الميمنية) (النور الميمن) (الفتاوى) (غنية العابد) (كتوز النجاج) نسبة اليه فيما قيل رضي الدين بن طاووس في مهج الدعوات والكفعمي في المصباح وحواشيه (عدة السفر وعمدة الحضر) نسبة اليه الكفعمي ايضا على ما قيل (معارض السوال) (اسرار الائمة) او الامامة نسبها اليه بعض العلماء على ما قيل واستظهر صاحب الروضات ان الاخير لولده الحسن بن الفضل (مشكاة الانوار) في الاخبار نسبة اليه في كتاب دفع المناوأة على ما قيل وفي الروضات الظاهر انه غير مشكاة الانوار في غرر الاخبار التي هي لسبطه الشيخ ابي الفضل علي بن الشيخ رضي الدين ابي النصر وهو كتاب ظريف يشتمل على اخبار غريبة لأن ماله في الاخبار وما لسبطه في الادعية انتهى (رسالة) حقائق الامور (العمدة) في اصول الدين والفرائض والنوافل بالفارسية (كتاب شواهد التزويل) لقواعد التفضيل ذكره في مجمع البيان في ذيل آية يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك (كتاب) الجواهر في النحو ولكن في الروضات ظني انه من مؤلفات الشيخ شمس الدين الطبرسي النحوي الذي قد ينقل عنه الكفعمي في البلد الامين . وينسب اليه كتاب (نثر اللآلئ) وربما قيل انه للسيد علي بن فضل الله الحسيني الراوندي وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) مرتبة على حروف المعجم على نهج كتاب غرر الحكم ودرر الكام الذي جمعه عبد الواحد الآمدي التميمي فيما يزيد عن اربعة آلاف بيت (١) ويزيد حجمه عن نهج البلاغة رأيت منه نسخة بدمشق بخط جيد وذكر في مقدمته ان الجاحظ جمع مائة حكمة شاردة من كلام امير المؤمنين (ع) واقترب ذلك فجمع هو ما يزيد عليها اضافة مضايفة قال في الروضات مع ان ما جمع في كتاب غرر الحكم هو غير المائة كلمة المشهورة وغير الالف كلمة التي جمعها ابن ابي الحديد في آخر شرح النهج . وقال ايضا ان كتاب نثر اللآلئ المذكور غير كتاب نثر اللآلئ في الاخبار والفتاوى لابن ابي جمهور الاحساقي انتهى وبالمناسبة لاباس ان نذكر هنا ما وجدناه منقولاً عن قطب الدين الكيدري في شرح نفح البلاغة عن صاحب النهج انه قال سمعت بعض العلماء بالحجاز ذكر انه وجد بمصر مجموعاً من كلام امير المؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً انتهى ولا يستغرب ذلك عن باب مدينة العلم . وعد غير واحد من العلماء كتاب الاحتجاج من مصنفاته وهو غلط بل هو من مصنفات احمد بن علي ابن ابي طالب الطبرسي كما صرح به ابن شهر آشوب في معالم العلماء وغيره على ما حكى . وفي الروضات قد يوجد في بعض الفهارس نسبة كتاب (الكافي) اليه ولا يبعد اشتباهه بكتاب الروافي اقول بل الظاهر انه هو الكاف الشاف الذي تقدم ذكره .

(حكاية غريبة عنه)

عن صاحب رياض العلماء انه قال مما اشتهر بين الخاص والعلم انه (ره) اصابته السمكة فظنوا به الوفاة ففصلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا فافاق ووجد نفسه مدفوناً فنذر ان خلاصه الله من هذه البلية ان يؤلف كتاباً في تفسير القرآن واتفق ان بعض النباشين كان قد قصد قبره في تلك الحال واخذ في نبشه فلما نبشه وجعل يتربع عنه الاكفان قبض بيده عليه فغاف النباش خوفاً عظيماً ثم كلسه فازداد خوف النباش فقال له لا تخف واخبره بقصته فحمله النباش على ظهره واورضه الى بيته فاعطاه الاكفان ووهب له مالا جزيلاً وتاب النباش على يده ثم وفي بيئته والف كتاب مجمع البيان انتهى قال الفاضل الثوري في مستدركات الرسائل بعد نقل هذه الحكاية ومع هذا الاشتهار لم اجدها في مؤلف احد قبله وربما نسبت الى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني صاحب تفسير منج الصادقين وخلصته وشرح النهج المتوفى سنة تسعمائة وثمانين انتهى

اقول وبما يعيد هذه الحكاية مع بعدها في نفسها من حيث استبعاد بقاء حياة المدفون بعد الافاقة انها لو صحت لذكرها في مقدمة مجمع البيان لرايتها ولاشتغالها على بيان السبب في تصنيفه مع انه لم يتعرض لها والله اعلم
(جملة من آثاره)

قال في لمل الآمل ومن رواياته صحيفة الرضا (ع) انتهى . قال صاحب رياض العلماء على ما حكى عنه ان في اول بعض نسخ صحيفة الرضا (ع) هكذا : اخبرنا الشيخ الامام الاجل العالم الزاهد امين الدين ثقة الاسلام امين الروسا . ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي اطال الله بقاءه يوم الخميس غرة شهر الله الاحم رجب سنة ٥٢٩ قال اخبرنا الشيخ الامام السيد الزاهد ابو القتح عبد الله بن عبد الكريم وفي بعضها يروي تلك الصحيفة عن ذلك السيد قراءة عليه داخل القبة التي فيها قبر الرضا (ع) غرة شهر الله المبارك سنة احدى وخمسة مائة قال حدثني الشيخ الجليل العالم ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحاتمي الزوزني قراءة عليه سنة ٤٥٧ انتهى موضع الحاجة وتفرّد بمقالة في الرضاع معروفة مذكورة في كتب فقهاؤنا وهي قوله بعدم اعتبار اتحاد النحل في نشر الحرمة . ويحكى عنه القول بأن المعاصي كلها كباثر وانما يكون اتصافها بالصغيرة بالنسبة الى ما هو اكبر منها
(مدة عمره ومدفنه)

قيل انه عاش تسعين سنة وولد في عشر سبعين واربعمئة وتوفي سنة اثنتين وخمسة مائة انتهى والظاهر سقوط لفظة خمسين من تاريخ الوفاة وكون الولادة في السنة الثانية من عشر السبعين واربعمئة ليكون عمره تسعين سنة ولكن عن رجال الامير السيد مصطفي التفرشي انه انتقل من المشهد الرضوي الى سبزوار سنة خمسمائة وثلاث وعشرين وانتقل بها الى دار الخلود سنة خمسمائة وثمان واربعين وقد سمعت عند تعداد مصنفاته قول صاحب كشف الظنون انه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة والله اعلم وفي الروضات كانت وفاته ليلة النحر من تلك السنة اي سنة ٥٤٨ ثم نقل نعشه الى المشهد المقدس الرضوي وقبره الآن فيه معروف في موضع يقال له (قتلگاه) اي مكان القتل وذلك لما وقع فيه من القتل العام بأمر الله خان امير الافغان في اواخر دولة الصفوية انتهى وفي اللقايبس قال نقل انه دفن في مقبر الرضا (ع) بطوس انتهى وقال بعضهم ان قبره بطوس معروف مشهور يزاد ويتركه
(نسبه)

الطبرسي بالطاء المهمة والباء الموحدة المفتوحتين والراء الساكنة بعدها سين مهمة نسبة الى طبرستان بفتح الطاء والباء وكسر الراء كما في معجم البلدان . وعن رياض العلماء هي بلاد مازندران بعينها وقد يسم بلاد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر انتهى وفي معجم البلدان الطبريا بتحريك هو الذي يشق به الاحطاب وماشاكله بلغة الفرس واستان الموضع او الناحية كأنه يقول ناحية الطبر ثم ذكر سبب تسميتها بذلك فقال سببه ان اكثر اهل تلك الجبال كثير الحروب واكثر اسلحتهم بل كلها الاطبار حتى انك قل ان ترى صلوكا او غنيا الا ويده الطبر صغيرهم وكبيرهم فكانها لكثرة فيها سميت بذلك ومعنى طبرستان من غير تعريب موضع الاطبار والله اعلم انتهى والرضوي والمشهدى نسبة الى مشهد الرضا (ع) لأنه سكن فيه ثم ان الطبرسي حيث يطلق ينصرف الى صاحب الترجمة وان كان يطلق ايضا على ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي مصنف كتاب الاحتجاج والشيخ محمد بن علي بن شهر اشوب فيكون معاصرا لصاحب الترجمة لأن ابن شهر اشوب يروي عن صاحب الترجمة ايضا كما مر عند تعداد تلامذته ويطلق ايضا على ولد صاحب الترجمة رضي الدين ابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب مكارم الاخلاق المار ذكره ويطلق ايضا على ابي علي محمد بن الفضل الطبرسي المذكور بهذا العنوان في آمل الآمل والموصوف فيه بانه كان عالما صالحا عبدا يروي بن شهر اشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي انتهى فيكون معاصرا لصاحب الترجمة ايضا . هذا ما تيسر لنا جمعه من ترجمة احواله والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم
محسن الحسيني العاملي (عني عنه)
دمشق

﴿ كلمة في التفسير ﴾

اللغة فيه

التفسير مأخوذ من فر المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور يقال اسفر الصبح اذا ظهر واسفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته او هو مأخوذ من فر يفسر كضرب يضرب او كضرب ينصر فسر أو الفسر هو الابانة وكشف المعطى تقول فسرت الشيء اذا بينته . وقال اللغويون ايضا ان التفسير هو كشف معنى اللفظ واظهاره قاله في مجمع البحرين

التأويل

التأويل مأخوذ من الأول كالتقول من آل الأمر الى كذا يؤول اي صار اليه ورجع ومنه قيل للمرجع مأل . واول الكلام تأويلا دبره وقدره وفسره قاله في القاموس المحيط . وقال ثعلب ان التأويل والتفسير واحد . وقال غيره ان التفسير هو كشف المراد عن المشكل والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر كما في القاموس ومجمع البحرين

مايته

استعمل التفسير في اصطلاح العلماء لمعنيين اولهما التفسير الذي هو قسم من اقسام البديع الراجع الى المحسنات المعنوية ويراد به عندهم ان يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بادراك خواه ما لم يفسره كلام آخر بعده كما في قول الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم
منها معالم للهدى ومصابيح

في الحادثات اذا دجون نجوم
تجلو الدجى والاخريات رجوم

وهذا القسم غير ما زیده الآن

والمعنى الثاني للتفسير فهو ما نهني بالكلام فيه في مقالنا هذا وقد كثر كلام العلماء في شرح ماهيته فقال بعضهم هو علم بأصول تعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها ومثله قول الرازي وهو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وقول التفتازاني وهو العلم الباحث عن احوال الفاظ كلام الله من حيث الدلالة على مراد الله تعالى وعرفه ابو حيان وادخل فيه علم التجويد بقوله هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الأفرادية والتركيبة ومعانيها التي هي عنها حالة التركيب وتتمت ذلك . ولكن الزركشي جعل التعريف موضحا لذكر ما يحتاج اليه علم التفسير فقال هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان واحوال الفقه والقرآآت ويحتاج الى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

وقد دقق العلامة الفارسي في هذه التعريفات ولم يرتضها لعدم جمعها ومنعها واختار للتفسير تعريفاً آخر على ما في كشف الظنون فقال هو معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالة على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وانت تعلم من اختلاف كلماتهم في التعريفات التي مر بيانها ومن التأمل فيها انهم قد اعملوا الفكر ليكون التعريف جامعاً مانعاً ولكن هذا العلم لكونه يطوي في تضاعيف مسائله مسائل من علوم شتى ايدخلها بعضهم فيه ويخرجها بعضهم منه وهي داخلة في حدود غيره من العلوم لا تكاد تجد تعريفاً جامعاً لمسائله مانعاً من دخول غيره فيه ولا تكاد تدلنا على جهة وحدة تضبط مسائله اجمالاً

موضوعه والقرض منه

قالوا ان موضوعه كلام الله تعالى والقرض منه حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة ومعرفة معاني النظم

فائدته

لم يخلق الله تعالى الخلق عبثاً وانما خلقهم ليعملوا بأوامره وطاعته ويحبتوا نواهيهِ ومعاصيه وليتعبدهوا بما اوحاه الي رسله من التكليف لا عن حاجة منه تعالى اليهم بل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليفوز المطيع بالطاعة والثواب ويشقى العاصي بالمعصية والعقاب ويدلنا بذلك على انه لم يخلق لهم العقول الا ليفكروا ولم يمن عليهم بالجوارح الا ليعملوا واشرف ثمار العقول والاعمال ما اوصل الى السعادة الابدية والفوز الاخروي باتباع اوامره تعالى وتجنب معاصيه سواء في ذلك امر المعامد والمعاش

وقد بين الله تعالى لعباده طرق الفوز ودفعهم على ما يرضيه من الاعمال التي تعود عليهم انفسهم بالصلاح بما انزله من الشرائع الالهية على لسان انبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين اقام بهم الحجة على العباد فصدعوا بامره وزجروا عن معصيته فانزل الله على كل رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور وليسمعوا كلام ربهم ويعرفوا احكامه والرسول هو الزعيم بتفصيل ما اجمل في الكتاب وتبيان ما ابهم منه فكان من ذلك الكتاب وكان من ذلك السنة النبوية اللذان هما اول الادلة عند علماء اصول الفقه ثم علم الانبياء اوصياؤهم وامنائهم وخواص اصحابهم ما اليه يرجعون وبه يهتدون من معاني كتاب ربهم وسنة نبيهم ليكونوا بعده مناراً به يهتدى ونبراساً بنوره يستضاء اذا دلهم ليل الجهالة وادجن ظلام الاهواء لئلا تذهب بالامة مذاهب الاهواء فتصرف موارد الشريعة عن مجراها ويتأولون احكام الله على ما يريدون لاعلى ما يريد الله ميلاً مع الشهوات وجرياً مع الاهواء المضلة ويتكلمون بالرأي في القرآن بلا سند اليه يستندون ولا استمسك بكلام الراسخين في العلم اليه يرجعون كما صرف بعض الصوفية معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الى معنى الحب والعشق وكما ذهب اليه بعض الجاهلين من معنى

قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فتكلم فيه بما لا استحسَن ذكره وكما تصرف بعض المنتسبين الى العلم في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فكتبها ووصل ذا بلام الذي وقطع عين يشفع عنها وجعلها كلمة مستقلة فقال فيها من ذل ذي يشفع وجعل ذي اشارة الى النفس ويشف من الشفاء وع امر من الوعي فكان معناها (واستغفر الله) من ذل هذه النفس يشف رفع هذا الامر وانت خبير بما لهذا الشذوذ من القيمة عند اولي العلم بحججنا الله من امثال هذه الجهالات ولهذا ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية ابن عباس بانه من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وكان الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقون منه ما يصل بهم الى فهم كتاب ربهم ومعرفة ما يراد منه في كثير من الايات فاستعدت دائرة السنة النبوية والاحاديث الشريفة كل متسع ونشأ من ذلك علم التفسير الذي عني المسلمون به عناية تامة وصرف جل علمائهم معظم اوقاتهم بحثافيه وتدقيقا فعلم التفسير هو اجل العلوم قدرا لانه الموصل الى فهم مراد الله من كتابه ومعرفة احكام الله في وحيه وما فرضه على عباده وهذه الغاية كما لا يخفى هي اشرف الغايات واجسن الطرق لئيل السعادات

وجه الحاجة اليه

انزل القرآن على النبي العربي بلسان عربي مبين فهو عربي الكلام عربي النظم والاسلوب ببلاغة عربية الا ان لغات العرب مختلفة فلهذا تم تحالف لغة قريش ولغة عرب الحجاز تسيذ عن لغة اهل اليمن والقرآن الكريم وان نزل بلغة قريش قوم النبي وهم افسح العرب على الاطلاق الا انه تضمن بعض الالفاظ من غير اللغة القرشية وعليه حمل كثير من المحققين منهم الامام الطبرسي في مقدمة تفسيره الكبير معنى قوله عليه الصلاة والسلام انزل القرآن على سبعة احرف كما شاف كاف وفي بعض الروايات ان القرآن نزل على سبعة احرف فلاتاروا في القرآن فان المرء كفر . حملوه على ان المراد بالاحرف السبعة لغات العرب التي نزل بها القرآن وقال بعضهم هم قريش والفاها وقال آخرون ان المراد بالاحرف السبعة لغات العرب في اقوالهم واختلاف لهجاتهم فاذن لكل قوم ان يقرأوا ببلهجاتهم والحنهم المعروفة عندهم وقال آخرون هي القرائت السبع وعليه الاكثر وكيفما كان تفسير هذا الحديث فان القرآن الكريم عربي البيان واعجازه وارد في النظم والاسلوب الذي يطلق عليه الشيخ عبد القاهر امام علماء البيان اسم النظم والصور والخواص والمزايا والكيفيات ونحو ذلك ويحكم قطعاً بان الفصاحة من الاوصاف الراجعة اليها وان الفضية التي يستحق بها الكلام ان يوصف بالفصاحة والبلاغة والبراعة وما شاكل ذلك انما هي فيها لا في الالفاظ المنطوقة التي هي الاصوات والحروف ولا في المعاني التي هي الاعراض التي يريد المتكلم اثباتها او نفيها وهي مطروحة في الطريق يعرفها كل احد

والنظم والصور هي التي استحسَن السعد التفتازاني ان يطلق عليها عند البحث في عبارات الشيخ عبد القاهر اسم الالفاظ والمعاني الاول ولكن مراتب الكلام تتفاوت في البلاغة بحسب تفاوتها في هذه الالفاظ والمعاني الاول وان شئت قل في هذه التراكمات والصور المبنية في الاكثر على المدلولات الاتزامية التي منها البين وغير البين ومع ذلك فاننا نجد ان البليغ المتفنن في بيانه قد يسلك لاعتبارات بيانية مسالك الاختصار والايجاز او يرد موارد الاطناب والتطويل او يعتمد على الحذف في بعض الاحوال استنادا الى قرائن ظاهرة او خفية حالية او مقالية او يهمل طريق استنتاج بعض المقدمات او يُفضل بعض الملل اعتمادا على قرائن تتفاوت الافهام في ادراكها ويكون في ذلك جاريا على سنة من الفصاحة ظاهرة فينطق كلامه على من لا يعرف الدقائق البيانية وكَم من اللوازم غير البينة بل ومن البينة ايضا ما لا يتنبه لها الا من راضت البلاغة نفسه وكيف ذنبه واستملكته فاناس اذا في لدر ذلك متفاوتو الافهام

على ان هذه السنة كانت جارية بين فصحاء العرب وكانوا يأتون بالكلام على وجوه يحتملها ومغازٍ يشير اليها قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بمشكلات القرآن ما نصه : «والخطيب من العرب اذا ارتجل كلاما في نصكاح او حيلة او تحضيض او صلح او ماشبه ذلك لم يأت به من واد واحد بل يتفنن فيختصر تارة ارادة التخفيف ويطيل تارة ارادة الافهام ويكرر ارادة التوكيد ويخني بعض معانيه حتى تغض على اكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الاعجمين ويشير الى الشيء ويكني عن الشيء وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقد راحل الخلف وكثرة الحشد وجمالة المقام ثم لا يأتي بالكلام كله مهذبا كل التهذيب ولا مصفى كل التصفية بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالناقص على الوافر وبالمثل على السمين ولو جعله كله من بحر واحد لبخسه بهاء وسلبه ماؤه ومثل ذلك الشهاب من القيس يبرزه للشعاع والكوكبان يعترنان فينقص التوازن . والسحاب ينتظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقمان ولا يحمله كله جنسا واحدا من الرفيع الثمين ولا النفيس المصون»

وقد سرت هذه السنة الى المؤلفين قترى بعضهم يتعزى البلاغة مع الاختصار في مؤلفه بحيث يطوي تحت الفاظ قليلة معاني كثيرة وبعضهم يبسط ويطنل وهكذا حتى احتاج كثير من كتب العلم الى شروح وهوامش تفتح ما استغلق وتفصل ما ابهم بل تجد الخلاف قائما بين الشراح على تأويل عبارة او في مؤداها ولذلك عني بعض المؤلفين بشرح كتبهم انفسهم ليدلوا على مقاصدهم ومع ذلك قد يُعترض عليهم بان شرحهم بعض الجمل لا ينطبق على مؤداها وما كان ذلك الا لاختلاف الافهام في ادراك ماهية النظم والاسلوب وانا نجد عناية العلماء كانت مصروفة لعقد المجالس اللغوية لشرح المعاني البيانية في كلام الخطباء والشعراء شرحا يفتح مغلقها ويبين مجملها وفي كل ذلك لم يتخذ احد منه قدحا في الكلام المشروح ولا طعنا فيه مادام جاريا على سنة التراكيب العربية وعلى مقتضى الاسلوب البياني بل كان ذلك رافعا من شأن الكلام مظهرا لمزيتة في عالم البلاغة وهذا مما امتازت به اللغة العربية وكان من اهم خاصياتها والقرآن الكريم وان كان انزل بالفاظ عربية يفهم معانيها المغاطبون في عصر صاحب الرسالة صلوات الله عليه وآله وكل من عرف اوضاع اللغة في غير ذلك العصر ولكن نظمه المعجز واسلوبه العالي لو كان مغسولا مبدولا لم يكن له قيمة عند العرب الذين كانت تقام اسواقهم وتعمر متدياتهم بالتفاخر في افانين الفصاحة والبلاغة وتبريز الخطباء ونشر شعر الشعراء فاذا كان القرآن مبدول الاسلوب بقصد افهام كل احد ممن سلف وخلف ما يراد منه عارفا بافانين الكلام او غير عارف كان غير جار على سنتهم بل كان دون كلامهم فتصرف عنه القلوب ولا تدعن له تلك الطبائع الجافية ولا تطأطى له هذه الرووس الشامخة التي اذعت لبلاغته ووقفت حيرى دون اعجازته وخلفت البابا بفصاحته . وعند ذلك تقوت الفائدة المطلوبة ولا يؤثر الاثر المقصود والله سبحانه انزله على نبيه الكريم وتحقق اللغواء بمعجز بلاغته فمعجزوا عن الاتيان بسورة من مثله بل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وانا كان معجزا في نظمه واسلوبه وللنظم في اللغة العربية المنزلة الفريدة في الالباس الكلام حة البهاو والنضرة والرواء والبهجة والتراكيب افانين ومناهج يستطرقها ارباب الفصاحة بما يختارون لها من متخير الالفاظ وبديع الكتابات ولطائف الاستعارات والمجازات واطافة الاسلوب مما يجذب اليهم القلوب والعقول متفاوتة فيا رزقته من الادراك قرب مستدل على معنى مجمة يستدل غيره بها على ضده فلا بد اذا من الرجوع الى الراسخين في العلم بعد انحطاط اللغة لتسحيص ذلك وبمثل هذا احتاج الكتاب الكريم الى التفسير والبيان وتفسيره من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وترجيح بعض الاحتمالات على بعض

وان في القرآن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وفيه ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين وعام وخاص واحكام وفرائض وسنن وقصص ومواعظ وحكم وامثال وما اشبه ذلك فما كان راجعا الى الاخبار والمواعظ فاللفظ دال بظاهره على معناه وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عصره يأخذون منه بما يفهمون

يوم كانت ملكة اللسان عند العرب لا يرجع فيها الى كتاب او نقل بل كانت فطرية حتى اذا فسدت اللغة ببخاطلة الاعاجم وبعُد زمن العرب عن اهل اللسان المخاطبين بالقرآن تنوسي ذلك واحتيج في مثله الى علم التفسير وما كان راجعا الى الغرائض والسنن والناسخ والمنسوخ وامثال ذلك فلا بد فيه من الوقف حتى زمن نزوله ليعلم النص من قبل من شرع الله هذا الدين على لسانه وبذلك كانت السنة النبوية شارحة لمعاني الكتاب متممة لما فرضه الله او ندب اليه وكان علم التفسير كافلا بايضاح ذلك

وقد تداوله الصحابة في عصره (ص) حتى دونت العلوم وبوبت ابوابها وجعل كل علم اصلا برأسه بعد زمن التابعين وكان دخل في الاسلام جماعة من علماء اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم وكثير من مشركي العرب الذين تعلموا علومهم عن علماء اليهود وهو لا . لم تتغير معارفهم فيما يرجع الى الاخبار والمواظ التي لم يتوقف القول فيها على نص للنبي (ص) فكانوا يفصلون مجمل القصص واخبار الملاحم وامثال ذلك بعد عصر النبي على ما هو مفروس في اذهانهم من علومهم الاسرائيلية وكانت العامة يومئذ تعكف عليهم لاستماع اخبارهم والنفس مولعة بتعلم ما تجمله فكثرت الروايات الاسرائيلية في كتب التفسير واختلط الغث بالسمين ولم يحصها العلماء بنقدم ما هو معروف بينهم من التسامح في ادلة السنن وما جرى مجراها ولا انصراف همهم الى نقد ادلة الاحكام التكليفية وتمحيصها اللهم الا قليلا من المصنفين لم يفعلوا هذا الامر ولكنهم لم تكن قوتهم هذه لتصد تياره الجارف فلم يوثروا الاثر المطلوب

فاتسعت بذلك دائرة علم التفسير وازدادت في الناس الحاجة الى الوقوف على المصنفين المتقي من الاقوال فيه اختلاف اذواق المفسرين

قد يتصدى للأمر من لا يحسنه فيعجز عن نيل المراد وقد يتصدى له الضليع فيه ولكنه يغلب على طبعه جهة واحدة منه فيطنب فيها حتى يكاد يهمل ما سواها ويحسن بالمفسر نكتاب الله ان يكون جامعاً للعلوم العربية وعلوم القرآن قال الزمخشري : « ان العلماء كما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر ايضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عري عنها او هو فيها ضالغ وهي ان يعرف خمسة عشر علما على وجه الاتقان والكمال (١) اللغة (٢) النحو (٣) التصريف (٤) الاشتقاق (٥) المعاني (٦) البيان (٧) البديع (٨) القراءات (٩) اصول الدين (١٠) اصول الفقه (١١) اسباب التزول والقصص (١٢) الناسخ والمنسوخ (١٣) الفقه (١٤) الاحاديث المبينة لتفسير المعجل والمبهم (١٥) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم »

فاذا كان العالم جامعا لهذه العلوم مع رسوخ قدم فيها وفضل تحقيق وصلح لأن يكون مفسرا فربما يغلب عليه الجهة التي هو اليها اميل وبها اعرق فينحو في البحث نحوها ويطنب في امرها اطنابا يكاد يجعل بحثه مقصورا عليها والزمخشري نفسه مع سعة باعه وجودة تفسيره المعروف بالكشاف قد نحا فيه منحى الجانب البياني من التفسير اكثر من غيره فكان الكشاف بذلك كتابا بيانيا اكثر منه تفسيريا

وقد عني بعض المفسرين بعلوم النحو والاعراب فبحث واطال حتى خرج عن الحد وتمسك بعضهم بعلم الفقه فلم يدع شاردة الا ذكرها وبعضهم نحا منحى الاخباريات وغفل عما عداها وبعضهم شغف بالعلوم الفلسفية فصرف كلامه في التفسير اليها وهكذا حتى اصبحت كتب التفسير كأن كل كتاب منها الف في غير ما الف فيه الاخر بل تكاد تستخرج من مجموعها دائرة معارف عربية قال صاحب كشف الظنون : « ومنهم من ملا كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر على ما تمهر فيه كأن القرآن انزل لأجل هذا العلم لا غير مع ان فيه تبيان كل شيء . فالنحوي تراه ليس له الا الاعراب وتكثير الالوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة . وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحد في البسيط واي حيان في البحر والنهر . والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفائها والاخبار عن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثملي والفتي يكد يسرد فيه

الفتة جميعا وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع النحوية التي لا تعلق لها بالآية اصلا والجواب من الادلة للمخالفين كالقرطبي . وصاحب العلوم العقلية وخصوصا الامام الرازي قد ملاً تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر عجا قال ابو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طوية لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير»

اما قدماء المفسرين فقد كانوا على طريقة مولانا عسرم من ايراد الاقوال والاحاديث مسندة الى روايتها منقولة بوجود متعددة واقتصروا فيها على شرح المعاني وايراد الاحاديث الدالة على ذلك مع بيان التناسخ والنسخ واسباب التزول ومقتضيات الحال وما اشبه ذلك بما كان متداولاً في عصر الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله ولم يفتوا بشرح اللفظ ودقائق الالعاب ونكات البيان لأن ملكة اللغة كانت في زمنهم لم تنحط الى درجتها التي وصلت اليها بعدهم بل كانت علوم اللسان يومئذ غير مدونة وكانت معرفتها الى السليقة والفترة اقرب منها الى التعلم ولم تكن هذه المباحث يومئذ معدودة في التفسير حتى اذا دوت الكتب وكثر المؤلفون وبعد عصر العربية الفصحى اصبح هذا البحث من اركان علم التفسير وعني به المحققون من المفسرين وظهر في العصر السادس الهجري كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري جامعا لترائب القنون من علوم اللسان شارحا دقائق البيان ونكات البلاغة شرح خبير علم فكان كتابا يمتدح في بابيه

ثم ظهر كتاب مجمع البيان للعلامة الطبرسي فكان غاية في الاتقان وحسن الترتيب والتبويب وجمع الى البحث عن اللفظ والاعراب بيان النظم وسبب التزول ثم فصل المعنى تفصيلا لم يكن فيه اطناب بل ولا اختصار مغل وهو بذلك من احسن كتب التفسير تنسيقا وتأليفا ومع ذلك فهو يورد الاقوال المختلفة غير متعرض لتقد أو اعتراض بل تراه يسرد الاقوال ويترك الحكم فيها للمطالع ليشهد ذهنه باختيار ما يراه صوابا ويتعود به من لم يتعود ملكة التقدير والتحصيل

اقسام التفسير

تقدم معنا البحث انه بعد ان بعد عصر اللغة الفصحى وفسدت الملكات اللسانية من العرب اصبح البحث عن ما يرجع الى اللسان من بيان اللفظ والاعراب والبلاغة في تادية المراد وما اشبه جزءا من علم التفسير فكان هذا قسما والقسم الآخر ما كان مستندا الى الآثار المنقولة عن السلف كعرفة التناسخ والنسخ واسباب التزول ومقاصد الآي والقراءات وقصص الامم واخبار الملاحم وهذا جزل الرأي عنه وتوقف البحث فيه على ما يرد من الاحاديث المستندة الى النبي المصطفى (ص) وامثاله الكرام وان كان يمكن في القصص والمواظ الاخذ بظاهر اللفظ دون اعمال الفكر وملكة الاستنباط

ثم ان من التفسير ما يجوز للراسخ في العلم ان يأخذ بطريق النظر والاستدلال ومنه ما لا يجوز مما يتوقف البحث فيه على الآثار النبوية فليس للفكر والاستنباط عليه سبيل لأنه وارد في موارد خاصة لا يعرفها الا من خبرها وليس للرأي فيها مجال البتة ومنه ما لا يتوقف القول فيه على الآثار النبوية وهو ما كان مبنيا على الاقيسة والقواعد العلمية كقنون البلاغة وضروب المواظ والحكم في هذا مجال لقوة الاستدلال والاستنباط ومنه استنباط الاحكام الشرعية مما يصلح ان يكون دليلا لها في الكتاب المبين واما الآيات التشابهات فقد اختلف في جواز اعمال النظر فيها ورجح المحققون ان يرد الحكم فيها الى الله ورسوله

واما ما ورد من التمهني عن التفسير بالرأي فقد جعله في كشف الظنون في انواع خمسة اولها التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير وثانيها تفسير التشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى وثالثها التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة بان يحل التفسير تبعا للمذهب فيرده اليه بأي طريق كان وان كان ضعيفا واربعا التفسير بان مراد الله كذا على القطع من غير دليل وخامسا التفسير بالاستحسان والمهورى التمهني عنه . وقد قسم ابن عباس (رض) وجوه التفسير الى

اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم به الكافة من الشرائع التي في القرآن وجل دلائل التوحيد واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تلويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغروب وقيام الساعة

طبقات المفسرين

اول من تكلم في تفسير القرآن من اصحاب رسول الله (ص) مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو اعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا مدافع بل هو باب مدينة العالم قال ابن مسعود ان القرآن نزل على سبعة احرف مامننا حرف الا وله ظهر وبطن وان عليا عنده من الظاهر والباطن ثم عبد الله بن العباس حبر الامة وترجمان القرآن ووارث ثابتي علوم رسول الله وقد دعا له النبي بقوله اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل ولذلك كثرت الرواية في التفسير عنه حتى كان ما يقارب النصف من الاحاديث الواردة في التفسير مستندا اليه

ثم عبد الله بن مسعود ذو المقام العالي بين المفسرين وثاني ابن عباس في كثرة الرواية واني بن كعب وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) والمقدم بين القراء وفي الصحابة غير من ذكرنا كثيرون تكلموا في التفسير ولكن الرواية عنهم قليلة وفي التابعين اشهر علي بن ابي طلحة خريج ابن عباس وقيس بن مسلم الكوفي ومجاهد بن جبر المكي وقتادة بن دعامة السدوسي واسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي وعكرمة مولى ابن عباس وهو اولهم اشهر التابعين في التفسير وطاوس بن كيسان اليماني وعده ابن تيمية من اعلم الناس في التفسير كما في الاتقان وعطاء بن ابي ديارح المكي وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن السائب الكلبي وهو علامة وقته والحسن البصري وهو اشهر من ان يعرف ومالك ابن انس وعامر الشعبي وعطاء بن ابي سلمه وسليمان بن مهران الاعمش وابو العالية رفيع بن مهران الرياحي والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد العوفي وكثير غيرهم ممن لا يسع المقام تعدادهم وفي زمن التابعين دون التفسير وصنف فيه واول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبيرة المتوفى سنة ٦٤ وكان اعلم التابعين في التفسير نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الاتقان ثم ابو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي القرشي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ قال السيوطي ان تفسيره من امثل التفاسير ثم محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ صاحب التفسير الكبير وابو حمزة الثمالي صاحب الامام ابي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ذكر تفسيره ابن التميمي ثم ابوبصير الاسدي صاحب الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وله تفسير جليل وهو من تابعي التابعين ومن صنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ ومنهم شعبة بن الحجاج وسفيان ابن عيينة ومجاهد وهو اول عدا سعيد بن جبيرة من اهل المائة الثانية للهجرة وعرف بالتصنيف في هذا العلم من اهل هذه المائة عبد الملك بن جريج المكي الاموي بالولاء وزيد بن اسلم العدوي ومقاتل الازدي ووكيع بن الجراح الكوفي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ صاحب كتاب الرغيب في علوم القرآن

وفي المائة الثالثة اشهر بالتفسير محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير الذي جمع فروع وهو البحر الذي ورده اكثر من تأخر عنه من المفسرين ومحمد بن خالد البرقي صاحب كتاب التفسير املاء الامام ابي محمد الحسن العسكري (ع) حكاه ابن شهر اشوب في معالم العلماء وعلي بن ابراهيم القمي وابن ماجه محمد بن يزيد القزويني المحدث المشهور والاشج ابو سعيد بن راهويه

وفي المائة الرابعة عرف النيسابوري وابو الحسن الأشعري امام اهل السنة وعلي بن عيسى الرماني النحوي المشهور
وابو هلال العسكري وعبد الله بن محمد الكوفي وابن حبان وابن فورك
وفي المائة الخامسة عرف شيخ الطائفة الامامية وقيها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب
البيان الجامع لكل علوم القرآن ثم السيد الشريف الرضي الموسوي صاحب كتاب جقائق التزويل ودقائق التأويل
وامام الحرمين ابو العالي الجويني وعبد الملك الثعالبي
وفي المائة السادسة اشهر جار الله الزمخشري صاحب الكشاف الذي لم يوف له في بابه مثله جودة واتقاناً
واشتهر ابو علي الفضل بن الحسن الفاضل الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان وهو التفسير المشهور الذي لم ينسج
على منواله ابدع منه وابو البقاء العكبري وابو محمد البغوي وابن الدهان
وفي المائة السابعة اشهر البيضاوي صاحب التفسير المشهور المسمى بانوار التزويل الذي تناوله العلماء بالشروح
والتعليق واتخذه طلاب التفسير مناراً لهم وعرف ابن زرين والشيخ الاكبر محي الدين بن العربي صاحب الفتوحات
وابن عقيل النحوي ومحمد بن سليمان البلخي المعروف بابن النقيب
وفي المائة الثامنة عرف الشيخ بدر الدين الزركشي الفقيه الشافعي وابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي وابو
حيان الاندلسي صاحب كتابي البحر والنهر في التفسير ومحمد بن عرفة المالكي وابن النقاش
وفي المائة التاسعة عرف البقاعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآي والسور والمولى الجامي ويزهان الدين بن
جماعة وعلاء الدين القراءاني صاحب بحر العلوم في التفسير والجلال السيوطي صاحب كتاب الاتقان في علوم القرآن
وفي المائة العاشرة عرف الشيخ علي بن يونس النباطي صاحب مختصر مجمع البيان والعلامة ابن كمال باشا
احمد بن سليمان بن كمال الرومي وابو السعود العبادي مفتي القسطنطينية صاحب التفسير الكبير المسمى بارشاد
العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم الذي اشهر صيته وانتشرت نسخته والشيخ ابويحيى ذكرى ابن محمد الانصاري
وفي المائة الحادية عشرة عرف الشيخ علي القاري والشيخ حسن البوريني والشيخ بهاء الدين العاملي الكركي
صاحب التفسير المسمى بعين الحياة وهو مؤلف الكشكول والشيخ خير الدين الرملي والشهاب الحفاجي
وفي المائة الثانية عشرة عرف الشيخ العارف عبد الغني النابلسي صاحب التحرير الحاوي في شرح تفسير
البيضاوي والسيد هاشم البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن
وفي المائة الثالثة عشرة اشهر الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى روح المعاني والسيد محمود الحزوي
مفتي دمشق الشام بكتابه در الاسرار وهو تفسير بالحرف المهمل وما اخرج هذا التفسير الى تفسير
وفي المائة الرابعة عشرة اشهر العلامة المحقق الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية بما كان يلقبه من دروس
التفسير المفيدة على طلاب العلوم في الجامع الازهر بالقاهرة سلك فيها مسلكاً راعاه على مزيد تبهر وسلامة ذوق وجامعة
كبرى وقد اقتبس دروسه هذه العلامة السيد محمد رشيد رضا فنشرها في مجلة المنار التي تصدر عن مصر وزاد
عليها فوائد مهمة في التفسير

وهذا انمؤذج من كتب التفسير واسماء طائفة من علمائه ذكرناها تكمة للبحث والا فان تعداد مفسري كتاب
الله الكريم في كل عصر ومصر وفي كل لغة من لغات البشر الشائمة لما يفوت الاحصاء والاستقصاء جزى الله
العاملين على اعلاء كلامه واحياء لغة الضاد التي لا حياة لها الا بحياته وهو الكلمة الباقية الخالدة مادامت الارض والسماء



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارتفعت عن معارج الفكر جلالاته . وجات عن مطامح المسم عزته . وتمالت عن مشابهة الانام صفته . واعجزت مدارك الافهام حكيمته . وفاقته مبالغ الاوهام عظمتة . الذي له في كل مارآته الابصار اللاحظة . وذكرته الاسن اللافظة . وبلغته العقول الزاكية . ومرفته القلوب الواعية . آيات واضحه على وحدانيته . ودلالات ناطقة على ربوبيته . الواحد لثاني له في القدم . والمحدث للاشياء . بمد المدم . انشاها بلا طوية ولا روية . آكل اليها . ولا قريحه غريزة اضر عليها . هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته . الباطن لها بعلمه ولطيف صنعته . الاول الذي لا يتقدمه قبله . الآخر الذي لا يعقبه بعده . لا مانع لا اعطى . ولا مطي لا منع . ولا ينفع ذا الجدمنه الجد . احمده على آلالته المتواليه المتظاهرة . ونصه الباطنة والظاهرة . حمدا يستدرش آيب جوده الحاطلة . ويمتري اخلاف فضله الحافظه . حمدا يدوم ولا يبيد . ويستدي بجله المزيدي . واشهد انه الواحد الاحد السمد . الذي لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد . واسبأ له باوضح بيان . وانصح لسان . ان يصلي على نبيه وصفيه . وحبيبه ونجيه . محمد سيد الانبياء . والمرسلين . وخير الأولين والآخرين . المرء كد دعوته بالتأييد . المخصوص شرهته بالتأييد . نسخت جاشرائع الماضين . ولانبي بعده الى يوم الدين . وعلى آله وعترته المتفرعين من نبعته . المستودعين لحكمته . الحافظين لشرهته . اعلام الاسلام . وأئمة الانام . ما اعتقت الليالي والايام . واختلف الضياء والظلام . ثم الحمد لله الذي انزل القران . هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . نورا يتوقد صباحه . وضياء يتلأأ صباحه . ودليلا لا يخمد برهانه . وحقا لا تحذل اعوانه . وحبلا وثيقا عروته . وجلا منيما ذروته . وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء . ودواء للقلوب ليس مثله دواء . واماما يقتدي بسننه المتقدمون . وعلمنا جتدي جداه المتقدمون . جعله سبحانه لأئمة الأئمة ريبا مريبا . والجنوب ذوي المحارب من الأئمة جنابا مرمعا . ففيه رمان الحكمة وانوارها . وبنابح العلوم بل بحارها . واودية الحق وغيطانها . ومراتع العدل وغدرانها . وهو الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزير من حكيم حميد

«وبعد» فان احق الفضائل بالتعظيم . واسبقها في استحقاق التقدم . هو العلم اذ لا شرف الا وهو نظامه . ولا كرم الا وهو ملاكته وقوامه . ولا سيادة الا وهو ذروعا وسامها . ولا سعادة الا وهو بصحتها وقوامها . به يكسب الانسان رفعة القدر وعلو الامر في حياته . ويموز جزيل الاجر وجليل الذكر بعد وفاته . هو الصديق اذا خان كل صديق . والشفيق اذا لم يوثق بكل ناصح شفيق . والعلما وورثة النبيين . وسادة المسلمين . والدعاة الى الدين . وقد صرح عن النبي (ص) فيها رواه لنا الثقات بالاسانيد الصحيحة مرفوعا الى امام الهدى وكهف الوري ابي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن ابائه سيدنا سيدنا امامنا من امامنا ان اتصل به عليه وآله السلام . انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وسلمة . فاطلبوا العلم من مظانه . واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة . وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح . والعمل به جهاد وتخليصه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة . والمؤمنس في الوحشة والمصاحب في القرية والوحدة . والمحدث في الخلوة . والدليل على السراء والضراء . والسلاح على الاعداء . والزين عند الاخلاء . يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الميرقادة تقتبس آثارهم . ويقتدى بهمالمهم . وينتهي الى ارادتهم . ترغب الملائكة في خلتهم . وبأجنتها تحمهم . وفي صلاحها تبارك عليهم . يستغفر لهم كل طيب وبأبس حتى حيتان البحر وهواميه . وسباع البر وانامه . ان العلم حياة القلوب . من الجهل . وضياء الابصار من الظلمة . وقوة الابدان . من الضعف . يبلغ بالعبد منازل الاخيار . ومجالس الأبرار . والدرجات العلى في الآخرة والأولى . الذسكرفيه يمدل بالصيام . ومدارسته بالقيام . بيطاع الرب ويمبده . ويوصل الارحام . ويرف الحلال والحرام . العلم امام العمل والعمل تابعه . يلهمه السعداء . ويمرجه الاشقياء . فطوبى لمن لم يجرمه الله منه حظه . وفي امثال هذا من الاخبار كثيرة لا تطول بذكرها

ثم ان اشرف العلوم واسناها . وابهرها وابهاها . واجملها وافضلها وانفها واكملها علم القران فانه لجميع العلوم الاصل منه تنفرع افانيتها . والهاد عليه تبتى قوانينها . وقد قال اميرالمؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب (ع) . القران ظاهره انيق وباطنه عميق لا تقف عجائبه ولا تنفضي غرائبه . وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه قال اذا اردتم العلم فائبروا القران فان فيه علم الأولين والآخرين وعن سيدنا عن قتادة في قوله عز وجل ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال هو القران وعن رجاء بن حياة قال كنا يوما انا وابي عماد بن جبر فقال من هذا يا حياة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القران قال لا قال فسلمه القران فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ما من رجل علم ولده القران الا توج ابواه يوم القيامة بتاج الملك وكيا حلتين لمرئاس مثلها ثم ضرب يده على كفتي فقال يا بني اذا استطعت ان تكسو ابويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال من قال في القران بنبر علم فليتبوا مقعده من النار وصح عن النبي (ص) من رواية العام والخاص انه قال اني تارك فيكم ما ان تحسكم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانما لن يفترقا حتى يردا على الحوض

وانا احذف اسانيد امثال هذه الاحاديث ايثارا للتخفيف . ولاشتمارها عند اصحاب الحديث . وقد خاض العلماء قديما وحديثا في علم تفسير القرآن . واجتهدوا في ابراز مكنونه . واطهار مصونه . والقوافيه كتباً جمة غاصوا في كثير منها الى اعماق لوجه . وشققوا الشعر في ايضاح حججه . وحققوا في تفتيح ابوابه . وتغلغل شعابه . الا ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار . ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار . الا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان . فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق . قد تضمن من المعاني الأسرار البديمة . واحتضن من الألفاظ اللغة الروسية . ولم يقنع بتدوينها دون تبينها . ولا بتسقيها دون تحقيقها . وهو القدوة استضي . بانواره . وأطأ مواقع آثاره . غير انه خلط في اشياء مما ذكره في الاعراب والنحو الثب بالسمين . والحائر بالزياد . ولم يميز بين الصلاح مما ذكر فيه والفساد . وادى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد . واخل بجس الترتيب . وجودة التهذيب . فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي . ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلمي . وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحدث السن وريان العيش ونضارة العفن . كثير النزاع قلق التشوق . شديد التشوف الى جمع كتاب في التفسير . ينتظم اسرار النحو اللطيفة . ولمع اللغة الثريفة . وفيها موارد التراث من متوجهاتها . مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها . ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معادنها . المستخرجة من كوامنها . الى غير ذلك من علومه الجملة . مطلمة من الغلف والاكمة . فيعترض لذلك جوانح الزمان . وعوائق الحدثنان . وواردات المهوم . وهفوات القدر المحتوم . وهلم جرا الى الآن . وقد ذرف سني على الستين واشتعل الرأس شيبا . وامتلاأت العيبة عيبا . فخداني على تصميم هذه العزيمة مارأيت من عناية مولانا الأمير السيد الاجل العالم ولي النعم . جلال الدين ركن الاسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرف . تاج امراء السادة . فخر آل رسول الله (ص) ابي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني . ادام الله علاه . وكبت اعداه . بهذا العلم وصدق غيبته في معرفة هذا الفن . وقصر هممه على تحصيل حقائقه . والاحتواء على جلالاته ودقائقه . والله عز اسمه المسؤول أن يجرس للاسلام والمسلمين رفيع حضرته . ويفيض على الفضل والفضلا . سجال سيادته . ويمد على العلم والعلماء امداد سعادته . ويبقي اقباله في دولة شماء السماء لا يرتقي هضباتها . ورفعة سامية البناء لا تبسغي جنباتها . ويوفي آماله في ظلال مجد محلول طلاله مطلول حلاله . وجلال فضل مزورر عليه حلاله . مضروب عليه كلاله . ويديم جماله في غبطة رقيقة القل . وبسطة مريعة الظلل .

حتى يجوز من المنى غاياتها	متلقيا بيمينه راياتها
ويفوز بالأمال غير مدافع	يتلو عليه سمعه آياتها
وتظل شمس المجد في ساحاته	تجلو عليه جرمها باناتها

وكل غاية في المجد ادنى درجات قدره . وكل نهاية في الشرف ادون طبقات فخره . فأوجبت على نفسي اجابته الى مطلوبه . واسمافه بمحبوبه . واستخرت الله تعالى . ثم قصرت وهمي وهمي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة . واكتساب هذه الفضية الثيبة . وشجرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد . واسهرت الناظر . واتعبت الحاطر . واطلت التفكير . واحضرت التفاسير . واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير . وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب . وحسن النظم والترتيب . يجمع أنواع هذا العلم وفنونه . ويحوي فصوصه وعيونه . من علم قراءته واعرابه ولفاته وغوامضه ومشكلاته . ومعانيه وجهاته . وتزوله واخباره . وقصصه وآثاره . وحدوده واحكامه وحلاله وحرامه . والكلام على مطاعن الباطين فيه وذكر ما يتفرد به اصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع . والمقول والمسموع . على وجه الاعتدال والاختصار

فوق الایجاز ودون الاكثار فان الحواطر في هذا الزمان لا تحتمل اعباء العلوم الكثيرة . وتضعف عن الاجراء في الحلقات الخطية . اذ لم يبق من العلماء الا الاسماء . ومن العلوم الالذماء . وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيا ومدنيا . ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها . ثم ذكر فضل تلاوتها . ثم اقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ثم ذكر اللط والاحتجاجات . ثم ذكر العربية واللغات . ثم ذكر الاعراب والمشكلات . ثم ذكر الاسباب والتزولات . ثم ذكر المعاني والاحكام والتاويلات . والقصص والجهات . ثم ذكر انتظام الآيات . على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة . وفي اعرابه كل حجة واضحة . وفي معانيه كل قول متين . وفي مشكلاته كل برهان مبين . وهو بحمد الله للأديب عمدة . وللنحوي عمدة . وللقرى بصيرة وللناسك ذخيرة . وللمتكلم حجة وللحدث حجة . وللنحوي دالة . وللواعظ آلة . وسميته كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) وارجو ان شاء الله تعالى ان يكون كتابا كبير الدرر . غزير الثمر . متواصف السمات . متناصف الصفات . سيارا في الاجار والاغوار . طيارا في الآفاق والاقطار . مهذب الترتيب . مذهب التهذيب . احكام الشريعة بمعانيه منوطة . واعلام الحقيقة بمعانيه مربوطة . ومجول الله اعتم . وبرتته وعونه افصح واختم . وياه اسأل الهداية التي هي اقوم . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب . وقبل ان نشرع في تفسير السور والآيات . فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات . لا بد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه فجمعها نون سبعة

﴿ الفن الأول ﴾

في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها

اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لانه مأخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احدها بن بسم الله الرحمن الرحيم ، وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القاري ، وشيعة بن نصاح وهما المدني الأول والى اسماعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب وعبدالله بن عمر والمدني الأخير ابو جعفر وشيعة واسماعيل والأول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم ابن ابي الصباح الجحدري وايوب بن التوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في (ص) قوله فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر ، والى اسماعيل المكي ، وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط ، وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر ، والفائدة في معرفة آي القرآن ان القاري اذا عدها باصبعه كان اكثر ثوبا لانه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه ، وبالبحري ان تشهد له يوم القيامة فانها مسوولة ولأن ذلك اقرب الى التحفظ فإن القاري لا يأمن من السهو ، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه الصلاة والسلام لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسوولات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو واحد القراء السبعة العدم مسامير القرآن

﴿ الفن الثاني ﴾

في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم

اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرأ على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبد الله ابن عياش بن ابي ديبعة المخزومي وهما قراء على ابي بن كعب وقرأ ابي على النبي (ص) وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن وقرأ على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيعة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرأ على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قارون وهو عيسى بن مينا ورواية اسماعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرأ على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسين القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي

واما الكوفي فاو لهم عاصم بن ابي النجود بهدله وله روايتان رواية حفص بن سليمان البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولاي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية ابي يوسف الاعشى واي صالح البرجمي ويحيى بن آدم وحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس وهيرة التار وعبيد بن الصباح وعمرون الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجل بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحارث ورواية ابي حمدون الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خاب بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار ، فاما عاصم فانه قرأ على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن ابي طالب (ع) وقرأ ايضا على زبدي بن جيش وهو قرأ على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق (ع) وقرأ ايضا على الاعشى سليمان بن مهران وقرأ الاعشى على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود وقرأ حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرأ على ابي الاسود ال. و. لي وهو قرأ على علي بن ابي طالب عليه السلام واما الكسائي فقرأ على حمزة وطي من مشايخ حمزة ابن ابي ابله وقرأ عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم ، واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلاث روايات رواية شجاع بن ابي نصير ورواية العباس بن الفضل ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد واي عمر الدوري واقية واي نعم غلام شحادة واي ايوب الخياط واي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلاث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل البصرة والكوفة قيل عراقي ، واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على الغيرة بن ابي شهاب المغزومي وقرأ الغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هو . لا . واقتدوا بهم فيها لسبيين ، احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او في ازمته ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه والحديث او غير ذلك من العلوم والآخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا وسماعا حرا فاحرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجود القرآن فاذا قد تبين ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القراءت الا انهم اختلفوا في القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع في اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد ، وما روته العامة عن النبي (ص) انه قال نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تلاوته فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين ، احدهما ان المراد سبع لغات بما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا يخبرون في مبتدأ الاسلام في ان يقرأوا بما شاءوا منها ثم اجمعوا على احدها واجاءهم حجة فصاروا اجمعوا عليه مانعا مما عرضوا عنه ، والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات وذكر ان الاختلاف في القراءة على سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في اعراب ما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقون والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالزاو والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الاصيعة والازقية ، والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلع منضود وطلع ، والسادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت ، والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملت ايديهم

وقال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح لا روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الأحراف على المعاني والاحكام التي يتظلمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها ، فمنهم من قال انها وعدٌ ووعدٌ واسرٌ ونهيٌ وجدلٌ وقصصٌ ومثل ، وروي عن ابن مسعود عن النبي (ص) انه قال تزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وسحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، وروي ابو قلابة عن النبي (ص) انه قال تزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ، وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومنصل وتأويل لا يعلمه الا الله عز وجل

﴿ الفن الثالث ﴾

في ذكر التفسير والتأويل والمعنى وتحرير جملة موجزة اليا ينساق اكثر الكلام فيما يأتي من الكتاب

التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والتفسير البين ، وقال ابو العباس المبرد التفسير والتأويل والمعنى واحد ، وقيل الفسر كشف النطلي والتأويل انتها الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته فكأن المراد من قولهم عنى به كذا قصد بالكلام كذا ، وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته ، واعلم ان الخبر قد صح عن النبي (ص) وعن الأئمة الثمانية مقامه (ع) ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالآثر الصحيح ، والنس الصحيح ، وروى العامة ايضا عن النبي (ص) انه قال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ ، قالوا وركه جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط ووضح السبل اليه ومدح اقولما عليه فقال لعليته الذين يستنبطونه منهم واذم آخرين على ترك تدبره والإضراب عن التفكير فيه فقال اقلنا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفلنا واذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا ، وقال النبي (ص) اذا جاؤكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبوه وما خالفه فاضربوه به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعرض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقد روي عن النبي (ص) انه قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يميز احد بجملته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعرفه الا الله عز وجل ، فاما الذي لا يميز احد بجملته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد ، واما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم ، واما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القرآن فان اليه يفتر كل بيان وهو الذي ينتج من الالفاظ الأغلاق ويستخرج من خواها الأعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيه ومستقيمه حتى يرجع اليه ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال اعربوا القرآن واتمسوا غرابه واذ كان ظاهر القرآن طبقا لعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف خفاه ويعلم مراد الله به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا محتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله وإلهم إله واحد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك واما ما كان مجملا لا ينبغي ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله سبحانه اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده فإنه يحتاج فيه الى بيان النبي (ص) يوحي من الله سبحانه عليه فيبين تفصيل أعيان الصلوات وأعداد الركات ومقادير النصب في الزكاة وأمثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من

غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لمور كثيرة اولا مرين فلا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد به الا وجها واحدا فهو من باب التشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق دليله وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك مرادا فلا ينبغي ان يقدم عليه بجملة فيقال ان المراد به كذا قطعا لا بقول نبي او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احدا من المفسرين فيه الا ان يكون التأويل مجعلا عليه فيجب اتباعه لانتقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التي لخصتها اصل يجب ان يرجع اليه ويعمل عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والاحكام

﴿ الفن الرابع ﴾

في ذكر اسامي القرآن ومعانيها

القرآن معناه القراءة في الاصل وهو مصدر قرأت اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرأت الشيء اي جمعت بعضه الى بعض وقال عمرو بن كلثوم

ذراعي عيطل ادما بكر هجان اللون لم تقره جنينا

اي لم تضم جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقرو كاسمي المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو مأخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت السقاء اذا جمعت بالخرز ومن اسمائه الفرقان سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق فبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لأنه يودي الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه وتعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والآخر انه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكرك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي (ص) انه قال اعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الانجيل الثاني ومكان الزبور المثين وفضلت بالفصل ، وفي رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المثين ومكان الزبور الثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي الفصل نافذة فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والانفال مع التوبة لأنها يدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه السور الطول لأنها اطول سور القرآن ، واما الثاني فهي السورة التالية للسبع الطول واولها سورة يونس وآخرها النحل وانما سميت مثاني لأنها ثنت الطول اي ثنتها وكان الطول هي المبادي والثاني لها ثواني وواحدة مثني مثل المعنى والمعاني ، وقال الفراء واحدها المثناة وقيل الثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وهو قول ابن عباس وانما سميت مثاني لأنه سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان الثاني في قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني آيات الحمد وهو المروي عن أنتمنا (ع) وبه قال الحسن البصري واما المثون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية او فويق ذلك او دونه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل ان المثين ما ولي السبع الطول ثم الثاني بعدها وهي التي تقصر عن المثين وتزيد على الفصل وسميت الثاني لأن المثين مباديها واما الفصل فما بعد الحراميم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الفن الخامس ﴾

في اشياء من علوم القرآن مجال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المولفة فيها من ذلك العلم يكون القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي (ص) والكلام في وجه اعجازه وهل هو مافيه من الفصاحة المفرطة او ماله من النظم المخصوص والاسلوب البديع والصرقة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته في نظمه وفصاحته فوضع ذلك اجمع كتب الاصول وقد دونه مشايخ المتكلمين في كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجددين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه في كتابه الموضح عن وجه اعجاز القرآن فإنه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع ، ونهاه الى النهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد ، اذ استولى فيه على الأمد

ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فيه فجميع على بطلانه وأما نقصانه منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى للكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكروا في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه في اذ كراه لأن القرآن معجزة النبوة وما أخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته العناية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفسير القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بحملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فإن اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من حملتها حتى لو ان مدخلا دخل في كتاب سيبويه بابا في التحول ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكروا ايضا (رض) ان القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعا موء لفاعلى ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له والله كان يعرض على النبي (ص) ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (ص) عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير متورولا مبثوث وذكروا من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يمتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبار اضعيفة ظنوا اصحتها لا يرجع بثلمها عن العلوم المقطوع على صحته . ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والنسوخ وحدودها واقسام النسخ وشرايطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والنسوخ منسوخا فإن ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن فإن موضعها الكتب المولفة في اصول الفقه وسيأتي منه ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفيا ان شاء الله

﴿ الفن السادس ﴾

في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله

انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته ، وعنه انه قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل العبادة قراءة القرآن ، وعنه انه قال عليه السلام القرآن غني لا غنى دونه ولا فقر بعده حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حملة القرآن المخصوصون برحمة الله المعلمون كلام الله المقرَّبون الى الله ، من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ويدفع عن قارى القرآن بلاء الآخرة ، يا حملة القرآن تحببوا الى الله بتوقيع كتابه

يزدكم حبا ويجيبكم الى عبادته وعن مكحول قال جاء ابو ذر الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اني اخاف ان اتعلم القرآن ولا اعمل به فقال لا يعذب الله قلبا اسكنه القرآن وعن عقبه بن عامر الجهني ان النبي (ص) قال لو كان القرآن في اهاب مامسته النار وعن عطا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) حملة القرآن عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال عليه السلام لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى ان احدا من اهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا برحها وعن عيسى بن قانده قال حدثني من سمع سعد بن عباد قال قال رسول الله (ص) ما من احد تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله اجذم . عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله (ص) اشرف امتي حملة القرآن واصحاب الليل . عن عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذا القرآن اداة الله فتعلموا من مادبته ما استطعتم ان هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعقب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله يورثكم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة اما اني لا اقول المِ عشر ولكن ا ف عشر ولام عشر وميم عشر الحديث الحارث بن الاعور عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال في حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انها ستكون فتق قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خير ما قلتم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تريغ به الالهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجايبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو جبل الله المتين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الجنة وشقعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار . عبد الله بن عمر عنه عليه السلام قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلت عند آخر آية تقرأها وعنه عليه السلام انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فرأى ان احدا اعطى افضل مما اعطى فقد حقر ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وعنه عليه السلام انه قال من قرأ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه . ابو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيامة وقال امير المؤمنين عليه السلام من دخل في الاسلام طائفا وقرأ القرآن ظاهره فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ، ان منع في الدنيا اخذها يوم القيامة وافية اخرج ما يكون اليها ، وهذه الاخبار يسير من كثير ، وغرض من فيض ، ونزد من غمرا ، اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار

الفن السابع

في ذكر ما يستحب للقارى من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن

البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص) زينتوا القرآن باصواتكم ، حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله (ص) اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها وايام ولحون اهل الفسق واهل الكتابين وسيجي قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وتلوب الذين يعجبهم شأنهم علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فذاك ابي وامي فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن ، انس بن مالك عن النبي (ص) ان لكل شي حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ، عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فأتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله (ص) يقول ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فابكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتا ول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتزيينه ، وهنا سياق الكلام في التفسير ، والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير ، وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا واليه المصير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل أنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة

أسماؤها

(فاتحة الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة (الحمد) سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد (ام الكتاب) سميت بذلك لانها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امر او متقدم لامر اذا كانت له توابع بقية - أما فيقولون أم الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وأم القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها أما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والأم هي الاصل وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لانها سبع آيات لاخلاف في جملتها (الثاني) سميت بذلك لانها تثنى بقرآتها في كل صلاة فرض ونفل وقيل لانها نزلت مرتين ، هذه أسماؤها المشهورة ، وقد ذكر في اسماؤها (الوافية) لانها لا تتنصف في الصلاة (والكافية) لانها تكفي عما سواها ولا يكتفي بما سواها عنها ويؤيد ذلك ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي (ص) أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها (الاساس) لما روي عن ابن عباس ان لكل شي اساسا وصاق الحديث الى ان قال واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لما روي عن النبي (ص) فاتحة الكتاب شفاء من كل داء. و (الصلاة) لما روي عن النبي (ص) قال قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني عبدي فاذا قال (الرحمن الرحيم) يقول الله اثنى علي عبدي فاذا قال العبد (مالك يوم الدين) يقول الله مجدني عبدي فاذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم) الى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ، اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسما.

فضلها

ذكر الشيخ ابو الحسين البخاري في كتابه في القراءة اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليمان المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله ايا مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كأنما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كأنما قرأ القرآن ، وروي غيره عن ابي ابن كعب انه قال قرأت على رسول الله (ص) فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي أم الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل ، وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي باسناده ان النبي (ص) قال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى يا ابي انت وامي يا رسول الله علمتها قال فعلمت الحمد أم الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى يا ابي انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء. الأ

قال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براوة للصبي وبرائة لابويه وبرائة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان يجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقر بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا يجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق (ع) انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعوا انها بدعة اذا اظهورها وهي بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللفة ﴾

الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة اصله يسمو بالواو لان جمعه اسماء مثل قنو واقنأ وحنو واخنأ وتصغيره سمي قال الراجز (باسم الذي في كل سورة اسمه) وُسْمُهُ ايضاً ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمية والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة ووصل وعدة ووعد لاتدخلة همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وتعليم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه (الله) اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيويه في اصله قولين (احدهما) انه الاء على وزن فعال فعذفت الفاء التي هي اله فتجملت الالف واللام عوضاً لازماً عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قوله آفأه لتفاناً ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غيره هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى

كحاففة من أبي رباح يسمها لاهه الكبار

وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انها للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقابلة عن ياء فاصله ليه كقولهم في معناه لمي ابوك قال سيويه نقلت العين الى موضع اللام وجملت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم الذي هو لمي مفتوحاً كما تركوا آخر ان مفتوحاً وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرتهم في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناؤه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لمي والالف على هذا القول منقابلة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال وتقول العرب ايضاً لاه ابوك تريد الله ابوك قال ذو الاصبع العدواني

لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عتي ولا انت ديانى فتخزوني

اي تسوسني قال سيويه حذفوا لام الاضافة واللام الأخرى ولم ينكربقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكي سيويه من قولهم الله لاخرجن يريدون والله ومثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فاما الكلام في اشتقاقه ففهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق إذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقاً لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه : فمنها انه مشتق من الالهية التي هي العبادة وانتاله التبعيد قال رؤبة

لله در الغايات المده سبخن وانستر جنن من تألهي

اي تعبدني وقرأ ابن عباس ويندرك وإلهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان إلهة كما يقال عبده عبادة فلي هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بأنه آله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحدير يقال اله ياله اذا تمير - عن ابى عمرو - فمعناه انه الذي تحدير القول في كنه عظمته ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فزعت اليه لان الخلق يألمون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل للمألوه آله كما يقال للموتى تم به امام ومنها انه مشتق من الهت اليه اي سكت اليه عن البرد ومعناه أن الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الأوهام ، الظاهر بالدلائل والأعلام ،

(الرحمن الرحيم) اسنان وضما للمبالغة، واشتقا من الرحمة، وهي النعمة، الآ ان فعلان اشد مبالغة من فيعل وحكي عن ابي عبيدة انه قال: الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيذ واماماروي عن ابن عباس انها اسنان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، والنعمة بعد النعمة، فبسر عن ذلك بالركة، لأنه لا يوصف بالركة، وما حكي عن تغلب ان لفظه الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلاً بقوله تعالى (قالوا وما الرحمن) انكاراً منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في أشعارها قال الشنفرى

أَلَا ضَرَبْتُ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِينَهَا
الْأَقْضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

وقال سلامة بن جندل (وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق)

﴿الاعراب﴾

(بسم الله) الباء حرف جرّ أصله اللصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى أنها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد او قمت بالباء المورر على زيد فالجواب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فأضى الضير الى موضع الباء وهذا مبتدأ قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائي المضمرة لأنه مصدر واذا تعلق به صارت من صلته وبتى المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان أصل الحروف البناء وأصل البناء السكون فجوابه أنه حرك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالسكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه واذا لزم كاف التشبيه في كريد فجوابه ان الكاف لا يلزم الحرفية وقد تكون اسما في نحو قوله (يضحك عن كالبرد المنهم) فنحرف بينه وبين الحروف التي لاتتارق الحرفية وهذا قول ابي عمرو الجرمي واصحابه فاما ابو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لأن الفرض التوصل الى الابتداء بأي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لثة ضعيفة وانما حذفت المهزلة من بسم الله في اللفظ لأنها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت هاهنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولوقوعها في موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف في نحو قوله (اقرأ باسم ربك) لثة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمت الضمة او الفتحة تفضيا لذكره، واجلالا لقدرة، ويكون فرقا بينه وبين ذكر اللات . (الله) مجرور بالاضافة (الرحمن الرحيم) مجروران لأنها صفتان لله

﴿المعنى﴾

(بسم الله) قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا بأن تسئوا الله باسمائه الحسنى، وتصفوه بصفاته العلى، وقيل المراد استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابي عبيدة أن الاسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بينك حولاً كاملاً فقد اعتذر
أي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان الملق على الاسم ذكراً او خطاباً معلماً على المسمى تقول رأيت زيدا فتعلق الرؤية على الاسم وفي الحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم لا يرى فصن إقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدئ بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال أكرمه كرامة اي اكرما واهت هواناً اي اهانة ومنه قول الشاعر

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي
وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرَّتَاعَا

اي بعد اعطائك وقال الآخر

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَائِكَ أَشْعَبًا

اراد في اطالتي رجائك فلي هذا يكون تقدير الكلام ابتداءً قراءتي بتسمية الله او اقرا مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولي بالصواب لانا انما امرنا بان نفتح أمورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما أمرنا بالتسمية على الأكل والشرب والذبايح الا ترى ان الذبايح لو قال بالله ولم يقل باسم الله لكان مخالفا لما أمر به ومعنى الله والآله أنه الذي تحق له العبادة وإنما تحق له العبادة لأنه قادر على خلق الاجسام وحياتها والأنعام عليها بما يستحق به العبادة وهو تعالى آله للحيوان والجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فأما من قال معنى الآله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون إلهاً في الازل لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن بمنزلة إسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله فوجب لذلك تقديره بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله ان عيسى بن سريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم هو انشاؤه إياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقه إياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام ، وغفران الذنوب والآثام ، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم إسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبس من قول الرسول أن الله عز وجل مائة رحمة وأنه أنزل منها واحدة الى الأرض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون ويتراحمون وآخر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وروي ان الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة

قوله تعالى (٢) أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

﴿القرآنة﴾

اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروى في الشواذ بكسر الدال واللام . وبفتح الدال وكسر اللام . وبضم الدال واللام . واجمعوا على كسر الباء من رب . وروى عن زيد بن علي نصب الباء . ويحمل على انه بين جوازه لانه قرآنة

﴿اللغة﴾

الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض المهجاء . والشكر نقيض الكفران . والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعمة الا ان الحمد يوضع موضع الشكر ويقال الحمد لله شكراً فينصب شكراً على المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان لئلا يفتي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول النبي . عن عظم حال المدوح مع القصد اليه (واما الرب) فله معان (منها) السيد المطاع كقول لبيد

وَأَهْلَكَنْ قَدَمًا رَبًّا كِنْدَةً وَأَبْنَهُ وَرَبًّا مَعَدَّةً بَيْنَ خَيْتٍ وَعَرْمِجٍ

اي سيد كندة (ومنها) المالك نحو قول النبي لرجل أرب غنم أمرب ابل فقال من كل ما آتاني الله فاكثروا طيب

(ومنها) صاحب نحو قول ابي ذؤيب:

قَدْ نَالَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَيْفِهِ بِيضُ رِهَابٍ رِيْشُهُنَّ مُقَرَّعٌ

ابي صاحب الكلاب (ومنها) المريب (ومنها) المصلح واشتقاقه من التربية يقال تربته وربته بمعنى وفلان يرب صنيعة اذا كان ينسها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة (والعالمون) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والحيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية (قال وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما) وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل الجن والانس لقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا) وقيل هم الانس لقوله تعالى (اتأتون الذكوان من العالمين)

❖ الاعراب ❖

الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم عن العوامل اللفظية ليسند اليه خبر وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير الابتداء وتقديره الحمد حق او استقره الا انه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانقل الضمير منها اليه حيث سد مسددا وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك ، واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمد الحمد لله او اجعل الحمد لله الا ان الرفع بالحمد اقوى وامدح لأن معناه الحمد وجبته واستقره وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق واذا نصب الحمد فكان تقديره احمد الحمد كان مدحاً من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة العرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس بأصل واكثر النحويين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط الابتداء بالخبر لانه اتبع فيها ما في احد الجزئين ما في الجزء الآخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك ويوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لاحظ له في الاعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يتبدد ساكن فاختر له الفتح لانه اخف الحركات تقول رأيت زيدا وعمرا قالوا ومن عمرا - مفتوحة - وكذلك الفأ من فعمرا الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا في ملكه وان المال لهذا أي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمحل ردها الى أصلها وهو الفتح قالوا لك وله لأن اللبس قد ارتفع وذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لأن هذه اليا لا يكون ما قبلها إلا مكسورا فهو غلامي وفرسي وهذا كله قول سيبويه وجميع النحويين المحققين وليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء وحدها وقدمضى القول فيه وأما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم (رب العالمين) مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند أبي الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجرّه وهو عامل معنوي كما ان المبتدأ انما عرفه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بأنك تجد في الصفات ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو أيازيد العاقل لأن المتأدى

(١) وفي بعض النسخ «ضيمته» مكان «صنيعته» (٢) وفي بعض النسخ «يتبها» عوض «ينسها»

مبني والعاقل الذي مصفته معرب ودليل ثان وهو أن في هذه التوابع ما يعرب بأعراب ما يتبعه ولا يصح أن يعمل فيه ما يعمل في موصوفه وذلك نحو اجمع وجمع وجمعا. ولا صح وجوب هذا فيها دل على ان الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجتماعها في انهما تابعان وقال غيره من التحريين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصبه على المدح والثناء. كأنه لا قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذا كره فكأنه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لوقرى في غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ
وَالطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبُونَ
وَالطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبُونَ
وَالطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبُونَ

وقدر روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه (العالمين) مجرور بالاضافة والياء. فيه علامة الجر وحرف الأعراب وعلامة الجمع والتون هنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنين للاتقاء الساكنين وقيل لئلا فتحت نون الجمع وحققا الكسر لتقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والتون من اين ولم تكسر لتقل الكسرة بعد الواو والياء.

﴿المعنى﴾

معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحق له العبادة لكرمه قادر على اصول النعم وفاعلا لها وكرمه منشأ للخلق ومرتباهم ومصلا لسانهم ، وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدهم

قوله تعالى (٣) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن والرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار

قوله تعالى (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (آية)

﴿القرائة﴾

قرأ عاصم والكسائي وخاف ويعقوب الحضرمي مالك بالالف والباقون ملك بغير الهمزة ولم يقل احد الف مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعمش انه نصبها وربيعه بن زرار يخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام

﴿الحجة﴾

اختلفوا في أن أي القراءتين امدح فمن قرأ مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشيء. الا هو يملكه وقد يكون مالكا للشيء. ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعلم من الوصف بالملك. والله مالك كل شيء. وقد وصف نفسه بأنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء. فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ الملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابوبكر محمد بن السري السراج وقال ان الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحقم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا جمعناه انه يملك ملك الدنيا فيؤتى الملك فيها من يشاء. فاما يوم الدين فليس الاملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء ويراد بذلك ان من دونه ملوكا وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة لأن اميرا وملكا صفة غير جارية على فضل فلا معنى لاضافتها

الى المصدر فاما إضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الأول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والآية انما نزلت في الثناء والمدح لله الا ترى الى قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو علي الفارسي يشهد لمن قرأ مالك من التزويل قوله تعالى والأمر يومئذ لله لأن قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى يوم لاملك نفس لنفس شيئا يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرأ ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بجزلة قوله هو ملك ذلك اليوم وهذا مع قوله فتعالى الله الملك الحق والمالك القدوس وملك الناس

﴿اللغة﴾

(الملك) القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير (والمالك) القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك والمك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت ممالكهم الناس وممالكهم بكسر اللام وفتحها ولي في هذا الوادي ملك وملك وملك ذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة في الشيء كالاتساع فيه وخلاف الحصر والقصر على الشيء الا تراهم قالوا باح السر وباحت الدار وقال ابو بكر محمد بن السري السراج الملك والمالك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشدة كما قالوا ملكت العجين اي شدته قال الشاعر (١)

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول شددت بهذه الطعنة كفتي ومنه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة (الدين) معناه في الآية الجزاء قال الشاعر (٢) (واعلم بأنك ماتدين تدان) وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليها السلام وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامٌ لَنَا غُرَّةٌ طَوَّالِدُ عَصِيَّتَا الْمَلِكِ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

والدين العادة قال الشاعر

تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَصِيْبِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى

هُوَ دَانَ الرَّبَّابُ إِذْ كَرَّ هُوَ الدِّ مِنْ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَأَحْتِيَالٍ (٣)

ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عموبة الأقال

ويدل على أن المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى «اليوم تجزى كل نفس ما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون»

﴿الاعراب﴾

(مالك) مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على التداء كأنك قلت لك الحمد يارب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام فخاله ملك فخصف كما يقال فخذ وفخذ من قرأ ملك يوم الدين جملة فعلا مضيا ويوم مجرور باضافة ملك او مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب ياسارق اللية اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه

وَيَوْمٌ شَهِدَتْهُ سُلَيْمًا وَعَاصِرًا قَلِيلِ سِوَى الطَّمَنِ التَّهَالِ نَوَافِلُهُ

(١) قائله : قيس بن العظيم الاوسى (٢) قائله : خالد بن نوفل الكلاني (٣) وفي جملة من النسخ «صيال» بدل «احتيال»

فكانه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يوتي احداً الملك فيه كما آتاه في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواء [أي لا يكون احد واليا سواء] وانما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم واما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك وروساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولاً بها على السعة لأن الظرف اذا جعل مفعولاً على السعة فمناه معنى الظرف ولو كانت الساعة ظرفاً لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لأنه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها

﴿ المعنى ﴾

انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقاله علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيماً لشأنه وتفخيماً لامره كما قال رب العرش وهذه الآية دالة على اثبات المعاد وعلى الترهيب والترهيب لأن المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو ويخاف

قوله تعالى (٥) اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

العبادة في اللفظة هي الذلة يقال طريق معبد اي مبدل بكثرة الوطء قال طرفه
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبَدٍ
وبمعرب معبد اذا كان مطلباً بالقطران وسمي العبد بعدا لذته وانقياده لمولاه والاستعانة بطلب المعونة يقال استعنته واستعنت به

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايازيد حدثت كان قبيحا لأنه خص به المضمر وقد روى الحليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه يعتب عليه الحركات في آخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على انه مضمر ليس بمظهر قال وحكى السراج عن البرد عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف في اياك كالتالي في ذلك وهي دالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الاعراب واقول وهكذا الحكم في اياي واياتنا واياه واياها في أنها حروف تلتحق ايا فاليا في اياي دليل على التكلم والماء في اياه تدل على الغيبة لا على نفس الغائب ويجري التأكيد على ايا منصوبا تقول اياك نفسك رأيت واياه نفسه ضربت واياهم كلم غيت فاعرفه ولا يجيز ابو الحسن اياك وايا زيد ويستقل روايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويحمله على الشذوذ لأن القرض في الأضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه اذا لاضافته والاصل في نستعين نستعون لأنه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فتصير الياء ساكنة لأن هذا من

لاعلان الذي يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام وربما يأتي مشروحا فيما بعد ان شاء الله
وقوله نعد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابذك وانا مستعينك لقام مقامه
وهذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع فلضارعة الاسم لأن الاصل في الفعل البناء واما يعرب
منه ما شابه الاسماء وهو ما حلت اوله زيادة من هذه الزيادات الاربعة التي هي الهززة والتون والتاء والياء.

﴿ المعنى ﴾

قوله تعالى اياك نعد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان نقول نعبدك ونستعينك لأن معناه نعبدك
ولا نعد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني فعناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان
يقول انيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب
التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك
احسن سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر وتحسن الطاعة
لله تعالى ولا تحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر
ولا يكون موافقا لامره ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك
الاب يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور
من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو
ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وقته لانه لا يقدر ان
يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل واما تكرار قوله اياك فلأنه لو اقتصر على واحد ربنا توهم
متوهم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينها ولا يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر في عظمة الله تعالى
كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتأكيد كما يتال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد
فقليل بين زيد وعمرو كان جازا قال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَأَخْفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

وقال اعشى ممدان

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَادِخٌ بَخِ بَخٍ لِرِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ

وهذا القول فيه نظر لأن التكرير انما يكون تأكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثاني في الآية
محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تأكيدا وقيل ايضا انه تعلم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل
حاجة فإن قيل ان عبادة الله تعالى لا تتأق بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب
انه قدم العبادة على الاستعانة لاعلى الاعانة وقد تأق بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالآخر لم
يختلف التقديم والتأخير كما يقال قضيت حتى فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حتى وقيل ان السؤال للمعونة
انما يقع على عبادة مستانفة لاعلى عبادة واقعة منهم وانا حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف
على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولأنه ربما لا يكون اللطف في ادامة التكليف ولا في
فعل المعونة به الا بعد تقديم الدعاء من العبد وقد اخطأ من استدل بهذه الآية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة
لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لأن الرغبة الى الله تعالى في طلب المعونة وجهين احدهما ان يسأل الله تعالى من
الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بجاصل ومتى لطف له بأن يعلمه ان له في فعلها ثواب العظم زاد ذلك
في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان تجدد له القدرة حالا بعد حال عنا

من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضاها وينفيا عند من قال ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب في قوله اياك نعبد الى آخر السورة فعلى عادة العرب المشهورة واشعارهم من ذلك مملوءة قال لبيد

بَأْتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلَتْكَ مَبْعَاً بَعْدَ مَبِينِنَا

وقال ابو كثير الهذلي

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْفَرِ

فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ومن الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقدروا قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام

قوله تعالى (٦) إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة باشام الصاد الزاي الا العجلى ورواية خلاد وابن سعدان يشم ههنا في الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق ابي حمدون باشام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد

﴿ الحجة ﴾

الاصل في الصراط السين لأنه مشتق من السراط ومسقط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاصل سريط فن قرأ بالسين راعى الاصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من الموائاة بالاستعلاء والاطباق ولكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في الصراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الضاد مع القاف في صقب وصريق ليجلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد الى الطاء اقرب الا ترى انها جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم في الصاد ومن قرأ باشام الزاي فللموائاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال الاصل

﴿ اللفظة ﴾

الهداية في اللفظة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال مرشد قال طرفة

لَلْقَتَى عَقْلٌ يَعْيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَابِقَهُ قَدَمَهُ

والهداية التوفيق قال

فَلَا تَعْجَلَنَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

اي وفقك والصراط الطريق الواضح التسع وسمي بذلك لأنه يسطر المارة اي يبتلعها والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير

أَمِيرُ الْمَوَدِّ مَنِينٌ عَلَى صِرَاطِهِ إِذَا أَعْوَجَ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

﴿ الاعراب ﴾

اهدنا مبني على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله تعالى والمهزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لأنه مفعول به والصراط منصوب لأنه مفعول ثان

﴿ المعنى ﴾

قيل في معنى اهدنا وجوه (احدها) ان معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسأل الله تعالى ان يثبتته على دينه ويديمه عليه ويعطيه

زيادات الهدى التي هي احدى اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى والذين اهدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يا كل كل ابي دم على الاكل (وثانيها) ان الهداية هي الثواب لقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا (وثالثها) ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصله كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية عن ابراهيم عليه السلام ولا تخزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانتطاع الى الله تعالى فان قيل مامعنى المسألة في ذلك وقد فعله الله لجوابه انه يجوز ان يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تبيننا بان نكرر التسييح والتحميد والاقرار لرنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سألناه واذالم نساله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجها في حسن المسألة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لأن ادامته ليس واجب بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه ﴿احدها﴾ انه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود (وثانيها) انه الاسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس (وثالثها) انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية (والرابع) انه النبي (ص) والائمة القائمون مقامه وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي امر الله به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته قوله تعالى (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة عليهم بضم الما، واسكان الميم وكذلك لديهم واليهيم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكر والمؤنث نحو عليها وفيها وعليهم وفيهم وعليين وفيين وقرأ الباقون عليهم واخواتها بالكسر وقرى في الشواذ عليهم قراءة ابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعليهمي قراءة الحسن البصري وعمر بن قايد وعليهم مكسورة الما مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الما والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الاعرج فهذه سبع قرأت ثم اختلف القراء في الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم واو انضمت الما قبلها او انكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا الا ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون بسكون الميم فاما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمنون على كسر الما ويضمنون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين واو عمرو يكسر الما والميم وحمزة والكسائي يضمنان الما والميم معا وكل هذا الاختلاف في الما التي قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين الامرين لم يكن في الما الا الضم وقرأ صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السلام وقرى ايضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن علي عليه السلام

﴿ الحجة ﴾

من قرأ عليهم بضم الما فانه رده الى الاصل لانه اذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الما قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حوهم من فصحاء اليمن وانما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت الفاء مثل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز كسر الما اذا كان قبلها الف ومن قرأ عليهم فانه اتبع الما ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الميم ومن قرأ عليهم فكسر الما واسكن الميم فلأنه امن اللبس اذا كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد فلما لزم الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف اذا كان ذلك لا يشكل وانما كسر

الهاء مع ان الاصل الضم للياء التي قبلها ومن قرأ عليهم فلا نه الاصل لأن وسيلة هذه الراوي في الجمع وسيلة الالف في الثانية اعني ان ثبات الواو كثبات الالف ومن قرأ عليهم فانه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذا كانت الف الثانية تفتتحها لكنه حذف الواو تقاديا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرأ عليهم فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضمت وتوكت الهاء على كسرها لأنه لم تلت ضرورة تجوز الى ردها الى الأصل ولأن الهاء انما تبعت الياء لأنها شبهت بها ولم يتبعها الميم بعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء بان قال أتبت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيويه الهاء تكسر اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف الزيادة وهي من موضع الالف وهي اشبه لحروف بالياء وكما اما الواو الالف في مواضع استثنائية كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوها الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مرتت بعني ومررت بدارهي قبل

﴿ الاعراب ﴾

صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقديره تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرفع او الناصب في تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين للاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يميز سيويه المسكين في كان الامر ولا بك المسكين كما اجاز ذلك في الغائب نحو مرتت به المسكين والذين موصول وانصت عليهم صلة وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في موضع الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطين في حال الرفع واما غير المنضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة اوجه (احدها) ان يكون بدلا من الهاء والميم في عليهم كقول الشاعر

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَضُنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمًا

جر حاتم على البدل من الهاء في جوده (وثانيها) ان يكون بدلا من الذين (وثالثها) ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مرتت برجل غيرك كأنك قلت مرتت برجل آخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لأن الذين ههنا ليس بقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لأمر بالرجل مثلك فاعلمه وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز ان يكون نعمتا للذين لأن الذين بصفتها ليست بالمعرفة الموقنة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هي كالتكررات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يميز مرتت يزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لأن حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تكسرت غير ومثل مع اضافتها الى المعارف من اجل معناها وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شي ترى سوى المخاطب فهو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك فاهو مثله لا يحصى فاما اذا كان شيئا معرفة له ضد واحد وارادت اثباته ونفي ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكأنك كرت الحركة تأكيدا فكذلك قوله تعالى الذين انعمت عليهم غير المنضوب عليهم فغير المنضوب هم الذين انعم الله عليهم فتي كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقبل فيه قد جا.

مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة اوجه ايضا (احدها) ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لامغضوبا عليهم (وثانيها) ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (وثالثها) ان يكون نصبا على اعني كأنه قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجوز ان يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تمدى بجرف جر تقول رأيت القوم غير المذهب بهم استغنت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهب واما لامن قوله ولا الضالين فذهب البصريون إلى انها زائدة لتوكيد النبي وذهب الكوفيون إلى انها بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير متضمن معنى النبي ولهذا اجاز النحويون ان زيد غير ضارب لأنه بمنزلة قولك انك انت زيد لا ضارب ولا يجوزون ان زيد مثل ضارب لأن زيد من صلة ضارب ولا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لاصلة كما انشد ابو عبيدة (في بقر لا حور سرى وما شعر) اي في بقره هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد

﴿ المعنى واللغة ﴾

معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دقت الدواء فانعمت دقه اي بالث في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليهم به ولم يحتاج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيشٍ يُقَمِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

اي كأنك من جمالهم جعل يقمّع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من امنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والحنازير وهو لاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرء اليهود من الضلالة باضافة الضلالة إلى النصارى ولم يبرء النصارى من الغضب باضافة الغضب إلى اليهود بل كل واحدة من الطائفتين مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قولاً آخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون مخرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان يكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان هتاقوا باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعم عليهم وليس ينبغي على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تدبهم له النعمة وهم يريدون ان يقولوا آدم علي النعمة ولا يشك عاقل اذا نظر لقول عترة

وَلَقَدْ رَزَلتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمَكْرَمِ

انه لم يرد ان يشبها بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرومة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادته ازالة العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحية الحبيثة والناقة البوس واصل

الضلال الهلاك ومنه قوله اذا ضللتنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله وأضل أعمالهم اي اهلكها والضللال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للدب في الخطاب واختياراً لحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال سأته عن قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثني فيها القول قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كثر الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولأعلى ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم الا صدقه الله تعالى واهل سمائه اياك نعبدا خلاص للمعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود والاضالين النصارى وروى محمد العلي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقرأ ملك يوم الدين ويقرأ اهدنا صراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني ايرالمؤمنين (ع) وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال اذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين

﴿ النظم ﴾

واما نظم هذه السورة فأقول فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق رائد ابداً بآية التسمية استفتاحاً باسم المنعم واعترافاً بالهية واسترواحاً الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولأرى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لانه عرف انه رب الخلق اجمعين فقال رب العالمين ولما رأى شمول فضله للمريبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الاتجار عند زجره واجتتاب نبيه وامثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم بالفقران ولا يؤخذهم عاجلاً بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباعى والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض يسالم علم ان دراهم يوماً يتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خاتماً رازقاً رحيماً يحيي ويميت ويبدئ ويعيد وهو الحي لا يشبهه شيء والآله الذي لا يستحق العبادة سواء ولا صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ التسمية الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا رآه عدل عن الوصف الى الخطاب ولما رأى اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفة ولم يجد معيناً غير الله تعالى سألته الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتقاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتتاب المحارم والآثام واذا علم ذلك علم ان الله سبحانه عباد اخصهم بنعمته واصطفاهم على بريته وجعلهم حججاً على خلقه فسأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين المزلين والضالين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشده وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعننه واعده له الحزى المقيم والمذاب الاليم اوشك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

(١) كذا في نسخنا المخطوطة والمطبوعة لكن في نسخة صيدا «مالك» بدل «ملك» (٢) كذا في نسخة مخطوطة وهو الظاهر لكن في نسخة صيدا كبيرها «الصراط» بالالف واللام (٣) [وانت في الصلوة]

سورة البقرة

مدنية كلها الآية واحدة منها وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت في حجة الوداع بمكة عدد آياتها مائة وست وعشرون آية في العدد الكوفي وهو العدد المروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام وسبع في العدد البصري وخمس حجازي وأربع شامي خلافاً لحدى عشر آية عد الكوفي لم آية وعد البصري الاثنان آية وقولا معروفا بصري عذاب اليم شامي مصلحون غيرهم يا اولى الالباب عراقي والمدني الاخير من خلاف الثاني غير المدني الاخير يسألونك ماذا ينفقون مكسي والمدني الاول تتفكرون كوفي وشامي والمدني الاخير الحي القيوم مكسي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور المدني الاول وروي عن اهل مكة ولا يضر كاتب ولا شهيد

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأها فصولات الله عليه ورحمته واعطي من الاجر كما رابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حيرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بعثا ثم تبعهم يستقرنهم فله انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هو احدنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي سور القرآن افضل قال البقرة قيل اي آية البقرة افضل قال آية الكرسي وقال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة تظلاله على رأسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين

﴿ تفسيرها ﴾

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (آية)

(كوفي) اختلف العلماء في الحروف المعجزة المفتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من التشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تاويلها الا هو وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفسرها الآخرون على وجوه (احدها) انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم (وثانيها) ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله تعالى لم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا الله اعلم وارى والمص معناه انا الله اعلم وافصل والكاف في كهيص من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه تدل على اسم الله واللام تدل على اسم جبرائيل والميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وروى ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله الم فقال في الالف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فان الله ابتداء جميع الخلق والالف ابتداء الحروف (الاستواء)

فهو عادل غير جائر والالف مستور في ذاته والانفراد فافه فرد والالف فرد و(اتصال الخلق بالله) والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون إلى الله والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو متقطع من غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفه فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تأقت الحروف وهو سبب الفتها (وثالثها) انها اسماء الله تعالى منقطعة لو احسن الناس تأليفها لعلوا اسم الله الاعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك ساثرها الا انا لانقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير (ورابعها) انها اسماء القرآن عن قتادة (وخامسها) انها اقسام اقسام الله تعالى بها وهي من اسمائه عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقسام الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كسبه المنزلة بالاسنة المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحّدونه فكأنه هو اقسام هذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه (وسادسها) ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وليس فيها حرف الا وهو في آياته وبلانه وليس فيها حرف الا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن ابي العالية وقد ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا (وسابعها) ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة آلاف وخمسة وستين لحذفت المكررات فبقي ستائة وثلاث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما تزلزل المر والمص وكهيمص اتسع عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير (وثامنها) ان المراد بها حروف المعجم استغني بذكرها ذكرتها في اوائل السور عن ذكر يوقيا التي هي تام الثانية والعشرين حرفا كما يستغني بذكر قفانبك عن ذكر باقي التصيدة وكما يقال اب في ابجد وفي اب ت ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا فِي حُطِّي أَخَذْتُ مِنْهَا بِرُؤْنِ شَمَطِي

وانما اراد الخبر عن المراجعة بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه (وتاسعها) انها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فرميا صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليُغَطُّوا النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغلظه فيقع القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سببا موصلا لهم الى درك منافهم (وعاشرها) ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتجاوزون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لأن العادة لم تجرب بأن الناس يتفاوتون في التقدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المعكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني

﴿ اللغة ﴾

اجود هذه الاقوال القول الاول المعكي عن الحسن لأن اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للفرقة بين التسميات فتكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا (١) اوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجميل نحو تابط شرا وبق نحره وكل كلمة لم تكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن

(١) في بعض النسخ قال في مختصر مجمع البيان مانعه وسي في العرب لام الطائي والمناسب كذلك هنا ان تكون قالوا

إلا متفولا إلى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بالملكيت جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسما يعلم النبي صلى الله عليه وآله تمامها فتحوه قول الشاعر

نَادَوْهُمْ أَنْ أَلْجِمُوا الْآثَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلَا فَا
يريد الا تركيبون قالوا الا فاركجوا وقول الآخر
فُلْنَا لَهَا قِصِي قَالَتْ قَاف لَا تُحْسِي أَنَا نَسِينَا الْإِجَاف

يريد قالت اتواقفة

﴿ الاعراب ﴾

اما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فوضعها رفع على اضرار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم واجاز الرماني ان يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لأن حكمه البتداء ان يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضرار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها قسما فوضعها نصب باضرار فعل لأن حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى القسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله اقم بالله ثم حذف قسم فيتي بالله فلوحذفت الباء لقلت الله لأفعلن واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلما موضع لها من الاعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم في أن موضعه لاحظ له في الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع الفرد كقولك زيد ابوه قائم وان زيدا ابوه قائم لأنه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيدا قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لأنها مبنية على السكت كما أن العدد مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكتين في قولك لام ميم وتقول في العدد واحدا ثنان ثلاثة اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل وتذكر الماء في ثلاثة واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلاثة بالباء ويدل عليه قول الشاعر (١)

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زَيْدٍ كَالْخَرْفِ تَخْطُ رِجْلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلِفٍ تُكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامٌ أَلِفٌ
كأنه قال لأم ألف ولكنه التي حرة همزة الالف على الميم ففتحتها واذا اخبرت عن حروف المعجم او اسما الاعداد اعربت انك ادخلتها بالاخبار عنها في جملة الاسماء التمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر (٢)

إِذَا أَجْتَمَعُوا عَلَى أَلِفٍ وَيَاءٍ وَوَاوٍ هَاجَ بَيْنَهُمْ جِدَالُ

وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكره فلي معنى الحرف ومن أنه فلي معنى الكلمة

قوله تعالى (٢) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير فيهي هدى يوصل الماء بيا في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فإن كان قبلها ساكن غير اليا وصلها بالواو وواقفه حفص في قوله فيهي مهانا وقتية في قوله فلاقبه وساصليه والباقون لا يشعرون وإذا تحرك ما قبل الماء فهم مجمعون على اشباعه

﴿ الحجة ﴾

اعلم انه يجوز في العربية في فيه اربعة اوجه فيهي وفيه وفيه والاصل فيهو كما قيل له مال فن كسر الماء من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم فلاجل اليا او الكسرة قبل الماء والماء تشبه الالف لكونها من حروف

(١) وهو بالنجم العجلى (٢) وهو الراعى (٣) وفي بعض النسخ «فلا هيهي وساصليه» بانبات الياء في الكتابة

الخلق ولا فيها من الحفاء. فكما نحو بالالف نحو اليا. بالامالة لاجل الكسرة او اليا. كذلك كسروا الماء للكسرة او اليا. ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع المشابهة فإن الماء حرف خني فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كأن الساكنين التثنية الحفاء. الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو فيهي وحذوه كما لم يعتد بها في نحو ردمن أتبع الضم الضم اذا وصل الفعل بضمير المومث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كأنها لازمة بالالف واما من اشبع واتبعها اليا. قال الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا تخفاء فيها فاذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا تخفاء فيها

﴿اللغة﴾

ذلك لفظه يشار بها الى ما بعد وهذا الى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولاحظ لها من الاعراب واللام تراد للتأكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وتسقط معها. تقول ذاك وذنبت وهذا ولا تقول هنالك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الْحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا

اي مكتوبها واصله الجمع من قولم كتبت القرية اذا خزنتها والكعبة الحوزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفرها بملقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو أسوأ الشك وهو مصدر رابني الشيء. من فلان يربيني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا اسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت اربني من فلان اسر ارابية واراب الرجل اذا صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والمهدى الدلالة مصدر هديته وقيل قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدر اختص به المعتل وان لم يكن في المصادر كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين يتعدى الى الثاني منها باحد حرفي جر الى او اللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا فيه وكأنه استنجاؤا واعدوا به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي سبل دار السلام والاصل في المتقين الموقنين مفتلين من الوقاية فقلبت الراو تا. وادغمها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة من اليا. استغالا لما تم حذفها لالتقاء الساكنين فبقي متين والتقوى اصله وقوى قلبت الراو تا. كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين الشئين يقال اتقاء بالقرس اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر^(٢)

فَأَلَّقْتُ قَنَاعًا دُونَهَا الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفِّ وَمَعْصَمِ

ومنه الوقاية لأنها تمنع روية الشر

﴿الاعراب﴾

ذلك في موضع رفع من وجوه (احدها) ان تجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه (وثانيها) ان يكون مبتدأ والكتاب خبره (وثالثها) ان يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر (ورابعها) ان يكون مبتدأ وخبره هدى ويكون لا ريب في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة (وخامسها) ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حاو حامض اي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر^(٣)

مَنْ يَكُ ذَا بَتٍ هَذَا بَتِي مَقِظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي

(١) [بمعنى المحسوب] (٢) هو ابوحية النيبيري (٣) هو: رؤبة العجاج.

(وسادسها) ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب وان حملت على هذا الوجه او على انه مبتدأ ولا ريب فيه الخبر او على انه خبر الم او على ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستقرار الذي يتعلق به فيه وقوله لا ريب قال سيوبه لا تعمل فيما بعدها فتتصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين جعل لامع النكرة الشائعة مركبا فهو اوكد من تضييع الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءاً من الاسم بدلالة انك تضيف اليه مجموعاً وتدخل عليه حرف الجر فتقول جنتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعاً في موضع الرفع على الابتداء فوضع خبره موضع خبر المبتدأ وعلى هذا فيجوز ان تجعل فيه خبراً ويجوز ان تجعله صفة فإن جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبراً كان موضعه رفعا في قياس قول سيوبه من حيث يرتفع خبر المبتدأ وعلى قول ابى الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به في الاصل الا ترى ان الضير قد صار في الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون في موضع رفع من ثلاثة اوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو ان يكون خبراً عن ذلك احدها ان يكون مبتدأ وفيه الخبر على ان تضرر للاريب خبراً كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله لا ريب ويبتدى في هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبراً عن لا ريب واضمرت هدى خبراً كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدى هدى للمتقين والوجه الثاني ان يكون خبراً عن الم على قول من جعله اسماً للسورة والوجه الثالث ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو هدى

﴿ المعنى ﴾

المراد بالكتاب القرآن وقال الاخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبة

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يُأْطِرُ مَتْنَهُ تَأْمَلُ خَفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَا

اي انا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه على ظاهره اي انني انا ذلك الرجل الذي سمعت شجاعته واذاجرى للشيء ذكر يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول انفتحت ثلاثة وثلاثة فهذا ستة او ذلك ستة وانما تقول هذا تريبه بالاخبار عنه وتقول ذلك لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يحجوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك عن القراء والي علي الجبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل فقوله فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما في أيدي اليهود والنصارى بأنه محرف بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه اي انه بيان وهدى وحق ومعجز فن ههنا استحق الوصف بأنه لا شك فيه لا^(١) على جهة الاخبار بنبي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كأنه قال لاسبب شك فيه لأن الاسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبيس والتعميد والتناقض والدعاوي العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي وان كان لفظه الخبر اي لارتقوا ولا تشكروا فيه كقوله تعالى لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلا نهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهده كما قال انما انت منذر من يخشاها وان كان صلى الله عليه وآله منذرا لكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على انه ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم ويؤيد في آية اخرى أنه هدى للناس

(١) ولا جهة للاخبار كذا في بعض النسخ ولعله انب

﴿ فصل في التقوى والمتقى ﴾

روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتى الذي اتى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتى بصالح اعماله عذاب الله وسأل عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذاشوك فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وتشجرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال

خَلَّ الذَّنْبُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا فَهُوَ التَّقَى وَأَصْنَعُ كَأَشْفُوقِ اَرْضِ الشَّوْكِ بِمَحْدَرِ مَا يَرَى لِأَتَحْتَرَنُ صَغِيرَةً اِنْ اَلْجِبَالُ مِنَ الْحَصَى
وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال انما سمي المتقون لتراكمهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز التمي ملجم كالعبرم في الحرم وقال بعضهم التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك
قوله تعالى (٣) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وعاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يؤمنون ويأكلون ويوتون وبس ونحوها ويترك كثيرا من المتحركة مثل يوده ولا يؤخذكم ويؤيد بنصره ومذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ننسها وتسومكم ويهي لكم ومن يشأ وينبهم وقرأ كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروي عنه الهمزة ايضا في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يؤمنون ولا يؤخذكم واختلقت قراءة الكسائي وهمزة ولكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الاصل وتركه للتخفيف

﴿ اللغة والاعراب ﴾

الذين جمع الذي واللائي واللائي جمع التي وتشبثت الذان واللان في حال الرفع والذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا تكون الا جملا خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات وصلاتها كانت في تأويل اسم مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج الى جزء آخر تصير به جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويصحت ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا فالنصب على المدح وتقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كانه لما قيل هدى للمتقين قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالتيب فيكون خبر مبتدئ محذوف ويؤمنون معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل في يفعل يؤمنون ولكن الهمزة حذفت لأنك اذا انبأت عن نفسك قلت انا فاعل فكانت تجتمع همزتان فاستقتلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعال ثم حذفت من الصيغ الاخرن فعل وتفعل ويفعل كما انبأ يمد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة اذ الاصل يوعدهم ثم حذفت في تعد واعد ونعد ليجري الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بؤمن لنا اي ما انت بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما أمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فالإيمان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى الذين آمنوا بآياتنا اي صدقوا ووثقوا بها وقال الشاعر انشده ابن الانباري

وَمِنْ قَبْلِ أَمْنًا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا
يُصَلُّونَ لِلْأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدًا

ومعناه آمنة اي صدقناه ويموز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل تقول امتته فامن مثل كبيتنا فكب والأمن خلاف الخوف والامانة خلاف الحيانة والأمن الناقة القوية كأنها يؤمن عثارها وكلالها ويموز ان يكون آمن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار التصديق نحو اجرب واعاه واصح واسلم صار ذاسلم اي خرج عن ان يكون

جربا هذا في اصل اللغة اما في الشريعة فالايان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا في وصف القديم تعالى المؤمن فانه يحتمل تأويلين احدهما ان يكون من امت المتعدي الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدي الى مفعولين فصار من آمن زيد العذاب وامتته العذاب فعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروى في اخبارنا والآخر ان يكون معناه المصدق اي يصدق الموحد على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لأن الشاهد مصدق لما يشهده كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما التيب فهو كما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالتيب كأنه اجمال لما فصل في قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اي يؤمنون بما كُفِر به الكفار من وحدانية الله واتزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون اراد يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالتافقين ومثله قوله وخشي الرحمن بالتيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن مرادة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لأحد ولا يكن يخلصونه لله ويقسمون الصلوة يؤدونها بمحدودها وفرائضها يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر

أَقَامَتْ عَزَاةٌ سُوقَ الصِّرَابِ لِأَهْلِ الرِّاقِينَ حَوْلًا قَيْطًا

وقال ابو مسلم يقيمون الصلاة اي يديمون ادا فرائضها يقال للشيء الراتب قايم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى

وَأَقْبَلَهَا " الرِّيحَ فِي ظِلِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمَ

اي دعا لها ومنه الحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اي فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلوة في الركوع وهو عظم في العجز وقوله وما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون او اسم موصول والعائد من الصلوة الى الموصول محذوف والتقدير ومن الذي رزقناهم ينفقون فيكون ما رزقناهم في موضع جر بين الجار والمجرور في موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو الطاء الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق ماله اي اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة اذا خرج روحها والناقء جعر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لأن النفاق يخرج الى المؤمن بالايان والى الكافر بالكفر

﴿ المعنى ﴾

لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بين صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالتيب اي يصدقون بجميع ما اوجه الله تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه وقيل التيب هو القرآن عن زر بن حبیش وقال الرماني التيب خفاء الشيء عن الحس قرب او بعد الا انه كثرت صفة غائب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال البلخي التيب كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما يلزم معرفته وقالت المعتزلة باجمها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فنهج من اعتبر الفرائض والزواجر ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وقدرى الخاص والعالم عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالازكان وقد روي ذلك على لفظ آخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان

هو المعرفة بالله ويرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشيء فهو مصدق به يدل عليه هذه الآية فإنه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالتيب ليعلم انه تصديق للمخبر فيما اخبر به من التيب على معرفة وثقة ثم افرده بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفها عليه فقال ويقيمون الصلوة وبما رزقناهم ينفقون والتيب لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافته الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال او لك كتب في قلوبهم الايمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الايمان سر وشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا وقد تسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما تسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق افعله ومقاله ولاخير في قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وانما استمير له هذا الاسم على الوجه الذي ذكرناه فقد آل الامر مع تسليم صحة الخبر وقبوله الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل في الاقرار باللسان والعمل بالا كما تجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله ويقيمون الصلوة وجهين اقتضاها اللغة وقيل ايضا انه مشتق من القيام في الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلاة وانما ذكر القيام لانه اول اركان الصلاة وامدؤها وان كان المراد به هو غيره والصلاة في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم ينتقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس ينتقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى وبما رزقناهم ينفقون يريد وبما اعطيناهم وملكتناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكي عن ابن عباس انه الزكاة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الآية نزلت قبل وجوب الزكاة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة ودوى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ان معناه وبما علمناهم يبشون والاولى حمل الآية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الآية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لأنه تعالى مدحهم بالاتفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح على الاتفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا

﴿ النزول ﴾

قال بعضهم هذه الآية تناولت مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك الآية فهذا في مؤمني اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير صحيح لأنه لا يتبع ان تكون الآية الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالآيات قوما واحدا وصفوا بجميع ذلك بأن جمع بين اوصافهم بواو العطف كقول الشاعر

إلى المَلِكِ القَرَمِ وأَبْنِ الهَمَامِ وَكَيْتِ الكَيْبَةِ في المُرْدَمِ

قوله تعالى (٤) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان تكون اللمدة من كلمة والمهززة من اخرى نحو بما أنزل إليك بنحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقون يمدون مدا وسطا من غير اطلاق المد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكنة بين اللمدة والمهززة فمن حمزة وواقفه عاصم والكسائي على اختلاف عنها وان يقف حمزة قبل المهززة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالآخرة ثم يتدى بالمهززة وكذلك يقطع على اليا من شيء كأنه يقف ثم يهمز والباقون بنفي سكتة

﴿ الاعراب ﴾

اليك ولديك وعليك الاصل فيها الاك وعلاك ولداك الا ان الألف غيرت مع المضمر فابدلت ياء ليفصل بين الألف في آخر الاسم المتمكن وبينها في آخر غير المتمكن الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان الی وعلی ولدی لاتنفرد من الاضافة فشبهت بها كلاهما اذا اضيفت الى المضمر لأنها لا تنفرد ولا تكون كلاماً بالاضافة وما موصول واتزل صلته وفيه ضمير يعود الى ما والموصول مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ صفة للذين والذين يَوْمَئِذٍ في موضع جر بالعطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى تمام صفة التيقن فقال والذين يَوْمَئِذٍ بما اتزل اليك يعني القرآن وما اتزل من قبلك يعني الكتيب المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لأن الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد به الكثرة الآخرة وانما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدناوتها هم يوقنون يعلمون وسمي العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لموضوع المعلوم المنظور فيه اولاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لأن الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايقان بالآخرة وان كان الايمان بالقياس قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجعدهم اياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم

قوله تعالى (٥) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

او لئلك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واو لا جمع ذا في المعنى ومن قصر قال او لا والاك واو لالك واذا مد لم يجز زيادة اللام لتلا محتمع ثقل الزيادة وتقل المنزلة قال الشاعر

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً

وَهَلْ يَعْظُ الضَّيْلُ إِلَّا أُولَئِكَ

والفلحون المنجحون الفاترون والفلاح النجاح قال الشاعر

فَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلًا

إِعْقَلِي إِنْ كُنْتِ لِمَا تَعْقَلِي

اي ظفر بجاجته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد

تَحُلُّ بِلَادًا كُلُّهَا حُلًّا قَبْلَنَا

وَرَجُو الفَلاحَ بَعْدَ عَادٍ وَبُعَا

واصل الفلاح القطع ومنه قيل الفلاح للاكثار الحراث^(١) لأنه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالفلح

على هذا كأنه قطع له بالخير

﴿ الاعراب ﴾

موضع أو لئلك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب وكسرت المنزلة فيه لانتقاء الساكنين وكذلك قوله أو لئلك هم الفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان (احدهما) انه فصل يدخل بين المبتدأ والخبر وما كان في الاصل مبتدأ وخبراً للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليوذن أن الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجوده عند الله هو خيرا والوجه الآخر ان يكون هم مبتدأ ثانياً والفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبر أو لئلك

﴿ المعنى ﴾

لا وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال او لك اشارة الى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي من دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لأن كل خير وهدي فمن الله تعالى اما لأنه فعله واما لأنه عرض له بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيا فقال واو لك هم المفلحون اي الظافرون بالبغية والباقون في الجنة

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد اربع آيات من اول السورة نزلت في المؤمنين وآياتان بعدها نزلت في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين (قوله تعالى) (٦) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قوله تعالى بأنذرتهم فيه ثلاث قراءات قرأ عاصم وحزمة والكسائي اذا حقق بهمزيين وقرأ اهل الحجاز وابوعمر والبهمز والمد وتلين همزة الثانية والباقون يجعلونها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خفت وابوعمر واطول مدأ من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرأ ابن عاصر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة اوجه غيرها أنذرتهم بتحقيق همزة الاولى وتخفيف الثانية يجعلها بين بين وأنذرتهم بهمزة واحدة وعليهم أنذرتهم على القاء حركة همزة على الميم نحو قد افلح فيما روي عن نافع

﴿ الحجة ﴾

اما وجه همزتين فهو انه الاصل لأن الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين همزتين فمن قرأه اراد ان يفصل بين همزتين استقالاتا لاجتماع التلين كما فصل بين النونين في نحو اضربننا استقالاتا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة

فِيَا ظَنِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ التَّمَّاءِ أَنْتِ أَمِ أُمُّ سَالِمِ

واما من فصل بين همزتين وتلين الثانية فوجه التخفيف من جهتين الفصل والتلين لأنك اذا ليتها فقد امتها وصار اللفظ كأنه لا استفهام فيه في المد تؤكد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق همزة واما من حقق الاولى وتلين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لأنه جعل التلين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فإنه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَبْعِ رَمِينَ أَلْجَمَرَ أَمْ بِثَمَانِ

واما من التي حركة همزة على الميم فإنه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب اذا لينوا همزة المتحركة وقبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها قالوا مَنْ بُوِكَ وَمَنْ مُمُوكَ وَمَنْ بَلِكْ

﴿ اللثة ﴾

الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واطهارها وكل ماستر شيئا فقد كفره قال لبيد (في لَيْتِهِ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامَهَا) اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستور والاستواء الاعتدال والاستواء مصدر العدل قال زهير

أَرُونِي حِطَّةً لَا خَسْفَ فِيهَا يُسْوِي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

وقالوا سي بمعنى سواء كما قالوا في وقوا وسيان اي مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف التقديم تعالى بانه منذر لان الاعلام يجوز وصفه به والتخويف ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليها وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرتكم عذابا قريبا وقد ورد معدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انا انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل لكونها على وزنه ولانها توكيد والتوكيد من معاني الفعل وتشبهه في اتصال ضمير المتكلم نحو انني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وانما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان (احدهما) ان يكون الجملة التي هي سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حال من الضمير المنصوب على حد معة صقر صائداً به غداً وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استئنافاً والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضاً بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الاول فاما اذا قدمت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدأ لانه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبراً فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبراً فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتدأ وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخل في حيز الاستفهام فلا يجوز اذا ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظير ما في الآية من ان خبر المبتدأ ليس المبتدأ ولا له فيه ذكر ما انشده ابو زيد

فَإِنْ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو

وقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهزة تسمى الف التسوية والتسوية آتية هزة الاستفهام وام تقول ازيد عندك ام عمرو تريد ايها عندك ولا يجوز في مكانها اولاً او لا تكون معادلة الهزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهزة بمنزلة اي فاذا قلت ازيد عندك او عمرو كان معناه واحد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتحسين ومع ازيد او عمرو يقع بنهم اولاً وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبراً لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي آفت بام قدمت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاماً وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام أسأت وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان

مَا أَبَالِي أَنبُ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ لِحَافِي بِظَهْرِ غَيْبِ لَيْمِ

ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير

أَلَسْتُمْ خَيْرًا مِنْ رَكِبَ الْمُطَايَا وَأَنْدَى أَلْعَالَيْنِ بَطُونِ رَاحِ

ولو كان استغماما لم يكن مدحا وقول الآخر
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيْ حِينَ آتِيَتْهُ
أَسَاعَةٌ نَحَسَتْ تَتَّقِيْ أَمْ يَا سَعْدَ

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعياهم من اجبار اليهود ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله عنادا وكم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الحتم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الهياتي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجوز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا اظهر واسبق الى الفهم

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الآية تدل على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لفضل ولا آمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انهم لا لطف لهم وتدلل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدلل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الآية عامة لانعلم ان في الكفار من آمن وانتفع بالانذار

﴿ سؤال ﴾

ان قال قائل اذا علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال علم الله بانهم لا يؤمنون

﴿ الجواب ﴾

انه لا يجب ذلك كما انه لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين بابطال علم الله كما لا يجب اذا كان الله تعالى قادرا على ان يقيم القيامة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمه الساعة والصحيح ان نقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يتبع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا

قوله تعالى (٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة الظاهرة غشاوة بكسر العين ورفع الماء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم العين وعن بعضهم بفتح العين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقرأ ابو عمرو والكسائي على ابصارهم بالامالة والباقون بالتنظيم وللقرءاء في الامالة مذاهب يطول شرحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الآية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يحمله عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف ولما بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيويه ترتفع غشاوة وعذاب بأنه مبتدأ فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش

يرتفع بالظرف لأن الظرف يضر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافها في هذه المسألة بعد أن شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فإما ان يحملها على ختم كأنه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف والمطوف به وذلك انما يجوز في الشعر وإما ان يحملها على فعل مضر كأنه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر (عَلَفْتَهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا) اي وسقيتها وقول الآخر

يَأَلَيْتَ بِمَلِكٍ قَدْ غَرَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

اي وحامل رُحْمًا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح العين وضما وكسرهما وكذلك الغشوة فيها ثلاث لغات

﴿اللغة﴾

الحتم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبعه ايضا بغير حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال

كَانَ قُرَادِي زَوْزِهِ طَبَعْتَهُمَا بَطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كِتَابٌ أَعْجَمٌ

وقوله ختامه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم اي ضربوكم فيؤخذ لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اي ذُوو عدل ويجوز ان يكون لا اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال الشاعر

بِهَا جَيْفٌ أَلْحَسَرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَيَبِضُّ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ

وقال الآخر (في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ سَجِينَا) اي في حلوقكم والغشاوة النطاء وكل ما اشتمل على الشيء بني على فعالة نحو العيامة والقلادة والعصابة وكذلك اسما الصناعات كالحياطة والقصارة والصبغة لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالأمانة والحلاقة وغير ذلك وَسُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ بِالْحَوَاطِرِ قَالَ الشَّاعِرُ

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ وَالرَّأْيُ يَغْرُبُ وَالْإِنْسَانُ أُطْوَارٌ

والقوار محل القلب والصدر محل القوار وقد يُعَبَّرُ عن القلب بحمله كقوله لتثبت به فؤادك وقال الم شرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الألم يقال عذبتة تعذيبا وعذابا ويقال عذب الما اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبتة عن الشيء بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشأن ومن الثاني سُمِّيَ سَبْحَانَهُ عَظِيمًا وَعَظْمَتُهُ كَبِيرًا وَهُوَ

﴿المعنى﴾

قيل في معنى الحتم وجوه (احدها) ان المراد بالحتم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يُعَلِّمُ على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويُعَلِّمُ عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها وقد تأول على مثل هذا مناوئة الكتاب باليسين والثمال في أنها علامة ان المناول باليسين من اهل الجنة والمناول بالثمال من اهل النار وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع (وثانيها) ان المراد بالحتم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بأنها

لا تقبل الحق كما يقال اراك تحتم على كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تقبل اي شهدت وذلك استعارة (وثالثها) ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالختم عليها في انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر «أَصَمَّ عَمَّا سَأَهُ سَبِيحٌ» وقول الآخر

لَقَدْ أَسَمَّتْ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

والعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالختم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم والبي مسلم الاصفهاني (ورابعها) ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكره في قوله افمن شرح الله صدره للانسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقلها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوي ذلك ان الطبع على قلبه وصِف بقله الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعذل الختم على القلب باخذه السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلب هو ان يصير على وصف لا ينتفع به فنيا يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لا يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لأن الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفه

فَالْهَيْبَةُ لَا فُؤَادَ لَهُ وَالثَّبِيْتُ قَلْبُهُ قِيَمُهُ

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجية عليه لانه محتموم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لاتفعل به شيئا لانه هلك في اتباعها

﴿سؤال﴾

ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر

﴿الجواب﴾

قيل انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه إما السماع او الروية

قوله تعالى (٨) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ لَنَا بِآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿اللمعة﴾

الناس والبشر والأنس نظائر وهي الجماعة من الحيوان التميذة بالصورة الانسانية واصله أناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في التون كما قيل لكننا والاصل لكن انا وقيل الناس مأخوذة من التوس وهو الحركة وتصغيره تويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي ناساً وانسانا لظهوره وادراك البصر اياه يقال آنت تبصري شيئا وقال الله سبحانه إني آنت ناراً والانسان واحد والناس جمعه لامن لفظه وقيل اخذ من النسيان لقوله تعالى فسي ولم نجد له عزما واصل الانسان انسيان ولذلك قيل في تحميره وتصغيره انيسيان فرد الى الاصل واليوم الآخر يوم القيامة وانما سمي آخراً لانه يوم لا يوم بعده سواء اذ ليس بعده ليلة وقيل لأنه متأخر عن ايام الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استتقالا لتواني الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لأن اول عن مفتوح ومن يقول التون تدغم

في اليا. فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم بغير غنة

﴿ الاعراب ﴾

من يقول موصل وصلة وهو مرفوع بالابتداء. او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله آمنا بالله وباليوم الآخر حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليها وفيه نبي الحال كما في ليس فاجري مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التثنية وهم مرفوع لانه اسم ما والباء. في قوله بمؤمنين مزيدة دخلت توكيدا للنبي وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبر ما ولقطة من تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى ومنه قول الفرزدق

تَعَالَى فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذِيبُ يَصْطَحِبَانِ
فتني الضمير العائد الى من على المعنى

﴿ النزول ﴾

نزلت في المناقذين وهم عبد الله بن ابي بن سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود

﴿ المعنى ﴾

بين الله تعالى حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظنون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يظلموا على اسرار المسلمين فينقلوها الى الكفار او تقرب الرسول اليهم كما كان يقرب المؤمنون ثم نفي عنهم الايمان فقال وما هم بمؤمنين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرب بالبعث فيبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول قوله تعالى (٩) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يجادعون الا انفسهم والباقون وما يجادعون

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ يجادعون ان فعل هنا الليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامر يكون لفاعلين ويدل عليه قوله في الآية الاخرى يجادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرأ يجادعون هو ان ينزل ما يخاطر بباله من الخدع مقالة آخر مجازيه ذلك ويما وضه اياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكسيت وذكر حارا اراد الورد

يُذَكِّرُ مَنْ أَمَى وَمِنْ أَمَى شُرْبُهُ يُؤْمِرُ نَفْسَهُ كَذِي الْمَهْجَةِ الْإِبِلِ

فجعل ما يكون منه من وروده الماء او تركه الورد والتمثيل بينها بمقولة نفسين

﴿ اللغة ﴾

اصل الخدع الاخفاء والابهام بخلاف الحق والتوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعا بالكسر وخذيمة وقالوا انك لا تخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا فخدعته والنفس في الكلام على ثلاثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفتن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخييل

﴿ الأعراب ﴾

يخادعون فعل وفاعل والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العائد الى من وافقه نصب بيخادعون والذين آمنوا عطف وما نبي والا ايجاب وانفسهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانية وما نبي ويشعرون فعل وفاعل وكل موضع يأتي فيه الا بعد نبي فهو ايجاب ونقض للنبي

﴿ المعنى ﴾

معنى قوله يخادعون الله اي يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء في معاملته ما اجتهله يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فخذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعة قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارت النعل فكذلك يخادعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهر غير ما في نفوسهم وقوله والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين او بمجالستهم ومخالفتهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فيقتلوا الى اعدائهم والثنية ايضا تسمى خداعا فكأنهم لما اظهروا الاسلام وابطحوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث انهم نجوا بهامن اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون انفسهم لأنهم يظهرون لها بذلك انهم يعطوننا ماتمت وهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اي ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما لو قاتل انسان غيره فقتل نفسه جازان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لأن تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبأنهم لا يعلمون ذلك

قوله تعالى (١٠) في قلوبهم حَرَضٌ فَرَّادُهُمُ اللَّهُ حَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحمة فزادهم الله بامالة الزاي وكذلك شاء وجاء وقرأ اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون

﴿ الحجة ﴾

حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع عين وبيض لئصح الياء ولا تقاب الى الواو وحجة من قرأ يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وما بعدها لأن قولهم آمنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وفي قولهم فيا بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيا ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولي حجة من قرأ يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لأن كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكأنه قال وله عذاب اليم بتكذيبهم وادخل كان ليدل على ان ذلك كان فيما مضى

(١) هذا على قراءة نافع و ابن كثير و ابي عمرو . (٢) على صيغة افعل التمجيب (٣) قيل يعنى من يرى ان جميع اهل الضلال يعرفون انهم ضالون .

﴿ اللغاة ﴾

المرض الملة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومررضته قت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى وزدناهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة والزيد قال (كذلك زيد المر بعد انتقاصه) والاليم الموجه فيل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع والندير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة (يصك وجوهها وهج اليم) والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله (قد قالت الانساع للبطن الحقي) جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في نحو قوله (٢٤)

وَذِيَابِنِيَّةٍ وَصَّتْ بَيْنَهَا بِأَنَّ كَذِبَ الْقَرَاطِفِ وَالْقُرُوفِ

فيكون في ذلك انتفاء لها كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق اي كذب القراطيف فاوجدوها بالثارة

﴿ المعنى ﴾

في قلوبهم مرض المراد بالمرض في الآيات الشك والتناق بلا خلاف وانما سمي الشك في الذين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك حذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان معناه ازدادوا شككا عندما زاد الله من البيان بالآيات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح (ع) لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح (ع) نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والآيات لم تردهم رجسا وانما ازدادوا رجسا عندها (وثانيها) ما قاله ابو علي الجبائي انه اراد في قلوبهم غم بتزول النبي صلى الله عليه وآله المدينة وبتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين والقوة وأمدته به من التأييد والنصرة (وثالثها) ما قاله السدي ان معناه زادتهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله (ورابعها) ان المراد في قلوبهم حزن بتزول القرآن بفضائحهم وعنازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مناقبهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرازمهم وسوء ضمازمهم وسبي النعم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض (وخامسها) ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا ضرف الله قلوبهم فكانه دعاء عليهم بان يخلفهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله لهما وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

قوله تعالى (١١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

(١٢) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ الكسائي قِيلَ وَغِيضَ وَسِيٍّ وَحِيلَ وَسِيٍّ وَحِيٍّ بضم اوائل ذلك كله وروي عن يعقوب مثل ذلك ووافقها نافع في سيٍّ وسينت وابن عامر فيها وفي حيل وسيق والباقون يكسرون كلها

(١) قائله : ابو النجم العجلي . و الانساع جمع النسع بكسر النون وهو سير او حبل عربى طويل تشد به الرحال
(٢) القائل : معمر بن حمار البارقى .

﴿الحجة﴾

في هذه كلها ثلاث لغات الكسر واشمام الضم وقول بالواو قيل بالكسر فلي نقل حركة العين الى الفاء لأن اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخصيف

﴿اللغة﴾

الافساد احداث الفساد وهو كل ما تنير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال لقوائم الفرس ارض لأنه يستقر عليها قال^(١)

إِذَا مَا أَسْتَحَمْتَ أَرْضَهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْدُوعٌ وَوَأَعِدْ مُصَدِّقٌ

﴿الاعراب﴾

اذا لفظة وضمت للوقت بشرط ان يكون طرفا زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها ففي هذه الآية اذا في محل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه قيل لهم لأن اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذمبني وانما بطني لتضمينه معنى في وزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف أي في المكان الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لأن ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجئة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فبني على الفتح ولا حرف نهى وهي تعمل الجزم في الفعل وتفسدوا مجزوم بلا علامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله انما كافة كفت إن عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الأصل من كونه مبتدأ وخبراً وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقاً وباطلاً ونحن مبنية لشابقتها للحروف وبنيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع والضممة علامة الرفع لأنها ضمير الجمع والضممة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاريون ويضريون وقوله لا تفسدوا في الأرض جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهي اسم ما لم يسم وقوله الا كلمة تنبيه وافتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكثف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولدا لله واصله لا دخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجته الى معنى التقرير والتحقيق كقوله ليس ذلك بقادر على ان يجي الموتي لأنه لا يجوز للمسيب الا الاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بيان وهم الآخر يجوز ان يكون فصلا على ما فسرناه قبل ويجوز ان يكون مبتدأ والفسدون خبره والجملة خبر إن وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين رده الى الاصل

﴿التزول﴾

الآية تزلت في المناققين الذين تزلت فيهم الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رضي الله عنه ان أهل هذه الصفة لم يأتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المناققين الذين تناولتهم الآية

﴿المعنى﴾

المراد واذا قيل للمناققين لا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصدّ الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس او بمالاة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتخيير الملة وتحريف الكتاب على مقاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لأننا انما نضل ذلك كي نسلم من الفريقين والآخر انهم جحدوا ذلك وقالوا اننا لنعمل بالمعاصي ولا نغالي الكفار ولا نعرف

(١) [الكلمات] (٢) قامله: خفاف بن نُدبة السلمي (٣) [فاعله] (٤) الممالة: المساعدة .

الكتاب وكان ذلك نفاقاً منهم كما قالوا آمنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال إلا أنهم أي أعلموا أن هؤلاء المنافقين الذين يمدون الفساد صلاحهم المفسدون وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون أي لا يعلمون أن ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وإنما جاز تكليفهم وأنهم يشعرون أنهم على ضلال لأن لهم طريقاً إلى العلم بذلك

قوله تعالى (١٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (آيَة)

﴿ القراءه ﴾

السفهاء أهل الكوفة وابن عامر حقتوا الميزتين وأهل الحجاز وابو عمرو همزوا الأولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الميزتين في كلمة واحدة وهو قوله انذرتهم

﴿ اللغة ﴾

السفهاء جمع سفية والسفيه الضيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمي الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مروج السفيه الكذاب البهات التعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الجلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفية اذا كان رقيقاً بالياً وسفته الرياح أي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الحمر سفية والالف واللام في الناس وفي السفهاء للمهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وإنما سموا الناس لأن الغلبة كانت لهم

﴿ الاعراب ﴾

قوله كما آمن الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر أي آمنوا اياناً مثل ايمان الناس لحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والمهزة في أنؤمن للانكار واصلمها الاستفهام ومثله انطمع من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا أنؤمن وقد مضى الكلام فيه

﴿ المعنى ﴾

المراد بالآية واذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجاهل ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجاهل في الحقيقة لأن الجاهل انما يسمى سفياً لأنه يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يضيء ربه من حيث يظن انه يطعمه ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به

قوله تعالى (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيءٍ طِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (آيَة)

﴿ القراءه ﴾

بعض القراء ترك المهزة من مستهزون وقوله خلوا إلى قراءة أهل الحجاز خلواً حذفوا المهزة والقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك امثاله والباقون اسكتوا الواو وحقتوا المهزة

﴿ الحجة ﴾

قال سيبويه الهزرة المضمومة المكسورة ما قبلها تجملها اذا خفتها بين بين وكذلك الهزرة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع ابلك تجملها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهزرة ياء في مستهزون قلبا صحيحا من اجل الكسرة التي قبلها ولا تجملها بين بين ولا تقلبها واوامع تحركها بالضمه لخروجه الى ما لانظير له الا ترى انه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم

﴿ اللغة ﴾

اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شي . استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع الشيء . على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع المرضين في محل والحلا . نقيض الملا . ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والآخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتاح سورة الفاتحة ويستهزون واي يهزون ومثله يستسخرون اي يسخرون وقر واستقر وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هزأة يهزه بالناس وهزأة يهزه به الناس وهذا قياس

﴿ الاعراب ﴾

انا اصله اتنا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحدوفة النون الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو وان كل لا جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم انتصب انتصاب الظروف نحو انا خلفكم اي انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر اسكان العين قال (١)

وَرَيْشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِيَأْمَا

﴿ المعنى ﴾

واذا لقوا الذين آمنوا يعني ان المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا اي صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل روهساوهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امرهم بالكذب وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انهم كانوا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزون اي نستهزى . باصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونسخر بهم في قولنا آمنا

قوله تعالى (١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المدّ اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لأنه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شي . يكون مددا لتيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما تقول مدّ النهر ومدّه نهر آخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما يقال امدّ الجرح لأن المدّة من غير الجرح و امددت الجيش والظبيان من قولك طمى الماء . يطنى اذا تجاوز الحد والطاغية الجبار العنيد والمعنة التحية يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه قال روبة

وَمَهْمَهُ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ أَنْعَمِي أَلْهَدِي بِالْحَارِثِينَ الْعَمِي

﴿ الاعراب ﴾

يعمهون جملة في موضع الحال

(١) قائله : جرير ؛ بمدح هشام بن عبد الملك

﴿ المعنى ﴾

قيل في معنى الآية وتأويلها وجوه أحدها ان يكون معنى آفة يستهزى بهمهم يحاذيهم على استهزائهم والعرب تسمي
الجزء على الفعل باسمه وفي التنزيل وجزاء سينة سينة مثلها وان عاقبتهم فمأقبوا بمثل ما عوقبتهم به وقال عمرو بن كلثوم

أَلَا يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وانما جاز ذلك لأن حكم الجزاء ان يكون على المساواة (وثانيها) ان يكون معنى استهزاء. الله تعالى بهم تحطته
ايامه وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر^(١)

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ سَمِيحِي يَجُحِلُ لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ

وقال آخر

كَمْ أَنَا فِي نَيْمٍ عَمِرُوا فِي ذَرَى مُلْكِ تَعَالَى فَبَسَقَ
سَكَّتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه (وثالثها) ان يكون معنى
الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يطمون وقد روي عن ابن عباس انه قال في
معنى الاستدرج انهم كلما احدثوا خطية جدد الله لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك في الظاهر
نعمة والمراد به استدرجهم الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم (ورابعها) ان معنى استهزائه
بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك
من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الآخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو سبحانه كالستهزى بهم من
بيوتهم جعل لهم احكام للمؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة (وخامسها) ما روي عن ابن عباس انه قال
يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر
في موضع آخر فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فذلك قال
الله عز وجل فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه الذي ذكرناها يمكن ان تذكر في قوله تعالى

ويعكرون ويمكر الله ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويعدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان

﴿ احدهما ﴾ ان يريد ان يعمهم وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمهم والآخرة انه يريد ان يتركهم من
فوائده ومنحه التي يوتئها للمؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا لهم كسرح الصدر وتنوير القلب فهم في طغيانهم
اي كفرهم وضلالهم يعمهون اي يتحيرون لأنهم قد اعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا

قوله تعالى (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

قرأ جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو في قوله
لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو واوتشبيها بواو الجمع

﴿ الحجة ﴾

الواو في اشتروا ساكنة فاذا سقطت همزة الوصل التقت مع الساكن البدل من لام المعرفة فالتقت ساكنان فحرك
الاول منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو الواء ويبدل على ذلك اتفاقهم على التحريك
بالضم في نحو قوله تلبون وتلون الجحيم ومصطفوا الله للدلالة على الجمع ويبدل على تقرير ذلك في هذه الواو انهم

(١) وهو: حسان بن ثابت الانصاري. حمل بالضم: اسم محبوبته.

شبهوا بها الواو التي في او ولو فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا الواو التي في او بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم في لو استطعنا تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل

﴿ اللغة ﴾

حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشي . وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء . ولا يبيع قال الشاعر

أَخَذْتُ بِالْجُمَةِ رَأْسًا أَزْعَرَا وَيَا لثَنًا يَا لَوَاحِصَاتِ الدُّرِّ دُرَا

وَيَا الطَّوِيلَ العُمَرَ عَمْرًا جِيدَرَا كَمَا اشْتَرَى المُسْلِمُ إِذْ تَنَصَّرَا

والربح الزيادة على رأس المال ومنه (وَمَنْ بَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رَبِحَ) والتجارة التعرض للربح في البيع وقوله فا ربحت تجارتهم اي فا ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب بيعك على معنى ربحت في بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها

﴿ الاعراب ﴾

او لك موضع رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على نحوين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لان الجملة غير مكتملة بنفسها فيزاد خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبره فيجب لذلك ان يكون خبره هو الاسم اوفيه ذكر منه كما ان في الآية الواو في موضع الرفع لانه اسم كان ومهتين منصوب بانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتثوين في الواحد وكان في الاصل مهتين سكنت الياء الاولى التي هي لام الفعل استتقالا للحركة عليها ثم حذفوا لتقاء الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والآخر من نحوي كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اي تحدث فاذا استعمل هكذا فهي جملة مستقلة لا تحتاج الى خبر

﴿ المعنى ﴾

اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال او لك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايان ومتى قيل كيف قال ذلك ولنا كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان فنقول للملاء فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان كل مشتر مختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قتادة (وثانيها) انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر قدكروا ذلك الى الكفر فكانهم استبدلوه به (وثالثها) انهم استبدلوا بالايان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفرا لانهم كانوا يمشرون بمحمد ويؤمنون به صلى الله عليه وآله فلما بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايان عن الكلبي ومقاتل وقوله فا ربحت تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر بالايان والعذاب بالثواب وقوله وما كانوا مهتدين اي مصيدين في تجارتهم كاصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقيل اراد سبحانه ان يبيني عنهم الربح والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف قال فا ربحت تجارتهم في موضع ذهبت فيه روهوس اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى فكأنه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه انه ذهبت روهوس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا

قوله تعالى (١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ
اللَّهُ يَنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (آية)

﴿ اللقمة ﴾

المثل والمثل والشبه والشبه بنظر حقيقة المثل ما جعل كالمعلم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالاول ومثاله قول كعب بن زهير
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
فواعيد عر قوب علم في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لأنه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع
الجمع كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال أو أنك هم المتقون قال الشاعر (١)

وَأَنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجِ دِمَاوِهِمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب وقيل استوقداي طلب الرقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار
جوهر مضيء حار محرق واصله من النور يقال نار وازار واستنار بمعنى والنارات العلامات واضاء يكون لازماً ومتعدياً
يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره والذي في الآية متعد للشيء والكف عنه والامساك بنظر الظلمات
جمع ظلمة وأصلها انتقاص الحق من قوله ولا تظلم منه شيئاً أي لم تنتقص ومنه ومن أشبه اباه فإظلم أي ما انتقص
حق الشبه والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصر بعينه والابصار بالقلب مشبه به

﴿ الاعراب ﴾

مثلهم مبتدأ وكثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد ناراً ونحوه قوله ليس كمثل
أي ليس مثله شيء واستوقد ناراً وما اتصل به من صلة الذي والعاقد إلى الذي المضمر الذي في استوقد ولا يدل
على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفت أي طفت
حين اضاءت وما في قوله ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضائة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما
يقال هم حوله وحوائيه وحواله وقوله ذهب الله بنورهم أي اذهب الله نورهم والنعل الذي لا يتعدى
يتعدى إلى المفعول بحرف الجر وبهزمة التثنية والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات يتعلق بتركهم
وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم أي تركهم غير مبصرين

﴿ المعنى ﴾

مثلهم أي مثل هؤلاء المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل الذي استوقداي اوقد ناراً او كمثل الذي طلب الضياء
بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفاً ورأى ما حوله فاتق ما يحذر ويخاف وأمن فينا هو كذلك اذ طفت
ناره فسقط مظلمتها خائفاً متحيراً كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها فنا كحوا
المسلمين ووارثهم وأمتوا على أموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك
معنى قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وهذا هو الروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي
وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطفأ الله ناره ليشاكل جواب لا معنى هذه القضية
ولكن لا كان اطفاء هذه النار مثلاً لإذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفاء وحذف جواب لا إيجازاً
واختصاراً لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذؤيب

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِتِي لَأَمْرِهِ (٢)
مُطِيعٌ فَمَا أَذْرِي أُرْشِدُ طَلَابُهَا

وتقديره ارشد ام غني طلابها لحذف الاليجاز ومعنى اذهاب الله نورهم هو ان الله تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور
مع المؤمنين في الآخرة وذلك قوله تعالى فيا اخبر عنهم انظرونا نقبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا

(١) هواشبه بن ذميلة النهشلي (٢) وفي جبهة من النسخ «عصاني إليها القلب اني لامرهما»

نورا وقيل في معنى اذهاب نور المنافقين وجه آخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الاسلام بما اظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الآية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله وایمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والضير وبني قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يفشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبي (ص) كل سنة فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التوراة والايان بمحمد صلى الله عليه وآله ويقول اذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وآله وقبلوا منه ثم لا يخرج النبي صلى الله عليه وآله كفروا به فغضب الله لهم هذا المثل

﴿سؤال﴾

كيف الله شبه المنافقين او اليهود وهم جماعة بالذي استوقد نارا وهو واحد

﴿الجواب﴾

على وجوه ﴿احدها﴾ ان الذي في معنى الجمع كما قيل في الآية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدقته (وثانيها) ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخل

أَبْنِي كَلْبَيْبِرِ إِنَّ عَمِّيَ الَّذِي قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَكَّا الْأَغْلَالَ

(وثالثها) ان يكون الكلام على حذف كأنه قال مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد نارا ثم حذف المضاف

واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجعدي

وَكَيْفَ تَوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَاتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ

يريد كخلالة ابي مرحب (ورابعها) ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لا في الذي من الابهام اذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب ما احضت ما حوله محذوفا كأنه قال طفئت والضير في قوله ذهب الله بنورهم يعود الى المنافقين (وخامسها) ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هو لا المنافقين في جهلهم كحال المستوقد نارا وتشبيه الحال بالحال جاز كما يقال بلادة هو لا. كبلادة الحيار ولو قلت هو لا. كالحمار لم يجز ومعنى قوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك هو الكف عن الفعل بالفعل وهذا انما يصح فيمن حله فعله والله سبحانه متزه عن ان يجله فعله فعنا انه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة اشد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون اي لا يبصرون الطريق

قوله تعالى (١٨) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (آية)

﴿اللغة﴾

الاصم هو الذي ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصم السد والصمم سد الاذن بما لا يقع منه سماع وقناة صم. صلبة مكتنزة الجوف لسد جو فها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة والصام ما يسد به رأس القارورة واصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعشى في القلب مثل العمى في العين آفة تمنع من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وانما يقال ما اشد عماء وما جرى مجراه والماية القواية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء او الى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشيء هو الانصراف اليه بعد الذهاب عنه

(١) قد سقطت من نسخة ضيحا جملة وهاهي [اذا جاء في صفات الله تعالى فالعنى ان لا يفعل لان الترك].

﴿الاعراب﴾

صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف اي هو لاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمي

﴿المعنى﴾

قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله بالصم لانهم لم يحسنوا الاصلاح الى ادلة الله تعالى فكانهم صم واذا لم يقرؤا بالله وبرسوله فكانهم بكم واذا لم ينظروا في ملكوت السموات والارض فكانهم عمي لالم تصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم ليس لهم هذه الاعضاء وهذا يدل على ان معنى الحتم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه جعل الله لهم بالكفر واستقامتهم للحق بمنزلة الصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم واضلهم واصبهم واعمى ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فإن جميع ذلك اخبار عما حدثوه عند امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لانه فعل بهم ما منتهم به عن الايمان وهذا كما قيل في المثل حبك الشيء يعمي ويصم قال مسكين الدارمي

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخَدْرُ
وَقَصْمٌ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا أُذُنِي وَمَا فِي سَمْعِهَا وَقَرُّ

وفي التذييل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود

قوله تعالى (١٩) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (آية)

﴿القراءة﴾

ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وابي السماك بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو يميل الكاف من الكافرين في موضع الخفض والنصب وروي ذلك عن الكسائي والباقون لا يميلون

﴿الحجة﴾

الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا الى الفتح فقالوا ظلمات ونارة عدلوا الى السكون فقالوا ظلمات وكلا الامرين حسن في اللغة وانما املوا الكاف من الكافرين للزوم كسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لا فيها من التكرير تجري مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنها والقراء في الامالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وابو علي الفارسي رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها والنوص الى لججها لا يليق بتفسير القرآن وكذلك ما يتعلق بفن القراءة من علوم الهجزة والادغام والمد فان لذلك كتباً مؤلفة يرجع اليها ويعول عليها فالرأي ان نلّم باطرافها ونقتصر على بعض اوصافها فيما يأتي من الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿اللفظة﴾

الصيب المطرا صوب فيعمل من الصواب لكن اجتمعت الواو والياء واولاهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيد والسماء: العروف وكل ما علاك واطللك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اي مطر واصله سما ومن سموت قلبت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه

﴿احدها﴾ ان يتعدى الى مفعولين نحو جعلت الطين خرفاً اي صيرت (وثانيها) ان يأتي بمعنى صنع يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور (وثالثها) ان يأتي بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا اي سوا له (ورابعها) ان يأتي بمعنى افعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الرقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف

﴿الاعراب﴾

او ههنا للاباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء او المحدثين فكل الفريقين اهل ان يجالس فان جالست احدهما فانت مطيع وان جالست الآخر فانت مطيع وان جالستها فانت مطيع فكذلك ههنا ان مثلت المناققين بالمستوقد كنت مصيباً وان مثلتهم باصحاب الصيب فانت مصيب وان مثلتهم بكل الفريقين فانت مصيب وتقديره او كاصحاب و ب حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لأن هذا عطف على قوله كمثل الذي استوقد ناراً والصيب ليس بعامل فلا يعطف على العاقل ويحملون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الجر بأنها صفة صيب والضمير متصل بني عائد الى صيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وانما نصبه الفعل لأنه في تأويل مصدره لأن جعلهم اصابعهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي المفعول له لا يكون الا مصدراً لأنه يدل على انه فعل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدراً عن هذا الفعل بل عن فعل آخر

﴿المعنى﴾

مثل هو لاء المناققين في جهلهم وشدة تحيرهم «كصيب» اي كاصحاب مطر «من السماء» اي منزل من السماء «فيه» اي في هذا المطر او في السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر «ظلمات» لأن السحاب يغشي الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو «ورعد» قيل ان الرعد صوت ملك يزر السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو الروي عن اثنتا عليهم السلام وقيل هو ربيع تحتق تحت السماء رواه ابو الجلد عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات وصوت رعداً نهروي انه يزق كما يزق الراعي بغنمه وقوله «وبرق» قيل انه محاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتندح عنه النار عن علي (ع) وقيل انه سوط من نور يزر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيف وغيرها قال الاعشى

إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَأَهُنَّ
كَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُوءِ

وقيل انه نار تندح من اصطكاك الاجرام وفي تأويل الآية وتشبيه المثل اقوال ﴿احدها﴾ انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلاً والدعاء الى الجهاد عاجلاً عن ابن عباس (وثانيها) انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع نفعا وضرا وان المنافع يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع (وثالثها) انه مثل للاسلام لأن فيه الحياة كما في النيث الحياة وشبهه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حقن دماهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل ويقوي ذلك ماروي عن الحسن انه قال مثل اسلام المنافق كصيب هذا وصفه (ورابعها) ماروي عن ابن مسعود وجباة من الصحابة ان رجليخ من المناققين من اهل المدينة هربا من رسول الله (ص) فاصابها المطر الذي ذكره

الله تعالى فيه وعد شديد وصواعق وبرق وكلما اضاء لها الصواعق جملا اصابها في آذانها مضافة ان تدخل الصواعق في آذانها فتتلهما واذا لمع البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما لجملا يقولان ياليتنا قد اصبحنا فنأتي معبدا فنضع ايدينا في يديه فاصبنا فاتيها فاسلما وحسن اسلامها فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافتي المدينة وانهم اذا حضروا النبي جعلوا اصابهم في آذانهم فرقا من كلام النبي (ص) ان ينزل فيهم شي. كما كان ذلك الرجلان يجلان اصابها في آذانها وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غيبة او فتعا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم واصابهم البلا. قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذلك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله «والله محيط بالكافرين» يحتمل وجوها

﴿احدها﴾ انه عالم بهم فيعلم سرايرهم ويطلع نبيه على ضايرهم عن الاصم (وثانها) انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر

أَحَطْنَا بِهِمْ حَتَّى إِذَا مَا تَيَقَّنُوا بِمَا قَدَرُوا مَا لَوْ أَجْمِعًا إِلَى السَّلَمِ

اي قدرنا عليهم (وثالثها) ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيامة يقال احاط بكذا اذا لم يشد منه شي. ومنه احاط بكل شي. علما اي لم يشد عن علمه شي. (ورابعها) انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بشمره اي اصابه ما اهلكه وقوله إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ مَعْنَاهُ أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا قوله تعالى (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿اللغة﴾

الخطف اخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لفتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف ويقال للذي يخرج به الدلو من البئر الخطاف لاختطافه قال النابغة

خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدِي إِيكَ تَوَازِعُ

وقاموا اي وقفوا والمشيئة الارادة والثبي. ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه هو اول الاسماء واعما وابهما لأنه يقع على المدوم والموجود وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المعقنين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الآية ان الله على كل شي قدير فإن كل شي. سواء محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا وجد خرج عن ان يكون مقدورا للقادر لأن من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فلمن انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسألة يدور اكثر مسائل التوحيد

﴿الاعراب﴾

كاد من افعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج الى خبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بأنه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف العامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه وضاء في موضع جزم بالشرط ومشوا في موضع الجزاء. واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء. لامتناع غيره واذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشيئة.

﴿المعنى﴾

«يكاد البرق يخطف ابصارهم» المراد يكاد ما في القرآن من الحجب النيرة يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر في امور دينهم

كأن البرق يكاد يخطف ابصار او لئلا كما اضاهم مشوا فيه لاهتد انهم الى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا الى خير وغنيمة اسرعوا واذا وردت شدة على المسلمين تحيروا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك في الظلمات متحيرين وقيل اذا آمنوا صار الايمان لهم نورا فاذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى فلما نكبوا باحد وقفوا وشكروا وقوله «ولو شاء الله لذهب بسهمهم وابصارهم» انا خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال ولو شاء الله اذهبها من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الآية الاولى والله يحيط بالكافرين وقوله بسهمهم مصدر يدل على الجمع او واحد موضوع للجمع كقول الشاعر

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا
فَإِنْ زَمَانِكُمْ زَمَنْ تَخْصُصُ

اي بطونكم والمني واوشاء الله لا يظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لانه على كل شي . قدير وهو مبالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شي . قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلاثة اوجه على المدومات بأن يوجد لها وعلى الموجودات بان يفنيها وعلى مقدور غيره بأن يقدر عليه وينع منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون مقدور غيره فان مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن ان يكون لأنه يودي الى ان يكون الشيء الواحد موجودا مصدوما ولفظة كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى تدمر كل شي . بامر ربها

قوله تعالى (٢١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الخلق النعل على تقدير وخلق السموات فعلا على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق الطبع والخلققة الطبيعة والخلق النصب

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف النداء واي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لأنه انما يتم بأن يوصف وصفته تكون باسم الجنس لأنه لا كان لا يتم الا بصفة وهي لفظة دالة على ما دل اي عليه مخصصة له وكان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسما الاجناس كالناس في قوله يا ايها الناس فاي منادى مفرد معرفة مبني لأنه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لأنه كان في اصله التنوين فلما سقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد الذي قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر توجد في مظانها والناس مرفوع لأنه صفة لا يفتبعه على حركة لفظه ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء المناديات المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لأن هنا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي صلة اليه ويدل على ذلك لزومها وهو حرف التنبيه قبل الناس وثباتها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالايذان باستئناف نداء العلم لأن لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناديات واجاز المازني في ايها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولأنه لا مجاز لذلك في كلام العرب ولم يرو عنها غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لأنه عطف على الكاف والميم في قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهته الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لأن معناه الترجي وكم في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع الرفع بأنه خبره

﴿ المعنى ﴾

هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان ما في القرآن من «يا ايها الناس» فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة «اعبدوا ربكم» اي تقربوا اليه بفعل العبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحيث قوله «الذي خلقكم» اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين واوجد من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى آباؤهم لأن نعمه عليهم لا تتم الا بنعمه على آباؤهم «لعلكم تتقون» اي خلقكم لتتقوه وتعبده كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبدوه لتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون الحرمان بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك وانما يريد اقبله ترشد وانما ادخل الكلام لعل ترقيقا للموعظة وتقريباً لها من قلب الموعوظ ويقول القائل لا جيره اعمل لعلك تأخذ الأجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ اجرتك ومثله قول الشاعر

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَنَّا
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ
نَكْفُ وَوَقْتُمْ لَنَا كُلُّ مَوْثِقٍ
كَلْمَحِ سَرَابٍ فِي الْمَلَأِ مُتَأَلِّقٍ

اراد قلتم لنا كفوا لشكف لأنه لو كان شاكلاً ما قال وقتتم كل موثق وقال سيويه انما وردت لفظة لعل على انه ترج للمخاطبين كما قال فقوله قولاً لنا لعله يتذكر اويحيى و اراد بذلك الابهام على موسى وهارون فكانه قال اذهب انما على رجائكم وطمعكم والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يوول اليه امر فرعون وقيل فائدة ايراد لفظة لعل هي ان لا يحل العبد ابداً محل الآمن المدل به بل يزداد حالاً بعد حال حرصاً على العمل وحذراً من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم ورجائكم واجري لعل على عبادته دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيويه

قوله تعالى (٢٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْمَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلكم والباقون يظهرون

﴿ الحجة ﴾

فن ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر عليه اكثر القراء فلأنها منفصلان من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فن اراد ذلك فليطلبه من الكتب الموقوفة فيه

﴿ اللفظة ﴾

الجبل والخلق والاحداث نظائر والارض هي المعروفة والارض قوائم الدابة ومنه قول الشاعر
وَأَحْمَرُ كَالدِّيَّاحِ أَمَّا سَمَاؤُهُ
فَرِيًّا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَحَوْلُ

والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس أنزلت الارض ام في ارض والفراش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سماها لعلها على الارض وكل شيء كان فوقه فهو ما تحته مماء وسنا فلان فلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق
سَمَوْنَا لِتَجْرَانَ الْيَمَانِ وَأَهْلِهِ
وَنَجْرَانَ أَرْضِ لَمْ تُدَيْتْ مَقَاوِلُهُ

(١) وفي نسختين «لقوله» باللام بدل الكاف (٢) وفي النسخ التي عندها «جعله» بتدويم اللام على اليم.

قال الزجاج كل ما علا الارض فهو بناء. والماء اصله مؤه وجمعه امواه وتصغيره مؤيه وانزل من السماء اي من ناحية السماء. قال الشاعر (أُمْنِكِ الْبَرَقُ أَرْقَبُهُ فَهَاجَا) اي من ناحيتك والند المثل والعدل قال حسان بن ثابت
أَتَهْجُوهُ وَكَلَّتْ لَهُ يَنْدِيَةٌ فَشَرَّ كَمَا لِيَخَيْرِ كَمَا الْقِدَاءُ

وقال جرير

أَتِيًّا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدَاءً وَمَا تَمُّ لِيذِي حَسَبٍ نَدِيدُ

وقيل الند الضد

﴿ المعنى ﴾

معنى هذه الآية يتعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عددهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال سبحانه «الذي جعل لكم الارض فراشا» اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون «والسما بناء» اي سقفا مرفوعا مبنيا «وانزل من نحو السماء» اي من السحاب «ماء فأخرج به» اي بالماء «من الثمرات رزقا لكم» اي عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على انه هو الذي خلقهم والذي رزقهم دون من جعلوه نيدا له من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به بقوله «فلا تجعلوا لله اندادا» وقوله انتم تعلمون يحتمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بما ملأها وانها لا تضروا ولا تنفع (وثانيها) ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق (وثالثها) ما قاله مجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل التوراة والانجيل دون غيرهم اي تعلمون ذلك في الكتابين وقال الشريف الاجل للمرضي قدس الله روحه استدلل ابو علي الجبائي بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا وفي آية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لأنه لا يمكن في النعمة علينا ان يكون في الارض بساط ومواقع مفروشة ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطة وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفنون ان يكون في الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملتها كرية الشكل

قوله تعالى (٢٣) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْهُ
وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ان دخلت ههنا لغير شك لأن الله تعالى علم انهم مرتليون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطمني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التصيد وهو التذليل لأن العبد يذل لمولاه والعبودية من احكام الشرع لأنه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة مأخوذة من سور البناء وكل منزلة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

هذا قول ابي عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القوان بمنزلة درجة رفيعة ومثل عال

رفيع يرتفع القارى . منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مجهزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسور كل شي . بقيته واسارت في الانا . ابقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة

فَبَانَتْ وَقَدْ اسَارَتْ فِي الْفُؤَاءِ دِ صَدْعًا تَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع وتدخل على الفعل الماضي فتصرفه الى معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء . وهما جملتان ربطت احدهما بالآخرى نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تنعمل شرط وهو مجزوم بان وقولك أفعل جزاء . وهو مجزوم بالشرط لا بان وحدها ولا بالفعل فإن كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء . وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بان وقوله فأتوا بسورة أنتوا مبني على الوقف لأنه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء . وما بعده في موضع جزم بأنه جزاء . وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون بمعنى ابتداء الشيء . من مكان ما كقولك خرجت من البصرة (وثانيتها) بمعنى التبعيض كقولك اخذت من الطام قفيزا (وثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها كما انها في التبعيض تخصص الجملة التي بعدها (ورابعها) أن تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى من مثله قال بعضهم أن من بمعنى التبعيض وتقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة لقوله في موضع آخر بسورة مثله اي مثل هذا القرآن وتعود الهاء في مثله الى ما من قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلاثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والهاء من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول أقوى لما نذكره بعد

﴿ المعنى ﴾

لا احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنسوة بما قطع عندهم فقال «وان كنتم في شك من صدق هذا الكتاب الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وآله وقلتم لا ندري هل هو من عند الله ام لا « فأتوا بسورة من مثله » أي من مثل القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فأتوا بسورة من بشرامى مثله لا يحسن الخط والكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الاول لقوله تعالى في سورة اخرى فليأتوا بحديث مثله وقوله فأتوا بسورة مثله وقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله يعني فأتوا بسورة مثلهما اتي به محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عما كان وعمما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله «وادعوا شهداءكم» قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظهرونكم على تكذيبكم وسمي اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالحليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضا وقوله «من دون الله» أي من غير الله كما يقال مادون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله «إن كنتم صادقين» في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال القراء اراد وادعوا آلهتكم وقال مجاهد وابن جريح اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا اعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر^(١)

فَلَمَّا أَلْتَقَتْ فُرْسَانُنَا وَرِجَالُنَا دَعَوْا يَا لِكُفْبِ وَأَعْتَزَيْنَا لِعَامِرٍ

وقال آخر

وَقَبْلَكَ رَبُّ خَضِمٍ قَدْ تَمَالَوْا عَلَيَّ فَمَا جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ^(٣)

(١) وفي نسخة «تقوله» من التقول (٢) هو : الراعي (٣) قائله : بستان بن العجل . وفي أكثر النسخ «هلمت» بدل «جزعت» .

واما قول مجاهد فلا وجه له لأن الشاهدين لا يخلو اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالؤمنون لا يكونون شهداء للكفار والكفار لا يبدون ان يسارعوا الى ابطال الحق او تحقيق الباطل اذا دعوا اليه فمن آتي الفريقين يكون شهداء وهم ولكن ينبغي ان يجري ذلك مجرى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه جاز ايضا لصحة لأن العقلاء لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام انه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الآية تدل على صحة نبوة نبينا محمد (ص) وان الله تعالى تحدى بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله او ببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله ويسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسوله (ص) وهم اهل الحمية والانفة فبدلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا في معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القرآن معجز دال على صحة نبوته

قوله تعالى (٢٤) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ان حرف شرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع جزم ايضا بان لن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخسه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا وقال سيبويه في ان زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم كما قالوا وَيَلْتَمِسُ وَيَلْتَمِسُ وَيَلْتَمِسُ وحذفوا حرف واحد كما جعلوا هَلْ يَمْتَلِئُ حَرْفًا وَاحِدًا وَأَنَا هِيَ هَلْ وَلَا قَالَ وَهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجِزْ زَيْدًا أَنْ أُضْرَبَ وَأَقُولُ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ أَصْلُ لَنْ لَا أَنْ وَمَا بَعْدَ أَنْ يَكُونُ صِلَةً لَهَا وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَعْمُولٍ مَا فِي الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ فَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ زَيْدًا فِي قَوْلِكَ لَنْ أُضْرَبُ زَيْدًا عَلَى لَنْ كَمَا لَمْ يَجِزْ تَقْدِيمُهُ عَلَى أَنْ فَلَا تَقُولُ زَيْدًا أَنْ أُضْرَبُ وَزَيْدًا لِأَنَّ الْأَضْرَبَ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ التَّحْوِيلِ فِي جَوَازِ التَّقْدِيمِ هُنَاكَ وَقَوْلُهُ وَلَنْ تَفْعَلُوا لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهُ اعْتِرَاضٌ وَقَعَ بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْبِتْدَاءِ وَالْخَبْرِ فِي قَوْلِكَ زَيْدٌ فَافْهَمْ مَا أَقُولُ لَكَ عَالَمٌ وَالْاعْتِرَاضُ غَيْرُ وَقَعَ مَوْضِعَ الْمَفْرُودِ فَيَكُونُ لَهُ مَوْضِعُ أَعْرَابٍ

﴿ المعنى ﴾

«فإن لم تفعلوا» اي فإن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي فلا تقيموا على التكذيب به ومعنى «ولن تفعلوا» اي ولن تأتوا بسورة مثله أبدا لأن لن تنفي على التأييد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد (ص) لأنه يتضمن الاخبار عن جاهلهم في مستقبل الاوقات بأنهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله «فاتقوا النار» اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لأنه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكأنه قال فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي «وقودها» اي حطبها «الناس والحجارة» وهي جمع حجر وقيل أنها حجارة الكبريت لأنها احرق شيئا اذا احيت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان

الناس والحجارة وقود النار اي حطبها يريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تأكل الحجارة الا وهي في غاية الفظاعة والمول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله كلما نضجت جلودهم الآية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيف اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الآية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لان الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية والزهم به تصديق نبيه عليه الصلاة والسلام وقرره بأن القرآن كلامه اذ قال ان كان هذا القرآن كلام محمدا فتورا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر لثبها لكم مع تقدمكم في البلاغة والنصاحة الايتان بمثله او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذا لم يتأت لكم ذلك فاعلموا بقولكم انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مغلوقة الآن لان المعد لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك اننا لم نشاهد ما فان الملائكة يشاهدونها وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين

قوله تعالى (٢٥) **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِمُتَشَابِهٍ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجُمٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آية)

﴿ اللثة ﴾

البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواء لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار بما يعم ايضا بشارة كقوله تعالى وبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البشارة وهي ظاهر الجلد كغيرها بأول خبر وتبشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها ونهارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لان من المعلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها بانها جار تحت الاشجار لان الماء اذا كانت تحت الارض فلاحظ فيها للميون على انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخايد رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلها من الجن وهو السر ومنه الجن لتسرها عن عيون الناس والجنون لانه يستقر العقل والجنة لانها تستقر البدن والجنين لتسره بالرحم قال المفضل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والازواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام والبقاء.

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان مع اسمه وخبره نصب معناه بشر المؤمنين بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في موضع جر وان سقطت الباء وجنات منصوب بأنه اسم ان ولهم الجار والمجرور في موضع خبره والتاء تاء جماعة المومنين تكون في حال النصب والجر على صورة واحدة كما ان ياء جماعة الذكور في الزيدتين ونحوه يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات وكُلَّمَا ضم كل الى ما لجزء فصارا اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والمائل فيه رزقوا منها من ثمرة من ثمرة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبييض لانهم يوزقون

بعض الثمرات في كل وقت ويجوز أن يكون بمعنى تبيين الصفة وهو أن يبين الرزق من أي جنس هو ومن قبل تقديره أي من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت لحذف المضاف اليه منه لفظاً مع أن الأضافة مرادة معنى فبني لأجل مشابهته الحرف وانا بني على الحركة ليدل على تمكنه في الأصل وإنما خص بالضم لأن أعرابه عند الأضافة كاز بالفتح أو الجر نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفاً فبني على حركة لم تكن تدخلها في الأعراب وهي الضمة وموضع نصب على الظرف ومتشابهها نصب على الحال وازواج رفع اما بالابتداء أو بالظرف

﴿ المعنى ﴾

قرن الله تعالى الوعد في هذه الآية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال «وبشّر» أي أخبر ببايسر «الذين آمنوا» أي صدقوا «وعملوا الصالحات» فيأبينهم وبين ربهم عن ابن عباس بأن لهم «جنات تجري من تحتها» أي من تحت أشجارها ومسكنها «الأنهار» والنهر لا يجري وإنما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعاً لأنه موضع الجري وقوله «كلما رزقوا منها» أي من الجنات والمعنى من أشجارها وتقديره كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للمؤمنين «من ثمرة رزقاً» أي أعطوا من ثمارها عطاءً واطعموا منها طعاماً لأن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به ولا يكون لأحد المنع منه «قالوا هذا الذي رزقنا من قبل» فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن ثمار الجنة إذا جنت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشبهه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول أبي عبيدة ويحيى بن كثير (وثانيها) أن معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدنا به في الدنيا (وثالثها) معناه هذا الذي رزقناه من قبل في الجنة أي كالذي رزقنا وهم يعلمون أنه غيره ولكنهم شبهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله وأقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فمّم ولم يخص فاول ما أتوا به لا يتدبر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لأن ما رزقوه في الدنيا قد عدم فاقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاماً ووصفه له يحسن أن يقول هذا طعامي في منزلي يريد مثله ومن جنسه وقوله «وأتوا به» أي جئوا به وليس معناه أعطوه وقوله «متشابهاً» فيه وجوه ﴿ أحدها ﴾ أنه أراد متشابهاً في اللون مختلفاً في الطعم عن ابن عباس ومجاهد (وثانيها) أن كلها متشابهة في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الاخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جئني بأشياء فاضة فاشتبهت عليه في الفضل لا ادري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

يعني أنهم قد تساوا في الفضل لو ثابته) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمة (ورابعها) أنه يشبه بعضه بعضاً في اللذة وجميع الصفات عن أبي مسلم (وخامسها) أن التشابه من حيث المواقفة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله «ولهم فيها أزواج» قيل هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن عجاتكم العنص الرمص العنص ^(٢) ظهورن من قدرات الدنيا «مطهرة» قيل في الأبدان والأخلاق والأعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتوطنن ولا يبيلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول جماعة المفسرين «وهم فيها» أي في الجنة «خالدون» يعني دائمون يقون بقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاذ لأن النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنتقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتداً ولهذا لا يقال لله تعالى خالد

قوله تعالى (٢٦) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ

(١) هو المرندس أحد بني بكر بن كلاب (٢) العنص : ماسال من الرمص وهو وسخ ابيض يجتمع في مجرى الدمع من العين و العنص في العين : ضعف الرؤية مع سيلان دمعها .

بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

يستحي بيانين وروي عن ابن كثير يستحي بيا، واحدة ووجه هذه القراءة أنه استعمل اجتماع الياين لحذف احداهما وهي لغة بني تميم

﴿ اللغة ﴾

الاستحيا من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا فسد عليه امر اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها لتسير في البلاد يقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك والبعوض القرقيس وهو صغار البق الواحدة بعوضة والمثل والشبه كالشبه والشبه قال كعب بن زهير

كَأَنْتَ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَنَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

والفسق والفسوق الترك لأمر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن ثمرها اذا خرجت ولذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله ما بعوضة بالنصب فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن تكون ما مزيدة ومعناها التوكيد كما في قوله فبارحة من الله إنت لهم وتقديره ان الله لا يستحي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب (وثانيتها) ان يكون ما نكرة مفسرة بعوضة كما يكون نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي عتيد فيكون تقديره لا يستحي أن يضرب مثلا شيئا من الأشياء بعوضة فتكون بعوضة بدلا من شيئا (وثالثها) ما يحكي عن الفراء أن معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زباله الى التعلية وله عشرون ما ناقة جحلا وهي احسن الناس ما قرنا فقدا يعنون ما بين في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لأن ضرب ههنا بمعنى جعل جاز أن يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفي التثنية ما يدل عليه وهو قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فمثل الحياة مبتدأ وكاء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما فدخل اضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا كعمرو ويجوز في الأعراب الرفع في بعوضة وإن لم تجز القراءة به وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف في صلة ما فكانه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ تماما على الذي احسن بالرفع وهذا عند سيويه ضعيف وهو في الذي أقوى لأن الذي اطول وليس للذي مذهب غير الاسماء (والثاني) على الجواب كأنه لا قيل ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاما قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة كما تقول مررت برجل زيد اي هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله فأما الذين آمنوا لغة العرب جميعا بالتشديد وكثير من بني تميم يقولون ايا فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم^(١)

مُبْتَلَةٌ هَيْفَاءُ أَيْمًا وَشَاحْهًا فَيَجْرِي وَأَيْمًا الْجَبَلُ مِنْهَا فَلَا يَجْرِي

وهي كلمة تحيي في شئين او اشياء يفصل القول بينهما كقولك أما زيد فحسن وأما عمرو فسي فزيد مبتدأ وعسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره هما يكن من شيء فزيد عمن ثم اقيم أمام مقام الشرط فيحصل اما فزيد عمن ثم آخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهة ان تقع الفاء التي للتعقيب في اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء. وذا بمعنى الذي وصلته مابعد وهو في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ

(١) القحة كعدة من وقع الرجل اذا قل حياؤه (٢) والقائل : هو الاختل .

تقديره اي شيء الذي اراد الله فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لعالم الذي ضرب له المثل ويمتثل ان يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره اي شيء . اراد الله فيكون في موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل ومثال الأول قوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير

﴿ النزول ﴾

روي عن ابن مسعود وابن عباس ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من أن يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الآية وروي عن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والنعكوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

«ان الله لا يستحي» اي لا يذع وقيل لا يمتنع لأن احدنا اذا استحيى من شيء تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يذع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو أن الذي يستحي منه ما يكون قبيحا في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله فأخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحي منه وقيل معناه انه لا يخشى أن يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق أن تخشاه اي تستحي الناس والله احق ان تستحيه فالاستحيا بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحيا هناك واصل الاستحيا الانتقاض عن الشيء والامتناع منه خوفا من موقعة القبيح وقال علي بن عيسى معناه انه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحي منه فكأنه قال لا يجمل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحي منه فوضع قوله إن الله لا يستحي موضعه وقوله «ما بعوضة فما فوقها» اي ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والفة لأن الغرض ههنا الصغر وقال الربيع بن أنس ان البعوضة تحي ما جاعت فاذا سمعت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا رياء اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لأن البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله تعالى ان ينبئ بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ النُّكْبُوتُ بِنَسَجِهَا وَقَضَىٰ عَلَيْكَ بِهَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

وبقوله ايضا

وَهَلْ شَيْءٌ يَكُونُ أَذْلَ بَيْتًا مِنْ الْيَرْبُوعِ يَخْتَفِرُ التُّرَابًا

وقوله «فأما الذين آمنوا» اي صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام «فيعلمون انه الحق من ربهم» مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا انه من ربهم وان المثل وقع في حقه «واما الذين كفروا» بالقرآن «فيقولون» اي فلا عراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا «ماذا اراد الله بهذا مثلا» اي ماذا اراد الله بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله «يُضِلُّ به كثيرا ويهدي به كثيرا» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ حكى عن الفراء انه قال انه حكاية عن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به قوم ويهدي به قوم ثم قال الله تعالى «وما يضل به الا الفاسقين» فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والاخر انه كلامه تعالى ابتداء وكلاهما محتمل واذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله ويهدي به كثيرا يعني

الذين آمنوا به وصدقوه وقالوا هذا في موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه معنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن المحنة اذا اشتدت على المتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى^(١) سميت هداية فالمعنى ان الله تعالى يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس اي ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل اذا ادخل القضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها التساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقرب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لامن غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهي ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخليه على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع اللطاف التي يفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح في كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسه الى الضلال واكفره اذا نسه الى الكفر قال الكعبي

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا نِيَّيْكُمْ
وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيءٌ وَمَذْنِبٌ

وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعير يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله تعالى انذا ضللنا في الأرض اي هلكنا وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم اي لن يبطل سيديهم ويصلح بهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويمذب بالكفر به كثيرا بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن اي علي الجبائي^(٢) ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التخيير والتشكيك فإن اراد الحيرة فقد ذكر انه لا يفعل الا بالفاسق المتخبر الشاك فيجب ان لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فاسقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز ان يكون حكم الله تعالى عليهم بالكفر وبراءته منهم ولنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكا اضلالا وكل ما في القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الاضلال الذي اضافه الى الشيطان والى فرعون والسامري بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله وأضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامري وهو ان يكون بمعنى التليس والتخليط والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدى الى التظلم والتجويز على ما يذهب اليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ فصل في حقيقة الهداية والهدى ﴾

واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التي هي ضدّه اعلم ان الهداية في القرآن تقع على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق والطريق والى الطريق اذا دلّه عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فإن الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بان دلّه عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فلم يدلّه عليه لكان قد كلفه بما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما نوح فهديناهم فاستجابوا للمسى على الهدى وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله وهدينا النجدين وما اشبه ذلك من الآيات (وثالثها) ان يكون بمعنى زيادة اللطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهدوا نراهم هدى

(١) [عندما]. (٢) [قال].

اي شرح صدورهم وثبتها (وثالثها) أن يكون بمعنى الالفة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح لهم الهداية التي تكون بعد قتلهم هي اثبتهم لا محالة لأنه ليس بعد الموت تكليف (ورابعها) الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم بإيمانهم وطاعتهم الطافا ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا (وخامسها) ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا يخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبانبيائه وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم بدلاتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم وميعة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطفه وضروب تسهيلاته ومعوناته

قوله تعالى (٢٧) الَّذِينَ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التنقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقا. وهو قرب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان بكذا اي امره وارصاه به ومنه قوله تعالى لم اعهد اليكم يا بني آدم والميثاق ما وقع التوثيق به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ثقات في الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشئين واصل ذلك في الاجسام ويستعمل ذلك ايضا في الاعراض تشبيها به يقال قطع الجبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعال هذه صيغته ثم يصير امرا بارادة الامر للمأمور به وصيغة الامر تستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفي التحدي نحو قوله فاتوا بسورة من مثله وفي التكوين كقوله كن فيكون والاصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون المالكون واصل الخسران ذهاب رأس المال

﴿ الاغراب ﴾

الذين ينتقضون في موضع النصب لأنها صفة الفاسقين واولئك مبتدأ والخاسرون خبرهم وفصل ويجوز أن يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء. التاية والماء في ميثاقه عائد الى العهد ويجوز أن يكون عائداً الى اسم الله تعالى وقوله ان يوصل بدل من الماء التي في به اي ما امر الله بأن يوصل فهو في موضع جر به

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف الله الفاسقين المذكورين في الآية فقال هم «الذين ينتقضون عهد الله» اي يهدمونه لايفنون به وقيل في عهد الله وجوه ﴿ احدها ﴾ انه ما ركب في عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسوله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بُيئت لهم صحته بالأدلة (وثانيها) انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به (وثالثها) ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه «من بعد ميثاقه» هو ما اخذوا عليهم

في التوراة من اتباع محمد (ص) والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو وجودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكنانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم لبيئته للناس ولا يكتفون وانهم ان جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبري (ورابعها) انه العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز ان يحتج على عباده بمهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله تعالى «ويقطعون ما امر الله به ان يوصل» معناه امروا بصفة النبي (ص) والمؤمنين فقطعوا عن الحسن وقيل امروا بصفة الرحم والقربة فقطعوا عن قتادة وقيل امروا بالايان بجميع الانبياء والكتب ففروا وقطعوا ذلك وقيل امروا بان يصلوا القول بالعمل ففروا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر يوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من أعدائه وهذا أقوى لأنه أعم ويدخل فيه الجميع وقوله «ويفسدون في الارض» قال قوم استدعواهم إلى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها والأولى حملها على العموم «او تلك هم الخاسرون» اي اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك رأس ماله وروي عن ابن عباس ان كل ما نسب الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين فإنما عنى به الكفر وما نسب إلى المسلمين فإنما عنى به الدنيا

قوله تعالى (٢٨) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله

﴿ الاعراب ﴾

كيف في الاصل سؤال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فتقول مسرورا أو مهموما وما اشبه ذلك فتجيب باحواله فكيف ينتظم جميع الاحوال كما ان كينتظم جميع المدد وما ينتظم جميع الجنس واين ينتظم جميع الاماكن ومن ينتظم جميع العقلاء ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره امتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق او للمؤمنين اي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جاز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى او جاءكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا او تقديرها لأن الماضي لا يكون حالا وقد انما يكون لتقريب العهد لتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالا

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الله تعالى إلى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث ووجودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال «كيف تكفرون بالله» ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجا منكم على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسائه وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال «وكنتم امواتا فأحياكم» اي وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انهم كانوا امواتا في اصلا بآبائهم يعني نطفة فأحياهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها

ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة (وثانيها) ان معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس وابن مسعود (وثالثها) ان معناه كتم امواتا يعني خايمي الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امرئ خامل ميتا وكل امرئ مشهور حياً كما قال ابو نخيلة السعدي
فَأُحْيِيَتْ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الَّذِي كُرِّ أُنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ
(ورابعها) ان معناه كتم نطقاً في اصلاب آباءكم وبطون امهاتكم والطفقة موت فاخرجكم الى دار الدنيا احياء ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمساءلة «ثم اليه ترجعون» اي يعيشكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسي الحشر رجوعاً الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجوع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره وانما بدأ الله تعالى بذكر الحياة من بين سائر النعم التي انعم بها على العبد لان اول نعمة انعم الله بها عليه خلقه اياه حياً لينفعه وبالحياة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده الى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف اولم كنتم طوالا ار قصارا وما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم

قوله تعالى (٢٩) **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (آية)

﴿اللغة﴾

اصل الخلق التدبير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسيت الجمعة جمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للموئذ والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى كانه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيويه اذا ارادوا المبالغة عدلوا الى فيعل نحو عليم ورحم

﴿المعنى﴾

قال المفسرون لا استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم الله تعالى خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال «هو الذي خلق لكم» اي لا جلكم «ما في الارض جميعاً» ما في موضع نصب بأنه مفعول بها ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنيوية فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلا وقوله «ثم استوى الى السماء» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان معناه قصد للسماء وتسويتها كقول القائل كان الامير يدبر امر الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اي تحول تدبيره وفعله اليهم (وثانيها) انه بمعنى استوى على السماء بالقهر كما قال لتستروا على ظهوره اي تقهروه ومنه قوله ولا بلغ أشده واستوى اي تمكن من امره وقهرهواه بمقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء في تفرد به بملكها ولم يجعلها للأرض ملكا خلقه ومنه قول الشاعر
فَلَمَّا عَلَوْنَا وَأَسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ **تَرَكَنَاهُمْ صَرَعى لِنَسْرِ وَكَاسِرٍ**
وقال آخر^(١)

ثُمَّ أَسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ **مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ**

(وثالثها) ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضايه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس (ورابعها) ماروي عن ثعلب احمد بن يحيى انه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال

(١) الكاسر : العقاب . (٢) القائل : البعيث .

الاستواء الاقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلا على فلان [يشتمه] ثم استوى علي والي يكلني على معنى اقبل الي وعلي فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله «فسويهن سبع سماوات» التسوية جعل الشئين او الاشياء على استواء يقال سويت الشئين فانستويا وانما قال فسويهن فجمع الضمير العائد الى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماء وسماء ولذلك يؤنث مرة ويذكر اخرى فقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الماء نحو نخل ونخلة ويتر وبقرة وقيل ان السماوات كانت سماء فوق سماء فهي في التقدير واحدة وتكون الواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرقة اعشار وارض اعقال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا آمت قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لأن الافلاك تتحرك وتدور والسموات لاتتحرك ولا تدور لقوله ان الله يسلك السماوات والارض ان تزولا وهذا قول ضعيف لأن قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكها لزالته عنها

سؤال

ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء لأن ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى والارض بعد ذلك دحاها بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحاها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحاها بسطها ومدحا عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز أيضا ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الآيات الترتيب في الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتبنيح عليها والاذكار لها كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما في اللفظ كان متأخرا لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد التذكير كما ذكرناه وقوله «وهو بكل شيء عليم» ولحق قدر لأنه لا وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فإنه اراد ان يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فتصحق بذلك النعمة وفي هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر وعالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى على الكفار نعماء يجب شكره عليهم بها وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لأنه ذكر انه خلق ما في الارض لمنفعة العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل

قوله تعالى (٣٠) واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا انجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون (آية)

اللغة

القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد يقال رب الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالأنف واللام الا لله تعالى واصله من ربيته اذا قت بأمره ومنه قيل للعالم رباني لأنه يقوم بأمر الامة والملائكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى انه من الآلوة وهي الرسالة وقال الحليل الآلوة الرسالة وهي المألكة والمألكة على منعة وقال غيره انما سميت الرسالة آلوكا لأنها تولك في النعم اي تخضع والفرس تألك اللجام وتملك قال عدي بن زيد

أبينا النعمان عني مألكا أنه قد طال حبسي وانتظاري
ويروي ملاء كل قال ليبيد وغلالم أرسلته أمة بالوك فبدلتنا ما سأل

(١) وفي نسخة المطبوعة والمخطوطة «برمة» وهي بالضم: القدر من الحجارة ومعنى برمة اعشار: القدر المكسور على عشر قطع.

وقال الهذلي
 أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرُّسُولِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الخَبَرِ
 فالملائكة على هذا وزنها مفاعلة لأنها مفاعلة مقابضة جمع مَلَأَكُ في معنى مالك قال الشاعر
 قَلَسْتُ لِأَنْبِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ تَنْزَلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

فوزن ملائكة مفعول مقلوب مَأَلَكُ مفعول ومن العرب من يستعمله مهبوزا والجمهور منهم على القاء حركة الهززة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب ابو عبيدة الى ان اصله من لاء اذا ارسل فلألك على هذا القول مفعول وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم في هذين الوجهين زائدة وذهب ابن كيسان الي انه من الملك وان وزن مَلَأَكُ فَعَالٌ مثل سَمَأَلٌ وملائكة فمأنة فاليم على هذا القول اصلية والمهززة زائدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبية على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السموات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون للملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجمع والحلق والفعل والاحداث نظائر الا ان الجمل قد يتعلق بالشيء لا على سبيل اليجاد بخلاف الفعل والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة العمل تغيير الشيء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث اليجاد والحقيقة والامام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيلحق به وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فياقتدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال بعضهم دَمِيٌّ على وزن فَعَلٍ قال الشاعر

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بِالخَبَرِ اليَقِينِ

وقيل اصله دَمِيٌّ على وزن فعل والشاعر لا رد الياء في الثانية لقلة الاسم حركة ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التزيه لله تعالى عن السوء واما لا يليق به والسبح المستحق للتزيه والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى سيويه ان منهم من يقول سَبَّوحٌ قَدُّوسٌ بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقيس لأنه ليس في الكلام فَعُولٌ إِلاَّ ذُرُّوحٌ وسبجان اسم المصدر قال سيويه سبجان الله معناه براة الله من كل سوء وتزيه الله قال الاعشى

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فِي فَخْرِهِ سُبْحَانَ مَنْ عَظَمَةَ الفَاخِرِ

اي براة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية
 سُبْحَانَهُ نَمٌّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَهُ ^(*) سَبَّحَ الجُودِيُّ وَالْجُمْدُ
 وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان متزاها لأنه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو عبيدة اذ ههنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الفاعل وقال الزجاج ومعناها الوقت ولما ذكر الله تعالى خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم اذ قال ربك للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره اذ قال ربك للملائكة فوضع اذ نصب على اضرار فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله انجمل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستئناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان يمثلها سيويه ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم

(*) هكذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة وفي لسان العرب وقبلنا وولله الاصح

ج ١

اي اذ طائفة وكذا ههنا اذ نحن نسبح والعامل في الحال ههنا اتجمل كأنه قال اتجمل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا والباء في بحمدك تتعلق بنسح واللام من لك تتعلق بتقدس وما موصولة وصلته لا تعلمون والمعاند ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع النصب باعلم

﴿ المعنى ﴾

اذ كرهما محمد «اذ قال ربك للملائكة» قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس «اني جاعل» اي خالق «في الارض خليفة» اراد بالخليفة آدم (ع) فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق لانه تعالى كان اعلم ملائكة انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمي الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عني بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلفوا اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لأن النبي (ص) قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجمل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ أن خلقا يقال لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبث الله ملائكة أجلتهم من الارض وكان هو لا الملائكة سكان الارض من بعدهم فقالوا يا ربنا «اتجمل فيها من يفسد فيها» كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين (وثانها) ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لاعلى وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكأنهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فمررتنا ما وجه الحكمة فيه (وثالثها) ان الله تعالى اخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والتعرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على وجه علمه بالتبليغ لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم آدم أنه خلق للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجمل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا من التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بان سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله «اتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» ونحن نسبح بحمدك وتقدس لك» في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله «اني اعلم ما لا تعلمون» اختصار ايضا لانه يتضمن اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنون على ظواهر الامور ومثل هذه الحذف السجينة والاختصارات البديعة كثيرة في القرآن والحذف معدود في انواع النصاحة اذا كان فيها ابتي دليل على ما لقي وما جاء منه في الشرع قول الشفري

وَلَا تَقْبِرُونِيْ اِنْ قَبْرِيْ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ وَلٰكِنْ خَامِرِيْ اُمِّ عَامِرٍ

اي لا تدفوني بل دعوني تاكلي التي يقال لها خامر ي اُم عامر يعني الضبع وقول ابي داود (١)

اِنْ مِنْ شَيْمِيْ لَبَدْلٍ تِلَادِيْ دُونَ عِرْضِيْ فَاِنْ رَضِيْتِ فَكُونِيْ

اي فكروني على ما انت عليه وان سخطت فبيني لحذف وقال عنقرة

هَلْ تُبَلِّغُنِيْ دَارَهَا شَدِيْئَةً لُعِنْتَ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ

اي دعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقاة اذا كانت لا تتج كانت اقوى على السير وانما ارادت الملائكة بقولهم اتجمل فيها من يفسد فيها ولد آدم الذين ليسوا بانياء ولا معصومين لا آدم

(١) كذا في نسخةنا المخطوطة والمطبوعة لكنه معروف ابو داود راجع شرح شواهد مجمع البيان ج ١ ص ١٩٦ .

نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء والمصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله سبحانه تسبيحا لأن معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بأنه اهل لأن يتزه ويعظم ويشقى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله فلولا انه كان من السبعين اي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير

قَبِحَ الْإِلَٰهَ وَجُوهَ تَنْبَلِ كُلَّمَا
سَبَحَ الصَّحِيحُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَ

وقوله وتقدس لك اي نزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبايح فاللام على هذا زائدة اي تقدسك وقيل تقدس لك اي نصلي لاجلك وقيل نظرهم انفسنا من الخطايا والمعاصي قوله «اني اعلم ما لا تعلمون» قيل اراد ما اضره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لا امره الله سبحانه بالسجود لا دم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير المصالح وروي عن ابي عبد الله قال ان الملائكة سألت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقديسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا ما علمهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله تعالى آدم بعد هبوطه ان يبني له في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كالاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة اني اعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل القبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد في الجواب متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافضل ما هو الاصلح

﴿النظم﴾

واتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم له علينا وهي نعمة الحياة ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابيتنا آدم عليه السلام وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فضل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا

قوله تعالى (٣١) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ أهل المدينة واهل البصرة هو لام بعدة واحدة ولا يمدونها الاعلى قدر خروج الأنف ويمدون اولاً كأنهم يحملونه كلمتين والباقون يمدون مدتين في كل القرآن فاما الممزتان من كلمتين نحو هو لاء ان كنتم صادقين ونحوها فابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب يهزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسرة اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفتحتين تلتزمان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البقاء ان أردن والمضمومتان او لياء او لتك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان جاء أحدكم وشاء أنشره وابو عمرو واليزي بهززة واحدة فيقر كان احديهما اصلا اذا كانتا متفتحتين ونافع برواية اسماعيل وابن كثير برواية ابن فليح بتلين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفتا فاتفقوا على همز الاولى وتلين الثانية نحو السفهاء ألا والبغضاء إلى يوم القيامة فاما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهزون همزتين في جميع ذلك متفتحتين كانتا او مختلفتين اما الحذف والتلين فالتخفيف واما الممز فلحمل على الأصل

﴿اللفظة﴾

في اشتقاق آدم قولان ﴿احدهما﴾ انه مأخوذ من ادحم الارض فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته

صرفته (والثاني) أنه مأخوذ من الأدمة على معنى اللون والصفة فإذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والأدمة والسُّمرة والدُّكَّة والوَرَقَة متقاربة المعنى وآدم ابو البشر عليه السلام قال صاحب العين الأدمة في الناس سُرْبَة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته للأحاطة بالأبغاض يقال أَبْعَضُ القوم جَاءَكَ ام كلهم ويكون تأكيداً مثل اجمعون الا أنه يبدأ في الذكربكل كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون لأن كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تبعا والعرض من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يدح به او يذم ويقال عرضه خليفته المحموده ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب والعرض ما يعرض في الجسم ويغير صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضا اي اظهرته حتى عرفت جهته والانباء والاعلام والأخبار واحد والنبأ الخبر ويقال منه انبأته ونبأته وانبئوني باسماء هؤلاء اي اخبروني بها وأما المتعدي الى ثلاثة مفاعيل نحو انبأت زيدا عمراً خير الناس وكذلك نبأت فهو هذا في الاصل الا أنه حمل على المعنى فعدي الى ثلاثة مفاعيل لأن الانباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجها عن الاصل الذي هو له من الاخبار وعن أن يتعدى الى مفعولين احدهما بالباء او بمن نحو نبئهم عن ضيف ابراهيم والنبوة اذا اخذت من الانباء فهي مبهوزة وقد روي عن النبي (ص) انه قال لا تنبئن باسمي لرجل قال له يا نبي الله مبهوزا والنبي بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والأخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الأدلة على الشيء والخبر هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم ولا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلما بذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم ابان سبحانه وتعالى للملائكة فضل آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وتعالى «وعلم آدم الاسماء كلها» اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضية بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقرؤا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه لا علم لهم بها فقال الله تعالى «يا آدم أنبئهم باسمائهم» عن قتادة وقيل انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعبارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن اكثر المتأخرين وقيل أنه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح (ع) فلما اهلك الله الناس الا نوحا ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روي عن الصادق (ع) انه سئل عن هذه الآية فقال الارضين والجبالي والشعاب والادوية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه وقيل انه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لأن معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والاقوات والقاب الاشياء تتغير على طول الأزمنة وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية اسماعيل (ع) وقالوا ان الله جعل الكلام معجزة لثلاثة من الانبياء آدم واسماعيل ومحمد (ص) ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الاسماء فقيل علمه بأن اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له

لكونه ناقضا للعادة وقيل علمه ايها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل انما علمه اسماء الاشخاص بان احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها في كل لغة وأنه لا شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر وقوله «ثم عرضهم على الملائكة» روي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فأجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يشي على بطنه ومنهم من يشي على رجلين ومنهم من يشي على اربع اجري عليهم كناية من يعقل وفي قراءة النبي ثم عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدتها الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الاشياء فصارت كأنهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعجزهم فان الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفتة كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذرا ممن عرض عليه شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين ذلك ان آدم عليه السلام اصلح لكدخدائية الارض وعمارتها لاهتدائه الى مالاتهدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحوث الارض وزراعتها وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقمر البحار بلطائف الحكمة وهذا يقوي قول من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفة الامور الغيبية عنكم اعجز فقال «انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان اللطائف فيها وجوها من الكلام ﴿احدها﴾ ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بأنه جاعل في الارض خليفة هجس في نفوسها انه إن كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته لم يكن في الارض فساد ولا سفك دم كما يكون في ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال الله تعالى «انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» فيا ظنتم من هذا المعنى ليدلم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد (وثانيها) انه خطر ببالهم انه لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلم فقيل «ان كنتم صادقين» في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء (وثالثها) ان المراد ان كنتم صادقين في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانبئوني بأسماء هؤلاء لان كنتم صادقين لان كل واحد من الامرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما لتعلمون الآخر عن ابن عباس (ورابعها) ما قاله الاخفش والحياتي وعلي بن عيسى وهو ان المراد «ان كنتم صادقين» فيا تخبرون به من اسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القائل لغيره (اخبر بما في يدي ان كنت صادقا) اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الامع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشترط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الامر ومعناه التنبه او يكون امرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم انه لا يحسن الجواب لينبه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك ان كنت تعلم او ان كنت صادقا لكان حسنا فاذا تنبه على انه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج اثبت في قلبه وواقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك تكليفا لانه لو كان تكليفا لم يكن تبيينا لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفي هذه الآية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تعريف آدم (ع) اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله به على من سواه

قوله تعالى (٣٢) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير

أَبْنِي حَنِيفَةَ أَحْكِيمُوا سُفَهَاكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

اي امنوم والحكمة هي التي تقفبك على مر الخ الذي لا يخطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شأنه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكما والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل

﴿ الاعراب ﴾

سبحانك نصب على المصدر قال سيوريه سبعت الله تسيحا وسبحانا فالمصدر تسيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا يتعلق بمحذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لان لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتا موصول وصلة والضمير من علمتا العائد اليه محذوف تقديره ما علمتا وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون مبتدأ والجملة خبر ان

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره فقال «قالوا» اي الملائكة «سبحانك» اي تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم النيب احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل أنهم ارادوا ان يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب لسوء المم عما لا يعلمونه وقوله «لاعلم لنا الا ما علمتنا» معناه انا لانعلم الا بتعليمك وليس هذا فيما علمتنا ولو أنهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سألهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقرهم على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله ويرفع به درجة آدم عندهم بأنه علمه ما لم يعلموه وقوله «انك انت العليم» اي العالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته وهو بمالفة العالم وقيل أنهم اثبتوا له ما نفوه عن انفسهم اي انت العالم من غير تعليم ونحن المعلومون وقوله «الحكيم» يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ أنه بمعنى العالم لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بها فيما لم يزل لأن ذلك واجب في العالم لنفسه (والثاني) أن معناه المحكم لأفعاله ويكون فعلا بمعنى مفعول وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروي عن ابن عباس أنه قال «العليم» الذي كل في علمه «والحكيم» الذي كل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك لأن العلوم لا تتخلو اما ان تكون ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الأدلة عليها فلا علم لأحد الا ما علمه الله تعالى

قوله تعالى (٣٣) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي عن ابن عامر انبئهم بالمهززة وكسر الما. والباقون بضم الما.

﴿الحجة﴾

من ضمّ الماء حملها على الاصل لأن الاصل أن تكون هاء الضمير مضمومة وانما تكسر الماء اذا وليها كسرة او يا نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمه قوم حملا على الاصل ومن كسر الماء التي قبلها همزة مخففة فإن لذلك وجهها من القياس وهو انه اتبع كسرة الماء الكسرة التي قبلها ولم يعدد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء ورأيت المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا في اللغة الاخرى هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض العرب اخذت هذا منه ومنها ومنهسي فكسر المضمرة في الادراج والوقف ولم اعرفه ولم اضربه

﴿اللغة﴾

الابداء والاظهار والاعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بديايدوبدو آمن الظهور وبديايدوبدا بالهمزة بمعنى استأنف وقال علي بن عيسى الرماني حد الظهور والحصول على حقيقة يمكن ان تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بأدلة باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانها ونيسهرشي بظهور غيره

﴿الاعراب﴾

آدم منادى مفرد معرفة مبني على الضم ومحل النصب لأن النادى مدعو والمدعو مفعول

﴿المعنى﴾

ثم خاطب الله تعالى آدم فقال «يا آدم انبئهم» اي اخبر الملائكة «بأسمائهم» يعني بأسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المرادين بقوله اسماء هو لاء وقدمضى بيانه «فلما انبأهم» يعني اخبرهم آدم «بأسمائهم» اي بإسم كل شي ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة «الم اقل لكم» الالف للتنبية وان كان اصحابها الاستفهام كقول القائل (اما ترى اليوم ما اطيه) لمن يعلم ذلك وحكى سيويه اما ترى اي برق ههنا ومن الناس من قال ان هذه الالف معناها التوبيخ ومن لم يجز على الملائكة العصية منع من ذلك «اني اعلم غيب السموات والارض» اي اعلم ما غاب فيها عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتوه «واعلم ما تدون وما كنتم تكتمون» قيل فيه اقوال ﴿احدها﴾ أنه اراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لأن الاصول الاول التي يستدل بها انما تذكر على وجه التنبية ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على انه خلق عباده على ما خلقهم عليه الاستصلاح في التكليف وما توجه الحكمة (وثانها) انه اراد اعلم «ما تدون» من قولكم التجمل فيها من يفسد فيها «وما كنتم تكتمون» من اضمار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولأنه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس لما دخل معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبري (وثالثها) ان الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله فقالوا ان يخلق الله خلقا الاكثرا كرم منه وفضل عنده فهذا ما اخفوه وكنوه واما ما ابدوه فقولهم «التجمل فيها من يفسد فيها» روي ذلك عن الحسن والاول اقوى لأنه اعم وتما يسأل في هذه الآية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب والجواب أنه على معنى الجواب فيما سألو عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لأنه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لبادي فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالا حلة في الجواب على العلم بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله والتسليم لقضائه لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يعلمون عليه فإن قيل فأي شي في تعليم الله تعالى آدم الاسماء كلها ما يدل على علمه بالغيب فالجواب قيل انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتح لسانه بذلك

والمامه اياها فهي معجزة اقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذي لا يوصل اليه الا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بأن قررههم اولا فاقروا بأن لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان آدم يعلمه بتعليم الله اياه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علمه الله في نفسه وفيه من المعجزة انه فتح لسانه على خلاف مجرى المادة وانه علمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكدا لما يعلمونه من ذلك بالدلالة العقلية ولذلك نبههم فقال «الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض» اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد (ص) قال السيد الاجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الآية سورة لم اجد احدا من مفسري القرآن تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسماء السمييات وهي لم تكن عالمه بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انبأهم آدم بالاسماء علموا صحتها ولو لا ذلك لم يكن لقوله تعالى «الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض» معنى ولما كانوا ايضا مستفيدين بنبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك اتفاقا يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة ما اخبر به ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضرورة ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف اسما الاجناس في لغته دون لغة غيره الا انه يكون احاطة عالم واحد بأسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبية على نبوة آدم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء ولقته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبش في باسما هو لا ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذا الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة آدم وان اخباره بالاسماء كان مفتوح معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتاج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق

قوله تعالى (٣٤) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث وقع وكذلك قل رب احكم بضم الباء.

﴿ الحجة ﴾

اتبع التاء ضمة الجيم وقيل انه نقل ضمة الهنزة لو ابتدئ بها والاول اقوى لان الهنزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل

﴿ اللغة ﴾

السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة كالركوع والقنوت وغيرهما

وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سَجَدُوا سَجْدًا اذا خضع قال الاعشى

مَنْ يَلْقُ هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ
 إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ الرَّأْسِ أَوْ خَضَعًا
 وَقَالَ آخَرُ (٢) فَكَلَّمْنَا هُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسَهَا
 كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَخْتَفِ

ونساء سجد اذا كن فارتات العين قال (ولم يوي) إلى حور المدامع سجد) و الاسجد الاطراق وادامة النظر في

(١) [فيه] (٢) [ضرورة] (٣) وفي النسخ التي عندنا «ير» بدل «يلق» (٤) والقائل: ابو الاسود العنقاني .

فتور وسكون قال (١) **أَعْرَكَ أَيْ مَنَى أَنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا وَإِسْجَادَ عَيْنَيْكَ الصُّبُودَ دِينِ رَابِعٌ**

والج معنى ترك الطاعة وامتنع والإباء والتكبر والامتناع بمعنى وتقيض الجواب ورجل أبي من قوم أباء وليس الإباء بمعنى الكراهة لأن العرب تسمدح بانها تأتي الضيم ولا مدح في كراهية الضيم وإنما اللدح في الامتناع منه كقوله تعالى ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون أي يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظيم والتجبر ونظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار الأنفة مما لا ينبغي ان يوفى نفسه وقيل حده الرفع للنفس الى منزلة لا تستحقها فأصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر الشأن والله سبحانه الكبير من كبر الشأن وذلك يرجع الى سعة مقدراته ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف في المعرفة للتعريف والحكمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب سواستدلوا على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس ووزنه افعل وانشدوا للعجاج

يَأْصَاحُ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسًا

وزعموا انه لم ينصرف استقلالا له من حيث انه اسم لا نظيره في اسماء العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي لا تنصرف وزعموا ان اسحاق من اسحقه الله تعالى اسحاقا ويوب من ابويوب وادريس من الدرر في اشباه ذلك وغلطوا في جميع ذلك لأن هذه الألفاظ معربة وافقت الألفاظ العربية وكان ابو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم ان الطير ولد الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لأنهم يقولون إزميل للشفرة وإغريس للطلع وإحريض لصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب إضريج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل ابليس سبيل الخيل في انه معرب غير مشتق

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا في موضع نصب لأنها معطوفة على اذا الاولى وقوله لآدم آدم في موضع جر باللام لا ينصرف لأنه على وزن افعال فاذا قلت مرت بآدم وآدم آخر فان سيويه والخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لأنك اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان فيها لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته ان تصرف فتقول وآدم آخر وقوله اسجدوا الأصل في همزة الوصل ان تكسر لا لتقاء الساكنين ولكنها ضمت لاستئصال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثة مضموما في الفعل المستقبل نحو قوله انظروا واقتلوا يوسف وليس في كلام العرب فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب وهو في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة.

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما آتاه آدم عليه السلام من الاعظام والاجلال والازام فقال واذا ذكر يا محمد «اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» والظاهر يقتضي ان الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وفي هذا تأكيد للعموم وقال قوم ان الأمر كان خاصا لطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الأرض من الجن واختلف في سجود الملائكة لآدم على أي وجه كان فالروى عن أئمتنا عليهم السلام انه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديسه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث انه امرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان الفضول لا يجوز تقديسه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم البلخي وجماعة انه جعله قبة لهم فأمرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لا امتنع ابليس من ذلك

ولما استعظمت الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكريمته مثل قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولولم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعالى بان لم يامر بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الآخر الذي لاتفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقناة والشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه قال وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سما الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى عليهم السلام وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره واحتجوا على صحة هذا القول باشياء **● احدها** قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه (وثانيها) قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ففني المعصية عنهم نفيا عاما (وثالثها) ان ابليس له نسل وذرية قال الله تعالى افتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس اب الجن كما ان آدم اب الانس وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن الثوري في قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون (ورابعها) قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا التمسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وانما استثناءهم لانه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وقيل ايضا ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيويه

وَالْحَرْبُ لَا يَنْفِي لِحَا
جَمْعًا التَّخِيلُ وَالْمِرَاحُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي اللَّهِ
جَدَاتِ وَالْقَرَسُ الْوَقَّاحُ

وكتول النابغة (وما بالربع من احد) (الا الأواري) ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله (ع) قال سألت عن ابليس اكان من الملائكة او كان يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره واما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بأنه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فان الامر انما يتناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذا وزيدنا بيانا قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلنا انه من جملة المأمورين بالسجود وان لم يكن من جملتهم وهذا كما إذا قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل البصرة كان مأمورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول في الآية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله تعالى كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الاعشى قيس بن ثعلبة

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا أَوْ مُعَمَّرًا
لَكَانَ سُلَيْمَانَ الْبَرِيَّ مِنَ الدَّهْرِ

بَرَاهُ إِلَهِي وَأَصْطَفَاهُ عِبَادَةً
وَسَخَّرَ مِنْ جَنِّ الْمَلَأْنِكِ تِسْعَةَ
وَمَلَكُهُ مَا بَيْنَ نُونَا إِلَى مِصْرَ
قِيَامًا لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرٍ

وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبالاً منهم قالوا الملائكة بنات الله واجابوا عن الثاني وهو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الآية بأنه صفة لحرقة النيران لالجميع الملائكة فلا يوجب عصية لتبرهم من الملائكة واجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب في ابليس شهوة النكاح تظليظاً عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز ان يكون الله تعالى لا اهبطه الى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا واما قولكم ان الملائكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار فان الحسن قال خلقوا من النور والنار والنور سواه وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن حديد قال انشد ابو حاتم

وَنَارٍ قَدْ حَصَّاتُ بُعِيدَ وَهْنِ
سِوَى تَرْجِيلِ رَاِحِلَةٍ وَعَيْنِ
أَتَا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ
فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ
بِدَارٍ مَا أُرِيدُ بِهَا مَقَامًا
أَكَلِيهَا مَخَافَةَ أَنْ تَنَامَا
فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا
زَعِيمٌ يَخْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا
وَلَكِنْ ذَاكَ يُنْقِبُكُمْ سَقَامَا
لَقَدْ فَضَّلْتُمْ بِالْأَكْلِ فِينَا

فهذا يدل على انهم لا يأكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الأخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث لأن ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد قيل انهم يتشمون ذلك ولا يأكلونه واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل الملائكة رسلاً بان هذه الآية معارضة بقوله تعالى الله يصطنى من الملائكة رسلاً من الناس لأن من للتبعيض وكلا القولين مروى عن ابن عباس وروى عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسي ابليس وكان صغيراً فكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وابتلى ابليس فذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهاداً ولا اكثر علماً منه فلما تكبر على الله وابتلى بالسجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً وسماه ابليس واما قوله تعالى وكان من الكافرين قيل معناه كان كافراً في الأصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافقة وقيل اراد كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى فكان من المفرقين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمناً بما معه من المعرفة بالله تعالى وان فسق بإبائه وهذا ضعيف لأننا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلاً كما اذا رأينا من يسجد للصنم علمنا انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلّفوا في صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة ولأبليس وقيل بوحى من الله الى من بعثه اليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل وقيل ان الله تعالى اظهر فلما دلهم به على انه امرهم بالسجود فإن قيل لم حكم الله بكفره مع ان من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع الى ترك السجود خلاصاً من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره بالتبسيح ولم يراهم بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبراً ورداً على الله تعالى أمره ومن تركه الآن كذلك يكفر ايضا ومنها انه استخف بنبي الله وازدرأه وهذا لا يصدر الا من معتقد الكفر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذي اباه وتركه والالم يصح وصفه بالإبائه ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم ابليس

بترك السجود عندهم انما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة المرجية له
قوله تعالى (٣٥) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ اللفة ﴾

السكون والاطمئنان والهدوء ونظائر والسكن بسكون الكاف العيال واهل البيت والسكن بالفتح المثل
والسكن الرحمة والبركة في قوله ان صلاتك سكن لهم والزوج بطرح الما. قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب
والاكل والضغ والقمم متقارب وضد الاكل الأزم وسأل عمرو بن الخطاب الحرث بن كعدة طيب العرب فقال
يا حار ما الدواء فقال الأزم اي ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء. قال ابن دريد الرغد
السهة في العيش والمشيئة من قبيل الارادة وكذلك العجة والاختيار والايثار وان كان لها شروط ذكرت في اصول
الكلام والقرب الدنو قرب الشيء. يقرب قربا وقرب فلان اهل يقرب قربانا اذا غشيها وما قربت هذا الامر قربانا
وقربا والشجرة ما قام على ساق وجسمها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذ من الشجر لاشتباك
اغصانه والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال
الله تعالى كلما الجنين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص وقيل اصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم من اشبه
اباه فاطلم اي فوضع الشبه في غير موضعه وكلاما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمصومين

﴿ الاعراب ﴾

قوله اسكن انت وزوجك استفتح عطف الظاهر على الضمير المستكن والمتصل فقال اسكن انت وزوجك
الجنة فانت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت فلو عطفه على
الضمير المستكن لكان اشبه في الظاهر عطف الاسم على الفعل فاتي بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغدا منصوب
لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال اكل رغدا اي واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من
قوله كلا قال الخليل يقال قوم رَغَدَ ونساء رَغَدَ وعيش رَغَدَ ورغيد قال امرؤ القيس

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ فَأَيْمًا يَا مَنْ الْأَحْدَاثُ فِي عَيْشِ رَغَدٍ

فعل هذا يكون تقديره وكلا منها متوسعين في العيش وحيث مبني على الضم كما تبني الناية نحو من قبل
ومن بعد لأنه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الناية من الاضافة وانما يأتي بعده جملة اسمية او فعلية في
تقدير المضاف اليه ولا تقريبا مجزوم بالنهي والالف ضمير الفاعلين وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون
جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار أن وأن مع الفعل في تاويل اسم مفرد واذا قدر اضمار أن بعد الفاء كان
ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فيكون الكلام جملة واحدة لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه وانما سميته جوابا لمشابهة الجراء
في ان الثاني سببه الاول لأن معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثاني ان يكون معطوفا
على النهي فيكون مجزوما وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه ما امر به آدم (ع) بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم بما اوجب له به من الاعظام واسجد
له الملازمة الكرام فقال عز اسمه «وقلنا» وهذه نون الكبرياء. والعظمة لانون الجمع «يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة» اي اتخذتوا امرأتك الجنة مسكنا وماوى لتاوي اليه وتسكن فيه انت وامراتك واختلف في هذا الامر

ف قيل انه امر تمعد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله «وكلا» اباحة وقوله «ولا تقربا» تمعد بالافتاق وروى عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن وبقي آدم وحده استوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها وروى ان الله تعالى التي على آدم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند راسه امرأة فسألها من انت قالت لمرأة قال لم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لأنها خلقت من حي ففندها قال الله تعالى «اسكن انت وزوجك الجنة» وقيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لأن ما هذه صفته لا يجوز ان ينتقل الى غيره او يخلق منه حي آخر من حيث هو، دي الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لأنها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل وقيل لأنها أم كل حي واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقال ابو هاشم هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد أُنْها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنات الدنيا في الأرض وقال ان قوله اهبطوا منها لا يقتضي كونها في السماء لأنه مثل قوله اهبطوا مصرأ واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك ولم يحتج الى دلالة وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لأن الألف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان تكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها تنفى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله «وكلا منها رغدا» اي كلا من الجنة كثيرا واسما لا عناه فيه «حيث شئنا» من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناءه «ولا تقربا هذه الشجرة» اي لا تأكلا منها وهو المروي عن الباقر (ع) فعناه لا تقرباها بالأكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالأكل بلا خلاف لا بالذنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لها سواتهما واختلف في هذا النهي فقيل انه نهى التحريم وقيل انه نهى التزهر دون التحريم كن يقول لغيره لا تجلس على الطرقت وهو قريب من مذهبنا فان عندنا ان آدم كان مندوبا الى ترك تناول من الشجرة وكان بالتناول منها تلو كما نغلا وفضلا ولم يكن فاعلا لتبحيح فان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القباح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم (ع) على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل الصد او السهو او التأويل وانما قلنا انه لا يجوز موقعة الكبار على الاقبياء عليهم السلام من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الدم والعقاب لأن المعاصي عندنا كلها كبار وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لأن الاحاط قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلامعصية الاويستحق فاعله الدم والعقاب واذا كان الدم والعقاب منفيين عن الانبياء عليهم السلام وجب ان يتني عنهم ساثر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شي من ذلك لثغر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا تجوز عليه شيئا من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منقرا عنه من الخلق المشوهة والهيات المستنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم (ع) لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهى عنها آدم فقيل هي السنبله عن ابن عباس وقيل هي الكرمه عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروى عن علي (ع) وقيل هي شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة عن ابن جذعان وقوله «فتكرونا من الظالمين» اي تكرونا بأكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لن نجس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه بقوله تعالى حكاية عن ايوب اني

كنت من الظالمين حيث نجس نفسه الثواب بترك المندوب اليه واختلقوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من اهل العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله في الجنة موبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لأن ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما ان يكونوا متعبدين بالمعرفة اولا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بدء من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتداء خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى المعرفة ويلجئهم الى فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يودي الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب قوله تعالى (٣٦) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُبْتَقِرٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة فأزلمها بالألف والباقون فأزلمها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ أزلمها قال ان قوله اسكن انت وزوجك معناه اثبتا فثبتنا فازلمها الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فأزلمها انه يحتمل تأويلين احدهما كسبها الزلة والآخر ازل من زل اي عثر ويدل على الوجه الأول ما جاء في التفسير من قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمها اني لكما لمن الناصحين وقوله فوسوس لها الشيطان الآية وقد نسب كسب الشيطان لزلة الى الشيطان في قوله انما استزلها الشيطان واستزل وازل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه الى غيره كذلك عثاره وزلله

﴿ اللغة ﴾

الزلة والخطينة والمعصية والسينة بمعنى واحد وضد الخطينة الإصابة يقال زلت قدمه زلا وزل في مقاته زلة والمزلة المكان الدخض والمزلة الزلل في الدخض وانزلت الى فلان نعمة اي اسديت وفي الحديث من أزلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير

وَإِنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لَمَثْنٍ وَصَادِقٌ عَلَيْهَا بِمَا كَانَتْ إِنَّا أَزَلْتِ

والأصل في ذلك الزوال والزلّة زوال عن الحق وأزله الشيطان اذا ازاله عن الحق والمهبط والنزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو الى سفلى ويقال هبطته واهبطته والمهبط كالحذور وهو الموضع الذي يهبطك من اعلى الى اسفل وقد يستعمل المهبط بمعنى الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصراً ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير

مَا زِلْتُ أَرْمُهُمْ حَتَّىٰ إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَأْسٍ فَلَقًا

والعدو نقيض الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقا. وضد القرار الاتعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ متقاربة المعنى وكل شي تتمتع به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع ستة اشهر يدل عليه قوله تعالى توهني اكلها كل حين بإذن ربها والحين يصلح للأوقات كلها الا انه في الاستعمال في الكثير منها اكثر

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال «فأزلهما الشيطان» أي حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان لما وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها أي عن الجنة وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمثولة والشيطان المراد به ابليس فأخرجهما مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون اراد اخراجهما من الجنة حتى اهبطا ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية وازاد الاخراج اليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الأمر ولم يكن اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض على وجه العقوبة لأن الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام لا تجوز عليهم القبائح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء فقد اساء عليهم الثناء واعظم القرية على الله سبحانه وتعالى واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقترض الحكمة والتدبير الالهي اهباطه الى الأرض وابتلاءه بالتكليف والمشقة وسلبه ما ألبسه اياه من ثياب الجنة لأن انعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كماله ان يفقر بعد الاغناء ويمت بعد الاحياء ويستقم بعد الصحة ويعقب المعنة بعد المنحة واختلف في كيفية وصول ابليس الى آدم وحواء حتى وسوس اليهما وابلليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة قليل ان آدم كان يخرج الى الباب الجنة وابلليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض وبعد ان اخرج من الجنة عن ابى علي الجبائي وقيل انه كلمها من الأرض بكلام عرفاه وفهامه منه وقيل انه دخل في قعر الحية وخاطبها من قعرها والفقهاء جانب الشدة وقيل انه راسلها بالخطاب وظاهر القرآن يدل على انه شافهما بالخطاب وقوله «وقلنا اهبطوا» خاطب بخطاب الجمع وفيه وجوه ﴿ احدها ﴾ انه خاطب آدم وحواء وابلليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر للنبي (ص) لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني انه اراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولأنه لم يتقدم للحية ذكر والكنائية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس مثل قوله حتى وارت بالخطاب وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم

أماوي ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاقت بها الصدر

(والثالث) انه اراد آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بها (والرابع) ان يكون الخطاب يختص بآدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لأن الاثنين اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمان وقد تأول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان (والخامس) آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله «بعضكم لبعض عدو» يعني آدم وذريته وابلليس وذريته ولم يكن من آدم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده للمعون وخالفه فنشأت بينهما العداوة ثم ان عداوة آدم له ايمان وعداوة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني آدم وبني ابليس وليس ذلك بأمر بل هو تحذير يعني ان الله تعالى لا يأمر بالعداوة فالامر مختص بالهبوط والمعادة يجري مجرى الحال لأن الظاهر يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذي يتضمن أن الخطاب يختص بآدم وحواء فالمراد به ان ذريتهما يعادي بعضهم بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها وقوله «ولكم في الارض مستقر» أي مقر ومقام وثبوت بان جعل الارض قرار لكم «ومتاع» أي استمتاع «الى حين» الى وقت الموت وقيل الى يوم القيامة وقيل الى فناء الآجال أي كل امرئ مستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكم في الارض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال «الى حين» أي الى حين

(١) الشدق بفتح الشين وكسرهما : زاوية الفم من باطن الخدين . (٢) ماوي اسم زوجة حاتم على ما قبل . والحشرجة :

تردد صوت النفس والفرغرة عند الموت . (٣) وفي نسختين مخطوطتين «امر» بدل «امرئ» ولعله أنسب .

تقطاعه والفرق بين قول القائل ان هذا لكم حيناً وبين قوله الى حين ان الى يدل على الانتهاء. ولا بد أن يكون له ابتداء. وليس كذلك الوجه الآخر وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصدّ احداً عن الطاعة ولا يخرجها عنها ولا يسبب المعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسبته الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان لوسوسة ابليس تثيراً في المعاصي

قوله تعالى (٣٧) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير آدم بالنصب وكلمات بالرفع وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات

﴿ الحجة ﴾

حجة ابن كثير في نصب آدم انه في المعنى كلقراءة الاخرى فان الافعال التعدية على ثلاثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول فاعلاً نحو ضرب زيد عمروا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كما سنده الى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خيرو نلت خيراً واصبني شيء. واصبت شيئاً وتلقاني زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الآية قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وفي حرف عبد الله فيا قيل لا ينال عهدي الظالمين

﴿ اللفظة ﴾

التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه اي اخذت وقبلت واصله من لقيت خيراً فتعدى الى مفعول واحد ثم يعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو تلقيت زيدا خيراً كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ومطالعة تلقيته بالقول اي قبلته منه ومن ذلك قول ابي مهدية في آيات من القرآن تلقيتها من عمي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته يعنون في قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمة فوقت على القليل من الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد واما الكلام فان سيويه قد استعمله فيما كان موثقاً من هذه الكلم وعلى هذا جاء التثنية قال الله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني به قوله تعالى فان رجلك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل ان تخرجوا معي ابداء الا ترى الى قوله كذلك قال الله من قبل يقال كلمته تكليماً وكلاماً وتكلم تكليماً والكلم الجرح يقال كلمته اكلمه واصل الباب التأثير والكلم اثر دال على الجرح والكلام اثر دال على المعنى الذي تحته والذي حوره المتكلمون في حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة اذا وقع بمن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسبوقة المتييزة لتمييز من الكتابة التي ليست بمسبوقة ويتميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بتمييزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاماً انه لا يكون مفيداً اذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القاسم البلخي والتوبة والاقلاع والانابة في اللغة نظائر وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتوابع ومعناه انه يقبل التوبة من عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط فانه تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله تعالى بندمه على معصيته

﴿ المعنى ﴾

قوله «فتلقى آدم» اي قبل وأخذ وتناول على سبيل الطاعة «من ربه» ورب كل شيء «كلمات» وافى قوله

فتلقى عن ان يقول فرغيب الى الله بهن او سألته مجتهد لان معنى التلقي يفيد ذلك وينبغي عما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى «فتاب عليه» لأنه لا يتوب عليه الا بان سأل بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ماهي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان في ذلك اعتناء بالخطية فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقته لانا بة وقيل هي قوله اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمجدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمجدك رب اني ظلمت نفسي فارحمي انك خير الراحمين اللهم لا إله الا أنت سبحانك وبمجدك رب اني ظلمت نفسي فتاب الله عليك انت التواب الرحيم عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر وقيل وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام ان آدم رأى مكتوبا على العرش اسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم عليه السلام الى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته قوله «فتاب عليه» فيه حذف اي تاب آدم فتاب الله عليه اي قبل توبته وقيل تاب عليه أي وفقه للتوبة وهداه اليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته «انه هو التواب» اي كثيرا القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة وقيل ان معناه انه يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها وقوله «الرحيم» انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليها لأنه اختصر وحذف للايجاز والتعليق كقول سبجانه وتعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوه ما قوله واذا رأوا تجارة او هموا انفضوا اليها وكقول الشاعر

رَمَانِي يَا مَرِكُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (١)

وقول الآخر

نَحْنُ يَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ يَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

فكذلك معنى الآية فتاب عليها وقال الحسن البصري لم يخلق الله آدم الا للأرض ولو لم يعص لأخرجه الى الارض على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للأرض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى

فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها

اعلم ان من شروط التوبة الندم على ما مضى من التبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في التبع فإن هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة اذا كانت من ترك الذنب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلما انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر يعلم او يمتد بقبحه فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع عن قبيح لقبه مع انه يفعل قبيحا آخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن يحجب عنها عند الآيات الست وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال سآ طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعني الموت وأمر العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الآيات تحجب وعند بعضها يجوز أن لا تحجب والله اعلم

(١) الجول بضم الجيم : جدار البئر . العزوى كقضى : البر العنوبة اي المنيبة بالحجر ونحوه .

قوله تعالى (٣٨) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب فلا خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف في هداي وتحريك اليا. وروي عن الاعرج بسكون اليا. وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروى بعضهم هُدًى وهي لفة هذيل يقلبون الالف الى اليا. ليا. التي بعدها لأن شأن ياء الاضافة ان يكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها اذ الالف لا يتحرك فهو مثل على ولدى وقالوا هَوًى قال ابو ذؤيب
سَبُّوا هَوًى وَأَعْنُوا السَّيْلِيهِمْ^(١) فَتَخَّرُوا مَوًى وَكَلَّلَ جَنْبٍ مَضْجَعُ

﴿ اللفظة ﴾

المبوط التزول من موضع عال الى استفال وقد يستعمل في هبوط التزلة قال لبيد

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلْ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنْ الْعَدَدِ
إِنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلْفَنَاءِ وَالْفَنَدِ^(٢)

والايتان والمجي. والاقبال نظائر ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والافتداء والاحتذاء. نظائر والتابع التالي وفي الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبعية وللدبقرة وثلاثة اتبعت والجمع اتابع والتبعية الظل والحواف والجزع والنزع نظائر ونقيض الخوف الأمن وطريق مخوف يخافه الناس ومخيف يخيف الناس والحزن والنعم والمهم نظائر ونقيضه السرور يقال حزين حزنًا وحزن حزنًا ويقال حزنه وأحزنه وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه الأمر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى الماضي قالوا احزنه وهذا شاذ نادرا لانه استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلظ الهمم مأخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الارض

﴿ الاعراب ﴾

إما هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التأكيد في الفعل ولو اسقطت لم يجز دخول النون لأنها لا تدخل في الخبر للواجب الا في القسم او ما أشبه القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك تقول بعين ما أرينك ويجهد ما تبلى وفي عصمة ما يبتن شكيرا ولو قلت بعين ارينك بغير ما لم يجز فدخول ما هاهنا كدخول اللام في انها تو. كداول الكلام وتو. كد النون آخره والامر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكن معه ما اذ كان الامر والنهي بما يشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبهة اذ كان معناه اخباري والنون انما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح ما قبل النون في قوله يا آتيناكم لسكون اليا وسكون النون الاولى قال ابو علي ولو كان كذلك لما حرك في نحو هل تضرين ونحوه من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التبع. الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجزائه لأن الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي مبتدا وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك ان التي للجزاء اذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صلح ان يكون جزءا وغير جزءا تقول ان تأتني فانت مكرم ولك أن تقول ان تأتني فن يكرمك اكرمه فقوله اما يا آتيناكم شرط ويا آتيناكم في موضع الجزم بأن وجزاؤه الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي الآية ومن في موضع (١) هكذا في النسخ والمعروف كما في لسان العرب وغيره لمواهم وبطل مضجع مصرع (٢) الفند: الفناء وضمف الراي

الرفع بالابتداء. وتبع في موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم جملة اسمية ولاهم مجزئون جملة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزء. لقوله من تبع هداي والشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنته من في موضع رفع بأنها خير المتبدا الذي هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداي الآية في موضع جزم بأنه جزء. لقوله اما يأتيكم وهذا في المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المركب عليه (١)

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى اهباطهم الى الارض فقال «اهبطوا» أي انزلوا والخطاب لآدم وحواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فماتقدم واختلف في تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابي علي وقيل انما كثر للتأكيد وقيل انما كثر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ان الاهباط انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله «قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى» ان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحباً وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فإما يأتينكم مني هدى أي بيان ودلالة وقيل أنبياء. ورسول وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لآدم وحواء وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين «فمن تبع هداي» أي اقتدى برسلي واهتدى ادلتي فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من العقاب ولاهم مجزئون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لأن من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وفي هذه الآية دلالة على ان الهدى قيلت ولا اهتداء وان الاهتداء انما يقع بالاتباع والتبؤل قوله تعالى (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والآيات جمع آية ومعنى الآية في اللفظة العلامة ومنه قوله تعالى عيدا لاؤلنا وآخرنا وآية منك أي علامة لأجابتك دعائنا وكل آية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الآية انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها وقيل ان الآية القصة والرسالة قال كعب بن زهير

أَلَا أَيْلِنَا هَذَا الْمَعْرَضَ آيَةً أَيْقِظَانَ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أَمْ حُلْمٌ

أي رسالة فلي هذا يكون معنى الآيات القصص أي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف مدالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصجبة المقارنة فالصاحب هو الحاصل مع آخر مدة لأنه اذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن صاحباً له لكن يقال صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه

﴿ الاعراب ﴾

موضع اولئك يحتمل ثلاثة أوجه ﴿احدها﴾ أن يكون بدلا من الذين أو عطف بيان واصحاب النار بيان عن اولئك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني أن يكون ابتداء وخبراً في موضع الخبر الاول والثالث ان يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك هذا حلو حامض فإن قيل فلِمَ دخلت الفاء في موضع آخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم يدخلها هنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبهة بالجزاء

وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر واذا قلت مالي فهو لك ان اردت ما بمعنى الذي جاز وان اردت به المال لم يجز

﴿ المعنى ﴾

«الذين كفروا» أي جحدوا «وكذبوا بآياتنا» أي دلالاتنا وما أنزلناه على الانبياء «ف» أو لك اصحاب النار أي الملازمون للنار «هم فيها خالدون» أي دقرون وفي هذه الآية دلالة على أن من مات مصراً على كفره غير نائب منه وكذب بآيات ربه فهو مضلد في نار جهنم وآيات الله دلالة وكتبه المذلة على رسله والآية مثل الحجة والدلالة وان كان بينهما فرق في الاصل يقال دلالة هذا الكلام كذا ولا يقال آيته ومن استدلل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قديكون من الكفر بقوله وكذبوا بآياتنا فتولده يفسد بأن التكذيب نفسه وان لم يكن كفراً فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس وغيره

قوله تعالى (٤٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو الفصح وروي في الشواذ من الحسن والزهري اسرائيل بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاخفش اسرائيل بكسر الهنزة من غير ياء وحكى قطرب اسرائيل من غير همز ولا ياء واسرئين بالنون قال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وأنشد

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لِأَمِّ الْخَزْرَجِ مِنْهَا فَظَلَّتَ الْيَوْمَ كَالْمَزْرَجِ

يريد المزرجن وهو الحمر من الزرجون قال والنون في زرجون اصل كالسين في قريوس فاذا جاز للعرب أن تخلط فيها هو لتتها فكيف فيها ليس من لتتها واختير تحريك الياء في قوله نعمتي التي أنعمت لأنه لقيها ألف الوصل واللام فلم يكن بد من إسقاطها أو تحريكها فكان التحريك أولى لأنه أدل على الاصل وأشكل بما يلحق اللام في الاستئناف من فتح الف الوصل واسكان الياء من قوله يا عبادي الذين اسرفوا أي الاسقاط هنا أجود لأن من حق ياء الأضافة لا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول حذف الياء لأنه رأس آية وروءوس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل يتنوى فيها الوقت كما يفعل ذلك في القوافي وأجمروا على إسقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير فإنه أثبت في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكرامية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء.

﴿ اللفظة ﴾

الأبن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني الا أن الأبن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالأبن مبني على الأبن لأن الأب أصل والأبن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وقيل أصله مضاف لأن إسر معناه عبد وإيل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء بذكره وضده النسيان والذكر جري الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكرك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلاة والدعاء وفي الأثر كانت الانبياء اذا أحزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أي الى الصلاة وأصل الباب التنبيه على الشيء قال صاحب العين قول وفيت بعهدك وفا. وأوفيت لفة تهامة قال الشاعر في الجمع بين اللتين

أَمَا ابْنُ هَوْفٍ هَدَّ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا^(٢)

(١) اي صاحب كتاب العين في اللفظة وهو خليل بن احمد الازدي . (٢) القلاص جمع القلاوس وهي الشابة من النوق

يعني به الدبران وهو التالي والعهد الأمر والعهد الرصية والرهبية الخوف وضدها الرغبة وفي المثل رهوت خير من رحوت أى لأن ترهب خير من أن ترحم

﴿ الاعراب ﴾

يا حرف النداء وهي في موضع نصب لأنه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لأنه مضاف اليه وفتح لأنه غير منصرف وفيه بيان العجبة والتعريف وقوله وايي ضمير منصوب ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله فارهبون لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول ان زيدا في قولك زيدا فاضربه منصوب باضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ وتقديره وايي ارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لأنه استغني عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون الاعلى تقدير محذوف كما أنشد سيويه

وَقَانِلَةُ خَوْلَانُ فَاَنْكَحَ فِتَاتَهُمْ وَأَكْرَمَتُ الْحَيِّنِ خَلَوْ كَمَا هِيَ

تقديره هو لاء خولان فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

﴿ المعنى ﴾

لما عمَّ الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيدهِ وذكَّره ما أنعم به عليهم في ابيهم آدم عليه السلام خص بني اسرائيل بالحجج وذكَّره ما اسدى اليهم والى آباؤهم من النعم فقال «يا بني اسرائيل» يعني يا بني يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها من ابن عباس «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» اراد بذلك النعم التي انعم بها على أسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجانيهم من فرعون ومن العرق على أعجب الوجوه واتزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعدَّ النعمة على آباؤهم نعمة عليهم لأن الاولاد يتشرفون بغضية الآباء وهذا كما يقال في المناخة قتلناكم يوم الفخار وهزمنناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النصارى وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد لا يمكن عدّه وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم بما اختصوا به دون آباؤهم او اشتركوا فيه مع آباؤهم فكان نعمة على الجميع فن ذلك تبقى آباؤهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيدهِ والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والأسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول تكون الآية تذكيرا بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني تكون تذكيرا بالنعم عليهم؛ ومن النعم على اسلافهم ما ذكره في قوله ولذا قال موسى لقومه يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يوت احدا من العالمين وقال ابن الانباري اراد اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة وبيئت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتمكم من تصديقه واتباعه فلما بحث ولم يتبعوه كانوا كالتاسين لهذه النعمة وقوله «واوفوا بعهدكم» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التوراة انه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة واجر باتباعه محمدا وإيمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدكم في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهدا لتأكيد بقرعة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لبينته

(١) الدبران: هو كوكب وقاد تسمى الفلامس وقيل له الدبران لأنه دار الشربا اي جاء خلفها.

للناس ولا تكتمونه (وثانيها) انه العهد الذي عاهدكم عليه حيث قال خنوا ما آتيناكم بقوة اي بجهد واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن (وثالثها) انه ماعد اليهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعضنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي الآية عن قتادة (ورابعها) انه اراد جميع الأوامر والنواهي (وخامسها) انه جعل تعريفه اياهم نعمة عهد اعطاهم وميثاقاً لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم والاول اقوى لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن وقوله «وإياي فارهبون» اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيها دلالة على عظم المصيبة في جحود النعم وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد بكتانها ويدل ايضاً على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن لهم افعال لما صح العهد والأمر والنهي والوعد والوعيد ولأدى الى بطلان الرسل والكتب

قوله تعالى (٤١) **وَأْمِنُوا بِمَا آتَرْتُكُمْ مُصَدَقَاتِ مَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وإياي فاتقون** (آية)

﴿اللغة﴾

قوله اول كافر قال الزجاج يعني اول الكافرين وفيه قولان قال الأخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من البصريين معناه اول فريق كافر به اي بالنبي صلى الله عليه وآله قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافره قال الشاعر

وَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَالْأَمُّ طَاعِمٌ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ

والثمن والعرض والبدل نظائر وبينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان مشبهاً بها ومجازاً والعرض هو البدل الذي ينتفع به كأنه ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمين الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقاً وقد يكون بخساً وقد يكون زائداً والقيمة لا تكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة

﴿الأعراب﴾

مصداقاً نصب لأنه حال من الهاء المحذوفة من أنزلت كأنه قال أنزلته مصداقاً ويصلح ان ينتصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصداقاً ومعكم صلة لا والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم والهاء في به عائد الى ما في قوله بما أنزلت او الى ما من قوله لا معكم ونصب اول كافر لأنه خبر كان

﴿المعنى﴾

ثم قال مخاطباً لليهود «وآمنوا» اي صدقوا «بما أنزلت» على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن لأنه منزل من السماء الى الارض «مصداقاً لا معكم» من التوراة امرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم ان في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة لأن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل فإن فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتوراة لأن فيه الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لأنه يكون حجة عليهم بأن جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام وقوله «ولا تكونوا اول كافر به» اي بالقرآن من اهل الكتاب لأن قريشاً قد كانت كفرت به بكفة قبل اليهود وقيل المعنى «ولا تكونوا السابقين الى الكفر به فيجبكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به عن ابي العالية وقيل المعنى «ولا تكونوا اول جاحدين صفة النبي في كتابكم

فعلى هذا تعود الماء في به الى النبي صلى الله عليه وآله عن ابن جويج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لأنكم اذا جعدتم ما فيه من صفة النبي (ص) فقد كفرتم به قال الزجاج وقواه بأن الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو كان الماء في به للقرآن فلا فائدة فيه لأنهم كانوا يظهرهم انهم كافرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكون اول كافر بالقرآن انه حق في كتابكم وانما عظم اول الكفر لأنهم اذا كانوا أئمة لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روي عن النبي (ص) من سن سنة حسنة فله اجورها واجرم من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليس في نهيه عن ان يكونوا اول كافر به دلالة على انه يجوز ان يكونوا آتوا كافر لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اولا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وليس يريدان فيهم فحشاً أجلاً وقوله «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» روي عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبي (ص) فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الآية قال القراء انما ادخل الباء في الآيات دون الثمن وفي سورة يوسف ادخله في الثمن في قوله وشروه بشن نجس دراهم معدودة لأن العروض كلها انت محتر فيها ان شئت قلت اشترت الثوب بكساء وان شئت قلت اشترت بالثوب كساء ايها جعلت ثمناً لصاحبه جازفاً جئت الى الدراهم والدينار ووضعت الباء في الثمن كقوله وشروه بشن نجس دراهم لأن الدراهم ثمن ابداً والمعنى لا تستبدلوا بآياتي اي بافي التوراة من بيان صفة محمد ونعمته ثمناً قليلاً اي عرضاً يسيراً من الدنيا «وايها فاتقون» فخشوني في امر محمد (ص) لا ما يفوتكم من المآكل والرئاسة وتقيدته الثمن بالقة لا يدل على انه اذا كان كثيراً يجوز شراؤه به لأن المقصود منه ان أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله ايماً آخر لا برهان له به وانما اراد بذلك اثبات البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس

على لا حبر لا يهتدى بمناره إذا سافه العود الدياني جر جراً

وانما اراد أنه لا منار هناك فيهدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم اخذ الرشى في الدين لأنه لا يخلو إيمان ان يكون امراً يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالأخذ على مخالفة كلا الوجهين حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضاً على علماء السوء من هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات والقضايا والقناوى وغير ذلك

قوله تعالى (٤٢) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

اللبس والتغطية والتعمية نظائر والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللباس ما اريت به جسدك ولباس الثموى الحياء واللبس خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الأمر يلبس لبساً وليس الثوب يلبسه لبساً والفرق بين اللبس والاختفاء ان الاختفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لا أجل التعقيد وقال امير المؤمنين عليه السلام للحرث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل

(١) وهو سويد بن ابي كاهل . (٢) العروض بالضم جمع العرض : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدينار

والبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظائر وابطلت الشيء جعلته باطلا
وابطل الرجل جا. بباطل

﴿ الاعراب ﴾

قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على النهي كأنه قال لا تلبسوا الحق ولا
تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والآخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطف الاسم
على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يمكن منكم لبس الحق وكتمانها ودل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب
كان سرا له فكذب يدل على الكذب فكأنه قال من كذب كان الكذب سرا قال الشاعر في مثله

لَاتَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

اي لا تجمع بين النهي عن خلق والاتبان بمثله

﴿ المعنى ﴾

«لا تلبسوا» اي لا تخلطوا «الحق بالباطل» ومعنى لبسهم الحق بالباطل انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض
لأنهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل واقرؤا بغيره مما في الكتاب وقيل معناه لا تحرفوا
الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم ما في الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا
الصدق بالكذب وقيل الحق التوراة التي انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بأيديهم وقيل الحق اقرارهم
ان محمدا مبعوث الى غيرهم والباطل إنكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله «وتكتموا الحق وانتم تعلمون»
اي لا تكتموا صفة النبي (ص) في التوراة وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كما
وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتليس على اتباعهم وهذا تقييد لا يفعلونه اي يجحدون ما يعلمون
وجحد العالم اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل ببني اسرائيل
وما سيقول بن كذب على الله تعالى وقيل معناه وانتم تعلمون ما نزل ببني اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف
يجوز ان يكون هو لا. عارفين بشبهة محمد وذلك مبني على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان
يكفر وهو لا. صاروا كفارا وما تواتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به
الثواب لأن الثواب انما يستحق بان ينظروا من الوجه الذي يستحق به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه
لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله والتوراة وبصفات النبي (ص) وان لم يستحقوا
الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافقوا
بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين وان لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر والمعتمد الاول
قوله تعالى (٤٣) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

أصل الصلاة عند أكثر اهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل ومنه قول الاعشى

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَجِلًا
يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَّامَا
عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتُ فَأَغْتَمِضِي
تَوْمًا فَإِنَّ لِحْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَمًا

أي دعوت وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِيمَ اللَّهِ
وَإِنِّي لِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالٍ

أي ملازم لحرها فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به وقيل أصلها من الصلاة وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود ومنه قول النابغة

قَابَ مُصَلُّوهُ بِعَيْنِ جَلِيَّةٍ (١) وَنُغُوْدِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ

أي الذين جاءوا في صلاة السابق وعلى القول الأول أكثر العلماء وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى والزكاة والنماء والزيادة نظائر في اللغة وقال صاحب العين الزكاة زكاة المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكاً بمدودا أي نما وازداد وهذا لا يزكو بفلان أي لا يليق به والزركا الشفع والحنا الرتر واصله تشييد المال بالبركة التي يحملها الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة قال ابن دريد الرامع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر

وَأَفَلَتْ حَاجِبٌ فَوْقَ الْعَوَالِي عَلَى شَقَاءٍ تَرَكَعٌ فِي الظَّرَابِ (٢)

وقال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتسركبته الأرض أو لاتمس بمدان يطأطأ رأسه فهو راعع قال الشاعر

وَلِكِنِّي أَنْصُ الْعَيْسَ تَدْمِي أَياطِلَهَا وَتَرَكَعٌ بِالْحَزُونِ (٣)

وقال لبيد

أَخْبِرْ أَخْبَارَ الثُّرُونِ أَلْتِي مَصَّتْ أَدْبُ كَاتِي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعٌ

وقيل إنه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر

لَا تُهِنِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالِدَهُرُ قَدْ رَفَعَهُ

والأول أقوى وإنما يستعمل في الخضوع مجازاً وتوسماً

﴿ المعنى ﴾

«واقموا الصلاة» أي أدوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بينتها النبي (ص) « وآتوا الزكاة » أي أعطوا ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملًا فإن بيانه يكون موكولا إلى النبي (ص) كما قال سبحانه وتعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فذلك أمرهم بالصلاة والزكاة على طريق الاجمال وأحال في التفصيل على بيانه وقوله «واركعوا مع الراكعين» انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال الصلاة بعد قوله واقموا الصلاة لأحد وجوه ﴿ احدها ﴾ أن الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس (وثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعي أي صلاتي وإنما قيل ذلك لأن الركوع اول ما يشاهد من الافعال التي يستبدل بها على أن الإنسان يصلي فكانه كره ذكر الصلاة تأكيداً عن لبي مسلم ويمكن ان يكون فيه فائدة تزيد على التأكيد وهو أن قوله اقيموا الصلاة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها وأن يكون الصلاة إشارة إلى الصلاة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصفاً بالصلاة المتقررة في الشرع فلا يكون تكراراً بل يكون بياناً (وثالثها) أنه حث على صلاة الجماعة لتقدم ذكر الصلاة في اول الآية

قوله تعالى (٤٤) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البر في اللغة والاحسان والصلة نظائر يقال فلان بار وصوله عمن وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبرت عينه

(١) وفي نسخة المخطوطة والضبوعة «بغير» بدل «بعين» (٢) قائله : بشر بن ابي حازم. الشقاء : تأنيث الاشق وهو الفرس الطويل. (٣) نص العيس : استحيته شديداً. اي اطلها اي خواصرها.

صدقت وبرحمة وبركتان وقولهم فلان لا يعرف المرء من البر قال الاخفش معناه لا يعرف من يهر عليه من يبره وقال المازني المرء السنور والبر الفارة اودوية تشبها والفرق بين البر والخير ان البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو والظفة نظائر وضد النسيان الذكر وحقيقته غروب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فخذلهم والتهلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة أي قرأ وتلا يتلو تلاوة أي تبع واصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضها والفرق بين التلاوة والقراءة أن اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والمقل والفهم والمعرفة واللب نظائر ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشيء عقلا وعقله غيره وقيل لابن عباس اني لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سوء ول قال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعد أن اهجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت المير اعطته عقلا اذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لأجلها يجتمع الحلي من كثير من المقبحات ويذعن كثيراً من الواجبات وانما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن التقيح وقيل لأنها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شيء عن فعل التقيح وانما لا يختاره لعله بقبحه وبأنه غني عنه ولأنه لا يكتسب علماً بشيء فيثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين التقيح والحسن في الجملة وقيل هو التميز الذي به فارق الانسان جميع الحيوان وهذه الصارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفاً فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل حتى أن بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا توجب الاختلاف في ان المانة اكثر من واحد وان الكل اعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول

المعنى

هذه الآية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقرانهم من المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الايمان بحمد (ص) وبتحيم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالايان بحمد (ص) وترك انفسهم عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يأمرن العرب بالايان بحمد (ص) اذا بحث فلما بحث كفروا به وروي عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يأمرن اتباعهم بالتمسك بالثورة وتركوا هم التمسك به لأن جحدهم النبي (ص) وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة كانوا يأمرن الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروي انس بن مالك قال قال رسول الله (ص) مرت لية اسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا يأمرن الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم أمأمرن الناس بالصدقة وتركونها انتم واذا اتسكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين ختم فيها وقوله «وانتم تتلون الكتاب» معناه وانتم تقرؤون التوراة وفيها صفتها ونعتها عن ابن عباس وقوله «افلا تعقلون» افلا تفقهون ان ما تفعلونه قبيح في العقول وعن ابى مسلم أن معناه هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون أن الله يذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في التوراة حق فتصدقوا محمداً وتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر واجبا والأمر به واجبا فلما ذا وبتحيم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوجبهم الله على الأمر بالبر وانما وبتحيم على ترك فعل البر المضموم الى الأمر بالبر لأن ترك البر من تركه من تركه من لا يأمر به فهو كقول الشاعر
لأنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

ومعلوم انه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وانما اراد النهي من اتيان مثله
قوله تعالى (٤٥) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (آية)
﴿ اللغة ﴾

الصبر منع النفس عن محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه
جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقتل فلان صبرا
وهو ان ينصب للقتل ويجلس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل او يمين يقال فيه قتل صبر ويمين صبر وصبرته
اي حلفته بالله جهد القم وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله آخر فأمر
بقتل القاتل وحبس المسك والخشوع والخضوع والتذلل والإجبات نظائر وضد الخشوع الاستكبار وخشع
الرجل اذا رمى ببصره الى الأرض واختشع اذا طأطأ رأسه كالتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان
الخضوع في البدن والأقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت
الاصوات اي سكنت واصل الباب من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع والتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر^(١)
لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله وانها لكبيرة اللام تدخل في خبر ان ولا تدخل في خبر اخواتها لأنها لام التأكيد فهي شبيهة بأن في
أنها تدخل على المبتدأ وخبره كما تدخل ان وتدخل بمعنى القسم كما تدخل ان تقول والله لتخرجن كما تقول والله انك
خارج فإذا كان بينهما هذه الجانسة فإذا دخلت على أن في نحو لأنها كبيرة كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين
متفقين في المعنى فأختر اللام الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو إنها لكبيرة فاما سائر اخوات ان فتى
تركب مع المبتدأ وخبره خرج المبتدأ من صورة المبتدأ ويصير قما آخر فلا يدخل اللام عليه وإذا لم يدخل عليه
كان بالحري ان لا يدخل على خبره

﴿ النزول ﴾

قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لأهل الكتاب ويتناول
المؤمنين على وجه التأديب والاولى ان يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول
من قال انه خطاب لاهل الكتاب ان ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم

﴿ المعنى ﴾

من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبي (ص) لانهم خافوا زوال
الرياسة اذا اتبعوه فأمرهم الله تعالى فقال «استعينوا» على الرفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من
طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري واتباع رسولي محمدا بالصبر على ما انتم فيه من ضيق
المعاش الذي تأخذون الاموال من عوامكم بسببه وروي من ائمتنا عليهم السلام ان المراد بالصبر الصوم فيكون
فائدة الاستعانة به انه يذهب بالشره وهوى النفس كما قال الصوم وجاء^(٢) وفائدة الاستعانة بالصلاة انه يتلى فيها
ما يرغب فيا عند الله تعالى ويذهب في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة وكان النبي (ص) اذا حزنه امر استعان بالصلاة والصوم
ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تجز ما وعدته لمن اتبع النبي (ص) او على مشقة
التكليف بالصبر اي يجلس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلاة لما فيها من تلاوة القرآن

(١) هو : جرير (٢) قال الجزري الوجاه : ان ترضا شيئا الفعل رضنا شديداً بذهب شهوة الجماع وينزل في قوله
: نزة الخصى ، اراد ان الصوم يقطع النكاح كما يقطع الوجاه

والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والانتثار بأوامره والاتجار عن نواهي وجه آخر أنه ليس في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلاة فأمر بالاستعانة بها وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها ما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله تعالى «وانها لكبيرة» قيل في الضمير في وانها وجوه ﴿اعدها﴾ أنها عائد الى الصلاة لانها الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا في عود الضمير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين قولان ﴿احدهما﴾ ان المراد به الصلاة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها منه ولانها الامم والافضل ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها (والآخر) ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد لذلك قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإذاروا تجارة اولهوا انقضوا اليها والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر^(١)

وَدَّ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُوتًا إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّرَّ الْأَمَّةِ
ولم يقل يعاصيا وقول الآخر^(٢)

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَفَرِيبٌ
ويروي وقيار وقول آخر

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ دَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
وقول الآخر

أَمَّا الْوَسَامَةُ أَوْ حَسَنُ النَّسَاءِ فَقَدْ أُوتِيَتْ مِنْهُ أَوْ أَنَّ الْعَقْلَ مُحْتَكٌ
ومحوذا كثير في الكلام (وثالثها) انه عائد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بها لكبيرة وقوله استعينوا

يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر

إِذَا نُجِيَ السَّفِينَةُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِينَةُ إِلَى خِلَافِ

اي جرى الى السفينة ودل السفينة على السفينة (وثالثها) ان الضمير عائد الى محذوف وهو الاجابة للنبي (ص) عن الاحم او امر اخذت النفس بها أو تأدية ما تقدم او تأدية الصلاة وضروب الصبر عن المعاصي^(٣) او هذه الحليئة عن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانها لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي لتقيلة عن الحسن وغيره والاصل فيه ان كل ما يكبر يتقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله «الا على الخاشعين» اي على المتواضعين لله تعالى فانهم قد وطئوا انفسهم على فعلها وعودوا اياها فلا يتقل عليهم وايضا فإن المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين فانهم اذا علموا ما يحصل لهم من الثوب بفعلها لم يتقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لا يرجو به من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين

قوله تعالى (٤٦) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (آية)

﴿اللفظة﴾

الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْقِيَامِ مَدَجَجٌ سَرَّاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ
وقال ابودول رَبُّهُمْ فَرَجَّتْهُ بِعَزِيمِ
وُغُيُوبِ كَشَفَتْهَا بِظُنُونِ

(١) هو حسان بن ثابت (٢) القائل هو ضاحك بن العارث البرجمي (٣) وفي نسخة مخطوطين «الفاضي» بدل «المعاصي»

وقال المبرد ليس من كلام العرب اظن عند زيد المأبى اعلم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح عن ذلك اوس بن حجر في قوله

الْأَلْمِي الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنُّ
قَالَ آخِرُ قَالاً يَا تَكْمُ خَبْرٌ يَبِينُ
كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشيء ويؤول جميع ما في القرآن من للظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظائر الا أن الظن فيه قوة على احد الأمرين دون الآخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه إن يكون على خلافه فباتجويزه ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند أبي هاشم وبنس برأسه سوى الاعتقاد عند أبي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل احد والظنون البذر التي يظن ان بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يألفه ويكون فيه وأصل الملاقة الملاصقة من قولك التقي الخطان اذا تلاصقا ثم كثرت حتى قيل التي الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجته ان لازم ومتعد وأصل الرجوع العود الى الحال الاولى

﴿ الاعراب ﴾

الذين يظنون في موضع الجر صفة للعاشرين وأنهم بفتح الالف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتملق بالتيار فما يليه يكون مفعولا له وأن المفتوحة الهجزة يكون مع الاسم والخبر في تأويل اسم مفرد وهاتان قد سدت مسد مفعولي يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه مفعولا من الكلام غير مضر كما ان التفاعل في اقامت الزيدان ضد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند أبي علي وفيه قول آخر وهو أن مسد الاسم والخبر في موضع المفعول الاول والمفعول الثاني مضمرة محذوف لطم المخاطب به فكأنه قال الذين يظنون ملاقة ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقوا ربهم تحقيفا عند البصريين والمعنى على اثباتها فإن المضاف اليه هنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة الموت وقال الشاعر

هَلْ أَنْتَ بَاعْتُ دِينَارًا لِحَاجَتِنَا
أَوْ عَبْدَ رَبِّ أَخَاعُونَ بِنِ مَخْرَاقِ

ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة لم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وأنهم اليه راجعون في موضع التصب عطفًا على الاول

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الحاشعين بين صفتهم فقال «الذين يظنون» اي يوقنون «انهم ملاقوا» ما وعدهم «ربهم» عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله إني ظننت أني ملاق حسابيه وقيل أنه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم بنوهم لشدة اشتاقهم من الاقامة على محضية الله قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات في الله ويدل على أن المراد بقوله ملاقوا ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين فَأَعْتَبْهُمْ نَفَقَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ وَلَا خِلَافَ فِي أَنِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَرَى رَبَّهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وجاء في الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا في الله وهو عليه غضبان وليس القاء من الرواية في شيء يقال لقاك الله محابك ولا يراد به ان

يرى اشخاصا وانما يراذ لقاء ما يسره وقوله «وانهم اليه راجعون» يُسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا اليها وجوابه من وجوه ﴿احدها﴾ انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن الي العالية (وثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لأنهم كانوا امواتا فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا (وثالثها) انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق لأنهم في الام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتبديل لنفعهم وضرهم بين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الآية أنهم يُقَرَّون بالنشأة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت الى المعشر رجوعا اليه

قوله تعالى (٤٧) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير اول الآية فيما تقدم وقوله «وأنى فضلتكم على العالمين» قال ابن عباس اراد به عالمي اهل زمانهم لأن امتنا افضل الأمم بالاجماع كما ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام افضل الأنبياء. وبدليل قوله كتم خير أمة أخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي ازال المن والسلوى وما رسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تعريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال ويسهل بها الميثاق وتفضيل الله الياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الآية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم تنظرون فإن قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لأنه لا كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب شكره احتيج الى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل أيضا ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد مفصلا وقيل أنه في الاول ذكرهم نعمه على انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على آباؤهم

قوله تعالى (٤٨) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل مكة والبصرة لا تقبل بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

فن قرأ بالتاء الحق علامة التانيث لتو ذن بأن الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرأ بالياء فلأن التانيث في الاسم ليس بجحيتي فعمل على المعنى فذكر لأن الشفاعة والتشفع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى فن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة

﴿ اللفظة ﴾

الجزاء والكفاة والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجزاه مجازاة وفلان ذو جزاء اي ذو غناء فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقابل مكرورها بشيء يدرأ عنها ومنه الحديث انه قال لا ي بردة في الجذعة التي امره أن يضحى بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو مأخوذ من قولك جزا عني هذا الامر فاما قولهم اجزاني الشيء اي كفاني فهموز وقبول الشيء هو

تلقية والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل لئيجاه النبي . قبائه وقالوا اقبلت المكواة الداء لي جعلتها قبائه قال «واقبلت افواه المروق الكاوياء» والقبول والانتقاد والطاعة والإجابة نظائر وتقيضه الامتاع والشفاعة مأخوذة من الشفع فكأنه سوا ال من الشفع يشفع سوا ال المشفوع له والشفاعة والوسية والقربة والوصة نظائر والشفعة في الدار وغيرها معروفة وانما سميت شفعة لأن صاحبها يشفع ماله بها ويضما الى ملكه والعدل والحق والإنصاف نظائر وتقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل التندية في الآية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه او عدل ذلك صياما والنصرة والعونة والتقوية نظائر وفي الحديث انصر اخاك ظلما أو مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظلما وامنع عنه الظلم إن كان مظلوما وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا امطرت

﴿ الاعراب ﴾

يوما إنتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا يومر فيه بالإتقاء وإنما يومر في غيره من اجله وموضع لا تجزي نصب لأنه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيويه الى ان فيه محذوف من الكلام اي لا يجزي فيه وقال آخرون لا يجوز اضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت وانت تريد اليه اوفيه فهو محمول على المفعول على السعة كأنه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلا أحب اي أحبه وهو قول السراج قال ابو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لا بينهما من المشابهة فإن الصفة تخص الموصوف كما ان الصلة تخص الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبها ان تكون بعد الموصوف كما ان مرتبة الصلة ان تكون بعد الموصول وقد يلزم الصفة في اماكن كما يلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا تعمل الصلة فيا قبل الموصول كما لا تعمل الصلة فيا قبل الموصوف فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة في نحو قوله اهذ الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر كأنه قال لا تجزي جزاء ولا تنفي غناء وقال الرماني الاقرب ان يكون شيئا في موضع حقا كأنه قال لا يودي عنها حقا وجب عليها وقوله لا يقبل منها شفاعا موضع هذه الجملة نصب بالطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا يقبل ايضا مثله فما حذف منه الراجع الى الصفة قول الشاعر (وما شيء سميت بمسبح) والضمير في منها عائد الى نفس على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لأنه ليس المراد به الفرد فلذلك جمع

﴿ المعنى ﴾

لا بين سبحانه نعمه العظام عليهم انذرهم في كفرانها بيوم القيامة فقال «واتقوا» اي احذروا واخشوا «يوما لا تجزي» اي لا تنفي او لا تقضي فيه «نفس عن نفس شيئا» ولا تدفع عنها مكروها وقيل لا يودي احد عن احد حقا وجب عليه فله او لغيره وانما نكر النفس لبيان ان كل نفس فهذا حكمها وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله «ولا يقبل منها شفاعا» قال المنصور حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا يشفعون لنا فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج المصوم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجتمعت على ان للنبي (ص) شفاعا مقبولة وان اختلفوا في كيفية فنحن هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنب المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للطيحين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي (ص) ولأصحابه المتتبعين

والأنمة من اهل بيته الطاهرين ولصاحبي المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبار من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي (ص) أنه قال إني أسفَعُ يوم القيامة فأسفَعُ ويشفَعُ عليّ فيشفَعُ اهل بيتي فيشفَعون وان ادنى المؤمنين شفاعته يشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى مضرا عن الكفار عند حسراتهم على الفاتلهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعة فالتا من شافعين ولا صديق حميم وقوله «ولا يؤخذ منها عدل» اي فدية وإنما سمي الفداء عدلا لأنه يعادل القدي ويأثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر من ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه واما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العبل والعدل القدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحية والعدل القدية وقال الكلبي الصرف القدية والعدل رجل مكانه وقوله «ولا هم ينصرون» اي لا يماونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر يقتصر لهم من الله اذا عاقبهم قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ ابن محيصن يذبحون ابناكم

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني وجه ذلك أن فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكرير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو الحسن

أَنْتَ الْفِدَاءُ لِقَبِيلَةٍ هَدَمْتَهَا وَنَقَرْتَهَا بِيَدَيْكَ كُلُّ مَنْقَرٍ

فكانه قال ونقرتها لأن قوله كل منقر عليه جاء. ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته ولا جمعه لاستعالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس

﴿ اللفظة ﴾

الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة والخلاص والسلامة والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع نجوة لأن الصائر اليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في الهلكة والتنجية يستعمل في الخلاص بعد وقوعه في الهلكة والآل والاهل واحد وقيل اصل آل اهل لأن تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا أنها ابدلت كما قالوا هيات وايهات وقيل لابل هو اصل بنفسه والفرق بين الآل والاهل ان الأهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال آل البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة مأخوذ من الأول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل آل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وآل الحيمة عمده وآل الجبل اطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل للرجل اهله وقرابته قال الشاعر

وَلَا تَبِكْ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتٍ رَأَيْتَهُ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

وقال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فيصيح يقول اهل مكة آل الله قتلنا ما تعني بذلك قال اليسواسميين المسلمون آل الله قال وانا يقال آل فلان للرئيس المتبع وفي شبه مكة لأنها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فاذا جاوزت هذا فإن آل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له افتقر لقبيلته آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة

(١) معيصن بهملتين مصغراً اسمه عمر بن عبد الرحمن بن معيصن وهو قاري اهل مكة مات سنة ١٢٣ واجمع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٧٤ (٢) هو ابن اراكمة النفي .

وفرعون اسم الملك العاقلة كما يقال ملك الروم قيصر وملك القرس كسرى وملك الترك خاقان وملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطة خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر (إن سم خسفا وجهه تريبا) وقيل يحشونكم^(١) وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الايل في الرعي وسوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظائر قال صاحب العين سوء اسم العذاب الجامع للآفات والداء يقال سوت فلانا اسووه مساوة ومساوية واستاء فلان من سوء مثل اهتم من لهمم والسوءة الفعلة التبيعة والسوءة الفرج والسوءة ايضا كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سوء كما يقال رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل سوء فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبيح والنحر والشق نظائر والذبيح فري الاوداج والتذبيح الكثير منه واصله الشق يقال ذبحت المسك اذا فتقت عنه قال

كَانَ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ قَارَةٌ مَسْكٌ ذُيِّعَتْ فِي سَنْتِ

والذبيح الشيء المنبوح والذباح والذبيحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قول النبي (ص) اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والنسوة الاحسان نظائر في اللفظ والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام قال وليلي المرء منين منه بلاء حسنا وقال زهير

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

فالبلاء يكون بالانعام كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الثناء

﴿الاعراب﴾

الامل في اذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والامل فيه نجيناكم ويجوز ان يكون للأستئناف والابتناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على أن الفاء كانت مفتوحة قولهم في جمعه ابتناء على وزن افعال وافعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل واجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه افضل نحو فرخ وافرغ والحذوف من الأبن الواو على ما قلناه لأنها أثقل فهي بالحذف أولى واليه ذهب الاخفش وابو علي القسوي

﴿المعنى﴾

ثم فصل سبحانه في هذه الآية النعم التي اجملها فيا قبل فقال واذكروا «اذ نجيناكم» اي خلصناكم من قوم «فرعون» وأهل دينه «يسومونكم» يازمونكم «سوء العذاب» وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله يذبحون ابتناءكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسيره وقيل اراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فنها انهم جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرقون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضروا عليهم الجزية وكانوا يذبحون ابتناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابتناءكم فطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله «يذبحون ابتناءكم ويستحيون نساءكم» معناه يقتلون ابتناءكم ويستحيون بناتكم يستبقونهن ويدعونهن احياء ليستبدن وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبيح وانما لم يقل بناتكم لأنه ما هن بالاسم الذي يوهول حاملن ليه وقيل انما قال نساءكم على التليب فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار يقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان ويجوز ايضا أن يقع اسم النساء

(١) الخطة : الامر و الحال . العسف : نقصان و الهوان (٢) حشمه : اغضبه . اخجله . آذاه .

على الصغار والكبار كالأبناء وقوله «وفي ذلكم» اي وفي سومكم العذاب وذبح الأبناء «بلا من ربكم عظيم» اي لما خلق بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل وقيل في نجاتكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم

﴿ القصة ﴾

والسبب في قتل الابناء ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرق القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن روءياه فقالوا أنه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع التوابل من اهل مملكته فقال لمن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بهن فكن يفتلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رويدوس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها

قوله تعالى (٥٠) وَإِذْ فَارَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قرأ الزهري واذا فرقنا بكم مشددة قال ابن جني فرقنا اشد تفريقا من فرقنا فعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر

﴿ اللفظة ﴾

الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطائفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه كل فرق كالطود العظيم والفرق الحرف وفي الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالدينة والبحر يسمى بحرا لاستبحاره وهو سعة وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبقر اذا اتسع وتمكن والباحر الاجمق الذي اذا كلم بتي كالمهوت والعرب تسمي الماء الملح والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعني الملح والعذب واصل الباب الاتساع واما اللج فهو الذي لا يرى حافته من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية بحر وبالاضافة الى جذة ونحوها ليست ببحر والفرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الفرق كما انها ضد الهلاك واغرق في الأمر إذا جاوز الحد فيه واصله من فرغ السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين يقال نظرت الى كذا ونظرت في الكتاب وفي الأمر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك معناه اتوقع فضل الله ثم فضلك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكير واصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو البصر والنظر بالقلب الاقبال بالفكر به نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقية النظر هو تقليد الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا «اذا فرقنا بكم البحر» اي فرقنا بين المائتين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينها تمرون في طريق بيس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا بكم اي بسبيكم البحر لتمروا فيه «فانجيناكم» يعني من البحر والفرق وقوله «واغرقنا آل فرعون» ولم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره في مواضع

كقوله فأغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام عليه لأن الترض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) ويكون الظاهر أن الأمير معهم ويجوز أن يريد بآل فرعون نفسه كقوله بما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقوله «وانتم تنظرون» معناه وانتم تشاهدون انهم يفرقون وهذا أبلغ في الثماتة واطهاد المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتهم اليهم لا يمكنكم ذلك لأنهم كانوا في شغل من ان يروههم كما يقال دور بني فلان تنظر الى دور آل فلان اي هي بازانها وبجيث لو كان مكانها ما ينظر لأنك ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الروية فانهم كانوا قد جازوا البحر وتظاهرت احوال المسيرين على أن اصحاب موسى (ع) رأوا انفراق البحر والتطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للدول عن الظاهر

﴿ القصة ﴾

وجه قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى الي ربي أن يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الالاث وكان موسى في سبائة القوسشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هو لا لشرذمة قليلون وأنهم لانا نأظنون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهيج ذواب فرعون فقالوا يا موسى اودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قدرهتنا بمن معه فقال موسى (ع) عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال امرت أن اضرب بمصايي البحر قال اضرب وكان الله تعالى اوحى الى البحر أن اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر له أفكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضربه فضرب بمصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فأرسل الله ريح الصبا حتى جفت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجروا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال (ع) اللهم أعني على اخلاقتهم البيئة فأوحى الله تعالى اليه ان قل بمصاك هكذا وهكذا بينا وشمالا فأشار بمصاه بينا وشمالا فظهر كالكروى ينظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم فهاب دخول الماء تسئل له جبريل على فرس انثى وديق وتقمم البحر فلما رآها الحصان تقمم خلفها ثم تقمم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء ففرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه وما يسأل عن هذا ان يقال كيف لم يعط الله تعالى كل نبي مثل ما أعطى موسى من الآيات الباهرة لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعث والجواب أن الله ينصب للأعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق على حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان في قوم موسى من بلادة النفس وكلاله الخدن ما لم يمكنه معه الاستدلال بالآيات الحقيقية الا ترى انهم لما عبروا البحر وأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بطلما شاهدوه من هذه الآيات اجمل لنا ألما كما لهم ألما قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وأمة نبينا (ص) من جودة التريجة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه الى التأمل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التفكير فعبات آياتهم متشاكلة لطباعهم المتوقدة ومجانسة لا ركب في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينبي خلاج الشك عن قلب الناظر المستبين وينضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق ويوجه موالج الحق وما يستوي الاعمى والبصير ولا يثبتك مثل خبير

قوله تعالى (٥١) وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة وابو جعفر هاهنا وعدنا بغير الف وفي الاعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالالف وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال ووافقهم الاعشى فيما كان على افتعلت والباقون يدغمون

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ باثبات الألف انه قال لا يخلو ان يكون قد كان موسى وعد أولم يكن سخان كان منه وعد فلا اشكال في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان ما كان منه من قبول الوعد والتحري لأنجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد والقراءة بواعدنا دلالة من الله على وعده وقبول موسى ولأنه اذا حسن في مثل قوله بما اخلقوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار واعدنا ومن قرأ وعدنا بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعد في الحقيقة اذ الوعد انما هو اخبار الموعد بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون قوله بما اخلقوا الله ما وعدوه مجازا حقيقته بما اخبروا انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة في الحقيقة لا تكون الا بين البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعد كما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات واذا يعدكم الله احدي الطائفتين انها لكم والقراءتان جميعا قويتان وحجة من ادغم الذال في التاء من اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيها متغايران

﴿ اللغة ﴾

الوعد والموعد والوعيد والعدة والموعدة مصادر وعدته اعده ووعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما كاعطيت قال وواعدناكم جانب الطور الايمن لجانب مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد في الخير والوعيد في الشر ويجمع العدة على العدرات ولا يجمع الوعد والموعد قد يكون موضعا وقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته في الشر كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واعدته لا يكون الا في الشر والمكارة ويقال اوعدهته بالشر ولا يقال اوعدهته الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خيريناله المخبر في المستقبل او شر وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فهو الماء وسى الشجر وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليفتسلن بالمكان الذي وجد فيه عن السدي وهو موسى بن عمران بن بصير بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عن محمد بن اسحاق بن يسار وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالي الايام على قول للبرد عنى بذلك انك اذا ذكرت الليالي دخل فيها الايام واذا ذكرت الايام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والايام والالهة فاول الشهر الليالي فلذلك ارتخت بالليالي وقلبت على الايام واكتفت بذكر الليالي عن الايام فقالت لشر خلون ولحس بقين جريا على الليالي والليالي الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها وليلة تصغير ليلاء اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها في الليالي وقال بعضهم اصل ليل ليلاة فقصر واتخذ افتعل وفعلت فيه تغذت قال

وَقَدْ تَغَذَّتْ رِجْلِي إِلَىٰ جَنْبِ عَرَزِهَا نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ الْفَطَاةِ الْمَطْرَقِ
قال ابو علي وليس اتخذت من اخذت لأن الهززة لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والسجل البقرة

الصخرة يقال عجل وصجول وهو من السجة لأن قصر المدة كالسجل في الشيء . وقال بعضهم انما حمي سجلا لأنهم عجلوا فاتخذوه كما قبل أن يأتيهم موسى

﴿ الاعراب ﴾

قوله واذا واعدنا موسى اربعين ليلة لا يخلو تعلق الاربعين بالوعد من ان يكون على أنه ظرف او مفعول ثان فلا يجوز أن يكون ظرفا لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا في بعضها فيكون جوابا لمتى وانما الموعدة تقتضي الاربعين فاذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني والتقدير واعدنا موسى انتضاء اربعين ليلة او تسعة اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين في قوله فتم ميعات ربه اربعين ليلة فالميعات هو الاربعون وانما هو ميعات وموعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم الميعات معدودا هذا العدد وقد جاء الميعات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد في قوله الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع آخر واليوم الموعد ويبين ذلك قوله فتم ميعات ربه اربعين ليلة وفي الآية واذا واعدنا موسى اربعين ليلة وليلة تنتصب على التبيين والتشبيز للعدد والاصل في بيان العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام التام الذي ينتصب بعده ما يكون فضلا منه ومعنى تمام الاسم هاهنا هو تركيب هذا النون الذي تتسمه معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه متمم بشي . آخر وبينها شبه آخر وهو أن في الجملة التي من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفعل وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليفيد اي نوع من الانواع هو فينصب على هذا المعنى ولذلك قال سيويه ان في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يميز بين الاسم الاول وما يجيء به التام فالتون في اربعين هو بمنزلة الفاعل الذي يميز من ان يسند الفعل الى المفعول فيسند الى الفاعل وينتصب المفعول لذلك والتون يتم الاسم الاول فينتصب الاسم الذي بعده واما قوله اتخذتم فان اتخذتم على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله الهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والاخر يتعدى الى مفعولين كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء . فقوله ثم اتخذتم العجل من بعده تقديره اتخذتم العجل الهة فحذف المفعول الثاني لأن من صاغ عجلا وعمله لا يستحق الوعيد والانتصاب من الله تعالى

﴿ المعنى ﴾

واذكروا «اذا واعدنا موسى» أن نوبته الألواح فيها التوراة والبيان والشفاء على رأس «اربعين ليلة» او عند انتضاء اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذ كروا مضمر فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فاذا هاهنا مطروفة على الآيات المتقدمة وهذه الأربعة اربعون ليلة هي التي ذكرها الله في سورة الاعراف فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واقمتها بشرا وهي ذوات العدد وعشرون من ذي الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدم الله ازال التوراة والشرايع فحلف موسى اصحابه واستخلف هارون عليهم فكث على الطور اربعين ليلة وانزل عليه التوراة في الألواح وقوله «ثم اتخذتم العجل» اي اتخذتموه الهة لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه (ص) لمن المصورين فالمراد به من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة وقوله «من بعده» اي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتوراة وقيل من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات والكل محتمل «وانتم ظالمون» اي مضررون بانفسكم بما استحقتم من العقاب على اتخاذكم العجل الهة

﴿ القصة ﴾

روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من اهل بابل قيل كان اسمه ميحا وقال ابن عباس اسمه موسى

(١) هذا هو الظاهر لكن في النسخ التي عندنا «هذه» مكان «هنا» . اي تركيب هذا النون الذي تتسم ذلك الاسم

ابن ظفر وكان من قوم يمدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان اظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هارون في بني اسرائيل قال هارون لقومه قد علمتم اوزار من زينة القوم يعني آل فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا واستبدوا بها فقال هارون تطهروا وانفسكم منها فانها نجسة واوقد لهم نارا فقال اقدفوا ما كان معكم فيها فاجعلوا آتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقدفون به فيها قال وكان السامري رأى اثر فرس جبرائيل (ع) فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهارون يا نبي الله الذي ما في يدي قال نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن أنه مما يجي به غيره من الحلي والامتعة قذف فيها وقال كن جبلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا الهكم وآله موسى فكفروا عليه واجهوه حيا لم يجروا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صارت العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لأنه من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجري العادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حيث فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حيا تأول الحوار على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالحوار ودعاهم الى مبادته فاجابوه وعبدوه عن النبي علي الجبائي

قوله تعالى (٥٢) ثُمَّ غَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللنة ﴾

الغو والصفح والغفرة والتجاوز نظائر قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه عفا الله عنك ماخوذ من قولهم ضفت الريح الاثر اذا ددسته وعته فغو الله محوه الذنوب عن العبد وقال الرماني اصل الغو الترك ومنه قوله فمن عني له من اخيه شي. اي ترك فالغو ترك القوبة والغو أحل المال وأطيبه والغو المعروف والنعاة والمغنون طلاب المعروف والنعاة من الطير والدواب طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مشرة فما اكلت العافية منها إلا كتب له صدقة والعافية دفاع الله عن العبد والنعاة التراب قال زهير (على أثر من ذهب للنعاء) والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة

﴿ المعنى ﴾

«ثم غفونا عنكم» اي وضعنا عنكم العقاب الذي استحقتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم اياه إلهاً وقيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل إلهاً «لعلكم تشكرون» لكي تشكروا الله على غفوه عنكم وسائر نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضناكم للشكر وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى ان الغو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليذكروه ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللنة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعا على نفسه فالنعمة تقتضي منعها غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مستقرضا غير القرض وقد يصح ان يمغن الانسان الى نفسه كما يصح ان يبني اليها لأن الاحسان من الحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا يتنفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا تستضر به كان مسينا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذي يستحقه المؤمن لأن المؤمن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافي وهو التساوي وليس كذلك الشكر ففي المكافاة للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقه وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لأن الواجب

لا يكون الامتنانها وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن ليتمهي الى حد لا يجوز له الاذدياد لعظم نعمة الله سبحانه وضرر شكر المبد

قوله تعالى (٥٣) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَكُمْ تَهْتَدُونَ (آية)

﴿ اللقمة ﴾

الفرقان مصدر فرقت بين الشئين افرق فرقا وفرقانا ويسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم يبدد الفرقان لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذ آتينا» اي اعطينا «موسى الكتاب» وهو التوراة «والفرقان» اختلفوا فيه على وجوه (احدها) وهو قول ابن عباس ان المراد به التوراة ايضا ولما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول عنزة (اقوى واقرب بعد أم المهيم) وقال عدي بن زيد

وَقَدَّتِ الْأَدِيمَ لِرَأْهِشِيهِ وَأَلْفِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِثْنًا

والين الكذب (وثنيها) ان الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اتاه موسى عليه السلام (وثالثها) ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء (ورابعها) ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره وآتينا موسى التوراة وآتينا عمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله

رَأَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنْ مَوْلَاهُ كَانَ لَهُ وَفَرُّ

يريد ويفتأ عينه لأن الجديع لا يكون للعينين واكتفى بجدع عن يفتأ وقال آخر

يَأَلَيْتَ بَعْلُكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

اراد وحامل الرمح وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وضئف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبرانه آتى موسى الفرقان في قوله ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون» اي لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبيان صفة

قوله تعالى (٥٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وبارئكم وبأمركم وينصرفكم باختلاس الحركة وروى عنه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ما اصله السكون في الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فما اصله الحركة يسكن على ضربين (احدهما) ان تكون حركة بناء والاخر ان تكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين (احدهما) ان يكون الحرف الساكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسع وبابل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسع وبابل وضرب وعلم والاخر ان يكون من كلمتين فيسكن

على تشبيه المنفصل بالتصل نحو قرادة من قرأ ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج (بَاتَ مُتَّصِبًا وَمَا تَكَرَّدَسَا) الا ترى
 أَن تَقِيهِ مِنْ يَتَّقِهِ مِثْلَ كَتَفٍ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ (قَالَتِ سَلَيْسِي اشْتَرِ لِنَا سُورِيًا) ولا خلاف في تجوز اسكان حركة البناء في
 نحو ما ذكرناه من قول العرب والحريرين واما حركة الاعراب فمختلف في تجوز اسكانها فمن الناس من يقول ان
 اسكانها لا يجوز من حيث كان طما للاعراب واما سيويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين وروي قول امرئ القيس

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحْبِبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَأَعْلَى

وقول الآخر (وقد بدأهنيك من الميزر) ومن هذا النحو قول جوير

سِيرُوا بَنِي الْعَمْرِ قَالَا هُوَ آزُ مَنَزِلِكُمْ وَنَهْرُ تِيرِي وَلَا تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ

فشيء ما يدخل على العرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فين تم ادغم نحو
 رَدَّ وَفَرَّ وَعَضَّ كما ادغوا نحو رَدَّ ويفرر ويعض واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في
 الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتعطيل فأما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط
 ولم يخفف نحو جبل كما خفف مثل سُبُعٍ وَكَيْفٍ وعلى هذا المذهب حمل سيويه قول ابي عمرو الي بارئكم فذهب
 الى انه اختلس الحركه ولم يشبها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو
 فله سببه يختلس حسبها اسكانا لضف الصوت به والحقا. وعلى هذا قوله ولا بأسركم وغيره

﴿ اللغه ﴾

البارئ هو الخالق الصانع وبرأ الله الخلق بيروهم برأ اي خلقهم قال امية بن الصلت

أَلْخَالِقُ الْبَارِيُ الْمَصَوْرُ فِي الْإِرْحَامِ مَاءٌ حَتَّى يَبْصِيرَ دَمًا

والفرق بين الباري والخالق ان الباري هو البدئ المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال
 ويرى من المرض يبرأ برأ فهو باري والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الابري بالكسر وفاقطه يرى
 ورجل برا بجمناه وامرأة براء ونسوة براء ولما قوله انا براء فهو جمع بري وأصل الباب انفصال الشيء من
 الشيء ومنه برأ الله الخلق أي فطرهم كأنهم انفصلوا من الدم الى الوجود والبرية فيلعة بمعنى مفعول ولا تهمز
 كما لا يهمز ملك وان كان أصله الهمزة وقيل البرية مشتقة من البري وهو التوب فذلك لم يهمز وقيل مأخوذة
 من برت العود فذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينهما ان القتل نقض بنية الحياة والذبح فري
 الأوداج والموت عند من اثبتة عرض يضاد الحياة والقتل العدو وجمعه اقتال والقتال النفس وفاقه ذات قتال
 اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء. علما اذا ايقنته وتحققته وفي المثل قتل أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها وتقتل الجارية
 للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال

تَقَتَّلْتُ لِي حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتَنِي تَسَكَّتْ مَا هَذَا يَفْعَلُ التَّوَارِكُ

﴿ الاعراب ﴾

﴿ يا قوم ﴾ القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لأنه منادى مضاف والتدا باب حذف الياء لأنه حرف واحد
 وهو في آخر الاسم كما ان التنوين في آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولا كان ياء الاضافة قد تحذف في غير النداء
 لزم حذفه في النداء ويجوز في الكلام اربعة وجوه يا قوم كما قرئ ولا يجوز غيره في القرآن لأن القراءة سنة
 متبعة ويجوز يا قومي انكم بأثبات الياء واسكانه ويجوز يا قومي بأثبات الياء وتحريكه فهذه ثلاثة اوجه في الاضافة ويجوز
 يا قوم على انه منادى مفرد واما قوله يا ليت قومي فإن الياء ثبتت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق في التدا

(١) [و] (٢) [معنى] (٣) قوله : «قتلت ارض جاهلها» يضرب لمن يباشر امرا لا يعلم له به . قوله : «قتل ارضاً

عالمها» يراد بالمثل ان الرجل العالم بالارض عند سلوكها يذلل الارض ويغلبها بعله ، يضرب في مدح العلم .

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذ قال موسى لقومه» الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم «يا قوم انكم ظلمتم انفسكم» اي اضرتم بانفسكم ووضعت العبادة غير موضعها «باتخاذكم العجل» معبودا وظلمتم اياها فظلمتم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه «فتوبوا الى بارئكم» اي ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضار باختصار كأنه لما قال لهم فتوبوا الى بارئكم قالوا كيف قال «فاقتلوا انفسكم» اي ليقتل بعضهم بعضا بقتل البري. المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضهم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع عن ابن اسحاق واختاره الجاني واختلفوا في الأمور بالقتل فروي أن موسى امرهم أن يقوموا صفين فاغسلوا ولبسوا اكفانهم وجاء هارون باثني عشر الفا ممن لم يعبدوا العجل ومعهم الشغار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله على الباقيين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وقيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين فجعل يطن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلى الظلمة فأجلوا عن سبعين الف قتيل وروي أن موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جرير ان السبب في امرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا منهم ممن لم يعبدوا العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بأن العجل باطل فلذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام وقال الرماني لا بد أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم وتغييرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له وتغييره فإن قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللفظ لا يكون لظفا فيا مضى ولا فيا يقارنه فالجواب ان القوم اذا كفوا ان يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لظفا له فيا بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا او يتنعم عن قبيح وهذا كما تقول في عبادتنا بقتال المشركين وان الله تعبدنا بأن نقاتل حتى نقتل او نقتل ومدحنا على ذلك وكذلك روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت تكون شبهة لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم ولو صح ذلك لم يتنعم أن يكونوا امروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تقضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فينا في التكليف واما على القول الآخر أنهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسألة لانهم ما امروا بقتل نفوسهم فظلي هذا يكون قتلهم حسنا لأنه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك نقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لأن في ذلك استسلاما للقبیح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الأنبياء والأئمة عليهم السلام على وجه الظلم وارتقاع التمكّن من المنع غير أنه لا يتنعم من أن يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغييره بأن يصير حسنا لأنه جار مجرى سائر الآلام وليس يعجز ذلك مجرى الجهل والكذب في أنه لا يصير حسنا قط ووجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه وايضا فكما يجوز من الله تعالى ان يميت الحي فكذلك يجوز ان يأمرنا بأمانته ويعوضه على الآلام التي تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه وقوله «ذلكم خير لكم عند بارئكم» اشارة الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله به بدلا لقوله فتوبوا الى بارئكم فقتلوا انفسكم قوله توبوا دال على التوبة فكانها مذكورة وقوله فقتلوا دال على القتل فكانه

قال ان التوبة وقتل النفس في مرضاة الله كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عندنا لكم من ايثار الحياة الدنيا لأن الحياة الدنيا لا تبقى بل تقضى وتحصلون بعد الحياة على عذاب شديد واذا قلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم في نعم دائم لا يزول ولا يبئد وكرر ذكر بارئكم تعظيماً لما اتوا به مع كونه خالفاً لهم وقوله «فتاب عليكم» هاهنا اضرار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل توبتكم «انه هو التواب» اي قابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام «الرحيم» يرحمكم اذا تبتم ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما امروا بالقتل

قوله تعالى (٥٥) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

لن نومن لك اي لن نصدقك يقال آمن به وأمن له بدلالة قوله تعالى قال فرعون آمنتم به وفي موضع آخر آمنتم له والروية الادراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره روية ورأى من الرأي رأياً ورأيت روية يا حسنة والرواء المنظر في البهاء والجمال والمرأة التي ينظر فيها وجمها المراني وترايت بالمرأة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا يتراى احدكم بالمال اي لا ينظر فيه وتراى القوم اذا رأى بعضهم بعضاً وتراى فلان فلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون المنزة من رأيت في كل كلمة يكون راءها ساكنة تقول رأيت اري والأصل اراى واريته فلاناً اريه فاننا مرى وهو مرى والأصل ارايته ارايه واثبتوها في موضعين مرئى وارات الناقة والشاة اذا عرف في لون ضرعها انها قد اقربت والرأى حسن الشارة والهينة قال جرير

وَكَلُّ قَوْمٍ لَهُمْ رَأْيٌ وَمُخْتَبَرٌ وَلَيْسَ فِي تَغْلِبِ رَأْيٍ وَلَا خَبَرٍ

والجهر والعلامة والمأينة نظائر يقال جهر بكلامه وبقراءته جهراً اذا اعلن ورجل جهير ذو روم. وكلام جهير وصوت جهير اي عال والفعل منه جهر جهازة وجرهني الرجل اي راعني جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشيء. مأينة والفرق بين الجهر والمأينة ان المأينة ترجع الى حال المدرك والجهره ترجع الى حال المدرك وقد تكون الروية غير جهره كالروية في النوم والروية بالقلب فاذا قال جهره لم يكن الروية العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة على ثلاثة اوجه ﴿احدها﴾ نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء (والثاني) الموت في قوله فصعق من في السماوات وقوله فأخذتكم الصاعقة و (الثالث) العذاب في قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود

﴿ الاعراب ﴾

حتى نرى حتى بمعنى الى وهي الجارة للأسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر في موضع جو مجتى ثم أن الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول لن نومن من وجهه مصدر وضع موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

«واذا قلتم يا موسى لن نومن لك» اي لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث «حتى نرى الله جبهة» اي علانية فيخبرنا بأنك نبي مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى نرى الله جبهة اي علانية وبعيناً فيخبرنا بذلك وقيل انه لما جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نومن

بأن هذا من عند الله حتى زاه عياناً وقال بعضهم ان قوله جبرة صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوه وتقديره واذ قلتهم جبرة لن نؤمن لك حتى زى الله والاول اقوى «فاخذتكم الصاعقة» اي الموت «وانتم تنظرون» الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسوء ال اسلافهم الرومية من حيث انهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا يسألون تلو نبيهم ان يجعل لهم آلهما غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطورا يقولون لن نؤمن لك حتى زى الله جبرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان الرومية لا تجوز على الله تعالى قال لأنها انكار تضمن امرين دهم على نبيهم وتجوزهم الرومية على ربهم ويؤيد ذلك قوله تعالى فقد سألتوا موسى اكبر من ذلك فقالوا اونا الله جبرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين وتدل هذه الآية ايضا على ان قول موسى رب ارني انظر اليك كان سوء الاقومة لأنه لا خلاف بين اهل التوراة ان موسى عليه السلام لم يسأل الرومية الا دفعة واحدة وهي التي سألتها لقومه

قوله تعالى (٥٦) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

البعث اثاره التي من محله ومنه يقال بعث فلان راحته اذا أثرها من مبركها للسير وبعثت فلانا حاجتي اذا اقتت من مكانه الذي هو فيه للتوجيه اليها ومنه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اي نهته فانتهى بالبعث الجندي يبعثون الى وجهه او في امر واصل البعث الإرسال

﴿ المعنى ﴾

« ثم بعثناكم » اي ثم احييناكم « من بعد موتكم » لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة وقيل أنهم سألوا بعد الافاقة أن يبعثوا انبياء. فبعثهم الله انبياء. عن السدي فيكون معناه بعثناكم انبياء. واجمع المفسرون الاشرذمة يسيرة ان الله لم يكن امات موسى كما امات قومه ولكن غشي عليه بدلالة قوله فلما افاق قال سبحانه تكفبت اليك والافاقة انما تكون من النسيان وقوله « لعلكم تشكرون » اي لكي تشكروا الله على نعمه التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات لمعزة نبينا محمد (ص) واحتجاج على مشركي العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لأنه كان يذكر لهم من اخبار الذين بعثهم الله في الدنيا فكان يوافقهم على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب أن يكون هو لاهل القوم وان اماتهم الله ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل أن الله أعادهم الى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورية قبل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لأحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الامامة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لأن العلم بأن الاحياء بعد الامامة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الامامة الا قريبا من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الانعاش. في أن ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا في زمن النبي (ص) ليكون معجزاً له ودلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند اكثر الامم يجوز اظهار المعجزات على ايدي الأنمة والأولياء والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول وقال ابو القاسم البلخي لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها لأن فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بأن يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز أن لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر

قوله تعالى (٥٧) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوا فَاُولَئِكَ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آية)

﴿ اللنة ﴾

الظلمة والغمامة والسترة نظائر يقال ظللت تظليلاً والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان اي ستره ويقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء. قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مّد الظل والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماما لانه يغمّ السماء اي يسترها وكل ما يستر شيئاً فقد غمته وقيل هو ما ابيض من السحاب والغمّة النطاء. على القلب من الغمّ وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستقيم والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه قوله ابو جهميمون اي غير مقطوع والمنّة قوة القلب وفلان ضعيف المنّة واصل الباب الاحسان فالمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما من الله به عليهم اي احسن به اليهم والسلوى طائر كالمعاني قال الأنخس هو للواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلوة قال (كما انتفض السلوة من بللى القطر) قال الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْدًا لِأَنْتُمْ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نُشِرُهَا

فظن ان السلوى العسل وانما هو طائر قال ابو علي الفارسي وقرىء على الزجاج في مصنف اي عبيد انه العسل قال والذي عندي فيه أنّ السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لتضيقه فيه من فرط طيبه اوقه معانة وعلاج في اقتنائه فالسل لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمي الطائر الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو سلاً اذا تسلى عنه وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رعد يسليه المم والسلوان ماء من شربه ذهب همه فيا زعموا قال (لو اشرب السلوان ماسيت)

﴿ الاعراب ﴾

موضع كلوا نصب محذوف كأنه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لأنه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كأنه قال فظالموا ما امروا به وكفروا هذه التهمة وما ظلمونا

﴿ المعنى ﴾

«وظللنا عليكم الغمام» اي جعلنا لكم الغمام ظلّة وسترة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين «واتزلنا عليكم المن» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انه المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيها) انه شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد و (ثالثها) انه الخبز الرقيق من وهب و (رابعها) انه جميع الثعم التي اتهم بها من الله به عليهم بما لا تمب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين «والسلوى» قيل هو المعاني وقيل هو طائر ابيض يشبه المعاني عن ابن عباس وقوله «كلوا من طيبات ما رزقناكم» معناه قلنا لهم كلوا من الشيء الذي وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذ اكله الذي يفرقناكم اي اعطيناكم وجعلناه رزقاً لكم وقوله «وما ظلمونا» اي فكفروا هذه التهمة وما نقصونا بكفرانهم انحصاراً ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي يتقصرون وقيل معناه وما ضررنا ولكن كانوا انفسهم يضررون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفقه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما تعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى المعاصي

﴿ القصة ﴾

وكان سبب اتزل المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاههم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا

(١) قتله ابو صخر الهذلي و صدره « و انى لتروني لذكرك نفضة » . (٢) قتله رؤبة وعجزه « ما بي غنى عنك و غنيت » .

انا هاهنا قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحب العاقلة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه فصاروا كلها ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ او ستة فكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فإذا هم في مساكنهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهارون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذي ساروا منه فكلوا يضلون عن الطريق لأنهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الارض ولا حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالتمام كما شكروا حر الشمس واتزل عليهم المن والسلوى فكان يستقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلام كان يتزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فن نام في ذلك الوقت لم يتزل نصيبه فذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جرير وكان الرجل منهم اذا اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يجذونه مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسنن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان يتزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذ اولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد

قوله تعالى (٥٨) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا
الْبَابَ مُسَجِّدًا وُقُولًا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر ونافع بن يعفر بالياء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لأنه اشبه بما تقدم من قوله وظللتنا واتزلنا ولأن أكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو في رواية اليزيدي الاستجادة من ادغام الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا في الاعراف ونوح فقر بعضهم هناك خطيئاتهم وذلك لأن اللتين في الاعراف ونوح كتبنا في المصحف بنون الف وهاهنا كتبت بالالف

﴿ اللمة ﴾

الدخول والولوج والاقترام نظائر والفرق بين الدخول والاقترام ان الاقترام دخول على صعوبة وفي الأمر دَخَلَ اي فساد ودخيل امره اذا فسد وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من غيرهم واطلمته على دِخَّة امرى اذا بشئته مكتومك وفلان مدخول اذا كان في عقه او في حبه دَخَلَ والقرية والبلدة والمدينة نظائر قال ابو العباس واصه الجمع وقرية الماء في الحوض اقرية قرىا وقرية الضيف اقرية قرى والقرية الجفنة التي يعمد فيها الطعام للأضياف قال (عظام المقاري جارهم لا يفرغ) وقال الخليل القرية والقرية لثتان والكسر لثة يانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود شدة الانحناء ومنه السجد من النساء وهن القاترات الاعين قال الشاعر (لهوي الى حور المدامع سجد) وقال الآخر (تري الأكم فيها سجداً للحوافر) وحطه مصدر مثل ردة وجة من رددت ووجدت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط والوضع والحض نظائر والحط الحدر من العلو قال امرئ القيس

(كجلمودٍ صخرٍ حطه السيلُ من حلٍ)

وجارية محطولة المتين ممدودة حسنة والنفران والنفر والصفح نظائر يقال غفر الله له ففرانا اي ستأله على ذنوبه والنفر الخطية وثوب ذو غفر اذا كان له زئبرية نسبة ويقال المغفر لتخيطه النعق والنفيدة والمنفرة بمعنى والتفارة خرقة تلف على سية القوس والنفور والمنفار صنع العرفط واغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه (ص) دخل على عائشة

فقال يا رسول الله اكلت مغاير يعني هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاير كما قيل جدث وجدف ويقال جاءوا والجماء
التغير وجاءوا وجاهضوا وجماء النغير اي مجتمعين جما ينطوي الارض والنفر ولد الأروية لانه بأوي الجبال ويستتر
عن الناس ويقال اصبح ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استرله واصل الباب الستر وحد المغفرة الستر الحطية يرفع القربة
والحطية والزلة والمعصية نظائر يقال خطأ النبي خطأ اذا لم يردده واصابه واخطاه اخطأ اذا اراده فلم يصبه
والاول خاطى والثاني مضى والحطيات جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفينات جمع سفينة والخطايا
ايضا جمع خطيئة والمحسن الفاعل للاحسن او الفاعل للحسن يقال احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينها
ان احسن اليه لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار بمعنى
احسن في فعله وتديبه ويقال امرأة حسناء ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي
يدمر اليه القتل وضده القبيح وهو الفعل الذي يزجر عنه القتل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو
الضرر القبيح وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب
اليه يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى في حد الحسن ان يقال هو الفعل الذي اذا فعله العالم به
على وجه لم يستحق الذم

﴿ الاعراب ﴾

حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا في بناءه فيا قبل والجملة بعده في تقدير المضاف اليه وبما يسأل
فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه
ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يتنع ان يكون شبه قبل ونحوه فانما فيه لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان
كان قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان تقع الى المفرد واذا كان كذلك فكان المضاف اليه محذوف منه
كقيل وبعد هذا على قول من بناء على الضم ومن بناء على غير الضم قال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال
ولا يجوز في القرآن الا الضم واما حلة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسألنا حلة اي حذونونا
عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجدا حلة لذنوننا ولو جاز قراءته بالثصب لكان وجهه في العربية حط عنا
ذنوننا حلة كما يقال سماً وطاعة اي اسمع سماً واطيع طاعة ومعاذ الله اي نعوذ بالله معاذاً وقوله نفقر لكم
مجزوم لانه جواب الأمر وانما انجزم بالشرط فان المعنى ان تقولوا نفقر لكم لحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه
ووقوع الامر في الكلام وطوله به وحسن حذفه معه لانه صار كالعاقب له من حيث اجتمعا في انهما غير موجبين
وغير خبرين وهذا كما يحذف البتدا لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضاً لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم
ان فعلت كما يحذف خبر البتدا لدلالة البتدا عليه قال سيويه كان اصل خطايا خطائي مثل خطائع فابدل من الياء
همزة فصار خطائي مثل خطائع فتجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء والكسرة
الى الالف والفتحة فقلبت خطاوا مثل خطاوا كما فعل بمداري فقلبت مداري ثم استقل همزة بين الفين لأن همزة
مجانسة للألفات فكان كأنما اجتمعت ثلاث الفات فابدلت همزة ياء فقلبت خطايا وقال الخليل اصل خطايا فبايل
فقلبت الى ضالي ثم قلب بعد على ما تبينت في المذهب الاول وانما أُعِلَّ هذا الاعلال لأن همزة التي بعد الالف
حارضة غير اصلية وتقول في جمع برآة مرآتي فلا تُعِلَّ لأن همزة عين الفعل

﴿ المعنى ﴾

اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس ويؤيده قوله في موضع آخر ادخلوا الارض المقدسة
وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العاقلة وراسهم عوج بن عنق
يقول اذكروا «اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم» اي ابن شئتم «رغدا» اي موسعا عليكم مستعينين

بما شتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة لهم منه لئلا يمتنعوا وتلك اموالها اتماما للنعمة عليهم
«وادخلوا الباب» يعني الباب الذي امرؤا بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن من مجاهد وقيل
باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي امرؤا بدخولها قال ابو علي الجبائي
والآية على قول من يزعم انه باب القبة لادل منها على قول من يزعم انه باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية في
حياة موسى وآخر الآية يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امرؤا به في ايام موسى لانه قال
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والمطوف بالقاء التي هي للتعقيب من غير تراخي يدل على ان هذا التبديل
منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حياة موسى وقوله «سجدا» قيل معناه كما وهو شدة الانحناء
عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ طَوْرًا مُسْجُودًا وَطَوْرًا جَوْهَرًا

وقيل معناه ادخلوا الباب كذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب وقوله «حطة» قال الحسن وقتادة
واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امرؤا أن يقولوا هذا الامر حق وقال
عكرمة امرؤا أن يقولوا لا إله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فيصح أن
يترجم منه بحطه وروي عن الباقر (ع) أنه قال نحن باب حطتكم وقوله «نفر لكم خطاياكم» اي نصفح ونعف عن
ذنوبكم «وستزيد المحسنين» اي وستزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلا كقوله تعالى ليوفيهم اجرهم ويزيدهم
من فضله وقيل أن المراد به ان يزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان با تزال المن والسلوى وتظليل النمام وغير ذلك

قوله تعالى (٥٩) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء العذاب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجز لأن الرجز
النق و قال النبي صلى الله عليه وآله في الطاعون انه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وقال ابو عبيدة الرجز والرجز
لغتان مثل البزاق والبساق والزرع والسرع والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق والضم اشهر وعليه القراءة
ومعنى الفسق في اللغة الخروج من العقيدة وكل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه في الشرع مخصوص بالخروج
عن امر الله تعالى او طاعته

﴿ الاعراب ﴾

غير الذي انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجرئ مجرى مثل واذا اضيفا الى المعارف لم
يتعرف لما فيها من الابهام لأن مثل الشيء يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون اشياء كثيرة غير مختلفة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انهم قد عصوا فيما امرؤا به فقال «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم» اي فخانف الذين
عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم ان يفعلوه وغيرؤا ما امرؤا به فقالوا غير ذلك واختلف في ذلك التعريف قيل انهم قالوا
بالسرانية هاطا سماقاتا وقال بعضهم حطا سماقاتا ومعناه حطلة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء
ومخالفة الأمر وقيل انهم قالوا حطلة تجاهلا واستهزاء وكانوا قد امرؤا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطى لهم
الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاهم فخانفوا في (الدخول ايضا وقوله «فانزلنا على الذين ظلموا»
لي فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم ما أمر الله به بالقول والفعل «رجزا» اي عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة

والحسن «بما كانوا يفتقون» اي بكونهم فاسقين او بفسقهم كقوله ذلك بما عصوا اي بصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطامون فات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبارهم وشيوخهم وبنو الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كأنه يشير الى انهم عقبوا باخراج الافاضل من بينهم

قوله تعالى (٦٠) وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ قُلْنَا اضْرِبْ بِمِصَاكِ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَسْؤُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاستسقاء طلب السقية ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقى الشفة واسقيته دلته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلاث اعص وجمعه عصي والانفجار الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاساً ثم يصير انفجاراً والعين والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من نيك^(١) وبلد قليل العين اي قليل الناس وما بالدار عين متحركة الياء والعين مطر اهام لا يقلع والعين الذهب والعين الميزان والعين الشمس والعين المتجسس للأخبار وقد تقدم ذكر اناس وانه لا واحد له من لفظه ولا تسوا اي ولا تفسدوا ولا تطغوا والمعنى شدة الفساد يقال هايمشو عتوا وعشى يعشي عشي وعاش يعيث عيثا وعيثاً قال روبة (وَعَاثَ فِينَا مَسْجِلًا عَايَتْ)

﴿ الامراب ﴾

اذ متعلق بكلام محذوف فكأنه قال واذكروا اذ استسقى ويجوز ان يكون مطوفاً على ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة مينا الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كرها في اللغة والكسر لغة بيمة وتم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن جني ان الفاظ المدد قد كثر فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز في غير المدد في نظير عشرة عشرة فيقولون نبة وفخذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نبة وفخذ فلها ركب الاسبان استحال الوزن فقال بنو تميم احدى عشرة واثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز والاسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنان وان عشرة تعاقبها وكذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلاث من ثلاثة عشر وثلاث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون فيها نون فقام عشرة مقامها فذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم تبين ومفسدين منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عد سبحانه وتعالى على بني اسرائيل نعمة اخرى إضافة الى نعمة العلى الاولى فقال «واذا استسقى موسى» اي سأل موسى قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكر الموصول ذلك اذ كان فيا ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك وكذلك قوله «قلنا اضرب بصاك الحجر فانفجرت» لأن معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الحجر عن ضرب موسى الحجر لأن فيا ابقاه من الكلام دلالة على ما القا وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتب ما لا اي فاتجر واكتب ما لا وقوم موسى هم بنو اسرائيل وانما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي تلهو افيها في التيه فشكوا اليه الظلم فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعا اليه شيب وكان آدم حمله من الجنة معه الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا وبه ضرب البحر فانفلق وهو الذي صار ثعبانا واما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجارة فينفجر عيوننا لكل سبط عينا وكانوا اثني عشر سبطا ثم يسير كل عين في جدول الى السبط الذي امر بسقيهم عن وهب بن منبه

(١) نيك : اشارة الى العين من الحيوان . (٢) [ان بسقى] .

(الجزء الاول) قوله تعالى واذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد الى قوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ١٢١

وقيل كان حجرا بينه خفيفا اذا رحلوا حمل في مخلاة فاذا تزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء من ابن عباس وهذا اولى لدلالة الالف واللام للمهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكدآن وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستقي كل يوم ستمائة الف عن ابى مسروق وروي انه كان حجرا مربعا وروي انه كان مثل شكل الرأس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه في كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يتحملون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الاول وقوله «فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» لايتاني قوله في سورة الاعراف فانجبت لأن الانجاس هو الانفجار الا انه اقل وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما يضرب عليه العصا كان ينبس ثم يكثر حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله «قد علم كل اناس مشربهم» اي قد علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله «كلوا واشربوا» اي وقتنا لم كلوا واشربوا وهذا كلام مبتدأ وقوله «من رزق الله» اي كلوا من النعم التي من الله بها عليكم من المن والسوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق أن يتخفق به وليس لأحد مثمه منه وقوله «ولا تعثوا» اي لا تسعوا في الارض فسادا وانما قال «لا تعثوا في الارض مفسدين» وان كان المشي لا يكون الا فسادا لأنه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين ان فعلهم هو الصيغ الذي هو الفساد ظاهرا وباطنا ومتى سئل قليل كيف يجتمع ذلك الماء للكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب ان ذلك من آيات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة الدالة على انها من فعل الله تعالى المثني، للأشياء القادر على ما يشاء الذي تذلل له الصعاب ويتسبب له الاسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته ان يبدع خلق المياه الكثيرة ابتداء معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملاحدة الذين ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم انما يكون في وجود الصانع وثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم في الفرع مع خلافهم في الاصل

قوله تعالى (٦١) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالسَّكِّنَةُ وَقَالُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ اهل المدينة الثيبين بالهمزة والباقون بنغير همز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الحجة لمن همز النبي . أن يقول هو اصل الكلمة الا ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا همزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كاضي يدع ونحوه مما رفض استعماله فاما ماروي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبي . الله فقال (ص) لست نبي . الله ولكني نبي الله فأظن ان من اهل النقل من ضعف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه ان من مدح النبي (ص) فقال

يَا خَاتَمَ النَّبِيَّاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ خَيْرٌ هُدَى إِلَهِهُ هُدَاكَ

لم يورثه انكار عليه فيما علمنا ولو كان في واحد من كثير لكان الجمع كالواحد وحجة من ابدل ولم يمتنع عبي . الجمع

(١) الكدآن : حجارة رخوة كانت مدر . (٢) وفتى سبختين مخطوطتين «اي روق» بدل «ابى مسروق» وهو الظاهر (٣) [منهم]

في التزليل على انبياؤ الذي هو في اكثر الأمر للمعتل اللام نحو صني واصفياؤ وغني واغنياؤ فدل على ان الواحد قد الزم فيه البدل فاذا الزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا يجوز أن يكون اشتقاق النبي من النبوة التي هي الارتقاع او من النبوة لأن سيويه حكى ان جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالمهززة فدل على أن اصله المهز وقال الزجاج يجوز أن يكون نبي من انبأت قرك همزته لكثرة الاستعمال ويجوز أن يكون من نبا ينبر اذا ارتقع فيكون فيصلا من الرفع

﴿ اللغة ﴾

الطعام ما يتغذى به والطعم بضم الطاء الاكل والطعم عرض يدرك بجاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام والواحد اول عدد الحساب وحده مالا يتجزى والله تعالى واحد لثفرده بصفاتة الحسنى والدعاء اصل النداء عن ابن السراج وكل من يدعو ربه فهو يناديه وحقية الدعاء قول القائل لمن فوقه افضل والفرق بينه وبين الأمر يظهر بالرتبة والانبأت اخراج النبات واصله من الظهور فكأنه ظهر اذا نبت والبقل ما ينبت الربيع يقال بقلت الارض وابقلت لمتان فصيحتان اذا انبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق وفي القتاء لمتان ضم القاف وكسرها والكسر اجود وهي لغة القرآن وقد روي عن عيسى الثقفى في الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وانشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح

قَد كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا وَرَدَّ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ قَوْمِ

وقال الفراء والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب قوموا لنا اي اختبروا وقال قوم هو الجبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف قال الفراء وهذا أشبه بما ذكره بعده من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم لأن القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الاصل وهذا ضعيف لأنه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف وقوله ادنى اي اقرب وادون كما تقول هذا شيء مقارب اودون ويجوز أن يكون ادنى من الديانة وهي الحجة يقال دِنًا دِنَاءً فهو دني وهو ادنى منه فتركت همزتها وهو اختيار الفراء وحكى الازهري عن ابن زيد الدني بلا همز الحسيس والدني بالمهززة الماخن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالهارة عما سواه ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن زيد

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا

وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت عليهم الذلة والزموها من قولهم ضرب الامام الجزية على أهل الذمة وضرب الامير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة اي حلوا بمزول الذل والمسكنة مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ أَلِكِتَابِ الْمُنْزَلِ

واما الذلة فمشتقة من قولهم ذل فلان يذل ذلاً وذلةً والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان وما كان مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تَسَكَّنَ تَسَكَّنًا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها وقوله وباءوا بنضب اي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا اما بنجر واما بشروا كثير ما يستعمل في الشر ويقال باء بذنبه يبوء به قال المبرد واصله المتزلة اي تزولوا متزلة غضب الله وروي ان رجلا جاء برجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا قاتل اخي وهو بواء به اي مقتول به ومنه قول ليلي الاخيلية

فَإِنْ تَكُنَّ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ قَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ

وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه

فقسها بينهم على بواء اي على سواء بينهم في القسم ومنه قول الشاعر (١)

فَيَقْتُلُ جَبْرًا بِأَمْرِي لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَتَكَايَلُ بِالْأَمْرِ

وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر

إِنِّي أَبُوُ بَعَثَرِي وَخَطِيئِي رَبِّي وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ

والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا اضيف الى الله تعالى فالمراد به انه يريد ازالة العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبا الذي هو الخبر لانه المخبر عن الله سبحانه فان قلت لم لا يكون من النباوة وما انشده ابو عثمان قال انشدني كيسان

مَحْضُ الضَّرْبِيَّةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي وَضَعَتْ فِيهِ النَّبَاؤَةُ حُلُومًا غَيْرَ مَمْدُوقٍ

فالقول فيه انه لا يجوز ان يكون منها لان سيويه زعم انهم يقولون في تحميد النبوة كان مسيلمة نبيمة سوء وكلهم يقول تنبا مسيلمة فلو كان يحتمل الامرين لما اجتمعوا على ذلك قال ابو علي ومما يقوي انه من النبا الذي هو الخبر ان النباوة الرفعة وكأنه قال في البيت الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت رفعة ليست بنبوة والخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبي ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا اخذ من النبا والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده الى غيره وكل مجاوز حدشي الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه

﴿ الاعراب ﴾

قوله يخرج لنا مجزوم لانه جواب امر محذوف لان تقديره ادع لتاربك وقل له اخوج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل ان الاصل فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما باضمار اللام اي ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة اي ليقوموا لحذف اللام وانشد ابو زيد

فِيضِحِي صَرِيحًا مَا يُقَوْمُ حَاجَةَ وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِيَ وَيُسْمِعُكَ مَنْ دَعَا

وانشد غيره

فَلْتُ أَدْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لَصَوْتِ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

اي ولأدع وقال آخر

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَفَتْ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا

اي يتعد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام الأمر الا في الشعر ثم انشد

مَنْ كَانَ لَا يَزْعَمُ أَنِّي شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّي يَنْهَهُ الزُّوْجَرُ

قلت له لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام قال لان الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال قلت فا اضطره هاهنا وهو يمكنه ان يقول فليدن مني قال فسأل عني فقيل المازني فوسع لي وقوله مما تثبت الارض من هنا للتبويض لان المراد يخرج لنا بعض ما تثبت الارض وقال بعضهم ان من هنا زائدة نحو قولهم ما جاءني من احد والصحيح الاول لان من لا تراد في الايجاب وانما تراد في النفي ولان من العلوم انهم لم يريدوا جميع ما تثبت الارض وتون جميع القراء مصراً لانه اراد مصراً من الامصار بغير تعيين لانهم كانوا في تيه ويجوز ان يكون المراد مصر بعينها البلدة المعروفة وصرفه لانه مذكور وروي عن ابن مسعود انه قرأ بغير الف ويجوز ان يكون المراد مصر هذه بعينها كما قال ادخلوا مصران شاء الله آمين وانما لم يصرفه لانه اسم المدينة فهو مذكور سمي به موث ويكنى ان يكون انما تونه من تونه اتباعاً للمصنف لانه مكتوب في المصحف بألف وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حل بهم بكفرهم واقول في بيانه ان ذلك لشارة الى الغضب في قوله وباءوا

بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء وان مع صلته من الاسم والخبر في موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدا وهي جملة من الفعل والفاعل حذف لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك باعصوا فإن ما مع صلته في تأويل المضد

﴿ المعنى ﴾

لما عدد سبحانه فيما قبل ما اسداه اليهم من النعم والاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال «واذ قلتم» اي قال اسلافكم من بني اسرائيل «يا موسى لن نصبر على طعام واحد» اي لن نطيع حبس انفسنا على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيان لأنه أراد به أن طعامهم في كل يوم واحد اي يأكلون في اليوم ما كانوا يأكلونه في الأمس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان يأكل الوانا اذا حبس نفسه على الوان من الطعام لا يعدها الى غيرها وقيل انه كان يتزل عليهم المن وحده فقلوه فقالوا ذلك فنزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله «فادع لنا ربك» اي فاسأل ربك وادعه لأننا «يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها» اي مما تنبت الأرض من البقل والقثاء ومما سماه الله مع ذلك وسكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فقلوا ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وتقديره فدعا موسى فاستجبت له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل إنهم قالوا لا نصبر على الثنى بأن يكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستماعة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الأرض ليجتاجوا فيه الى اعوان فيكون الفقير عونا للثني وقوله «استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير» معناه قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم اتركوا ما اختار الله لكم وتووثون ما هو ادون وادنى على ذلك وقيل انه اراد استبدلون ما تبدلون في زراعته وصناعته بما اعطاه الله اياكم غنوا من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر قيمة والذو اختلف في سوء المم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لأن الاول كان مباحا فسالوا مباحا آخر وقيل بل كان معصية لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله «اهبطوا مصرا» اختلف فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني ان ما تسألونه انما يكون في الامصار ولا يكون في المقاوز أي اذا نزلتم مدينة ذات طول وعرض «فإن لكم» فيها «ما سألتم» من نبات الأرض وقد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الأنبياء فقال «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» اي الزموا الذلة الزاما لا يبرح عنهم كما يضرب السمار على الشبي. فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يبطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكسبيج وزي اليهود عن عطا وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فقدي المثني منهم يتباس مخالفة أن يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الثنى لأنه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غني النفس وقال النبي (ص) الثنى غني النفس وقال ابن زيد ابدل الله اليهود بالمز ذلا وباتعمة بوهسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما «وباءوا بغضب من الله» اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلا من الرضا والنقمة وقال آخرون هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم ثم اشار الى ما تقدم ذكره فقال «ذلك» اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لأجل انهم كانوا يكفرون بآيات الله» اي يمحذون حجج الله وبيناته وقيل اراد بآيات الله الانجيل والقرآن ولذلك قال فباءوا بغضب على غضب الأول لكفرهم

بعيسى والانجيل والثاني لكفرهم بمحمد والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد (ص) وقوله «ويقتلون النبيين بغير الحق» اي بغير جرم كتركها ويحجى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلماً بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان لبه ومعناه ان ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان وكقول الشاعر (على لاجب لا يهتدى بئاره) ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كلمة وقوله «ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» ذلك لشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم في قتل الأنبياء وعدوهم السب وقيل بنتضهم الهد واعتدائهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه

﴿سؤال﴾

ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء. ﴿الجواب﴾ انما جاز ذلك لتكال انبياء الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات مالا ينالونه بغير القتل وليس ذلك مجذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والأولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست مجذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يأمر نبياً بالقتال فقتل فيه وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي ان كان لم يود الشرع الذي امر بتأديته لم يجز أن يمكن الله سبحانه من قتله لأنه لو مكّن من ذلك لأدى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيما لهم من اللطاف والمصالح فاما اذا ادى الشرع فيقتد بجوز أن يحلّي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه التبع من قتله وروى ابو هريرة عن النبي (ص) انه قال اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى بمجسمة سنة حتى صكف فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بانتي سنة

قوله تعالى (٦٢) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِتِينَ** مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ نافع بترك الهزنة من الصابئين والصابثون في كل القرآن والباقون يهزنون

﴿الحجة﴾

ترك الهزنة يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون من صبا يصبو اذا مال الى الشيء والآخر قلب الهزنة قال ابو علي ولا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الانسان الى الدين فلا يكون منه تدن به مع صبره اليه فإذا بعد هذا وكان الصابثون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم الى سواء لم يستقم ان يكون الا من صبات الذي معناه انتقال من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمز على هذا الحد لا يميزه سيويه الا في الشعر فدل على ان القائل لذلك غير فصيح وانه مخلط في لته فالإختيار الهمز ولأنه قراءة الاكثر والى التشديد اقرب

﴿اللغة﴾

هادوا اي صاروا يهودا ودانوا باليهودية وهاد يهود هودا اي تلب واختلف في اشتقاق اسم اليهود قبيل هومون الهود اي التربة ومنه قوله انا هدتا اليك عن ابن جويج وسوا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير

يسوى صرّبع لم يأت فيؤمخافة ولا رهقا من عايد متهود

اي تائب وقيل انما سوا يهودا لأنهم نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا وقيل انما سوا يهودا لأنهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سوا بذلك لأنهم يتهودون اي يتحركون عند

قراءة التوراة ويقولون ان السماوات والارض تحركت حين آتى الله موسى (ع) التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامي هذا قول سيويه قال الشاعر

تَرَاهُ إِذَا كَانَ الْعَشِيَّ مُحْتَفًا يُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَامِسُ

وهو المستلي . نصران كما ان الضبان هو المستلي . غضبا وقيل في موثته نصرانة كما قال (كاسجدة نصرانك لم تحف) وقيل ان واحد النصارى نصرى مثل مهرى ومهاري واختلفا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى (ع) فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم اي نصره بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع صابى . وهو من انتقل الى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره سمي في اللغة صابنا قال ابو علي قال ابو زيد صبا الرجل في دينه يصبأ صبوا اذا كان صابنا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع وصبأت عليهم تصبأ صبأ وصبوا اذا طلعت عليهم وطرات مثله فكأن معنى الصابى . التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره . كما ان الصابى . على القوم تارك لأرضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالماجد وبعض الانبياء . وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا إله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (ع) ولاصحابه هو لاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء . بأجمعهم يميزون اخذ الجزيرة منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل كتاب

﴿الاعراب﴾

خير إن جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر الآية لأن معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فتك ذلك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى آخر الآية في موضع الجزاء وانما رفع ولا خوف لتكرير لا كقول الشاعر

وَمَا صَرَّمْتُكَ حَتَّى قُلْتِ مُعَلِّئَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ (٢)

وهذا كأنه جواب لمن قال اتاقت لك في هذا ام جعل فاما التكرة المفردة ففيه الفتح لا غير نحو لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من آمن فوحد ثم قال فلهم اجرهم لجمع لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه

﴿المعنى﴾

«ان الذين آمنوا» اختلف في هو لاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب التجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشنقي وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحير الراهب ووفد النجاشي آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبشئه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مومنون الامم الماضية وقيل هم المومنون من هذه الامة وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين

(١) [من دين] . (٢) قائله : الراعى عبيد بن حصين و في النسخ المخطوطة و المطبوعة « هجرتك » بدل « صرمتك »

كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله وكانوا قد اخبروه بأنه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلفوا في قوله من آمن بالله واليوم الآخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع اليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشترط فيهم استئناف الايمان فكأنه قال ان الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم وقال آخرون من آمن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استئناف الايمان بالتبني (ص) وما جاء به وقال بعضهم اراد من آمن بعمد (ص) بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لأنه لا يتم احدهما الا بالآخر ونظيره قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وروي عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز ان يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله في الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها ثبت والمراد بها ان الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا آمنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن آمن في اول استدعائه الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لأن قوما من المسلمين قتلوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص واجره أقل فأخبر الله بهذه الآية انهم سواء في الاجر والثواب وقوله «بالله» اي بتوحيد الله وصفاته وعدله «واليوم الآخر» يعني يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار «وعمل صالحاً» اي عمل ما أمره الله به من الطاعات وان لم يذكر ترك المعاصي لأن تركها من الاعمال الصالحة «فلهم اجرهم» اي جزاؤهم وثوابهم «عند ربهم» اي معد لهم عنده وقوله «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم في العقب ولا يحزنون على الدنيا وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال من آمن بالله ثم عطف عليه بقوله وعمل صالحاً ومن حمل ذلك على التأكيد والفضل فقد ترك الظاهر وكل شيء يذكره مما عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيها فاكهة ونخل ورمان واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خيلنا والظاهر قلنا انه ليس بداخل في الاول

قوله تعالى (٦٣) وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

﴿اللفظة﴾

الميثاق هو مفعول من الوثيقة اما يمين او بعد او غير ذلك من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال العجاج

دَانِي جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرَّ تَقْضِي البَازِي إِذِ البَازِي كَثُرَ

وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عرض يصير به الحي قادرا وكل جسم قادر بقدره لا يصح منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصل خذ او خذ وكذا كل اصله او كل وانما لزم الحذف فيها تخفيفا لكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه او مر على الاصل

﴿الاعراب﴾

خذوا ما آتيناكم محله نصب على تقدير وقلنا لكم خذوا كما تقول اوجبت عليه ثم اي اوجبت عليه فقلت
قال الفراء اخذ الميثاق قول ولا حاجة بالكلام الى اضرار القول فيه غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام

الذي هو بمعنى القول أن يكون معه أن كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان وموضع ماها منصوب

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ اخذنا ميثاقكم» اي عهدكم والمهد هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله ولذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية وقيل هو اخذ التوراة من موسى «ورفعنا فوقكم الطور» قال ابو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فألقى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤوسهم فقال موسى عليه السلام ان قبلتم ما آتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين الى الجبل فن ثم يسجد اليهود على احد شتي وجوههم قيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لأن في هذه الحال قيل لهم «خذوا ما آتيناكم» يعني التوراة «بقوة» اي بجد ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقريب منه ما روى العياشي انه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل خذوا ما آتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب فقال بها جميعا وقيل اخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدره وانتم قادرين على اخذه عن ابي علي والاصم «واذكروا ما فيه» يعود الضمير من فيه الى ما من قوله ما آتيناكم وهو التوراة يعني احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك ان ما آتيناكم فيه من وعد ووعد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا به واقبلوه «لعلكم تتقون» اي كي تتقوني اذا فعلتم ذلك وتحافوا عقابي وتنتهوا الى طاعتي وتزعموا عما انتم عليه من العصية

قوله تعالى (٦٤) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

توليتهم اعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاء فلان دبره اذا استدبر عنه وجمله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة أمر ومعرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا اي خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين والخاسر هو الذي ذهب رأس ماله ورأس مال الانسان نفسه وما سواها مما يحصل له من المنافع فهو كله ربح

﴿ المعنى ﴾

معنى الآية ثم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائناكم المواثيق وراء ظهوركم واعرضتم عنه «فلولا فضل الله عليكم» اي فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز عنكم خطيئكم بمراجعتكم طاعة ربكم «لكنتم من الخاسرين» وقال ابو العالية فضل الله الايمان ورحمته القرآن فيكون معناه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا وتوبته التي بها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى فلولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليتكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من

الحاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضلي عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق والالطف الذي تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الحاسرين

قوله تعالى (٦٥) **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

علمت اي عرفت هنا تقول علمت اخاك ولم اكن اعلمه اي عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعالى وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لانهم مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى الى مفعولين ان المعرفة تنصرف الى ذات المسمى واليتم ينصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدا كراما او ثيبا فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص واعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما احدهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال ابو حنيفة سمي بذلك لانه يوم سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وفرغ قوله منكم في موضع نصب حالا من الذين اعتدوا اي المعتدين كائنين منكم قوله في السبت متعلق باعتدوا واصل السبت مصدر يقال سبت سبتا اذا قطع ثم سمي اليوم سبتا وقد يقال يوم السبت فيخرج مصدرا على اصله وقد قالوا اليوم السبت فجلسوا اليوم خيرا عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون في الكلام حذف تقديره في يوم السبت وقال قوم انما سمي بذلك لان اليهود يستون فيه اي يقطنون فيه الاعمال وقال آخرون سمي بذلك لانهم فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للناثم مسبوت لاسراخته وسكون جسده والقردة جمع قرد والانتى قردة والحاسية البعد المطرود يقال خسأت الكلب أخسأه خسا وخسأه الكلب يخسوه خسا تقول خسأته وخسأه. وانحسا قال الرازي (كالكلب ان قلت له انحسا انحسا) اي ان طردته انطرد

﴿ المعنى ﴾

خاطب اليهود فقال «ولقد علمتم» اي عرفت «الذين اعتدوا منكم في السبت» اي الذين جاوزوا ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان الحيتان تجتمع في يوم السبت لانها نجسوها في السبت واخذوها في الأحد فاعتدوا في السبت اي ظلموا وتجاوزوا ما احدهم لان صيدها هو حبسها وروي عن الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستطلين بعد ما نهوا عنه «قلنا لهم كونوا قردة» وهذا اخبار عن سرعة فطه ومسخه ايام لان هناك اسرا ومناهم جعلناهم قردة كقوله تعالى فقال لها وللارض أنتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما اخبر عن تسهل النمل عليه وتكوينه بلا مشقة قال ابن عباس فسخطهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتماون ويقوا ثلاثة ايام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فبهت بهم والقتهم في الماء وماسخ الله امة الا اهلكها وهذه القردة والحنازير ليست من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك على صورة هودلاء يدل عليه اجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والحنازير من هو من اولاد آدم ولو كانت من اولاد المسوخين لكانت من بني آدم وقال مجاهد لم يمسخوا قردة ولغا هو مثل ضربه لله كما قال كئيل الحلبي يحمل لسفارا وحكي عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي زجوا وهذا القولان بخلافان الظاهر الذي اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو اليه وقوله «خاسين» اي مبعدين عن الخير وقيل لاذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفي هذه الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنسبه الترافقة على آباؤهم واخبار الرسول (ص) عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى وكفرانهم وعصيانهم ثانية بعد اولى مع ظهور الآيات اللائحة

١٣٠ (سورة البقرة) قوله تعالى فجعلنا نكالا لما بين يديها الى قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون ج ١

والمعجزات الواضحة تعزية له (ص) وتثبيتا لقوله وتبليته اياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم (١) وبرادة من جبرودهم وكفرهم وعنادهم وليكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تنبيها لهم وحنة عليهم في اخلاصهم الى الهدى والحادهم وتحذيرا لهم من ان يحل بهم ما حل باآبائهم واجدادهم

قوله تعالى (٦٦) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

النكال الازهَاب للغير واصله النع لأنه ماخوذ من النكل وهو القيد وهو ايضا اللجام وسيت العقوبة نكالا لأنها تجمع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من تزلت به ونكّل فلان بفلان تنكيلا ونكالا والموعظة الروح واصله التحريف يقال وعظت فلانا موعظة وعِظَة

﴿ المعنى ﴾

«جعلناها» الضمير يعود الى الامة التي مسخت وهم اهل اية قرية على شاطئ البحر وهو الروي عن ابي جعفر (ع) أو إلى السخة عن الزجاج أو إلى العقوبة اي جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس أو إلى القرية التي اعتدى اهلها فيها «نكالا» اي عقوبة وقيل اشتها او فضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله «لما بين يديها وما خلفها» ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما بين يديها للآثم التي تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب المآثر المروي عن الباقر والصادق عليها السلام أنها قالا لما بين يديها اي لا معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما معنى من اي نكالا للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من يأتي بعدهم الى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (وثانيها) ان يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تأخرت عنه وهذا يقتضي ان يكون الله تعالى لم ياجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اي بسبب ذلك (وثالثها) أن يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة [عن ابن عباس] (أورابعها) ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التي اهلكوا بها «وموعظة للمتقين» معناه انه اذا تعظبها المتقون فكأنها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين وفي هذه الآية دلالة على ان من فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم أو تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير الحلقة اذ كان نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين لكي لا يواقروا من المعاصي ما واقع أو تلك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه

قوله تعالى (٦٧) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا

أَتَّخِذْنَا هُزُؤًا وَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما ترون * (٦٩)

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * (٧٠) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ

عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * (٧١) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرثَ مَسْلَمَةٌ لِأَسِيَّةٍ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا

وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (خمس آيات)

(١) وفي النسخ التي عندنا «كبادهم» بدل «كيدهم» . (٢) ما بين المتقين انما هو في نسخة سيدا دون غيرها

(٣) [عن مجاهد]

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة واسماعيل عن نافع وعباس عن ابي عمرو هزواً وكفواً بالتخفيف والمهز في كل القرآن وقرأ حفص عن عاصم بضم الزاي والقاف غير مهموز وقرأ يعقوب هزواً بضم الزاي كهواً بسكون الناء والباقون بالتثنية والمهز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فن العرب من يتقله ومنهم من يخففه نحو السر واليسر والحلم وبما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فُعل من الجموع مثل كُتِبَ ورُسِلَ قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المتل العين الواوي نحو سوك الإسماعيل قال (وفي الألف اللاميات سوراً) وحكى ابو زيد قول قومٍ واما فُعل في جمع أَفْعَلِ نحو احمر وحمّر فكانتهم الزموا الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان يكون ذلك مستمراً في نحو الكف والمهز فاذا خفف المهزة وثقل العين لزم ان تقلب المهزة واوا فيقول هزوا ولم يكن له كفواً أحد وان خفف فأسكن العين قال هزوا فابقي الواو التي انقلبت عن المهزة لانضمام ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في اللفظ لانها مرادة في المعنى كما قالوا لَقَضَرُ (١) الرجل فابقوا الواو ولم يردوا اللام التي هي ياء من قضيت لأن الضمة مرادة في المعنى وكذلك قالوا رَضِيَ زيدٌ فيسب قال عَلِمَ زيدٌ فلم يردوا الواو التي هي لام لزال الكسرة لانها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة من اللفظ وكذلك تقول هزوا وكفوا فثبت الواو وإن كنت حذف الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا فقراءة من قرأ بالضم وتحقيق المهز في الجواز والحسن كقراءة من قرأ بالاسكان وقلب المهزة واواً لأنه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد عن ابي عمرو انه خير بين التخفيف والتثنية

﴿ اللغة ﴾

البقرة اسم للموئث من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا يخالف صيغة الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمرأة والجدي والعتاق واصل البقر الشقيق يقال بقرت بطنه اي شقته وسمي البقر بقرا لأن من شأنه شق الارض بالكرا والهمز واللعب والسخرية يقال هزأت به هزواً ومهزأة واعوذ بالله الجأ الى الله عوداً وعباداً وحققة المياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه والجل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشيء على ما هو والتبيين التعريف واصله من البين وهو الفراق فكل من بين شيئاً فقد ميّزه عما يلبس به حتى يعرفه غيره قال سيويه ابان الشيء وابنته وبين بيتته واستبان واستبنته والمعنى واحد الفارض الكبيرة المسنة يقال فرضت البقرة تغرض فروضاً اذا أسنت قال الشاعر

لعمري قد أعطيت جارك فارضاً نَسَاقُ إِلَيْهِ مَا تَقَوْمُ عَلَى رِجْلِ

وقيل ان الفارض التي ولدت بطوناً كثيرة فيتسع لذلك جوفها لأن معنى الفارض في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتأخرين واستشهد بقول الراجز

يَأْرُبُ ذِي ضَنْغِ عَلِيٍّ فَارِضٍ لَهُ قَوْمٌ كَثْرُونَ الْحَائِضُ

ويقال ليته فارضة اي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني آدم ومن البهائم ما لم يفتعله الفعل والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحداً وبكرها اول اولادها قال

يَا بَكَرَ بَكَرْتَهُ وَيَا خَلْبَ الْكَيْدِ أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذْرَاعٍ مِنْ مَعْصِدِ

وضربة بكر اي قاطعة لا تشي وحدث ابن عائشة عن ابيه عن جده قال كانت ضربات علي بن ابي طالب

(١) اصله قوضو - بضم الضاد - وانما نقل الى فعل - مضموم العين - للتعجب او الدح . (٢) [١٠٠]

عليه السلام ابكراً كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتي من الابل والعمان دون المسنة وفوق الصغرة وهي النصف التي ولدت بطنا او بطنين قال الفراء يقال من العمان عونت المرأة تعويها اذا بلغت ثلاثين سنة ومنه قيل للحرب عمان اذا لم يكن اول حرب بين القوم وكفوا قدقاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان الى اصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتي بيانها في الاعراب ان شاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد فاقع لونها اي شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع واحمر ناصع واخضر ناضر واحمر قاني وابيض يقق ولحق ولماق واسود حاله وحلوك وحلوك وغريب ودجوي فهذه كلها صفات مبالغة في الالوان وقيل انه اراد بصفراءها هنا سوداء شديدة السواد كما يقال صفراء اي سوداء وقال الشاعر

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي
هَنْ صَفْرٌ اَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ

والاول اصح فان الابل ان وصفت به فلا يوصف البقر به وايضا فان السواد لا يوصف بالقروح وانما يوصف بالحلوك وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك البقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاعشى

وَمَا ذَنْبُهُ اِنْ عَافَتِ الْمَاءُ بِاِقْرٍ
وَمَا اِنْ تَعَافُ الْمَاءُ اِلَّا لِيَضْرَبَا

وقال آخر (لهم جامل لا يهدأ الليل سايره) اي جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد مصوغ للكثرة كاسم الجنس ومثله العييد والكليب والضنين في جمع عبد وكلب وضأن وقوله لا ذلول يقال للدابة قد ذلها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال في مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الارض اي كربها وقلبها والحراث كل ارض ذلته للزرع قال الحليل الحراث قذف البذر في الارض للازدراع والزرع الانبات والانماء قال عز اسمه افرايم ما تحراثون انتم تررعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبرأة من العيوب مفعلة من السلامة الشية اللون في الشيء يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولا شية فيها اي لا وضح فيها يخالف لون جلدها يقال وشيت الثوب اشيه وشية وشيا ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير

تَسْمَى الْوُشَاةُ بِجَبَبِيهَا وَقَوْلُهُمْ
اِنَّكَ يَا اِبْنَ اَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ

يعني انهم يتقولون بالباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وآله قتله والذبح فري الاوداج وذلك في البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام ان اهل مكة يذبحون البقرة في اللبة فما ترى في اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تأكل الا ما ذبح من مذبحه

﴿ الاعراب ﴾

حذفت الفاء من قوله قالوا اتخذنا هزوا لاستثناء ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبحوا بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو قلت قمت ففعلت لم يجر اسقاط الفاء لأنها عطف لاستفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلو من احد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون المضاف محذوفا لأن الهزء حدث والمفعول الثاني من تتخذ يكون الاول نحو قوله لاتخذوا عدوي وعدوكم اولياء (والثاني) ان يكون الهزء بمعنى الهزء به مثل الصيد في قوله تعالى احل لكم صيد البحر ونحوه وكما يقال رجل رضى اي مرضي اقام المصدر مقام المفعول واما قوله تعالى لاتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولما فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف لأن الدين ليس بعين وقوله اعوذ بالله اصله اَعُوذُ

فقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استئصال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضي تحركها وانفتح ما قبلها اعلت عين المضارع ايضا ليجري الباب على سَنَن واحد وكذلك القول في اعاذ يميذ واستعاذ يستميذ والأصل أَعُوذُ يَعُوذُ واستعوذ يستعوذ وقوله لا فارض ولا بكر قال الاخفش ارتقع ولم ينتصب كما ينتصب النبي لأنه صفة لبقرة وقوله عوان مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هي عوان وقال الزجاج ارتقع فارض باضار هي اي هي لا فارض ولا بكر قال وانما جازه بين ذلك هو بين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لأن ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذلك وظننت ذلك قال ابو علي لا يخلو ذلك فيا ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيويه او يكون اشارة الى احد مفعولي ظننت وان تكون نائبة عن الجملة كما قاله ابو اسحاق ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لأنه لو كان كذلك لزم ان يذكر الآخر كما لو انك ذكرت اسم المشار اليه لزم فيه ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدأ لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكره له ولا يجوز ان تكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم يجب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي تقع فيها الجملة نحو صلة الذي ووصف النكرات فثبت أن ذلك في قولهم ظننت ذلك اشارة الى المصدر الذي هو الظن ولا يجوز ان يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغا ان ينوب ذلك عن الجمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم بما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فإنما يدل قوله ذلك عليها فلو كان واقفا موقع جملة ما دل عليها لأن الجملة يسند فيها الحدث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة يسند الى الآخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون دالا على واحد او على اكثر من الواحد فاذا كان دالا على الواحد غير دال على اكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من ان اصله الاقتراع فكما يمتنع ان يقول افترقا واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما يزيد به على الافراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه آخر الواو دون غيرها من الحروف العاطفة واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان مفردا جاز ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فإنما اضيف فيه بين الى ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما اشبه ذلك من الاسماء التي قد دل على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهة الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشتهان في دلالة كل واحد منها على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان روية لما قال له ابو عبيدة في قوله

فِيهِ خَطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَيْلِعُ الْبَهَقِ

ان اردت الخطوط وجب ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق وجب ان تقول كأنها قال اردت كان ذلك فلم به انهم يقصدون بذلك غير المفرد ويدل عليه ايضا قول القائل

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللَّشْرِ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلٌ

الا ترى ان كلا لا تضاف الى المفرد فلولا ان المراد بذلك غير الافراد لما اضيف كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك والمراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله بما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من قوله ما هي وما لونها رفع لأنه خبر المبتدأ لان تأويله الاستفهام اي اي شيء هي واي لون لونها قال انه يقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورة ابدا كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيو دي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيدا منطلق كأنك حكيت زيدا منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيتك تقول قلت ان زيدا منطلق

وقوم من العرب وهم بنو سليم يحطون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقاً وقوله فاقع لونها ارتقع لونها بأنه فاعل فاقع وهو صفة البقرة مثل صفراء. وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال قَعَّع لونه يَفْقَعُ قَفْعاً وَقَعَّعَ يَفْقَعُ اذا خلصت صفته وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحدها لها. نحو البقر والنخل والسحاب فانه يؤنث ويذكر قال الله تعالى كأنهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع آخر نخل منقر والتذكير التائب وقوله تثير الارض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى التني اي بقرة ليست بذلول مثيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة ايضا ولا شية فيها جملة في موضع رفع ايضا بأنها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلاها وشي فلما استقطت الواو منها عوضت الماء في آخرها قالوا وشيته شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الآن فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الآن وحذف الواو من اللفظ ويجوز قال لان على الناء المهزلة وفتح اللام من الآن وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يمتد بفتح اللام ويجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة اللام لأنهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الابا وردت به رواية صحيحة فان القراءة سنة متبعة قال ابو علي انما بني الآن لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لأن التعريف حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه بما فيه من الالف واللام لأنه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فإن فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم بها انما تعرفه بغيرهما وهو كونه موصولا مخصوصا ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات للمترفة بالصلوات نحو من وما غير مترفة ويقوي زيادة اللام مارواه المبرد عن المازني قال سألت الاصمعي عن قول الشاعر

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُومًا وَعَسَا قَلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبِرِ

لم ادخل اللام قال ادخله زيادة للضرورة كقول الآخر (بَاعَدَامَ الْعَبْرِ وَعَنْ أُسْبُهَا) وانشد ابن الاعرابي

يَأَلَيْتَ أُمَّ الْعَبْرِ وَكَأَنْتَ صَاحِبِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَأَ عَلَى الرَّكَائِبِ

فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة كذلك في الآن زائدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد يدل على مقاربة مباشرة ويفعلون في موضع نصب بأنه خبر كاد والنصح لا يدخل عليه ان لأن ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يستدل الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجا نحو عسى ان تفعل ودليل ذلك ان لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع في المستقبل فلها كانت ان لازمة لعسى ولا يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد الاصمعي

كَادَتِ النَّفْسُ أَنْ تَقِيضَ عَلَيْهِ إِذْ نَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ

﴿ القصة ﴾

كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا الى الرضا (ع) ان رجلا من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه وطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط آل فلان قتل فاخبرنا من قتله قال انتوني ببقرة قالوا اتخذنا هزوا الآية ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزأتهم ولكن شددوا فشد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فاض ولا بصر عوان بين ذلك اي لاصغيرة ولا كبيرة الى قوله قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها الا ببل. مسكها ذهباً فجاءوا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال وقال لرسول الله (ص) بعض اصحابه ان هذه البقرة ما سئها فقال إن فتى من بني اسرائيل كان بارا بأبيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده تاماً واللاقلد تحت رأسه فكره ان يوقظه فترك ذلك واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي

لك عرض لا فاتك قال فقال رسول الله (ص) انظروا الى البر ما بلغ بأهله وقال ابن عباس كان القليل شيئا مثما قتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا الى موسى (ع) فسأل من عنده في ذلك علم فقالوا انت نبي الله وانت اعلم منا فادعى الله تعالى اليه أن يأمرهم بذبح بقرة فأمرهم موسى (ع) ان يذبحوا بقرة ويضرب القليل ببعضها فيجبي الله القليل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطاه لموته فقتله ليرثه وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فانعم له فحسد ابن عمه الذي لم ينعم له فقتله ثم حملة الى موسى فقال يا بني الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا ادري وكان القتل في بني اسرائيل عظيما فعظم ذلك على موسى (ع) وهذا هو الروي عن الصادق (ع)

﴿ المعنى ﴾

هذه الآيات معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في البيان لنعم الله تعالى على بني اسرائيل ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا عن نكثكم ميثاقي الذي اخذته عليكم بالطاعة (ع) قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا قال قوم موسى له اتسخر بنا حيث سألتناك عن القليل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم به لأن موسى عليه السلام امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لأي معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما ترافنا فيه اليك فهذا استهزاء بنا قال اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين اي معاذ الله أن أكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يظن انما ان يستهزى به بفعله او بفعله من افعاله فاما الحلقة فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فإذا كان قبيحا فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه ليتبرج عنه فاما ان يستهزى به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع الا عن جاهل به او محتاج اليه فاذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبده من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيقول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما احيا الله القليل بقتل حي ليكون اظهر لقدرة في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سألوا عنها فبدأوا بسنها فقالوا ادع لنا ربك اي سل من اجلنا ربك يبين لنا ما هي ولم يظهر في السوء ال ان السوء ال ان السوء ال عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب قال موسى عليه السلام انه يقول اي ان الله عز اسمه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر اي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن من البقر والدواب من ابن عباس وقيل وسط ولدت بطننا او بطنين عن مجاهد فافعلوا ما تؤمرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سألوا عن لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها اي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه وتعالى يقول انها بقرة صفراء حتى قرننها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل حسن الصفرة وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق (ع) انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولا بين سبحانه سن البقرة ولونها سالوا عن صفتها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي امن العوامل ام من السوائم ان البقر تشابه علينا اي اشبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها وانما ان شاء الله لمهتدون الى صفة البقرة بتعريف الله ايانا وبما يشاء لان من اللطف والزيادة في البيان وروي ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي (ص) أنهم امروا بأذني بقرة ولكنهم لا شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الأبد قال يضي موسى (ع) انه يعني الله تعالى يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها لا ذلول تشبه الارض اي لم يذلها العمل

بإثارة الأرض بأظلافها «ولا تسي الحرث» اي لا يستقي عليها الماء فتسقي الزرع «مسلمة» اي بريئة من الميوب عن قتادة وعطاء. وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل سليمة من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا يخلو من آثار العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية «لا شية فيها» قال اهل اللغة لا وضع فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد «قالوا الآن جنت بالحق» اي ظهر لنا الحق الآن وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يجزى. بالحق على التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الآن بينت الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك في ان موسى (ع) ما بين الحق «فذبوها» يعني ذبحوا البقرة على ما امروا به «وما كادوا يفعلون» اي قرب ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتها رفضة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون ذلك لئلا. ثمها فقد حكى عن ابن عباس انهم اشقروها بل. جلدها ذهباً من مال المقتول وعن السدي يوزنها عشر مرات ذهباً قال عكرمة وما كان ثمها الا ثلاثة دنانير ونذرها هنا فصلا موجز ان يجذب الى الكلام في اصول الفقه اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها متاخر وانهم لا قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاة. او من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة في التشديد عليهم لا فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للاول والتكليف الثالث نسخاً للثاني وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لأن المصلحة تجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأن ذلك يؤدي الى البداء وذهب آخرون الى ان التكليف واحد وان الارصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال انه تعالى لا كفهم ذبح بقرة قالوا موسى عليه السلام ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التي امروا بها ثانياً والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة الأمور بذبحها لأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستهموا عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر من ان يكون الماء فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية لأن الظاهر يقتضي ان تكون الكناية متعلقة بما تضمنه السؤال ولأنه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جواباً لهم وقول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الغلانية صريح في ان الماء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على ما ذهب اليه القوم فلم لم يقل لهم واي تشابه عليكم وانما امرتم في الابتداء بذبح بقرة اي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسنة المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من اي البقر كان قال واما قوله «فذبوها وما كادوا يفعلون» فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تأخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام وهو غير مقتضٍ ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة في الآية على ذلك

قوله تعالى (٧٢) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادبراً ثم فيها وألله مخرج ما كنتم تكتمون

(٧٣) قتلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون (آيتان)

﴿ اللّغة ﴾

آدارآتم اختلفتم واصله تدارآتم فادغمت التاء في البدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمكن
التعلق بالسكن واصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادروا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدراً عنها العذاب وقال روية
أدركتها قدأماً كل مدرة بالدفع عني درء كل عنجه^(١)
وقيل الدرء العرج ومنه قول الشاعر^(٢)
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةً الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدأ بذكر القتل وقال «واذا قتلتم أنفساً» ذكر فيه وجهان
(احدهما) انه متقدم في المعنى على الآيات المتقدمة في اللفظ فعلى هذا يكون تأويله واذا قتلتم أنفساً «فاذآرآتم
فيها» فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فتقدم المؤخر وأخر المقدم ونحو ذا كثير في القرآن
والشعر قال سبحانه الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً يقا تقديره انزل على عبده الكتاب قياً
ولم يجعل له عوجاً وقال الشاعر

إِن الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ مَلْمُومَةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ يَنَالُهَا إِلَّا عَالَا

اي طالت الاعمال (والوجه الآخر) أن الآية قد تطلعت بما هو متأخر في الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها
الآية فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولأنكم قتلتم أنفساً فاذا رآتم فيها امرناكم أن تضربوه ببعضها ليكشف
امره والمراد واذا كروا اذا قتلتم أنفساً وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي (ص) والمراد به اسلافهم على عادة العرب
في خطاب الابناء والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فقالت فعلت بنو تميم كذا
وان كان الفاعل واحداً ويحتمل أن يكون خطاباً لمن كان في زمن موسى (ع) وتقديره وقلنا لهم واذا قتلتم أنفساً وقيل
ان اسم المقتول عاميل فاذا رآتم فيها الماء من فيها يعود الى النفس اي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل
انها تعود الى القتة اي اختلفتم في القتة لأن قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى النفس اولى واشبه بالظاهر
«والله مخرج ما كنتم تكتمون» اي مظهر ما كنتم تسرون من القتل وقيل معناه أنه مخرج من غامض اخباركم
ومطلع من معايبكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه أنتم وهو خطاب لليهود في زمن النبي (ص) «فقلنا اضربوه
ببعضها» أي قلنا لهم اضربوا القليل ببعض البقرة واختلفوا في البعض من البقرة المضروب به القليل فليل ضرب ببغض
البقرة فقام حيا وقال قتلي فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذنبا عن سعيد بن جبير
وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن ابي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي
وقيل ضرب ببعض آرابها عن ابي زيد وهذه الاقاريل كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه وتعالى امر أن
يضرب القليل ببعض البقرة ليحيا القليل اذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلي ليزول الخلف والتدارؤ بين القوم والصانع
عز اسمه وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك لانهم سألوا موسى ان يبين لهم حال القليل
وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا جعلوا له بيتا على حدة لا يدخله الا خيارهم فامرهم الله بتقديم
هذه القربة تعلقاً منه لكل من اعتاص عليه امر من الامور ان يقدم نوعاً من القرب قبل ان يسأل الله تعالى كشف
ذلك منه ليكون اقرب الى الإجابة وانما امرهم بضرب القليل ببعضها بعد أن جعل اختيار وقت الاحياء اليهم
ليعلموا ان الله سبحانه وتعالى قادر على احياء الاموات في كل وقت من الاوقات والتقدير في الآية فقلنا اضربوه
ببعضها فضره في كما قال سبحانه اضرب بمصاك البحر فانفلقت تقديره فضره فانفلقت وقوله «كذلك يحيي

(١) اليدرة : رئيس القوم وزعيمهم والجنج : الجافي من الرجال (٢) وهو ابو النول (٣) الآراب جمع الإرب : العضو .

الله الموتى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى (ع) لقومه اي اعلوا بما عاينتموه ان الله تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء. ويحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى لمشريكي قريش والاشارة وقعت الى قيام القتل عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لأنه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ابن عمي ثم قبض «ويريكم آياته» يعني المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد (ص) «لعلكم تعلمون» اي لكي تستعملوا عقولكم فلن من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له وقيل لكي تعلموا ما يجب عليكم من امور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الآيات على مشريكي العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم اذا كنا عظاما ورفانا انا لمبعوثون خلقا جديدا فأخبرهم سبحانه بأن الذي انكروه واستبعدوه لا يتعذر في اتساع قدرته ونبيهم على ذلك بذكر القتل وحياته بعد خروجه من الحياة واطنوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم ان احياء جميع الاموات بعد أن صاروا عظاما باليات لا يصب عليه ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة نبينا محمد (ص) حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التي لا يجوز ان يعلمها الا من قرأ كتب الأولين او اوحى اليه من عند رب العالمين وقد صدقه مخالفوه من اليهود فيما اخبر به من هذه الاقايسص وقد علموا انه أمي لم يقرأ كتابا ولم يرتبوا في ذلك وهذه آية صادقة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته (ص)

قوله تعالى (٧٤) «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْأَمْثُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (آية)

﴿القرارة﴾

قرأ ابن كثير وحده هاهنا عما يعملون بالياء. والباقون بالتاء. واختلفوا في قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون قراهما ابو جعفر وحده بالتاء. في كل القرآن الا في الأنعام وقرأ ابن عامر بالياء. في كل القرآن وقرأ حمزة والكسائي الاول بالتاء. والثاني بالياء. في كل القرآن واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم والبي عمرو

﴿الحجة﴾

قال ابو علي القول في ذلك أن ما كان قبله خطاب جمل بالتاء. ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقولهم ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء. ولو كان بالياء. على لفظ النبية اي وما الله بغافل عما يعمل هو لاء ايها المسلمون لكان حسنا وان كان الذي قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ النبية ويجوز فيه الخطاب ايضا ووجه ذلك ان يجمع بين النبية والخطاب فينبأ الخطاب على النبية كغليب المذكر على المؤنث الا ترى أنهم قدموا الخطاب على النبية في باب الضمير وهو موضع تردد فيه الاشياء الى اضوفا نحو نحتك في نحو قوله (فلا تك ما أسأل ولا انعاما) فلما قدموا الخطاب على النابت فقالوا اعطاه ولم يقولوا اعطاهوك علم انه أقدم في الرتبة فإذا كان الامر على هذا فالخطاب في هذا التحريمي به الضمير والمخاطبون فينبأ الخطاب على النبية ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يراد به وقل لهم ايها النبي ما الله بغافل عما تعملون والله اعلم

﴿اللفظة﴾

القسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء ونقيضه الرقة والشدة القوة في الجسم والشدة صعوبة الأمر والشدة المقد والنهر المجري الواسع من مجاري الماء والجدول والسري دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه في جنات ونهر وجمه نهر ونهار والتفجير

التفعل من جُر الماء وذلك اذا ازل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان او دما او غير ذلك قال عمر بن لُجأ

وَمَا أَنْ قُرِنْتَ إِلَى جَرِيرٍ أَبِي ذُو بَطْنِهِ إِلَّا أَنْفَجَارَا

اي خروجاً وسيلاناً واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء في الشين وهو ان ينقطع من غير أن يبين والغلة السهر عن الشيء وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت على عبد اي عملت عمل الساهي

﴿ المعنى والاعراب ﴾

لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان فقال عز اسمه «ثم قست قلوبكم» اي غلظت وييست وعتت وقست «من بعد ذلك» اي من بعد آيات الله كلها التي اظهرها على يد موسى عليه السلام وقيل انه اراد بني اخي المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى اياه انه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اي من بعد احياء الميت اكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله والسبب الذي من اجله قتله وكان يجب من شاهد هذه الآية العجيبة والمعجزة الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الآيات الاخر التي تقدمت كسخر القردة والحنازير ورفع الجبل فوقهم وانجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله «فهي كالحجارة» شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والتلفظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وان ابعد الناس من الله القاسي القلب «او اشد قسوة» اي او هي اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفاً على موضع الكاف وكأنه قال فهي مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم بقيام حجتهم والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تأويل اوها هنا وجوه ﴿ احدها ﴾ ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كتولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست احدهما او جمعت بينهما فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فان شَبَّهت قسوتها بالحجر أصبت وان شَبَّهتها بما هو اشد اصبت وان شَبَّهتها بما هيما اصبت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه او كصيب من السماء (ثانيها) ان يكون او دخلت للتفصيل والتبسيط فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا و (ثالثها) ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيا يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالماً بذلك غير شك فيه فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كأشد هذين لا يخرج عنها كما يقال اكلت برة او تمرة وهو يعلم ما أكمله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال لبيد

تَمَنَّى ابْتِئَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ زَبِيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

اراد وهل انا الا من احد هذين الجنين فسيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه الذي نجاه هو ان يخرج بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخل بقصد الذي اجري اليه اجمال ما اجمل من كلامه فكذلك هنا الفرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا يضمنى الى وعظ ولا يعرج على خير فسواء كانت كالحجارة او اشد منها في انه لا يحتاج الى ذكر تفصيله (رابعها) ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الف وأنشد الفراء

بَدَّتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْثِ الصَّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

كما تكون ام المنقطعة في الاستفهام بمعنى بل يقول القائل اضربت عبد الله ام انت متعنت اي بل انت وقال الشاعر
 قَوْلَ اللَّهِ مَا أَدْرِي أَسْمَى تَقَوَّلْتُ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَيْبٌ

معناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله عز اسمه بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لأن الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكّر لا لم يكن معلوماً فلا يصح وان اريد به الأخذ في الكلام الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح فالقائل اذا قال اعطيت الفأ بل الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للثاني لو قال لقيت رجلاً بل حماراً لأن الاول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او لشد قسوة غير ناقض للاول لأنها لا تريد على الحجارة الا بأن يساويها وانما تريد عليها بعد المساواة (خامساً) ان يكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم معناه وبيوت آبائكم قال جرير

أَنْعَلِبَةَ الْقَوَارِسَ أَوْ رِيحاً عَدَلْتُ بِهِمْ طَهِيَةً وَالْخِشَابَا

اراد ورياحاً وقال ايضا

كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ نَالَ الْخَلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا

وقال توبة بن الحمير

وَقَدَّرَ عَمْتُ لَيْلِي بِأَيِّ فَا جَرُّ لِنَفْسِي تُقَاها أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُها

فان قيل كيف يكون او في الآية بمعنى الواو والجمع والشيء اذا كان على صفة لم يجران يكون على خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان تكون قلوبهم كالحجارة في حالة واشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وقائدة هذا الجواب ان قلوب هو لا مع مساوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصفى الى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وتكون في حال اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة وجواب آخروهو ان قلوبهم لا تكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لأن قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بأنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي هاهنا ثم فضل سبحانه الحجارة على القلب القاسي قال «وان من الحجارة لا يتفجر منه الانهار» معناه ان من الحجارة ما هو ارفع من قلوبكم القاسية فيتنفجر منه انهار الماء واستضى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذي كان يتفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام «وان منها لا يشقق فيخرج منه الماء» يعني ومن الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون عينا نبعمة لا انهارا جارية حتى يكون مطلقاً للاول وقال الحسين بن علي القرني الحجارة الاولى حجارة الجبال منها تتفجر الانهار والثانية حجر موسى عليه السلام الذي كان يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكراراً وقوله «وان منها لا يهبط من خشية الله» الضمير في منها يرجع الى الحجارة اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله اي تخشع وهي قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن اي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا في تأويله على وجه (احدها) ماروي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية الله فعناه ان الحجارة قد تصير الى الجبال التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشى ولا تخشع ولا تلين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة و (ثانيها) ما قاله الزجاج ان الله تعالى اصطفى بعض الجبال المعرفة فمقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلّى الله عز وجل له حين كلم موسى فصار دكا و كاروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان حجراً كان يسلم علي في الجاهلية واني لأعرفه

الآن وهذا الوجه ضيف لأن الجبل اذا كان جمادا فحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان بيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا وما الخبر فان صح فان معناه انه سبحانه احياء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ثم اعاده حجرا ويكون معجزا له عليه السلام و(ثالثها) انه يدعو المتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لا يرى فيه من الدلالات والبعائب واطاف الخشية اليه لأن التفكير فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جويرين عطية
وَأَعْوَرُ مِنْ نُبْهَانَ أَمَا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَا لَيْلُهُ فَخَبِيرٌ

فجبل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهي الذي يهجو به ذلك من اجل انه كان فيها على ما وصفه به و(رابعها) انه انما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اي كأنه يخشى الله سبحانه في المثل لانقياده لأمره ووجد منه ما لوجود من حي عاقل لكان دليلا على خشية الله كقوله سبحانه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينتفض اي كأنه يريد لأنه ظهر فيه من الميل ما لوظهر من حي لدل على ارادته الانتفاض ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل

يَجْمَعُ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهَا سَجْدًا لِلسَّرَافِرِ
فجبل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل انها تسجد للحوافر قال جوير

لَمَّا آتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ

اي كأنها كذلك وقال جوير ايضا

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

وكما قال سبحانه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اي لو كانت الجبال بما يخضع لشيء ما لرأيته خاشعا ويومئذ هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس و(خامسا) ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر

مَا رَاعَنِي إِلَّا جَنَاحُ هَاطِطًا
عَلَى الْبُيُوتِ قَوَطُهُ الْعُلَاطِطَا

فاعلم بالقوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء فهبط فعناه يهبط غيره من خشية الله اي اذا رآه الانسان خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لأن طاعة رأيه خالقه سببها النظر اليه اي منها ما يهبط الناظر اليه اي يخضعه ويخشعه وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» ايها المكذبون بآياته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرته قبل

قوله تعالى (٧٥) أَقْطَطِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرُّونَ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَلْمُونَ (آية)

﴿اللغة﴾

الطبع تعليق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء وتقيضه اليأس والفريق جمع كالمائة لا واحد له من لفظه وهو فصيل من الفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الاشي بن ثعلبة

أَجْدُوا فَلَمَّا خَفْتُ أَنْ يَنْفَرُوا
فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبٌ

والتعريف في الكلام تغيير الكلمة عن معناها

﴿الاعراب﴾

اقتطمعون الف استخبار تجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معها نبي فاذا جاءت مع النبي فانكار

التي تثبتت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار نحو أليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله ألم يأتكم نذير قالوا بلى وجواب افتطمعون لا على ما ذكرناه

﴿ المعنى ﴾

هذا خطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول «افتطمعون» ايها المؤمنون «ان يومئذ لكم» من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار «وقد كان فريق منهم» اي من هو في مثل حالهم من اسلافهم «يسمعون كلام الله» ويعلمون انه حق ويصدقون فيحرفونه ويتأولونه على غير تأويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لاهوائهم واعانة لمن يرشونهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمشلوا أمره وحقوا القول في اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد (ص) في التوراة وقوله «ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه» قيل فيه وجهان ﴿احدهما﴾ أن يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه فانكروه عناداً «وهم يعلمون» انهم يحرفونه أي يغيرونه (والثاني) ان معناه من بعد ما تحقروه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول أليق بذهبتنا في الموافاة وانما اراد الله سبحانه بالآية ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) إن لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلهم بأبائهم واسلافهم الذين كانوا في زمان موسى^(١) اسوة اذا جروا على طريقتهم في الجحد والعداوة وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتاب الحق وان كان يتتبع ذلك على الجمع الكثير والجمل التغيير لا يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه انما نسب فريقاً منهم الى العاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين

قوله تعالى (٧٦) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِرَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَيْبِكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من العدوث وكأنه اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح الملق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فنما الحكم يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكمهم^(٢) يقولون متى هذا الفتح اي متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء وقال الشاعر

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي عَصْمٍ رُسُولًا
فَأَنِّي عَنِ فُتْحِكُمْ غَنِيٌّ

ويقال للقاضي الفتح ومنها التعليم يقال افتح علي هذا اي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحني اي اطلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحااجة والمجادلة والمناظرة نظائر فالمحااجة ان يحتاج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي به يكون الظفر عند الحجاج ويقال حاجبته فحجبتة وفي الحديث فتح آدم موسى اي قلبه في الحجة وأصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكسة المقصودة في تصحيح الامور

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتراطنين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد فنهاهم كبرواهم عن ذلك وقالوا لا تجبروهم بما في التوراة من صفة

(١) وفي نسخنا المخطوطة والطبوعة «كذبوا موسى» بدل «كانوا في زمان موسى» (٢) [ومنه و].

(الجزء الاول) قوله تعالى اولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله ومثهم اميون الخ ١٤٣ ج ٢

محمد فيحاجوكم به عند ربكم فقلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والحنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هو لاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال «و» هم الذين «اذا لقوا الذين آمنوا» اي رؤوم «قالوا آمنا» اي صدقنا بمحمد انه نبي صادق نجده في كتابنا بنعمته وصفته وبما صدقتم به واقرنا بذلك اخبر الله تعالى منهم انهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وتحلوا بجليتهم واستنوا بسنتهم «واذا خلا بعضهم الى بعض» اي اذا خلا بعض هو لاء اليهود الذين وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو الموضع الذي ليس فيه غيرهم «قالوا» يعني قال بعضهم لبعض «اتحدثونهم بما فتح الله عليكم» قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتونهم به عليهم اي لا تقروا بانهم نبي وقد علمت انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبي الذي كنا نتظره ونجده في كتابنا اجده وولا تقروا لهم به وقال الكسائي اتحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به وبعض الاقوال فيه ذكرناه في التزول واقرى التأويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم في التوراة ومن قضاه فيكم انه جعل منكم القردة والحنازير وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اي ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة في ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله اذ كنتم مقرين به ومخبرين بصحة امره من كتابكم فهذا يبين حججهم عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلوكم ويقولوا لكم قد اقرتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله «عند ربكم» قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعي اي في حكمه وهذا محل عند الله اي في حكمه وقوله «افلا تعقلون» اي افلا تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه باتحذرونهم به من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون فلا تطمعوا في ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اي فلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول رؤسائهم

قوله تعالى (٧٧) **أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** (آية)

﴿ المعنى ﴾

«اولاً يعلمون» يعني اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهمي عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين فهم من هذه الجهة ألوم والمذممة لهم ألوم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم آمنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة واي المعالية

قوله تعالى (٧٨) **وَمِنْهُمْ أَمِيُونٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُنُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وشيبة والحسن امانى مخففة والباقر بالتشديد وكذا في قوله ليس بأمانىكم ولا امانى اهل الكتاب

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الاصل فيه التثنية اما في جمع امنية والتخفيف في هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاوّل التي هي نظيرة ياء المدّ مع غير الادغام نحو ياء قراطيس وحوامين وارجيح جمع حوامنة وارجوحة الا تراها قد حذفت في نحو قوله (والبكرات الفسح الطامسنا) وقوله (وغير سفع مثل يعام) يريد عطاميس ويعامم على ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفه ولا ادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك فلذا لت حذفها فكأنك انما حذفت شيئا هو في حال وجوده في حكم المحذوف

﴿ اللنة ﴾

الأمي الذي لا يحسن الكتابة ولما سمي أمياً لأحد وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الأمة الخلقه نفسي اميا لأن باق على خلقته ومنه قول الاعشى

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طولال الأمم

(وثانيها) انه مأخوذ من الأمة التي هي الجماعة اي هو على اصل ما عليه الأمة في انه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب (وثالثها) انه مأخوذ من الأم اي هو على ما ولدته امه في أنه لا يكتب وقيل لفا نسب الى امه لأن الكتابة انما تكون في الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناها التلاوة يقال تمني كتاب الله أي قرأ وتلا وقال كعب بن مالك

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر

تمنى كتاب الله بالليل خالياً تمنى داود الزبور على رسل

(وثانيها) ان المراد بالاماني الاحاديث المخلقة من القراء والعرب تقول أنت انما تمنى هذا القول اي تخنّ وقال بعضهم ما تمنيت مذ اسلمت اي ما كذبت (وثالثها) ان المراد بالاماني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن نمسنا النار الا اياما ممدودة وقولهم نحن ابتداء الله واجابوه وقال الزجاج اذا قال القائل ما لا يملكه فكأنه انما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس تقول للذي يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا المنيني وهذه امنيتهم والظن هو ترجيح احد الجانبين على الآخر لأمانة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب وفي الناس من قال هو اعتقاد

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الخبر وفي قول الاخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم قال ابو علي ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وانما يرتفع بالظرف الذي هو منهم ومذهب سيويه انه يرتفع بالابتداء ففي منهم منده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فلما على مذهب الاخفش فلا ضمير لقوله اميون في منهم ولا موضع له منده كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وانما رفع الاخفش الاسم بالظرف لأنه نظر الى هذه الظروف فوجدتها تجري مجرى الفعل في مواضع وفي انها تحتل الضمير كما يحتل الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما اشبه به ويؤكد ما فيها كما يؤكد ما في الفعل وما قام مقامه في نحو مرتت يقوم لك اجمعون وينصب منها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصد ضميره في الفعل ويوصف به التكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما رأها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتداً مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل

(١) قاله : غيلان بن حريث . الفصح بتشديد السين جمع فاسج : الناقة العجلى ، والمعطوس : تامة الخلفة (٢) [أميون]

اذ قامت هذه الظروف مقام الفعل في هذه المواضع فقال في عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم هاهنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذي هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما في الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا يدل على انه لا عمل للفعل هنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء المتقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر^(١)

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرَ طَمَنِ الْكَلْبِيِّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ
وقول النابغة

حَلَقْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا أَعْلَمَ إِلَّا حَسْنَ ظَنِّ بَصَاحِبِ
وإن في قوله إن هم بمعنى ما اي ما هم الا ظانن فهم مبتدأ ويطنون خبره

﴿ المعنى ﴾

«ومنهم» يعني ومن هو لا اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات وقطع الطمع عن ايمانهم «أميون» اي غير عالين بمعاني الكتاب يطمنونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم يزل عليهم كتاب والنبي الامي الذي لا يكتب وانشد شريح

لَهُ أُمَّةٌ مُسَمِّيَةٌ فِي الزُّبُو رِ أُمَّيَّةٌ هِيَ خَيْرُ الْأُمَّمِ

وقوله «لا يعلمون الكتاب» اي لا يعلمون ما في الكتاب الذي انزل الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود والاحكام والفرائض فهم كهينة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعني به التوراة ادخل عليه لام التعريف «الا» بمعنى لكن «اماني» اي قولوا يقولونه يافواهم كذبا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها علواهم عن الكلبي وقيل تلاوة يتلونونها ولا يدرونها عن الكسائي والقراء وقيل امانى يتمنون على الله الرحمة ويخطر الشيطان بآلهم ان لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول (ص) وعود الرياسة اليهم وقيل امانى يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه ويقوي ذلك قوله وان هم الا يظنون فبين انهم يخلطون ما يخلطون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونونها لا كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونونه لأن الذي يتلوه اذا تدبره عليه ولا يقال للمتمني في حال وجوده تمنيه انه يظن تمنيه ولا أنه شك فيا هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبي لم يشكوا في ان التوراة من عند الله وقوله «وان هم الا يظنون» معناه انهم يشكون وفي هذه الآية دلالة على أن التقليد في معاني الكتاب وفي طريقه العلم غير جاز وان الاقتصار على الظن في ابواب الديانات لا يجوز وان الحجعة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالين اذا تمكنوا من العلم به وإن من الواجب ان يكون التعويل على معرفة معاني الكتاب لا على مجرد تلاوته

قوله تعالى (٧٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِنَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الويل في اللفظة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصه العذاب والملاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعي هو التقيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والحزني ومنه قول الشاعر

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَبَيْلَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرِ

(١) وهو عمرو بن ابيهم النخعي (٢) وهو الخليل السدي.

واصل الكسب الصل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا مباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له قال لبيد
لِمُعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوِاسِبٌ مَا يُعْنُ طَعْمًا مَهَا (١)
وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يحتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه يقال للجوارح من الطير كواسب

﴿ الاعراب ﴾

ويل رفع بالابتداء وخبره للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا
للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره اذا اضفت ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت
ويح زيد وويل زيد واما التمس والبعد وما اشبهها فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وانما يقال في
نحوها تمسا له وبعدا له وتبأ له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد وويحا له قال الشاعر

كَمَا اللُّومُ نَيْمًا جُضْرَةً فِي جُلُودِهَا فَوَيْلًا لِتَيْمٍ مِنْ سَرَائِيلِهَا الْخُضْرُ

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود فقال «فويل للذين يكتبون الكتاب» قال ابن عباس الويل في الآية
العذاب وقيل جبل في اثار وروى الحديدي عن النبي صلى الله عليه وآله انه واد في جهنم يهوي فيه الكفار اربعين
خريفًا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر والتفجع والتلف والتوجع يقولها كل
مكروب هالك وفي التزويل ياوليتنا ما لهذا الكتاب وقوله «الذين يكتبون الكتاب بأيديهم» ثم يقولون هذا من
عند الله «معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه الى الله سبحانه كقولهم سبحانه مما علمت ايدينا اي نحن تولينا ذلك لم
نكلمه الى احد من عبادنا ومثله خلقت بيدي ويقال رأيت به مبني وسمعته بأذني ولقيته بنفسي والمعنى في جميع ذلك
للتأكيد وايضا قد يضيف الانسان الكتاب الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت الى فلان
وهذا كتابي الى فلان وكقولهم سبحانه يُذَبِّحُ ابْنَاهُمْ وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بأيديهم
ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم
كالرجل اذا اخترع مذهبا او قولاً لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يؤخذ عنه من
الاحوال قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بأيديهم انهم عمدوا الى التوراة
وحرقوا صفة النبي صلى الله عليه وآله ليقوموا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو الروي عن ابي جعفر الباقر
عليه السلام وعن جماعة من أهل التفسير وقيل كانت صفته في التوراة أسمر ربعة فجعله آدم طويلاً وفي رواية
عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله مكتوبة في التوراة اكحل أعين
ربعة حسن الوجه فمحوه من التوراة حسداً وبغياً فأناهم نفر من قريش فقالوا انجدون في التوراة نبيا منا قالوا
نعم نجده طويلاً ازرق سبط الشعر ذكره الواحدي بإسناده في الوسيط وقيل المراد بالآية كاتب كان يكتب
للنبي فيغير ما يبلي عليه ثم ارتد ومات فلفظته الارض والاول اوجه لأنه أليق بنسق الكلام وقوله «ليشتموا به ثنا
قليلاً» يريد لياخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ الاشتراء توسعاً والمراد انهم تركوا
الحق واطهروا الباطل لياخذوا على ذلك شيئاً كمن يشتري السلعة بما يعطيه والقائدة في قوله ثنا قليلاً ان كل ثمن له
لا يكون الا قليلاً وللمرب في ذلك طريقة معروفة يعرفها من تصنع كلامهم وقيل انما وصفه بالقله لأنه عرض
الدنيا وهو قليل المدة كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل لثا قال قليل لأنه حرام وقوله «فويل
لهم مما كتبت ايديهم» اي عذابهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب «وويل لهم مما يكتبون»
من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشي التي يأخذونها عن العوام

(١) المعفر: الملقى على التراب والقهد: الايض الكدر والشلو: العضو. الغبس جمع اغبس والتبسة: لون كلون الرمال
ويمن اي يقطع.

(الجزء الاول) قوله تعالى وقالوا لن نمسنا النار الا اياما معدودة الى قوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ١٤٧

ج ١

قوله تعالى (٨٠) وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَا النَّارُ اِلَّا اَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ اَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللفة ﴾

الس نظير اللس والفرق بينهما ان مع اللس احساسا واصل اللصوق وحده الجمع بين الشينين على نهاية القرب والإخلاف نقض ما تقدم من العهد بالمثل

﴿ الاعراب ﴾

ايما انتصب على الظرف واصل اتخذتم اتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومن القراء من ادغم الذال في التاء من اتخذتم وفيهم من لم يدغم وأم هاهنا يحتمل أن تكون متصلة على المادلة لهمزة الاستفهام كأنه قال على أي الحالتين انتم تقولون على الله ما تعلمون ام تقولون عليه ما لا تعلمون ويحتمل أن تكون منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كأنه استأنف فقال بل تقولون

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس ومجاهد قديم رسول الله (ص) المدينة واليهود تزعم أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فانزل الله هذه الآية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوما لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا» اي قالت اليهود «لن نمسنا النار» أي لن نصيبنا «الا اياما معدودة» معناه اياما قلانل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت كان معناها القليلة قال الله سبحانه قل يا محمد لهم «اتخذتم عند الله عهدا» اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوجهه وتزويله فإن كان ذلك قائم سبحانه لا ينتقض عهده وميثاقه «ام تقولون على الله» الباطل جهلا منكم به وجوراً عليه

قوله تعالى (٨١) بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة خطباته على الجمع والباقون على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يجوز ان يكون من للجزء الجازم ويجوز ان يكون للجزء غير الجازم فتكون السينة وان كلفت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك تكون خطبة مفردة وانما حسن ان يفرد لأنه مضاف الى ضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجر وان كان في المعنى جمعا في الموضعين فكذلك المضاف اليه الخطبة لا لم يكن جمعا لم يجمع كما جمعت في قوله نضر لكم خطاياكم ولينفر لنا خطايانا لأن ذلك مضاف الى جمع ومن قال خطباته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتدأ الذي هو من في قول من جعله جزءا غير مجزوم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدأ في قول من جعله جزءا مجزوما وفي كلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من

كسب سيئة وما يدل على أن من يراد به الكثرة فيجوز لذلك أن يجمع خطيئة لأنها مضافة الى جمع في المعنى قوله بعد هذه والذين آمنوا وعملوا الصالحات أو لك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادل به فكذلك المعادل به يكون جمعا مثل ما عودل

﴿ الاعراب ﴾

بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب للنفي ونعم جواب الايجاب قال القراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لأنه اذا قال لغيره مالك علي شي . فقال له نعم فقد صدقه وكأنه قال نعم ليس لي عليك شي . واذا قال بلى فإنما هو رد لكلامه اي لي عليك شي . وقوله هم فيها خالدون عطف هذه الجملة على الاولى بغير حرف العطف لأن في الجملة الثانية ذكرا من في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما ان حرف العطف يربطه به مثل قوله انهم كانوا قبل ذلك معصين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال في موضع آخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالنيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فحذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم استثناء عنها بما في الجملة من ذكر ما في الاول لأن الحرف يدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فاستثنى به عنه

﴿ المعنى ﴾

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فقال «بلى» اي ليس الامر كما قالوا ولكن «من كسب سيئة» اختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السيئة هاهنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة للنار وقال السدي هي الذنوب التي اوعده الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله «احاطت بخطيئته» يحتمل امرين (احدهما) انها احاطت به من كل جانب كقولنا تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (الثاني) ان المعنى اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم وقوله وظنوا انهم احيط بهم وقوله واحيط بشمره وهذا كله بمعنى البوارز والملكة فالمراد انها سدت عليهم طريق النجاة وروى عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنب وانما قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللغظين ليكون ابلغ وافصح «فاولئك اصحاب النار» اي يصحبون النار ويلازمونها «هم فيها خالدون» اي دائمون ابدا عن ابن عباس وغيره والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عباس لأن اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لأن المعنى ان خطاياهم قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجدها مخلصا ولا مخرجا ولو كان معه شي . من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التعاطب ولأن قوله تعالى «والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون» فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد بالسيئة في الآية الشرك فيسطل الاحتجاج بالآية على دخول العمل في الايمان على ما ذكره اهل التفسير ان سيئة واحدة لا تحبط جميع الاعمال عند أكثر الحصرم فلا يمكن اذا اجراء الآية على العموم فيجب ان يحمل على أكبر السيئات واعظم الخليات وهو الشرك ليتمكن الجمع بين الآيتين

قوله تعالى (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الرَّحْمَنِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحمة والكسائي لا يعبدون بالياء والباقون بالثاء وقرأ حمزة والكسائي وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين .

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ لا تعبدون بالثاء على الخطاب قوله واذا اخذنا الميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم الى آخر الآية ويقويه قوله وقولوا وقوله ثم توليم الا قليلا منكم وانتم معرضون فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرأ بالياء قوله قل للذين كفروا ان يتتوا يغف لهم ما قد سلف فحمله على لفظ الضميمة واما قوله حسنا فن قرأه بضم الحاء ففيه ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالتجمل والتجمل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا الرّب والرّب وهو صفة بدلالة قولهم مرتت يقوم عرب اجمعين فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر و (ثانيها) ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاف معه اي قولوا قولوا حسنا و (ثالثها) ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي يحسن قولكم حسنا ومن قرأه حسنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولوا حسنا كقوله تعالى فامتعه قليلا اي متاعا قليلا

﴿ اللغاة ﴾

الاخذ ضد الاعطاء والتربى مصدر قولهم قرّبت مني رحم فلان قرابة وقرّبتى وقرّبا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات ابيه الى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن ماتت امه يتيم يقال يتيم يتيمتا اذا قد اباه هذا في الانسان فاما في غير الانسان فيتمه من قبل امه قال الاصمعي ان اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم والمسكين هو المتخضع المتذل من الحاجة مأخوذ من السكون كأنه قد اسكنه الفقر

﴿ الاعراب ﴾

قوله لا تعبدون لا يخلو اما ان يكون حالا او يكون تليقي القسم او يكون على لفظ الخبر والمنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فتعذف أن فيرتفع الفعل فان جعلته حالا فالاولى ان يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال وكأنه قال اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تليقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا كنت قد جمعت بين امرين لا يجمع بينهما فان لم تحمل الامر على القسم واضمرت القول كأنه قال واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا على هذا معطوفا على اخذنا جاز لأن اخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمنى معنى الامر يكون مثل قوله توؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكّد ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقولوا واقسموا الصلاة وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف أن ارتفع الفعل كما قال طرفة

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعْنَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

فان هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيويه ان حذف أن من هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لأن ما تعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه . وأحسن يصل الى المفعول بالياء كما يصل بالياء يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن فتعدى بالياء كما تعدى بالياء في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليم الا قليلا منكم قال

الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثنى قليلا منكم قال ابو علي إن في هذا التمثيل ايها ما ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثنى او بالاً وليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبله إلا بتوسط الإكمام ينتصب الطيالة ونحوها في قولك جاء البرد والطيالة وما صنعت وباك عن الجملة التي قبل الواو بتوسط الواو ويدل على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان لا لأو لا يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثنى زيدا لصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبقى فارغا بلا فاعل قيل فهلا ذلك امتناع هذا من الجواز على أن ما بعد إلا متصل بما قبلها وانه ليس إلا لآفيه عمل ولا اثر الامايدل عليه من معنى الاستثناء.

﴿ المعنى ﴾

ثم ماد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل فقال «و» اذكروا «اذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل» اي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو موثيق الانبياء على امهم والهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكأنه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقتلنا لهم وافه «لا تمبدون» اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على أن معناه الامر فكما قلناه قبل واذا حملناه على حذف أن فتقديره واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تمبدوا «الا لله» وحده دون ما سواه من الأنداد وبأن تحسنوا الى «الوالدين احسانا» والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بأن يفظوه الى الوالدين هو ما فرض على أممتنا ايضا من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لها والتحنن عليها والرافقة بهما والدعاء بالخير لها وما أشبه ذلك وقوله «هوذي القرني» اي وبذي القرني أن تصلوا قرابت ورحمة «واليتامى» اي وباليتامى ان تعطفوا عليهم بالرافقة والرحمة «والمساكين» اي وبالمساكين ان تؤمهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله «وقولوا للناس حسنا» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لأن الخبر انما كان عن مخاطبه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ايضا ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فقال الاول قول عنزة

شَطَّتْ حَمْرَارُ الْمَأْشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسِيرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ

ومثال الثاني قول كثير عزة

أَسَدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
لَدَيْنَا وَلَا مَقِيلَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والحلق الكريم وهو بما ارتضاه الله وأحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي معروفا وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس أحسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملقف ويحب الحلیم العفيف المتفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ بآية السيف وبقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا آله الا الله او يقرؤوا بالجزية وقد روي ذلك ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال في آية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله «واقسموا الصلوة» اي ادوها بمجودها الواجبة عليكم «واتوا الزكاة» اي اطولوا اهلها كما اوجبها الله عليكم روي عن ابن عباس ان الزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروي عنه ايضا ان المعنى به طاعة الله والاخلاص وقوله «ثم توليم» اي اعرضتم «الا قليلا منكم وانتم معرضون» اخبر الله سبحانه

عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالقوا امره وتولوا عنه مرضين الا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده وميثاقه ووصف هرولا. بأنهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني اسرائيل وذنم لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التزادة وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الآية وانما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحدا تأكيدا وتحميل معنى تولوا فتلوا الاعراض وهم معرضون اي مستمرين على ذلك وفي هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق النعم بأصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصها بالمزية لكونها سببا للوجود وانعامها بالقرية ثم ذكر ذوي القربى لانهم اقرب الى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لقرهم

قوله تعالى (٨٤) **وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكا وواحد الدماء دم واصله دمى في قول اكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دمى قول الشاعر

قَلَوْنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبْحَنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبَرِ اليَقِينِ

وقال قوم اصله دمى الا انه لما حذف ورد اليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس مأخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الهذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتفاع وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهو الاخبار عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة

﴿ الاعراب ﴾

تقدير الاعراب في هذه الآية مثل الذي قلناه في الآية الاولى على السواء

﴿ المعنى ﴾

ثم صلف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق واليهود بقوله «واذا اخذنا ميثاقكم» اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والانبياء الماضين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وانما اضاف للميثاق اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله «لا تسفكون دماءكم» معناه لا يقتل بعضهم بعضا لان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه اذا كانت ملتصقا واحدة ودينها واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم بعضا قال النبي صلى الله عليه وآله انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر هذا قول قتادة واي العالمة وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاوبه قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لانه كالسبب فيه وقوله «ولا تخرجون انفسكم من دياركم» معناه لا يخرج بعضهم بعضا من دياركم بأن تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاجراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله «ثم اقررتم وانتم تشهدون» اي اقررتم بذلك وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم من القبول والالتزم وقيل معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر (٢)

أَلَسْتُ كَلْبِيًّا إِذَا سِيمَ خُطَّةً أَرَى كَأَقْرَارِ الْحَيْلَةِ لِلْبَلِّ

(١) مر قبل في من ٧٣ فراجع (٢) وهو بيت بهجوني كليب ونسبه بعضهم الى الفرزدق

واختلف في المخاطب بقوله وانتم تشهدون فقيل اليهود الذين بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله
 امام هجرته اليهم ويختمهم الله تعالى على قلوبهم احكام ما في ايديهم من التوراة التي كانوا يقرؤون بحكمها وقال
 لهم ثم اقررتهم يعني اقرأولكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم بأخذي الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا
 دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وتصديقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عز وجل عن
 اوائلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الآيات وانتم تشهدون اي وانتم
 شهود عن ابي العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه وانتم تشهدون على أنفسكم
 بالاقرار و(الثاني) ان معناه وانتم تحضرون سفك دماءكم واخراج أنفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين
 نزل الآية في بني قريظة والتضير وقيل نزلت في اسلاف اليهود

قوله تعالى (٨٥) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ
 دِيَارِهِمْ تَطَاهُرُونَ عَلَيْهِمُ بِالْإِسْلَامِ وَاللَّعْنَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَتَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ
 عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَقْوَمُ مِنْ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
 عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿القرارة﴾

قرأ اهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيها وقرأ ابو جعفر ونافع
 وعاصم والكسائي ويقرب اسارى فتادوهم بالالف فيها وقرأ حمزة وحده أسرى فتدوهم بغير الف فيها وقرأ
 ابن كثير وابن عامر وابو عمرو أسارى بالف فتدوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يملون الراء
 من أسارى ونافع يقرأ بين بين والباقون يفتحون

﴿الحجة﴾

من قرأ تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون لحذف التاء الثانية لاجتماع التاءين ومن قرأ تظاهرون
 بالتشديد فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء في الظاء تقرب المخرجين وكل واحد من الفريقين كره اجتماع
 الامثال قريقتين خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف فالتاء التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف ووجه
 قول من قرأ أسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى
 ووجه قول من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لا كان محبوبا عن كثير من تصرفه للاسر كما ان
 الكسلان محبوس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى لا كانوا
 مبتلين بهذه الاشياء المصائب فيها فاشبه في المعنى فعيل بمعنى مفعول فاجرى عليه في الجمع اللفظ الذي فعيل بمعنى مفعول
 وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى بأسرى ومن قرأ فتادوهم فلان لكل واحد من الفريقين فعلا فن الاسر دفع
 الاسير ومن الأسور منهم دفع فدائه فوجه فتادوهم على هذا ظاهر ومن قرأ فتدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في
 فتادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر

يُودُونَ لَوْ يَفْدُونَنِي بِنُفُوسِهِمْ وَمَنْشَى الْأَوَاقِي وَالْقِيَانِ التَّوَاهِدِ

وقال الاعشى في فادي

عِنْدَ ذِي تَاجٍ إِذَا قِيلَ لَهُ فَادِ بِالْمَالِ تَرَ أَخِي وَصَرِيحٌ

المفعول الاول محذوف والتقدير فاد الاسرى بالمال وفي الآية المفعول الثاني الذي يصل اليه الفعل بالحرف محذوف

﴿ اللفة ﴾

تظاهرون تماونون والظهير المعين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول ربيعة (دعها فما التحو من صديقتها) اي من اصدقائها وظاهر بين درعين لبس احدهما فوق الاخرى والاثم الفعل الصيغ الذي يستحق بها اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي (ص) لئوان بن سحمان حين سألته عن البر والاثم فقال البر ما اطابت اليه نفسك والاثم ما حلك في صدرك والمدون الافراط في الظلم يقال عدا فلان في ظلمه عدوا وعدوا وعدوا وعدوا وقيل العدوان مجاوزة الحد والاسرى الأخذ بالقهر واصطالشد والحلبس واسره اذا شده وقال ابو عمرو بن العلاء الأسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وإن لم يكونوا في الوثاق والحزبي السوء. والذل يقال حزبي الرجل حزبا ويقال في الحيا حزبي خزاية

﴿ الاعراب ﴾

قوله ثم انتم هولاء فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان انتم مبتدأ وهو لاء منادى مفرد تقديره يا هولاء وتقتلون خبر المبتدأ (وثانيها) ان هولاء تأكيد لانتم (وثالثها) انه بمعنى الذين وتقتلون صلة له اي انتم الذين تقتلون انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له من الاعراب ومثله في الصلة قوله وما تملك بيبيتك يا موسى اي وما التي بيبيتك وانشد النحويون في ذلك

عَدَسٌ مَا لِبِإِدِّ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ . نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِيلٌ تَطْلِقُ

وقوله تظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من تخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اضمار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله وتخرجون فريقتا منكم ثم بين ذلك بقوله اخراجهم تأكيدا لتراخي الكلام (والآخر) أن يكون هو ضمير القصة والحديث فكأنه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله قل هو الله احد اي الاسرى الذي هو الحق الله احد

﴿ المعنى ﴾

«ثم انتم» يا مشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به «تقتلون انفسكم» اي يقتل بعضهم بعضا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلّموا على انفسكم اي لسلّم بعضهم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل وتخرجون فريقتا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم اي متعاونين عليهم في اخراجكم اياهم «بالاثم والعدوان وان يأتوك اسارى تقادوم وهو محرم عليكم اخراجهم» اي وانتم مع قتلهم من تقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم وقتلكم اياهم واخراجكموهم من ديارهم حوام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم حوام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعا في حكم اللازم لكم فيهم سواء لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم «افتروا منون ببعض الكتاب» الذي فرضت عليكم فيه فرائض وبيئت لكم فيه حدودي واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى فتصدقون به فتقادون اسراكم من ايدي عدوهم وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمت ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لهدي وميثاقى واختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كاللوس والحزرج فافتقروا فكانت النضير مع الحزرج وكانت قريظة مع اللوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التوراة واللوس والحزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا ناراً ولا قيامة ولا كتاباً فأناب الله

تعالى اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوماً اخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق ان لا ينفكوا دماؤهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم واخذ عليهم الميثاق ان أسر بعضهم بعضا ان يفادوهم فاخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فأمنوا بالهداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل ليس الذين اخرجوهم الذين فادوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فاتبهم الله تعالى على ذلك وقال ابو مسلم الاصماني ليس المراد بقوله افترومون الآيات انهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وانما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله «فا جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا» اختلف في الخزي الذي خزاهم الله اياه بما سلف منهم من العصية فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه محمد (ص) من اخذ القاتل بن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزلاهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صاثرون بعده الى عذاب عظيم فقال «ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب» اي الى اشد العذاب الذي أعدّه الله لأعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلص «وما الله بغافل عما تعملون» اي وما الله بساهٍ عن اعمالهم الحبيثة بل هو حافظ لها ومجاز عليها ومن قرأه بالثاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افترومون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وما يسأل في هذه الآية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الأيمان والكفر وذلك منافي للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم علمتم ببعضه دون بعض فكانكم آمنتم ببعض دون بعض وهذا يدل على انهم لا ينفعهم الايمان ببعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لنبينا عليه السلام في ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الايمان به فكانه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى قوله تعالى (٨٦) **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** (آية)

﴿ اللمة ﴾

اللمة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في اللمة والثقل فقيل انه يرجع الى تناقص الجواهر وترايدها وقيل إن الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص بجهة العلوي يسمى خفة

﴿ المعنى ﴾

اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال «اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا» اي ابتاعوا رياسة الدنيا «بالآخرة» اي رضوا بها عوضا من نعم الآخرة التي أعدّها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم اخبر أنهم لا حظ لهم في نعم الآخرة بقوله «فلا يخفف عنهم العذاب» اي لا ينقص من عذابهم ولا يهون عنهم «ولا هم ينصرون» اي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٨٧) **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَبَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير القدس يسكون الدال في جميع القرآن والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن ابي عمرو وأيدناه على زنة افعلناه والقراءة ايدناه بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

التخفيف والتثقيل في القدس وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والحلم والعنق والعنق وايدناه انما كانت القراءة المشهورة فيه فقلناه لا يعرض من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في ايدناه على افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال عين افعلت من الاجوف كآقت وابمت لتتابع فيه اعلالان لأن اصل ايدت . أيدت كما ان اصل أمن . أمن فانقلبت الهززة الثانية الفاء لاجتماع همزتين في كلمة واحدة والاولى منها مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا أن تلتى حركة العين على الفاء . وتحدف العين كما القيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار آقت وكان يجب على هذا ان تقلب الفاء هنا واوا لأنها قد تحوكت وانفتح ما قبلها ولا بد من قلبها لوقوع الهززة الاولى قبلها كما قلبت في تكسير آدم أو ادم فكان يجب أن تقول اودته كآفته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي في الاصل همزة واوا فيعتل الفاء . والعين جميعا واذا كان يودي القياس الى هذا رفض وكثيره فقلت ليو . من الاعلالان وجاء . أيدت قليلا شاذا على الأصل واذا كانوا قد اخرجوا عين افعلت وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله

صَدَدْتَ فَأَطَوَّلْتَ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

وأعوز القوم وأغميت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج ايدت على الصحة لتلا يجتمع اعلالان اولى واحرى

﴿ اللغة ﴾

قفينا اي اردنا واتبعنا بعضهم خلف بعض واصله من القفا يقال قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس (٣)

وَقَفَى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَعَيْبَةُ شَوْهٍ بُوبِ مِنَ الشَّدِّ مُلْهِبِ

والرسل جمع رسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وايدناه قويناه من الايد والاد وهما القوة ومثلها في البناء على فعل وفعل الذم والذام والعيب والياب قال العجاج (مِنْ أَنْ تَبَدَّلَتْ بِأَدْيٍ آدَا) اي بقوة شبلي قوة الشيب والقدس الطهر والتطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس اي الطاهر المتع عن ان يكون له ولد اويكون في فعله وحكمه ما ليس بعدل وبيت القدس لا يخلو المقدس فيه اما ان يكون مصدرا او مكانا فإن كان مكانا فالمنى بيت المكان الذي فعل فيه الطهارة وضيف الى الطهارة لأنه منسك كما جاء أن طهرا بيتي للطائفتين وتطهيره اخلاوه من الصم وابعاده منه فطلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدرا كان كقوله الي مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا المثال والهوى مقصورا والشهوة نظيران هوى يهوى هوى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قبلوه به من تكذيبهم فقال «ولقد آتينا موسى الكتاب» أي اعطيناه التوراة وانزلناه اليه «وقفينا من بعده» اي اتبعنا من بعد موسى «بالرسل» رسولا بعد رسول يتبع الآخر الأول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعثه الله تعالى نبيا بعد موسى الى زمن عيسى عليها السلام فإنما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك «وآتينا عيسى بن مريم البينات» اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وإبراء الأكمه والابصر ونحو ذلك من الايات الدالة

على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل وما فيه من الاحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام «وايدناه بروح القدس» أي قويناه واعناه بجبريل (ع) عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرائيل عليه السلام روحا على وجوه ﴿احدها﴾ أنه يجي بما يأتي به من الينات الايمان كما تجيا بالأرواح الأبدان (وثانيها) انه سمي بذلك لأن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم تشريفا له (وثالثها) أنه سمي به واطيف الى القدس لأنه كان بنكوتين الله تعالى اياه روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمي الله تعالى روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فكذلك سمي الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى (ع) يجي به الموتى وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى نفسه تشريفا كما قال بيت الله وفاقه الله واقوى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرائيل (ع) واذا قيل لم خص عيسى (ع) من بين الانبياء بأنه مؤيد بجبرائيل وكل نبي مؤيد به فالقول فيه انه انما خص بذلك ثبوت اختصاصه به من صفه الى كبره فكان يسير معه حيث سار ولا هم اليهود يقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان يمثل لمريم عند حملها به وبشره ابه ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكى قطرب انهم يقولون قدس عليه الانبياء اي بركوا وعلى هذا فإنه كدعاء ابراهيم (ع) للحرم رب اجعل هذا بلدا آمنا وكقول زكريا واجله رب رضى وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد وقوله «افكلها كما رسول بما لاتهم انفسكم استكبرتم» خطاب لليهود فكانه قال يامشر يهود بني اسرائيل اكلمها كما رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم تعظمت وتجبرت وانفتم من قبول قوله «فريقا كذبتم وفريقا تقتلون» اي فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى (ع) ومحمد (ص) وقتلت بعضا مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التثنية فهو بمعنى الخبر وانما اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه بنفسهم لانهم رضوا بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وإن فعله اسلافهم

قوله تعالى (٨٨) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿القرأة﴾

القرأة الشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن ابي عمرو غلف بضم اللام

﴿الحجة﴾

من قرأ بالتسكين فهو جمع الاغلف مثل احمر وحمر ويقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفا وجمعا غلف ولا يجوز تثنيه الا في ضرورة الشعر نحو قول طرفه

أَيُّهَا الْفَتَيَانُ فِي مَجْلِسِنَا
جَرَدُوا مِنهَا وُرَادًا وَشُفْرًا

فحركت لضرورة الشعر فن قرأ غُلف مثقلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار وحمر فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فبالها لا تقهم ويجوز ان يكون التسكين عن التثنية مثل رُسل ورُسل

﴿اللغة﴾

اللمن هو الاتصاء والابعاد يقال لمن فلان فلان فهو ملمون ثم يصرف مفعول منه الى فصيل فقيل لمن قال السباح

وَمَا قَدَّوَرَدَتْ لَوْ صُلَّ أَرْوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْوَرَقِ اللَّجِينِ

دَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَتَقَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرُّجْلِ اللَّعِينِ

﴿ الاعراب ﴾

قليلاً منصوب بأنه صفة لمصدر محذوف وإنما حذف لأن الصفة تقوم مقامه وتدل عليه أي فإيما قليلاً ما يوم منون وقيل أنه منصوب على الحال أي يوم منون وهم قليل وقيل تقديره بقليل ما يوم منون حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه وما هاهنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله فبأرحمة من الله وتقدير الكلام قليلاً ما يوم منون وكما في قول الشاعر

لَوْ بَأْبَانِينَ جَاءَ يَخْطُبُهَا
خَضَبَ مَا أَنْفَ خَاطِبِ يَدَمِ

وقيل إن معنى ما هاهنا هو أن يدل على غاية التكثير في الاسم وفرط الإبهام فيه كما يقال امر ما وشي ما إذا أريد البالغة في الإبهام

﴿ المعنى ﴾

«وقالوا لقلبنا غلف» رجع الكلام إلى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقامهم وفعلهم فالمعنى على القراءة الأولى أنهم ادعوا أن قلوبهم ممنوعة من القبول فقالوا أي فائدة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول إذ ما تقول ليس مما يفهم كقوله تعالى وقالوا لقلبنا في أكتة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر وقال أبو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء إذا ذكر بأنه لا يعلم وصف بان عليه مانع من ذلك ودونه حائلاً فمن ذلك قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها لا كان القفل حاجزاً بين القفل عليه وحائلاً من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلاً جعل مثلاً للقلب بانها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله لقالوا أنا سكرت ابصارنا والذين كانت أعينهم في خطاء عن ذكرى وقوله بل هم منها عمون كأن شدة عنادهم تحملهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات وأما المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على أن المراد أن قلوبنا أوعية للعلم ونحن علماء ولو كان ما تقوله شيئاً يفهم أوله طائل لفهتاه أو يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علماء لكان فيها وقوله «بل لعنهم الله بكفرهم» رد الله سبحانه عليهم قولهم أي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد اقتصاهم وابتدعهم من رحمته وطردهم عنها بجهودهم به وبرسله وقيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازة لهم بكفرهم وقوله «قليلاً ما يوم منون» معناه أن هؤلاء الذين وصفهم قليلاً بالإيمان بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وإن كان معهم بعض الإيمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم وذلك قليل بالإضافة إلى ما جحدوه من التصديق بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وبما جاء به والذي يليق بذهبتنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلاً وإنما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أي ما رأيت هذا قطوان جعلت قليلاً نصباً على الحال أي يوم منون قليلاً فمعناه لا يوم من به إلا نفر قليل كعبد الله بن سلام وأصحابه وفي هذه الآية رد على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الإيمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن والطرود ولكان الله سبحانه قد كفهم ما لا يطيقونه

قوله تعالى (٨٩) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

مصدق رفع لأنه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جاتراً لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل ضم على الغاية وقد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأما جواب لا في قوله ولا جاءهم

كتاب من عند الله فعند الزجاج والافخش مخدوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلمت به الموتى وتقديره ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كررنا لطول الكلام عن المبرد

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون اي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبثته فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معمر وما معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مسكم اخو بني النضير ما جاءنا بشي . نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي باسناده رفعه الى ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجدي في كتبها ان مهاجر محمد رسول الله (ص) ما بين غير واحد فخرجوا يطلبون الموضوع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد واحد سواء ففترقوا عنده فقتل بعضهم بتيام وبعضهم بفدك وبعضهم بجيبر فاشتاق الذين بتيام الى بعض اخوانهم فرتبهم اعرابي من قيس فتكادوا منه وقال لهم امر بكم ما بين غير واحد فقالوا له اذا مررت بها فأدنا بها فلما توسط بهم ارض المدينة قال ذلك غير وهذا أحد فتلوا عن ظهر ابيه وقالوا له قد اصبنا بئسنا فلا حاجة بنا الى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخيبر انا قد اصبنا الموضوع فهلتموا الينا فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع (١) فزاهم فتحصنوا منه فاصرمهم ثم امنهم فتلوا عليه فقال لهم اني قد استطبت بلادكم ولا اراني الا مقيا فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انما مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم فاني مغلف فيكم من أسرتي من اذا كان ذلك ساعده ونصره فظلف حين تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد لخرجنا منكم من ديارنا واموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله آمنتم به الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى آخر الآية

﴿ المعنى ﴾

«ولما جاءهم» اي جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله «كتاب من عند الله» يعني به القرآن الذي انزله على نبيه محمد (ص) «مصدق لما معهم» اي للذي معهم من الكتب التي انزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرهما وفيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه مصدق لما تقدم به الاخبار في التوراة والانجيل فهو مصدق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (والآخر) انه مصدق لها اي بانها من عند الله تعالى وانها حق «وكانوا» يعني اليهود «من قبل» اي من قبل مبث النبي (ص) ونزول القرآن «يستفتحون» فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه يستنصرون اي يقولون في الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبي الامي اللهم انصرنا بحق النبي المبعوث الينا فهم يسألون عن الفتح الذي هو النصر (وثانيها) انهم كانوا يقولون لمن يناديهم هذا نبي قد اطل زمانه ينصرنا عليكم (وثالثها) ان معنى يستفتحون يستعلمون من علمانهم صفة نبي يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه (ورابعها) ان معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال

أَلَا أَيْلُغُ بَنِي عِصْمٍ رَسُولًا
فَلْيَأْتِيَنَّ عَنْ قَاتِحِكُمْ غَنِيًّا

(١) كذا في النسخ ولكن الصواب تبأ لأنه مفعول بلغ (٢) اطل الزمان : قرب .

اي عن محاكتكم به وقوله «على الذين كفروا» اي مشركي العرب «فلما جاؤهم ما عرفوا» يعني محمدا (ص) اي عرفوا صفته ومبعثه «كفروا به» حسدا وبغيا وطلبا للرياسة «فلعننا الله» اي غضبه وعقابه «على الكافرين» وقد فسرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى

قوله تعالى (٩٠) **بِنِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ انْفُسَهُمْ انْ يَكْفُرُوا بِمَا اتَزَلَّ اللهُ بَغْيًا انْ يُنَزَّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ان ينزل خفيفة كل القرآن الا في الاعمام ان ينزل آية فانه شديدا وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن الا في سبعان وينزل من القرآن وحتى تقول فانه شديدا وقرأ حمزة والكسائي كل القرآن بالتشديد الا في الم وهم عسق ينزل النيث فانهما قرآها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا في الحجر وما نزله انه مشدد

﴿ الحجة ﴾

نزل فعل غير متعد ويعدى بالاضراب الثلاثة وهي النقل بالمهزلة وتضعيف العين وحرف الجر فانزل وتزل لتتان وبما عدي بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين فيمن رفع الروح وقد كثرت مجي التزيل في القرآن فهذا يقوي نزل ولم يعلم فيه الانزال وكثر فيه مجي انزل

﴿ اللفظة ﴾

بنس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن قيل وفيها اربع لغات نعيم وبنس مثل حمد ونعم وبنس يسكون العين ونيعم وبنس بكسر الفاء والعين ونعم وبنس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت بمعنى بعث واشتريت بمعنى ابعت قال يزيد الحميري

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ ^(١)

وربما استعمل اشتريت بمعنى بعث وشريت بمعنى ابعت والاكثر ما تقدم والبعي اصله الفساد مأخوذ من قولهم بعى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب لان الباغي يطلب التناول الذي ليس له ذلك وسميت الزانية ببعي لانها تطلب والاهانة الازلال

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج بنس اذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم منكور وانما كان ذلك في نعم وبنس لانها لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكور دال على جنس او اسم فيه الف ولا يبدل على جنس وانما كانت كذلك لان نعم مستوفية لجميع المدح وبنس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه وكذا اذا قلت بنس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجوز ان يستوفى مدح الاجناس ان يعمل من غير لفظ جنس فاذا كان معها اسم جنس بغير الف ولا م فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف ولا م فهو رفع ابدا نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيدا وانما نصبت رجلا للتمييز وفي نعم اسم مضمرة على شريطة التفسير ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة لان الصلة توضح وتخصص والقصد في نعم ان يليها اسم منكور او اسم جنس فقوله بنسما اشتروا به انفسهم تقديره بنس شيئا اشتروا به انفسهم قال ابو علي قوله ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجوز عنده ان تكون فاعلة نعم وبنس وذلك عندنا لا يمتنع وجه جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخص واحدا بعينه كان اسما الاجناس تكون للكثرة وذلك في نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم

ويقولون هو لاء شفاونا عند الله فالقصد به هنا الكثرة وان كان في اللفظ مفردا بدلالة قوله ويقولون هو لاء وتكون معرفة ونكرة كما ان اسماء الاجناس تكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس البرد في الذي انبلي نعم وبنس اذا كان عاما غير مخصوص كما في قوله والذي جاء بالصدق واذا جاز في الذي كان في ما اجوز فقوله بنما اشتروا به انفسهم يجوز عندي ان تكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لبنس ويجوز ان تكون منكورة فتكون اشتروا صفة غير صفة ويدل على صحة ما رأته قول الشاعر

وَكَيْفَ أَرَهَبُ أَمْراً أَوْ أَرَاعُ لَهُ وَقَدْ زَكَتُ إِلَى إِشْرِي بْنِ صِرْوَانَ
فَنِعْمَ مَزْكَأً مِنْ ضَاقتَ مَذَاهِبُهُ وَنِعْمَ مِنْهُ هُوَ فِي سِرِّهِ وَأَعْلَانِ

الا ترى انه جعل مَزْكَأً فاعل نعم لما كان مضافاً الى من وهي تكون عامة غير معينة واما قوله ان يكفروا بما انزل الله فوضعه رفع وهو المخصوص بالذم فان شئت رفعته على انه مبتدا مؤخر وان شئت على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا الشيء المذموم كفروهم بما انزل الله وقوله بنياً نصب بأنه مفعول له كقول حاتم
وَأَغْرِ عَوْرَاءَ الْكُرَيْمِ أَدِّخَارَهُ وَأَعْرِضْ عَنِ الشِّمِّ اللَّذِيمِ تَكْرُمًا
المعنى اغر عوراءه لا تخاره واعرض عن الشتم للتكريم وموضع ان الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بنياً لأن ينزل الله اي من اجل ان ينزل الله

﴿ المعنى ﴾

ثم ذم الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال «بنما اشتروا به انفسهم» اي بنس شيئاً باعوا به انفسهم او بنس الشيء باعوا به انفسهم «ان يكفروا» اي كفروهم «بما انزل الله» يعني القرآن ودين الاسلام المتزل على محمد (ص) فاذا سئل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء ازالة ملك المالك الى غيره بعوض يعترضه منه ثم يستعمل ذلك في كل معترض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فاليهود لما اوبقوا نفوسهم بكفرهم بمحمد (ص) واهلكوها خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بنس الشيء رضوا به عوضا من ثواب الله وما أعدّه لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما أعدّ لهم بكفرهم ونظير ذلك الآيات في سورة النساء من قوله ألم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجلبت والطاغوت الى قوله وآتيناهم ملكا عظيما وقوله «بنياً» اي حسد المحمد (ص) اذ كان من ولد اسماعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلباً لشيء ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» وهو الوحي والنبوة وقوله «وباءوا بغضب على غضب» معناه رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار بمحمد والاستفتاح به والاخبار بانه نبي مبعوث مرتدين ناكسين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوقه منه بكفرهم وقال مودج معنى باءوا بغضب استوجبوا اللعنة بلغة جرهم ولا يقال باء مفردة حتى يقال ايماء يجيز واما بشر وقال ابو عبيدة فباءوا بغضب احتملوه واقروا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان الغضب الاول حين غيروا التوراة قبل مبعث النبي والغضب الثاني حين كفروا بمحمد (ص) عن عطاء وغيره (وثانيها) ان الغضب الاول حين عبدوا المجل والثاني حين كفروا بمحمد عن السدي (وثالثها) ان الاول حين كفروا بعيسى (ع) والرابع حين كفروا بمحمد (ص) عن الحسن وعكرمة وقتادة (ورابعها) ان ذلك على التوكيد والمبالغة اذ كان الغضب لازماً لهم فيتكرر عليهم عن ابي مسلم والأصم «وللكافرين عذاب مهين» معناه للجاحدين بنبوته محمد عذاب مهين من الله ايماء في الدنيا واما في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذي لا ينتقل منه الى اعزاز وكرام وقد يكون غير مهين اذا كان تحيضا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم فلي هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا

قوله تعالى (٩١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

ما وراءه اي ما بعده قال الشاعر

تَمَنِّي الْأَمَانِي لَيْسَ شَيْءٌ وَرَاءَهَا كَمَوْعِدِ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَشْرِبُ

قال الفراء معنى وراءه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شي. يراد ليس عند التكلم به شي. سوى ذلك الكلام

﴿ الاعراب ﴾

قوله مصدقاً نصب على الحال وهذه حال مؤ. كدة قال الزجاج زعم سيويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائماً خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة لأن الحال يوجب هاهنا انه اذا كان قائماً فهو زيد واذا ترك القيام فليس يزيد فهذا خطأ فأمّا قولك هو زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً في الحال هنا فائدة كأنك قلت اثبتته له معروفاً وكأنه بمنزلة قولك هو زيد حقاً فمعروف حال لأنه انما يكون زيداً بأنه يعرف يزيد وكذلك القرآن هو الحق اذا كان مصدقاً لكتب الرسل عليهم السلام وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وانما جاز ذلك لقوله من قبل وإن بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم تقتلتم انبياء الله وقيل إن بمعنى ما النافية اي ما كنتم مؤمنين

﴿ المعنى ﴾

«وإذا قيل لهم» يعني اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمنوا» اي صدقوا «بما أنزل الله» من القرآن على محمد (ص) والشرايع التي جاء بها «قالوا نؤمن بما أنزل علينا» يعنون التوراة «ويكفرون بما وراءه» اي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقرآن او بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحلّ لكم ما وراء ذلكم وقال ابن الانباري تم الكلام عند قوله بما أنزل علينا ثم ابتدأ الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه اي بما سواه وهو الحق» يعني القرآن «مصدقاً لما معهم» يعني التوراة لأن تصديق محمد وما انزل معه من القرآن مكتوب عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم نؤمن بما أنزل علينا فقال «قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل» اي قل يا محمد لهم فلم تقتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وامرهم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم «ان كنتم مؤمنين» بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمّه ولا توبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وانما يراد به توبيخه على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل آباؤهم واسلافهم لأحد امرين ﴿ احدهما ﴾ ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن غاب منهم واحد فاذا قتل اسلافهم الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شركوهم في ذلك والآخر انهم رضوا بأفعالهم والراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم وهذا المعنى قريب من الأول وفي هذه الآية دلالة على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله في اقران المعجزة به

(١) عر قوب رجل من قدماء يهود يثرب معروف بخلف الوعدواما ماضى قول الاعشى : «مواعيد عر قوب اخاه يثرب»

فقال الحموي انهم اجمعوا على روايته بالناء المشناة راجع معجم البلدان ط بيروت ج ٥ ص ٤٢٩ .

١٦٢ (سورة البقرة) قوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات الى قوله قل بنما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين

قوله تعالى (٩٢) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال «ولقد جاءكم موسى بالبينات»
الدالة على صدقه والمعجزات الموبدة لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وقلق البحر وقلب العصا حية
والطرفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان
بها على كل بشر وقوله «ثم اتخذتم العجل» يعني اتخذتم العجل لها وعبدتموه «من بعده» اي من بعد موسى لا فارقتكم
ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الها كناية عن المجيء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجيئ البينات
«وانتم ظالمون» لانفسكم بكفركم وصادتكم العجل لان العبادة لا تكون لغير الله

قوله تعالى (٩٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَوْلًا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنَّ كُنتُمْ مَوْءِمِنِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قوله سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب
يقال شرب واشرب غيره اذا حمه على الشرب واشرب الزرع اي سقى واشرب قلبه حب كذا قال زهير
فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدُ حَبِّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ يُشْرَبُهُ فَوْادُكَ دَاؤُ

﴿ الاعراب ﴾

قوله العجل اي حب العجل حذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه ومثله قول الشاعر
حَسِبْتُ بَغَامٌ رَاحِلَتِي عَنَاقًا
وما هي وريب غيرك بالعتاق
اي حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال طرفة
أَلَا إِنِّي سَقِيتُ أُسُودَ حَالِكًا

يريد سقيت سم اسود قال آخر

وَشَرُّ الْمَنِيَا مَيْتٌ وَسَطٌ أَهْلِهِ
كَهَلِكِ الْقَتِي قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ

اي منية ميت وقوله بنما يأمركم به ايمانكم فقد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز ان يكون بمعنى ما اي ما كنتم
مؤمنين وجاز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين بنما يأمركم به ايمانكم هذا

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة» قد فسرناه فيما مضى والفائدة في
تكرير هذا وامثاله التأكيد واليجاب الحجة عليهم على عادة العرب في مخاطباتها وقيل انه سبحانه لما عد فضائح
اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى انما ذكر الاول للاعتبار بأخبار من مضى والثاني للاحتجاج عليهم وقوله
«واسمعوا» اي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي اسمعوا لتسمعوا
وهذا اللفظ يمتثل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحمل عليهما فكأنه قيل اسمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا واطيعوا
ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انهم قالوا هذا القول في

(١) بغام: صوت الابل ونحوها (٢) بجّل: اسم فعل بمعنى حسب.

الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك (والثاني) أن حالم كحال من قال ذلك اذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر (قَالَتَ جَنَاحًا لِرَجُلَيْهِ الْحَيِّ) وان كان الجناح لا يقول ذلك وانما رجوع سبحانه عن لفظ الخطاب الى الخبر عن القائب على عادة العرب المألوفة واختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله فانهم قالوا ذلك ثم رجع الى حديث او انهم فقالوا واشربوا وقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام اذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله «واشربوا في قلوبهم» فعناه دخل قلوبهم حب العجل» وانما عبر عن حب العجل بالتريب دون الاكل لأن شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر

تَغْلُغَلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وليس المعنى في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم القاعلون لذلك كما يقول القائل انسيت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال اوتي فلان علما جما وان كان هو المكتسب لـ ر قوله «بكفرهم» ليس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن حبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من حبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينة عندهم ودعاهم اليه كالسامري وشياطين الجن والانس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجريزهم العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا الى ذلك لهذه المعاني التي هي كفر وقول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه وقوله «قل بنسأ يا مرمك به ايمانكم» معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بنسأ الشيء الذي يأمركم به ايمانكم ان كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله «ان كنتم مؤمنين» اي مصدقين كما زعمتم بالتوراة وفي هذا فني عن التوراة ان يكون يأمر بشيء يكرهه الله من افعالهم وإعلام بأن الذي يأمرهم بذلك امر اوهم ويحملهم عليه آراؤهم

قوله تعالى (٩٤) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَمْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الخالصة الصافية يقال خلص لي هذا الأمر اي صار لي وحدي وصفالي يخلص خلوصا وخالصة وخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتمني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لا كان ليته لم يكن ولا لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف في أنه ليس من قبيل الشهوة

﴿ الاعراب ﴾

خالصة نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضح به اخبارهم وعلماؤهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه كما ادعيت بقولكم

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكنتم صادقين في قولكم نحن ابناؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعاً كان الموت احب اليه من حياة الدنيا التي فيها انواع المشاق والمهوم والآلام والغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فانه يوتر الموت على الحياة الا ترى الى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصغين بصغين في غلالة لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب؟ يا بني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصغين ايضا الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه واما ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يتمن احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي فانما نهى عن تمني الموت لانه يدل على الجزع والمأمور به الصبر وتفويض الامور الى الله تعالى ولا تألانا من وقوع التصير فيما امرنا به ونرجو في البقاء التلافي

قوله تعالى (٩٥) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابدا يريد ماعشت وما بمعنى الذي اي بالذي قدمت ايديهم ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والتبائح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن واي مسلم وقيل بما كتبوا من صفة النبي (ص) عن ابن جريج واذف ذلك الى اليد وان كانوا انما فعلوا ذلك باللسان لان العرب تقول هذا ما كسبت يدك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجنابة باليد فيضاف بذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله «والله علم بالظالمين» خصص الظالمين بذلك وان كان عليا بهم وبغيرهم بأن الفرض بذلك الزجر والتهديد كما يقول الانسان لغيره اني عارف بصير بمملك وقيل معناه ان الله علم بالاسباب التي منعتهم عن تمني الموت وبما اضرروه واسروه من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم انهم مبطلون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لآتوا ولأروا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه انهم لن يتمنوه ابدا تحقيقاً لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته لانه اخبرنا بشيء قبل كونه فكان كما اخبر وايضا فانهم كفوا عن التمني للموت لهممهم بأنه حق وانهم لو تمنوا الموت لآتوا وروي الكلبي عن ابن عباس انه قال كان رسول الله (ص) يقول لهم ان كنتم صادقين في مقاتلكم فقولوا اللهم امتنا فولذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غصَّ بريقه فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباحة وان النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى الى المباحة امتنعوا لقله تقهيم باهم عليه وخوفهم من صدق النبي (ص) في قوله لو باهلوني لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت اقتضوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباحة اقتضوا وظهر الحق فان قيل من اين علمت انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال التمني هو القول بالسؤال ساقط عنه ومن قال هو معنى في القلب قال لو يتمنوه بقلوبهم لأظروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولأن تمديهم بتمني الموت انما وقع بما يظهر على اللسان وكان سهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه (ص) ووضعت حجة

قوله تعالى (٩٦) وَلَتَجِدَنَّهُمْ اٰحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا يُوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُمْرُّ اَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ اَنْ يُّعْمَرَ وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ (آية)

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع . (٢) [يقال له] (٣) [بك] (٤) غصَّ بريقه : اعترض في حلقه شيء منه فمنعه . النفس .

﴿ اللغة ﴾

وجده وصادفه والفاه نظائر يقال وجدت الشيء وجدانا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حراص والمودة المحبة يقال وددت الرجل اودته وودا وودادا وودادة ومودة والتعمير طول العمر والعمر والعمر لعتان واصله من العمارة الذي هو ضد الحراب فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة والالف من التأليف سمي بذلك العدد لأنه ضم مائة عشر مرات والزحزحة التنحية يقال زحزحته فتزحزح وقال الشاعر (١)

وَقَالُوا تَرَحَّزَحْ لَابِنَا فَضْلُ حَاجَةٍ إِلَيْكَ وَلَا مِنَّا لَوْهَيْكَ رَاقِعُ

والبصير بمعنى البصر كما ان السميع بمعنى السمع ولكنه صرف الى فعيل ومثله بديع الماوات بمعنى البديع والعذاب الأليم بمعنى الموملم هذا في اللغة وعند المتكلمين البصر هو المدرك للبصرات والبصير هو الحي الذي لا آفة به فهو بمن يجب ان يبصر البصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر وكذلك القول في السميع والسماع

﴿ الاعراب ﴾

لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتأكيد وتقديره والله لتجدنهم قال سيويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن اذا جاءت مبتدأ فقال هي على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمته في الامر الاكثباتون واذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى الى مفعول واحد كفتقدت الذي هو ضده فينتصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيهما عبارة عن الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا قال الفراء يريد وحرص من الذين اشركوا ايضا كما يقال هو اسغى الناس ومن حاتم ومن هريم لأن تاويل قولك اسغى الناس انما هو اسغى الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله ومن الذين اشركوا ولم يدخل في قوله احرص الناس لأنهم بعض الناس والاضافة في باب افضل لا يكون الا كذلك تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقول الياقوت افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج فلذلك قال ومن الذين اشركوا لأن اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس وقوله وما هو بزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بأنه فاعل تقديره وما احدهم بزحزحه من العذاب تعبيره كما يقال مرتت برجل معجب قيامه (وثالثها) انه كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو وتقديره وما تعبيره بزحزحه من العذاب وكأنه قيل وما هو الذي ليس بزحزحه فقيل هو التعمير (وثالثها) انه عماد وان يعمر في موضع الرفع بأنه مبتدأ وبزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال لا يحيز البصريون ما هو قائما زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الامر والشان وقال غيره اذا كلت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا باس

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن احوال اليهود فقال «ولتجدنهم» اي وتعلمن يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود «احرص الناس على حيوة» اي احرصهم على البقاء في الدنيا اشد من حرص سائر الناس «ومن الذين اشركوا» اي ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا تقديره «ومن اليهود» الذين اشركوا من يود احدهم لو يعمر النفسنة فحذف من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم الاصفهاني ان في هذا الكلام تقدما واثارا وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز هاهنا ان يحذف الموصوف الذي هو طائفة وتقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا فليجز على ما ذهب

(١) هو : الخطيئة (٢) [من] . (٣) ما بين المعقبتين ليس في نسخنا .

اليه الجياني أن يكون تقديره ومن الذين اشركوا طائفة يود احدهم فيحذف الموصوف ويقام صفته الذي هو يود احدهم لو يعمرالف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصورة والصفة ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجياني وقوله «يوداحدهم لويعمرالف سنة» ذكر الألف لأنها نهاية ما كانت الجرس يدعو به بعضهم لبعض وتحيي به الملوك يقولون عش الف نوروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس هزار سال بزي يقال فهو لا. الذين يزعمون أن لهم الجنة لايتمنون الموت وهم احرص بمن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب أن يكون هو لا. لعلهم بما اعد الله لهم في الآخرة من الجحيم والعذاب الأليم على كفرهم وعنادهم بما لا يقرب به اهل الشرك فهم للموت أكره من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحياة احرص لهذه العلة وقوله «وما هو بسزحزحه» اي وما احدهم بمنجيه من عذاب الله ولا بسبعده منه تمعيده وهو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من القناء. هذا هو احسن الوجوه التي تقدم ذكرها «والله بصير بما يعملون» أي عليم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء. منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفي هذه الآية دلالة على ان احرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدياد في الطاعة وتلافي الفاتت بالتوبة والانتبة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة والى هذا المعنى اشار اميرالمؤمنين (ع) في قوله : بقية عمر المؤمن لاقيمة له يدرك بها ما فاتت ويحيي بها ما امانت

قوله تعالى (٩٧) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٨) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر إلا يجي جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا على زنة جبرئيل وروى يحيى كذلك الا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرئيل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرأ اهل المدينة ميكانل بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكايل وقرأ اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكايل

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي رويانا عن ابي الحسن أنه قال في جبريل ست لغات جبرائيل وجبرائيل وجبرئيل وجبرال وجبرئيل وجبرئيل فن قال جبرئيل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرئيل كان على وزن عندليب ومن قال جبرئيل كان على وزن جحمرش ومن قال ميكال على وزن قنطاروميكانيل وجبرائيل خارج عن كلام العرب وهذه الاسماء معربة فإذا اتى بها على ما في ابنية العرب مثله كان اذهب في باب التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال

عَبْدُ وَالصَّلِيبِ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَيَجْبَرِئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا
وقال حسان

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ مَنَّا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

﴿ اللغة ﴾

جبرئيل وميكانيل اسمان اعجميان عربيا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وإيل هو الله وميك هو عبيد فمضى جبرئيل عبد الله ومعنى ميكانيل عبيد الله وقال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين احدهما ان ايل

لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية والآخر انه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورا ابدا كتولم عبد الله والبشرى والبخارة الخبر السار اول ما يرد فيظهر ذلك في بَسْرَةِ الوجه

﴿الاعراب﴾

جواب الشرط معذوف تقديره من كان عدوا لجبرائيل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك بأذن الله والهاء في قوله فانه تعود الى جبريل والهاء في نزله تعود الى القرآن وان لم يجز له ذكر كما ان هاء في قوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة تعود الى الارض ويجوز ان يكون على معنى جبرئيل وتقديره فإن الله نزل جبريل على قلبك لأنه نزل بنفسه والاول اصح ونصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله وهو ضمير القرآن او جبريل عليه السلام

﴿النزول﴾

قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روي ان ابن سوريا وجماعة من يهود اهل فندك لما قدم النبي (ص) المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناى وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل او المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شي. او يشبه اخواله وليس فيه من شبه اعمامه شي. فقال ايها علاموه. كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فآخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه قل هو الله احد الى آخر السورة فقال له ابن سوريا خصه واحدة ان قلتها آمنت بك واتبعك أي ملك يأتيك بايتزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذلك عدونا يتزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل يتزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمتا بك

﴿المعنى﴾

فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لليهود وردا عليهم فقال «قل» لهم يا محمد «من كان عدوا لجبريل» اذا كان هو المنزل للكتاب عليك «فانه انما انزله على قلبك بأذن الله» لا من تلقاء نفسه وانما اضافه الى قلبه لأنه اذا انزل عليه كأن يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله بأذن الله بامر الله وقيل اراد بعلمه او بأعلام الله اياه ما ينزل على قلبك وقوله «مصدقا لما بين يديه» معناه موافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا له بأنه حق وبأنه من عند الله لا مكذبا لها «وهدى وبشرى المؤمنين» معناه ان كان في الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وانما خص الهدى بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين بما فيه وان كان هدى لغيرهم ايضا وقيل اراد بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشري ان فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى حالا لجبريل فالمعنى انه يصتق بكتب الله الاولى ويأتي بالهدى والبشرى ولما قال سبحانه على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان تقول لا تقل لهم ان الخبر عندي وكما تقول قال القوم جبريل عدونا ويجوز ان تقول قالوا جبريل عدوهم واما قوله تعالى «من كان عدوا لله وملائكته ورسله» فمعناه من كان معاديا لله اي يفعل فعل المعادي من المخالفة والمصيان فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به وهذا يستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون الله وقوله وملائكته اي ومعاديا للملائكة ورسله «وجبريل وميكائيل» وانما اعاد ذكرهما لفضلهما ومزلةهما كقوله تعالى فيها فاكة ونخل ورمان وقيل انما اعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا فضصها الله بالذكر لأن النزاع جرى فيها فكان ذكرهما أهم ولتلازمهم اليهود انها مخصوصان من جملة الملائكة وليس ابداخلين في جملتهم فنص الله تعالى عليها ليبتل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال «فان الله عدو للكافرين» ولم يقل فانه وكرر اسم الله لتلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرائيل او ميكائيل ولم يقل لهم لأنه قد يجوز ان

يتنقلوا عن العداوة بالايان وقد طعن بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبريل وليس هذا القول من اليهود بمستكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والآيات الحارقة للعادة اجعل لنا آلهما كما لم آله وقولهم اردنا الله جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم

قوله تعالى (٩٩) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الآية للامامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الخاصة الواضحة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة احد الشيطان من الآخر ليحول التباسه به

﴿ الاعراب ﴾

قد تدخل في الكلام لأحد امرين احدهما قوم يتوقعون الخبر والآخرة لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الامير وهي هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام اذا خرج ذلك المخرج كانا وكذا يبلغ

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس إن ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل الله عليك من آية بيّنة فنبتحك لها فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

يقول «ولقد انزلنا اليك» يا محمد «آيات» يعني سائر المعجزات التي اعطيا النبي صلى الله عليه وآله عن البلخي وقيل هي القرآن وما فيها من الدلالات من ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التوراة والانجيل والابحار عما غرض مما في كتب الله السابقة من الاحكام قوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب «بينات» اي واضحات تفصل بين الحق والباطل «وما يكفر بها الا الفاسقون» ومعناه الكافرون وانما سمي الكفر فسقا لأن الفسق خروج من شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وانما لم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق لأحد امرين ﴿احدهما﴾ ان المراد انهم خرجوا عن امر الله الممايعظم من معاصيه والثاني ان المراد به انهم الفاسقون المتسردون في كفرهم لأن الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصي

قوله تعالى (١٠٠) أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا وَعَاهَدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

النبت طرحك الشيء عن يدك امامك او خلفك والمناذرة انتباذ الفريقين للحرب وتابذناهم الحرب والنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون المناذرة في البيع منعي عنها وهو كالرمي كأنه اذا رمى به وجب البيع له وسمي النبيذ نبيذا لأن التمر كان يلقى في الجرّة وغيرها وقيل معنى نبذته تركه وقيل أقامه قال ابو الاسود الدؤلي

نَظَرْتُ إِلَى عُنُوكِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبَذِكَ نَعْلًا خَلَقْتَ مِنْ نَعَالِكَا

﴿ الاعراب ﴾

الواو في قوله او كلما عند سبويه واكثر التحريين واو العطف الا ان الف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام وهي أم حروف الاستفهام بدلالة ان هذه الواو تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لأن الاتف اقوى منها وقال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة كزائدة الفاء في قولك افانك ليفعلن والاول اصح لأنه لا يحكم على الحرف

بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كلما على الظرف والعامل فيه نبذ ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا
لأنه متمم لا إما صلة وإما صفة

﴿ المعنى ﴾

اخبر الله سبحانه عن اليهود ايضا فقال « اوكلما عاهدوا » الله « عهدا » اراد به العهد الذي اخذه الانبياء عليهم ان
يؤمنوا بالنبي الامي عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي التكرار فيقتضي تكرار النقص منهم وقال عطاء هي اليهود
التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين اليهود فتقضوا كفضل قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه
احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشاً يوم الحندق «نبذ فريقتهم» اي نقضه جماعة منهم «بل اكثرهم» اي اكثر
الماعدين «لا يؤمنون» ولا تعود الها والميم الى فريقتهم اذ كانوا كلهم غير مؤمنين فاما الماعدون فمنهم من آمن كعبد
الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما وجه دخول بل على قوله بل اكثرهم فانه لأمرين ﴿ احدهما ﴾ انه لا
نبذ فريقتهم دل على ان ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل اكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه وان كان بعضهم
نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا والثاني انه اراد كفر فريقتهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر
النبي صلى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به

قوله تعالى (١٠١) وَمَلَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَهُ ظَهُرُهم كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

لما في موضع نصب بأنه ظرف ويقع به الشيء يوقع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع لأنه صفة لرسول
لانها نكرتان ولو نصب لكان جازا لان رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال
الا انه لا يجوز في القراءة الا الرفع لأن القراءة سنة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلة لها والنائب لمعنى
الاستقرار والمعنى لما استقر معهم

﴿ المعنى ﴾

« ولا جاءهم » اي ولا جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي (ص) « رسول من عند الله » يعني محمدا (ص) عن
اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير

فَقَدْ كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ يَلِيلِي وَمَا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ

قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله «مصدق لما معهم» يحتمل امرين
﴿ احدهما ﴾ انه مصدق لكتبهم من التوراة والانجيل لأنه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة (والثاني) انه
مصدق للتوراة بأنها حق من عند الله لأن الاخبار هاهنا انما هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لأن فيه
حجة عليهم وقوله «نبذ فريقتهم» اي ترك والتي طائفة منهم وانما قال من الذين اوتوا الكتاب
ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود فاعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عنهم
للبيان لما طال الكلام وقوله «كتاب الله» يحتمل ان يريد به التوراة ويحتمل ان يريد به القرآن وقوله «وراء ظهورهم»
كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة
ادرجوه في الحرير والديباغ وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل
الكتاب على التوراة وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول
ايضا الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت يعني انهم

تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين وانما ذكر فريقاً منهم لان الجمع العظيم والجمل الغدير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف المهتم وتشقت الآراء وتباعد الاهواء لانه خلاف المألوف من العادات الا اذا كانوا عدداً يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله «كانهم لا يعلمون» اي لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا وكتبوا بنيا وعنادا وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما في كتابهم اي حلوا عمل الجاهل بالكتاب

قوله تعالى (١٠٢) وَأَتَّبِعُوا مَا تَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ مُّسْلِمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرُّونَ بِهِ بَيْنَ الْوَجْهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي ولكن الشياطين كفروا ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس والحن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اعلم ان لكن لانعلم شيئا على مثاله في الاسماء ولا في الافعال وهي مثل إن في أنها متقنة ثم تخفف الا أن إن وأن اذا خففتا فقد ينصب بها كما كان ينصب بهما مثقتين وإن كان غير الإعمال اكثر ولم نعلم ان احد أحكى النصب في لكن إذا خففت فيشبه إن والنصب لم يجيء في هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلالة على ان الاصل في هذه الحروف ان لا تعمل اذا خففت لزال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف ولكن وإن لم يشابه الفعل فإن فيه ما يشبه الفعل اذا فصلته كقولهم اراك منتفخا أرپد أن تنفخ مثل كيف فقدت منفصلا ثم خفف كذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبه ليت وإن

﴿ اللفظة ﴾

اتبعه اقتدى به وتتلو معناه تتبع لان التالي تلعب وقيل معناه تقرأ من تلوت كتاب الله اي قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اي تتبع وقال حسان بن ثابت

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

والسحر والكهانة والحيلة نظائر يقال سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشياطين ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن ان الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى والجمع الأخذ فالسحر عمل خفي لحناء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقبله عن جنسه في الظاهر ولا يقبله عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسمى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ وَنُسْحَرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

والسحر ايضا الرنة يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظائر يقال فتنته فتنة وافتته

قال اعشى همدان جفا . باللغتين

لَقَدْ قَنَّتِي وَهِيَ بِالْأَمْسِ أَقَنَّتْ سَعِيداً فَأَمْسَى قَدْ قَلَا كُلُّ مُسْلِمٍ

وفتت الذهب في النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشرب قليل لكل ما احميته في النار فتنة وفتنت الحبرة في النار انضجتها ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون اي يشوون وتعلم قد تكون بمعنى اعلم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك فهتت وافهتت قال كعب بن زهير

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعَيْدًا مِنْكَ كَأَلَا خَذٍ بِأَيْدِي

وقيل ان بينهما فرقا فمضى تعلم تسبب الى ما به تعلم من النظر في الادلة وليس في اهلهم هذا المعنى فتدقيق ذلك لا يعلم بلا تأمل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وأن لم يسبق للحدث حدثت وتقول في الاول تعلم النحو والفقهاء والمرء تأنيث المرأة ويقال مرة بلا الف والضرر والالم والاذى نظائر والضرر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرا واضطره اليه اضطرارا قال صاحب العين الضر والضرة ان فاذا ضمت اليه النفع فتحت الضاد والضريه الذهاب البصر من الناس يقال رجل ضروب بين الضرة وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار وضروب الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحك فقد اضربك واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على ثلاثة اقسام **أحدها** بمعنى العلم كقوله فأذنوا مجرب من الله اي فاعلموا وقال الخطيب

أَلَا يَا هِنْدُ إِنْ جَدَدْتِ وَصَلَاً وَإِلَّا فَأَذِنِي بِأَنْصِرَامٍ

و (الثاني) بمعنى الاباحة والاطلاق كقوله تعالى فانكحروهن باذن اهلن والثالث بمعنى الامر كقوله تزل على قلبك باذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظائر وحد النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتذا اما لانه لذة او يودي الى لذة وحد الضرر كل ما يكون به الحيوان ايلاما لانه ألم او يودي الى ألم والحلاق النصب من الحير قال امية بن ابي الصلت يدعون يا الويل فيما لا خلاق لهم **إِلَّا سَرَايِلَ مِنْ قَطْرِ وَأَغْلَالٍ**

﴿ الاعراب ﴾

قوله ما تتلو فيه وجها واحدهما ان تكون تتلو بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من اتصال الكلام بمهد سليمان فيمن قال ان المراد على عهد ملك سليمان او في زمن ملك سليمان فيمن لم يتقد حذف المضاف فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضي قال سيويه قد تقع يفعل في موضع فعل كقول الشاعر

وَلَقَدْ أَمْرٌ عَلَى اللَّيْمِ يَسْنِي فَمَضِيَتْ تَمَّةٌ قَلْتُ لَا يَسْنِي

والوجه الآخر ان يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال وان كان ماضيا كقوله واذا نحياتكم من آل فرعون يسومونكم فيسومونكم حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي نَقَطْعُ الْحَدِيثِ بِالْإِيمَانِ

وقوله وما أنزل ذكر في ما ثلاثة اقوال **أحدها** انه بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه معطوفا على السحر وقيل انه معطوف على قوله ما تتلو الشياطين (وثانيها) انه بمعنى الذي ايضا وموضعه جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمان (ثالثها) انه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتأنيث وقوله فيتعلمون لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل معطوفا بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدأ محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفا عليه لأن كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن

فطفت عليه بالرفوع وهو قول سيويه فأما يعلمون فيجوز ان تكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي كفروا في حال تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لأن تعليم الشياطين كفر في المعنى واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذا كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان لُي الأثم في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب جاز ابداله منه وأما ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول القراء وانكر الزجاج هذا القول قال لأن قوله منها دليل على التعلم من الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيويه ايضا كما يدخل على قول القراء لأنها جميعاً قالوا بطفئه على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط من جهتين احدهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يتشع ان يكون قوله فيتعلمون عطف على كفروا وعلى يعلمون وان كان متعلقاً بها وكان الضمير في منها راجعا الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقدر هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر فيتعلمون منها فتضمن الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز واذا لزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لم ان لا تجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل تطفئه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحاق الزجاج فانه عطف على ما يوجهه معنى الكلام عند قوله فلا تكفر اي فيأبون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد لا نهما فاعلان مذكور ان بعد الملكين فالجواب اما النظم فانه على ما ذكرته وهو صحيح واما الاضمار قبل الذكر فإن منه في قوله فيتعلمون منها اذا كان ضميراً عائداً الى الملكين فان اضمارها بعد تقدم ذكرها وذلك سائغ جائز ونظيره قوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات لما تقدم ذكره اضرر اسمه ولو قال ابتلى ربه ابراهيم لم يميز لكونه اضماراً قبل الذكر وهذا بين جداً فالاعتراض بذلك على سيويه والقراء ساقط واما الجهة الاخرى التي يسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر ثلاثة اقوال يأتي شرحها في المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منها وما انزل على الملكين ببابل اي لم يتزل وما يعلمان من احد اي وما يعلم هاروت وماروت من احد فمنها على هذا القول لا يرجع الى الملكين انما يرجع الى هاروت وماروت اللذين هما الشياطين في المعنى فأما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسانع يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت فيثنى ونظيره قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فإن بغت احدهما على الاخرى ويجوز ان يكون يتعلمون مطلقاً على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجهه معنى الكلام لأن المعنى انما نحن فتنة فلا تكفر فيأبون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول القراء قال ابو علي وهو عندي جائز لأنه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبراً للبتداء المحذوف فعلي أن تقديره فهم يتعلمون منها وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منها ان الضمير عائد الى السحر والكفر قاله ابو مسلم قال لأنه تقدم الدليل عليها في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقي اي يتجنب الذكري وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على وجه القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ماله في الآخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا الذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق كما تقول والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول في موضع من رفع بالابتداء وموضع ماله في الآخرة من خلاق رفع على انه خبر المبتدا وهذا قول سيويه فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيداً لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب يعلموا كما ان

الاستفهام كذلك في نحو علمت أزيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسيبي تعليقا قال ابو علي قول من قال إن من جزاء بعيد لأنه اذا كان جزاءً فاللام في من اشتراه سبب دخوله القسم كالتي في قوله ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلك ولئن شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه اذا حملت من على انه جزاء لا يخلو من ان يكون علما لأن العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِّي
إِنَّ الْمُنَى لَا تَطِيشُ سَهَامًا

وقوله وظنوا ما لهم من محيص او يكون مضرا بين قوله علما وقوله لمن اشتراه ويبعد ان يكون علما قسما وقوله لمن اشتراه جوابه هنا لأنه في هذا الموضوع محلوف عليه والقسم عليه لا يكون قسما لأنه يلزم من هذا ان يدخل قسم على قسم لأن في اول الكلام قسما وهو المضمرة الجالب للام في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدل عليه هذا القسم الاول المضمرة وهو قد علما اذا اجتهت باللام فيمن جمعه ابتداء وبالتي فيمن جعل من جزاءً ودخول القسم على القسم يبعد عند سيويه ولا يسوغ فمن اجل هذا بعد عنده ان يكون علما هنا بقرينة القسم وان يجاب بجوابه قال سيويه والتحليل لا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا مستكرها لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم الآخر الى الاول ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والتحليل الحرف في قوله والليل اذا يمشي والنهار اذا تجمل وما خلق الذكر والانثى للطف دون القسم فلماذا حمل اللام في من اشتراه على انها لام ابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى في انها تقتضي قسما لا محالة في نحو قولهم لسرك لأفعلن كذا فلا يلزم على ما تأوله دخول قسم على قسم ويبعد ايضا ان يكون القسم مضرا بين قوله ولقد علما وبين من اشتراه لأن علما يقتضي مفعوليه واذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما انه في نحو قولك زيد والله منطلق وإن أتيتك لغوا لاجواب له ولأنه لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولي علمت وذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجته عما وضع له لأنه اذا وضع ليوم كد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجته عن ان يكون تأكيدا لغيره وجملة قائما بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت لجاز ان يوصل به ويوصفه بالكرة وهذا يمتنع فمعلوم اذا ان القسم بعد علمت لا يلزم ان يكون له جواب فاضار القسم بعد علما غير جائز لأنه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل ليفطن ونحوه من الجواب على القسم المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وادارته فقد بعد ايضا ان يكون القسم مضرا بعد علمت فلما كان علما مقسما عليه في هذا الموضوع فاذا جعلت من بغير معنى الذي لزم ان يكون علمت قسما ويكون قوله ما لهم في الآخرة من خلاق جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيويه وحمل اللام في من على انه لام الابتداء ومن بمعنى الذي لتلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيويه في هذا هو البين

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال «واتبعوا ما تلتوا الشياطين» واختلف في المعنى بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي (ص) عن الربيع وابن اسحاق والسدي (وثانيها) انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان عن ابن عباس وابن جريج (وثالثها) ان المراد به الجميع لأن متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى أن بعث محمد (ص) وروي عن الربيع أن اليهود سألو محمداً (ص) زمانا من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألو عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخصموا به فانزل الله تعالى واتبعوا ما تلتوا الشياطين الآية اي اقتدوا بما كانت تلتوا الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن عباس

وقيل معناه تقرأ عن عطا وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه وتعالى ويقولون على الله الكذب واتقولون على الله مالا تعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه واذا ابهم جاز الامران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لأنه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة كما قال جوير

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَالِي وَكُنْ يَهُودِيَّيْنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا

وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله «على ملك سليمان» قيل معناه في ملك سليمان كقول ابي النجم (فهي على الافق كمين الاحول) اي في الافق ثم ان هذا يحتمل معنيين ﴿احدهما﴾ في عهد ملك سليمان (والثاني) في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطمن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمان وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين واما قوله «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» بين بهذا أن ما كانت تتلوه الشياطين وتأثره وترويه كان كفرا اذ برأ سليمان (ع) منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلو الشياطين على ملك سليمان انها اتي شي كانت تتلو الشياطين ثم لم يبين بقوله سبحانه وما كفر سليمان ان ذلك الكفر اتي نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا أن ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في السبب الذي لأجله اضافت اليهود السحر الى سليمان (ع) فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزانته وقيل كتبها تحت كرسية لئلا يطلع عليها الناس ولا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الانس والجن والطير وزيتوا السحر في عين الناس بالنسبة الى سليمان (ع) وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدي وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال لا هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استناره لهم فقال الكافرون ما كان يفلننا سليمان الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وفي قوله ولكن الشياطين كفروا ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انهم كفروا بما استخرجوه من السحر (وثانيتها) انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر (وثالثها) انهم سحروا فبرء عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان ﴿احدهما﴾ انهم اتوا السحر اليهم فتعلموه (والثاني) انهم دلّوهم على استخراجهم من تحت الكرسية فتعلموه وقوله «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» فيه وجوه

﴿احدها﴾ ان المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين وانما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتياال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لا عرفوه استعملوه وان كان المؤمنون إذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفية (وثانيتها) ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين اي معها وعلى الستها كما قال سبحانه ما وعدتنا على رسلك اي معهم وعلى الستهم (وثالثها) ان يكون ما بمعنى النبي والمراد وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤمنين الذي معناه التقديم ويكون في هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفي عنها السحر جبرئيل وميكائيل عليها السلام لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله عز وجل أنزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمان فاكذبهم الله في ذلك

ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني لحكم داود وسليمان ويكون على هذا قوله «وما يظنّان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنة» راجعا الى هاروت وماروت ومعنى قولها انما نحن فتنة «فلا تكفر» يكون على طريق الاستهزاء والتأجّن^(١) لا على سبيل النصيحة والتعذير ويجوز على هذا التأويل ايضا الذي يتضمن النبي والجدد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونبي عنها ازال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والانس او إلى شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروي هذا التأويل في حمل ما على النبي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه ايضا انه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العليان ملكين لنا كنا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجعد والنبي وهو أن يكون هو لولا الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون الا تزال مضافا الى الله تعالى وان اطلقت لأنه جل وعز لا يتزل السحر بل يكون انزله اليه بعض الضلال ويكون معنى انزل وان كان من الارض حمل اليها لامن السماء انه أتى به من تجرد البلاد واعاليها فإن من هبط من النجد الى النور يقال نزل واختلف في بابل فقيل هي بابل العراق لأنه تبلت بها الألسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي من نصيبين الى راس العين وماروت وقيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطها الله الى الارض على صورة الانس ثلاثينغف الناس منها اذا كنا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطها فقيل ان الله اهبطها ليأمر بالدين وينها عن السحر ويفرقا بينه وبين العجز لأن السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينها عن فعله ليكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال آخرون لم يكن لهما تعليم السحر لا في ذلك من الاغراء بفعله وانما اهبط لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطها ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال طائفة منهم ياربنا أما تنضب بما يعمل خلقك في ارضك وما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبونه من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فأحب الله سبحانه ان يعرفهم مامن به عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبائع الطعام والشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولا في العيب لولد آدم واستجار عتب الله عليهم قال فاوحى الله اليهما ان اهبط الى الارض فقد جعلت فيكما من طبائع الطعام والشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم وانظرا ان لا تسركا في شينا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تسربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلوا نحوه فاذا امرأة جميلة حسناء اقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فضا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراودها عن نفسها فقالت ان لي دينا ادين به ولست اقدر في ديني على ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى كل ما سأني قالا وما آهلك قالت هذا الصم قال فانتسرا بينهما فقلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سألت قالت فدونيكما فاشربا الخمر فإنه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشرب الخمر فانتسرا بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبتك قال فاشربا الخمر وسجدا للصم ثم راودها عن نفسها فلما تبيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رآه فرعا منه فقال لهما انكما لمريان قد خلوتما بهذه المواتة الحسناء انكما

(١) تماجن: تمازح. (٢) العليج: الرجل الضخم من كفاد العجم وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقا. (٣) [ان].

لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لها بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وانما مطمئنان آمنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لها سواتهما ونزع عنهما ريشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتاني باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستجيا مني وقد كنتا اشد من ينقم على اهل الارض من المعاصي فاخترتا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة قال فاخترتا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر (ع) ومن قال بعصمة الملائكة عليهم السلام لم يجز هذا الوجه وقوله «وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر» يعني الملكين ما يعلمان احدا والعرب تستعمل لفظة علم بمعنى اعلم اي لا يعرفان صفات السحر وكيفيته حتى يقولوا اي الأبعد ان يقولوا انما نحن فتنه اي محنة لأن الفتنه بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا ليزجروا عنه ويمتنعوا من مواقعه وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القائه اليك فإنه انما التي اليك لتجنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرا ومعصية كما ان من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه وانما يأثم بالعمل وقيل ان المراد به نفي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احداً السحر فيقولان انما نحن فتنه فعلى هذا يكون تعلم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به احد ثلاثة اشياء ﴿احدها﴾ فلا تكفر بالعمل بالسحر (والثاني) فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل التابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافرا وبتركه التلمم مؤمنا لأن السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يتمن الله به كما امتحن بالنهر في قوله فن شرب منه فليس مني (والثالث) فلا تكفر بكليهما وقوله «فيتعلمون منهما» اي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل اراد بدلا مما علماهم ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى فعله واستعماله كما يقال ليت لنا من كذا كذا اي بدلا منه وكقول الشاعر

جَمَعْتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبْأَ وَعُلبَةَ
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَيْمَةَ
وَصَرَآ لِأَخْلَافِ الْمُرِيْمَةِ الْبُزْلِ
وَسَمِيآ عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ (١)

وقوله «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انهم يوجدون احدهما على صاحبه ويفضونه اليه فيؤدي ذلك الى الفرقة عن قتادة (وثانيها) انهم يغرون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قدفارق زوجه الآخر المؤء من المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف الصحة وتباين الملة (وثالثها) انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله «وما هم بضارين به من احد الا باذن الله» اي لا يلحقون بغيرهم ضرا الا بعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الابتغية الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله «ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم» معناه يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لأنهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضرا عليهم وقوله «ولقد علموا لمن اشترى به ماله في الآخرة من خلاق» يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالها في اشتراء كناية عن السحر عن قتادة وجماعة من المفسرين فانه في الآخرة من نصيب وقوله «ولبئس ما شروا به انفسهم» يعني بنس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر وقوله «لو كانوا يعلمون» بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا او يكون الذين علموا الشياطين او الذين خبرتعالى عنهم بأنهم

(١) الوطوب: بيقاء اللبن. العلبه: اناه ضخم من جلد او خشب الصبر: شد الضرع. الاخلاف جمع الخلف: حلة ضرع الناقة

المرميمة من الزمام. البزل جمع البازل وهو بعر انشق نابه. المحل: الكبد والسماية.

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (وثالثها) أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم (وثالثها) ان تكون الفائدة في نبي العلم بعد اثباته انهم لم يعلموا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذنبا وغبابا تبعاه ليصيما من زاده
إِذَا حَضَرَ نَبِيٌّ قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِي
أَلَمْ تَعَلَّمَا أَيَّيَّي مِنَ الزَّادِ صِرْمِلُ

فنتى عنها العلم ثم اثبتته والمعنى في نفيه العلم عنها انهما لم يعلموا بما علماهم فكانهما لم يعلماه وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلم السحر لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه ايمانا وتصديقه واستعماله كفرا واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخيل وصنعة من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتعود منه وجعل التحرز بكتابه وقاية منه واتزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد في عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتوهمات لاحقيقة لها يحيل الى السحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا ويقبله من صورة الى صورة ويتشبه الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يامن ان تكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزّم قدرا على نفع او ضرر وعلما الغيب قدرا على ازالة الممالك واستخراج الكنوز من معادننا والعلبة على البلدان بقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم أسوأ الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتيالا علنا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى انه فعل ما لم يفعله او انه لم يفعل ما فعله فأخبار معتلة لا يلتفت اليها وقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار ان تتبعون الارجلا مسحورا فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خليفته وصفوته على بريته

قوله تعالى (١٠٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المثوبة والثواب والاجر نظائر ونقيض المثوبة العقوبة يقال تاب يثوب ثوبا وثوابا وأتابه إتابة ومثوبة وثوابا والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اعترت الرجل غشية ثم ثابت اليه نفسه ولذلك سمي الثواب ثوابا لأنه العائد الى صاحبه مكافاة لما فعل ومنه التثويب في الأذان وهو ترجيع الصوت يقال تَوَّبَ الداعي اذا كرر دعوته الى الحرب او غيرها ويقال انهزم القوم ثم تابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لأنه تاب لباسا بعد ان كان قطنيا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قرأ قتادة لِمَثُوبَةٍ بِسُكُونِ التاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مَسُورَةٌ وَمَسُورَةٌ واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بني عامر فانهم يقولون هذا أخير من ذا واشر من ذا

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لأنها تنبي عن قولك لا تائبوا والضير في انهم عائد الى الذين يتعلمون السحر

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه «ولو أنهم» يعني الذين يتعلمون السحر ويعملونه وقيل هم اليهود «آمنوا» اي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن «واتقوا» السحر والكفر وقيل جميع المعاصي «لمثوبة» من عند الله خير» اي لا تائبوا

١٧٨ (سورة البقرة) قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الى قوله والله ذو الفضل العظيم ج ١

وثواب الله خير «لو كانوا يعلمون» اي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه وليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهو خير علموا اولم يعلموا وجهان ﴿احدهما﴾ ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي علموا ان ثواب الله خير من السحر (والآخر) ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانه نبي ذلك العلم عنهم

قوله تعالى (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿اللغة﴾

المرعاة التفتد للشيء في نفسه او احواله والمرعاة والمحافظة والمراقبة نظائر وتقيض المرعاة الاغفال ورعى الله فلانا اي حفظه ورعى له حقه وعهده فيمن خلف وراعيته سمي اذا اصفيت اليه وراعيته بعيني اذا لاحظته وجمع الراعي رعاة ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعى من الناس المسوس والراعي السائس واسترعاه الله خلقه اي ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعى والرعى وراعى سَمَعَكَ اي استمع ورجل رعية للذي صنعه وصنعة آباءه الرعاية قال الشاعر (يسوسها رعية حاف فضل) واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته

﴿المعنى﴾

لما قدم سبحانه نهي اليهود عن السحر عقبه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا» كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقية فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطاء هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسع لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا بالتثوين وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها ﴿احدها﴾ انتظرنا نفهم ونسبين ماتعلمنا (والآخر) فقها وبين لنا يا محمد (الثالث) اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر لنا لحذف حرف الجر وقوله «واسمعوا» يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان معناه اقبلوا ما يأمركم به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله (الثاني) ان معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن «وللكافرين» بحمد القرآن «عذاب اليم» اي موجه قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة

قوله تعالى (١٠٥) مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (آية)

﴿اللغة﴾

المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وإنما سمي خصا لانه يرى ما فيه من خصايبه وكل

خلل او خرق يكون في السحاب او المنخل فهو الحصاصه واصل الباب الانفراد بالشيء ومنه يقال للفرج الحصاص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها ويقال اخصصته بالفائدة واخصصت آياتها كما يقال افرده بها وانفردت آياتها

﴿الاعراب﴾

الذين كفروا في موضع رفع لأنه فاعل يودّ والمشرّكين في موضع جر بالطف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان يتزل في موضع نصب لأنه مفعول يود ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كتوكك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب للتوزيع والتبيين مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان

﴿المعنى﴾

ثم أخبر سبحانه ايضا عن اليهود فقال «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان يتزل عليكم من خير من ربكم» معناه ما يحب الكافرون ومن اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان يتزل الله عليكم شيئا من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا يتزله الله عليهم ما اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله واتزله عليه من القرآن والشرائع بغيا منهم وحدا «والله يختص برحمته من يشاء» وروي عن امير المؤمنين عليه السلام وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان المراد برحمته هنا النبوة وبه قال الحسن وابو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من عباده «والله ذو الفضل العظيم» هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنه من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول

قوله تعالى (١٠٦) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿القراءة﴾

قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونسأها بفتح النون والسين واثبات الهززة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز

﴿الحجة﴾

اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون أفضل لغة في فعل نحو بدأ وابدأ وحل من احرامه واحل او تكون الهززة للنقل نحو ضرب واضربه ونسخ الكتاب وانسخته الكتاب او يكون المعنى في انسخة الآية وجدتها منسوخة كقولهم احدثت زيدا وابجلكه والوجه الصحيح هو الاول وهو ان يصحكون نسخ وانسخ لعتين متفتحتين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح واما نسأها فهي من النأ وهو التأخير يقال نسأت الابل عن الحوض انسأها نسا إذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسا الله اجلك ونسا في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو او بمعنى الترك

﴿اللغة﴾

النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذبه وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان تمت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل منه كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بن يلزمه الصلاة قائما فمبعض عن القيام فانه يسقط عنه القيام لمجزه

ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينتقض ايضا بن يستبيح التي . بحكم العقل وورد الشرع بحظره فإنه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ واولى ما يحدث به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فما قبلتم الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل أنها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بأن اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انه كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لا يفتني اليها ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن أنس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدة معنى نساها اي غرضها فلا ننسخها قال طرفة

أُمُونٌ كَأَلْوَابِ الْإِرَانِ نَسَأُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ (١)

اي امضيتها وقال غيره نسات الابل في ظمئها نساها نسا اذا زدتها في ظمئها يوما او يومين وظموها منعها الماء ونسات الماشية تنسا نسا اذا سمئت وكل سمين ناسى . قال الزجاج وتأويله ان جلودها نسات اي تأخرت عن عظامها وقال غيره انما قيل ذلك لأنها تأخرت في الرعي حتى سمئت ويقال للعصاة المنساء لأنها ينسا بها اي يؤخر ما يساق عن مكانه ويدفع بها الانسان عن نفسه الأذى ونسات ناقتي اذا دفعتها في السير واصل الباب التأخير

﴿الاعراب﴾

ما ننسخ ما اسم نائب إن وهو في موضع نصب بنسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولا ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل لتباينه عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ونسخ مجزوم بالشرط ونس جزم لأنه معطوف عليه ونأت مجزوم لأنه جزاء ومن في قوله من آية للتبويض وقيل هي مزيدة ولفظ ألمها هنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتعمم مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله

﴿النظم﴾

|| قال سبحانه في الآية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل بهذه الآية على انه سبحانه لا يخليهم من ازال خير اليهم بخلاف ما تمامه اعداؤهم فيهم وانه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لا عاب اليهود باشيا . ورد عليهم ما امروا به الطعن في امر نبينا عليه وآله السلام وكان مما طعنوا فيه انه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابي مسلم

﴿المعنى﴾

«ماننسخ من آية» قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية او حكم آية وقيل معناه ما تبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ «او نساها» فعناه على وجهين فان لفظ النسى المتقول منه انسى على ضربين ﴿احدهما﴾ بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر ربك اذا نسيت (والآخر) بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فانساهم اي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم او ترك تخليصهم فالوجه الاول في الآية مروى عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأمة بأن يؤمر وابتكر قراءتها فينسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي (ص) لأنه يؤدى الى التنفير كذا ذكره الشيخ ابو جعفر رحمه الله في

(١) الامون : الناقة المأمونة العنار . الاران : تابوت خشب . اللاحب : الطريق . البرجد الكساء المخطط .

تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبي (ص) قالوا انه لا يورد الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان ينسبهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا وجما غفيرا بأن يفعل النسيان في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبي (ص) واستدل من حمل الآية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله اي الا ماشاء الله ان تنساه قال والى هذا ذهب الحسن فقال ان نبيكم أقرى القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان الله تعالى قد انبأ النبي (ص) في قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لتفتري علينا غير ما نأمره لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبي (ص) قال ابو علي الفارسي هذا الذي احتج به علي من ذهب الى ان نساها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذي ينسأ النبي صلى الله عليه وآله هو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة وفي الاوقات التي يكون ذلك فيها اصلح ويدل على ان نساها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ او نساها وهو قراءة سعد بن ابي وقاص وقراءة من قرأ او نساها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرأ او نساها وهو المروي عن سعد بن مالك فالقول المراد المحذوف في قراءة من قرأ او نساها مظهر في قراءة من قرأ نساها ويبيته ما روي عن الضحاك انه قرأ نساها ويوه كذا ذلك ايضا ما روي من قراءة ابن مسعود ما نساها من آية او نساها وبه قرأ الاعمش وروي عن مجاهد انه قال قراءة ابي ما ننسخ من آية او نساها فهذا كله يثبت قراءة من جعل نساها من النسيان ويوه كذا ما روي عن قتادة انه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسي الله نبيه من ذلك شيئا والوجه الثاني وهو ان المراد بالنسيان الترك في الآية مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنساها ناساها بتركها اي بترك العمل بها قال الزجاج انما يقال في هذا نساها اذا تركت ولا يقال في نساها تركت وانما معنى او نساها او نساها اي ناساها بتركها قال ابو علي من فرانسيت بتركها لا يكون مضطرا لأنك اذا نسيت فقد نسيت ومن هذا قال علي بن عيسى انما فسره المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه اذا امر بتركها فقد تركها فإن قيل اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها ان لا تنزل فامعنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا تنزل وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس تركها فلا تبدلها واطراف الترك الى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ يرجح في بعض اي خلياهاهم وذلك واما من قرأ او نساها على معنى التأخير قيل فيه وجوه **احدها** ان معناه او نساها فلا تنزلها ونزل بدلا منها بما يقوم مقامها في المصلحة او يكون اصلح للعباد منها (وثانيتها) ان معناه او نساها الى وقت ثان وثالثي بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (وثالثها) ان يكون معنى التأخير ان ينزل القرآن فيعمل به ويتلى ثم يوه بعد ذلك بان ينسخ فيرفع تلاوته البتة ويمحي فلا تنسا ولا يعمل بتأويله مثل ما روي عن زر بن حبيش ان ابياً قال له كم تقرءون الاحزاب قال بضعا وسبعين آية قال قد قرأتها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله اطول من سورة البقرة اوردته ابو علي في كتاب الحجج (ورابعها) أن يوه العمل بالتأويل لأنه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرآن يتلى وهو ما حكى عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان عليهما الاعتماد لأن الوجهين الاخيرين يرجع معناه الى معنى النسخ فلا يحسن اذ يكون في التقدير محموله ما ننسخ من آية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول ايضا فيه ضعف لأنه لا فائدة في تأخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالأقوى هو الوجه الثاني وقوله «نأت بغير منها او مثلها» فيه قولان **احدهما** نأت بغير منها لكم في التسهيل والتيسير كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بتره الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد أن كان الى بيت المقدس عن ابن عباس (والثاني) نأت بغير منها في الوقت الثاني اي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الاولى في الوقت الاول في

باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن وقوله «الم تعلم ان الله على كل شي قدير» قيل هو خطاب للنبي (ص) وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد الم تعلم ايها السامع او ايها الانسان ان الله تعالى قادر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما امر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه الم تعلم يا محمد انه سبحانه قادر على نصرته والانتصار لك من اعدائك وقيل هو عام في كل شي . واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومة بهذه الآية قال اضاف الايات بخير منها الى نفسه والسنة لا تضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك الم تعلم ان الله على كل شي قدير فلا بد من ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدرة عليه من القرآن المعجز والصحيح ان القرآن يجوز ان ينسخ بالسنة المقطوع عليها ومعنى خيبرها اي اصلح لانها في ديننا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك اليه تعالى فصحيحة لأن السنة لما هي بوحية تعالى وامره فاضافتها اليه كاضافة كلامه وآخر الآية انما يدل على انه قادر على ان ينسخ الآية بما هو اصلح وانفع سواء كان ذلك بقرآن او سنة وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث وانه غير الله تعالى لأن القديم لا يصح نسخه ولانه اثبت له مثلاً والله سبحانه قادر عليه وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثاً

قوله تعالى (١٠٧) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الولي هو القائم بالأمر ومنه ولي عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال امية بن ابي الصلت
يَأْتِنَسُ مَا لَكَ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ وَمَا عَلَى حَدِّ تَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقٍ
والنصير الناصر وهو الويد والقوي

﴿ الاعراب والمعنى ﴾

الم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤول في المعنى الى الايجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقة كما قال جرير
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْمَالِكِينَ بَطُونَ رَاحٍ
فهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل ان الآية وإن كانت خطاباً للنبي عليه السلام فالمراد به امته كقوله
يا أيها النبي اذا طلقت النساء ومثله قول الكهيت في مدح النبي عليه السلام

لَجْ بِنَفْضِيكَ اللِّسَانُ وَكَوْ
وَقِيلَ أَفَرَطْتَ بَلَّ قَصَدَتْ وَكَوْ
أَنْتَ الْمَصْفَى الْمُهْدَبُ الْمُحْضُ فِي الْقِسْبَةِ إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسْبُ
عَنْفِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلْبُوا (١)

فاخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله واراد به اهل بيته لأن احداً من المسلمين لا يصف مادح النبي عليه السلام ولا يكثر الضجاج واللجب في إطناب القول فيه فكأنه قال ألم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض لأنه خلقهما وما فيها وقوله «وما لكم من» قال ان الآية خطاب للنبي (ص) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخطاب تفخياً لأمره وتعظيماً لقدرة ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين او لهم خاصة فالمعنى ألم تعلموا ما لكم ايها الناس «من دون الله» اي سوى الله «من ولي» يقوم بأمركم «ولا نصير» ناصر ينصركم

قوله تعالى (١٠٨) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

السواء هو ان يطلب امر ممن يعلم معنى الطلب وسواء بالمد على ثلاثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله الى سواء الجميع وبمعنى غير في قولك اتيت سواك اي غيرك ومعنى ضل هاهنا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَدَفَ الْآتِيَّ بِهِ فَضَّلَ ضَلَالًا (٢)

اي ذهب يمينا وشمالا والسيل والطريق والمذهب نظائر والجمع السبل

﴿ الاعراب ﴾

أم هذه منقطعة فإن ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديدة الالف وهي مفرقة لما جمعت أي كما ان او مفرقة لما جمعه احد تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمرا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمرا او بكرا والمتقطعة لا تكون الا بعد كلام لأنها بمعنى بل وهمزة الاستفهام كقول العرب انها لا بل ام شاء كأنه قال بل أي شاء قوله ام تريدون تقديره بل اتريدون ومثله قول الاخطل

كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ يَوْأَسَطِرٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا

ان تسألوا موصول وصلة في محل نصب لأنه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر ما حرف موصول سئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف متعلق بتسألوا والجار والمجرور في محل نصب على المصدر ومن قبل في محل نصب لأنه ظرف قوله سئل ومن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء والفاء في قوله فقد ضل سواء السبيل في محل الجزم لأنه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الجملتين في محل الرفع لأنه خبر المبتدا

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فروي عن ابن عباس انه قال إن رافع بن حومة ووهب بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء فنروه وجرنا انهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله هذه الآية وقال الحسن عني بذلك مشركي العرب وقد سألو فقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا الى قوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال السدي سألت الرب محمدا ان يأتيهم بالله فيروه جبهة وقال مجاهد سألت قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهباً قال نعم ولكن يكون لكم كاللادة لقوم عيسى عليه السلام فرجعوا وقال ابو علي الجبائي روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأله قوم ان يجعل لهم ذات اناط كما كان للشركين ذات اناط وهي شجرة كانوا يبدونها ويلقون عليها الثمر وغيره من الاكولات كما سألو اموسى عليه السلام اجعل لنا إلهما كما لهم آلهة

﴿ المعنى ﴾

«ام تريدون» اي بل اتريدون «ان تسألوا رسولكم» يعني النبي محمدا «كما سئل موسى» اي كما سأل قوم موسى موسى «من قبل» من الاقتراحات والمحاللات «ومن يتبدل الكفر بالايان» اي من استبدل الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والاقرار به وبآياته واقترح المحاللات على النبي (ص) وسأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين «فقد ضل سواء السبيل» اي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من اطرافه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لا دل الله تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال قال اما ترضون بذلك وكيف تتخيرون محاللات مع اختيار الله لكم ما يعلم

(١) قال الاخفش : سوى اذا كان بمعنى غير او بمعنى العدل فيه ثلاث لغات إن ضممت السين او كسرت قصرت و اذا فتحت مددت . (٢) سبل اتى : يأتي من حيث لا يدرك .

فيه من الصلحة فاذا اتى بآية تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تعنتا

قوله تعالى (١٠٩) ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأغفوا وأصفحوا حتى يأتي الله يأمره إن الله على كل شيء قدير (آية)

﴿ اللفة ﴾

الحسد ارادة زوال نعمة المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها وارادة ان تصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون تمني زوال نعمة الغير حسداً وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة اليه واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد واما العبطة فهي ان يراد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه ولا يكره كونها له فهذه غير مذموم والحسد مذموم ويقال حسدته على الشيء أحسده حسداً وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول الشاعر (يحسد الناس الطعاما) والصفح والعمو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلدة الانسان صفحته وكذا هو من كل شيء ومنه صاحته اي لقت صفحة كنه صفحة كني وقولهم صفحت عنه فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه اني لم آخذه بذنبه وابدئت له مني صفحة جميلة والآخر انه لم يبر مني ما يقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأه

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بسعدوف تقديره فريق كانوا من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يرد وكفاراً مفعول ثان ليرد ومفعوله الاول كم من يردونكم وفي انتصاب قوله حسداً وجهان ﴿احدهما﴾ ان الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره وتقديره حسدكم حسداً كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسداً فكأنه قال يحسدك حسداً والآخر ان يكون مفعولاً له فكأنه قال يردونكم كفاراً لأجل الحسد كما تقول جتته خوفاً منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسداً لأن حسد الانسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسداً على التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه تكذيباً لهم إن ذلك من عند انفسهم وقوله ماتبين ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد اليه حتى يأتي الله يأتي منصوب باضمار أن ومما في محل الجر مجتبي والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في حبي بن اخطب واخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحبي أهونني قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض الهد واثار الحرب يوم الاحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر الله سبحانه عن سراير اليهود فقال «ود» اي تمنى «كثير من اهل الكتاب» كحبي بن اخطب وكعب ابن الاشرف وامثالهما «لو يردونكم» يا معشر المؤمنين اي يرجعونكم «من بعد ايمانكم كفاراً حسداً» منهم لكم بما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لأنه انما آمن منهم القليل كعبداً لله بن سلام

(١) كذا في النسخة ولكن الظاهر يردون بدل يرد في الموضعين . (٢) [معناه ان يردونكم]

وكعب الاحبار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة اليهم وقوله «من عند انفسهم» قد بينا ما فيه في الاعراب وقوله «من بعد ما تبين لهم الحق» اي بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله «فاعفوا واصفحوا» اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم بالعرف والصفح وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشايرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فامرهم الله بالعرف وان كانوا قادرين على الانتصاف «حتى يأتي الله بأمره» اي بأمره لكم بعقابهم اربعاقبهم هو على ذلك ثم اتهم بأمره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية عن ابي علي وقيل بأمره اي بآية القتل والسبي لبني قريظة والجلال لبني النضير عن ابن عباس وقيل بأمره بالقتال عن قتادة فإنه قال هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وروى عن الباقر (ع) انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله «ان الله على كل شيء قدير» فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي (وثانيها) انه قدير على ان يدعو الى دينه بما احب بما هو الايق بالحكمة فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب اخرى على حسب المصلحة عن الزجاج (وثالثها) انه لما امر بالامهال والتأخير في قوله فاعفوا واصفحوا قال ان الله قادر على عقوبتهم بان يأمركم بعقابهم ويماعبهم في الآخرة بنفسه

قوله تعالى (١١٠) وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿الاعراب﴾

ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من خير من مزيدة والجار والمجرور مفعول تقدموا وتجوده مجزوم لأنه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه مامع الشرط والجزاء في محل الرفع لأنه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والموصول والصلة في موضع جر بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر إن

﴿المعنى﴾

لما امر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز علم انه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم فامرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكاة فإن في ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يجوزون به من الثواب والأجر كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله «وما تقدموا لأنفسكم من خير» اي من طاعة واحسان وعمل صالح «تجدوه عند الله» اي تجدوا ثوابه معداً لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوباً محفوظاً عند الله ليجازيكم به وفي هذه الآية دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يخبث لأنه اذا احبط لا تجدونه وقوله «ان الله بما تعملون بصير» اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم سيجازيكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن انه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله وفي هذا دلالة على الوعد والوعيد والأمر والزجر وان كان خبراً عن غير ذلك في اللفظ

قوله تعالى (١١١) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

في هود ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه جمع هاند كما نذ وعوذ وعانط وعوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد والهاند التائب الراجع الى الحق (وثانيها) ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل صوم وقوم صوم (وثالثها) ان يكون معناه الا من كان يهودا حذفت الياء الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بأن قال الدلالة قد تنبى عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبى عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان عن معنى ينبي عن معنى آخر وقد نُوزع في هذا الفرق وقيل انه محض الديموى

﴿ الاعراب ﴾

قالوا جملة فعلية والجملة ظرف مكان ليدخل والآها هنا لتقضى النبي ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وإن حرف شرط وجوابه محذوف وتقديره ان كنتم صادقين فها تورا برهانكم

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه نبذاً من اقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال «وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى» وهذا على الایجاز وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصرى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ووحده كان لان لفظة من قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة وإنما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير لأن من العلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصرى لليهود فعلما انه ادرج الخبر عنهما للایجاز من غير اخلال بشي من المعنى فان شهرة الحال تفني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت

أَمَّنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاهُ

تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الاول وصار كأنه اخبار عن جماعة واحدة وانما حقيقته عن بعضين متفرقين وقوله «تلك امانيتهم» اي تلك المقالة امانى كاذبة يتمنونها على الله عن قسادة والربيع وقيل امانيتهم اباطيلهم بلفظ قريش عن المورج وقيل معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم من قولهم تنى اي تلا وقد يجوز في العربية امانيتهم بالتخفيف والتثنية اجود «قل» يا محمد «ها تورا» اي احضروا وليس بأمر بل هو تعجيز وانكار بمعنى اذا لم يمكنكم الاتيان ببرهان يصح مقالكم فاعلموا انه باطل فاسد «برهانكم» اي حجتكم عن الحسن وعجاهد والسدي «ان كنتم صادقين» في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بأن يأتوا فيما قالوه ببرهان وفيها ايضا دلالة على جواز الحاجة في الدين

قوله تعالى (١١٢) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (آية)

﴿ اللفظة ﴾

أسلم يستعمل في شئين ﴿احدهما﴾ اسلمه الى كذا اي صرفه اليه تقول اسلمت التوب اليه (والثاني) اسلم له بمعنى اخلص له ومنه قوله ورجلا سلما لرجل اي خالسا وقال زيد بن عمرو بن نفيل

أَسْلَمْتُ وَجَبِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ بَصَخًا ثِقَالًا

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمنَ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُنُّنُ تَحِيلُ عَذَاباً زُلَالاً

ويروى واسلمت نفسي والوجه مستقبل كل شيء. ووجه الانسان عيانه ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لأنه اول ما يبدو منه ويعرف به ويقال هذا وجه الرأي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء اول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب لفظة وجه الشيء وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الأشرف الابنه ودلوا عليه به كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه اي الاهر ويبقى وجه ربك اي ربك وقال الاعشى

وَأَوَّلُ الْحُكْمِ عَلِيٌّ وَجْهِي لَيْسَ قَضَائِي بِالْهُوَى الْبَاطِلِ

اي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة

فَطَاوَعْتُ هَيْبِي وَأَنْجَلِي وَجْهٌ نَازِلٌ مِنْ الْأَمْرِ لَمْ يَتْرُكْ خَلَاجًا تَرْوُلَهَا

يريد وانجلي النازل من الأمر

﴿ الاعراب ﴾

بلى يدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره هنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لأن ما تقدم يقتضي هذا السوء ال ويصلح ان يكون جوابا للبعد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه شرطا أو يكون من مبتدأ والفاء في قوله فله اجره للجزاء واللام تتعلق بمحذوف في محل الرفع لأنه خبر لقوله اجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر المبتدأ وان كان من موصولا فن مع اسلم مبتدأ والفاء مع الجنة بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره كائنا عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي يتعلق به اللام وذو الحال الضير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى

﴿ المعنى ﴾

ثم رد الله سبحانه عليهم مقاتلهم فقال «بلى من اسلم وجهه لله» قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجهه لوجه لطاعة الله وقيل فوض امره الى الله وقيل استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله لأن اصل الاسلام الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه «وهو محسن» في عمله وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص «فله اجره عند ربه» معناه فله جزاء عمله عند الله «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول انه لا يكون على اهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يأمن فعناه انهم لا يخافون فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم

قوله تعالى (١١٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (آية)

﴿ اللمة ﴾

القيامة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم تقول قام يقوم قياما وقيامه مثل عاد يعود ميادة وعياده

﴿ الاعراب ﴾

وهم يتلون جمعة من مبتدا وخبر منصوبة للوضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتلن يتلون او يقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتكم او قال الذين لا يعلمون وهم للشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتهم اجبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله (ص) فقال رافع بن حرمه ما انتم على شيء وجد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجد نبوة موسى وكفر بالتوراة فارتل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» في تدنيهم بالانصرانية «وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» في تدنيهم باليهودية «وهم يتلون الكتاب» اي يقرأونه وذكر فيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لا لم يوت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لمة الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر ثم بين ان سيلاهم كسيل من لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام (والوجه الآخر) الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد حاوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه وقوله «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا للمعبد واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن النبي ومقاتل وقيل معناه ان مشركي العرب قالوا بأن جميع الانبياء واممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ فقد ساووكم يمشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون اسم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل كقوم نوح وادم وثور قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن عطا وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي (ص) لانه حكى قول مبطل لبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول مبطل لمحق وقوله «فانه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن (وثانيتها) ان حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بنجر حجة ولا برهان للمظلوم المكذب عن ابي علي (وثالثها) ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة ميانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم التصل في الآخرة بما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم في المقدر فقد بينه الله جل وعز فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان ياتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج

قوله تعالى (١١٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آيتان) بصري و(آية) واحدة عند غيرهم عداهل البصرة خائفين آية
﴿ اللغة ﴾

المنع والصد والحيلولة نظائر وضد المنع الاطلاق يقال منعه فامتنع ورجل منيع اي لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة تخفف وتثقل وامرأة منيعة لاتوءاتي على فاحشة والسعي والركض والعدو نظائر وضد السعي الوقف وفلان يسعى على عياله اي يكسب لهم وسعى للسلطان اذا ولي امر الصدقة قال الشاعر
سَعَى عَقًّا لَا ظَمَّ يَثْرُكُ لَهَا سَبْدًا " فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌ وَعَقَّا لَيْنِ
والقتال صدقة عام وساعي الرجل الأمة اذا جربها ولا تكون المساعة الا في الاماء والحراب والمهدم والتقض نظائر والحربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والحارب اللص قال الاصمعي يختص بسارق الابل والحاربة سرقة الابل

﴿ الاعراب ﴾

موضع من رفع وهو استنهام واطلم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل من مساجدهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له فيكون تقديره كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل ان كان هاهنا مزيدة وتقديره ما لهم ان يدخلوها فاعلى هذا يكون موضع ان يدخلوها رفعا بالابتداء والاحرف الاستثناء وهو هنا لتقض النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزبي مرفوع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ الابتداء (والآخر) ان يكون مرفوعا بلهم وقوله في الدنيا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وذو الحال الضير المستكن في لهم وكذلك قوله ولهم في الآخرة

﴿ النزول ﴾

اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فاطهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه الا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بئس نصر خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انهم قريش حين منوا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضمف هذا الوجه الطبري بأن قال ان مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بأن عمارة المساجد انما تكون بالصلاة فيها وخرابها بالنع من الصلاة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي (ص) يصلون فيها بمكة لاهاجر النبي (ص) الى المدينة قال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عني به النصارى وبيت المقدس وجوابه انه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لأن الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عبدة الاصنام والمشركين

﴿ المعنى ﴾

«ومن اظلم» اي واي احد اشد واعظم ظلما «ممن منع مساجد الله» من «ان يذكر فيها اسمه» ويكون معناه لا احد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من اقامة الجماعة والعبادة فيها واذا حمل قوله مساجد الله على بيت المقدس او على الكعبة فانما جاز جمعه على احد وجهين اما ان تكون مواضع السجود فإن المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال لجلسته مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها

(١) وفي نسخنا المخطوطة والمطبوعة كنسخة لسان العرب « لنا » بدل « لها » . السبَد : القليل من الشعر يقال : ماله سبَد ولا لبَد اي لا شعر ولا صوف ، يقال لمن لا شيء له .

المسلمون للصلاة وروي عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام انه اراد جميع الارض لقول النبي (ص) جلت لي الارض مسجدا و ترابها طهورا وقوله «وسعى في خرابها» اي عمل في تخريبها والتخريب اخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدمهم عنها ويجوز حمله على الامرين وقيل المراد المتع عن الصلاة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين» فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية امر النبي صلى الله عليه وآله متاديا فنادى الا لا يجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الاحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يكتنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمتنعون من دخوله ولا يمكن منه لحكومة ولا غيرها بان الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الآية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فكانه قيل او تلك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لا عزاز الله الدين واظهاره للمسلمين وقوله «لهم في الدنيا خزي» قيل فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان يراد بالحزبي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة (وثانيها) ان المراد به القتل وسبي الذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج (وثالثها) ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطينية حينئذ يقتلهم عن السدي (ورابعها) ان المراد بخزيهم طردهم عن دخول المساجد عن ابي علي وقوله «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» يعني يوم القيامة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من كل ظالم اعظم

قوله تعالى (١١٥) وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ وَاَسْعٰ عَلِيْمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس اذا طلعت وشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس واما التشريق ايام تشريق ايام تكريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا تكسريق الا في مصر او مسجد جامع اي لاصلاة عيد لأن وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغرب يعني وهو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب اذا غابت واصل المغرب الحد والتباعد وغربة النوى بعد المنتلى وغرب السيف حده سمي بذلك لأنه يمضي ولا يرد فهو مأخوذ من الابعاد والواسع الفني سمي به لسعة مقدوراته وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والنسعة من النظائر وضد السعة الضيق يقال وسع يسع سعة ووسع الرجل اذا صار ذا سعة في المال

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله والله المشرق والمغرب لام الملك وانما وحده المشرق والمغرب لأنه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين بُني لتضمنه معنى الحرف وانما بُني على الفتح لالتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون واين في موضع نصب

لأنه ظرف لقوله تولوا وما في قوله اينما هي التي تعني الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجاز بأذ وحيث حتى يضم اليها ما يقال حيثما تكن أكن وما تفعل افعل ولا يقال حيث تكن اكن واذ تفعل افعل ويجوز في ابن الجزم وان لم يدخل ما عليها كقول الشاعر

أَيْنَ تَضْرِبُ بِنَا الْعُدَاةَ تَجِدُنَا
نَصْرَفُ الْعَيْسَ نَحْوَهَا لِلتَّلَاقِي

وتم مرضعه نصب لأنه ظرف مكان وبني على الفتح لالتقاء الساكنين وانما بني في الأصل لأنه معرفة وحكم الاسم المرفوع ان يكون بحرف فبني لتضمنه معنى الحرف الذي يكون به التعريف والمهد الاقوى ان تم لاتستعمل الا في مكان معهود معروف لمخاطبك

﴿التزول﴾

اختلف في سبب تزول هذه الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فزلت الآية رداً عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي قال بين سبحانه انه ليس في جهة دون جهة كما تقول المجسمة وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاؤوا في صلاتهم وفيه زلت الآية ثم نسخ ذلك بقوله قول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتادة قال وكان النبي صلى الله عليه وآله قد اختار التوجه الى بيت المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاؤا وقيل زلت في صلاة التطوع على الراحة تصليها حيثما توجهت اذا كنت في سفر واما الفرائض فقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني ان الفرائض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو الروي عن ائمتنا عليهم السلام قالوا وصلى رسول الله (ص) اياماً على راحلته اينما توجهت به حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره وروي عن جابر قال بعث رسول الله (ص) سرية كتف فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال فصولوا وخطوا وخطوا وقال بعضهم القبلة هاهنا قبل الجنوب وخطوا وخطوا فاصابنا الصبح وارتفعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قلنا من سفرنا سألتنا النبي (ص) عن ذلك فسكت فأترل الله تعالى هذه الآية

﴿المعنى﴾

«وجه المشرق والمغرب» اراد ان المشرق والمغرب لله ملكا وقيل اراد انه خالقهما وصانعهما وقيل معناه يتولى اشراق الشمس من مشرقها واغرابها من مغربها «فاينما تولوا فثم وجه الله» معناه فاينما تولوا وجوهكم لحذف المفعول للمعنى به فثم اي فهناك وجه الله اي قبة الله عن الحسن ومجاهد وقاتدة والوجه والجهة والوجهة القبة ومثله الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي تتوجه اليه وجها قال الشاعر

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ
رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

معناه اليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى يريدون وجهه اي يريدونه بالدعاء ويقال لا قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شي هالك الا وجهه اي الا هو ويسبق وجه ربك اي ويسبق ربك عن الكلبي وقيل معناه فثم رضوان الله يعني الوجه الذي يودي الى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن ابي علي والرماني «ان الله واسع» اي غني عن ابي عبدة وتقديره غني عن طاعتكم وانما يريدنا لمنافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقذور يفعل ما يشاء «علم» اي عالم بوجوه الحكمة فبادروا الى ما امركم به وقيل علم ابن يضع رحمته على ما توجه الحكمة وقيل علم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتهم

﴿النظم﴾

وجه اتصال الآية بما قبلها ان التقدير لا يمنعكم تغريب من خرب المساجد عن ان تذكره حيث كنتم من

١٩٢ (سورة البقرة) قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الى قوله فإنا نقول له كن فيكون ج ١

ارضه فله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلاة والساجدة عقبه بذكر القبة وبيانها

قوله تعالى (١١٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُتُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو

﴿ الحجة ﴾

حذف الواو هنا يجوز من وجهين ﴿احدهما﴾ ان يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (والآخر) ان الجملة التي هي قالوا اتخذ الله ولدا ملازمة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية فإن الذين قالوا اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لاتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في نحو قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون لكان حسنا

﴿ اللفظة ﴾

الاصل في القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اي مطيعون ومنها ان يكون بمعنى الصلاة كقوله يا مريم اتقني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين بمعنى طول القيام وروى جابر بن عبد الله قال سئل النبي (ص) اي الصلاة افضل قال طول القنوت اي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الوتر يدعوا قائما ومنه قوله آمن هو قانت آناه الليل ساجدا او قائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارم كئنا نكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله

﴿ المعنى ﴾

لما حكى الله سبحانه قول اليهود في امر القبة ورد عليهم قولهم ذكر مقاتلهم في التوحيد ادا عليهم قال «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه» اي اجلالا له عن اتخاذ الولد وتزويرها عن القبائح والسوء والصفات التي لا تليق به وروى عن طلحة بن عبيد الله انه سأل النبي (ص) عن معنى قوله سبحانه فقال تزويرها لله عن كل سوء بل له ما في السموات والارض هذا رد عليهم قولهم اتخذ الله ولدا اي ليس الامر كما زعموا «بل له ما في السموات والارض» ملكا والولد لا يكون ملكا للاب لأن البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم في السماء والمسيح الذي هو في الأرض ولدا له فنبه بذلك على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق وقيل معناه بل له ما في السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من تبنى انسانا فالذي تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله «كل له قانتون» قال ابن عباس ومجاهد معناه مطيعون وقال السدي كل له مطيع يوم القيامة وقال الحسن كل له قائم بالشهادة انه عبده وقال الجبائي كل دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال ابو مسلم كل في ملكه وقهره يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه

قوله تعالى (١١٧) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فيكون بالنصب و الباقر بالرفع

﴿ الاعراب و الحجة ﴾

قال ابو علي يمتنع النصب في قوله فيكون لأن قوله كن و ان كان على لفظ الأمر فليس بأمر ولكن المراد به الخبر لأن المتني الذي ليس بكائن لا يومر ولا يخاطب فالتقدير يكون فيكون فاللفظ لفظ الأمر و المراد الخبر كقولهم في التعجب أكريم يزيد فإذا لم يكن قوله كن امرا في المعنى و ان كان على لفظه لم يميز ان ينصب الفعل بعد الفاء بأنه جواب كما لم يجز النصب في الفعل الذي يدخله الفاء بعد الايجاب نحو آتيتك فأحدثك الا ان يكون في شعر نحو قوله ^{وي}

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فِعْصَمًا

و يدل أيضا على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لأن المعنى يصيران ذهبت ذهبت وهذا الكلام لا يفيد و انما يفيد اذا اختلف الفاعلان و الفعلان نحو فاعطيتك لأن المعنى ان قت اعطيتك و اذا كان الامر على هذا لم يكن ما روي عنه من نصبه فيكون متجها و يمكن ان يقال فيه أن اللفظ لا كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة على انه اجري مجرى جواب الأمر و ان لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن لأن المراد به نكوت فيكون او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون

﴿ اللغة ﴾

البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى السميع و بينهما فرق من حيث ان في بديع مبالغة ليست في مبدع و يستحق الوصف به في غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شأنه انشاء الاشياء على غير مثال و احتذاء و الابتداء و الاختراع و الانشاء نظائر و كل من احدث شيئا فقد ابدعه و الاسم البدعة و في الحديث كل بدعة ضلالة و كل ضلالة سبيلها الى النار و القضاء و الحكم من النظائر و اصل القضاء الفصل و احكام الشيء قال ابو ذؤيب

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَعٌ (٣)

اي احكامها ثم ينصرف على وجوه منها الامر و الوصية كقوله تعالى و قضى ربك الاتعبدوا الاياه اي وصى ربك و امر ومنها ان يكون بمعنى الاخبار و الاعلام كقوله و قضينا الى بني اسرائيل اي اخبرناهم و قوله و قضينا اليه ذلك الامر اي عهدنا الى لوط و منها ان يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من امر المناسك و قوله فاذا قضيتم الصلاة و فيما رواه علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده الصادق عليهم السلام قال القضاء على عشرة اوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها (والرابع) بمعنى الفعل في قوله فاقض ما انت قاض اي فافعل ما انت فاعل و منه قوله اذا قضى امرا يعني اذا فعل امرا كان في علمه ان يفعله انما يقول له كن فيكون و منه قوله اذا قضى الله ورسوله امرا يقول ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا فعل الله ورسوله شيئا في تزويج زينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم (والخامس) في قوله ليقض علينا ربك اي ليقزل علينا الموت و قوله لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا ينزل بهم الموت و قوله فوكره موسى فقضى عليه اي فاتزل به الموت (والسادس) قوله و انذرهم يوم الحسرة لاذ قضى الامراي و جب العذاب فوقع بأهل النار و كذا قوله و قال الشيطان لا قضى الامر (والسابع) قوله و كان امرا مقضيا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ انه يكون (والثامن) بمعنى الاتمام في نحو قوله فلما قضى موسى الأجل اي ام و اياما الاجلين قضيت اي اتممت و قوله من قبل ان يقضى اليك و حيه يعنى من قبل ان يتم جبرائيل

(١) و في بعض النسخ المخطوطة « يكون » باليشارة التعنانية بدل النون (٢) الهضبة : الجبل المنسبط على وجه الارض (٣) المسرود : الدرع و قوله او صنع السوابغ عطف على داود اي او قضاهما العاذق في صنعة الدرع و هو توسع

اليك الרוحي (والتاسع) بمعنى الحكم والفصل كقوله وقضى بينهم بالحق وان ربك يقضي بينهم اي يفصل وفي الانعام يقضي بالحق اي يفصل الامر بيني وبينكم بالعذاب (والعاشر) بمعنى الجمل في قوله ققضيهم سبع سموات اي جعلهن

﴿ المعنى ﴾

لا تزه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الاولاد ودل عليه بأن له ما في السموات والارض أكد ذلك بقوله «بديع السموات والارض» اي منشىء السموات والارض على غير مثال امثله ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله «وإذا قضى امرا» قيل معناه اذا فعل امرا اي اراد احداث امر كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بأنه يفعل امرا والاول اوجه وقوله «فإنما يقول له كن فيكون» اختلف فيه على وجوه ﴿احدها﴾ انه بمنزلة التشييل لأن المدوم لا يصح ان يخاطب ولا يؤمر وحقيقة معناه أن منزلة الفعل في تسهله وتيسره عليه وانتفاء التعذر منه كقوله ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه او بيده كذا اذا حرك رأسه او اومى بيده ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم

قَدْ قَالَتْ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَقُّ قَدْ مَا قَاضَتْ كَأَنَّيْقِ الْمُحَقِّقِ

وقال العجاج يصف ثورا

وَفِيهِ كَأَنَّ عَرَاضَ لِلْمَكُورِ فَكَّرَ ثُمَّ قَالَ فِي التَّفَكِيرِ إِنَّ الْحَيَاةَ الْيَوْمَ فِي الْكُرُورِ

وقال عمرو بن قيسة السدوسي

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاحُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَارًا يُقَالُ لَهُ قَع

وقال آخر

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانُ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدْرَتَا كَالدَّرِّ لَمَّا يُثْقَبِ

والشهور فيه قول الشاعر

أَمْتَلًا الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلَرُ وَيَدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

وهو قول ابي علي وابي القاسم وجماعة من المفسرين (وثانيها) انه علامة جعلها الله للملائكة اذ لمسموها علموا انه احداث امرا وهذا هو المحكي عن ابي الهذيل (وثالثها) ما قاله بعضهم ان الأشياء المدومة لا كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالوجود فصح ان يخاطبها ويقول لا شاء ايجاده منها كن والاصح من الاقوال الأول وهو الأشبه بكلام العرب ويؤيد قوله تعالى فقال لها وللارض أنتي طوعا او كرها قلنا أنتي طاعتين وان حمل على القول الثاني فالمراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه لهم وإخباره اياهم عن التيب كن اي يقول أكون فيكون فاعل كن الله وهو في معنى الخبر وإن كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشيء المدوم المراد كونه وتقليده يقول من اجله للملائكة يكون شيئا كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لاخلف له ولا تبديل عما يخبر به واما القول الثالث فبعيد لأن المدوم لا يصح خطابه ولا امره بالكون والوجود ليخرج بهذا الأمر الى الوجود لأن ذلك امتثال للأمر وتلق له بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من الأمور الموجود دون المدوم ولو صح ذلك لوجب ان يكون الأمور المدوم فاعلا لنفسه كما يكون التلقى لا يؤمر به بالقبول فاعلا لا امر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم انما يقول كن عند وجود الأشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وانما اراد انه يدعوهم في حال خروجهم لاقبله ولا بعده وهذا الوجه ايضا ضعيف لأن شرط حسن الأمر ان يتقدم الأمر به وكذلك الدعاء وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يجوز ان يتخذ ولدا لأنه اذا ثبت انه منشىء السموات والارض ثبت بذلك انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر لأن الجسم يتعذر

(١) الانساع جمع النسع : جبل عريض طويل يشتهر به الرحال . الفئيق : الفعل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته الضامر .

عليه فعل الأجسام ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الوالد ولأنه سبحانه قد انشأ عيسى من غير اب من حيث هو مبدع الاشياء بخلاف عن اتخاذ الابناء وتعالى علوا كبيرا

قوله تعالى (١١٨) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

اليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة وتقيضه الشك والجهل وايقن وتيقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين اليقن اليقين قال

وَمَا بِالَّذِي أَبْصَرْتَهُ الْعَيُونَ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقَنٍ

فاليقين علم يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم

﴿ الاعراب ﴾

لولا بمعنى هلا ولا تدخل الال على الفعل ومعناها التحضيض قال

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمَقْنَمَا (١)

اي هلا تعرون الكمي المقنع والكاف في كذلك تتعلق يقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم

﴿ المعنى ﴾

لمابين سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعت والعتاد فقال «وقال الذين لا يعلمون» وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن وقتادة وهو الاقرب لانهم الذين سألوا المعالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات وقالوا لن نؤمن لك حتى تقجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات الى آخرها ولأنه وصفهم بانهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا من اهل الكتاب ومن قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لأنه يجوز ان يذكر قوما ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على ان مشركي العرب قد اضافوا ايضا الى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله «لولا يكلمنا الله» اي هلا يكلمنا معانية فيخبرنا بأنك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الانبياء وقوله «او تأتينا آية» اي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الانبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم تأتتهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات وقوله «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم» قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم «تشابهت قلوبهم» اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة والاعتراض على الانبياء من غير حجة والتعت والعتاد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا (ص) حوّل لنا الصفا ذهابا ولذلك قال الله سبحانه أتواصوا به وقوله «قد بينا الآيات» يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد (ص) «لقوم يوقنون» اي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقتوا لذلك فكذلك فاستدلوا انتم حتى توقنوا كما ايقن اولئك والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعت والعتاد فان قيا لم يومتوا الآيات التي اقترحوها تكون الحجة عليهم أكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لا يظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة

(١) عقرا لابل: تضع قوائمها بالسيف . النيب جمع الناب وهي الناقة المنسة ، وبنو ضطرى: حنى الكمي : الشجاع

١٩٦ (سورة البقرة) قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ج ١

قوله تعالى (١١٩) اِنَّا ارْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابن عباس ذكر ذلك القراء وابو القاسم البلخي والباقر على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله

﴿ الحجة ﴾

الرفع في تسأل يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيرا ونذيرا اي وغير مسوؤل ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا كما ذكر الجملة في قوله ويكلم الناس في الهدوكهلا بعد ما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن القربين وهو هنا يجري مجرى الجملة (والآخر) ان يكون منقطعا عن الاول مستأنفا به كأنه قيل ولست تسأل عن اصحاب الجحيم واما قراءة نافع ولا تسأل بالجزم فية قولان ﴿احدهما﴾ ان يكون على النهي عن المسألة (والآخر) ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريد وسألت يتعدى الى مفعولين مثل اعطيت قال الشاعر

سَأَلْتَنِي الطَّلَاقَ إِذْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتَنِي بِنُكْرٍ

ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين ﴿احدهما﴾ ان يتعدى بغير حرف كقوله واسألوا ما انتقم فاسألوا أهل الذكر (والآخر) ان يتعدى بحرف كقوله تعالى سألت عن زيدا واقع وقولهم سألت عن زيد واذا تعدى الى مفعولين كان على ثلاثة اضرب ﴿احدها﴾ ان يكون بمنزلة اعطيت كقوله (سألت عمرا بعد بكر حقا) فمضى هذا استطعته اي سألته ان يفعل ذلك (والآخر) ان يكون بمنزلة اخبرت الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يستل حميم حميا اي لا يسأل حميم عن حميمه (والثالث) ان يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منها استفهام وذلك كقوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم واسئلنا من قبلك من رسلنا أبعثنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

﴿ اللفظة ﴾

الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كالعلم على جهنم كقول امية بن ابي الصلت
إِذَا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ زَادَتْ وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَائِمِهَا الْجَحِيمُ
وجعيت النار تجعم جمعا اذا اضطربت والجمعة العين بلفظة حمير قال

أَيَا جَحْمَتِي بَكِّي عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ قَبِيلَةَ قَلُوبٍ يَأْخُذِي الْمَذَانِبُ (١)

وجعمت الاسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعة

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا جِمِّهَا التَّخِيلُ وَالْمِرَاحُ

إِلَّا الْقَتَى الصَّبَارُ فِي التَّجَدَّاتِ وَالْقَرَسُ الْوَقَاحُ (٢)

﴿ المعنى ﴾

بين الله سبحانه في هذه الآية تأييده نبيه محمداً (ص) بالحجج وبعثه بالحق فقال «انا ارسلناك» يا محمد «بالحق» قيل بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الاصم وقيل على الحق اي بعثناك على الحق كقوله سبحانه خلق الله السموات والأرض بالحق اي على انها حق لا باطل وقوله «بشيرا ونذيرا» اي بشيرا من اتبعك بالثواب ونذيرا

(١) القلوب: الذئب. الاسد: المذانب جمع المذنب : الزواجر (٢) الوقاح : صلب الحافر .

من خالفك بالعقاب وقوله «ولا تسئل عن اصحاب الجحيم» اي لا تسأل عن احوالهم وفيه تسلية للنبي (ص) اذ قيل له انما انت بشير ونذير ولست تسأل عن اهل الجحيم وليس عليك اجبارهم على القبول منك ومثله قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم وقيل معناه لاتواخذ بذنبيهم كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي فعلية الابلاغ وعليكم القبول

قوله تعالى (١٢٠) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أُتْبِعَتْ أَهْوَاءُ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرضا والمودة والمحبة نظائر وضد الرضا الغضب والرضا ايضا بمعنى المرضي وهو من بنات الواو بدلالة قولهم الرضوان وتقول رجل رضى وامرأة رضى ورجال رضى والملة والنحلة والديانة نظائر ومرة رسول الله (ص) الامر الذي اوضحه وامتل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي قصد ما امل منه والاملال املاء الكتاب ليكتب

﴿ الاعراب ﴾

تتبع نصب مجتى قال سيويه والحليل ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى لاتنصب بنفسها انها تجر الأسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام في قولك ما كان زيد ليضربك في انها جارة والناصب ليضربك ان المضرة ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام ايضا هو ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتدأ او خبر إن وقوله من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته وكذلك قوله من الله في موضع الحال ومن ولي في موضع رفع بالابتداء ومن مزينة وقوله مالك من الله من ولي ولا نصير في موضع الجزاء للشرط ولكن الجزاء اذا قدر فيه القسم لا يجوز فلا يكون في موضع جزم ولا بد ان يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فخرم ما هاهنا تدل على القسم فلماذا لم يجوز

﴿ المعنى ﴾

كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله عليه وآله الهدنة ويرونه انه ان هادتهم وامهلهم اتبعوه فأبى الله تعالى من موافقتهم فقال «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم» وقيل ايضا ان النبي (ص) كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فليل له دع ما يرضيهم الى ما أمرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى على حال لأنه تعالى علق رضاهم بأن يصير عليه السلام يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال ارضاءهم يعني انه لا يرضي كل فرقة منهم الا ان يتبّع ملتهم اي دينهم وقيل قبلتهم «قل ان هدى الله هو الهدى» اي قل يا محمد لهم ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى اي الدين الذي أنت عليه عن ابن عباس وقيل معناه ان هدى الله يعني القرآن هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال طريقة فلان هي الطريقة وقوله «ولئن اتبعت أهواءهم» اي مرادتهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم «بعد الذي جاءك من العلم» اي من البيان من الله تعالى وقيل من الدين «مالك» يا محمد «من الله من ولي» يحفظك من عقابه «ولا نذير» اي معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الآية تدل على ان من علم الله تعالى منه انه لا يصح يصح وعيده لأنه علم ان نبيه عليه السلام لا يتبّع أهواءهم فخرى مجرى قوله لن اشركت ليجطن علكم والقصود

منه التنبيه على ان حال امته فيه اغلظ من حاله لأن منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته
قوله تعالى (١٢١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (آية)

﴿الاعراب﴾

الذين آتيناهم رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبره وأولئك ابتداء ثان ويؤمنون به خبره وان شئت كان
أولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر الابتداء
يتلونه وأولئك جميعا فيكون للابتداء خبر ان كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر

﴿الزول﴾

قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنا عشر وثلاثون
من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم مجير بن عمار بن عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام
وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا واسد وأسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب
محمد عن قتادة وعكرمة فلي القولين الاولين يكون المراد بالكتاب التوراة وعلى القول الاخير المراد به القرآن

﴿المعنى﴾

«الذين آتيناهم» اي اعطيناهم الكتاب «يتلونه حق تلاوته» اختلف في معناه على وجوه ﴿احدها﴾ انه يتبعونه
يعني التوراة حتى اتباعه ولا يجرفونه ثم يعملون بجلاله ويقفون عند حرامه ومنه قوله والقرآن اذا تلاها اي تبعها وبه قال
ابن مسعود ومجاهد وقاتدة الا ان المراد به القرآن عندهم و(ثانيها) ان المراد به يصفونه حتى صفته في كتبهم لمن
يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون المأراجة الى محمد صلى الله عليه وآله و(ثالثها) ما روي عن ابي
عبد الله عليه السلام ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعين من الاخرى
و(رابعها) ان المراد يقرأونه حتى قراءته يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه و(خامسها) ان المراد يعملون حتى
العمل به فيعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلمون ما لشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله أولئك يؤمنون
به» اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي عليه السلام عن الكلبي «ومن يكفر به» وهم اليهود وقيل هم
جميع الكفار وهو الاولى لسومه «فأولئك هم الخاسرون» خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر
والنصرة وفي الآخرة ما اعد الله للسوئمين من نعم الجنة

قوله تعالى (١٢٢) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (آية)

﴿المعنى﴾

هذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف واربعين آية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال
﴿احدها﴾ ان نعم الله سبحانه لا كانت اصول كل نعمة كذكر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم
من شكرها ليقبلوا الى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم و(ثانيها) هو انه لا باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير
والاعادة والتكرير ابلاغاً في الحجة وتأكيداً للتذكرة و(ثالثها) انه سبحانه لا ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن
عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في
سورة الرحمن وكرر قوله فبأي الآء ربكما تكذبان فكل تفرع جاء بعد تفرع فانما هو موصول بتذكير نعمة

غير الاولى وثالثة غير الثانية الى آخر السورة وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعمال تعظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة

قوله تعالى (١٢٣) وَأَتُّوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (آية)

ومثل هذه الآية ايضا قد تقدم ذكره ومر تفسيره

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ابراهيم ما هنا وفي مواضع من القرآن والباقرن ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي بالرسالة والباقرن بفتحة

﴿ الحجة ﴾

في ابراهيم خمس لغات ابراهيم و ابراهيم و ابراهيم خذفت الالف استخفا قال الشاعر (عَدَّتْ بِأَعَاذِهِ إِبْرَاهِيمُ) و ابراهيم قال امية (مَعَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَمَوْسَى) و ابراهيم قال

نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي كَهْتِهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ

والوجه في هذه التفسيرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلبت بحروفه فتغيرها واما قوله عهدي فانما فتح هذه اليا. اذا تحرك ما قبلها لان اصل هذه اليا. الحركة فانها بأزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح اليا. ومن اسكنها فانه يفتح بأن الفتحة مع اليا. قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركتان الاخرين فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا لزم تحريكها بالحركتين الاخرين وذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا وممدي كرب فاليا. في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر اول الاسمين نحو حضرموت وقد اسكنت كما اسكنت في الجر والرفع

﴿ اللفظة ﴾

الابتلاء الاختبار والتمام والكمال والوفاء ونظائر وضد التام التقصان يقال تم تماما واتمه وتمه تسميا وتسمه والتام الشيء التام ولكل حامة تام بفتح التاء وكسرهما وبدد تام وليل تام بالكسر والذرية والنسل والولد نظائر وبعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذرية وروي انه قراءة زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذر. ومن الذر والذرو والذري فان جملة من الذر. فوزنه فعية ذرية كريق ثم ائتمت التخفيف او البديل كتي في اكثر اللفظة والبرية وان اخذته من الذر فوزنه فعية كتمرية او فعية نحو ذرية فلما كثرت الراءت ابدلت الاخرة يا. وادغم اليا. الاولى فيها نحو سريه فيمن اخذها من السرو هو النكاح او فعولة نحو ذرورة فابدلوا الراء. الاخرة لا ذكرنا فصار ذروية ثم ادغم فصار ذرية وان اخذته من الذرو او الذري فوزنه فعولة او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جني في المعتب والنيل واللحاق والادراك ونظائر والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان واتاله معروفه ونوله اعطاه قال طرفة

إِنْ تُنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَعَهُ
وَتَرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهُرِ

وقولهم نولك ان تفعل كذا معناه حثك ان تفعل

﴿ الاعراب ﴾

اللام في قوله للناس تتعلق بمحذوف تقديره اماماً استقر للناس فهو صفة لإمام فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز ان تتعلق بجاعلك وقوله اماماً مفعول ثانٍ لجل ومن ذريتي تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكروا «اذا ابتلى ابراهيم ربه» اي اختبر وهو مجاز وحقيقته انه امر ابراهيم ربه وكلفه وسمي ذلك اختباراً لأن ما يستعمل الامر منافي مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد على طريق الاتساع وايضاً فان الله تعالى لا عامل عباده معاملة المبتلي المختبر اذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي امره ابتلاءً وحقيقة الابتلاء تشديد التكليف وقوله «بكلمات» فيه خلاف فروي عن الصادق انه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده اسماعيل اي العرب فاتمها ابراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم قال الله ثواباً له لما صدق وعمل بأمره الله اني جاعلك للناس اماماً ثم انزل الله عليه الحنيفة وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن فاما التي في الرأس فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطم الشعر والسواك والحلال واما التي في البدن خلق الشعر من البدن والحتان وتقليم الاظفار والنسل من الجنابة والظهور بالماء فهذه الحنيفة الظاهرة التي جاء بها ابراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم القيامة وهو قوله واتبع ملة ابراهيم حنيفاً ذكره علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره وقال قتادة وهو احدى الرويتين عن ابن عباس انها عشر خصال كانت فرضاً في شرعه سنة في شريعتنا المضمة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك في الرأس والحتان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام لم يبتل احداً بها فاقامها كلها ابراهيم فتمن فكتب له البراءة فقال و ابراهيم الذي وفي وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشر في سورة المؤمنون قد افلح المؤمنون الى قوله او آتاك هم الوارثون وروي وعشر في سورة سأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون فجعلها اربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بتناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والحتان وبذبح ابنه وبالنار وباهجرة فكلهن وفي الله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي قوله اني جاعلك للناس اماماً الى آخر القصة وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك كلما كلفه من الطاعات العقلية والشريعة والآية محتملة لجميع هذه الاقويل التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم اول الناس اضاف الضيف واول الناس اختن واول الناس قص شاربه واستحد واول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يارب ما هذا قال هذا الوقار قال يارب فزدني وقاراً وهذا ايضا قد رواه السكوني عن ابي عبد الله ولم يذكر اول من قص شاربه واستحد وزاد فيه واول من قاتل في سبيل الله ابراهيم واول من اخرج الخمس ابراهيم واول من اتخذ الثقلين ابراهيم واول من اتخذ الرايات ابراهيم وروي الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده مرفوعاً الى الفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال سأته عن قول الله عز وجل واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه وهو انه قال يارب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فإني بقوله فاتمهن قال اتمهن الى التام اثني عشر اماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال الفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن كلمة الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين الى يوم القيامة فقلت له يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد

الحسن عليهما السلام وهما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيدا شباب اهل الجنة فقال ان موسى وهارون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد ان يقول لم فعل الله ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد ان يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله وقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين ﴿احدهما﴾ مستحيل على الله تعالى (والآخر) جازم فالمستحيل هو ان يختبره ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب والآخر ان يتبليه حتى يصبر فبما يتبليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر اليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم تكن اسباب الامامة الا الى الكافي المستقل بها الذي كشفت الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من الموقنين ومنها المعرفة بالتوحيد والتزيه عن التشبه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس ومنها الشجاعة بدلالة قوله لجعلهم جذاذا الا كبيرهم ومقاومته وهو واحد ألوقفاً من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ان ابراهيم حلیم اواه منيب ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل اتيتك حديث ضيف ابراهيم الكرمين ثم العزلة عن المشيرة وقد تضمنه قوله واعتزلکم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة في جواب قول ابيه لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حنيا ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقتني فهو يهدين الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في الولد حين امر بنذبح ابنه اسماعيل ثم المحنة في الأهل حين خلص الله حرمة من عبادة القبطي في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق سارة ثم استقصاره النفس في الطاعة بقوله ولا تخزني يوم يبعثون ثم الزلقة في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله ان صلوتي ونسكي وحياتي ومما تاتي الى قوله وانا اول المسلمين ثم استجابة الله دعوته حين قال رب اني كيف تحيي الموتى الآية ثم اصطفاؤه الله سبحانه اياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اقتداء من بعده من الأنبياء به في قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الآية وفي قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ ابي جعفر رحمه الله وقوله «فاتمهن» معناه وفي بهن في قول الحسن وعمل بهن على انتقام في قول قتادة والضمير في اتمهن عائد الى الله تعالى في قول ابي القاسم البلخي وهو اختيار الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الامامة على ما قاله مجاهد قال لأن الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بواو العطف واتمهن الله بأن اوجب بها الامامة بطاعته واضطلامه بما ابتلاه وقوله «قال اني جاعلك للناس اماما» معناه قال الله تعالى اني جاعلك اماما يقتدي بك في افعالك واقوالك لأن المستفاد من لفظ الامام اسر ان ﴿احدهما﴾ انه المقتدى به في افعاله واقواله (والثاني) انه الذي يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام بامورها وتأديب جناتها وتولية ولايتها واقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فملى الوجه الاول لا يكون نبي من الأنبياء الا هو امام وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مأمورا بتأديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه ابراهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزاء له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل في قوله اماما واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل ولوقلت انا ضارب زيدا اسم لم يجز فوجب ان يكون المراد انه جعله اماما اما في الحال او في الاستقبال والنبوة كانت حصلت له قبل ذلك وقوله «قال ومن ذريتي» اي واجل من ذريتي من يوشح بالامامة ويوشح بهذه الكرامة وقيل لنا قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون في عقبه ائمة يقتدى بهم والاولى ان يكون ذلك على وجه السوء ال

من الله تعالى ان يجعلهم كذلك وقوله قال لا ينال عهدي الظالمين قال مجاهد العهد الامامة وهو المروي عن ابي جعفر واخي
عبد الله عليهما السلام اي لا يكون الظالم اماماً للناس فهذا يدل على انه يجوز ان يعطى ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالماً
لأنه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماماً للناس لوجب ان يقول في الجواب لا اولينال عهدي ذريتكم وقال الحسن
معناه ان الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً وان كانوا قد يماهدون في الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز
في العربية ان يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلته وقد روي ذلك في قراءة ابن مسعود واستدل
اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون الا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نبي ان ينال عهده الذي هو
الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره فان قيل انما نبي ان يناله ظالم في حال ظلمه
فاذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح ان يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناولته في
حال كونه ظالماً فاذا نبي ان يناله فقد حكم عليه بأنه لا يناله والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب
ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا يناله الظالم وان تاب فيما بعد

قوله تعالى (١٢٥) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَآتَخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَوَعَدْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الحاء وقرأ الباقون واتخذوا مكسورة الحاء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بكسر الحاء فإنه على الامر والالزام ويكون عطفاً على قوله يا بني إسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون
عطفاً على قوله واذا جعلنا البيت مثابة للناس من طريق المعنى لأن معناه ثبوتاً واتخذوا ومن قرأ بالفتح عطفه على
ما تقدمه من الفعل الذي أضيف إليه اذ فكانه قال واذا اتخذوا

﴿ اللفظة ﴾

البيت والمأوى والمزل نظائر والبيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمة الحروف والكلام كما يضم البيت من
بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهي احياءها وامرأة الرجل بيته قال الزجاج

مَالِي إِذَا أَجْدُبُهَا صَأَيْتُ أَكْبَرُ قَدْ غَالَيْتُ أُمَّ بَيْتُ

الثابتة هاهنا الموضع الذي يثاب إليه من ثاب يثوب مثابة ومثاباً وثوباً اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مَثَابٌ لِّأَقْنَاءِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ إِلَيْهَا الْعَمَلَاتُ الطَّلَائِحُ

ومنه ثاب إليه عقله ابي رجع بعد عزوبه وأصل مثابة مثوبة نقلت حركة الواو الى التاء ثم قلبت الفاعلي ما قبلها

وقيل ان التاء فيه للبيان كما قيل نسابة وقيل ان معناها واحد كقائمة ومقام قال زهير

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنَةٌ وَجُوهٌ وَأَنْدِيَةٌ يَدْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

وجمع المقام مقام قال

وَإِنِّي لَقَوْمٌ مَّقاوِمٌ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَوْمَها

والطائف والجائل والدائر نظائر ويقال طاف يطوف طوفاً اذا دار حول الشيء واطاف به اطافاً

به اذا احاط به والطاقف الناس والطوافون المالك والطائف طائف الجن والشیطان وهو كل شيء يضئ القلب

من وسواسه وهو طيف ايضاً والمكف المقيم على الشيء اللازم له وعكف يعكف عكفاً وعكوفاً قال النابغة

(١) اي ارجعوا . (٢) خبّ الفرس في عدوه : ولج بين يديه ورجليه . اليملة : الناقة المطبوعة على العمل . الطلايح :

المهزولات من العجهد والسير (٣) عسّ : طاف بالليل بعرس الناس وبكشف اهل الرية .

عُكُوفٌ عَلَىٰ آيَاتِهِمْ يَشِدُّونَهَا رَمَىٰ اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَكْفِ الْكُورِ (١)

والعكف المتكف في المسجد وقل ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعمل جاز في جمع الفاعل منه ان يكون على فعمل كالقعود والركوع والسجود ونحوها

﴿ المعنى ﴾

قوله «واذ جعلنا» عطف على قوله واذ ابتلى وذلك مطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي و«البيت» الذي جعله الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي انه سمي البيت الحرام لأنه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمي الكعبة لأنها مربعة وصارت مربعة لأنها مجذأة. البيت المعمود وهو مربع وصار البيت المعمود مريعا لأنه مجذأ. العرش وهو مربع وصار العرش مريعا لأن الكلمات التي بنى عليها الاسلام اربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقوله «مثابة للناس» ذكر فيه وجوه فقيل ان الناس يشوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه انه لا ينصرف منه احد وهو يرى انه قد قضى منه وما أنهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يجعون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذا وملجأ وقيل مجعما والمعنى في الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله «وامنا» اراد ماأنا اي موضع أمن وانما جعله الله امنا بأن حكم ان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه مادام فيه وبما جعله في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمة لا يقيم في الشرع الحد على من جنى جنابة فالتجأ اليه والى حرمة لكن يضيّق عليه في المطعم والشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه لأنه هتك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا قد توارثوه من دين اسماعيل فبقوا عليه الى ايام نبينا صلى الله عليه وآله وقوله «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم وقال عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابراهيم وقال الحسن وقتادة والسدي هو الصلاة عند مقام ابراهيم امرنا بالصلاة عنده بعد الطواف وهو المروي عن الصادق عليه السلام وقد سُئِلَ عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسي ان يصلي ركعتين عند مقام ابراهيم فقال يصليها ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا هو الظاهر لأن مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي اللقمان دلالة ظاهرة على نبوة ابراهيم عليه السلام فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه وكان في ذلك معجزة له وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال تزلت ثلاثة احبار من الجنة مقام ابراهيم وحجر بني اسرائيل والحجر الاسود استودعه الله ابراهيم (ع) حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم

﴿ القصة ﴾

ابن عباس قال لما اتى ابراهيم واسماعيل وهاجر فوضعها بحمكة واتت على ذلك مدة وتزلها الجوهريون وتزوج اسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة ان يأتيها فاذنت له وشرطت عليه ان لا يتزل فقدم ابراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته ابن صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لما ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي احد

(١) في ديوان التائفة هكذا قومنا لدى آياتهم يشدونها رمى الله في تلك الاكوف الكور وفي نسخة اخرى آبارهم والنصب في قودا او عكوكا على المالية مقبين

فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم عليه السلام فجاء اسماعيل (ع) فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فاقال لك قالت قال لي اقربني زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا يتزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى الباب لم اسماعيل فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يحيي الان ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلوجأت يومئذ بنجذ او بر او شعير او تمر لكان اكثر ارض الله برأ وشميرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم يتزل فجاءت بالمقام فوضته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه ففصلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففصلت شق رأسه الايسر فبقي اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرنيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل (ع) وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال اسماعيل لها ذلك ابراهيم (ع) وقد روى هذه القصة بعينها علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابان عن الصادق عليه السلام وان اختلف بعض الناطقه وقال في آخرها اذا جاء زوجك فقولي له قد جاء هاهنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب اسماعيل على المقام يبكي ويقبله وفي رواية اخرى عنه عليه السلام ان ابراهيم استأذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له ان لا يلبث عنها وان لا يتزل من حمارة فقيل له كيف كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الركن والمقام باقوتان من باقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق والمغرب وقوله «مصلى» فيه اقوال قيل مدعى من صليت اي دعوت عن مجاهد وقيل قبله عن الحسن وقيل موضع صلاة فامر ان يصلى عنده عن قتادة والسدي وهذا هو الروي عن أئمتنا عليهم السلام واستدل اصحابنا به على ان صلاة الطواف فريضة مثل الطواف لأن الله تعالى امر بذلك وظاهر الأمر يقتضي الوجوب ولا صلاة واجبة عند مقام ابراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف وقوله «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل» اي امرناهما والزمنهما «ان طهرا بيتي» للطائفتين اي قلنا لها ان طهرا بيتي لأن هذه هي المفسرة التي تكون عبارة عن القول اذا صاحبته من الالفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه عهدنا هذا وذكر في التطهيرها وجوه **احدها** ان المراد طهراهما من الفرت والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير في يد ابراهيم واسماعيل عن الجبائي (وثانيتها) ان المراد طهراهما من الاصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابراهيم عن مجاهد وقاتادة (وثالثها) ان المراد طهراهما بنيانا بكماله على الطهارة كما قال سبحانه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جوف هار وانما اضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على سائر البقاع وتبيضا وتخصيصا وقوله «للطائفتين والماكفين» اكثر المفسرين على ان الطائفتين هم الدائر حول البيت والماكفين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطائفتين هم الطائرون على مكة من الافاق والماكفين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس الماكفون المصلون والأول اصح لأنه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله «والركع السجود» قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لأن من شأن المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال عطاء اذا طاف به فهو من الطائفتين واذا جلس فهو من الماكفين واذا صلى فهو من الركع السجود قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله عز وجل في كل يوم ولية عشرين ومائة رحمة تنزل على هذه البيت ستون منها للطائفتين واربعون للماكفين ^(٣) وعشرون للناظرين

(١) [على] (٢) وفي بعض النسخ «لا يبيت» بدل «لا يلبث» اي لا يلبث اولا يبيت معرضا عنها (٣) وفي جملة من النسخ «المصلين» بدل «الماكفين»

قوله تعالى (١٢٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيُنْسِ الْمَصِيرَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر فأمته بسكون الميم خفيفة من أمتت والباقون بالتشديد وفتح الميم من ممتت وروي في الشواذ عن ابن عباس فأمته قليلا ثم اضطره الى عذاب النار على الدعاء من ابراهيم عليه السلام وعن ابن محيص ثم اطره بادغام الضاد في الطاء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي التشديد في امته اولى لأن التثنية عليه قال سبحانه يتممكم متاعا حسنا وكن متمتعين متاع الحياة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان أمتع لغة قال الراعي

خَلِيلَيْنِ مِنْ شَمِينِ شَتَّى تَجَاوَرَا قَدِيمًا وَكَانَا بِالتَّرْقِ أُمَّتَا

قال ابو زيد أمتا اراد يتمما فاما قراءة ابن عباس فأمته فيحتمل امرين عن ابن جني ﴿احدهما﴾ ان يكون الضمير في قال لأبراهيم اي قال إبراهيم ايضا ومن كثر فأمته يارب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولأنه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على آخرين والآخر ان يكون الضمير في قال لله تعالى اي فأمته ياخالق او يالآله يخاطب بذلك نفسه عز وجل جرى ذلك على ما تعاده العرب من امر الانسان لنفسه كقول الاشي

وَدَعَّ هُرَيْرٌ إِنْ الرِّكْبَ مَرَّ تَحِلُّ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعَا أَيُّهَا الرَّجُلُ

﴿ اللفظة ﴾

البلد والمصر والمدينة نظائر واصله من قولهم بلد للآثر في الجلد وغيره وجمه ابلاد ومن ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لأنه اذا برك تأثرت والاضطراب هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى لونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لا لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصدر الحال التي يودي اليها أول لما وصار وحال وآل نظائر وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفي الحديث من نظري في صيرباب فقد دمر وصير الامر آخره

﴿ الاعراب ﴾

قوله من آمن محله نصب لأنه بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا وصلة في موضع الرفع على الابتداء ويجوز أن يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه وفأتمته القاء وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالقاء وما بعده خبر المبتدا وبنس المصير فعل وفاعل في موضع الرفع لأنه خبر مبتدا محذوف تقديره وبنس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على احد وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيويه ترى الرجل يعالج شيئا فيقول رويدا اي علاجا رويدا وانما وصفه بالقلته مع ان التثنية يدل على التكثير من حيث كان لي نفاذ ونقص وتنام كقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه مما قليل ليصبغن نادمين وتقديره بعد زمان قليل كما يقال عرق عن الحمى واطمعه عن الجوع اي بعد الحمى وبعد الجوع

﴿ المعنى ﴾

«و» اذكر «إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا» أي هذا البلد يعني مكة «بلدا آمنا» أي إذا أمن كما يقال بلد آهل أي ذو أهل وقيل معناه يأمنون فيه كما يقال ليل نائم أي ينام فيه قال ابن عباس يريد حراما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يحتلى خلاؤه. وإلى هذا المعنى يؤيد ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله من دخل الحرم مستجيرا به فهو آمن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطيور كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من النهار فهذا الخبر وأمثاله المشهورة في روايات أصحابنا تدل على أن الحرم كان آمنا قبل دعوة إبراهيم عليه السلام وإنما تأكدت حرمة بدعائه عليه السلام وقيل إنما صار حراما بدعائه (ع) وقبل ذلك كان كسائر البلاد واستدل عليه بقول النبي (ص) إن إبراهيم حرم مكة وأبي حرم المدينة وقيل كانت مكة حراما قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة فالأول بمنع الله أياها من الاصطلام والانتفak كما لحق ذلك غيرها من البلاد وبما جعل فلك في النفوس من تعظيمها والمهية لها و(الثاني) بالامر بتعظيمه على السنة الرسل فأجابته الله تعالى إلى ما سأله ولما سأله أن يجعلها آمنة من الجذب والقحط لأنه أسكن أهلها يواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يسأله أمنها من الانتفak والحسف الذي كان حاصلها وقيل إنه عليه السلام سأله الأعرابي أن يدعيها وإن كان أحدهما مستأنفا والآخر قد كان قبل وقوله «وارزق أهل من الثمرات» أي اعط من أنواع الرزق والثمرات «من آمن منهم بالله واليوم الآخر» سألهم الثمرات ليجمع لهم الأمن والحطب فيكونوا في رغد من العيش وروي عن أبي جعفر عليه السلام أن المراد بذلك أن الثمرات تحمل إليهم من الآفاق وروي عن الصادق عليه السلام قال هي ثمرات القلوب أي جيبهم إلى الناس ليشيروا إليهم ولما خص بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد أعلمه أنه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسأله إياه لذريته الإمامة بقوله لا ينال عهدي الظالمين فخص بالدعاء في الرزق المؤمنين تأدبا بأدب الله تعالى وقيل إنه عليه السلام ظن أنه إذا دعا للكفار بالرزق انهم يكفرون بمكة ويفسدون وربما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء أهل الأيمان وقوله «قال ومن كفر فامتعه قليلا» أي قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فامتعه بالرزق الذي أرزقه إلى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقاء في الدنيا وقيل امتعه بالأمن والرزق إلى خروج محمد (ص) فيقتله إن أقام على كفره أو يحل عليه عن مكة عن الحسن «ثم اضطره إلى عذاب النار» أي ادفعه إلى النار واسوقه إليها في الآخرة «وبئس المصير» أي المرجع والمآل

قوله تعالى (١٢٧) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرفع والاعلاء والاصعاد نظائر ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصعاد الاتزال يقال رفع يرفع رفعاً وارتفع الشيء نفسه والرفوع من عدو القوس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شيء. والرفعة نقيض الذلة والقواعد والاساس والاركان نظائر وواحد القواعد قاعدة واصله في اللغة الثبوت والاستقرار فن ذلك القاعدة من الجبل وهي اصله وقاعدة البناء اساسه الذي بني عليه وامرأة قاعدة اذا اتت عليها سنون لم تتزوج واذا لم تحمل المرأة او النخلة قيل قد قدمت فهي قاعدة وجمها قواعد وتأويله انها قد ثبتت على ترك الحمل واذا قدمت عن الحيض فهي قاعدة بغيرها لأنه لا فعل لها في قومها عن الحيض وقدمت للمرأة اذا أتت بأولاد لتام فهي قاعدة وقيل في إن واحدة النساء القواعد قاعدة قولان ﴿أحدهما﴾ انها من الصفات المختصة

(١) انتفك البلد بأهله: انقلب. الارض: احترقت من الجذب (٢) [كان].

بالمؤمنت نحو الطالق والحائض فلم يحتج الى علامة التأنيث (والآخر) وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اي ذات قعود كما يقال نبل ودراع اي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تثبيت القمل

﴿ الاعراب ﴾

قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع او بمحذوف فيكون في محل النصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال لأن يقولان في موضع الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه كيف بنى ابراهيم البيت فقال «واذ يرفع» وتقديره واذا ذكر اذ يرفع «ابراهيم القواعد من البيت» اي اصول البيت التي كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطاء قالا قد كان آدم عليه السلام بناء ثم غفا اثره فجدده ابراهيم (ع) وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام وقال مجاهد بل انشاء ابراهيم (ع) بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابراهيم وفي روايات اصحابنا ان اول من حج البيت آدم (ع) وذلك يدل على انه كان قبل ابراهيم وروي عن الباقر انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراع وهو البيت المصمود وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيتا بمثاله وقدره وامر من في الارض أن يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي باسناده عن الصادق قال ان الله انزل الحجر الاسود من الجنة لآدم وكان البيت درة بيضاء فرفضه الله تعالى الى السماء وبقي اساسه فهو حياض هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابراهيم واسماعيل ان يبنا البيت على القواعد وعن امير المؤمنين عليه السلام ان اول شيء نزل من السماء الى الارض هو البيت الذي بمكة انزله الله باقوتة حمراء ففسق قوم نوح في الارض فرفضه وقوله «واسماعيل» اي يرفع ابراهيم واسماعيل اساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفي خوف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم أخرجوا انفسكم اي يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا برده الى ابراهيم عليه السلام قال لأن ابراهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسماعيل صغيرا في وقت رفضها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابراهيم واسماعيل كانا يبنيان الكعبة جميعا وقيل كان ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنها رفضا البيت عن ابن عباس وفي قوله ربنا تقبل منا دليل على انها بنيا الكعبة مسجد الامسكتا لأنها التمسنا الثواب عليه والثواب انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبتنا على عمله وهو مشبه بقبول الهدية فإن الملك اذا قبل الهدية من انسان اثلجه على ذلك وقوله «انك انت السميع العليم» اي انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروي عن الباقر ان اسماعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسماعيل هات ابن^(١) اي اعطني حجرا فيقول له اسماعيل بالعربية يا ابي هالك حجرا فابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة وفي هذه الآية دلالة على ان الدعاء عند الفراع من العبادة مرغبا فيه مندوبا اليه كما فعله ابراهيم واسماعيل (ع)

﴿ قصة مهاجرة اسماعيل وهاجر ﴾

روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال ان ابراهيم كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسماعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد فكانت توءذي ابراهيم في هاجر وتممه فشكا ذلك ابراهيم الى الله عز وجل فأوحى الله اليه انما مثل المرأة مثل الضلع المخرج ان تركه استتمت به وان رمت أن تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك

(١) في بعض النسخ هاجي ابن وفي المبرانية اعطني حجرا هاجي ابن فليحمر

هِيَ الصَّلْعُ الْمَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيمُهَا أَلَا إِنَّ تَقْوِيمَ الصَّلْوَعِ أَنْكِسَارُهَا

ثم امره ان يخرج اسماعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة وانزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وابراهيم فكان ابراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرائيل الى هاهنا الى هاهنا فيقول جبرائيل لا امض لا امض حتى واني مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابراهيم عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابراهيم ربني الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بندي طوى الثفت اليهم ابراهيم فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله لهم يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع المسعى فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت الروة غاب عنها اسماعيل ثم لع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسماعيل حتى فملت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على الروة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بندي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم الى تكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لها جرهم من انت وما شانك وشان هذا الصبي قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وهذا ابنه امره الله ان ينزلنا هاهنا فقالوا لها اتأذنين ان نكون بالقرب منك فقالت حتى اسأل ابراهيم قال فزارها ابراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان هاهنا قوما من جرهم يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتأذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وأنست هاجر واسماعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثانية ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله تعالى ابراهيم ان يبني البيت فقال يارب في اي بقعة قال في البقعة التي اتزلت على آدم القبة فاضاءت الحرم قال ولم تزل القبة التي اتزلها الله على آدم قائمة حتى كان ايام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تفرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعتق من الفرق فلما امر الله عز وجل ابراهيم ان يبني البيت لم يدر في اي مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على آدم اشد بياضا من الثلج فلما مسته ايدي الكفار اسود قال فبنى ابراهيم البيت ونقل اسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب يسمى المستجار ثم التي عليه الشئح والإذخر^(١) وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حيج ابراهيم واسماعيل ونزل عليها جبرائيل يوم التروية لثان خلت من ذي الحجة فقال يا ابراهيم قفارتو من الماء لانه لم يكن بمنى وعرفات ما سميت التروية لذلك ثم اخرجه الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال ابراهيم لما فرغ من بناء البيت رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات الآية

(١) الشئح: نبات انواعه كثيرة كده ضيب الرائحة. الإذخر: العشيش الاخضر. نبات طيب الرائحة.

ج ١ الجزء الاول) قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك الخ ٢٠٩

قوله تعالى (١٢٨) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ارنا باسكان الراء كل القرآن وواقفه ابن عامر ولو بكر عن عاصم في السجدة ربنا ارنا الذين وقرأ ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع كل القرآن والباقون بالكسر

﴿ الحجة ﴾

الاختيار كسرة الراء لأنها كسرة المهززة قد حوت الى الراء لأن اصله ارنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت المهززة ولأن في اسكان الراء بعد سقوط المهززة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على المهززة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ ونحو قول الشاعر (لو عَصَرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمِسْكَ انْعَصَرَ) وقال الآخر

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَلْنَا سَوِيْقًا وَأَشْتَرْتِ وَعَجِلْتَ خَادِمًا كَيْقًا (١)

واما الاختلاس فلطلب الحجة وبقاء الدلالة على حذف المهززة

﴿ اللفظة ﴾

الاسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله وهو والايان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق ويطله قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه والمناسك هاهنا التبعيدات قال الزجاج كل متعبد منك والنسك في اللغة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والنسك الموضع الذي تذبح فيه النسانك والنسك ايضا هو النسك نفسه قال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله الذبائح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في الحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالأضاحي قال الاعشى

وَذَا النُّسْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَأَعْبُدَا

قال ابو علي الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه

﴿ الاعراب ﴾

اللام في لك تعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه تعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا والجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لا جعل وارنا يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون منقولا من رأيت الذي هو بمعنى ادراك البصر نقلت بالمهززة فتعدت الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كأنه قال ارنا مواضع مناسكتنا اي عرفناها لتقضي نسكتنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فهذا من رأيت الموضع واريته اياه (والآخر) ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأي الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكتنا ومثله قول الشاعر

أَرَيْنِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَطْنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخَيْلًا مُخَلَّدَا

اراد ديني ولم يرد روية العين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تمام دعائها عليها السلام فقال سبحانه «ربنا واجعلنا مسلمين لك» اي قال ربنا واجعلنا مسلمين في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا بأن توقعنا وتفعل بنا اللطاف التي تدعونا الى الثبات على الاسلام

ويجزي ذلك مجرى ان يودب احدنا ولده ويعرضه لذلك حتى صار ادبيا فيجوز ان يقال جعل ولده ادبيا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والنسب جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد الا اياك ولا ندعو رباً سواك وقيل قائلين بجميع شرائع الاسلام مطيعين لك لأن الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله «ومن ذريتنا امة مسلمة لك» اي واجمل من ذريتنا اي من اولادنا ومن التمييز وانما خصاً بعضهم لأنه تعالى اعلم ابراهيم عليه السلام ان في ذريته من لا ينال عهد الظلم لا يرتكبه من الظلم وقال السدي اراد بذلك العرب والصحيح الأول امة مسلمة لك اي جماعة موحدة منقادة لك يعني امة محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم وروي عن الصادق ان المراد بالامة بنوها ثم خاصة وقوله «وارنا مناسكتنا» اي عرفنا هذه المواضع التي تتعلق بالنسك بها لتفعله عندها ونقضي عبادتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فاراهما الله منا سكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والاقاضة من عرفات ومن جمع ورمي الجمار حتى اكل بها الدين وقال عطاء ومجاهد معنى مناسكتنا ما يجنا والاول اقوى وقوله «وتب علينا» فيه وجوه ﴿احدها﴾ انها قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله سبحانه ليقتدي بها الناس فيها وهذا هو الصحيح (وثانيها) انها سألا التوبة على ظلمة ذريتهما (وثالثها) ان معناه ارجع اليها بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم اوارثتكم القبيح منهم لأن الدلائل القاهرة قد دللت على ان الانبياء معصومون متهون عن الكبائر والصغائر وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك «انك انت التواب» اي القابل للتوبة من عظام الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى «الرحيم» بعباده النعم عليهم بالنعيم العظام وتكفير السيئات والآثام وفي هذه الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي انه يكون لامحالة لأنها كلنا عالمين بانها لا يقارنان الذنوب والآثام ولا يفارقان الدين والاسلام

قوله تعالى (١٢٩) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُذَكِّرُهُمْ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

العزير القدير الذي لا يغالب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء اراد فعله وتقيض العز الذل وعز يعز عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اي من غلب سلب واعتاشي اذا صلب وهو من العزاز من الأرض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشيء اذا قل حتى لا يكاد يوجد واعترا فلان بفلان اذا تشرف به والحكيم معناه المدير الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فطلى هذا يكون من صفات العمل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات

﴿ الاعراب ﴾

ابعث جملة فعلية مطروقة على تب فيهم تتعلق بابعث ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره رسولا كأننا فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله رسولا اي تاليا وعليهم تتعلق بيتلو

﴿ المعنى ﴾

الضمير في قوله فيهم يرجع الى الأمة المسلمة التي سألت الله ابراهيم ان يجعلهم من ذريته والمعنى به بقوله «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» هو نبينا صلى الله عليه وآله لما روي عنه انه قال انا دعوة الي ابراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام يعني قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهو قول الحسن وقاتدة وجماعة من العلماء ويبدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنه الآية في قوله ربنا وابعث

ففيهم اي في هذه الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه وآله وقوله «يتلوا عليهم آياتك» اي يقرأ عليهم آياتك التي توحى بها اليه «ويعلمهم الكتاب» اي القرآن وهذا لا يعد من التكرار لانه خص الأول بالتلاوة ليعلموا بذلك انه معجز حال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من احكام شريعته وقوله «والحكمة» قيل هي هاهنا السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في التأويل عن مالك بن انس وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة للكتاب كانه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه آيات وقيل الحكمة شي . يجعله الله في القلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك البصر وقيل هي مواعظ القرآن وحرامه وحلاله عن مقاتل وكل حسن وقوله «ويذكهم» اي يجعلهم مطيعين مخلصين والزكاة هو الطاعة والاخلاص لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم الى فصل ما يزكون به من الايمان والصلاح عن الجبائي وقيل يشهد لهم بأنهم اذكياء يوم القيامة اذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأصم وقوله «انك انت العزيز الحكيم» اي القوي في كمال قدرتك المنيع في جلال عظمتك المحم لبدائع صنعتك وانما ذكر هاتين الصفتين لاتصالها بالدعاء . فكأنه قال فرعنا اليك في دعائنا لأنك القادر على اجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو اصلح لنا بما لا يبلغه كنه علمنا وقصار بصائرنا وفي هذه الآية دلالة على ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه وآله بجميع شرائط النبوة لأن تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لامته باللطف الذي لاجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا اذكياء . وهذا لأن الدعاء صدر من اسماعيل (ع) فلم بذلك ان النبي المدعو به من ولده لامن ولد اسحاق ولم يكن في ولد اسماعيل نبي غير نبينا صلى الله عليه وآله سيد الانبياء .

قوله تعالى (١٣٠) وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَيَنَّ الصّٰلِحِيْنَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والارادة نظائر وتقيض الرغبة الرهبة وتقيض المحبة البغضة وتقيض الارادة الكراهة وتقول رغبت في رغبة ورغبا ورغبا ورغبي اذا ملت اليه ورغبت عنه اذا صدت عنه ورجل يرغب نهم شديد الأكل زفرس رغيب الشحوة اي كثير الأخذ بقوائمه من الأرض وموضع رغيب واسع والرغبة الطاء الكثير الذي يرغب في مثله والاصطفا . والاجتباء والاختيار نظائر والصفاء والتقاء والخلوص نظائر والصفو نقيض الكدر وصفوة كل شي . خالصه وصفي الانسان اخوه الذي يضافه المودة وناقته صني كثيرة اللبن ونخلة صفة كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لأنها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهي من مخرج التاء فاتي بحرف وسط بين الحرفين

﴿ الاعراب ﴾

من يرغب لفظه من الاستفهام ومعناه الجهد فكأنه قال ما يرغب عن ملة ابراهيم ولا يزهده فيها الا من سفه نفسه اي الذي سفه نفسه فمن الأولى على الاستفهام والثانية بمعنى الذي والاحرف الاستثناء ويجوز ان يكون لنقض النبي ومن اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة في محل النصب على الاستثناء او في محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذي في يرغب وفي انتصاب نفسه خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس اراها لمة قال الزجاج اراد ان فيل لمة في المبالغة كما ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا او قال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثاني ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم

عن شيء منه نفسا وهو قول القراء قال ان العرب توقع سفة على نفسه وهي معرفة وكذا لكبطرت معيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه قال ان معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز انما هو واحد يدل على جنس اوخلة تخلص من خلال فاذا عرفته صار مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من النحويين والوجه الثالث ان يكون على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اي مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف الجار في معنى سفة في نفسه كقوله سبحانه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اي لأولادكم لحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ولا تغزوا عقدة التكاح اي على عقدة التكاح ومثله قول الشاعر

تُعَالِي اللَّحْمَ إِلَّا ضَيَافَ نِيَا وَتَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْفُدُورُ

والمعنى ننالي باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره الزجاج وهو ان سفة بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت معيشتها ان البطر مستقل للنعمة غير راض بها فلي هذا يكون نفسه مفعول به وانه في الآخرة في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال الضمير المستكن في قوله من الصالحين

﴿ التزول ﴾

روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجراً الى الاسلام فقال لقد علمنا ان صفة محمد في التزوة فاسلم سلمة وابي مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه قصة ابراهيم وان ملته ملة محمد عقبة بذكر الحث على اتباعها فقال «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفة نفسه» اي لا يترك دين ابراهيم وشريعته الامن اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس ككله شيء عن ابي مسلم وقوله «ولقد اصطفينا في الدنيا» اي اخترناه بالرسالة واجتنبناه «وانه في الآخرة لمن الصالحين» اي من الفاترين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع آياته الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الآخرة بالذكر وان كان في الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبيء عن ذلك وفي قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفة نفسه دلالة على ان ملة ابراهيم هي ملة نبينا صلى الله عليها لأن ملة ابراهيم داخلية في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابراهيم قد سفهوا انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابراهيم

قوله تعالى (١٣١) اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

قال فعل فارغ وله جار ومجرور واللام تتعلق بقال وقال له ربه مجرور الموضع باضافة اذ اليه واللام في لرب العالمين تتعلق بأسلمت

﴿ المعنى ﴾

هذا متصل بقوله ولقد اصطفينا وموضع اذ نصب باصطفينا وتقديره ولقد اصطفينا حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا حين اقلت الشمس ورأى ابراهيم تلك الآيات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك إلهاماً استدعاء منه

الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ولا يصح ان يوحي الله اليه قبل اسلامه بأنه نبي الله لأن النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابراهيم عليه السلام حين خرج من السرب^(١) وقيل انما قال ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا إله إلا الله وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد وقوله «اسلمت لرب العالمين» اي اخلصت الدين لله رب العالمين

قوله تعالى (١٣٢) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بهمة بين واوين وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى مشددة الصاد

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطع ولا يكون منه تفعيل لأنك لو قلت في مصدر حيث تفعيل لكان يجتمع ثلاثيات فرفض ذلك وحجة من قرأ واوصى بها ابراهيم قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية توصون بها اودين

﴿ اللفظة ﴾

وصى واوصى وامر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى البيت اذا اتصل بعبه بعض فالوصية كأن الموصى بالوصية وصل جمل امره بالمرضى اليه

﴿ الاعراب ﴾

يعقوب رفع لأنه عطف على ابراهيم والتقدير ووصى ابراهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستئناف كأنه قال ووصى يعقوب ان يابني ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا إضمار فيه لأنه معطوف والثاني فيه اضرار والماء في بها تعود الى الملة وقد تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف واللام في الدين للمهد دون الاستفراق لأنه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وان كان على لفظ النهي لهم عن الموت فالتعني على الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه وسمه من كلام العرب لا اريتك هاهنا فالتعني في اللفظ للتكلم وانما هو في الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لا تتعرض لأن اراك بكونك هاهنا وقوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وانتم مسلمون

﴿ المعنى ﴾

لما بين عز اسمه دعاء ابراهيم عليه السلام لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين وعهده به الى نبيه في وصيته فقال «ووصى بها» اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويؤيد هذا قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله «ابراهيم بنيه» انما خص البنين لأن اشفاقه عليهم أكثر وهم بقبول وصيته اجدر والا فمن العلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب وهو ابن اسحاق وانما سمي يعقوب لأنه وعيضا كانا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الاسباط «يابني ان الله اصطفى لكم الدين» اي فقلا جميعا يابني ان الله اختار لكم دين الاسلام «فلا تموتن الا وانتم مسلمون» اي لا تدركوا الاسلام فيصادفكم

(١) السرب : العفيرة تحت الارض .

الموت على تركه او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال الزجاج معناه ائتمروا بالاسلام فاذا ادرككم الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترييب في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان من يلي امرهم بتقوى الله و لزوم الدين والطاعة

قوله تعالى (١٣٣) **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُمَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر من النظائر تقول حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل محاضرة اذا عدت معه وحاضرته اذا جايبته عند السلطان او في خصومة وحضرة الرجل فتاواه واصل الباب الحضور بخلاف الغيبة

﴿ الاعراب ﴾

ام هاءنا منقطعة وهي لا تحيى الا وقد تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كأنه قيل بل اكنتم شهداء ومعنى أم هاءنا الجهد اي ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لأن اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظاهره في الججاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالمحقق فيلزم الجحبة او الانكار له فتظهر التضيعة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من اذ الاولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جاز ما للاستفهام وهو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في محل نصب على الظرف وقوله إلهما واحدا منصوب على احد وجين ان يكون حالا فكأنه قال نعبد إلهك في حال وحدانيته او يكون بدلا من إلهك وتكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الاعراب و ابراهيم واسماعيل واسحاق في موضع جر على البدل من آياتك كما تقول مررت بالقوم اخيك و غلامك وصاحبك

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال «ام كنتم شهداء» اي ما كنتم حضورا «اذ حضر يعقوب الموت» وما كنتم حضورا «اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي» ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الأباطيل بأن تنسبهم الى اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا «نعبد إلهك وإله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق» وانما قدم ذكر اسماعيل على اسحاق لأنه كان اكبر منه واسماعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له لأن العرب تسمي العم ابا كما تسمي الجد ابا وذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب ولهذا قال النبي (ص) ردوا علي الي يعني المباس عمه «إلهما واحدا ونحن له مسلمون» اي مذعنون مقرّون باليهودية وقيل خاضعون متقادون مستسلمون لأمره ونهيه قولا وعدا وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام

قوله تعالى (١٣٤) **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الامة على وجوه (الاول) الجماعة كما في الآية (والثاني) القدوة والامام في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا (والثالث) القامة في قول الاعشى

وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الْكَرْمِينِ حَسَانَ الْوُجُوهِ طَوَّالُ الْأُمَمِ

(والرابع) الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رَيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمْنِ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ

اي ذو مة ودين (والخامس) الحين في قوله وادكر بعد امة (والسادس) اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وعليهما واصل الباب القصد من أمه يومه اما اذا قصده وخت اي مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره وقد يفرغ من الشيء وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لأهله اذا اجتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله

﴿ الاعراب ﴾

قوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمة ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستأنفة فلا تكون جزءاً من الخبر الاول لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم تكن جزءاً منه لأنها خبران في المعنى عن شيء واحد فكأنه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن تتعلق بتسألون

﴿ المعنى ﴾

«تلك امة قد خلت» اي جماعة قد مضت يعني ابراهيم واولاده «لها ما كسبت» اي ما عملت من طاعة او معصية «ولكم» لامعشر اليهود والنصارى «ما كسبتم» اي ما عملتم من طاعة او معصية «ولا تسئلون عما كانوا يعملون» اي لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من اجل اعمالهم كما لا يقال لهم لم علمتم انتم كذا وكذا ولما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفي الآية دلالة على بطلان قول الجبرة ان الابناء موراخذون بذنوب الآباء وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله تعالى نفي ذلك

قوله تعالى (١٣٥) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين الى دين وبه سميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابراهيم واما قيل للذي تقبل احدى قدميه على الاخرى احنف تفاقوا بالسلامة كما قيل للسهمكة مفازة تفاقوا لابلقوز والنجاة وهو قول كثير من المفسرين واهل اللغة وقال الزجاج اصله من الحنف وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنف لحنف كان به وقالت حاضته وهي ترقصه (والله لولا حنف برجله ما كان في صيانتكم كئله) وفي الحديث احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله لا حرج فيها ولا ضيق

﴿الاعراب﴾

جزم تهتدوا على الجواب للأمر ومعنى الشرط قائم في الكلمة اي إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا فإلما انجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابراهيم في انتصابه وجوه ﴿احدها﴾ إن تقديره بل اتبعوا ملة ابراهيم لأن قولهم كونوا هودا او نصارى تتضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية او النصرانية قل بل اتبعوا ملة ابراهيم فهذا عطف على المعنى (والثاني) ان يكون على الحذف كأنه قيل بل نتبع ملة ابراهيم فالاول عطف والثاني حذف (والثالث) ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابراهيم فحذف للضاف واقم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين وحينما نصب على الحال اي في حال حنيفيته

﴿النزول﴾

عن ابن عباس ان عبد الله بن سوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصوا اهل الاسلام كل فرقة ترعى انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وقالت النصارى نسنا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق منها قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان ابن سوريا قال لرسول الله (ص) ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فاتزل الله هذه الآية

﴿المعنى﴾

«وقالوا» الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اي قالت اليهود «كونوا هودا» وقالت النصارى كونوا «نصارى» كل فريق منهم دعا الى ما هو عليه ومعنى «تهتدوا» اي تصيبوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا الى الحق اي اذا فطم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سبيل الاستقامة «قل» يا محمد «بل ملة ابراهيم» اي بل نتبع دين ابراهيم وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين ابراهيم وقد عرفت الرجوع الثلاثة في الاعراب فلامعنى لاعادتها «حنيفا» مستقيا وقيل ما نالا الى دين الاسلام وفي الحنيفة اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد (وثانيها) انها اتباع الحق عن مجاهد (وثالثها) انها اتباع ابراهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الصالحين والحقان وغير ذلك من شرائع الاسلام (والرابع) انها الاخلاص لله وحده في الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابراهيم (ع) من الملة «وما كان من الشركين» اي وما كان ابراهيم من الشركين نبي الشرك عن ملته واثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله سبحانه بل ملة ابراهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم (ع) لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة ابراهيم احق بالاتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان لما دلت عليه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله مع اقرارهم بنبوة عيسى بدلالة المعجزات عليها الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الاب والابن وروح القدس آله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب آله والابن آله وروح القدس آله وامتناعهم من ان يقولوا ثلاثة آله الى غير ذلك من تناقضاتهم المذكورة في الكتب

قوله تعالى (١٣٦) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (آيَةٌ)

﴿ اللّغة ﴾

الاسباط واحدهم سبط وهم اولاد إسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله اي ولداه والاسباط في بني اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسَّبَطُ في اللغة الشجر فالسبط السذجين هم من شجرة واحدة وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء او الضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد التوزي في قطع بقر (كأنه سبط من الاسباط) شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون في امر ومن ثم قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لأحد الشئتين دون الآخر

﴿ الاعراب ﴾

ما اوتي تقديره ما اوتيه حذف الهاء العائد الى الموصول ومن في قوله من ربهم تتعلق بأوتي او بمحذوف فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في اوتي والفاعل اوتي اويكون العامل فيه انزل وذو الحال ما اوتي لانفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والفاعل فيه آنا ومنهم تتعلق بمحذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد ومعنى احد منهم اي بين اثنين او جماعة وتقديره لانفرق بين احد واحد منهم

﴿ المعنى ﴾

«قولوا آمنا بالله» خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي والمؤمنين امرهم الله تعالى باظهار ما تدينوا به على الشرع فبدأ بالايمان بالله لأنه اول الواجبات ولأنه بتقدم معرفته تصح معرفة الثبوت والشرائع «وما انزل اليانا» يعني القرآن نؤمن بانه حق وصدق وواجب اتباعه في الحال وإن تقدمته كتب «وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط» قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم امة من الناس فسموا الاسباط وبه قال السدي والربيع ومحمد بن اسحاق وذو الاسماء الاثني عشر يوسف وبنيامين وزابالون وروبول ويهوذا وشمعون ولاوي ودان وقها^(٢) ويشجر ونفتالي وجاد واشرفهم ولد يعقوب لاختلاف بين المفسرين فيه وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لأن ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف (ع) لاخفاء به والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القرآن ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لأن الاتزال يجوز ان يكون كان على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل اليانا وان المنزل على النبي خاصة لكن المسلمين لما كانوا مأمورين بما فيه اضياف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان ابن سدير عن ابيه عن ابي جعفر الباقر قال قلت له اكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فاروقا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله «وما اوتي موسى وعيسى» اي اعطيا وخصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي موسى التوراة وبما اوتي عيسى الانجيل «وما اوتي النبيون» اي ما اعطيه النبيون «من ربهم لانفرق بين احد منهم» اي بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اليهود

(١) لفظة «زابالون» ليست في نسخنا (٢) كذا في النسخ وفي الطبري «قها» بالناء المشناة

والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليه وآله ونحن له مسلمون» اي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل متقادون لأمره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى فيما قبل وفائدة الآية الامر بالايمان بالله والاقرار بالنبين وما انزل اليهم من الكتب والشرائع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرائعهم غير لازمة لنا فان الايمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم وروي عن الضحاك انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤوا به فإن الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله الآية

قوله تعالى (١٣٧) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (آية)

﴿اللغة﴾

الشقاق المنازعة والمعاربة ويحتمل ان يكون اصله مأخوذا من الشق لأنه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والباينة ويحتمل ان يكون مأخوذا من المشقة لأن كل واحد منها يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذي الكفاية بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويعني واحد وكفي يكفي كفاية اذا قام بالأمر وكفاك هذا الأمر اي حسبك ورايت رجلا كافيك من رجل اي كفاك به رجلا

﴿الاعراب﴾

الباء في قوله بمثل ما آمنتم به يحتمل ثلاثة اشياء ﴿احدها﴾ ان تكون زائدة والتقدير فان آمنوا مثل ما آمنتم به اي مثل ايمانكم به كما يقال كني بالله اي كني الله قال الشاعر (كني الشيب والاسلام للمرء ناهيا) (والثاني) ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة كأنه قال فإن آمنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كأنك تجعل المثل آلة توصل بها الى العمل وهذا اجود من الأول (والثالث) ان تلغى مثل كما التيت الكاف في قوله فجمعهم كحذف ما كقول وهذا اضعف الوجه لأنه اذا امكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الأسم اضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم او في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني وكذلك قوله فانما هم في شقاق وانما خوف لإثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدا وفي شقاق في موضع خبره

﴿الزول﴾

لما نزل قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية قرأها النبي صلى الله عليه وآله على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكروا عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كسائر الانبياء لأنه ابن الله فنزلت الآية

﴿المعنى﴾

«فان آمنوا» اخبر الله سبحانه ان هو لا الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به «فقد اهتدوا» الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول إقرأوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسّر الكلام لا انه انكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله «وان تولوا» اي أمرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به «فانما هم في شقاق» اي في خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب منه ما روي عن الصادق (ع) انه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن ابي عبيدة وقيل في منازعة ومعاربة عن ابي زيد وقيل في عداوة عن الحسن «فسيكفيكم الله» وعد الله سبحانه رسوله بالانصرة وكفاية من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقوه وفي هذا دلالة بيّنة على نبوته وصدقه صلى الله عليه وآله

ج ١ (الجزء الأول) قوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة الى قوله ونحن له مخلصون ٢١٩

المعنى ان الله سبحانه يكتفيك يا محمد امرهم «وهو الصبيح» لا قولهم «العلم» باعمالهم في ابطال امرك ولن يصلوا اليك
قوله تعالى (١٣٨) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (آية)

﴿ اللمة ﴾

صبغة الله مأخوذة من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود غمسه في ماء لهم يستونه المصودية
يحملون ذلك تطهيرا له فقبل صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل إن اليهود تصبغ
ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اي يلقنون اولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة الى هذا يوم
ماروي عن عمر بن الخطاب اخذ العهد على بني تغلب ان لا يصبنوا اولادهم اي لا يلقنونهم النصرانية لكن
يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ما شاءوا من الاديان [في صبغة الله] وقيل سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر
بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة عن الجبائي قال امية
في صبغة الله كان إذ نسي آل مَهْدَ وَخَلَى الصَّوَابَ إِذْ عَرَفَا
ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضما وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها

﴿ الاعراب ﴾

نصب صبغة الله على انه بدل من قوله ملة ابراهيم وتفسير له عن الاخفش وقيل انه نصب على الاغراء تقديره
اتبعوا صبغة الله والزمو صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدأ واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

«صبغة الله» اي اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقاتدة ومجاهد ويقرب منه ماروي عن الصادق (ع)
قال يعني به الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الحتان الذي هو تطهير عن الفراء والبليغي وقيل فطرة الله التي فطر
الناس عليها عن ابي العالية وغيره «ومن احسن من الله صبغة» اي لا احد احسن من الله صبغة اي ديننا لفظه لفظ
الاستفهام ومعناه الجهد عن الحسن وغيره «ونحن له عابدون» اي من نحن له عابدون يجب ان تتبع صبغته
لا ما صبغنا عليه الآباء والاجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابراهيم صبغة الله
قوله تعالى (١٣٩) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (آية)

﴿ اللمة ﴾

الحجاج والجدال والحضام نظائر والاعمال والاحداث والافعال نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر
وضد الخالص المشوب

﴿ الاعراب ﴾

وهو ربنا وربكم المبتدأ وخبره في موضع النصب على الحال والعامل فيه تحاجون وذو الحال الواو ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدأ وخبران والجملتان في موضع نصب على الحال باللفظ على هو ربنا وربكم
ونحن له مخلصون كذلك

﴿ المعنى ﴾

امر الله سبحانه نبيه عليه السلام في هذه الآية ان يقول لمؤلاي اليهود وغيرهم اتحاجوننا في الله ومعناه في
دين الله اي تحاصوننا وتحادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم عليكم واختلف في

حاجتهم كيف كان فقيل كانت حاجتهم للنبي عليه السلام انهم يزعمون انهم اولي بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت حاجتهم انهم قالوا نحن احق بالايمان من العرب الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت حاجتهم انهم قالوا يا محمد ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت حاجتهم ان قالوا نحن اولي بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واجباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكان غرضهم بذلك ان الدين يلتبس من جهة من جهة وان النبوة اولي ان تكون فيهم فبين سبحانه انه اعلم بتدبير خلقه بقوله «هو ربنا وربكم» اي خالقنا وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالته ومن الذي يقوم بأعبائها ويتحملها على وجه يكون اصلح للخلق واولي بتدبيرهم وقوله «ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم» اي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم وما لكم منفعة من اعمالنا فضرر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب تعبد الاوثان وبيان لأن لا حجة فيه اذ كل مأخوذ بما كسبت يده ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله «ونحن له مخلصون» اي موحدون والمراد بذلك ان المخلص اولي بالحق من الشرك وقيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان فكأنه قال لا عيب علينا في ذلك اذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم اذا اعتدتم الانكار عليهم في ذلك

﴿ فصل في ذكر الاخلاص ﴾

روي عن حذيفة بن اليمان قال سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن ذلك قال سألت رب العزة عن ذلك فقال هو ستر من سترى استودعته قلب من احبته من عبادي وروي عن ابي ادريس الخولاني عن النبي (ص) قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يجب ان يحمد على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يراني بعمله احدا وقيل الاخلاص ان تستوي اعمال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو ما استتر من الخلائق واستصفى من العلاني وقيل هو ان يكرم حسناته كما يكرم سيئاته

قوله تعالى (١٤٠) اَمْ تَقُولُونَ اِنْ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَاَلْاَسْبَاطَ كَانُوْا هُوْدًا اَوْ نَصَارٰى قُلْ اَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمْ اَللّٰهُ وَاَنْتُمْ اظْلَمُ يٰمَنْ كَفَرَ شَهَادَةٌ عِنْدَهُ مِنْ اَللّٰهِ وَمَا اَللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء.

﴿ الحجة ﴾

الاول على الخطاب فتكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال اتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون والثاني وهو القراءه قبالياء على المدول من الحجاج الاول الى حجاج آخر فكأنه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التوراة والانجيل كانوا هودا او نصارى وتكون ام هذه هي المنقطعة فيكون قد اعرض عن خطابهم استجبالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من يحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المودي الى المعرفة

﴿ اللفظة ﴾

الاعلم والاعرف والادري بمعنى واحد والاظلم والاجور والأعتى نظائر وافعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة واذا

يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول وقد قال المحققون الصفات على ثلاثة اضرب صفة ذات وصفة تحصل بالقاعل وصفة تحصل بالمعنى (قال اول) مثل كون الذات جوهرها او سوادا وهذا لا يصح فيه التزايد (والثاني) كالوجود ولا يصح فيه ايضا التزايد (والثالث) على ضربين ﴿احدهما﴾ يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى له مثل كالألوان والاكوان ونحوها (والآخر) لا يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى ، وكنتم واخني وأسرت واحد والفتنة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة فإن استر به السهو مع صحة سمي جنونا فإذا قارنه ضرب من الضعف سمي اغما ، واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوما فإن قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمي نسيانا

﴿الاعراب﴾

«ام الله الله مبتدأ وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكم او يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة

﴿المعنى﴾

قد ذكرنا الفرق في المعنى بين قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم قيب وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه ﴿احدها﴾ ما اخبر به نبينا صلى الله عليه وآله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (والثاني) ما في التوراة والانجيل من ان هولا الانبياء كانوا على الحنيفية (والثالث) ان عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده (والرابع) انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوثبهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله «قل انتم اعلم ام الله» صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله انتم اشد خلقا ام السماء بناها ومعناه قل يا محمد لهم انتم اعلم ام الله وقد اخبر الله سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الخزي فإن قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يطمونهم فكسوه وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم كانوا يطمون ذلك وانما كانوا يحذونه فعناء ان مزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله «ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان من في قوله من الله لا ابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتان ومعناه وما احد اظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكسوا هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كسوها (والثاني) ان من متصل بالكتان اي من اظلم ممن كتم ما في التوراة من الله اي من عبادة الله او كتم شهادة ان يوديعها الى الله (والثالث) ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من اظلم ممن يعبد على التقدير الضعيف من السلطان النبي القوي والمعنى انه يلزمكم انه لا احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليقع عبادة في الضلال وهو النبي عن ذلك المتعالي اي لو كانوا هودا او نصارى لا خير بذلك وهذا المعنى قول البلخي وابي مسلم وقوله «وما الله بغافل عما تعملون» او عددهم سبحانه بما يجمع كل ويمد اي ليس الله بساكن من كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله وقيل هو على عمومته اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات

فكونوا على حذر من الجزاء على افعالكم بما تستحقونه من العقاب
قوله تعالى (١٤١) تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكراره انه عني بالاول ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء (ع)
وبالثاني اسلاف اليهود وقيل انه اذا اختلفت الاوقات والمواطن لم يكن التكرير ميباً ووجه اتصال الآية بما
قبلها انه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة
لانه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فله سبحانه ان ينسخ من الشرائع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب
ما تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء والاجداد فان
ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله

قوله تعالى (١٤٢) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلِيَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ
قُلْ لِلّٰهِ الشَّرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آية)

﴿ اللنة ﴾

السفيه والجاهل والنبي نظائر وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيامضى وولاه عنه اي صرفه وقتله واشتقاقه من الولي
وهو القرب وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل فالثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني ثم هكذا ابداء وولي
عنه خلاف ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان الذي يليه متوجهاً اليه
فهو متولٍ اليه واذا كان متوجهاً الى خلاف جهته فهو متولٍ عنه والقبلة مثل الجلسة للعالم التي يقابل الشيء غيره عليها
كما ان الجلسة للعالم التي يجلس عليها وكان يقال فيباحكي هو لي قبلة وانا له قبلة ثم صار طلع على الجهة التي تستقبل في الصلاة

﴿ الاعراب ﴾

من الناس في محل النصب حال من السفهاء وما استنهم وهو مبتدأ وولاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولى

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال «سيقول السفهاء من
الناس» اي سوف يقول الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس «ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» اي اي
شيء حوّلهم وصرفهم يعني المسلمين عن بيت المقدس الذي كانوا يتوجهون اليها^(١) في صلاتهم واختلف في الذين قالوا
ذلك فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت
المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آباءك ثم رجعت اليها فلترجعن الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك
استهزاء ابا لاسلام واختلف في سبب مقاتلتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس
وقيل انهم قالوا يا محمد ما اولئك عن قبلك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا نتبعك ونؤمن بك ارادوا بذلك فتنته
عن ابن عباس ايضا وقيل انما قاله مشركو العرب ليوهمو ان الحق ما هم عليه واما الوجه في الصرف عن القبلة الاولى
ففيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة و(الآخر) انه لما بينه سبحانه بقوله
ننم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليشيروا من
المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون
الى بيت المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليشيروا من اولئك «قل لله الشرق والمغرب» هو امر من الله سبحانه

(١) كذا في النسخ والاتسب اليه لرجوع الضمير الى بيت المقدس

لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين طابوا انتقامهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرقة والمغرب ملك فله سبحانه يتصرف فيها كيف شاء على ما تقتضيه حكمته وفي هذا ابطال قول من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لأنها مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلاة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله (ص) نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اوردته مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال تحوت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي (ص) بكفة ثلاث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرة الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يميرون رسول الله (ص) ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاجتمعت رسول الله (ص) من ذلك تخسيدا وخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فتزل عليه جبرائيل (ع) فأخذ بعضديه وحمله الى الكعبة وانزل عليه قد نزي قلب وجهك في السماء فلنولينك قبة ترضيها قول وجهك شطر المسجد الحرام وكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آفة لجمعه فاحب الله ان يتحن القوم بغير ما القوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله «يهدي من يشاء الى صراط مستقيم» اي يده الى الدين وانما سماه الصراط لأنه طريق الجنة المودي اليها كما يودي الطريق الى المقصد وقيل طريق الجنة

قوله تعالى (١٤٣) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْتَهِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رَعُوف وقرأ ابو جعفر لرؤف مشتل غير مهموز والباقون لرؤف على وزن رَعَف

﴿ الحجة ﴾

وجه من قرأ رؤف ان بناء فعول اكثر في كلامهم من فعل الاترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يُقَطُّ وحَدَّر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا نعلم فعلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري

نُطِيعُ نَيْبًا وَنُطِيعُ رَبًّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ يَنَارُوهُ وَفَا

ومن قرأ رؤف قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عتبة لمعاوية

وَشَرُّ الطَّالِبِينَ فَلَا تَكُنْهُ لِقَاتِلِ عَمِّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

وقال جرير تَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عَلَيْكَ حَقًّا كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

﴿ اللغة ﴾

الوسط العدل وقيل الحيار ومناهما واحد لأن العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والتالي فالحق معه قال مخرج اي وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير

هُمْ وَسَطٌ مَرْضَى الْأَتَامِ بِحُكْمِهِمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليس وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه اي من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب (زدد على اعتابنا) اي نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبه والعقب الكرة بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقب الرجوع الى امر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة مصدر اضاع يضيع وضاع الشيء ضياعا وضيع الشيء تضييعا وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته ويقال ماضيعةك اي حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضياع معروف واصل الضياع الهلاك قال ابو زيد رأفت بالرجل اراف به رافة وروفت به اروف به بمعنى

﴿ الاعراب ﴾

في الآية ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع نصب باضار آن وتقديره لان تكونوا وان تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجارة في الاصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام توكيد وهي لام الابتداء فصلت بينها وبين ان لتلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم ان المخففة من التثنية لتلا تلتبس بان التافية التي هي بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم زيدا بمعنى الا زيدا واما في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تأكيدني واصلا لام الاضافة ايضا وينتصب الفعل بعدها باضار آن ايضا الا انه لا يجوز اظهار أن بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيا ايمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه ايضا على التأويل من غير تصريح باظهار أن ويجوز اظهار أن بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه وهو في موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام الا ان جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد الى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الأعلى الذين هدى الله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه فضل هذه الأمة على سائر الأمم فقال سبحانه «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف الضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه انه جعل امة نبيه محمد (ص) عدلا وواسطة بين الرسول والناس ومتى قيل اذا كان في الامة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك الصفة ولأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروى يزيد بن معاوية العجلي عن الباقر (ع) قال نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحبته في ارضه وفي رواية اخرى قال لنا يرجع العلي والتالي وبنيلحق المقصود روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي (ع)

ان الله تعالى ايتانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه ووجبه في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله «تكونوا شهداء على الناس» فيه ثلاثة اقوال **﴿احدها﴾** ان المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجي بالبين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد (ص) والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم الستمم وايديهم وارجلهم الآية (والثاني) ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا موديا للدين اليكم وسمي الشاهد شاهدا لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة (والثالث) انهم يشهدون للانبياء على افعالهم المكذبة لهم بانهم قد بلفوا وجاز ذلك لاعلام النبي (ص) ايهم بذلك وقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به وتكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للتصب وقوله «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها صرت عليها وانت عليها يعني الكعبة كقوله كتم خير امة اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لتعلم او ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها «الا لتعلم» وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لتعلم اقوال (اولها) ان معناه ليعلم حزينا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا او فعلنا كذا اي فتح اولياونا **﴿والثاني﴾** ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره ليعلم انه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده **﴿والثالث﴾** ان معناه لتعلمكم معاملة المختبر المستحسن الذي كأنه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما **﴿الرابع﴾** ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله لتعلم تقتضي حقيقة ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله «من يتبع الرسول» اي يوم من به ويتبعه في اقواله وافعاله «من ينقلب على عقبيه» فيه قولان **﴿احدهما﴾** ان قوما ارتدوا عن الاسلام لا حولت القبلة جهلا منهم بما فيه من وجوه الحكمة والآخرة ان المراد به كل مقيم على كفره لأن جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بأنه ادبر واستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله «وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله» الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابى انماية اي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحوية ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الأقوى لأن القوم انما ثقل عليهم التحول لانفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلاة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة وانما خص المؤمنين بأنه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لأنه ذكرهم على طريق المدح ولأنهم الذين انتقموا بهدى الله وغيرهم كأنه لم يمتد بهم وقوله «وما كان الله ليضيع ايمانكم» قيل فيه اقوال **﴿احدها﴾** انه لما حولت القبلة قال ناس كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلةنا الاولى فآزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان قد مات اسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من التقيا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله في التصديق اي لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبلة (وثانيتها) انه لا ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من الثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضاه عن الحسن (وثالثها) انه لا ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا

فقال وما كان الله ليضيع إيمانكم الذي استعقتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله «ان الله بالناس لرووف رحيم» رءوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرفقة اشد الرحمة دل سبحانه بالرفقة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رءوف رحيم على انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله تعالى لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لأن ظاهر الآية ان يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا باولى ممن يحملها على المصومين والأئمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاجبر انه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وانه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ

قوله تعالى (١٤٤) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضِيهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الروية هي ادراك الشيء بالبصر ونظيره الابصار ثم تستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف ونظائر وهو التحرك في الجهات ويقال ولتلك القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لأنك تقول ولت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بمتقول من فعلت الذي هو ولت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الذبوقه وقوله ويولونكم الادبار فهذا منقول من قولهم داري تلي داره تقول وليت ميامنه وولاني ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمجبة نظيران وانما يظهر الفرق بضديها فالمجبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي عنه فكأنه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل رضي عنه فكأنه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه قال الشاعر

وَقَدْ أَظْلَكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ يَنْشَاكُمُ قَطْمًا

اي من نحو ثغركم وقال

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاؤٌ يُخَاصِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظْرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْضُورٌ (١)

اي نحوها قال الزجاج يقال هو لاء القوم مشاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هو لاء يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء اي جعلته نصفين والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه التبج والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق الغفلة لأن التام لا يقال له غفل الا مجازا

﴿ الاعراب ﴾

حيث ما كنتم موضع كتمم جزم بالشرط وتقديره وحيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا يجازى بجيث واذا حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لأنها لا يكونان الا مضافين الى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاة بها فالزما في المجازاة ما لتكفها عن الاضافة لأن الاضافة تمنع الجزاء بها وذلك لان الفعل اذا وقع في

(١) العسير: الناقة يصعب ركوبها اول رياضتها وفي النسخ التي عندنا «العشير» بالشين المعجمة بدل المهمله وله معان: منها القبيلة ومنها المرأة. حسر بصره اي كل و انقطع. يخامرها: يمتزج بها.

موضع اسم ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالإضافة فيستعجمه بالجزء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كما بما لتهيئها لجزم فعل الشرط بالجزء^(١) وشطر منصوب على الظرف

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون كانت الكعبة أحب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل (ع) انما انا عبد مثلك وانا كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله (ص) يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الآية فقال

﴿ المعنى ﴾

«قد نرى تقلب وجهك يا محمد في السماء» لانتظار الرحي في امر القبلة وقيل في سبب تقلب النبي وجهه في السماء قولان^(٢) ﴿احدهما﴾ انه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى الجهة التي يتوقع وروده منها (والثاني) انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل الله تعالى ذلك لانه لا يجوز للأنبيا ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم فيه لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجاوبون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم (ع) وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحجون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلاة اليها وكان (ص) حريصا على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون انما احب ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها وقوله «فلنولينك قبلة ترضيها» اي فلنصرفك الى قبلة تريدها رجبها وانما اراد به محبة الطباع لانه كان يسخط القبلة الاولى «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي حول نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه النبي نفسه وقيل انما ذكر الوجه لانه يظهر التوجه وقال ابو علي الجبائي اراد بالشرط النصف فامر الله تعالى بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطأ لانه خلاف اقوال المفسرين «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» اي اينما كنتم من الارض في براؤنجر سهل او جبل فولوا وجوهكم نحوه فالاول خطاب للنبي (ص) واهل المدينة (والثاني) خطاب لجميع اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فيتن سبحانه انه قبلة لجميع المصلين في مشارق الارض ومغاربها وذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من نأى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله «وان الذين اوتوا الكتاب» اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق من ربهم» اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مأمور به من ربهم وانما علموا ذلك لانه كان في بشارة الانبياء لهم ان يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي انهم قالوا عند التحويل ما أمرت بهذا يا محمد وانما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبيّن انهم يعلمون خلاف ما يقولون «وما الله بغافل عما يعملون» اي ليس الله بغافل عما يعمل هو ولا من كتابان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمائدة ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فاما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس وقال ابن عباس اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخ هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا

(١) [قولوا جملة في محل الرفع لوقوعها موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم لانه جواب

الشرط] (٢) وفي نسخة التي عندنا «وجها» بدل «قولان» .

مما نسخ من السنة بالقرآن وهذا هو الأقوى لأنه ليس في القرآن ما يدل على التبعد بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله فايها تولوا فتم وجه الله فان هذه الآية عندنا مخصوصة بالتوافل في حال السفر روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلاة النبي صلى الله عليه وآله الى بيت المقدس فقال قوم كان عليه السلام يصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يحمل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعددومه المدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يحمل الكعبة بينه وبينها ثم امره الله تعالى بالتوجه الى الكعبة

قوله تعالى (١٤٥) وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَيْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (آية)

الإعراب

اختلف النحويون في أن لئن لم اجيبت بجواب لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لولأن الماضي وليها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منها على صاحبها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريثما فرأوه مصفرا لظفروا لجرى لئن مجرى لو وقال ولو انهم آمنوا واتقوا ثم قال لثوبة جري مجرى لئن وقال سيوره واصحابه ان معنى لظفروا لفظن فغنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منها على حقيقتها وحقيقة معنى لو انها يتنوع بها الشيء . لامتناع غيره كقولك لو اتيتني لاكرمك فامتنع الاكرام لامتناع الايتان ومعنى إن أن يقع بها الشيء . لوقوع غيره تقول ان تأتي اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الايتان ولولا مضى وإن لا يستقبل وانما الحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فجاء جواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء . بدلالته عليه وانما يجب الشرط بالفعل او بالقول او باذا على ما هو مشروح في مواضعه

المعنى

«ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب» في الكلام معنى القسم اي والله لئن أتيت الذين اطوا الكتاب يعني اهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخي وقيل المعنى به جميع اهل الكتاب عن الحسن وابي علي «بكل آية» اي بكل حجة ودلالة «ما تبعوا قبلتك» اي لا يجتمعون على اتباع قبلك على القول الثاني وعلى القول الاول لا يومن منهم احد لأن الماندا لا تنفعه الدلالة وانما تنفع الجاهل الذي لا يعلم «وما انت بتابع قبلتهم» في معناه اربعة اقوال ﴿احدها﴾ انه رفع لتجوز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ (وثانيها) انه على وجه المقابلة لقوله ما تبعوا قبلك كما يقال ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي هو الكلام الثاني هو التقابل للكلام الاول (وثالثها) ان المراد ليس بملكك استصلاحهم باتباع قبلكم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه الى جهة المشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى عليه السلام واليهود الى بيت المقدس فيبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال (ورابعها) ان المراد حسم اطاع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا اطاعوا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس وقوله «وما بعضهم بتابع قبلة بعض» في معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه لا تصيد النصارى كلهم يهودا او لا تصيد اليهود كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالقب قاله الحسن والسدي (والآخر) ان معناه اسقاط اعتلاهم بانه لا يجوز مخالفة اهل

الكتاب فيا ورثوه عن انبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبلة الانبياء فهو اولى بأن يكون قبلة اي فكما جاز ان يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة في زمان آخر للاستصلاح ويحتمل ايضا ان يجري الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا تهود فلا ضرورة بنا الى المدول عن الظاهر الى التأويل وهذا قول القاضي وقوله «ولئن اتبعت اهواءهم» الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وفيه اربعة اقوال ﴿اولها﴾ ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ردة عن الحسن والزجاج (وثانيها) ان المراد ان اتبعت اهواءهم في المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي (وثالثها) ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها وان من تبعهم كان ظالما (ورابعا) انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه ومتبعي شريعته ليستمروا على عداوتهم عن القاضي «من بعد ما جاءك من العلم» اي من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين «انك اذا لمن الظالمين» وقد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليجعلن عملك وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط وان من علم الله تعالى انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط وجوب انه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها دلالة على فساد قول من زعم ان في المتدور لطفه لوفيه الله تعالى بالكافر لان لا محالة لقوله ان اتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فلي قول من قال المراد به الماندا لا ينفعهم شي من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم ايضا يؤمنون عنده فلي الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا على ان جميع الكفار لا يؤمنون

قوله تعالى (١٤٦) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

أخبر الله سبحانه بانهم يعرفون النبي عليه السلام وصحة نبوته فقال «الذين آتيناهم» اي اعطيناهم «الكتاب» وهم العلماء منهم «يعرفونه» اي يعرفون محمداً وانه حق «كما يعرفون ابناهم» قيل والضمير في يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعني الثبوت وقيل الضمير يعود الى امر القبة اي يعرفون ان امر القبة حق عن ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابناهم وهم كانوا يعرفون ابناهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبي (ع) من جهة الحقيقة قيل انه شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحد من المرفقين كالآخرى وان اختلف الطريقان «وان فريقاً منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون» انما خص الفريق منهم لأن من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاجار وغيرهما

قوله تعالى (١٤٧) أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

الامتراء الاستفراج وقيل الاستدرا قال الاشي

تَدْرُّ عَلَى أَسْوَقِ الْمُتَمَرِّينِ وَكَفًّا إِذَا مَا السَّحَابُ أُرْجَعَنْ (٢)

يعني الشاكين في دورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين المرّي مسحك ضرع الناقة تمرّيا بيدك لتسكن للعلب والريح تمرّي السحاب تمرّيا والمرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتاري والمارة والمرء الجدال واصل الباب الاستدرا يقال بالشكر تمرّي النعم اي تستدر

﴿ الاعراب ﴾

الحق مرفوع بأنه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك الحق او هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك او اقره الحق والنون في لا تكون نون التأكيد يوه كذبها الامر والنهي ولا يوه كذبها الخبر لا كان الخبر يدل على كون المخبر به وليس كذلك الامر والنهي والاستخبار فآزم الخبر التأكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التأكيد يدل على اختلاف المعنى في المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل أكد بابلغ التأكيد وهو القسم

﴿ المعنى ﴾

هو «الحق من ربك» وهو ما آتاه الله من الوحي والكتاب والشرائع «فلا تكونون من المعتدين» من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به وفي عناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقيل من المعتدين في شيء يلزمك العلم به وهذا اولى لأنه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبي عليه السلام فالمراد به الامة كقوله عزاسمه يا ايها النبي اذ اطلقت للنساء وأمثاله وقيل الخطاب له لأنه انما يجوز عليه ذلك للازمته امر الله سبحانه ولولم يكن هناك امر لم تصح الملازمة وفي هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله تعالى (١٤٨) وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ آيَاتًا تَكُونُ آيَاتٍ لَكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابوبكر عن عاصم هو مولاها وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقرون هو موليها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ هو موليها فالضمير الذي هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثاني لجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ولكل وجهة وهو مبتدأ وموليها خبره والجملة التي هي هو موليها في موضع رفع لكونها وصفاً لوجهة ومن قرأ هو مولاها فالضمير الذي هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولى والآخر ضمير المونث ويجوز ان يكون الضمير الذي هو هو في قوله هو موليها عائدا الى كل والتقدير لكل وجهة هو موليها وجهه اي كل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة

﴿ اللمة ﴾

اختلف اهل العربية في وجهة فيذهب الى انه مصدر شذ عن القياس فجاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على اصله وانه لو كان مصدرا جاء مصححا للزم ان يجيء فعله ايضا مصححا الا ترى ان هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وكان على حركاته وسكونه فلو صحَّ الفعل لأن هذه الافعال المعتلة اذا صحَّت في موضع تبعا باقى ذلك فوجهة اسم للمتوجه والجهة المصدر قالوا وجه الحجرة جهة ماله يريدون هنا المصدر وما زائدة وله في موضع الصفة للنكرة والاستباق والابتدار والاسراع نظائر وله في هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اي سبق الناس اليه

﴿ المعنى ﴾

هذا بيان لأمر القبلة ايضا وقوله «ولكل وجهة» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبة من مجاهد وأكثر المفسرين و (ثانيها) ان لكل نبي وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي

(الجزء الثاني) قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام الى قوله ولعلكم تهتدون ٢٣١

الاسلام وان اختلفت الاحكام كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شريعة ومنهاجا يعني شرائع الانبياء. عن الحسن و (ثالثها) ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبله يعني صلاتهم الى بيت المقدس وصلاتهم الى الكعبة عن قتادة و (رابعها) ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائي «هو مؤيها» اي الله موليا اياهم ومعنى توليته لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها في صلاتهم اليها ويدل على ذلك قوله فلتولينك قبله ترضاها وقيل معناه الكل مولي الوجهة وجهه او نفسه الا انه استغنى عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجروح للمعنى فهو موحد اللفظ بلفظ البناء على لفظه فذلك قال هو في الكتابة عنه وان كان المراد به الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله «فاستبقوا الخيرات» معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله تعالى وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيما لا مرء به مبادرة من يطلب السبق اليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما رغبت فيه من الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله «اينا تكونوا يأت بكم الله جميعا» اي حيثما يتم من بلاد الله سبحانه يأت بكم الله الى المشرق يوم القيامة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا (ع) وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شعيتنا من جميع البلدان «ان الله على كل شيء قدير» اي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء.

قوله تعالى (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آية)

﴿ المعنى ﴾

«ومن حيث خرجت» من البلاد «فول وجهك شطر المسجد الحرام» اي فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه ﴿احدها﴾ انه لا كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد والتبيين لينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين و (ثانيها) انه مقدم لا يأتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما شبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائدة به و (ثالثها) انه في الاول بيان حال الحضور وفي الثاني بيان حال السفر وقوله «وانه للحق من ربك» معناه وان التوجه الى الكعبة الحق المأمور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف التقديم سبحانه بانه الحق الثابت الذي لا يزول «وما الله بغافل عما تعملون» معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخني علي ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك بالمرصاد

قوله تعالى (١٥٠) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُمَيِّنُوا لِلنَّاسِ عَلَيْهِمْ وَلِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ (آية)

﴿ الاعراب ﴾

ثلاثا يكون هو لأن لا كتبت الهجزة ياء لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام وموضع اللام من ثلاثا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتم ذلك ثلاثا يكون وكذلك قوله ولا تميئ نعمتي اللام تتعلق بقوله فولوا وتقديره لأنتم وقوله الا الذين ظلموا فيه اقوال ﴿احدها﴾ انه استثناء منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ماله علي حق الا التمدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال النابغة

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ مَسُوفُهُمْ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ (١)

وكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيد فاذاً ليس فيهم عيب وهكذا في الآية ان كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجابه وليس للظالم حجة فاذاً ليس عليهم حجة (والثاني) ان تكون الحجة بمعنى الحاجة فكانه قال لتلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فانهم يجاجونكم بالباطل فلي هذا يكون الاستثناء متصلاً (الثالث) ما قاله ابو عبيدة ان الاها هنا بمعنى الواوي ولا الذين ظلموا وانكر عليه القراء والمبرد قال القراء الآياتى بمعنى الواو من غير ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُهُ وَاحِدَةٌ
اي دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش
وَأَرَى لَهَا دَارًا يَا غَدْرَةَ السِّبْ
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعْتُ
دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ
يَدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمُ
عَنْهُ الرِّيَّاحُ خَوَالِدُ سُحْمِ (٢)

اي ارى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان يكون الا بمعنى الواو اصلاً (الرابع) ان فيه اضمار على وتقديره الا على الذين ظلموا منهم فكانه قال لتلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحجة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول

المعنى

قد مضى الكلام في معنى اول الآية وقيل في تكراره وجوه ﴿احدها﴾ انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول «ومن حيث خرجت» منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس «فول وجهك شطر المسجد الحرام» والمراد بالثاني اين ما كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار (وثانيها) انه من مواضع التاكيد لا جرى من النسخ ليثبت في القلوب (وثالثها) انه لاختلاف المواطن والاوقات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله «لتلا يكون للناس عليكم حجة» قيل فيه وجوه ﴿اولها﴾ ان معناه لان لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة اذ لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به اذ ذلك نبي يصلي بالقبليتين (وثانيها) ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تطمون انه من عند الله لا عدتم عنه عن الجبائي (وثالثها) ما قاله ابوروق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمداً يصلي الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لتلا يكون لهم عليه حجة «الا الذين ظلموا منهم» يريد الا الظالمين الذين يكتسبون ما عرفوا من انه يحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً وقد مضى ذكر ما قيل فيه من الاقوال في الاعراب وانما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانه حجتهم داخضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم اننا على هدى فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما فعله براه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا المصوم يعني ظلموكم بالمقاتلة وقلة الاستماع وقوله «فلا تخشوم واخشوني» لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحااجة طيب نفوس المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم ولا حجة لأحد منهم عليكم ولا يد وقيل لا تخشومهم في استقبال الكعبة واخشوا عتاي في ترك استقبالها فاني احفظكم من كيدهم وقوله «ولا تم نعمتي عليكم» عطف على قوله لتلا وتقديره لتلا يكون لأحد عليكم حجة ولا تم نعمتي عليكم بهديتي اياكم الى قبله ابراهيم عليه السلام بين سبحانه انه حول القبلة لهذين الترضين

(١) الفلول جمع الفل وهو الكسوف في حد السيف. القراع: الضرب (٢) أغدره السيدان: موضع الهامد: الساكن الخوالد:

زوال القالة وتقام النعمة وروى عن ابن عباس انه قال ولا تم نعمتي عليكم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانصرمكم على اعدائكم وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم واما في الآخرة فبقي ورحمتي وروى عن علي (ع) قال النعم ستة الاسلام والقرآن ومحمد (ص) والسر والماية والفضى عما في ايدي الناس «وللکم تهتدون» اي لكي تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل تهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها

قوله تعالى (١٥١) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الارسل التوجيه بالرسالة والتعميل لها ليؤدي الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه اي تبعه والتزكية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه والالطف فيه يقال زكى فلان فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه جملة على ماله فيه الزكاء والنماء والطهارة والتقدس والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة

﴿ الاعراب ﴾

ما في قوله كما أرسلنا مصدرية فكأنه قال كما أرسلنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر

أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْتَانُ رَأْسِكَ كَالثَغَامِ الْمُخْلِسِ (١)

فإنه يجوز كما زيد محسن اليك فاحسن الى اسبابه وألعامل في الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذي قبله وهو قوله ولا تم نعمتي عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله وللكم تهتدون ويكون الوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون الفعل الذي بعده وهو قوله فاذكروني اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويبدأ بقوله كما أرسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولي الزجاج واختيار الجاني والثاني قول مجاهد والحسن وأحد قولي الزجاج وقوله منكم في موضع نصب لأنه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلوا وما بعده في موضع الصفة

﴿ المعنى ﴾

قوله «كما أرسلنا» التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة في امر القبله كالنعمه بالرسالة لأن الله تعالى لطف لباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثاني فعناه ان في بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم لأنه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكروني واشكروا لي واعبدوني أنعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله «رسولا» يعني محمدا (ص) «منكم» بالنسب لأنه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف والذكر وان العرب لم تكن لتتبع رسولا يبعث اليهم من غيرهم مع نخوتهم وعزتهم في نفوسهم فكون الرسول منهم يكون ادعى لهم الى الايمان به واتباعه وقوله «يتلوا عليكم آياتنا» اراد بها القرآن «ويزكيتكم» ويعرضكم لما تكونون به ازكيا من الأمر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم ازكيا بشهادته لكم بذلك يعرفكم الناس به «ويعلمكم الكتاب والحكمة» الكتاب القرآن والحكمة هي القرآن ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال الله العالم بالأمور كلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القرآن وبالْحِكْمَةُ الْوَحْيُ من السنة وما لا يعلم الا من جهته من الاحكام وقوله «ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» اي ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمه فيه ويكون التعليم لا عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمه فيه ولا سيما اذا وقع موقع الالطف

(١) الافنان جمع الفن وهو الفصن المستقيم الثغام: نبت ابيض يبيض اذا يبس ويشبه به الشيب. اخلص النبات اختلط رطبه وبسبه (ر). كذا في النسخ لكن في المحكي عن النبيان «ابنائه» بدل «اسبابه» وهو الظاهر.

قوله تعالى (١٥٢) **فَاذْكُرُونِي اَذْكُرْكُمْ وَاَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول او العقده او الخطور بالبال ذاكر له واصله التنيه على الشيء. فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه واذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والحاطر ان الحاطر ما يمر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفي قوله واشكروا لي محذوف اي اشكروا لي نعمتي لأن حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفي قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة وجعلها لا ستر النعم وقولهم حمدت زيدا وذمته لاحذف فيه وان كنت انما تحمد او تذم من اجل الفعل كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم للشيء دلالة على انه مسيء. فكقولهم نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا اشكرتك وشكرت لك وانما قيل اشكرتك لا يباع اسم النعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود اشكرت لك النعمة لانه الاصل في الكلام قال الشاعر

هُمُ جَمَعُوا بُوْسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَابِلْ

ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه في حذف الياء في مثل ولا تكفرون فيما مضى (١)

﴿ المعنى ﴾

«فاذكروني اذكركم» قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبيرة بيانه قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكروني بطاعتي اذكركم بموتني عن ابن عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه لئن شكرتم لازيدنكم وقيل اذكروني على ظهر الارض اذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء اذا نسي الناس من الوردى وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم في القبر وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين لبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعوني استجب لكم وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال النبي صلى الله عليه وآله ان الملك يتزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فأملوا^(٢) في اولها خيرا وفي آخرها خيرا فان الله ينظر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الآية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقوله «واشكروا لي» اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها «ولا تكفرون» ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية

قوله تعالى (١٥٣) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (آية)

﴿ الاعراب ﴾

الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لأي كما ان الناس كذلك في قوله يا ايها الناس وقد ذكرناه فيما مضى وهو قول جميع النحويين الا الاخفش فإنه لا يجمله صفة لأي ويرفعه بأنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يامن هم الذين آمنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله على ذلك لزوم البيان لأي فقال الصفة لاتزم وانما تلازم الصلة

(١) في فريسي ٩٢. (٢) في سبئتين من نسخة «فأعلموا» بدل «فأملوا» (٣) في فريسي ٨٩.

قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في الزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اي في النداء موصولة لانها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشي من الاسماء الموصولة في موضع وجاز ايضا ان يقال يا ايها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز ان يكون مقصورا على المعرفة بالالف واللام ولا يتغير عنه وفي امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وايضا فلو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدأ المحذوف من الصلة وكان يجوز يا ايها الرجل ويايتها هي المرأة ولا خلاف في انه لا يجوز ذلك

﴿ المعنى ﴾

قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلاة فيما مضى^(١) يحاطب المؤمنين فيقول « استعينوا بالصبر » اي يجبس النفس عما تشبهه من القبحات وحملها على ما تنفر عنه من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب وبالصلاة لما فيها من الذكر والخشوع لله وتلاوة القرآن الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفة يدعو الى الحسنات ويذجر عن السيئات واختلف في ان الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله « ان الله مع الصابرين » فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه انه معهم بالمعونة والنصرة كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (والآخر) ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد اي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب من القبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهدوا هدى ولا يجوز ان يكون مع هنا بمعنى الاجتماع في المكان لأن ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الآية دلالة على ان في الصلاة لطفًا للعبد لأنه سبحانه امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

قوله تعالى (١٥٤) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ
وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لأنه طريق الى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض بنية الحياة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحياة منافاة التعاقب ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحياة وهو الاصح فأما الحياة فلا خلاف في انها معنى وهي عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا ولا يقدر على فعل الحياة الا الله سبحانه والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ولا بأنه يشعر وانما يوصف بأنه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك مادق للطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لأنه يفتن من اقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفتن له غيره

﴿ الاعراب ﴾

قوله اموات مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لأن حسنا في موضع المصدر كأنه قال قلت قولاً حسناً فاما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نني لأحد الشينين واثبت للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لأنها اضراب عن الاول واثبت للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس انها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لا امر الله سبحانه بالصبر والصلاة للأزدياد في القوة بها على الجهاد قال «ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات» فنهى أن يسمى من قتل في الجهاد امواتاً «بل احياء» اي بل هم احياء وقيل فيه اقوال ﴿احدها﴾ وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقناعة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمر بن عبد وواصل بن عطاء واختاره الجبائي والرماني وجميع المفسرين و(الثاني) ان الشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ثم يوتون فيذهبون فأعلمهم الله انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيامة ويثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره و(الثالث) معناه لا تقولوا هم اموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان ميتاً فأحييناه فجعل الضلال موتاً والهداية حياة عن الاصحح و(الرابع) ان المراد انهم احياء لما قالوا من جميل الذكر والثناء كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خزان الاموال والمال باقون ما بقي الدهر اعيانهم مبقودة وآثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو القول الاول لأن عليه اجماع المفسرين ولأن الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون ان الشهداء على الحق والهدى وانهم ينشرون ويمجرون يوم القيامة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم كانوا يشعرون ذلك ويقرون به ولأن عمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضاً احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل ايضاً ولكن لا تشعرون لأنهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يحتصون به من انهم يرزقون كما في الآية الاخرى يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله فان قيل نحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الارض لا تنصرف ولا يرى فيها شيء من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساماً كاجسامهم في دار الدنيا يتمنون فيها دون اجسامهم التي في القبور فان النعم والعذاب انما يحصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجنة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسنداً الى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد بن الحسين بن احمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام جالسا فقال ما يقول الناس في ارواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحانه الله المؤمن اكرم على الله ان يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رأيتهم لقلت فلان فأما على مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء الجوف فالقول انه يلفظ اجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حياً بأقل منها يوصل اليها النعم وان لم تكن تلك الجملة بكاملها لأنه لا معتبر بالاطراف واجزاء السمن في كون الحي حياً فإن الحي لا يخرج بمخارقتها من كونه حياً وربما قيل بان الجنة يجوز ان تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها اللذات كما ان الثائم حي وتصل اليه اللذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود أن يطول نومه فلا ينتبه وقد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له ثم نومة العروس وقوله «ولكن لا تشعرون»

ج ١ (الجزء الثاني) قوله تعالى وتنبؤنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس الخ ٢٣٧

اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سوال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البشي الآية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر

قوله تعالى (١٥٥) وَتَنْبِؤُكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْأَثْمَارِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ (آية)

﴿ اللفة ﴾

البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف اتزعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخصصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابي علي الجبائي وهو فقه تعالى وعند ابي هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما ونقص الشيء ونقصته لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقصان الواقعة في الناس والنقصان انتقاص الخلق وتقصه تناول عرضه واصل التقص الحط من التام والمال معروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة

﴿ الاعراب ﴾

فُتِحَتِ الْوَاوُ فِي لِنْبُلُونِكُمْ كَمَا فَتِحَتْ الرَّاءُ فِي لِنْتَصِرُنَكُمْ وَهُوَ أَنَّهُ بَنِي عَلَى الْفَتْحَةِ لِأَنَّهَا اخْفَ إِذَا اسْتَحَقَّ الْبِنَاءَ عَلَى الْحُرُوكِ كَمَا اسْتَحَقَّ يَا فِي النِّدَاءِ حَكْمَ الْبِنَاءِ عَلَى الْحُرُوكِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَالْجَرِّ وَالْمَجْرُورِ صِفَةً شَيْءٌ.

﴿ المعنى ﴾

لا يبين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتنعهم به من فنون المشقات فقال «وتنبؤنكم» اي ولنختبرنكم ومعناه تعاملكم معاملته المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عن ظا والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال» اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف على وجه التبيين لأنه لم يكن موبدا وانما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي صلى الله عليه وآله لا لهم فيها من المصلحة فاما سبب الخوف فكان قصد الشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن الماش واحتياجهم الى الاتفاق فيه وقيل للقسط الذي لحقهم والجذب الذي اصابهم وسبب نقص الاموال الانقطاع بالجهاد عن المارة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله (ص) وقيل نقص الاموال بهلاك المواشي «والانفس» بالموت وقوله «والثمرات» قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوانح وقلة النبات وارتفاع البركات وقيل اراد به الاولاد لأن الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان وعن مناصحة النسوان فيقل تزل البساتين وحمل البنات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الاشياء ما تقتضيه الحكمة من اللطاف ودقائق المصالح والاغراض ويدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الاعراض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان ﴿احدهما﴾ أن من جاء من بعدهم اذا اصابهم مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي (ص) (والآخر) ان الكفار اذا شاهدوا المؤمن يتحملون المشاق في نصرة الرسول وموافقتهم له وتنازلهم هذه المكاره فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقا السريرة علموا انهم انما فعلوا ذلك لطلبهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله «وبشير الصابرين» اي اخبرهم

بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من الثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة
قوله تعالى (١٥٦) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
(١٥٧) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

امال الكساني في بعض الروايات النون من انا واللام من لله والباقون بالتفخيم

﴿ الحجة ﴾

وانما جازت الامالة في هذه الالف مع اسم الله للكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة
قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل قولك انا لزيد وانما لم يجوز ذلك لان الاصل في الحروف
وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك لان الحروف بمنزلة بعض الكلمة
من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال

﴿ اللغة ﴾

المصيبة المشقة الداخلة على النفس لا يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كأنها تصيبها بالتكبة والرجوع مصير
الشيء الى ما كان يقال رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال «الذين اذا اصابتهم مصيبة» اي نالتهم نكبة في النفس او المال فوطنوا
انفسهم على ذلك احتساباً للأجر «قالوا انا لله» هذا اقرار بالمبودية اي نحن عبيد الله وملكه «وانا اليه راجعون»
هذا اقرار بالبعث والنشور اي نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ان قولنا انا لله اقرار على
انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالملك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لا فيها من
الدلالة على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان سكانت ظلما وتقديره انا لله تسلياً لأمره
ورضاه بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بأننا نصير الى عدله وانقراده بالحكم في اموره وفي الحديث من استرجع
عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقابه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال عليه السلام من اصاب بمصيبة فاحدث
استرجاعا وان تقادم عهدا كتب الله له من الاجر مثل يوم اصاب وروى الصادق عليه السلام عن ابيه عن النبي
صلى الله عليه وآله قال اربع من كن فيه كتب الله من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة لا إله الا الله ومن
اذا انعم الله عليه النعمة قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا
اليه راجعون وقوله «او كلك» اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين «عليهم صلوات من ربهم» اي ثناء جميل من
ربهم وتركبة وهو بمعنى الدعاء لان الثناء يستحق دائما فقيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يدعى به مرة بعد مرة فقيه
معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن عباس وقيل مغفرة من ربهم «ورحمة» اي نعمة عاجلا وآجلا فالرحمة النعمة
على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله في دنياه وعقباه «واو كلك هم المهتدون» اي المصيبون طريق الحق في
الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب اذا قرأ هذه الآية قال نعم العبدان ونمت العلوة
قوله تعالى (١٥٨) إِنَّ الصَّافِيَاتِ وَالْمُرْوَاتِ مِنْ شَمَائِلِ اللَّهِ فَمَنْ حَبَّ آلَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم من يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعدهم وواقهم زيد ورويس عن

يعتوب في الاول والباقون تطوع على انه فعل ماض وروي في الشواذ عن علي عليه السلام وابن عباس وانس وسعيد ابن جبير واي بن كعب وابن مسعود ألا يطوف بهما

﴿الحجة﴾

يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله لتلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وكقوله (من غير لاصف ولا اصطراف) اي من غير صنف ويطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في الطاء لتقاربها

﴿اللفظة﴾

الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفر واحده صفاة قال امرؤ القيس
لَهَا كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيلِ أَرَزَّ عَنْهَا جُحَافٌ مُصِرٌّ (١)
فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال البرد الصفاكل جبر لا يخلطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لأنك تقول في تثنيته صفون ولا يجوز امالته والمروة في الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمروة لفة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذؤيب

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُفْرَعُ (٢)

والمرو نبت واصله الصلابة فالتبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد صار اسمين لجبلين معروفين بمكة والائف واللام فيها للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم للأعمال وشعائر الله معاله التي جعلها مواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعا او صلاة او غيرها فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متمماته من موقف او مسمى او منعر من شعرت به اي علمت قال الكسيت

نُقِلْتُمْ جَيْلًا فَجَيْلًا تَرَاهُمْ شَعَائِرَ قَرْبَانَ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ

والحج في اللفظة هو التصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقنين وغير ذلك قال الشاعر

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُومًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ بَيْتَ الزِّيَارِ قَانَ الْمَرْعَفَا

يعني يكثرون التردد اليه لسوادة والعبادة هي الزيارة اخذ من العبارة لأن الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع والجناح الميل عن الحرق يقال جنح اليه جنوحا اذا مال واجنحته فاجتنح لئلا يملته فال وجناحا الطائر يدها ويدها الانسان جناحا وجناحا السكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدور حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة ويطوف اصلا يتطوف ومثله يطوع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصله من الطوع الذي هو الاتقياد والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بأنه شاكر مجازا وتوسعا لأنه في الاصل هو المظهر للاتعام عليه والله يتعالى عن ان يكون عليه نعمة لأحد

﴿الاعراب﴾

قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون من موصولا بمنقولة الذي والاخر ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل الذي بعده وهو مع صلته في موضع رفع بالابتداء والفاء على هذا مع ما بعده في قوله فلا جناح عليه فإن الله شاكر في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الموصول وان كان للجزاء كان الفعل الذي بعده في موضع الجزم وكلمت الفاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجرم والذي هو جزاء

(١) قال الجوهري: سيل جحاف بالضم اذا جرف كل شيء. وذهب به (٢) الشرق: الصلّى ومسجد الخيف.

والفعل الذي هو حَجَّ او تَطَوَّرَ على لفظ الماضي والتقدير به المستقبل كما ان ذلك في قولك ان اكرمتمني اكرمتمك كذلك وقوله فان الله شاكر عليم انما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد لأن تقديره "يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافاة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن في موضع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بأن الثاني وجب لوجوب الاول

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف والأحكام مرة وبالمصاب والآلام اخرى ذكر سبحانه أن من جملة ذلك امر الحج فقال "ان الصفا والمروة من شعائر الله" اي انهما من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعته عن ابن عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وروي عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حواء على المروة فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة وقوله "فن حج البيت" اي قصده بالافعال الشروعة "او اعتمر" اي أتى بالعمرة بالناسك الشروعة وقوله "فلا جناح عليه" اي لا حرج عليه "ان يطوف بهما" قال الصادق (ع) كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدئ به اهل الجاهلية فأُتزل الله هذه الآية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب او طاعة على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوا فتخرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فانزل الله تعالى هذه الآية من الشامي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تحريمهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلاة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلاة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلاة واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان ورويت رواية اخرى عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله (ص) شرط عليهم ان يرفضوا الاصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اميدت الاصنام فجاءوا الى رسول الله (ص) فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اميدت الاصنام فقلت هذه الآية فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي والأصنام طيها قال فكان الناس يسعون والأصنام على حالها فلما حج النبي (ص) رمى بها وقوله "ومن تطوع خيرا" فيه اقوال ﴿اولها﴾ ان معناه من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره (وثانيها) ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم (وثالثها) ان معناه من تطوع بالحج والعمرة عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله "فان الله شاكر عليم" اي مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر تطلنا بعباده ومظاهرة في الاحسان والاتمام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا يستقرض من عود^(١) ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان البعد يفتق في حال غناه فيأخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته وكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكرين من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمي نفسه شاكرا وقوله عليم اي بما تعلقونه من الافعال فيجازيكم عليها وقيل علم بقدر الجزاء فلا يبغض احدا حقه وفي هذه الآية دلالة على ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي واصحابه وقال ان السنة اوجبت السعي وهو قوله (ص) كتب عليكم السعي فاسموا قاما ظاهر الآية فإنا يدل على الباحة ما كرهه من السعي وعند ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائي وروي ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له

(١) [فان الله]. (٢) الموز: العاجة والضيق.

(الجزء الثاني) قوله تعالى ان الذين يكتبون ما أنزلنا من البينات والهدى الى قوله وانا التواب الرحيم ٢٤١

قوله تعالى (١٥٩) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُم مِّنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدِيْنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** (آية)

﴿التزول﴾

المعنى بالآية اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وابن سوريا وزيد بن التايه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتبوا امر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما أنزل الله وهو اختيار البلخي وهو الاقوى لأنه اعم فيدخل فيه اولئك وغيرهم

﴿المعنى﴾

ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتامه فقال «ان الذين يكتبون» اي يحتمون «ما أنزلنا من البينات» اي من الحجج المتزلة في الكتب «والهدى» اي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فعمم بالوعيد في كتابان جميعا وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبالهدى ما يؤديه الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظيهما «من بعد ما بيناه للناس في الكتاب» يعني في التوراة والانجيل من صفته عليه السلام ومن الاحكام وقيل في الكتب المتزلة من عنده الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن «اولئك يلعنهم الله» اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة لأنه لايجوز لمن من لا يستحق العقوبة «ويلعنهم اللاعنون» قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول مئينا القطر بمصاى بني آدم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منها رجعت على اليهود الذين كتبوا ما أنزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل لا اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله سبحانه والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لأن الله يلهمهم اللعن عليهم لا في ذلك من الزجر عن المعاصي لأن الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والموام كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الآخرة يكمل الله عقوبتها فتلعنهم وفي هذه الآية دلالة على ان كتابان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ويلزمه كما لزمهم الوعيد وقد روي عن النبي (ص) انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل لأن في كتاب الله تعالى ما يدل عليها تأكيدا لا في القول من الادلة

قوله تعالى (١٦٠) **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (آية)

﴿اللفظة﴾

التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على مواقفه والعزم على ترك معاودته إن امكنت المعاودة واعتبر قوم ترك المعاودة على مثله في القبح وهذا اقوى لأن الامة اجتمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيها عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح ما يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز من البين الذي هو القطع

﴿الاعراب﴾

موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فاذا قلت ما جاءني القوم الا زيدا فقد اخصت زيدا بانه لم يجرى واذا قلت ما جاءني الا زيد فقد اخصتته بالمجيء واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد اخصتته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو وغيرها

﴿المعنى﴾

ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصبح وبين من جملة من استحق اللعنة فقال «الا الذين تابوا» اي ندموا على ما قدموا «واصلحوا» نياتهم فيما يستقبل من الاوقات «ويبتئوا» اختلف فيه فقال اكثر القسرين يبتئوا ما كتبوه من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل يبتئوا التوبة واصلاح السريرة بالاطهار لذلك فان من ارتكب المعصية سيرا كفاء التوبة سيرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل يبتئوا التوبة باخلاص العمل «فاو تلك اتوب عليهم» اي اقبل توبتهم والاصل في اتوب اقبل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لتلايتهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح «وانا التواب» هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة ولما لا يرد ثابا منيها اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما يذهب اليه المعتزلة فان قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعا بسببه كالتواب والعوض لما كان منعا بالتكليف وبالآلام التي تستحق بها الاعراض جازان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هاهنا تدعو الى ارتكابه

قوله تعالى (١٦١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** (١٦٢) **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ** (آيتان)

﴿اللعنة﴾

واحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له فهو ككفر ورهط مما يقال انه اسم للجمع والخلود الزوم ابدا والبقاء الوجود في وقتين فصاعدا ولذلك لم يجرى في صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد الى قوله اي لم معنى ما أتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها ميل اللازم لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الأزل والآيزال فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو الزوم ابدا والتخفيف هو التقصان من المقدار الذي له والعذاب هو الألم الذي له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب فالتنظر بالعين هو الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب او باليد او بغيرها من الحواس تقول انظر الثوب اين هو اي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون مجزء من الألم في الوقت الواحد مقدار ما يتألم به والعذاب الألم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة

﴿الاعراب﴾

وهم كفار جملة في موضع الحال واجميين تأكيد وانما اكد به ليرتفع الابهام والاحتمال قبل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجرى الاخفش رأيت احد الرجلين كليهما واجاز رأيتها كليهما لأنك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل ازلت الابهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت التثنية في قولك

احد الرجلين وذكرت احدا. كتبت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رأيتها بمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لأن فيه معنى الاستقرار لللعنة وذو الحال الماء والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها الماء يعود الى اللعنة في قول الزجاج والى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تأكيد لصير في فعل مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره ولا هم ينظرون هم

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال «ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار» اي ماتوا مصريين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت التلافي بالتوبة فلذلك شرط سبحانه وبين ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم وقيل ان هذا الشرط انما هو في خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها «او لك لعنة الله» اي ابعاده من رحمته وعقابه «والملائكة والناس اجمعين» فإن قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلحق الكافر فالجواب من وجوه ﴿ احدها ﴾ ان كل احد من الناس يلحق الكافر اما في الدنيا واما في الآخرة او فيها جميعا كما قال ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا عن ابي العالية و (ثانيها) انه اراد به المؤمن كونه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع و (ثالثها) انه لا يمنع احد من لمن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدي واللعنة انما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائمين فيها اي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي وقيل في النار لأنه كالمذكور لشهرته في حال المذبذبين ولأن اللعن ابعاده من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ الاستحقاق لللعنة بمعنى انها تحق عليهم ابدا (والثاني) في عقاب اللعنة وهي للنار التي لا تنفى ابدا وقوله «لا يخفف عنهم العذاب» اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احيانا ويشدد احيانا «ولا هم ينظرون» اي لا يجهلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون قطعا لطمعهم في التوبة عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر

قوله تعالى (١٦٣) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الواحد شي. لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان

﴿ الاعراب ﴾

هو من قوله لا إله الا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كأنك قلت ليس الا زيد كما تريد من المعنى اذ لم تعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيدا لأن البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل من محل آله قبل التركيب وقوله لا إله الا هو هو اثبات لله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله الآله وحده ولما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النبي في هذا الخبر من قبل انه لم يدل على إله موجود ولا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى الها مع الله وانما النبي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار بوجوده

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص

﴿ المعنى ﴾

«ولمحكم» اي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غيره والذي تحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى آله هو المستحق للعبادة وهذا غلط لأنه لو كان كذلك لما كان القديم سبحانه آلهما فيما لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه تحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله «آله واحد» وصفه سبحانه بأنه واحد على اربعة اوجه ﴿ احدها ﴾ انه ليس بذئ ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة (والثاني) انه واحد لانظير له ولاشبيه له (والثالث) انه واحد في الإلهية واستحقاق العبادة (والرابع) انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا لله تعالى بأنه قديم انه المخصص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره ووصفنا له بأنه عالم قادر انه المخصص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به انه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز ووصفنا له بأنه حيّ باق انه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله «لا آله الا هو» هذه كلمة لإثبات الإلهية لله تعالى وحده ومعناه الله هو الآله وحده واختلف في انه هل فيها نبي المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نبي المثل عنه لأن النبي انما يصح في موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نبي المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله «الرحمن الرحيم» انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا آله الا هو لأنه بين به سبب استحقاق العبادة على عباده وهو ما أنعم عليهم من النعم العظام التي لا يقدر عليها احد غيره فإن الرحمة هي النعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن الرحيم فيما مضى

﴿ النظم ﴾

الآية متصلة بما قبلها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال العسنة بالسيئة لتعبر أثرها ويحذر من مواقعتها لأنه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لأن ما ذكر في الآية التي بسمها هي النجبة على صحة التوحيد

قوله تعالى (١٦٤) **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَأَنْتُكَ أَلْتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيْفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرأ ابو جعفر الريح على الجمع كل القرآن الا في الذاريات وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الريح في مشرة مواضع في البقرة والامراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين وفاطر والجمانية وقرأ نافع اثني عشر موضعا هذه المشرة وفي ابراهيم وعسق وقرأ ابن كثير في خمسة مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والجمانية وقرأ الكسائي الريح في ثلاثة مواضع في الحجر والفرقان واول الروم وواقفه حمزة الا في الحجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوي هذا الخبر قوله سبحانه ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات ويشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله انما قصد بقوله هذا الموضع بقوله ولا تجعلها ريحا قوله سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد تحتمس اللفظة في التزييل بشي . فيكون اشارة له فن ذلك ان عامة ما جاء في القرآن من قوله وما يدريك من غير مبين وما كان من لفظ ما ادريك مفسر كقوله وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما يدريك لعل الساعة قريب قال ابو علي وتصريف الرياح على الجمع اولي لأن كل واحدة من الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحد فإنه اراد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم فاعلم قوله ولسليان الريح عاصفة وان كانت الرياح كلها سفرت له فالمراد بها الجنس والكثرة وان كانت قد سحرتهم جميعا كما كان كقولك الرجل وانت تريد به المهدوما وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهي واحدة يدل ذلك عليه تراها ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فهذا يدل على انها واحدة

﴿ اللغة ﴾

الحلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله سبحانه لأنه لا احد سوى الله يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد استعمل الحلق بمعنى المغلوق كما استعمل الرضا بمعنى المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر بمعنى المغلوق واختلف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة والافالمعني بها هذا الموصوف في الحقيقة والساوات جمع السماء وكل سقف سما غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السماوات السبع وانما جمعت السماوات ووحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع في قوله فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لثلاث يومهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الأرض مثلهن وان دل على معنى السبع فإنه لم يجز على جهة الافصاح بالتنصيص في اللفظ وايضا فان الأرض لتساكها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس تجري السماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دبر في كل سما امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة وقيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لأن احدهما لا يسد مسد الآخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الآخر فبقا يرجع الى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار واحده لية فهو مثل تمر وتمر والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر

مَلِكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَعَقَمَهَا
يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

اي اوسعت وانما جمعت الية ولم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل على انه قد جاء جمع النهار نُهْرٌ على وجه الشذوذ قال الشاعر

كَوْلَا الثَّرِيدَانَ هَلَكْنَا بِالضَّمْرِ
تَرِيدُ لَيْلٍ وَتَرِيدُ بِالنُّهْرِ

والنُّهْرُ السُّنْبُوعُ تقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاسباق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور وما اتزل الله من السماء وقال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شيء علا شينا فهو سما له وقال علي بن عيسى قيل ان السحاب بخارات تصعد من الأرض وذلك جاز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سمع

والسما السقف قال سبحانه وجعلنا السما سقفا محفوظا فالسما المعروفة بسقف الارض واصلها من السمو وهو العلو فالسما الطبقة العالية على الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض العرفة فهو سما لما تحته من الطبقة السافلة وارض لما فوقه الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء المعروفة وهذا الاسم كالعلم على الارض المعروفة والبحر هو الحرق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة والسرور او ما أدى اليها او الى واحد منهما والنفع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة بالآلام اذا أدت الى لذات والاحياء فعل الحياة وحياة الارض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات والبس التفریق وكل شي بثبته فقد فرقته وسمي الغم بثا لتقسم القلب به والدابة من الدبيب وكل شي خلقه الله مما يدب فهو دابة وصار بالعرف اسما لما يركب والتصريف التقليل وصرف الدهر تقلبه وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو جرك الشيء على وجه الارض كما تسحب المرأة ذيلها وكل منجر منسحب وسمي سحابة لانجراره في السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر يقال سخر الله قفلان كذا اذا سهل له وسخرت الرجل اذا كلفته عملا بلاجرة وهي السخرة وسخر منه اذا استهزأ به والرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والديور فالشمال عن بين القبلة والجنوب عن يسارها والصبا والديور متقابلان فالصبا من قبل المشرق والديور من قبل المغرب وانشد ابو زيد

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهْجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطَّلَعُ الْفَجْرُ

فاذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجزيبا والصبا هي القبول والجنوب يسمى الاذيب ويسمى النعامي والشمال يسمى عورة لا تتصرف ويسمى مسما ونسما ويسمى الجنوب لا تقعا والشمال حائلا قال ابو داود يصف سحابة

لَقَعْنُ ضَحِيحًا لِلْمَحِ الْجُنُوبِ فَأَصْبَحْنَ يَنْتَجِنَ مَاءَ الْحَيَا

قوله للتح الجنوب اي لا تقاح الجنوب وقال زهير

جَرَّتْ سُنْحًا فُقُلْتُ لَهَا صُرُوعًا نَوَى مَشْمُولَةٌ فَمَتَى الْإِقَاءُ (٢)

مشمولة اي مكروهة لانهم يكرهون الشمال لبردتها وذهابها بالغم فصار كل مكروه عندهم مشمولا

﴿ المعنى ﴾

لا اخبر الله سبحانه الكفار بان آلهم له واحد لذاتي نه قانونا ما اندلته على ذلك فقال الله سبحانه «ان في خلق السموات والارض» اي في انشائها مقدرين على سبيل الاختراع «واختلاف الليل والنهار» كل واحد منهما يختلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر على وجه المماثلة أو اختلافها في الجنس واللون والطول والقصر «والفلك التي تجري في البحر» اي السفن التي تحمل الاحمال «بما ينفع الناس» خص النفع بالذكر وان كان فيه نفع وضرر لان المراد هنا عد النعم ولان الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يكون بركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب «وما انزل الله من السماء» اي من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب «من ماء» يعني المطر «فاحيا به الارض بعد موتها» اي فعمّر به الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باحياء الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم «وبث فيها من كل دابة» اي فرق في الارض من كل حيوان يدب واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة «وتصريف الرياح» اي تقليبها بأن جعل بعضها صبا وبعضها ديورا وبعضها شمالا وبعضها جنوبا وقيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب عن قتادة وروي ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذبا «والسحاب المسخر» اي المذلل «بين السماء والارض» يصرفها كما يشاء من بلد الى بلد ومن موضع الى موضع

(١) و يسمى ايضا «منسعا» كما في بعض النسخ (٢) الشح جميع السائح وهو الذي يأتي من جانب اليمين ويقال له نوح والغرب تبتين بالسائح وتنشام بالبارح.

«آيات» اي حججا ودلالات «لقوم يعقلون» قيل انه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل وقيل انه خاص بمن استدل به لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله انما انت منذر من يخشاها وقوله هدى للمتقين وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ما اذا تدل حذف لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا أما السموات والارض فيدل تصير اجزائها واحتمالها الزيادة والنقصان وانها من الحوادث لا ينفكان عن حدوثها ثم ان حدوثها وخلقهما يدل على ان لها خالقا لا يشبهها ولا يشبهانه لأنه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض اذ جميع ما هو بصفة الاجسام والاعراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل ويدل كونها على وجه الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلها عالما حكيا واما اختلاف الليل والنهار وجريها على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انها افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما تلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة واللطافة التي لو لاها لما يمكن جري السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء اليه على منعم دبر ذلك لنا نافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لأن الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي يتزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقي اجزائه ولا تتألف في البحر فينزل مثل السيل فيخرب البلاد والديار ثم امساكه في الهواء مع ان من طبع الماء الانحدار الى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي اوقاتها على ان مدبره قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وازراق الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية والادوية على كمال قدرته وبدائع حكيمته سبحانه من عليم حكيم ما اعظم شأنه وأما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا مخالقا لها منعم بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة بالهينات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدائع الفطرة وغرائب الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل تصريفها بتحريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة وتارة ليثة واخرى عاصفة وطورا عتيا وطورا لاقحة على ان مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه اذ لو اجتمع الخلق كلهم على ان يجعلوا الصبا دبورا او الشمال جنوبا لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان مسكه هو القدير الذي لا شبيه له ولا نظير لأنه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لانهاية لقدوراته فهذه هي الآيات الدالة على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حي لا تلحقه الافات ولا تغيره الحادثات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الاشياء على قدمه وازليته وبما وسماها به من المعجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه المنان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثل من جزيل القم فيعلم بذلك انه سبحانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق الى معرفته وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد

قوله تعالى (١٦٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُجِبُونَ نُهُم كُحْبِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالباء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء. وكلهم قرأوا اذ يرون العذاب يفتح الياء. الا ابن عامر فانه قرأ اذ يرون بالضم وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وإن الله بكسر المعزة فيها والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ النية اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذون دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات وحجة من قرأ ولو ترى فجعل الخطاب للنبي عليه السلام لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى ويكون الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به الكفاية واما فتح ان القوة فيمن قرأ بالياء فلا يخلو من ان يكون ترى من روية البصر او التعدية الى مفعولين فان جعلته من روية البصر لم يجز ان يتعدى الى ان لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان تكون التعدية الى مفعولين لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فاذا يجب ان يكون منتصبا بفعل آخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جواباً للو كأنه قال ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لرأوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جعدهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرأ بالياء ابيون لأنهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمرة والجواب في هذا النحو يوجب محذوفا فاذا عمل الجواب في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ حمل المفعول عليه يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآي التي حذف الاجوبة معها لتكون ابلغ في باب التوعيد هذا كلام ابى علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب وحجة من قرأ اذ يرون العذاب قوله ورأوا العذاب وقوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر قوله كذلك يريد الله اعمالهم حسرات لأنك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون اعمالهم حسرات

﴿ اللفظة ﴾

الانداد والاشباه والامثال نظائر واحدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المتاوى والحب خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها حذفاً لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيداً فالمعنى اني اريد منافعهُ او مدمحه واذا قلت احب الله زيداً فالمعنى انه يريد ثوابه وتغليظه واذا قلت احب الله فالمعنى اريد طاعته واتباع او امره ولا يقال اريد زيداً ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الارادة وقيل ان المحبة ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما تقول احب ولدي اي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احباباً وحباً وحباً واحب البعير احباباً اذا برك فلا يثور وهو كالجران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت بالأرض لحب الخيل حتى فاتتني الصلاة ويرى قال ابو علي الفارسي هو من روية العين يدل على ذلك تعديهِ الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب والشدة قوة العقْد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحدة

﴿ الاعراب ﴾

يجوز فتح ان من ثلاثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع الترواية بالياء فاما الفتح (فالأول) ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه (والثاني) ان يفتح

(١) ناوأم منأوة: عاداه (٢) حرن حرانا البغل: وقف ولم ينقد.

على حذف اللام كقولك لأن القوة لله (والثالث) على تقدير لرأوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الأول في الكسر فعلى الاستئناف والثاني على الحكاية مما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون ان القوة لله فأما مع القراءة بالياء فيجوز ايضا كسر ان من ثلاثة اوجه وفتحها من ثلاثة اوجه فاما الفتح ﴿فاولها﴾ ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي وهذا لا يجوز لأن قوله ان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتقاً عليهم (والثاني) ان يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوة (والثالث) لرأيت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء والاختيار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لأن الزوية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضره اتخذهم الانداد ولرأوا امر اعظيما ليحصر بالأوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رأيت الشياطين تأخذ فلانا لأن المحذوف يحتمل كل امر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بأنهم الفاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كأنه قيل ان القوة ثابتة لله في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا رأوا مقدورات الله فيا تقدم الوعيد به علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شيء وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لأنه يعود الى من ويجوز ان يعود اليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله اندادا قال ابو علي لو قلت كيف جاء اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول انه جاء على لفظ الماضي لارادة التقريب في ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كمنح البصر او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم

﴿المعنى﴾

«ومن الناس» من للتبعيض هاهنا اي بعض الناس «من يتخذ من دون الله اندادا» يعني آلهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل رؤسوا وهم الذين يطعنونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى ما روى جابر عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هم أئمة الظلمة واشياهم وقوله «يحبونهم» كعب الله على هذا القول الاخير ادل لأنه يبعد ان يجبروا الاوثان كعب الله مع علمهم بأنها لا تنفع ولا تضر ويدل ايضا عليه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الإلتئاد لهم اوجميع ذلك كعب الله فيه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ كعبكم الله اي كعب المؤمنين الله عن ابن عباس والحسن (والثاني) كعبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم (والثالث) كعب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع «والذين آمنوا اشد حبا لله» يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء وجبههم اشد من وجوه ﴿احدها﴾ اخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء عليه من الاشراك (وثانيها) انهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداءً وانه يفعل بهم في جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد انعم عليهم بالكثير فيعبدون عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد ان يكون حبه لهم له اشد (وثالثها) انهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب واليه المرجع والمآب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان واختلف في معنى قوله اشد حبا فقيل اثبت وادوم لأن المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله «ولو يرى الذين ظلموا» تقديره ولو يرى الظالمون اي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون «حين يرون العذاب» والصحيح الأول

كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ بالياء ومن قرأ بالياء ففناه ولو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لو ترى ايها السامع او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله «ان القوة لله» فيه حذف اي رأيت ان القوة لله «جميعا» فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو ومن قرأ بالياء ففناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا الرأوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد وشارة الى ان هولاء الجبابرة مع تعززهم اذا حشروا ذلوا وتحاذلوا وقد بينا الوجوه في فتح ان وكسرها فالعنى تلبع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه «وان الله شديد العذاب» وصف العذاب بالشدة توسعا ومبالغة في الوصف فإن الشدة من صفات الاجسام

﴿النظم﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكأنه قال أبعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله اندادا قوله تعالى (١٦٦) اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وأولئك العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٧) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (آيتان)

﴿اللغة﴾

التبرؤ في اللغة والتفصي والتزليل^(١) نظائر واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة واذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بالمعصية واصله من الانفصال ومنه برأ من مرضه ويرى يبرأ برأ وبراء ويرى من الدين براءة والاتباع طلب الاتفاق في مقال او فعال او مكان فاذا قيل اتبعت ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الروصلات واحدها سبب ومنه يسمى الجبل سببا لأنك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بدر وغيره ومضت سببة من الدهر اي ملاوة والكرة الرجعة قال الاخطل

وَلَقَدْ عَطَقْنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطْفَةً كَرَّ الْمُنِيحِ وَجَلْنَ ثُمَّ مَجَالًا

والكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشيء والكر الجبل الطليظ وقيل الشديد القتل والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لأن الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او ينقضي وقته والحسرة والندامة من النظائر يقال حسرتي حسرتا وحسرة اذا كند على الشيء الفائت وتلف عليه واصل الحسرة الكشف تقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها وحسرت عن ذراعيه حسرا والحاسر الذي لا درع عليه ولا منفر

﴿الاعراب﴾

العامل في اذ قوله شديد العذاب اي وقت التبرؤ وانتصب فنتبرأ على انه جواب التمني بالفاء كأنه قال ليت لنا كرورا فنتبرأ وكلما عطف الفعل على ما تأويله وتأويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه لأنه لا محل الأول على التأويل حمل الثاني على التأويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستئناف اي فنحن نتبرأ منهم على كل حال واما قوله لو ان لنا كرة فني موضع الرفع لعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لأن لو في التمني وفي غيره تطلب الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو هنا ايضا في

(١) كذا في جملة من النسخ وفي نسخة «التزابل» والظاهر «التزابل» كما في التبيان (٢) اي برهة (٣) المنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له الا ان يمنح صاحبه شيئا ، و لعل التشبيه بالمنح من جهة انه يرجى لصاحبه المنعم في الكرة الثانية .

التقدير محذوف ولذلك افاد لو في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لناكرة فتبرأ منهم لتشفينا بذلك وجازيتناهم صاعا بصاع وهذا شيء أخرجه لي الاعتبار ولم أره في الاصول وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من كذلك فقوله يريهم الله اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبرؤ بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منها وقيل تقديره يريهم اعمالهم حسرات كما أراهم العذاب وذلك لأنهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منها

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه «اذ تبرأ الذين اتبعوا» وهم القادة والروساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالسوسة من الجن عن السدي وقيل هم شياطين الجن والانس والظاهر هو الاول «من الذين اتبعوا» اي من اتباع السفلى «ورأوا» اي رأى التابعون والتبوعون «العذاب» اي عينوه حين دخلوا النار «وتقطعت بهم الاسباب» فيه وجوه منها: ﴿ احدها ﴾ الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقاتدة والربيع (والثاني) الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (والثالث) العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا (والرابع) تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي (والخامس) تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الآية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكأنه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من مثلة او قرابة او مودة او عهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في الالاس «وقال الذين اتبعوا» يعني الاتباع «لو ان لناكرة» اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف «فتبرأ منهم» اي من القادة في الدنيا «كما تبرءوا منا» في الآخرة «كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم» فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي (والثاني) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها عن السدي (والثالث) ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرتبه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره (والرابع) ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه والآية محتملة لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم «وما هم بخارجين من النار» اي يخلدون فيها بين سبحانه في الآية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الآية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الآية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لأنه ليس في المقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء

قوله تعالى (١٦٨) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابوعمر وحمزة وابو بكر الا البرجمي خطوات بسكون الطاء حيث وقع والباقرن بضمها وروي في الشواذ عن علي عليه السلام خطوات بضمين وهمزة وعن ابي السائب خطوات بفتح الحاء والطاء

﴿ الحجة ﴾

ما كان على فمعة من الاسماء فالأصل في جمه التثميل نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لأن التحريك فاصل

بين الاسم والصفة ومن اسكنه قال خطوات فانه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للصفة ومن ضم الحاء والطاء مع الهزلة فكأنه ذهب بها مذهب الخليفة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطأ هذا قول الاخفش وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الواو فانقلبت همزة ومن فتح الحاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل تمره وتمرته

﴿ اللغة ﴾

الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب واللؤلؤ وما اشبهه ليس بأكل في الحقيقة وقد قيل النعام تأكل الجمر فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالا لان الحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعاله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالا وحل يحل حلولا وحل العقد يحله حلالا وحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب ينغص وهو على ثلاثة اقسام الطيب المستلد والطيب الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلد الا انه وصف به الطاهر والجائز تشبيها اذ ما يجر عنه القتل او الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما تدعو اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب النظيف واصل الباب الطيب خلاف الحيث والخطوة بعد ما بين قديمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوات خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان آثاره والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه

﴿ الاعراب ﴾

حلالا صفة مصدر محذوف اي كلوا شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق بكلوا او محذوف يكون معه في محل نصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وبني عامر بن صعصعة وبني مدليج لا حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما يتابع منه سبحانه على القريتين من النعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لا في ذلك من الجحود لنعمه والكفران فقال «يا ايها الناس» وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم «كلوا» لفظه لفظ الامر ومعناه الاباحة «مما في الارض حلالا طيبا» لا اباح الاكل بين ما يجب ان يكون عليه من الصفة لأن في المأكول ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يتقرب للحلال ويتقرب على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغير الآكل فيه حق وهو يتناول جميع المعلات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا فجمع بينهما لاختلاف اللغتين تأكيد وقيل معناه ما يستطيبونه ويستلذونه في العاجل والآجل «ولا تتبعوا خطوات الشيطان» اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقادة وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل آثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر والي عبد الله عليها السلام ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والتذور في المعاصي وكل بين بنير الله تعالى وقال القاضي بريد وسأوس الشيطان وخواطره وقال الماوردي هو ما يتقلم به من معصية الى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده «انه لكم عدو بين» اي يظهر للمداوة بما يدعوكم اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس في المأكول والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه ومنهم

(الجزء الثاني) قوله تعالى انما يأمركم بالسوء والفحشاء الى قوله اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ٢٥٣
من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الآية دالة على اباحة المأكل الا ما دل الدليل على حظره
لغات موه كدة لا في العقل

قوله تعالى (١٦٩) **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فأما الأمر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الأمر
مريداً للأمر به وقيل هو الدعاء الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل او الشرع ويسمى ايضاً
ماتنفر عنه النفس سوءاً تقول ساء في كذا يسوء في سوء او قيل انما سمي القبيح سوءاً لسوء عاقبته لأنه قد يلتذ به
في العاجل والفحشاء والقاحشة والقيحة والسيئة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال غش غشاً وغشاً
وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكل مالا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا ان
يأتين بفاحشة مبيّنة معناه خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبي عن الحكاية
وذلك ككلام زيد يمكن ان يأتي عمرو بعبارة عنه ينبي عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون
قوله قال زيد يوزن بأنه يحكى بعده كلام وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لأنه لا يوزن بالحكاية والعلم
ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك له

﴿ المعنى ﴾

لا قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو اليه من مخالفة الدين فقال « انما يأمركم بالسوء » اي
المعاصي عن السدي وقتادة وقيل بما يسوء فاعله اي يضره وهو في المعنى مثل الاول « والفحشاء » قيل المراد به الزنا
وقيل السوء مالا حد فيه والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس « وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » قيل هو دعواهم
له الانداد والاولاد ونسبتهم اليه الفواحش عن ابي مسلم وقيل اراد به جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة
وما يسأل على هذا ان يقال كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو
دعاؤه اليه كما تقول نفسي تأمرني بكذا اي تدعوني اليه وقيل انه يأمر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان
من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وسواس
الخلي فيلتي اليه الشيطان اشياء بصوت خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلتي اليه الشيطان وما تدعو
اليه النفس فالقول انه لا ضير عليه اذا لم يميز بينها فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يأمره بالمعاصي جوز في كل
ما كان من هذا الجنس ان يكون من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون ارغب في فعل الطاعة مع ثقلها
عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس اليها مخالفة للشيطان الذي هو عدوه

قوله تعالى (١٧٠) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا**
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْطَلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفتيا اي صادفنا ووجدنا والاب والوالد واحد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم

﴿ الاعراب ﴾

أولو هنا واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذه الواو انتم اذا ما وقع آمنتم
به أفلم يسروا وانما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضي ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستفهام
الاجبار بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لأنك اذا قلت اتبعه ولو ضرك فضناه اتبعه على كل

(١) كذا في نسخة صيدا من الاتباع لكن في ساير نسخنا « اتبعه » من التبع

حال وليس كذلك اتبعه لو ضرك لأن هذا خاص وذاك عام فدخلت الواو لهذا المعنى

﴿ النزول ﴾

ابن عباس قال دعا النبي عليه السلام اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا اعلم منا فترت هذه الآية وفي رواية الضحاك عنه انها نزلت في كفار قريش

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد وترك الاجابة الى الاقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال «واذا قيل لهم» اختلف في الضمير فقيل يعود الى مَنْ مِنْ قوله من يتخمنن دون الله اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى النية كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقيل يعود الى الكفار اذ جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجز ذكرهم لأن الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون «اتبعوا ما اتزل الله» اي من القرآن وشرايع الاسلام وقيل في التعريم والتحليل «قالوا لاي الكفار» بل نتبع ما آتينا» اي وجدنا «عليه آباءنا» من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود «اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا» اي لا يعلمون شيئا من امور الدين «ولا يهتدون» اي لا يصيرون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم انهم لا يعلمون شيئا بما لهم معرفة اكنتم تتبعونهم ام كنتم تنصرفون عن اتباعهم فاذا صح انه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هو لا.

قوله تعالى (١٧١) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَمَنْ لَمْ يَعْطِلُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول نطق الراعي بالنعق نطقا اذا صاح بهاز جوا قال الاخطل

فَأَنْعِقْ بِصَوَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

ونطق الغراب نطقا ونطقا اذا صوتت من غير ان يدعته ويمرحها ونطق بالعين بمناء فإذا مدعته وحركها ثم صاح قيل نعب والتاعقان كوكبان من كواكب الجوزاء ورجلها اليسرى ومنكبها اليمين وهو الذي يسمى المنعة وهما اضرأ كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الأمر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والتداء مصدر نادى مناداة ونداء والدعاء والسؤال بمناء والتدعى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر فالندى هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان علينا ندى كثيرا وندى ندية بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صفة جره واشتق النداء من ندى الصوت ناداه اي دعاه بأرفع صوته

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب الله مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد وركونهم الى التقليد فقال «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق» اي يصوت «بما لا يسمع» من البهائم «الا دعاء ونداء» واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه ﴿اولها﴾ ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائك ايهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المتوق به من البهائم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك ايهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب

فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فاضاف الخوف الى الأسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر
 فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ
 اراد بتسليمي على الأمير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري (وثانيها) ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي كمثل الانعام المنعوق بها والناثق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل كخذف المثل الثاني اكتفاء بالأول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سراويل تقيكم الحر والبرد وقال ابو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طَلَابُهَا

اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا لأن في الآية تشبيه شينين بشينين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعويين من الكفار بالانعام كخذف ما حذف للايجاز وابقى في الاول ذكر المدعوي في الثاني ذكر الداعي وفيما ابقى دليل على مالتى (وثالثها) ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الا صنم كمثل الراعي في دعائه الانعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام فكما ان من دعا البهائم يمد جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لأن البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها السماع ايضا عن ابي القاسم البلخي وغيره (ورابعها) ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفا الى غير النعم وما اشبهها مما يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء ببيتق والاملاء لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق

هُمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ مَلُّوا سَيُوفَهُمْ وَضَحُّوا يَلْحَنُ مِنْ مِحْلٍ وَمُحْرَمٍ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم (وخامسها) ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل النعم الذي لا يفهم دعاء الناثق فاضاف سبحانه المثل الثاني الى الناثق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت الشمري وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ تُجَلِّي بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَرُّهُ

اي تجلي بالعين وانشد ايضا

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّانَا وَانْشَدَ

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلَّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٌ (٢)

اي ما تريد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ

اراد بنفسي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتربيع فقال «صم بكم عمي» اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مر بيانه في اول السورة ابسط من هذا «فهم لا يعقلون» اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم

قوله تعالى (١٧٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (آية)

﴿ اللغنة ﴾

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين ﴿احدهما﴾ الاعتراف بالنعمة متى ذكرها النعم عليه بالاعتقاد لها (والثاني) الطاعة بحسب جلاله النعمة فالأول لازم في كل حال من احوال الذكرو الثاني انه يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية فيه ليس وراها شكرو ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة غير الله سبحانه لأنها انما تستحق باصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهوة وانواع المنافع وبقدر من النفع لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها

﴿ الاعراب ﴾

مارزقتاكم موصول وصلة والعائد من الصلة الى الوصول محذوف وتقديره مارزقتاكموه وجواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقتاكم واشكروا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه المين اليهم فقال «يا ايها الذين آمنوا كلوا مما ظاهره الامر والمراد به الاباحة لأن تناول المشتهي لا يدخل في التعبد وقيل انه امر من وجهين ﴿احدهما﴾ بأكل الحلال (والآخر) بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الاوقات والآية غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة «من طيبات ما رزقتاكم» اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي من اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فبما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عداه لأنه قد يكون النرض اليان لهذا خاصة وباعداه موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضده قبيح لأنه قد يكون من البيان قبيح ضده «واشكروا لله» لما نبه سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق امرنا بالشكر لأن الانعام يقتضي الشكر وقوله «ان كنتم اياه تعبدون» اي ان كنتم تصدون عنه علم بكونه متعيا عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط هنا انما هو على وجه الظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بأنه ألمكم فالشكر له واجب عليكم بانه منعم بحسن اليكم

قوله تعالى (١٧٣) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أْضَطَّرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر الميتة مشددة كل القرآن وقرأ أهل الحجاز والشام والكسائي فن أضر غير باغ بضم النون و ابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون

﴿ الحجة ﴾

الميتة اصلها الميتة فحذفت الياء الثانية استخفاقا لتل الياءين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل في انصروا واما الكسرة فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين وأما قراءة ابي جعفر فن اضطر فلأن الاصل اضطرر فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصارت اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها لأن الطاء على حركتها الاصلية

﴿ اللغة ﴾

الاهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يَسُونُ الاوثان والمسلمون يسمون الله وانهلال الطر شدة انصبابه والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمعرم يهل بالاحرام وهو أن يرفع صوته بالتلبية واسبَّه الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجرع الذي يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والاجباء ان الاجباء قد تتوفر معه الدواهي الى الفعل من جهة الضرر والنتع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لم اذا كان اكلوا للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم اذا قتلهم وصاروا الحما والمصلحة الحرب ذات القتل الشديد واستلهم الطريد اذا اتسع واللصمة قرابة النسب واصل الباب لزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البغي الطلب من قولهم بنى الرجل حاجته يبنى بئنا قال الشاعر

لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بِنَا دَأْلَ خَيْرِ تَمَقَادُ التَّهَامِ (١) إِنَّ الْأَشَائِمَ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَا مِنْ كَالْأَشَائِمِ
والبناء طلب الزنا والمادي المتدي

﴿ الاعراب ﴾

انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر (وانما يدافع عن احسابهم انا أومثلي) ولما كانت لأثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ^{ان} لا كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان من جهة التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكأنك قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتب ما مفصولة ومثله قوله تعالى انما الله اإله واحد اي لا إله الا الله الا إله واحد ومثله انما انت نذير اي لا نذير الا انت فاذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لأن ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان يقع الاهدان في موضع غير ما قلناه انه بمعنى النبي ولذلك عطف عليه بلا فاما الا فمناه في الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ما هنا كل يصلح ان يخص منه

﴿ المعنى ﴾

لا ذكر سبحانه اباحة الطيبات مقبلة بتعريم المعمرات فقال « انما حرم عليكم الميتة » وهو ما يموت من الحيوان « والدم ولحم الخنزير » خص اللحم لأنه المعظم والمقصود والا فجلته محرمة « وما اهل به لغير الله » قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والآخرونه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والاول اوجه « فن اضطر » الى اكل هذه الاشياء ضرورة مجاهدة عن اكثر المفسرين وقيل ضرورة اكرهه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد مأكولا يسد به الرمق وقوله « غير باغ » قيل فيه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعه عن الحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) غير باغ في الافراط ولا عاد في التصدير عن الزجاج (وثالثها) غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمصيبة طريق المحققين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة واعترض علي بن عيسى على هذا القول بأن قال ان الله لم يبيح لأحد قتل نفسه والتعرض للقتل في حكم الدين ولأن الرخصة لأجل المجاعة لا لأجل سفر الطاعة وهذا فاسد لأن الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله ان الرخصة لأجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها « فلا اثم عليه » اي لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ ليبين انه ليس بمباح في الاصل انما رفع الحرج لأجل الضرورة « ان الله غفور رحيم » وانما ذكر المغفرة لأحد الأمرين اما ليبين انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يؤخذ بما رخص فيه

(١) التمام جمع التسمية وهي الخرزة وامثالها تعلق في الشئ لرفع اصابة العين .

واما لانه يعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها

قوله تعالى (١٧٤) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ أَنْكَبَاتٍ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (آية)

﴿ اللغاة ﴾

البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة .

﴿ الاعراب ﴾

الذين مع صلته منصوب بيان واولئك رفع بالابتداء وخبره ما يأكلون في بطونهم الا النار والمبتدا وخبره جملة في موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون

﴿ النزول ﴾

المعنى في هذه الآية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماءهم ككعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وكعب بن اسد وكانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ما كلفتهم فغفروا صفته فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى «ان الذين يكتبون ما انزل الله من الكتاب» اي صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتبوا الاحكام عن الحسن والكتاب على القول الاول هو التوراة وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القرآن وعلى سائر الكتب «ويشترون به ثمنا قليلا» اي يستبدلون به عرضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جازرا بل الفائدة فيه ان كل ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللغرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ومن يدع مع الله إليها آخرا لا يرهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على أن من ادعى ان مع الله إليها آخرا لا يقوم له على قوله يرهان وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بأن وصف الشيء بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول النابغة

يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَتَّبِعُهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ^(١)

اي ليس بها رمد فيكتحل له وقول الآخر
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصْبٍ

اي ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلها وقول سويد بن ابى الكاهل
عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الْجَزَعِ مِنْ أَنْاسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا آجلا او جزعا غير سي . بل نفى الفحش والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثيرة «او لئلك» يعني الذين كتبوا ذلك واخذوا الاجر على الكتابان «ما يأكلون في بطونهم الا النار» ومثناه ان اكاهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكأنهم لم يأكلوا الا النار لأن ذلك يوديهم الى النار كقوله سبحانه في اكل مال اليتيم انما يأكلون في بطونهم نارا عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم يأكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتابتهم فيصير ما اكروا في بطونهم نارا يوم القيامة فمناه في الحال بما يصير اليه في المال وانما

(١) النيق : ارفع موضع في الجبل (٢) غمزه : جسه وكبسه باليد . الابن : الاعياء . و الوصب : المرض و شرسوف

رأس الضلع من جانب البطن . و الصفر فيما تزعم العرب : حية في البطن تعض الانسان اذا جماع .

ذكر البطون وان كان الاكل لا يكون الا في البطن لوجهين ﴿احدهما﴾ ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى شبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (والآخر) أنه لما استعمل المجاز بأن أجرى على الرشوة اسم النار حتى بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم «ولا يكلمهم الله يوم القيامة» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسوء ال بالتوبيخ وبما يفهم كما قال فلنستلن الذين ارسل اليهم وقال اخسوه فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي (والثاني) انه لا يكلمهم اصلا فتعمل آيات المسألة على ان الملائكة تسألهم عن الله وبأمره ويتأول قوله اخسوه فيها على دلالة الحال وانما يدل نبي الكلام على الغضب في الوجه الاول فمن حيث ان الكلام وضع في الأصل للفائدة فلما انتفى الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه النعم والايلام فخارج عن ذلك «ولا يزكيمهم» معناه لا يشي عليهم ولا يصفهم بانهم اذكياء ومن لا يشي الله عليه فهو معذب وقيل لا تقبل اعمالهم كما تقبل اعمال الاذكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمنفرة «ولهم عذاب اليم» اي موجع مؤلم

قوله تعالى (١٧٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَأَلْعَدَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (آية)

﴿الاعراب﴾

ما صبرهم قيل إن ما للتعجب كالتي في قوله قتل الانسان ما اكفره اي قد حل محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال لحصه ما اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شي اصبرهم يقال اصبرت السبع او الرجل ونحوه اذا نصبته لا يكره قال الخطيبه

قُلْتُ لَهَا أَصْبِرُهَا دَائِبًا وَيَحْكُ أَمْثَالُ طَرِيفٍ قَلِيلُ

اي الزمها واضطرها

﴿المعنى﴾

«أو تلك» إشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين اشتروا الضلالة بالهدى» اي استبدلوا الكفر بالتي (ص) بالايان به فصاروا بمنزلة من يشتري السلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة وقوله «والعذاب بالمنفرة» قيل انه تأكيد لما تقدم عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمنفرة لما عرفوا ما أعد الله لمن عصاه من العذاب ولن اعطاه من الثواب ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية مصرين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى فكان اشتراؤهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتروا هم العذاب بالمنفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله «فما اصبرهم على النار» فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان معناه ما اجراهم على النار ذهب اليه الحسن وقتادة ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الله (ع) (والثاني) ما عملهم باعمال اهل النار عن مجاهد وهو البروي عن ابي عبد الله عليه السلام (والثالث) ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحس عن الزجاج (والرابع) ما ادومهم على النار اي ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سقاءك بمجامم^١ عن الكسائي وقطرب وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لأنه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شي والتعجب انما يكون بما لا يعرف سنيه واذا ثبت ذلك فالتعجب ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا

(١) [اي بسقاء حاتم].

منهم (والخامس) ماروي عن ابن عباس ان المراد اي شيء اصبرهم على النار اي جسهم عليها فتكون للاستفهام ويمكن عمل الوجوه الثلاثة المتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شيء اجروهم على النار واعلمهم باعمال اهل النار وابقاهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجب لنا كما يقال لمن وقع في ورطة ما اضطررك الى هذا اذا كان غيا عن التضرع للوقوع في ايها والمراد به الانكار والتقرع على اكتساب سبب الهلاك وتعجب الغير منه ومن قال معناه ما اجروهم على النار فانه عنده من الصبر الذي هو الجس ايضا لأن بالجرأة يصبر على الشدة

قوله تعالى (١٧٦) ذَلِكَ بِأَنَّ أَهْلَهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الاختلاف الذهاب على جهة التفرق في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء ذلك من هناك ثم استعمل في الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد واما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة اشياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحدا منهما ما يشق على الآخر لاجل العداوة

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اي ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فطنا ذلك لان في الكلام ما يدل على فعلنا

﴿ المعنى ﴾

«ذلك» اشارة الى احد ثلاثة اشياء ﴿اولها﴾ ذلك الحكم بالنار عن الحسن (وثانيتها) ذلك العذاب (وثالثها) ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلاثة وجوه ﴿احدها﴾ ما ذكرناه من قول الزجاج (وثانيتها) ان تقديره ذلك الحكم الذي حكم فيهم او حل بهم من العذاب او ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه (وثالثها) ذلك العذاب لهم «بان الله نزل الكتاب بالحق» ويكون الباء مع ما بعده في موضع الخبر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب او الضلال بان الله نزل الكتاب بالحق في الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب هاهنا التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التوراة وبالثاني القرآن «وان الذين اختلفوا في الكتاب» قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا في القرآن على اقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام تعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى من السدي اختلفوا في التأويل والتزويل من التوراة والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتبوا صفة النبي صلى الله عليه وآله وجعدت اليهود الانجيل والقرآن وقوله «لني شقاق بعيد» اي بعيد عن الالف بالاجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل باحكام التوراة والانجيل

قوله تعالى (١٧٧) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْغُرَبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحمة ليس البر بنصب الراء والباقون بالرفع وروي في الشواذ من ابن مسعود وابي ليس البر بالنصب بان يولوا بالياء وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكمي عن بعض شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى بشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر وكأنه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب البر مع الباء بان جعل الباء زائدة كقولهم وكفى بافه وكيفا

﴿ اللمنة ﴾

البر العطف والاحسان مصدر يجوز ان يكون بمعنى البار اي الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير أيهما اشد احوالا فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابي حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسييل الطريق وابن السبيل هو المتقطع به اذا كان في سفره محتاجا وان كان في بلده ذا يسار وهو من أهل الزكاة وقيل انه الضيف من قتادة وانما قيل للمسافر ابن الطريق لزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة

وَرَدَّتْ أُعْتَسَافًا وَالْتَرِّيَا كَأَنَّهَا عَلَى قَمَّةِ الرَّأْسِ أَيْ مَاءٍ مُحَلَّقٍ (١)

والرقاب جمع رقبة وهي اصل الضيق ويعبر به عن جميع البدن قال اعتق الله رقبتك ومنه قوله فتحرير رقبة والباساء والبوس الفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلا وليس لها فاعل لان افعال فعلا في الصفات والتموت ولم يأتيا في الامماء التي ليست بنعوت

﴿ الاعراب ﴾

من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالخفة ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافا في كون احدهما اسما والاخر خبرا كما تكافا النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الآخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البرين آمن ففيه وجوه ثلاثة ﴿ احدها ﴾ ان يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اي غائر ورجل صوم اي صائم ومثله قول الضمراء

تَرْتَعُ مَارَتَمَتْ حَتَّى إِذَا دَاكُرَتْ فَأَيْمًا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ

اي إنها مقبلة ومدبرة ومثله

(١) الاعتساف: السير على غير طريق. والمحلَّق: المرتفع في الهواء جدا.

٢٦٢ (سورة البقرة) اعراب وتزول ونظم قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخ

١ ج

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلِّدَةً أَعْتَمَهَا صُفُونًا

اي نائمة (ثانيها) ان المعنى ولكن ذا البر من آمن بالله فعذف المضاف من الاسم و(ثالثها) ان يكون التقدير ولكن البر من آمن بالله فعذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر

وَكَيفَ تَوَاصِلُ مَنْ أَصَبَتْ خَلَالَتُهُ كَأَيِّ مَرْحَبٍ

وكقول النابغة

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَرِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلِي فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

اي على مخافة علي ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ثم قال كن آمن اي كإيمان من آمن وقوله الموفون بمعدهم اذا عاهدوا وفي رفعه قولان أحدهما ان يكون مرفوعا على المدح لأن الثمت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والآخر ان يكون معطوفا على من آمن والمعنى ولكن ذا البر او ذوي البر المؤمنون والموفون بمعدهم واما قوله والصابرين فنصوب على المدح ايضا لأن مذهبهم في الصفات والتموت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليؤيروا المدح او المذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي والاحسن في هذه الاوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها والمدح أو الغض منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لا يذكر للتثوية والتثنية أو النقص والغض مما يذكر للتخلص والتمييز بين الموصوفين المشتهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء

إِلَى أَلْمَلِكِ الْقَرَمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ
وَيْثَ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمَزْدَحَمِ
وَذَا الرَّأْيِيِّ حِينَ تَغْمُ الْأُمُورُ
يَذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وانشد ايضا

قَلَيْتَ أَلَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاصَعَتْ
عَلَى كُلِّ غَشِيَةٍ مِنْهُمْ وَسَيِّئِ
غُيُوثِ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلزْبَةٍ
أُسُودُ الشَّرِيِّ يَخِينُ كُلَّ عَرِينِ

وبما نصب على الذم

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي
عُدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

وشيء آخر وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطئاب في الوصف واذا خولف باعراب الالفاظ كان اشد واقوع فيما يعين ويعترض لصيرورة الكلام وكونه بذلك ضروريا وجملا وكونه في الاجراء على الاول وجها واحدا وجهة واحدة فلذلك سبق قول سيويه في قوله والقيمين الصلاة وانه محمول على المدح قول من قال انه محمول على قوله بما اتزل اليك وبالقيمين الصلاة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القرين قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان تكون والموفون رفعا على المدح للضمين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لأن والصابرين لا يجوز حمله على وآتى المال على جبه سواء كان قوله والموفون بمعدهم عطفا على الموصول او مدحا لأن الفصل بين الصلة يقع به اذا كان مدحا كما يقع به اذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة والجملة ينبغي ان تكون في الفصل اشنع واقبح بحسب زيادتها على الفرد وان كان الجميع من ذلك بمتنا

التزول والنظم

لا حول القبله وكثر الخوض في نسخها وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلاة واكثر اليهود والنصارى ذكرها اتزل الله سبحانه هذه الآية عن ابي القاسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود

(١) فرس جواد : سريع والجمع جياد. الاعنة جمع العنان. الصافن من الخيل: القائم على ثلث قوائم والجمع صفون (٢) ذات

الصليل وذات اللجم: الغيل (٣) العيا: المطر. والمحل واللزبة: القحط وشري موضع.

﴿ المعنى ﴾

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلاة فان الصلاة لما امر بها لكونها مصلحة في الايمان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من اللطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلاة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق ولما عليه اليهود من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجبائي والبلخي «ولكن البر من آمن بالله» اي لكن البر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والقراء واختاره الجبائي وقيل ولكن البار اوذا البر من آمن بالله اي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الابيه لمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجازة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته «واليوم الآخر» يعني القيامة ويدخل فيه التصديق بالبعث وحساب الثواب والعقاب «والمتكئة» اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون «والكتاب» اي وبالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه «والنبيين» وبالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون وفيما أدوه الى الخلق صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيامة «وآتى المال» اي وأعطى المال «على حبه» فيه وجوه ﴿احدها﴾ ان الكفاية راجعة الى المال اي على حب المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا (وثانيتها) ان تكون الها راجعة الى من آمن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء في المعنى (وثالثها) ان تكون الها راجعة الى الايتاء الذي دل عليه قوله وآتى المال والمعنى على حبه الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْأَخِذُونَ بِرُؤُوسِ السَّاسَةِ الْأُولِ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قول الملوك عليه (ورابعها) ان الها راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس الله روحه لم نسق الى هذا الوجه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تأثير ذلك ابلغ من تأثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا يحب له لا يستحق الثواب «ذوي القربى» اراد به قرابة المصطفى كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لقاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من ذهب قال اجعلها في قرابتك ويحتمل ان يكون اراد قرابة النبي (ص) كما في قوله قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى وهو الروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام «واليتامى» اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل اراد ذوي اليتامى اي يعطي من تكفل بهم لأنه لا يصح ايصال المال الى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفاً على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفاً على ذوي القربى «والمساكين» يعني اهل الحاجة «وابن السبيل» يعني المتقطع به عن ابي جعفر ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير «والسائلين» اي الطالبين للصدقة لأنه ليس كل مسكين يطلب «وفي الرقاب» فيه وجهان ﴿احدهما﴾ عتق الرقاب بان يشتري ويمتق (والآخر) في رقاب المكاتبين والآية محتملة للأمرين فينبغي ان تحمل عليها وهو اختيار الجبائي والرماني

وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكاة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكاة مما له سبب وجوب كالانتفاع على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل في هذا ايضا ما يخرج به الانسان على وجه التطوع والقرية الى الله لأن ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز حمل على الزكاة المفروضة لانه عطف عليه الزكاة وانما خص هو لانه لا يوجب الاضطرار الا في هو لانه «واقام الصلوة» اي اداها لميقاتها وعلى حدودها «وأتى الزكاة» اي اعطى زكاة ماله «والموفون بعهدهم اذا عاهدوا» اي والذين اذا عاهدوا عهدا او فوا به يعني اليهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والمقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به «والصابرين في البأساء والضراء» يريد بالبأساء البرص والفقر وبالضراء الرجوع والعة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين «وحين البأس» يريد وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلام انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب «او تلك» اشارة الى من تقدم ذكرهم «الذين صدقوا» اي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتموه علما وتمسكوا به عملا عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة «والتقون» اي اتقوا بفعل هذه الحصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان المعنى بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامم انه كان جامعا لهذه الحصال فهو مراد بها قطعا ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء المعصومين لأن هذه الاشياء لا يؤدبها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء.

قوله تعالى (١٧٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُيِّنَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي به ما دل على الفرض قال الشاعر

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَائِبَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

والقصاص والمقاصة والمماوضة والمبادلة نظائر يقال قص اثره اي تلاه شيئا بعد شي. ومنه القصاص لانه يتلو اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني ما فعله هو بالاول مع مراعاة المقتلة ومنه اخذ القصاص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شي. والحرف نقيض العبد والحرف من كل شي. اكرمه واحرار القول ما يؤه كل غير مطبوخ وتحريم الكتابة اقامة حروفها والعفو الترك وعفت الدار اي تركت حتى درست والنوعون العصية ترك العقاب عليها وقيل معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجمع الاخ الاخوة اذا كانوا لأب فان لم يكونوا لأب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين والتأدية والاداء تبليغ الغاية يقال ادى فلان ما عليه وفلان أدى للامانة من غيره

﴿ الاعراب ﴾

فاتباع مبتدأ وخبره محذوف اي فعلية اتباع او خبر لمبتدأ محذوف اي حكمه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع اتباعا وليؤد اداءا ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية

﴿ النزول ﴾

نزلت هذه الآية في حيين من العرب لأحدهما طول على الآخر وكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهر واقسموا

لنتقتل بالمد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح اوكتك حتى جاء الاسلام فاتزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لا يبين سبحانه ان البر لا يتم الا بالايان والتمسك بالشرائع بين الشرائع وبدأ بالدماء والجراح فقال «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم» اي فرض عليكم ووجب وقيل كتب عليكم في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض «القصاص في القتلى» المساواة في القتلى اي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ولاخلاف ان المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض وشبيه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم القصاص في القتلى والاولياء مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية والمقتص منه لافعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين ﴿احدهما﴾ انه فرض عليكم ذلك ان اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه (والثاني) انه فرض عليكم التمسك بما حدَّ عليكم وترك مجاوزته الى ما لم يحل لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لأنه حق الآدمي ويجب على القاتل تسليم النفس «الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى» قال الصادق ولا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي وقال ان قتل رجل امرأة فاراد اولياء المقتول ان يقتلوه ادوا نصف دية الى اهل الرجل وهذا حقيقة المساواة فإن نفس المرأة لاتساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها فيجب اذا اخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الآية ما يمنع من ذلك لأنه لم يقتل لا تقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الآية معمول به وما قلناه مثبت بالاجماع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله «فمن عني له من اخيه شي» فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه من ترك له وصنع عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه لحذف المضاف للعلم به و اراد بالاخ المقتول سماه اما للقاتل فدل ان اخوة الاسلام بينهما لم تقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله اخا للقاتل وقوله شي دليل على ان بعض الاولياء اذا غاسق القود لأن شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عني له من اخيه شي والضمير في قوله له وفي اخيه كلاهما يرجع الى من وهو القاتل اي من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لكنه معلوم ان المراد به من له القصاص والمطالبة وهو ولي الدم والقول الآخر ان المراد بقوله فمن عني له ولي الدم والماء في اخيه يرجع اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخا الولي وهو المقتول الدية ويكون العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال ان لفظ شي منكر والقود معلوم فلا يجوز الكناية عنه بلفظ النكرة فيجب ان يكون المعنى فمن بذل له من اخيه مال وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدري انه يعطيه الدية او جنسا آخر ومقدار الدية او اقل او اكثر فصيح ان يقال فيه شي وهذا ضيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا الوجه في تنكير قوله شي هناك واما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عندنا واما غير اصحابنا من العلماء فلا يستثنونها وقوله «فاتباع بالمعروف» اي فملى العافي اتباع بالمعروف هي ان لا يشدد في الطلب وينظره ان كان مصرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى العفو له «واداء اليه باحسان» اي الدفع عند الامكان من غير مطل وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو الروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل المراد فعل العفو عنه الاتباع والاداء وقوله «ذلك» اشارة الى جميع ما تقدم «تخفيف من ربكم ورحمة» معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة

القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الدية وقوله «فمن اعتدى بعد ذلك» اي بأن قتل بعد قبول الدية او العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام وقيل بان قتل غير قاتله او طلب اكثر مما وجب له من الدية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بيّن له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لمعوم اللفظ «فله عذاب اليم» في الآخرة

قوله تعالى (١٧٩) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَا اُولِي الَاْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ (آية)

﴿ اللّغة ﴾

الاباب العقول واحدها لب مأخوذ من لب النخلة ولب بالمكان واللب به اذا قام واللبّ الببال

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال «ولكم» ايها المخاطبون «في القصاص حيوة» فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه في ايجاب القصاص حياة لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة عن مجاهد وقتادة واكثر اهل العلم (والثاني) ان معناه لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائف عن السدي والعينان جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل اني للقتل الا ان ما في القرآن اكثر فائدة واوجز في العبارة وابتعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تأنيفاً بالحروف المتلانة فاما كثرة الفائدة فلأن فيه جميع ما في قولهم القتل اني للقتل وزيادة معاني منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة الغرض المرغوب فيه وهو الحياة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبه وحكم الله به واما الایجاز في العبارة فإن الذي هو نظير القتل اني للقتل قوله القصاص حيوة وهو عشرة احرف وذلك اربعة عشر حرفاً واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم القتل اني للقتل تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتأليف الحروف المتلانة فإنه مدرك بالحس وموجود باللفظ فإن الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة بعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف الى اللام فاجتماع هذه الامور التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسناً بليغاً وقد اخذه الشاعر فقال

أَبْلَغُ أَبَا مَسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَقَةٌ ﴿٢﴾ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ

وهذا وإن كان حسناً فينبه وبين لفظ القرآن ما بين اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي ذلك ابهام وفي الآية بيان عجيب وقوله «يا اولي الاباب» معناه يا ذوي العقول لأنهم الذين يعرفون العواقب ويتصورون ذلك فلذلك خصهم «لعلكم تتقون» في لعل ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ انه بمعنى اللام اي لتقوا (والثاني) انه للرجاء والطمع كأنه قال على رجائكم وطمعكم في التقوى (والثالث) على معنى التعرض اي على تعرضكم للتقوى وفي تتقون قولان ﴿احدهما﴾ لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد (والثاني) لعلكم تتقون ربكم باجتنب معايبه وهذا ام قوله تعالى (١٨٠) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللّغة ﴾

المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً او فعلاً او اعتقاداً وهو مصدر حق بحيث حقاً

﴿الاعراب﴾

قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم إلا أن الكلام اذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم ان معناه مضي الواو لأن القصة الاولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر بما في الاولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر والوصية ارتفعت لأحد وجهين اما بانه اسم ما لم يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والحيلة في موضع رفع على الحكاية لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين واما العامل في اذا ففيه وجهان ﴿احدهما﴾ كتب فكانه قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض (والآخر) ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها في حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية قائلين اذا حضرنا الموت ففلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق ذلك حقا وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال ويجوز ان يكون مصدر كتب من غير لفظه تقديره كتب كتابا

﴿المعنى﴾

ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهو الوصية فقال «كتب عليكم» اي فرض عليكم «اذا حضر احدكم الموت» اي اسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا عين الباس وملك الموت لأن تلك الحالة تشفه عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا «ان ترك خيرا» اي مالا واختلف في المقدار الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير بما يقع عليه اسم المال وقال ابراهيم النخعي من الف درهم الى خمسمائة وقال ابن عباس الى ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلام انه دخل على موسى له في مرضه وله سبعمائة او ستائة درهم فقال الا اوصي فقال لا ان الله سبحانه قال ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وهذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجة «الوصية للوالدين والاقربين» اي الوصية لوالديه وقرابته «بالمعروف» اي بالشيء الذي يعرف اهل التمييز انه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصي لأن من يملك المال الكثير اذا اوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى الموصى لهم فكانه امر بالطريقة الجميلة في الوصية فليس من المعروف ان يوصي للغي ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين «حقا على المتقين» اي حقا واجبا على من آثر التقوى وهذا تأكيد في الوجوب واختلف في هذه الآية فقيل انها منسوخة وقيل انها منسوخة في الموارث ثابتة في غير الوارث وقيل انها غير منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لأن من قال انها منسوخة بآية الموارث فقوله باطل بأن النسخ بين الخبرين انما يكون اذا تناهى العمل بوجهها ولا تناهى بين آية الموارث وآية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة بتلك مع فقد التناهي ومن قال انها منسوخة بقوله (ع) لا وصية لوارث فقد ابعد لأن الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضي الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين بما يقتضي الظن ولو سلمنا الخبر مع ماورد من الطعن على رواية لخصنا عموم الآية وحملناها على انه لا وصية لوارث بما يزيد على الثلث لأن ظاهر الآية يقتضي ان الوصية جازة لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد بان الاجماع انما هو على انها لا تفيد الفرض وذلك لا يتبع من كونها مندوبا اليها مرغبا فيها وقد روى اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى السكوني عن ابي عبد الله عن ابيه عن علي عليهم السلام قال من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمصيبة وما يؤيد ما ذكرناه ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السلام انه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا في مروءته وعقله وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال ما ينبغي لامرى مسلم ان يبني بيتا الا ووصيته تحت رأسه

قوله تعالى (١٨١) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ المعنى ﴾

ثم اوعده سبحانه على تغيير الوصية فقال «فمن بدله» اي بدل الوصية وغيرها من الاوصياء او الاولياء او الشهود وانما ذكر حملها على الايضا كقوله فمن جاءه موعظة من ربه اي وعظاً والتبديل تغيير الشيء عن الحق فيه بأن يوضع غيره في موضعه «بعد ما سمعه» من الموصي الميت وانما ذكر السماع ليبدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم والسمع «فانما لثمه» اي اثم التبديل «على الذين يبدلونه» اي على من يبدل الوصية ويرى الميت «ان الله سميع عليم» اي سميع لما قاله الموصي من العدل او الجنف عليم بما يفعله الموصي من التصحيح او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع بجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات وفي هذه الآية دلالة على ان الوصي والوارث اذا فرط في الوصية او غيرها لا ياثم الموصي بذلك ولم ينتقص من اجره شيء فانه لا يجازى احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت فانه يوءخذ به في قبره او في الآخرة لما قلناه من انه يدل على ان المبدل لا يوءخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصي به لم يزل ذلك عقابه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه

قوله تعالى (١٨٢) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب موص بالتشديد وقرأ الباقون موص بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

ذكرناها عند قوله ووصى بها ابراهيم

﴿ اللفظة ﴾

الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل في الكلام وفي الامور كلهما يقال جنف علينا فلان واجنف في حكمه وهو مثل الحيف إلا أن الحيف في الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف في احد شقيه ميل على الآخر قال الشاعر في الجنف

إني امرؤٌ منعتُ أرومةَ عاصمٍ ضيبي^(١) وقد جنفتُ عليَّ خصومُ

﴿ الاعراب ﴾

من في قوله من موص يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فوضع الجار

والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله جنفا وبين ظرف مكان لأصلح والضمير في بينهم عائد الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه يدل على الموصي لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثله

أَعْمَى إِذَا مَا جَارِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِي جَارِي الخَدْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ

اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين في هذه الآية ان ذلك يلزم من غير حقا بباطل فاما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال «فن خاف» اي خشى وقيل علم لان في الخوف طرفا من العلم وذلك ان القائل اذا قال اخاف ان يقع امر كذا فكأنه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وقوله الا ان يخافوا الا يقيا حدود الله «من موص جنفا» اي ميلا عن الحق فيما يوصي به فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولين ﴿احدهما﴾ انه خاف ان يكون قد زل في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه من جهة غالب الظن (والثاني) انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جازفيه خاف فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان يوصي به في غير قرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة واجبة والامر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي جنفا وهو ان يعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا اثم ويكون قوله فاصح بينهم اي فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقا غير واقع وهذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام وقوله «او اثما» الاثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف ان يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) «فاصلح بينهم» اي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم «فلا اثم عليه» لانه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسوء الاله اياه فيبين سبحانه لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته للاول بكونه غير مأثوم برده الوصية الى العدل «فان الله غفور رحيم» يعني

٢٧٠ (سورة البقرة) بقية معنى قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا الخ وخاتمة الجزء الاول ج ١

اذا كان يفر الذنوب ويرحم المذنب فاولى واحرى ان يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق

عليه السلام في قوله جنفا او اثما انه بمعنى اذا اعتدى في الوصية وزاد على الثلث وروي ذلك

عن ابن عباس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من حضره

الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع

من زكاته في حياته وبالله التوفيق

آخر المجلد الاول وفرغ من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين

من شعبان سنة ثلاثين وخمسة ومانصر

الامن عند الله وما توفيق الابالله

وقد تصدى لتصحيحه العبدان المتمسكان بكتاب الله المبين

السيد هاشم الرسولى المجلاتى والسيد فضل الله الطباطبائى

اليزدى ولفهما الله تعالى له رضا ته

و عفى عن جرائمهما

بعفوه وغفرانه .



➤ الجزء الثاني ➤

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١٨٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

الصوم في اللغة الإمساك ومنه يقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء نسكت حركته فقد صام صوما وقال النابغة
خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرٌ صَائِمَةٌ
تَحْتِ الْمَسَاجِدِ وَأُخْرَى تَمْلِكُ الْجُمَا
اي قيام وصامت الربيع اي ركعت وضامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار ايضا بمناء قال امرؤ القيس

فَدَعَمَا وَسَلَّ أَلْهَمَ عَنكَ بِحَسْرَةٍ
ذَمُولُهُ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجْرًا (٢)
والصوم ذرق النعام واصل البلب الامساك وهو في الشرع امساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص مهتم هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص فالاسم شرعي وفيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوماً وصياماً

❖ الإعراب ❖

الصيام رَفَعُ بِأَلَمْ يَسْمُ فَاطَهُ وَقَوْلُهُ كَمَا كُتِبَ أَي مِثْلَ مَا كُتِبَ فَمَا هُنَا مَصْدَرِيَّةٌ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كِتَابَةً مِثْلَ كِتَابَتِهِ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَحَذَفَ الْمَصْدَرُ وَاقِيمَ صَفْتَهُ مَقَامَهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ الْكَافِ نَصْبًا عَلَى الْحَالِ مِنَ الصِّيَامِ وَتَقْدِيرُهُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ مَفْرُوضًا أَي فِي هَذِهِ الْحَالِ

❖ المعنى ❖

ثم بيّن سبحانه فريضة اخرى فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي يا ايها المصدقون وروى عن الصادق عليه السلام انه قال : لغة ما في النداء ازال تعجب العبادة والمعنا وقال الحسن : اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارع لها سمك فإنها لا مرتومر به او لنهي تنهى عنه (كتب عليكم الصيام) اي فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وانما خصّ المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولأنّ العبادة لا تصح إلا منهم ووجوبه عليهم لا يتأني في وجوبه على غيرهم وقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) فيه اقوال أحدها انه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم اي كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار ابى مسلم والجائي ❖ وثانيها ❖ انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحوّلوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة الى وقت صلاة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرها وقوله (لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجائي وقيل لتكثروا اتقيا بما لطف لكم في الصيام فإنه اقوى الوسائل والوصل الى الكف

(١) [هو] (٢) الجسر من الابل : العظيم و الاشى الجسرة . الناقة الذمول : التي تسير الذميل اى سيراً ل

من المعاصي كما روي عن النبي (ص) انه قال: خصاء امتي الصوم وسأل هشام بن الحكم ابا عبد الله عن علة الصيام فقال انما فرض الصيام ليستوي به الضفي والفقير وذلك لان الضفي لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الضفي مس الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع

قوله تعالى (١٨٤) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مساكين على اضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرأ الباقون فدية منونة طعام رفع مسكين موحد مجرورا وقرأ حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا يطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروي عن ابن عباس ايضا ينطيقونه ويطوقونه ايضا

﴿ الحجة ﴾

من قرأ فدية طعام مسكين طعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد مسكين جائز وان كان المعنى على الكثرة لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى طعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذي يفدي به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرأ يطوقونه فإنه يفعلونه من الطاقة فهو كقولهم يحشمونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطوق في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه واما من قرأ يطيقونه فإنه يتطيقونه يتفعلونه الا ان الصيغتين ابدلتا ياء كما قالوا في تهوؤ الجوف تهير ويطيقونه يفعلونه منه

﴿ اللغة ﴾

السفر اصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا وانسرفت الاوبل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال المعجاج (سفر الشمال الزبرج المزبرجا) الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر ما لا يظهر الا به وينكشف من اخلاق الناس ما لا ينكشف الا به والوعدة فعلة من الهدى وهي بمعنى المدود كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء يطوقه طوقا وطاقة واطاق إطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا بسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه الامير اي جملة كالطوق في صفة

﴿ الاعراب ﴾

أياما قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان يكون ظرفا كأنه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه الصيام كأن المعنى كتب عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك أعطي زيد المال قال وليس هذا بشيء لأن الايام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لأعطي فلك أن تقيم ايها شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب ايام بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان ﴿٣﴾ احدهما ﴿٤﴾ ان ينتصب على الظرف والآخر ان ينتصب انتصاب المفعول به على السمة فاذا انتصب

على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتت نصته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب ايام^(١) عليه او يا كاتب ايام الصيام وانما جاز اضافة اسم الفاعل او المفعول الى ايام لاجرا جك اياه عن ان يكون ظرفا واتساعك في تقديره اسما واذا كان الامر على ما ذكرناه كان ما منه ابو اسحاق من اجازة من اجاز ان كتب عليكم الصيام اياما بمنزلة اعطى زيد المال جائز غير ممنوع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لأن ذلك وان كان مستقيا في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك اذا حملته على ذلك فصكت بين الصلة والموصول بأجنبي منها وذلك ان اياما تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينها بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر وصلته وليس من واحد منهما واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اي مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلة وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف موضع النصب بانه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول ما هو اجنبي منها على ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام آخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء. وآخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الالف واللام لأن نظائرهما من الصَّر والكَبَر لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صُر ولم تصوموا في موضع رفع بالابتداء. وخير خبره ولكم صفة الخبر

المعنى

(اياما معدودات) اي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا اي محصورا متعينا ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد انها قليلة واختلف في هذه الايام على قولين **الاحدها** انها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطاء وعن ابن عباس وروي ثلاثة ايام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والاخر ان المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فأجمله ولم يبين انها يوم او يومان ام اكثر ثم بين انها ايام معلومات وأنهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال القاضي وهذا اولى لأنه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه (فن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر) عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضاً وهو اسم مع ان الظرف لا يطف على الاسم لأنه وان كان ظرفاً فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضاً او مسافراً فالذي ينوب مناب صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لأنه سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الآية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو للمروي عن ائمتنا فقد روي ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يمد صومه وروي يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تغضب فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروي عبد الرحمن بن عوف قال

(١) [الصيام]. (٢) [في].

قال رسول الله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن ابن عباس انه قال الإفطار في السفر عزيمة وروى أصحابنا عن ابي عبد الله انه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر وعنه (ع) قال لو ان رجلا مات صائماً في السفر لما صليت عليه وعنه (ص) قال من سافر افطر وقصّر الا ان يكون رجلاً سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعاً الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة حتى نزلت هذه الآية بكراخ التميم عند صلاة المهجر فدعا رسول الله باناء فيه ماء فشرّب وامر الناس ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تمنا يوماً هذا فسأهم رسول الله المعصاة فلم يزالوا يستون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله (وعلی الذين يطيقونه) الماء يعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اي يطيقون الصوم خيراً الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم بلوطام مسكين لانهم كانوا لم يتعدوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان الماء يعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعنى بقوله الذين يطيقونه فيه ثلاثة اقوال (اولها) انه باير الناس كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي (وثانيها) ان هذه الرخصة كانت للعوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا (وثالثها) ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مدّ وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق عليه السلام (١) وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صحّ فلم يقض ما فاتة حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم مدّاً من طعام وقوله (فدية طعام مسكين) اختلف في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي عن كل يوم مدّ وعندنا ان كان قادراً فمدان فإن لم يقدر اجزأه مدّ واحد وقوله (فمن تطوع خيراً فهو خير له) قيل معناه من اطعمها اكثر من مسكين واحد عن عطاء وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برّاً في جميع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله (وان تصوموا خيراً لكم) اي وصومكم خيراً لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فأما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خيراً من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلاً وقيل معناه الصوم خيراً لمطيقه وافضل ثواباً من التكفير لمن افطر بالعجز (ان كنتم تعلمون) ان الصوم خيراً لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعمالكم وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل

قوله تعالى (١٨٥) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

﴿ القِرَاءَةُ ﴾

قرأ ابو بكر عن عاصم وتكملوا بالتشديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرأ ابو جعفر السمر واليسر بالتثنية فيهما والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وتكملوا قوله اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرأ وتكملوا فلأن فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما موضع الآخر قال النابتة

فَكَمَلْتَ مَانَةً مِنْهَا حَامَتَهَا وَأَسْرَهْتَ حِجْبَةَ فِي ذَلِكَ الْمَدَدِ

﴿ اللغة ﴾

الشهر معروف وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهاه بالهلال يقال شَهَرْتُ الحديث اظهرته وشَهَرْتُ السيف انتضيته واتان شهيرة عريضة ضخمة واصل الباب الظهور واصل رمضان من المرض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وانما سَمَوَهُ رمضان لانهم سَمَوُا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اساء الله فروي عن مجاهد لا تغل رمضان ولكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار المروية عن النبي (ص) انه قال من صام رمضان اياما واحسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انها سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب اي يمحوها والقرآن امله الجمع لقولهم ما قرأت الناقة سَلَا قَطَّ أَي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقارى لأنه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والإرادة اصلها الواو لأنك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راديرودرو دأ فهو رائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والإرادة بمعنى الطلب للمراد لأنها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الضى والسعة واليسار اليد اليسرى واليسر الجماعة يجتمعون على الجزور في الميسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصلابة يقال عسر الشيء عسرا ورجل عسر يعمل بشماله وعسر الرجل اذا افتقر وضده اليسر ويقال كل الشيء واكلته وكلمته اي قمته

﴿ الإعراب ﴾

شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة اوجه (احدهما) أن يكون خبر مبتدا محذوف يدل عليه قوله اياما لي هي شهر رمضان (والثاني) ان يكون بدلا من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان (والثالث) ان يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي انزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر حتى كأنه قال وفيما كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الالف والنون المضارعتين لانني التأنيث ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين (احدهما) صوموا شهر رمضان والآخر على البدل من قوله اياما فقوله هدى في موضع النصب على الحال اي هاديا للناس وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فالشهر يتنصب على انه ظرف لا هلى انه مفعول به لأنه لو كان مفعولا به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احييت شهر رمضان يكون مفعولا به فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذا لم يكن مفعولا به قلنا لأن الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله وانما عطف الظرف على الاسم في قوله ومن كان مريضا او على سفر لأنه بمعنى الاسم فكأنه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله وتكملوا المدة ففيه وجهان (احدهما) انه عطف جملة على جملة لأن بعده محذوفا وتقديره وتكملوا المدة شرع ذلك أو اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي وليكون من الموقنين اربناه ذلك (والثاني) ان يكون عطفا على تأويل محذوف ودل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه قد فعل ذلك

(١) السلا كحصى : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشى .

ليسهل عليكم فجاز وتكملوا العدة عطفًا عليه قال الشاعر

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَةٍ مَعَ الْبَيْلِ
وَمَشَجَّجٌ أَمَا سِوَاءٍ قَدَالِهِ
إِلَّا رَوَاكِدَ جَرْمَنٍ هَبَاءٍ
فَبَدَأَ وَغَيْبَ مَارَةَ الْمَرْزَأِ (١)

أي سائرته فحفظ على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والاول قول الفراء

المعنى

ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال (شهر رمضان) أي هذه الأيام المحدودات شهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر الذي انزل فيه القرآن (فبين أنه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه انزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والإيمان ثم اختلف في قوله انزل فيه القرآن فقيل إن الله انزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم انزل على النبي بعد ذلك نجومًا في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل إن الله تعالى ابتداء أنزله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن اسحاق وقيل أنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل على مواقع النجوم أسلافًا في الشهور والأيام عن السدي بسنده إلى ابن عباس وروى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) أنه قال انزلت عن أبي إبراهيم ثلاث مضي من شهر رمضان وفي رواية الواحد في أول ليلة منه وانزلت توراة موسى لست مضي من شهر رمضان وانزل أنجيل عيسى لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وانزل زيور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن أبي عبد الله عن أبيه عن النبي (ص) وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن أنه انزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل انزل الله في الزكاة كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله (هدى للناس) أي هاديا للناس ودالًا لهم على ما كلفوه من العلوم (وبيئات من الهدى) أي ودلالات من الهدى وقيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وباللثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل اراد بالأول ما كلف من العلم وباللثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشراعتهم وأخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم والقاضي وقوله (والفرقان) أي وما يفرق بين الحق والباطل وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي الورد عن أبي جعفر قال خطب رسول الله (ص) الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه قد أظلمتكم شهر في ليلة خير من ألف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدت فريضة من فرائض الله فيما سواه ومن أدت فيه فريضة من فرائض الله كان كمن أدت سبعين فريضة من فرائض الله فيما سواه من الشهور وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين ومن قَطَرَ فيه مؤمنًا صائمًا كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى فقل له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائمًا قال فإن الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائمًا أو شربة من ماء عذب أو تيمرات لا يقدر على أكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى بكم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله في حوائجكم والجنة وتسالون الله فيه العافية وتتوذون به من النار وفي رواية

(١) باد : هلك . المشجج : الوند . وقدال : جماع مؤخر الرأس والضمير يعود إلى مشجج . والمَرْزَأُ مؤنث الامتن : المكان

الصلب الكبير الحجارة والحصى (٢) ما بين المعقنين إنما هو في نسخة صيدا دون غيرها . وكذا ما سيأتي .

سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادة أن لا إله إلا الله وتبشرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار وقال رسول الله نوم الصائم عبادة وصته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فيه وجهان (احدهما) فمن شهد منكم المصروع حضر ولم ينب في الشهر والالف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جيئمه وهذا معنى ما رواه زرارة عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عقلها قال من شهد شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وقد روي أيضا عن علي وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين أنهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله (والثاني) من شاهد منكم الشهر مقيا مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وإن كان موصولا به في التلاوة لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوة بل عند الاتزال والاول اقوى وقوله (ومن كان منكم مريضا او على سفر فعده من ايام أخر) قد مضى تفسيره في الآية المتقدمة وحّد المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروي ابو بصير قال سألت ابا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الافطار قال هو موثق عليه مفوض اليه فإن وجد ضعا فليفطر وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروي أيضا أن ذلك كل مرض لا يقدر على القيام بمقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء. واما السفر الذي يوجب الافطار عندنا فما كان مباحا أو طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعي ستة عشر فرسخا وعند ابي حنيفة اربعة وعشرين فرسخا واختلف في العدة من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هي على التضييق إذا برى المريض او قدم المسافر وقال ابو حنيفة موسع فيها وعندنا موقت بها بين رمضانين وتجوز متابعة ومتفرقة والتابع افضل فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء به قال الشافعي وقوله (يريد الله بكم اليسر) أي في الرخصة للمريض والمسافر إذ لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر في جميع أموركم (ولا يريد بكم العسر) أي التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لانه يبيّن أن في أفعال المكلفين ما يريد سبحانه وهو اليسر وفيها ما لا يريد وهو العسر ولا يريدهم العسر فإن لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله (وتكملوا العدة) تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم ولأن تكملوا أي تتوا عدة ما افطرتم فيه وهي أيام السفر والمرض بالقضاء اذا اقتسمت وبرأتم فتصوموا القضاء بمدد ايام الا فطاروا على القول الاخر فتقده به ولا كمال العدة شرع الرخصة في الافطار ويحتمل ان يكون معناه وتكملوا عدة الشهر لانه مع الطاقة وعدم المذر يسهل عليه اكمال العدة والمريض والمسافر يتمر عليهما ذلك فيكملان العدة في وقت آخر ومن قال ان شهر رمضان لا ينتص ابدا استدلل بقوله وتكملوا العدة وقال بين تعالى أن عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال ولا يدخلها نقصان ولا اختلال فالجواب عنه من وجهين (احدهما) ان المراد اكلوا العدة التي وجب عليكم صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين والآخر ما ذكرناه من أن المراد راجع الى القضاء ويؤيده انه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله (ولتكبروا الله على ما هداكم) المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات المغرب والعشاء الآخرة والقداء وصلاة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتمظنوا الله على ما ارشدكم له من شرائع الدين (وللمك تشكرون) أي تشكروا الله على نعمه

قوله تعالى (١٨٦) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (آية)

اللغة

أجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر

وَدَاعِ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ لِي الْبَدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُحِبٌ

أي لم يهجه وقال المبرد بينهما فرق وهو ان في الاستجابة معنى الإذعان وليس ذلك في الإجابة واصله من الجوب وهو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوبا اذا قطعها واجتاب الظلام بمعناه والجابة والإجابة بمعنى والصحيح ان الجابة والطاعة والطاقة ونحوها اسما بمعنى المصادر وأجاب عن السؤال جوابا وانجاب السحاب اذا انقشع واصل الباب القطع فإجابة السائل القطع بما سأل لأن سؤاله على الوقف أي يكون أم لا يكون والرشد تقيض النبي رُشد يرُشد رُشدا ورُشد أورجد رُشيدو ولد فلان لرُشدة خلاف لزنية واصل الباب اصابة الخبير ومنه الإرشاد وهو الدلالة على وجه الإصابة للخير

الإعراب

إذا ظرف زمان للفعل الذي يدل عليه قوله فأني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان تقديره فأخبره يا محمداني بهذه الصفة ولا يجوز ان يعمل فيه قريب أو اجيب لأن معمول إن لا يجوز ان يعمل فيما قبل إن لما بين في موضعه وقوله اجيب في موضع رفع بأنه خبر إن أيضا فهو خبر بعد خبر

النزول

روي عن الحسن ان سأل أسأل النبي (ص) اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقال قتادة نزلت جوابا لقوم سألو النبي كيف ندعو

المعنى

لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء ومكانه منه وإجابته اياه فقال (وإذا سألك عبادي عني) الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن فعله لقوله سبحانه (فأني قريب) وفيه حذف أي فقل فاني قريب فدل بهذا على انه سبحانه لا مكان له اذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه وقيل معناه اني سريع الاجابة الى دعاء الداعي لأن السريع والقريب متقاربان وقيل معناه اني اسمع دعاء الداعي كما يسمعه القريب المسافة منهم فجاءت لفظة قريب بحسن البيان بها فأما قريب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لأن ذلك انما يتصور فيمن كان متمكنا في مكان وذلك من صفات المحدثات وقوله (أجيب دعوة الداع اذا دعان) مفهوم المعنى وقوله (فليستجيبوا لي) قال ابو عبيدة معناه فليجيبوني فيما دعوتهم اليه وقال المبرد والسراج معناه فليذعنوا للحق بطلب موافقة ما أمرتهم به ونهينهم عنه وقال مجاهد معناه فليستجيبوا لي بالطاعة وقيل معناه فليدعوني وروي عن النبي (ص) اعجز الناس من عجز عن الدعاء وابتخل الناس من بخل بالسلام (وليؤمنوا بي) أي وليصدقوا بجميع ما انزلته وروي عن أبي عبد الله أنه قال وليؤمنوا بي أي وليتحققوا أني قادر على اعطائهم ما سألوهم (لعلهم يرشدون) أي لعلهم يصيبون الحق ويهتدون اليه فأذا سئل قيل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان فالجواب أنه ليس احد يدعو الله على ما توجه الحكمة إلا أجاهبه الله فإن الداعي إذا دعاه يجب ان يسأل ما فيه صلاح له في دينه ولا يكون

فيه ففسدة له ولا فغيره ويشترط ذلك بلسانه او ينويه بقلبه فانه سبحانه يحبه إذا اقتضت المصلحة اجابته او يؤخر الإجابة إن كانت المصلحة في التأخير وإذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء واجابته فجوابه ان الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها لما في ذلك من اظهار الخضوع والالتقياد إليه سبحانه وايضا فإنه لا يمنع أن يكون وقوع ما سأله انما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففي الدعاء هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي (ص) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدى خصال ثلاث إما أن يجعل دعوته وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما ان يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله اكثر وفي رواية انس بن مالك الله اكثر واطيب ثلاث مرات وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن الصبد يدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرائيل لا تقض لبعدي هذا حاجته وأخرها فإني أحب ان لا ازال اسمع صوته وإن البديل يدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبرائيل اقض لبعدي هذا حاجته باخلاصه وعجلها فإني اكره ان اسمع صوته وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ربما اخرت عن الصبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لأجر السائل واجزل لإعطاء الأمل وقيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه واكتتم نعمة الله فلم تودوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتوه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفتهم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتهم عيوبكم واشتغلتم بميوب الناس

قوله تعالى (١٨٧) احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختلون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان بأشروهن وأبتنوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (آية)

اللغة

الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكتمى به عن الجماع قال العجاج « عن اللعاورفت التكلم » قال الاخفش انما عدت بالي في الآية لأنه بمعنى الإفضاء واللباس الثياب التي من شأنها ان تستر الابدان ويشبهه به الاغشية فيقال لبس السيف بالحلية والعرب تسمي المرأة لباسا وازارا قال الشاعر

إذا ما الضجيع ثنى عطفه تفتت فكانت عليه لباسا

وقال

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدي لك من أخي ثقة إزاري

قال اهل اللغة معناه امرأتي والاختيان الحيانة يقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا (وخائنة الأعين) مسارقة النظر الى ما لايجل واصل الباب منع الحق، والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية (والخيط الأبيض) بياض الفجر (والخيط الأسود) سواد الليل فأول النهاء طلوع الفجر الثاني لأنه اوسع ضياء. قال ابو داود

فلما أضأت لنا غدوة ولأح من الصبح خيط أارا

(١) وفي جملة من النسخ «والافتقار اليه» بدل «والالتقياد اليه». (٢) وفي المخطوطتين «لمطاء» عوض «لاعطاء».

والحيط في اللغة معروف يقال خاطه يحيطه خيطا وخياطة والحيط القطيع من النعام ونعامة خيطا. قيل خيطها طول قصها وعنتها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الإسلام مجتمعة وابتناضهم أي استأصلوهم بمعنى اقتلوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة الماء والشجر الذي تسود به الأرض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده دمه الذي فيه وقيل حبة القلب والكوف والاعتكاف اصله اللزوم يقال عكفت بالمكان أي اقمت به ملازما له قال الطرمح

فَبَاتَ بِنَاتُ اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ عَكْفًا عُكُوفَ الْبَوَاكِي بَيْنَهُنَّ صَرِيحٌ

وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص للعبادة (والحد على وجوه) الحد المنع وحدود الله فرائضه قال الزجاج هي ما منع الله من مخالفتها والحد جلد الزناني وغيره والحد حد السيف وغيره والحد حد الدار والحد فرق بين الشينين والحد نهاية الشيء التي تمنع من أن يدخله ما ليس منه أو أن يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد الجامع المانع والحداد البواب قال الأعشى

فَقُمْنَا وَلَا يَصِحُّ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ (٢) عِنْدَ حَدَادِهَا

يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك أهدت المرأة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد إنما سمي حديدا لأنه يستنوع به من الأعداء فأصل الباب المنع

﴿ النزول ﴾

روى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبي عبد الله قال كان الأكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله وكله بفهم الشعب يوم أحد في خمسين من الرماة وفارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيئا ضعيفا وكان صانها فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفتقر فلما انتبه قال لأهله قد حرم علي الأكل في هذه الليلة فلما اطمح حضر حفر الخندق فأغمي عليه فرآه رسول الله فرقق له وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله هذه الآية فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر واختلفت العامة في اسم هذا الرجل من الانتصار فقال بعضهم قيس بن صرمة وقيل أبو صرمة وقيل أبو قيس بن صرمة وقيل صرمة بن إياس وقالوا جاء إلى رسول الله فقال عملت في النخل نهاري أجمع حتى إذا أمسيت فأتيت أهلي لتطمئني فأبطأت فنمت فابقطوني وقد حرم علي الأكل وقد أمسيت وقد جهدي الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر إليك من مثله رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فأتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فقتلت الآية عن ابن عباس والسدي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الأحكام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) أي الجماع وقال ابن عباس إن الله سبحانه حيي يكتفي بما شا. إن الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع وقال الزجاج الرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تعريما متقدما أزيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون في غدها الصوم وروى عن أبي جعفر والي عبد الله كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر إلا أول ليلة من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآية والأشبه أن يكون المراد به ليالي الشهر كله وإنما وحده لأنه اسم جنس يدل على الكثرة (هَنَ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهن كما قال (وجعلنا الليل لباسا) أي سكننا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلبسونهن

(١) بنات الليل و بنات الصدر : الهوم . الصريع : المصروع . المجنون . (٢) الجونة : الخاية المطلية بالقار والمراد ما فيها من الخمر .

وتخالطونهم بالمساكنة اي قل ما يبصر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يليه فلما كانا يتلاصقان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا لصاحبه وقال الربيع من فراش لكم وانتم خلف لمن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) لما حرم عليهم الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكروهم الله بالنعمة في الرخصة التي نصفت تلك التعمية فقال علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بالمعصية اي لا تؤذون الأمانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتئاب ما نهيتهم عنه فخفضه الله عنكم (فتاب عليكم) اي قيل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال التشديد عنكم (وعفا عنكم) فيه وجهان (احدهما) غفر ذنوبكم والآخر ازال تحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم (فالآن باشروهن) بالليل اي جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة (واجنوا ما كتب الله لكم) فيه قولان (احدهما) اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله وجاء ان يرزقه الله ولدا يمده ويسبح له والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بينه في كتابه فإن الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بنزائمه وقوله (كلوا واشربوا) اباحة للاكل والشرب (حتى يتبين لكم) اي ليظهر ويتبين لكم على التحقيق الحيط الابيض من الحيط الاسود اي النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما شبه ذلك بالحيط لأن القدر الذي يحرم الافطار من البياض يشبه الحيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار (من الفجر) يحتمل - من - معنيين (احدهما) ان يكون بمعنى التمييز لأن المعنى من بياض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دريد والآخر انه للتمييز لأنه بين الحيط الابيض فكانه قال الحيط الابيض الذي هو الفجر وروي ان عدي بن حاتم قال للنبي اني وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لي فضحك رسول الله حتى رويت نواجزه ثم قال يا ابن حاتم اما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين تعالى الانتهاء فقال (ثم اتوا الصيام الى الليل) اي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطيل المقترض الذي يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والافاق غابت الشمس مع ظهور الافاق في الأرض المبسوطة وعدم الخيال والروائي فقد دخل الليل وقوله (ولا تباشروهن) في معناه قولان فهنا (احدهما) أنه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة (والثاني) انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبا وقوله (وانتم عاكفون في المساجد) اي متكفون اي لا تباشروهن في حال اعتكافكم في المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا الا في احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد إلا أن مالكا قال انه يقتصر بالجماع ولا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعي يصح بغير صوم وعندنا لا يكون الا في ثلاثة ايام وعند ابي حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعي ماشاء ولو ساعة واحدة وفي الآية دلالة على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلا ونهارا لأنه علق المباشرة بطل الاعتكاف وقوله (تلك حدود الله) تلك اشارة الى الاحكام المذكورة في الآية حدود الله حرمان الله عن الحسن وقيل معناه مقاصي الله عن الضحاك وقيل مامنع الله منه عن الزجاج (فلاتقربوها) أي فلا تأتوها وقيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة (كذلك) اي مثل هذا البيان الذي ذكر (يبين الله آياته للناس) اي حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه (لعلهم يتقون) اي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه وابعاهم إياها وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد التقوى من جميع الناس

قوله تعالى (١٨٨) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به خبراً كان أو اعتقاداً أو ظناً أو تخيلاً والحكم هو الذي يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر ويقال أدلى فلان بحجته إذا أقامها وهو من قولهم ادليت الدلو في البئر إذا أرسلتها ودلوها إذا أخرجتها فمعنى قولهم ادلى بحجته أرسلها واتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بإرسال الدلو في البئر وجهان (أحدهما) أنه تعلق بسبب الحكم كتملق الدلو بالسبب الذي هو الجلب (الثاني) أنه يمضي فيه من غير تثبيت كبضي الدلو في الإرسال من غير تثبيت والفريق القطيعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس أو من غيرهم والإثم الفعل الذي يستحق به الذم

﴿ الإعراب ﴾

وتدلو محله جزم على النهي عطفاً على قوله ولا تأكلوا ويحتمل أن يكون نصبا على الظرف ويكون نصبه بإضمار أن كقول الشاعر

لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَمَّيْمٌ

أي لا تجمع بينهما

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه شريعة من شرائع الإسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالقبض والظلم والوجوه التي لا تحل كقوله ولا تقتلوا أنفسكم أي ولا يقتل بعضكم بعضاً وقيل معناه لا تأكلوا أموالكم بالهوى واللغو مثل ما يؤخذ في القمار والملاهي لأن كل ذلك من الباطل وروي عن أبي جعفر أنه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقطع بها الأموال وروي عن أبي عبد الله قال كانت قريش يقامر الرجل في أهله وماله فنهاهم الله والأولى حملته على الجميع لأن الآية تجتم على الكل (وتدلوا بها إلى الحكام) وتقرأ بها إلى القضاة وقيل فيه أقوال (أحدهما) أنه الرذائع وما لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة (وثانيها) أنه مال اليتيم في يد الأوصياء لأنهم يدفعونه إلى الحكام إذا طولوا به ليقطعوا بعضه وتقوم لهم في الظاهر حجة عن الجبائي (وثالثها) أنه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبي والأولى أن يحمل على الجميع (لتأكلوا فريقتا من أموال الناس بالإثم) أي لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر وكان الأمر في الباطن بخلافه وانتم تعلمون أن ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا أشد في الزجر وقال أبو عبد الله (ع) علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله المؤمنين أن يتعاطوا اليهم وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق وهذا يدل على أن الإقدام على المعصية مع العلم أو مع التمكن من العلم أعظم

قوله تعالى (١٨٩) بَسَّالُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا أَنْتُمْ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير، وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ واخواتها بكسر اوائلها إلا الغيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر إلا الجيوب وقالون يكسر منها البيوت فقط والباقون بالضم

﴿ الحجة ﴾

من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل اليا. أبدل من الضمة الكسرة لأن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة لما كسر الفاء من عيئة ونيب في تصغيرين وثاب وإن لم يكن في أبنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها. ومن ضمها فعلى الأصل لأنها فُعول

﴿ اللغة ﴾

الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح وقولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره يقال أهل الهلال واستهل ولا يقال أهل ويقال أهلنا الهلال وأهلنا شهر كذا أي دخلنا فيه وقد اختلف في تسميته هللاً كما يسمى ومتى يسمى قرأ فقال بعضهم يسمى هللاً ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هللاً إلى أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هللاً ثلاث ليال ثم يسمى قرأ وقال بعضهم يسمى هللاً حتى يجتجر وتجره أن يستدير بحجة دقيقة وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم يسمى هللاً حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبورقان واسم دارته الهالة واسم ضوءه الفضة والميقات مقدار من الزمان جعل علماً لما يقدر من العمل والتوقيت تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الخلق والإهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبرالنفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقول منه بوبه تبويبا إذا جعله ابوابا والبواب الحاجب لأنه يلزم الباب والباب القطة من الشيء كالباب من الجملة

﴿ الإعراب ﴾

قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنة للناس والباء في قوله بأن تأتوا مزيدة لتأكيد النفي وان تأتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بأنها خبر ليس وقوله (ولكن البر من اتقى) قيل فيه وجهان (أحدهما) ان تقديره (ولكن البر من اتقى) كما قلناه في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) (والآخر) ان تقديره (ولكن الباد من اتقى) وضع المصدر موضع الصفة

﴿ النزول ﴾

روي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكفرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين شريعة أخرى فقال (يسألونك عن الأهلة) أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج أي هي مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطرمهم وعدد سناتهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه ان وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه من صلة بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مدورا أبدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد وأنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على ان الأهلة هي المعتبرة في المواقيت

والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد لحص التوقيت بالعدد دون روية الالهة لأن عند اصحاب العدد لا عبرة بروية الالهة في معرفة المواقيت وقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) فيه وجوه (احدها) انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينتحبون في ظهر بيوتهم أي في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطاء ورواه ابو الجارود عن أبي جعفر (ع) وقيل إلا أن الحُسَّ وهو قريش وكنانة وخزاعة وتقيف وجشم وبنو عامر ابن صعصعة كانوا لا يفتلون ذلك وإنما سوا حَسًا لشدهم في دينهم والحساسة الشدة وقيل بل كانت الحس تفعل ذلك وإنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شي (وثانيها) ان معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها وينبغي أن تأتوا الأمور من جهاتها أي الأمور كان وهو المروي عن جابر عن أبي جعفر (وثالثها) ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله وإنما البر طلب المعروف من أهله ولكن البر من اتقى قد مرَّ معناه (وأتوا البيوت من أبوابها) قدمضى معناه وقال ابو جعفر آل محمد ابواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة وقال النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا توتق المدينة إلا من بابها ويروى أنا مدينة الحكمة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله (ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بقوله (يسألونك عن الألهة) انه لما بين أن الألهة مواقيت للناس والحج وكانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) وقيل انه لما بين أن أمورنا مقدرة بأوقات قرن به قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) اي فكما ان أموركم مقدرة بأوقات فلتكن أفعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما أمر الله به والانتهاه عن ما نهى عنه لأن اتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به

قوله تعالى (١٩٠) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَمَدُّوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَمَدِّينَ (آية)

﴿ اللغاة ﴾

القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والقتال محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حده

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا الفاواربعمائة فصاروا حتى نزلوا الحديبية فصدَّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبية ثم صالحهم المشركون على أن يرجع مسن عامه ويعود العام القابل ويحلوا له مكة ثلاثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي (ص) واصطحبه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تقب لهم قريش بذلك وأن يصدَّوهم عن البيت الحرام ويقاثلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله هذه الآية وعن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله ويكف عن من كف عنه حتى نزلت (اقتلوا المشركين حيث وجدتهم) فنسخت هذه الآية

المعنى

ثم بين سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطباً للمؤمنين (وقاتلوا) أي مع الكفار (في سبيل الله) أي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما أمرهم به ودعاهم إليه (الذين يقاتلونكم) قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. وقيل انهم أمروا بقتال أهل مكة والأولى حمل الآية على العموم إلا من أخرجه الدليل (ولا تعتدوا) أي ولا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال (إن الله لا يحب المعتدين) ظاهره يقتضي أنه يسخط عليهم لأنه على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروى عن ابن عباس ومجاهد أنها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذاري وقيل أمر بقتال أهل مكة وروى عن أئمتنا (ع) أن هذه الآية ناسخة لقوله كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وكذلك قوله (واقتلوهم حيث تقبسونهم) ناسخ لقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم)

قوله تعالى (١٩١) **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَأَلْفَتْهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (آية)**

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كل بغير الف والباقون بألف في جميع ذلك

* الحجة *

من قرأها بغير الف فإنما اتبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الألف ومن قرأ بالألف فقال إننا تحذف الألف في الخط كما في الرحمن

اللغة

تقته أتقته ثقفاً وتقافة أي وجدته ومنه قولهم رجل ثقف أي يجد ما يطلبه وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفاً بالتحريك فهو ثقف إذا كان سريع التعلم والثقاف حديثة يقوم بها الرماح الموجة والثقيف التقويم والفطنة أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله فتناك فتونا أي ابتليتناك ابتلاءً على أثر ابتلاء ومنها المذاب كقوله جمل فتنة الناس كذاب الله ومنها الصّد عن الدين نحو قوله واحذرهم ان يفنوك عن بعض ما أنزل الله اليك والمراد بها في الآية الشرك بالله وبرسوله

* الأعراب *

حيث فيه ثلاث لغات ضمّ التاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة أيه فيجري لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء كما فتمت أين وكيف والكسر لاجل أنه الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جرّ بإضافة حيث إليها في الموضعين وتقاتلوا منصوب باضمار أن وهو صلة ان والموصول والصلته في محل جر مجتى وحتى يتعلق بتقاتلوا

* النزول *

نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فباؤوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه أن الفتنة في الدين وهو الشرك أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان غير جائز

* المعنى *

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبيّنًا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال (واقتلوهم أي الكفار حيث تقفتم) أي وجدتمهم (واخرجوهم من حيث أخرجوكم) يعني أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها (والفتنة أشد من القتل) أي شرّ بهم بالله وبرسوله أعظم من القتل في الشهر الحرام. وسمي الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختيار وقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) نهي عن ابتدائهم بقتال أو قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك (فإن قاتلوكم) أي بدأوكم بذلك (فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) إن يقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكة كقوله حتى لا تكون فتنة والسنة قد وردت أيضاً بذلك وهو قوله لا يجتمع في جزيرة العرب دينان

قوله تعالى (١٩٢) فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

* اللفظة *

الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء إلى الفعل بصيغة افعل مع إرادة الأمر لذلك والنهي المنع من الماء إن يفيض والنهي بمنزلة المنع ونهاية الشيء غاية والنهي جمع نهي وهي العقول والتناهي هي المواضع التي تنهبط فينهاي إليها ماء السماء واحداً تنهية والانهاه ابلاغ الشيء نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم

* المعنى *

(فإن انتهوا) أي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره (فإن الله غفور رحيم) فاختصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه وفيه الدلالة على أنه يقبل توبة القاتل عمداً لأنه بين عز اسمه أنه يقبل توبة المشرك والشرك أعظم من القتل

قوله تعالى (١٩٣) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (آية)

* اللفظة *

الدين ههنا الإذعان بالطاعة كما في قول الأعشى
هُودَانِ الرَّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الدِّينَ
نَ دِرَاكًا بِفَرْزِقٍ وَصِبَالٍ (١)
وقبل هو الإسلام وأصل الدين العادة قال الشاعر

تَقُولُ إِذَا دَرَأَتْ لَهَا وَضِيئِي
أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

(١) الرباب بالكسر: قبيلة.

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ما كان يأخذناخاه في دين الملك وبمبنى الإسلام في قوله (ان الذين عند الله الإسلام) لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمرة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى غاية وجوب القتال وقال يخاطب المؤمنين (وقاتلوم حتى لا تكون فتنة) أي شرك عن ابن عباس وقادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) (وَيَكُونُ الدِّينَ لِلَّهِ) وحتى تكون الطاعة لله والاقبال لا أمر الله وقيل حتى يكون الإسلام لله أي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الإسلام على الأديان كلها (فإن انتهوا) أي امتنعوا من الكفر واذعنوا للإسلام (فلا عدوان إلا على الظالمين) أي فلا عقوبة عليهم وإنما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمي القتل عدواناً من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لاذواج الكلام والمزاوجة هنا إنما حصلت في المعنى لأن التقدير فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال فيه لأن فيها إيجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام عن الحسن والجبائي وعلى ما ذكرناه في الآية الأولى عن ابن عباس أنها غير منسوخة فلا تكون هذه الآية ناسخة بل تكون مؤكدة وقيل بل المراد بها أنهم إذا ابتدأوا بالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر

قوله تعالى (١٩٤) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

إنما سمي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو التبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والتصاص الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه واعتدى عليه وعدي عليه بمعنى مثل قرب واقرب وجلب واجتلب وقيل إن في اقتل مبالغة ليست في فعل

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله تعالى القتال في الشهر الحرام فقال (الشهر الحرام بالشهر الحرام) المراد بها هاهنا ذو القعدة وهو شهر الصّدّ عام الحديبية والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمعرم وواحد فرد وهو رجب كلنا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء وإنما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وقيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أي في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فعذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل أنه الشهر الحرام على جهة العرض لما فات في السنة الأولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتزتم وقضيت منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صدتم فيه عن البيت ومنعم عن مرادكم في سنة ست (والعمرات قصاص) قيل فيه قولان (أحدهما) أن العمرات قصاص بالمرأغة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لأن قريشا فخرت بردها رسول الله (ص) عام الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة ففضى عمرته وأقصه بما حيل بينه وبينه وهو معنى قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروي عن ابن عباس

(١) أي متتابعة . (٢) [قول].

وأبي جعفر الباقر مثله والثاني ان الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً قال الحسن ان مشركي العرب قالوا لرسول الله أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وإنما أراد المشركون أن يترؤه^(١) في الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أي ان استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والحياتي وإنما جمع الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الأحرار وقيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازلة (فن اعتدى عليكم) أي ظلمكم (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي جازوه باعتدائه وقابلوه بمثله والثاني ليس باعتداء على الحقيقة ولكن ساء اعتداء لأنه مجازاة اعتداء وجعله مثله وإن كان ذلك جوراً وهذا عدلاً لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق لأنه ضرر كما ان ذلك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة لهم أو يريد ان نصره الله معهم وأصل مع المصاحبة في المكان أو الزمان وفي هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئاً وأتلفه يلزمه رد مثله ثم ان المثل قد يكون من طريق الصورة في ذوات الأمثال ومن طريق المعنى كالقائم فيها لا مثل له

قوله تعالى (١٩٥) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الإنفاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إنفاقاً. والإلقاء تصيير الشيء إلى جهة السفلى وقد يقال القى عليه مسألة مجازاً كما يقال طرح عليه مسألة وقد يقال لكل من أخذ في عمل القى يديه إليه وفيه قال لبيد حتى إذا ألقى يداً في كافرٍ وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامها^(٢) يعني الشمس أي بدأت في المغيب. التهلكة والهالك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين إلا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاجته إلى الهلاك وأصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو ومنه يقال للكافر هالك وللعذب هالك والعلوك الفاجرة والهالكى الحداد وأصله ان بني الهالك بن عمرو كانوا قيوناً فنسب إليه كل قين والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لأن مستوفي الدين لا يسمى محسناً وإن كان فعله حسناً ولا يقال ان القديم تعالى بفعل العقاب محسن وإن كان العقاب حسناً وإنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال انه محسن إليه

﴿ الإعراب ﴾

الباء في قوله تعالى بأيديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر ولقد ملأت على نصيب جلدته بمساقرة إن الصديق يعاتب^(٣) أي ملأت جلدته مساقرة وقيل ليست الباء زائدة ولكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكني عنه فتقول فطعت به ويقال أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال التعدية (والآخر) انه لما كان معناه لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره

﴿ المعنى ﴾

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الإنفاق فيه فقال (وانفقوا في سبيل الله) معناه وانفقوا

(١) وفي جملة من النسخ «يفتروه» بدل «يفتروه». (٢) قوله وأجنَّه أى أخفى الظلام. عورات الثغور أى خللها.

(٣) القيون جمع القين وهو الحداد. نصيب كـزبير : اسم رجل.

فمحل مكة (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) أي من مرض منكم مرضا يحتاج فيه إلى الحلق للمداواة أو تأذى بهوأم رأسه أبيض له الحلق بشرط الفدية وروى أصحابنا أن هذه نزلت في إنسان يعرف بكعب بن عجرة وأنه كان قد قتل رأسه وقوله (فدية) أي فحلق لذلك العذر فطيه فدية أي بدل وجزا. يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقة أو نسك المروي عن أئمتنا أن الصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين وذوي على عشرة مساكين والنسك شاة وهو بخير فيها وقوله (فإذا أمنتم) معناه فإذا أمنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى) فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثني عشر ميلا من كل جانب إلى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة إلى الحج أن ينشئ الأحرام في أشهر الحج ثم يدخل إلى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من أحرامه ثم ينشئ أحراما آخر للحج من المسجد الحرام ويخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر ويبقي بأفعال الحج على ما هو مذکور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدى واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف في أنه نسك أو جبران وعندنا أنه نسك (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فمن لم يجد الهدى ولا ثمنه فطيه صيام ثلاثة أيام في الحج وعندنا أن هذه الأيام الثلاثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وإن صام في أولها لمشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما آخر بعد انقضاء أيام التشريق وإن فاته صوم يوم التروية أيضا صام الأيام الثلاثة بعد أيام التشريق متتابعات وقوله (وسبعة إذا رجعت) أي وسبعة أيام إذا رجعت إلى بلادكم وأهاليكم وبه قال قتادة وعطاء وقيل معناه إذا رجعت من منى فصورها في الطريق عن مجاهد والأول هو الصحيح عندنا وقوله (تلك عشرة كاملة) فيه أقوال (أحدها) أن معناه كاملة من الهدى إذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر واختاره الجبائي (وثانيها) أنه لازالة الإبهام لتلا يظن أن الواو بمعنى أو فيكون كأنه قال فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعت لأنه إذا استعمل أو بمعنى الواو جاز أن يستعمل الواو بمعنى أو كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فالواو ههنا بمعنى أو فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج وأبي القاسم البلخي (وثالثها) أنه إنما قال كاملة للتوكيد كما قال جرير

ثَلَاثٌ وَأَتْنَانٌ فَهِنَّ خَمْسٌ
وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى سَبْعٍ

وقوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يعجزهم مجراهم وإغماهم لم يكن من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلا من كل جانب (واتقوا الله) فيما أمركم بهونهاكم عنه (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن عصاه . الحديث روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام أن رسول الله (ص) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل عليه وأذن في الناس الآية فأمر المؤذنين أن يؤذنوا على أصواتهم بأن رسول الله يحج من عامه هذا فلم يبع من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عنده الشجرة فصلى فيه الظهر وأحرم بالحج ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما وقف رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرائيل وأومى بيده إلى خلفه يأمرني أن أمر من لم يسق هديا أن يحل ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ولكنني سقت الهدى ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل حتى يبلغ هذا الهدى محله فقال له رجل من القوم انخرج حجاجا وروشنا تقطر فقال إنك لن تؤمن بها أبدا فقام إليه سراقه بن مالك بن جشم انكثاني فقال يا رسول الله

عَلَّمْنَا دِينَنَا فَكَأَنَّا خَلَقْنَا الْيَوْمَ فَهَذَا الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ لَعَانًا أَوْ لَمَّا نَسْتَقْبَلُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بَلْ هُوَ لِلْأَيْدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ وَقَالَ دَخَلْتُ الْعِمْرَةَ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنْ الْيَمِينِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ قَدْ أَحَلَّتْ فَوَجَدَ عَلَيْهَا ثِيَابًا مَصْبُوغَةً فَقَالَ مَا هَذَا يَا فَاطِمَةَ فَقَالَتْ أَمَرْنَا بِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُسْتَقْتِنًا مُحْرَسًا عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فَاطِمَةَ قَدْ أَحَلَّتْ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ مَصْبُوغَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَا أَمَرْتُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَأَنْتِ يَا عَلِيُّ بِمِ اهْلَلْتِ فَقَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَالًا كَأَهْلَالِ النَّبِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ كُنْ عَلَى أَحْرَامِكَ مِثْلِي وَأَنْتِ شَرِيكِي فِي هُدْيِي قَالَ وَتَزُولُ رَسُولُ اللَّهِ بِمَكَّةَ بِالطُّحَا. هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَلَمْ يَزَلِ الدَّوْرُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَغْتَسِلُوا وَيَهْتَلُوا بِالْحَجِّ فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ مُهْلَيْنِ بِالْحَجِّ حَتَّى اتَّوَا مَنَى وَصَلَى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ غَدَا وَالنَّاسَ مَعَهُ وَكَانَتْ قَرِيشٌ تُفِيضُ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ وَهُوَ جَمْعٌ وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ أَنْ يُفِيضُوا مِنْهَا فَاتَزَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَسْحَاقَ فِي أَفَاضَتِهِمْ مِنْهَا وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ فَلَمَّا رَأَتْ قَرِيشٌ أَنَّ قَبَةَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ مَضَتْ كَأَنَّهُ دَخَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ لَلَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الْإِفَاضَةِ مِنْ مَكَانِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى غَزَاةٍ وَهِيَ بَطْنُ عَرَفَةَ بِجِبَالِ الْأَرَاكِ فَضَرَبَ قَبَةَ وَضَرَبَ النَّاسَ أَخْبِيَتِهِمْ عِنْدَهَا فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَعَهُ قَوْمُهُ وَقَدْ اغْتَسَلَ وَقَطَعَ التَّلْبِيَةَ حَتَّى وَقَفَ بِالْمَسْجِدِ فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَذَانٍ وَأَقَامَتَيْنِ ثُمَّ مَضَى إِلَى الْمَوْقِفِ فَوَقَفَ بِهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْتَدِرُونَ أَخْفَافَ نَاقَتِهِ يَقْفُونَ إِلَى جَانِبِهَا فَتَنَاقَلُوا فَعَمَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مَوْضِعُ أَخْفَافِ نَاقَتِي الْمَوْقِفَ وَلَكِنْ هَذَا كُلُّهُ مَوْقِفٌ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى الْمَوْقِفِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِالْمَزْدَلِفَةِ فَتَوَقَّفَ حَتَّى وَقَعَ قَرَصُ الشَّمْسِ ثُمَّ أَفَاضَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَعَةِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ وَهِيَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَأَقَامَتَيْنِ ثُمَّ أَقَامَ حَتَّى صَلَّى فِيهَا الْفَجْرَ وَعَجَلَ ضِعْفًا بَنِي هَاشِمٍ بِاللَّيْلِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْمُوا الْجِمْرَةَ جِمْرَةَ الْعَقَبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَلَمَّا أَضَاءَ لَهُ النَّهَارُ أَفَاضَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَنَى فَرَمَى جِمْرَةَ الْعَقَبَةِ وَكَانَ الْهُدْيِيُّ الَّذِي جَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ أَرْبَعًا وَسِتِينَ أَوْ سِتًّا وَسِتِينَ وَجَاءَ عَلِيُّ بَارِعٌ وَثَلَاثِينَ أَوْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ فَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ سِتًّا وَسِتِينَ بَدَنَةً وَنَحَرَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ بَدَنَةً وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ مِنْهَا جَذْوَةٌ مِنْ لَحْمٍ ثُمَّ تُطْرَحُ فِي بُرْمَةٍ ثُمَّ تُطَبِّخُ فَكُلَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهَا وَعَلِيُّ وَتَحْسِيًّا مِنْ مَرَقِهَا وَلَمْ يُعْطِ الْجَزَائِرِينَ جُلُودَهَا وَلَا جِلَالَهَا وَلَا قَلَائِدَهَا وَتَصَدَّقَ بِهِ وَحَلَقَ وَزَارَ الْبَيْتَ وَرَجَعَ إِلَى مَنَى فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ثُمَّ رَمَى الْجِمَارَ وَنَحَرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْإِبْطَحِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرْجِعُ نَسَاؤُكَ بِعَجَّةٍ وَعِمْرَةَ مَعًا وَارْجِعْ بِحِجَّةٍ فَأَقَامَ بِالْإِبْطَحِ وَبِعَثَ مَعَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْتَنْمِيمِ فَأَهَلَّتْ بِعِمْرَةٍ ثُمَّ جَاءَتْ فَطَافَتْ بِالْبَيْتِ وَصَلَتْ رَكَعَتَيْنِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وَسَعَتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ثُمَّ اتَّتِ النَّبِيَّ فَارْتَحَلَ مِنْ يَوْمِهِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْمَسْجِدَ وَلَمْ يَطْفِ بِالْبَيْتِ وَدَخَلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ عَقَبَةِ الْمَدِينِيِّينَ وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ مِنْ ذِي طُوًى

قوله تعالى (١٩٧) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (آيَةٌ)

﴿القرآنة﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فلا رث ولا فسوق بالرفع ولا جدال بالفتح وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع والتثنية وقرأ الباقون الجميع بالفتح

- (١) [ربعاطية ووجد] (٢) [على عليه السلام] (٣) وفي نسختين مخطوطتين «قوسه» بالسين بدل الهم
(٤) البرمة : القدر من الحجر .

* الحجة *

حجة من فتح الجميع أن يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما أنه إذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع وتون فكأن النفي لواحد منه الا ترى ان سيبويه يرى انه إذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سأل فقال أغلام عندك ام جارية فافتح اولي لأن النفي قد عم والمعنى عليه وحجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثاً واحداً ولكنه جميع ضروبه وأن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وإن لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار

* اللغة *

الرفث اصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج «عن اللغا ورَفَثِ التكلم» وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان المزاغة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة والمشاورة والمخاصمة نظائر وجدلت الحليل قتلته والجديل زمام البعير فميل بمعنى مفعول والمجدل القصر والجدلة الارض ذات الرمل الرقيق وغلام جادل إذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء يحمل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل او كسب فقد تزود منه تزوداً واللب العقل سمي بذلك لأنه افضل ما في الانسان وافضل كل شيء له

* الاعراب *

الحج مبتدأ واشهر خبره وتقديره أشهر الحج اشهر معلومات ليكون الثاني هو الاول في المعنى او الحج حج اشهر معلومات فحذف المضاف اي لا حج إلا في هذه الأشهر فالاشهر على هذا يتبع فيها مخرجة عن الظروف والمعنى على ذلك ألا ترى أن الحج في الشهر وقد يجوز أن يجعل الحج الا شهر على الاتساع لكونه فيها ولكثرته من الفاعلين له كما قالت الحنفاء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَأَيُّهَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

جعلتها الإقبال والإدبار لكثرتها منها وقوله فلا رفث إذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى وإذا رفعت فعلى الإبتداء ويكون في الحج خبراً لهذه المرفوعات وإذا فتحت ما قبل المرفوع وأثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضع وجاز أن يكون بمعنى ليس كما في قوله (٢)

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا (٣) فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ

وما بعد الفاء في موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم او في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

* المعنى *

(الحج) أي أشهر الحج (أشهر معلومات) أي أشهر موقرة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كان يفعلهما النساء الذين أنزل فيهم إنفاً للنبي زيادة في الكفر الآية وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطاء والربيع وطاوس وروي ذلك في أخبارنا وإنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح أيضاً الإحرام بالعمرة التي يتبع بها إلى الحج إلا فيها ومن قال ان جميع ذي الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث أشهراً فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله «ظهرانها» ويشل ظهور الترسين» وايضا فقد يضاف الفعل إلى الوقت وإن وقع في بعضه ويضاف الوقت إليه كذلك

(١) والمستتر فيها يرجع الى المعجول المذكورة قبله و هي الناقة التي مات ولدها (٢) القائل : سعد بن مالك

(٣) و الضمير في نيرانها للعرب .

تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وإن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة وإن وقع الحج في بعضه (فمن فرض فيه الحج) معناه فمن أوجب على نفسه فيه الحج أي فمن أحرم فيه بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتتبع بها إلى الحج على مذهبنا (فلارفت) كُنِيَ بالرفث عن الجماع هاهنا عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء. به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع والتعريض له بمداعبة أو مواعدة عن الحسن (ولا فسوق) وروى اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا أعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنازع بالألقاب لقوله بنس الاسم الفسوق بعد الايمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن ابراهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز أن يراد به هنا إلا مانهي المحرم عنه مما يكون حلاله إذا أحل لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصيص للمعصوم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي لك أن تقيد لسانك في رمضان. لئلا يفسد صومك وقد جاء في الحديث إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فإنما خصه بذلك لعظم حرمة (ولا جدال في الحج) روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا او كاذبا وللفسرين فيه قولان (احدهما) انه المراد والسباب والاعصاب على جهة المعك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن (والثاني) ان معناه لاجدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة لانهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فرما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) معناه ما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا انه جعل يعلمه في موضع يجازه للسابقة في صفة العدل أي انه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازي به وذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل أن يفعلوه (وتوردوا فإن خير الزاد التقوى) قيل فيه قولان (احدهما) انه معناه ان قوما كانوا يرمون بأزوادهم ويتسبون بالمتوكله فقيل لهم توردوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد (والثاني) ان معناه توردوا من الأعمال الصالحة (فإن خير الزاد التقوى) وذكر ذلك في اثناء افعال الحج لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه (واتقون) فيما امرتكم به ونهيتكم عنه (يا أيها الأنبا) يا ذوي العقول

قوله تعالى (١٩٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (آية)

اللغة

الجناح العرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم والابتغاء الطلب والافاضة مأخوذة من فيض الاناء. عن امتلانه فمضى أفضم دفعتم من عرفات إلى الزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفروا فيه وأكثروا التصرف وأفاض الرجل اناءه إذا صبّه وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ
يَسَّرَ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ (٣)

وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي
وَإَفْضَنْ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِحِجْرَةٍ
مِنْ ذِي الْأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا (٤)

فالافاضة في اللغة لا تكون إلا عن تفرق أو كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج

(١) البعك : الخصومة . (٢) بصف العمارواتنه . قاله الجوهري . (٣) الربابة : شبيهة بالكنانة يجمع فيها سهام الميسرو ربا سموا جماعة السهام ربابة . و اليسر محركة : الياسر . (٤) كظم البعير كظوماً : امسك جرته و كف عن الاجترار . الجرة : ما يخرج البعير من بطنه ليضعه ثم يبلمه وحقبيل اسم موضع قاله الجوهري .

يوم عرفه يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لأن ابراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعمت لها والوصف روي ذلك عن علي وابن عباس وقيل انها سميت بذلك لأن آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افتقرا عن الضحك والسدي وقد رواه اصحابنا ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سميت بذلك لأن ابراهيم كان يؤبه جبرائيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطاء وروي عن ابن عباس أن ابراهيم رأى في المنام انه يذبح ابنه فأصبح يروى يومه أجمع أي يفكر أهو أمر من الله أم لا فسمي بذلك يوم التروية ثم رأى في الليلة الثانية فلما أصبح عرف انو من الله فسمي يوم عرفه وروي ان جبريل قال لا دم هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال (ربنا ظلمنا انفسنا الآية) فلذلك سميت عرفه والمشعر الحرام هو المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من اعمال الحج وإنما سمي المشعر الحرام مزدلفة لأن جبريل قال لا ابراهيم بعرفات اذدلف الى المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعا لأنه يجمع بين المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد واقامتين وسميت منى منى لأن ابراهيم تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فذية له

﴿ الاعراب ﴾

جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما سقط في عمل فيها معنى جناح والمعنى لستم تأثمون في (ان تبتغوا). وعرفات اسم معرفة لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وإنما صرفت وان كان فيها سببان من اسباب منع الصرف وهو التعريف والتأنيث لأنها على حكاية الجمع فالثنون فيها بازا. النون في مسلمون ولوسميت امرأة بمسلمون لم تحذف هذه النون وتقول اقبلت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التثنية ايضا تشبيها بالواحد إذا كان اسما لواحد إلا أنه لا يكون الا مكسورا وان اسقطت التثنية ومثلها أذرعاء في قول امرئ القيس

تَوَرَّتْهَا مِنْ أذْرُعَاتِ وَأَهْلِهَا
يَشْرِبُ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرًا عَالٍ (٢)

اكثر الرواية بالتثنية وقد انشد بالكسر بغير تثنية والاول اختيار النحويين لما ذكرنا من اجرائهم اياه مجرى المسلمون واما فتح التاء فخطأ (وان كنتم) ان هنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة ان لام الابتداء معها وإذا خفت لم تعمل ان (وكنتم من قبله لمن الضالين) لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل وإنما هذه الواو عطفت جملة على جملة

﴿ المعنى ﴾

(ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله بهذه اللفظة الإثم عن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطاء وفي هذا تصريح بالأذن في التجارة وهو المرزوي عن ائمتنا وقيل كان في الحج أجرا ومكاريون وكان الناس يقولون انه لا حرج لهم في سببانه انه لا إثم على الحاج في ان يكون اجيرا لغيره او مكاريا وقيل معناه لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن ابي جعفر (ع) (فإذا افضتكم من عرفات) أي دفعتم منها بعد الاجتماع فيها (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وفي هذا دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه لأن ظاهر الأمر على الوجوب فقد اوجب الله الذكر فيه ولا يجوز ان يوجب الذكر فيه الا وقد اوجب الكون فيه ولأن كل من اوجب الذكر فيه فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام فإذا افضتكم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه (واذكروه كما هداكم) معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فإن الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة كما يجب ان يكون على مقدارها لوزن صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقدير الكلام واذكروه ذكرنا مثل هدايته اياكم (وان كنتم) اي وانكم كنتم

(١) وفي جملة من النسخ « امر بذبح ابنه ». (٢) تنورتها اي نظرت بقلبي الى نار المحبوبة . اذرعاء موضع بالشام والمعنى انه كيف اراها واذر دارها من تفسم . او المعنى ان اقرب دارها من تفسم .

من قبله أي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد فتكون الها. كناية عن غير مذكور (لمن الضالين) عن النبوة والشريعة فهداكم إليه

قوله تعالى (١٩٩) **ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ أَنْتُمْ عَلَيْهِ غُفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

اللغة

الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور و غافر ان في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران والغفور هو المغفرة وقد فرّق بينهما بأن الغفور ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب للتوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله

المعنى

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قيل فيه قولان ﴿أحدهما﴾ إن المراد به الإفاضة من عرفات وانه امر لقريش وحلفائها وهم الحنّس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر (ع) وقال الضحاك انه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك قال ولما كان إبراهيم إماما كان بمنزلة الأمة فسماه وحده ناسا - (والثاني) - أن المراد به الإفاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية تدل عليه لانه قال فإذا افضتم من عرفات ثم قال ثم أفيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على ان الافاضتين واجبتان والناس المراد به إبراهيم كما انه في قوله الذين قال لهم الناس نعمين بن مسعود الاشجعي وقيل إن الناس إبراهيم واسماعيل واسحاق ومن بعدهم من الأنبياء عن أبي عبد الله ومما يسأل على الاول ان يقال إذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا وقد روى أصحابنا في جوابه ان هاهنا تقدياً وتأخيراً وتقديره (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم أهل اليمن وريضة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس (واستغفروا الله) أي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي (إن الله غفور) أي كثير المغفرة (رحيم) واسع الرحمة

قوله تعالى (٢٠٠) **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ** (آية)

اللغة

أصل القضاء فصل الأمر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله فقضاهن سبع سماوات وقد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الإلزام والحلاق النصيب من الخير وأصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق الكريم

الإعراب

أشد في موضع جر ولكنّه لا ينصرف لأنّه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر

على واذكروه اشد ذكرا وذكرا منصوب على التمييز. في الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله له وله في موضع خبر للمبتدأ الذي هو من خلاق فان من مزيدة والجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من الفعل

﴿ المعنى ﴾

(فإذا قضيتم مناسككم) معناه فإذا اديتم مناسككم وقيل فإذا فرغتم من مناسككم والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان موضعا فالمعنى فإذا قضيتم ما وجب عليكم إيقاعه في متعباتكم وإن كان بمعنى المصدر فإنما جمع لأنه يشتمل على افعال وأذكار فجاز جمعه كالأصوات أي فإذا قضيتم افعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين - (أحدهما) - أن المراد به التكبير المختص بأيام منى لأنه الذكر المرغوب فيه المنتدوب اليه في هذه الأيام (والآخر أن المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها (كذكركم آباءكم) معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويزيدون وأيديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم في هذا الموضع (أو اشد ذكرا) أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعتدوا آلامه ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيدون نعم فنعم الله عليهم اعظم وأيديه عندهم افخم ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي هو دونه في الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه واستغيثوا بالله واغزوا اليه كما يغزى الصبي الى أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره فيقول يا ابي عطا والاول أصح وقوله (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) بين سبحانه ان الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث والنشور (وما له في الآخرة من خلاق) أي نصيب من الخير موفور

قوله تعالى (٢٠١) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين القول والكلام أن القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلاثة اوجه ﴿ أحدها ﴾ حكاية على اللفظ والمعنى نحو قال آتوني افرغ عليه قطرا اذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ نحوها إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو ان تقول نجاسا بدل قوله قطرا والاياء الاعطاء وأصله الآتي بمعنى المجيء فأتى إذا كان منه المجيء وأتى غيره حمله على المجيء فيقال أتاه ما يُجيب وأتى غيره ما يُجيب وقى يقي وقاية ووقا والوقا أصله الحجز بين الشئين والوقا الحاجز الذي يسلم به من الضرر

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من امور الدنيا في تلك المواقف الشريفة مالا يرتضيه عقبه بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذي يرغب فيه فقال (ومنهم من يقول ربنا آتنا) أي اعطنا (في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وقنا عذاب النار) أي نعيم الدنيا ونيعم الآخرة عن انس وقتادة وروي عن ابي عبد الله أنها السعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة وقيل العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الآخرة عن الحسن وقتادة وقيل

هي المال في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن ابن زيد والسدي وقيل هي المرأة الصالحة في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن علي (ع) وروى عن النبي (ص) انه قاله من أو تي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على امردياه واخراه فقد أو تي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقى عذاب النار

قوله تعالى (٢٠٢) **أَوْآتتكم لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب (آية)**

✽ اللفظة ✽

النصيب الحظّ وجمعه أنصبا. وانصبه وحده النصيب الجزء الذي يختص به البعض من خير او شر والكسب الفعل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة يقال سريع سرعة وسرعا فهو سريع واقبل فلان في سرعان قومه اي في اوائلهم السريعين والحساب مصدر كالمحاسبة

✽ المعنى ✽

(أوآتتكم لهم نصيب مما كسبوا) أي حظّ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه (والله سريع الحساب) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وأن وقت الجزاء قريب ويجري مجراه قوله وما امر الساعة إلا كلمح البصر أو هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء كفاء للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبني الشيء كفاي ﴿ وثانيها ﴾ أن يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف في أوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن وورد في الخبر انه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر وروي بقدر حلب شاة وهذا أحد ما يدل على انه ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لانه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه انه تعالى سريع القبول لدعاء هولاء. والاجابة لهم من غير احتساب فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحسب المخلوقون للاحصاء. والاحتساب ويقرب منه ما روي عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هولاء. وإنما يعطون كتبهم بأيانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعتها لكم

قوله تعالى (٢٠٣) **وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتَمَّوْا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (آية)**

✽ اللفظة ✽

المعدودات تستعمل كثيرا في اللفظة للشيء القليل وكل عدد قلّ أو كثر فهو معدود. ولكن معدودات أدلّ على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء. والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم السنة إذا أجمعت بهم لانها تضاهم من النواحي الى المصّر وسهم حشر خفيف لطيف لانه ضامر باجماعه وأذن حشرة لطيفة وضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فأصل الباب الاجتماع

✽ الإعراب ✽

العامل في اللام من قوله (لمن اتقى) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ أن بتقديره ذلك (لمن اتقى) فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدأ. وإنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دلّ على وعد للعامل ﴿ والثاني ﴾ ان يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى

✽ المعنى ✽

(واذكروا الله في أيام معدودات) هذا أمر من الله للمكلفين ان يذكروه في أيام معدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر والأيام المعلومات عشر ذي الحجة عن ابن عباس والحسن واكثر أهل العلم وهو المروي عن ائمتنا وذكر الفراء ان المعلومات أيام التشريق والمعدودات العشر والذكر المأمور به هو ان تقول عقيب خمس عشرة صلوات الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر والله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلاة الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها صلاة الظهر من يوم النحر ايضا هذا هو المروي عن الصادق عليه السلام وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر ابن عباس وابن عمر قوله (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) المعنى في ذلك الرخصة في جواز النحر في اليوم الثاني من أيام التشريق والافضل ان يقيم إلى النحر الأخير وهو الثالث من التشريق وإذا نحر في الأول نحر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له ان ينفر إلى اليوم الثالث وقوله فلا إثم عليه فيه قولان - (احدها) - ان معناه لا إثم عليه لأن سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو قول ابن مسعود - (والثاني) - ان معناه لا إثم عليه في التحجيل والتأخير وإنما نفى الإثم لئلا يتهم متوهم ان في التحجيل إثم وإنا قال فلا إثم عليه في التأخير على جهة المزاجية كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان أسرت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان - (احدها) - ان الحج يقع مبروراً مكفراً للسيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والآخر ما رواه أصحابنا أن قوله لمن اتقى متعلق بالتحجيل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النحر الأخير وما بقي من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز النحر في الأول وهو المروي عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روي أيضا عن أبي عبد الله في قوله فمن تعجل في يومين اي من مات في هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تأخر اي من أجله فلا إثم عليه إذا اتقى الكبائر وقوله (واتقوا الله) اي اجتنبوا معاصي الله (واعلموا انكم اليه تحشرون) اي تحققوا انكم بعد موتكم تجعون الى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على اعمالكم

قوله تعالى (٢٠٤) وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٥) وَإِذَا تَوَلَّى سَوَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (آياتان)

✽ اللغة ✽

الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس وهو سرور المعجب بمن الشيء استحسانا له وذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب وتعجب وعجبه وغيره واعجبه واستعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الازهري المعجب كل شيء غير مالوف والألد الشديد الخصومة تقول كد يلد لدودا ولده يلد إذا غلبه في الخصومة ولد الدواء في حلقه إذا أوجره في أحد شقي فمه والديدان جانباً الوادي ولديدا كل شيء جانباً والتلدد التلفت عن تحير والخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وقيل إذا كان صفة فإنه يجمع على فعال نحو صعب وضباب وإذا كان اسماً فإنه يجمع في القلة على أفعال وفي الكثرة على فعال كفترخ وفراخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولي هو الانحراف والزوال عن الشيء إلى خلاف جهته وقوله سعي قد يكون بمعنى عمل وقد

يكون بمعنى اسرع قال الأعشى:

وَسَمَى لِكِنْدَةَ سَمِي غَيْرِ مَوَاكِلِ قَيْسٍ فَضَرَ عَدْوَهَا وَبَنَى لَهَا

اي عمل لكندة والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والامبالاة العمل الذي ينفي الانتفاع والحرق الزرع (والنسل) العقب من الولد وقال الضحاك الحرق كل نبات (والنسل) كل ذات روح ويقال نَسَلٌ يَنْسُلُ نُسُولًا إِذَا خَرَجَ فَسَقَطَ وَمِنْهُ نَسَلٌ وَبَرٌّ الْبَعِيرُ أَوْ رَيْشُ الطَّائِرِ وَالنَّاسُ نَسْلُ آدَمَ لِحُرُوجِهِمْ مِنْ ظَهْرِهِ وَأَصْلُ بَابِ النَّسْوِلِ الْحُرُوجِ

الإعراب

ليفسد نصب باضمار أن ويجوز اظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها ولا يجوز اظهار أن في قوله لِيَذَرَ مِنْ (وما كان الله لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ) والفرق بينهما ان اللام في ليفسد على اصل الاضافة في الكلام والسلام في ليزر لتأكيد النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقائم

التزول

قال ابن عباس نزلت الآيات الثلاثة في المرأثي لانه يظهر خلاف ما يُبطن وهو المروي عن الصادق (ع) الا أنه تَمَيَّنَ الْمَعْنَى بِهِ وَقَالَ الْحَسَنُ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ وَقَالَ السَّيِّدِي نَزَلَتْ فِي الْأَخْسَنِ بْنِ شَرِيْقٍ وَكَانَ يَظْهَرُ الْجَمِيلَ بِالنَّبِيِّ وَالْمَحَبَّةَ لَهُ وَالرَّغْبَةَ فِي دِينِهِ وَيُبْطِنُ خِلَافَ ذَلِكَ

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره احوال المؤمنين والكافرين فقال (ومن الناس من يعجبك قوله) اي تستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك (في الحياة الدنيا) اي يقول آمنت بك وأنا صاحب لك ونحو ذلك) ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف بالله ويشهده على انه مضمرا يقول فيقول اللهم اشهد عليّ به وضميره على خلافه وهو الد الخصام) أي وهو اشدّ المضامين خصومة ومن قال ان الخصام مصدر فعناه وهو شديد الخصومة عند المضامصة جدل مبطل (وإذا تولى) أي أعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن الضحاك ومعناه إذا ولي سلطانا جار وقيل ولي عن قوله الذي اعطاه عن ابن جريج (سعى في الارض) اي اسرع في المشي من عندك وقيل عمل في الارض (ليفسد فيها) قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل المعاصي (ويهلك الحرق والنسل) اي النبات والاولاد وذكر الازهري ان الحرق النساء والنسل الاولاد لقوله نساؤكم حرق لكم وروي عن الصادق (ع) ان الحرق في هذا الموضع الذين والنسل الناس (والله لا يحب الفساد) اي العمل بالفساد وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الإرادة لأن كل ما احب الله ان يكون فقد اراد ان يكون وما لا يجب ان يكون لا يريد ان يكون قوله تعالى (٢٠٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمُهَادُ (آية)

اللفظة

الاتقاء طلب السلامة بها يجبر عن المخافة واتقاء الله إنها هو اتقا عذابه والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة التي تمتنع بها عن الذلة والمهاد الوطاء من كل شيء وكل شيء وطنته فقد مهدته والارض مهاد لأجل توطئته للنوم والقيام عليه

المعنى

ثم بين تعالى صفة من تقدم من المنافقين فقال (وإذا قيل له اتق الله) اي وإذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما

(الجزء الثاني) قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله إلى قوله إنه لكم عدو مبين ٣٠١

نهاك عنه من السعي في الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل (اخذته العزة بالاثم) قيل في معناه قولان (احدها) حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اي الزمته ذلك واخذته الحمى اي لزمته - (والثاني) - اخذته العزة من اجل الاثم الذي في قلبه من الكفر عن الحسن (فحسبه جهنم) اي فكفاه عقوبة من اضلاله ان يصلي نار جهنم (ولبس المهاد) اي القرار عن الحسن كما قال في موضع آخر وبش القرار لان القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهادا لأنها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشره بعباد اليم لأنه موضع البشري بالنعيم على جهة البدل منه وفي هذه الآية دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق اذا دُعِيَ اليه كان مرتكباً اعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك

قوله تعالى (٢٠٧) وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (آية)

✽ اللغة ✽

الشراء من الاضداد يقال شري إذا باع وشري إذا اشتري وقوله (وشروه بثمان بنخس دراهم معدودة) اي باعوه والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرؤوف

✽ الإعراب ✽

ابتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر

وَاعْتَفِرْ عَوْرَاءَ الْكُكْرِمِ ادْخَارَهُ
وَاعْرِضْ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ تَكْرُمًا

✽ النزول ✽

روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب حين هرب النبي (ص) عن المشركين الى الغار ونام علي (ع) على فراش النبي (ص) ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروي انه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرائيل ينادي بخبيخ من مثلك يا ابن ابي طالب يياهي الله بك الملائكة وقال عكرمة نزلت في ابي ذر الفقاري جندب بن السكن وصهيب بن سنان لأن اهل ابي ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي (ص) فلما رجع مهاجرا عرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبي (ص) وأما صهيب فإنه اخذه المشركون من اهله فافتدى منهم بهاله ثم خرج مهاجرا وروي عن علي وابن عباس ان المراد بالآية الزجل الذي يقتل على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الأمر بالمعروف في قوله وإذا قيل له اتق الله لأن هذا القائل امر بالخير والمعروف فقال (ومن الناس من يشري) اي يبيع نفسه (ابتغاء مرضاة الله) اي لابتغاء رضا الله وانما اطلق عليه اسم البيع لأنه إنما فعل ما فعل لطلب رضا الله كما ان البائع يطلب الثمن بالبيع والله رؤوف بالعباداي واسع الرحمة بعبيده يُبَيِّنُهُمْ ما حاولوه من مرضاته وثوابه

قوله تعالى (٢٠٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الجواز والكسائي في (السلم كافة) بفتح السين والباقون بكسرها

﴿ الحجة ﴾

قال الاخفش السلم بكسر السين والصلح وفيه ثلاث لغات التلّم التلّم السلم وانشد

أَنَا لُؤْلُؤُا نِي سَلْمٍ لِأَهْلِكَ فَأَقْبَلِي سَلْمِي

قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام واحد وهو في موضع آخر السالمه والصلح والسلم الاستسلام ومنه قوله تعالى ورجلا سلما لرجل اي مستسلما له منقادا لما يريد منه فيكون مصدرا وصف به ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن ونظيره يابس ويابس وواسط ووسط

﴿ اللفظة ﴾

(كافة) معناه جميعا واشتقاقه في اللفظة مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة القبيص لحاشيته لأنها تنمعه من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة ويقال في كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف اذا بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعه فقد كففته واستكف القوم بالشيء اذا احذقوا به

﴿ الإعراب ﴾

كافة منصوب على احوال من الواو في ادخلوا وقيل هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع نصب على الحال من عدو

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعا جميعهم إلى الطاعة والانقياد فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (ادخلوا في السلم) اي في الاسلام اي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله عن ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في السلم في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام محتمل للامرين وحملها على الطاعة اعم ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول في الولاية (كافة) اي جميعا اي ادخلوا جميعا في الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا في السلم كله اي في جميع شرائع الاسلام ولا تتركوا بعضه معصية ويؤيد هذا القول ما روي ان قوم من اليهود اسلموا وسألوا النبي أن يفتي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الاوبل فأمرهم أن يلتزموا جميع احكام الاسلام (ولاتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ونزغاته لأن ترككم شيئا من شرائع الاسلام اتباع للشيطان (إنه لكم عدو مبين) اي مظهر للمداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لأحتكن ذريته إلا قليلا

قوله تعالى (٢٠٨) فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

يقال زل الرجل يزل زلا وزلا وزلا إذا ذنب وزل في الطريق زليلا واصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزيز هو التقدير المنيع للذي لا يعجزه شيء واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز إذا كانت مستنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق

﴿ الإعراب ﴾

ما حرف موصول وجاء تكلم صلته واعلموا جملة في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم او محل الرفع لأنه جواب شرط مبني

المعنى

لما أمر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد على تركها فقال (فإن زلتم) أي تنحيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق القويم الذي أمركم الله تعالى بسلوكه (من بعد ما جاءكم اليات) أي الحجج والمعجزات (فاعلموا إن الله عزيز) في نعمته لا يمتنع شيء من بطشه وعقوبته (حكيم) فيما شرع من أحكام دينه لكم وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامة الحجة عليكم

قوله تعالى (٢١٠) **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِي الْأُمُورُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** (آية)

القراءة

قرأ أبو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة (ترجع الأمور) بفتح التاء والباقون بضمها

الحجة

من قرأ والملائكة بالجر فإنه عطفها على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة أي جماعة من الملائكة وقراءة السبعة بالرفع عطفها على قوله الله أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة وحجة من قرأ (ترجع الأمور) على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم رددوا إلى الله ولئن رددت إلى ربي ولئن رجعت إلى ربي وحجة من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله ألا إلى الله تصير الأمور إليه مرجعكم

اللغة

النظر هنا بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر

فَبَيْنَا فَمَنْ نَنْظُرُهُ أَنَا
مَعْلِقَ شَكْوَةٍ وَزَنَاوٍ رَاعٍ (١)

أي ننتظره وأصل النظر الطلب لأدراك الشيء وإذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع وإذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفة وإذا كان بالعين فلأن الناظر يطلب الرؤية والظلل جمع ظلة وهي ما يستظل به من الشمس وسبي السحاب ظلة لأنه يستظل به والغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أي يستر

الإعراب

هل حرف استفهام بمعنى النفي. إلاها هنا لنقض النفي. أن يأتيهم الله في موضع نصب ينظرون من الغمام يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية في موضع الجر صفة ظلل

المعنى

ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي هل ينتظرون هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الأمير فلانا وضربه وأعطاه وإن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بامرهم فأسند إليه لأمره به وقيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وإنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأحوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه وإذا غشيهم موج كالظلل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم

(١) الشكوة : وعاء من جلد الماء أو اللبن . والزناد جمع الزند العود الذي تقدح به النار .

من العذاب والحساب كما قال فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي آتاهم بجدلانه إياهم وهذه الأقوال متقاربة المعنى بل المعنى في الجميع واحد اي هل ينتظرون إلا يوم القيامة وهو استفهام يراد به النفي والانكار اي ما ينتظرون كما يقال هل يطالب بمثل هذا إلا مَتَعِنْتُ اي ما يطالب ومثله في التنزيل هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك وقد يقال أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب تقول أتاني وعيد فلان وجاءني كلام فلان وأتاني حديثه ولا يراد به الايتان الحقيقي قال

أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي
حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقَبْتَيْنِ عَجِيبٌ

وقال الآخر

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ
بِلَادِهِمْ بِأَرْضِ الْخَيْرِ دَانٍ

واما قوله (والملائكة) فقد ذكرنا الوجه في رفعه وجره قبل وقيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلم من الغمام اي بجلائل آياته وبالملائكة وقوله (وقضي الأمر) معناه فرغ من الأمر وهو المحاسبة واتزال اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار هذا في الآخرة وقيل معناه وجب العذاب اي عذاب الاستئصال وهذا في الدنيا (وإلى الله ترجع الأمور) اي اليه ترد الأمور في سؤاله عنها ومجازاته عليها وكانت الأمور كلها له في الابتداء. فملك بعضها في الدنيا غيره ثم يصير كلها اليه في الحشر لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه ترجع أمور الدنيا والآخرة قوله تعالى (٢١١) **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)**

❦ الأعراب ❦

كم في موضع نصب لأنه مفعول ثانٍ لآتيناهم وإنما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التي هي (كم آتيناهم من آية) قد وقعت موقع المفعول الثاني لقوله : " سل " من آية يتعلق بآتيناهم ايضا وما حرف موصول جاءت صلته والموصول والصلة في موضع جر بإضافة بعد اليه

❦ المعنى ❦

(سل) يا محمد (بني إسرائيل) اي اولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علماءهم وهو سؤال تقرير لتأكيد الحججة عليهم (كم آتيناهم) اي اعطيناهم (من آية بينة) من حجة ظاهرة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حية وقلق البحر وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة واضحة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي (ومن يبديل نعمة الله من بعد ما جاءته) في الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوه فضلوا وأضلوا ومن يبديل الشكر عليها بالكفران وقيل من يصرف أدلة الله عن وجوها بالتأويلات الفاسدة الخالية من البرهان (فإن الله شديد العقاب) له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في انه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ونحو ذلك من وجه آخر وهو انه اضاف التبديل اليهم واوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبة . والتبديل هو أن يحرف او يركم او يتأول على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والانجيل وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن

❦ النظم ❦

لما بين الله تعالى شرائعه وان الناس فيها ثلاث فرق مؤمنون وكافر ومنافق ثم وعد وأوعد بين بعد ذلك أن تركهم لإيمان ليس بتقصير في الحجج ولكن لسوء طباعهم وخبت أفعالهم فقد فعلوا قبيحاً يا محمد هذا الصنيع فقال

(سل بني إسرائيل)

قوله تعالى (٢١٢) زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

* اللغة *

الترين والتحسين واحد والزين خلاف الشين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به

﴿ الإعراب ﴾

الدنيا صفة الحياة بغير حساب الجار والمجرور في محل نصب على الحال والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير
في يرزق او الموصول الذي هو من يشاء وتقديره غير محاسب او غير محاسب

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في ابي جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين
فقراً مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبياً لاتبه اشرافنا عن ابن عباس وقيل
نزلت في عبد الله بن أبي واصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت في رؤساء اليهود من بني
قريظة والنضير وقتيقات سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء ولا مانع من نزوله في جميعهم

* المعنى *

ثم بين سبحانه ان عدوهم عن الايمان إنما هو لاويثارهم الحياة الدنيا فقال (زين للذين كفروا الحياة الدنيا)
وفيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان الشيطان زينها لهم بأن قوتى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب
اليهم فاما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها وقال واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع
الدنيا قليل عن الحسن والجبائي ﴿ والآخر ﴾ ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوبة المعجبة بما
خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير الآلية وإنما كان كذلك لأن
التكليف لا يتم إلا مع الشهوة فإن الانسان إنما يكلف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه او يزجر عن شيء
تتوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبي (ص) حَتَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَتَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْفِعْلَ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ
إِلَى الْحَيَاةِ لِأَن تَأْنِيثَ الْحَيَاةِ غَيْرَ حَقِيقِي وَهُوَ بِمَعْنَى الْعَيْشِ وَالْبَقَاءِ وَنَحْوِهَا لِأَنَّهُ فَصَّلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ بِقَوْلِهِ
(للذين كفروا) وإذا قالوا في التأنيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث
غير الحقيقي اجوز (ويسخرون من الذين آمنوا) ويهزون من المؤمنين لفقيرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجدتهم
في ذلك وقيل لزهدهم في الدنيا ويمكن حمله على الجميع إذ لا تنافي بين هذه الأقوال (والذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة) اي الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات وقيل اراد أن تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من
استمتاع هؤلاء في الآخرة بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فوق هؤلاء الكفار لأنهم في عليين وهو لا في سجين
وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً ومثله قول حسان يعني رسول الله و ابا جهل (فشر كما لخير كما
الفداء) وقيل انه اراد ان حال المؤمنين في الهزء بالكفار والضحك منهم في الآخرة حال فوق هؤلاء في الدنيا ويدل على
ذلك قوله تعالى إن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون إلى قوله فالיום الذين آمنوا من الكفار
يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه يعطيهم الكثير
الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرتهم ﴿ وثانيها ﴾ انه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة اعمالهم
ولإيائهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله وإن قلنا ان المراد به في الآخرة فمعناه

ان الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر اعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلا ﴿ وثالثها ﴾ انه يعطيه عطايا لا يواخذها بذلك أحد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء. ولا مكافاة ﴿ ورابعها ﴾ انه يعطي العدد من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد اكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة عن قطرب ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه يعطي اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن

قوله تعالى (٢١٣) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر القاري وحده ليحكم بضم الياء. وفتح الكاف والباقون بفتح الياء. وضم الكاف

﴿ المحجة ﴾

وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويحوز ان يكون فاعل يحكم الله اي ليحكم الله في عبادته ووجه قراءة ابي جعفر ظاهر

﴿ اللغة ﴾

الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت وهي هنا بمعنى الملة والدين

﴿ الإعراب ﴾

(مبشرين ومنذرين) نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه أنزل وذو الحال الكتاب (ليحكم) جار ومجرور واللام يتعلق بأنزل و (بغيا بينهم) نصب على انهم مفعول له اي لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي ويجوز ان يكون مصدرا وقع موقع الحال (وما) اسم موصول و (اختلَفوا) صلته واللام يتعلق بهدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والباء في بإذنه يتعلق بهدى ايضا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه احوال من تقدم من الكفار تسلية للنبي فقال (كان الناس أمة واحدة) اي ذوي أمة واحدة اي اهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف في انهم على اي دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي ثم اختلفوا في اي وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى ان بعث الله ابراهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لأن الله بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله تعالى لا يجوز ان يخلفي الارض من حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحق هناك في واحد او جماعة قليلة لم يمكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبة للكفار وقال آخرون إنهم كانوا على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس في الرواية الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقاتدة هم كانوا بين آدم ونوح وهم عشر فرق كانوا على شريعة من الحق فاختلَفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلبي هم اهل سفينة نوح حين غرق الله

الحلق ثم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء . كان الناس أمة واحدة فاختلوا (فبعث الله النبيين) وقال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده وروى أصحابنا عن أبي جعفر الباقر (ع) انه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلّالاً فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم ان مصالحهم فيها فبعث الله ابي ارسل الله النبيين (مبشرين) لمن اطاعهم بالجنة (ومنذرين) لمن عصاهم بالنار (وأنزل معهم الكتاب) اي انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعثهم الكتاب إذا لا نبيا لم يكونوا منزّلين حتى ينزل الكتاب معهم واراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم جنس فعناه الجمع قوله (بالحق) اي بالصدق والعدل وقيل معناه وانزل الكتاب بأنه حق وانه من عند الله وقيل معناه وانزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله (ليحكم بين الناس) الضمير في يحكم يرجع إلى الله اي ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع إلى الكتاب اي ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب وان كان الله هو الذي يحكم على جهة التفخيم لأمر الكتاب (فيما اختلفوا فيه) من الحق قبل انزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل إذا كانوا مختلفين في الحق فكيف عمهم الكفر في قول من قال انهم كانوا كلهم كفارا فجوابه انه لا يستنع ان يكونوا كفارا وبعضهم يكفر من جهة الفلو وبعضهم يكفر من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) معناه وما اختلف في الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتبوا صفة النبي بعدما أعطوا العلم به (من بعد ما جاءتهم لبيئات) اي الأدلة والنجح الواضحة وقيل التوراة والانجيل وقيل معجزات محمد (نبياً بينهم) اي ظلوا وحسدا وطلباً للرئاسة وقوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والإذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حلزة « أذنتنا بيئتها أسما » اي اعلمتنا وإنا خص المؤمنين لأنهم اقتصروا بالاهتداء وقيل ان معنى بإذنه بلطفه فعمل هذا يكون في الكلام محذوف اي فاهتدوا بإذنه وإنا قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لأنه لما كانت العنايه بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بين (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فيه اقوال ﴿ أحدها ﴾ ان المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام وخص به المكلفين دون غيرهم بمن لا يحتل التكليف عن الجبائي ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصا بمن علم من حاله انه يصلح به عن البلخي وابن الأخشيد ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به يهديهم إلى صراط الجنة ويأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصا بالمؤمنين

قوله تعالى (٢١٤) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

من نصب فالمعنى وزلزلوا إلى أن قال الرسول وما ينصب بمد حتى جاء من الافعال على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون بمعنى إلى كما في الآية والآخر أن يكون بمعنى كي كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنة فهذا

تقديره أسلمت كي ادخل الجنة فالإسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الوجه الأول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى وأما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال ويحيى أيضاً على ضربين (أحدهما) أن يكون الفعل الأول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يعض كما تقول مرض حتى لا يرجونه وتتجه الآية على هذا الوجه لأن المعنى ركزوا فيما مضى حتى ان الرسول يقول الآن متى نصر الله وحكيته الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه (والثاني) ان يكون الفعلان جميعاً قد مضيا نحو سرت حتى ادخلها فالدخول متصل بالسبب بلا فصل بينها والحال محكية كما كانت في الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالاً وحتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة وإذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينصب الفعل بعدها باضار أن كما ينصب بعد اللام والفعل وأن المضرة معها في موضع جر بحيثى

✽ اللغة ✽

الزلزلة شدة الحركة والزوال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل وأصله من قولك زل الشيء عن مكانه ضعف لفظه لمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فإذا قلت زلزله فتأويله صكرت تحريكه عن مكانه

✽ الإعراب ✽

أم هذه هي المنقطعة ومعناه بل حسبتم والفرق بين أحسبتم وأم حسبتم ان أم لا تكون إلا متصلة بكلام والألف تكون مستأنفة. ان تدخلوا صلة وموصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سدا مسد مفعوليه وقيل مفعوله الثاني محذوف وتقديره أم حسبتم دخولكم الجنة ثابتاً والجنة نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا ولما أصلها لم زيد عليها ما فغيرت معناها كما غيرت معنى لو إذا قلت لوما فصيرته بمعنى هلاً والفرق بين لم ولما ان لماً يصح أن يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول أقدم الأمير؟ لماً ولا يجوز أن يقول لم وفي لماً توقع لأنها عقبية قد إذا انتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لماً يركب وليس كذلك لم ويجمعها نفي الماضي مثل مرفوع بأنه صفة محذوف مرفوع بياقي تقديره ولما يأتكم نصب مثل الذي أصاب الذين خلوا من قبلكم وإضافة مثل غير حقيقية لأنه في تقدير الانفصال فالجروء في تقدير المصوب لأنه مفعول ولماً مع الجملة في موضع نصب على الحال والواو واو الحال وتقديره ان تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم البأساء في موضع الحال ايضاً باضار قد والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوفة على مستهم ونصر الله مبتداً وإضافة غير حقيقية ومتى في موضع خبر المبتدأ

✽ النزول ✽

قيل نزلت يوم الحندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب النبي إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبياً ما سلب الله عليه الأسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي (ص) إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومستهم الضر عن عطا

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخالية تسلياً لنتية ولاصحابه فيما نالهم من المشركين وأمثالهم لأن سماع اخبار الخيار الصالحين يرغب في مثل احوالهم فقال (أم حسبتم) معناه بل أظننتم وختلتم ايها

المؤمنون (أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) معناه ولما تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا وهذه استدعاء إلى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل مثل الشبه والشبه اي لم يصبكم شبه الذين خلوا اي مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما اصاب أو تلك فقال (مستهم البأساء والضراء) والمس واللمس واحده البأساء نقيض النعامة والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الأهل والمال واخراج قديدحو بذلك إذ توقعوا الفرج بالصبر (وزلزلوا) اي حركوا بأنواع البلايا وقيل معناه هنا أزعجوا بالمخافة من العدو وذلك لفرط الحيرة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله המתحن وإنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل ان معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم ان الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه انه ناصر أوليائه لا محالة فقال (ألا إن نصر الله قريب) وقيل ان هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الاياس (متى نصر الله) ثم تفكروا فعلموا ان الله منجز وعده فقالوا (ألا إن نصر الله قريب) وقيل انه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلا وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول (ألا إن نصر الله قريب) كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار

قوله تعالى (٢١٥) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

اللغة

النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع او هبة او صلة او نحو ذلك وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام

الإعراب

موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل أن يكون مرفوعا او منصوبا فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون أي أي شيء الذي ينفقونه والتائد عن الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير أي شيء ينفقون فيكون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون ذا لغوا لأن ما مفيدة للمعنى وما من قوله ما أنفقتم اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وأنفقتم في محل الجزم بها من خير جار ومجرور في موضع الحال ومن للتبيين وتقديره ما أنفقتم كأننا من خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللوالدين الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف والمبتدأ والخبر في محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول (وما تفعلوا) ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز أن يكون ما في أنفقتم ايضا منصوب الموضع بانفقتم فيكون مفعولا له

التزول

نزلت في عمرو بن الجوح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا أتصدق وعلى من أتصدق فأنزل الله هذه الآية

المعنى

(يسألونك) يا محمد (ماذا) أي شيء ينفقون والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد

علموا أن الأمر وقع بإتفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينبغي فقال قل يا محمد (ما انفقتم من خير) أي مال أهل على أن له مقدارا وأنه مما ينتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا (فللوالدين والأقربين) والمراد بالوالدين الأب والأم والجد والجدة وإن علوا لأنهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالأقربين اقارب المطلي (واليتامى) أي كل من لا أب له مع صغره (والمساكين) الفقراء (وابن السبيل) المنقطع به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة عنده والزكاة لمن يجوز وضع الزكاة عنده فهي عامة في الزكاة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكاة ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة والأول أظهر لأنه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى الأب والأم والجد والجدة وإلى الأولاد فأما النفقة فلا خلاف أن النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبة وأما النفقة على ذي الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعي ويجب عند أبي حنيفة وقوله (وما تفلوا من خير) أي من عمل صالح يقربكم إلى الله (فإن الله به عليم) يجازيكم به من غير أن يضيع منه شيء لأنه تعالى لا يضيع عليه شيء

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الآية الأولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية بيان لوجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء إلى فعل البر والطاعة

قوله تعالى (٢١٤) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الكَرْه بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكَرْه بالضم المشقة حمل على النفس أو لم يحمل وقيل الكَرْه الكراهة والكَرْه المشقة وقديكره الإنسان ما لا يشق عليه وقديشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكَرْه والكَرْه لقتان مثل الضعف والضعف والحير نقيض الشر والحير النفع الحسن والشر الضرر القبيح وهذا هو الأصل ثم يستعملان في غير ذلك توسعا يقال شر يشر شرارة وشرار النار وشررها لها وشرة الشباب نشاطه وتشير اللحم أو الثوب أن تبسطه ليجهت والإشراق الإظهار

﴿ الإعراب ﴾

(وهو كره لكم) فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز أن يكون معناه وهو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا أي ذو رضا ويجوز أن يكون بمعنى مَرْضَى (وعسى أن تكرهوا) موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى وعسى هذه تلمة لأنها تمت بالفاعل ولم تنتج إلى خبر

﴿ المعنى ﴾

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن أمر به قال سبحانه (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله (وهو كره لكم) أي شاق عليكم تكرهونه كراهة طباع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء مكروها عند الإنسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وإن كان يريد أن الله تعالى أمره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه أنه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا) معناه وقد تكرهون شيئا في الحال وهو خير لكم في عاقبة أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح (وهو خير لكم) لأن لكم في الجهاد إحدى الحسنين

إما الظفر والنيمة وإما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) أي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القصد عن الجهاد لمجة الحياة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان النعمة والأجر في العقب (والله يعلم) أي يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة أمركم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم وأجمع المفسرون إلا عطا. ان هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض على الكفاية حتى ان لو قعد جميع الناس عنه أثنوا به وإن قام به من في قيامه كفاية وغنا. سقط عن الباقيين وقال عطا. إن ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الاجماع

قوله تعالى (٢١٧) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَبِيتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الصد والمنع والصرف نظاير يقال صد عن الشيء يصد صدوداً وصد إذا عرض وعدل عنه وصد غيره يصدّه صدا إذا عدل به عنه ومنعه والصد ما استقبلك وصار في قبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادي والصداد ضرب من العرذان يعدل لك لشدة تحرزه والصداد الوزغ لأنه يعدل عنه استقذارا له واصل الباب العدول لا يزال أصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجودا وما زال أي دام. وحبط عمل الرجل حبطاً وحبطوا واحبطه الله إحباطا والحبط قساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الحباط وهو ضرب من الكلال يقال حطت الإبل تحبط حبطا إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا وفي الحديث ان مما يئبث الربيع ما يقتل حبطا أو يئبث

﴿ الإعراب ﴾

قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتمال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل اصحاب الأخدود النار وقال الاعشى

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ نَوَازِ تَوْبَتِهِ
تَقْضَى لِبَانَاتٍ وَيَسَامُ سَائِمٌ (١)

وقال الكوفيون هو مجرور على اضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الفاظ متقاربة في المعنى وان اختلفت في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتدا وكفر به معطوف عليه واخراج اهله منه معطوف عليه ايضا وخبره اكبر عند الله اي هذه الاشياء اكبر عند الله أي أعظم إنما و اجاز الفراء رفعه على وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه مردود على كبير أي قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به أي القتال قد جمع انه كبير وانه صد عن سبيل الله وكفر به ﴿ والاخر ﴾ ان يحمل الصد الكبير اي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعا بالابتداء. وخبره محذوف وخطاه الطاء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى في التقدير الأول قل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالاجماع ويصير التقدير في الثاني وإخراج اهله منه اكبر عند الله من الكفر وهذا ايضا خطأ بالاجماع والفراء ان يقول في هذه المعنى وإخراج اهله منه اكبر من القتل

(١) نوى المكان : اقام واللبانات بضم اللام : الحاجات من غير فاقة . والسامة : الملاة والشاهد في قوله نواز فانه بدل الاشتمال من حول .

فيه لا من الكفر به لأن المعنى في إخراج أهله منه إخراج النبي والمؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفرا منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء في قوله وكفر به لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا في ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات ويجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح أجود

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون بعث رسول الله سرية من المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمه النبي (ص) وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاختم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع أشفيتم عليه فقلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين وذلك أول فيء أصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي (ص) فقالوا أيمل القتال في الشهر الحرام فأترل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(يسألونك) يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن وأكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه (عن الشهر الحرام قتال فيه) يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمة ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الأسنه ومنصل الال لأنهم كانوا ينزعون الأسنه والنصال عند دخول رجب انطوا على ترك القتال فيه وكان يدعى الأضم لأنه لا يسمع فيه قعقة السلاح فنسب الصم اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضاً وتأمّن السبل إلى أن ينقض الشهر (قل) يا محمد (قتال فيه) أي في الشهر الحرام (كبير) أي ذنب عظيم ثم استأنفه وقال (وصد عن سبيل الله وكفر به) أي والصد عن سبيل الله والكفر بالله (والمسجد الحرام) أي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر والمسجد الحرام عن الجبائي فحمله عن الباء في قوله (وكفر به وإخراج أهله) يعني اهل المسجد وهم المسلمون (منه) أي من المسجد (أكبر) أي أعظم وزراً (عند الله) يعني إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة والظاهر يدل على أن القتال في الشهر الحرام كان محرماً لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال إلا فيما هو محرم محذور وقيل ان النبي (ص) عقل ابن الحضرمي وقوله (والفتنة أكبر من القتل) معناه الفتنة في الدين وهو الكفر اعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلهم حتى لا تكون فتنة وبقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطاء هو باق على التحريم وعندنا أنه باق على التحريم فيمن يرى هذه الأشهر حرمة ولا يتدنون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وإنما أباح الله تعالى للنبي (ص) قتال اهل مكة عام الفتح فقال (ع) ان الله أحلها لي في هذه الساعة ولأجلها لأحد من بعدي إلى يوم القيامة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الأشهر جاز قتاله أي وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم)

يعني أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين (حتى يردوكم عن دينكم) أي يصرفوكم عن دين الإسلام ويلجئوكم إلى الارتداد (إن استطاعوا) أي إن قدروا على ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه (فيمت وهو كافر) يعني مات على كفره (فأولئك حبلى أعمالهم في الدنيا والآخرة) معناه أنها صارت بمنزلة ما لم يكن لا يبقاهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن اجباط العمل وإبطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد أنهم استحقوا على أعمالهم الثواب ثم المحبط لأنه قد دل الدليل على أن الاجباط على هذا الوجه لا يجوز (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي دائمون

﴿ النظم ﴾

نظم الآية وتقديرها يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه وإخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله واكبر وزرا وهو لا الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوا عنه

قوله تعالى (٢١٨) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الهجر ضد الوصل يقال هجره بهجره هجرانا وهجرأ وهجرة إذا قطع مواصلته وهجر المريض بهجر هجرأ إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام وسوا المهاجرين لهجرتهم قومهم وأرضهم وإنما أطلق على هولا اللفظ الذي يقع على الاثنين لأن كل واحد من هولا فعل مثل فطاحبه وترك ما تركه اختيارا لصحة النبي وجاهدت العدو مجاهدة وجاهادا إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله والرجاء الأمل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون وقال ابو ذؤيب

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلٍ (١)

أي لم يخف وذلك أن الرجاء للشيء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء

﴿ النزول ﴾

ترت الآية في قصة عبدالله جحش واصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل واقد السهمي ابن الحضرمي فظن قوم انهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله الآية فيهم بالوعد

﴿ المعنى ﴾

(إن الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (والذين هاجروا) أي قطعوا عائلتهم وفارقوا منازلهم وتركوا أمراهم (وجاهدوا في سبيل الله) أي قاتلوا الكفار في طاعة الله التي هي سبيله المشروعة لعباده وإنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لأن الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد (أولئك يرجون رحمة الله) أي يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى وهي النصرة في الدنيا والمثوبة في العقبى (والله غفور) يفر ذنوبهم (رحيم) يرحمهم • إنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وإن كانوا يستحقون الثواب قطعاً وبقينا لأنهم لا يبدون ما يكون منهم في المستقبل الإقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصية الله ووجه آخر وهو الصحيح وهو أن يرجوا رحمة الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها واختصروا دونها فهم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً فأما الرجاء الأول فإنما يصح على مذهب من يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه

(١) النوب بالضم: النحل التي تنوب أي تنهب وتجيء • عوامل تجيء بالشمع ثم تملئه • قوله وخالفها أي جاء إلى عساها

او يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب إيمانه وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافقة وقال الحسن أراد به إيجاب الرجاء والطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمة الله من أركان الدين واليأس من رحمة كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الآية والأمن من عذابه خسران كما قال ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس من رحمة وان لا يأمن من عقوبته ويؤيده قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس في الآية دلالة على أن من مات مصراً على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمرين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ ان دليل المفهوم غير صحيح عند أكثر المصليين ﴿٣﴾ والآخر ﴿٤﴾ انه قد يجتمع عندنا الإيمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له

﴿١﴾ النظم ﴿٢﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذاك أحق بتدبير الحكماء واوكد في الاستدعاء.

قوله تعالى (٢١٩) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَوْفُوكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٢٠) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

آيتان في الكوفي وآية واحدة فيا عد الكوفي تفكرون آية وتركها غيره

﴿٣﴾ القراءة ﴿٤﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم إثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرأ أبو عمرو وحده قل الضوب بالرفع والباقون بالنصب

﴿٥﴾ الحجة ﴿٦﴾

قال أبو علي حجة من قرأ بالباء أن يقول الباء أولى لأن الكبر مثل العظم ومقابلة الصغر والكبير العظيم قال تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في الذنب إذا كان موبقا الكبيرة كقوله كباثر ما تنهون عنه وكباثر الإثم فذلك ينبغي أن يكون قوله قل فيها إثم كبير بالباء لأن شرب الخمر والميسر من الكبيرة وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل الكثير القليل كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك أيضا قوله وإثمها أكبر من نفعها واتفاقهم هنا على أكبر ورفضهم لأكثر ووجه من قرأ بالثاء انه قد جاء فيها إذا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وفي الحديث لعن الرسول في الخمر عشرة مشقيا والمشقة له وعاصرها والمعصية له وساقيا والمستقي لها وحاملها والمعصية اليه وآكل ثمنها فهذا يقوي قراءة من قرأ كثير وإما وجه قول من نصب الضوب فهو أن قولهم ماذا يستعمل على ضربين ﴿٧﴾ أحدهما ﴿٨﴾ أن يكون مامع ذا اسما واحدا ﴿٩﴾ والآخر ﴿١٠﴾ أن يكون ذا معنى الذي فالأول قول العرب عما ذا تسأل أنبتوا الألف في ما لم يكن مامع ذا بمنزلة اسم واحد فإن الحذف إذا يقع إذا كانت الألف آخرها ومن ذلك قول الشاعر

يَا خَزْمَ تَلَيْبَ مَاذَا بَالُ نَحْوَتِكُمْ لَا يَسْتَفْتِنَ إِلَى الدُّنْيَيْنِ كَهَنَانَا (١١)

(١) [عداه] (٢) الخزر جمع الاخزر : الرجل الضيق العين وهذا عند العرب من النقايس الشنيعة . لا يستفطن اي

لا يرجع . التحنان : الشوق .

اي ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون أي أيًا ما ينفقون فجواب هذا الغو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو أن يحمل ماذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون فجوابه الغو على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي الذي ينفقون الغو ومثله في التنزيل وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين واعلم أن سيويه لا يجوز أن يكون ذا بمنزلة الذي إلا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يبيرون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر الذي إلا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يبيرون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر

عَدَسٌ مَا لِمَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةً
نَجْوَتِ وَهَذَا تَحْمِيلَيْنِ طَلِيقٌ (١)

وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم في الآية فإن قوله بيمينك يجوز أن يكون ظرفا في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحمليين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم من معنى الفعل

اللغة

الحمر اصله الستر والحمر ما وارك من الشجر وغيره ومنه الحمار للمقنعة ودخل في حمار الناس اي في الكثير الذي يستتر فيهم ويقال خامره الداء إذا خالطه قال كثير :

هَيْنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَاوِرٍ
لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ (٢)

وخمرت الاناء اي غطيته وفي الحديث كان النبي يسجد على الحخرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الارض قال الزجاج وقد لبس على ابي الأسود الدؤلي قليله ان هذا المسكر الذي ستموه بغير الحمر حلال فظن ان ذلك كما قيل له ثم رده طبعه إلى أن حكم بأنها واحد فقال له

دَعِ الْحَمْرَ تَشْرَبُهَا الْغَوَاةُ فَإِنِّي
قَانَ لَا يَكْنُهَا أَوْ تَكْنُهَا فَإِنَّهُ
أَخُوهَا غَدَتُهُ أُمَّهُ يَلْبَانُهَا (٣)

وأصل الباب الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء يتيسر يسرا وميسرا إذا وجب لك والياسر الواجب بقصداح وجب لك او غيره وقيل للمقامر يسر ويسر قال النابغة

أَوْ يَأْسِرُ ذَهَبَ الْقِدَاحِ يَوْفِرُهُ
أَسِيفٌ تَأْكُلُهُ الصَّدِيقُ مَخْلَعٌ (٤)

أي قامر وقيل اخذ من التجزئة لأن كل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لأنهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل أمرها إلا انه على جهة القمار والغو مأخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى غفوا اي زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر

وَلَكِنَّا يَعْضُ السَّيْفُ مِثْلًا
بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كَوْمٌ (٥)

اي زائدات الشحم وقيل هو مأخوذ من الترك من قوله فمن غني له من أخيه شيء اي ترك ومنه قوله غفوت لكم عن صدقة الحيل اي تركتها فيكون الغو المتروك غني عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كخالطة الحبل للماء وما أشبهه والخليطان الشريكان لاختلاط أموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعتات الحمل على مشقة لا تطاق تغلا وعنت العظم عنتا أصابه وهن او كسر بعد جبر وعنت عنتا إذا اكتسب مأثما وتعنته تعنتا إذا لبس عليه في سؤاله له والاكمة العنوت الطويلة واصل الباب المشقة والشدة

الإعراب

العامل في الظرف من قوله في الدنيا والآخرة قوله يبين اي يبين لكم الآيات في امر الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون تتفكرون اي تتفكرون في أمر الدنيا وامر الآخرة وقوله فأخوانكم رفع على انه

(١) الشعر في جامع الشواهد . (٢) عزة : اسم امرأة والمعنى هينئاً لعزة كلما استحلقت من اعراضى الا الداء الذى

خالطنى . (٣) والمعنى اترك الخمر للغواة واختر لنفسك اخاها فانه ارسى كمن سئى لكنه يكون اخوها بالرضاع .

خير مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية فإخوانكم على النصب على تقدير فإخوانكم
بجالتون والوجه الرفع

﴿ النزول ﴾

نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله (ص) فقالوا افتنا في الخمر والميسر فإنها مذهب للعقل مسلبة
للمال فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع والأحكام فقال (يسألونك) يا محمد (عن الخمر) وهي كل شراب
مسكر مخالط للعقل مفض علىه وما اسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر في روايات اصحابنا وهو مذهب
الشافعي وقيل الخمر عصير العنب إذا اشتد وعلى وهو مذهب ابي حنيفة (والميسر) وهو القمار كله عن ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروي عن أنتمنا حتى قالوا ان لعب الصبيان بالجوز هو القمار (قل فيها)
اي في الخمر والميسر (إثم كبير) اي وزر عظيم وكثير من الكثرة (ومنافع للناس) منفعة الخمر ما كانوا
يأخذونه في أثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشرها ومنفعة القمار هو ان يفوز الرجل بال صاحبه من
غير كد ولا مشقة ويرتفق به الفقراء. (وإثمها أكبر من نفعها) اي ما فيها من الإثم أكبر مما فيها من النفع
لأن نفعها في الدنيا وما يحصل من الإثم بها يوجب سخط الله في الآخرة فلا يظهر في جنبه الا نفع قليل
لا يبقا. له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين ﴿ احدهما ﴾ قوله وإثمها أكبر فإنه إذا زادت
مضرة الشيء على منفته اقتضى العقل الامتناع عنه ﴿ والثاني ﴾ انه بين أن فيها الإثم وقد حرم في آية
أخرى الإثم فقال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وقيل ان الخمر يسمى إثما في اللغة قال الشاعر
شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي
كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَصْنَعُ بِالْعُقُولِ

على انه قد وصف الإثم بأنه كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه وإثمها بعد تحريمها
أكبر من نفعها قبل تحريمها وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من اسبابها
أكبر من نفعها وقال قتادة هذه الآية لا تدل على تحريمها وإنما تدل الآية التي في المائة من قوله إنما الخمر
والميسر إلى آخرها وقوله (ويسألونك ماذا ينفقون) اي أي شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجوح سأل عن
النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات (قل الفؤ) فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه ما فضل عن الأهل والعيال او
الفضل عن النبي عن ابن عباس وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ ان الفؤ الوسط من غير إسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا
وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان الفؤ ما فضل عن قوت السنة عن ابي جعفر الباقر (ع)
قال ونسخ ذلك بآية الزكاة وبه قال السدي ﴿ ورابعها ﴾ ان الفؤ اطيّب المال وافضله وقوله (كذلك)
إنما وحّد الكاف لأن الخطاب للنبي ويدخل فيه الأمة وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل (يبين الله لكم
الآيات) اي الحجج في امر النفقة والخمر والميسر وقيل في سائر شرائع الإسلام (اعلمكم تفكرون) اي
لكي تفكروا (في الدنيا والآخرة) اي في امر الدنيا وامر الآخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلاء وعناء وفناء
والآخرة دار جزاء وبقاء فترهّدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل انه من صلة بين اي كما بين لكم
الآيات في الخمر والميسر بين لكم الآيات في أمور الدنيا والآخرة لكي تفكروا في ذلك دلالة على ان الله
أراد منهم التفكير سواء تفكروا أو لم يتفكروا (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما أنزل الله ولا
تقربوا مال اليتيم الآية وان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من
طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسالوا عنه فنزلت هذه الآية ولا بدّ من اضرار في الكلام لأن

— (٤) الوفرة: المال الكثير. تأكله: غضب عليه. والخلع: الرجل الضعيف الرخو. (٥) بعض السبب من أعضائه

سيفوا إذا ضربته به. الكوم بالضم جمع الكوما. الناقة العظيمة السنم.

السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى او التصرف في أموال اليتامى قل يا محمد (اصلاح لهم خير) يعني إصلاح لأموالهم من غير أجره ولا أخذ عوض منهم خير واعظم أجراً (وإن تحالطوهم) اي تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم (فأخوانكم) اي فهم أخوانكم والأخوان يُعِين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا أذن لهم فيما كانوا يتحرّجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل والمشرب والسكن ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك إذا تحمّروا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن وغيره وهو المروي في اخبارنا (والله يعلم المفسد من المصلح) معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد مالهم أو إصلاح مالهم (ولو شاء الله لاعتكفكم) اي لضيّق عليكم في امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشقّ عليكم فتعتون ولكنكم لم يفعل وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه إذا لم يشأ اعتاقهم ولو أعتقهم لكان جائزاً حسناً لكنه وسّع عليهم لما في التوسعة من النعمة فكيف يصح ان يشأ تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للكلف اليه ويأمره بما لا يتصور احدائه من جهته وأي عنت اعظم من هذا قال البلخي وفيه ايضا دلالة على فساد من قال انه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعانات بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء لفعله (إن الله عزيز) يفعل بغزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع (حكيم) في تدبيره وافعاله ليس له عما توجه الحكمة مانع

قوله تعالى (٢٢١) وَلَا تُنكِهُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ وَلَا تُنكِهُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَاعْبُدُوا مَوْلَانَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ مُشْرِكِيكُمْ وَلَا تُعْجِبْتُمْ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (آية)

❖ اللفظة ❖

النكاح اسم يقع على العقد والوطء. وقيل ان اصله الوطء. ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث يسمى عذرة وهي اسم للفناء. ويسمى غائطاً وهو اسم للمكان المطنن يقال نكح ينكح نكاحاً إذا تزوج وانكحه غيره زوجته والأمة المملوكة يقال أمة بينة الأُمُورِ وَأَمِيَّتٌ فَلَانَةٌ وَأَمِيَّتٌ إِذَا جَعَلْتَهَا أُمَّةً وَاصِلٌ أُمَّةً فَعَلَةٌ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِمْ فِي جَمْعِهَا إِمَامًا. وَأَمٌّ نَحْوُ أَكْمَةٍ وَالرَّكْمِ وَالْأُمَّةِ

❖ الإعراب ❖

يؤمن في محل نصب بأن مضرة وان يؤمن في موضع جرّ بحقّي وحتى يتعلق بتنكح ومن مشرّكة من يتعلق بنجير والجار والمجرور في محل نصب بأنه مفعول به ولو اعجبتمكم جواب لو محذوف تقديره ولو اعجبتمكم أمة مشرّكة لأمة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا وإعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو اعجبكم مثل ما قلنا في حتى يؤمن ولو اعجبتمكم

❖ النزول ❖

نزلت في مرتد بن ابي مرتد الضنوي بمكة رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان قوياً شجاعاً فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت خلة في الجاهلية فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلا رجع استأذن في التزوج بها فنزلت الآية

(١) [مذهب]. (٢) الظاهر سقوط الضمير من اللفظة وان الصواب «خلته» ويؤيده ما في اسد الغابة حيث قال: «وكانت

* المعنى *

لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال (ولا تنكحوا المشركات) اي لا تزوجوا النساء الكافرات (حتى يؤمن) اي يصدقن بالله ورسوله وهي عامة عندنا في تحريم منا كحة جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله بينهما فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وعطف احدهما على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية متناولة لجميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد (ص) فقد انكر معجزه و اضافه إلى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخة في الكتاب بالآية التي في المائدة والمحصات من الذين أوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها إن شاء الله (ولأمة مؤمنة خير من مشركة) معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة (ولو أعجبكم) (١) ولو أعجبكم بما لها أو حسبها أو جمالها و ظاهر هذا يدل على انه يجوز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول فأما قوله فمن لم يستطع منكم طولا الآية فأرنا هي على التنزيه دون التحريم (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات يتناول جميع الكافرات وقوله (ولعبد مؤمن خير من مشرك) اي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو أعجبكم ماله أو حاله أو جماله والفرق بين ولو أعجبكم وبين وإن أعجبكم ان لو للماضي وإن للمستقبل وكلاهما يصح في معنى الآية وهو من العجب الذي هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب (أو لتك) يعني المشركين (يدعون إلى النار) يعني إلى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لأن الغالب ان الزوج يدعو زوجته إلى دينه (والله يدعو إلى الجنة) أي إلى فعل ما يوجب الجنة (والمغفرة) من الايمان والطاعة (بإذنه) اي بأمره يعني بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والاحكام عن الحسن والجبائي وقيل با علامه وقوله (ويبين آياته للناس) اي حججه وقيل أوامره ونواهيه وما يحظره ويبيحه للناس (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتذكروا او يتعظوا

قوله تعالى (٢٢٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (آية)

* القراءة *

قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء والها. والباقون بالتخفيف

* الحجة *

من قرأ يطهرن فإنه من طهرت المرأة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقبس لأنه خلاف طشت فينبغي أن يكون على بنائه وايضا فقولهم طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يطهرن فإنه يتطهرن فادغم التاء في الطاء

* اللغة *

حاضت المرأة تحيض حيضاً و محيضاً و محاضاً و المصدر من هذا الباب المقيل و المقيل جائز فيه قال الراعي

بُنِيَتْ مَرَاقِبُهُنَّ فَوْقَ مَزَلَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقُرَادُ مَقِيلًا^(١)

اي قيلولة و امرأة حائض و نساء. حَيْضٌ و الاعتدال التنجي عن الشيء و كل شيء نَجِيته عن موضع فقد عزلته عنه و منه عزل الوالي و انت عن هذا يَمْعَزِلُ اي مُتَنَجِي و عزلاء المَزَادَة مخرج الماء من إحدى جانبيها و الجمع عزالٍ و المِعْزَال من الناس الذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية و الطهر خلاف الدنس و الطهور يكون اسماً و يكون صفة فإذا كان اسماً كان على ضربين ﴿ اِحدهما ﴾ أن يكون مصدرًا كما حكاه سيويه تطهرت طهوراً حسناً و توضأت و وضوا ﴿ و الآخر ﴾ أن يكون اسماً ليس بمصدر كما جاء في قوله طهوراً تاء احدكم كذا. و هو اسم لما يطهر كالقَطْر و الوجور و السعوط و السحور و أما كونه صفة فهو في قوله و أنزلنا من السماء ماء طهوراً فهذا كالرسول و المعجوز و نحو ذلك من الصفات التي جاءت على فَعول و لا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعدياً نحو ضروب الأثرى أن فعله غير متعد كما يتعدى ضربت و من الصفة قوله هو الطهور ماؤه لأنه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفة المتقدمة

﴿ الإعراب ﴾

من حيث جار و مجرور و لكن حيث مبني لا يظهر فيه الإعراب و إنما بني لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا مع غيره كالحرف و من يتعلق بقوله فَأَتَوْنَنَّ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ جُمْلَةً فِي مَحَلِّ الْجَرِّ بِإِضَافَةٍ حَيْثُ إِلَيْهِ

﴿ النزول ﴾

قيل كانوا في الجاهلية يتجنبون مواكبة الحيض و مشاربتها و مجالستها فسألوا عن ذلك فترت الآية عن الحسن و قتادة و الربيع و قيل كانوا يستجيزون آتيان النساء في ادبارهن أيام الحيض فلما سألو عنه بين لهم تحريمه عن مجاهد و الأول عندنا أقوى

﴿ المعنى ﴾

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْعَانَهُ شَرِيْعَةً أُخْرَى فَقَالَ (و يسألونك) يا محمد و السائل ابو الدحداح فيا قيل (عن الحيض) اي عن الحيض و احواله (قل) يا محمد (هو أذى) معناه قدرو نجس عن قتادة و السدي و قيل دم عن مجاهد و قيل هو أذى لمن و عليهن لما فيه من المشقة قاله القاضي (فاعتزلوا النساء في الحيض) اي اجتنبوا مجامعتهن في الفرج عن ابن عباس و عائشة و الحسن و قتادة و مجاهد و هو قول محمد بن الحسن و يوافق مذهبا انه لا يحرم منها غير موضع الدم فقط و قيل يحرم مادون الأزار و يحل ما فوقه عن شريح و سعيد بن المسيب و هو قول ابي حنيفة و الشافعي (ولا تقربوهن) بالجماع او مادون الأزار على الخلاف فيه (حتى يطهرن) بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن و بالتشديد معناه يقتسلن عن الحسن و يتوضأن عن مجاهد و طاوس و هو مذهبنا (فإذا تطهرن) أي اغتسلن و قيل توضأن و قيل غسلن الفرج (فأتوهن) فجامعهن و هو اباحة و إن كان صورته صورة الأمر كقوله وإذا حللتم فاصطادوا (من حيث أمركم الله) معناه من حيث أمركم الله تجنبه في حال الحيض و هو الفرج عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و الربيع و قيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدي و الضحاك و قيل من قبل النكاح دون الوجور عن ابن الحنفية و الأول البق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التي تحمل فيها ان تقرب المرأة و لا تقربوهن مبن حيث لا يجب اي لا تقربوهن و هن صائمات او محرقات او معتكفات و قال الفراء و لو اراد الفرج لقال في حيث فلما قال من حيث علمنا انه اراد من الجهة التي أمركم الله بها و قال غيره انما قال من حيث لأن من لا ابتداء الغاية في الفعل نحو قولك

(١) يصف ابلا بالسنن و البلاسة . و المزلة : موضع الزال . و القراد : دوية تتعلق بالبعير و نحوه و هي كالقمل

للانسان . (٢) الوجور: الدواء الذي يصب في الفم . و السعوط: الذي يصب في الأنف .

افت زيدا من مأتاه اي من الوجه الذي يوتى منه (ان الله يحب التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا وقد رواه اصحابنا ايضا في سبب نزول الآية وقيل يجب المتطهرين من الذنوب عن سعيد ابن جبير ولم يذكر المتطهرات لأن الموتى يدخل في المذكر وقيل التوابين ممن الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره وعندنا اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطء في حال الحيض فإن عندنا ان كان في اوله يلزمه دينار وان كان في وسطه فنصف دينار وان كان في آخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يقصّل وقال الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية تحريم الوطء. واختلف فيه فمنهم من جعل النايه انقطاع الدم ومنهم من قال إذا توضأت او غسلت فرجها حل وطؤها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها فاغتسلت حل وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضا عشرا فنفس انقطاع الدم يحلها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطؤها الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت الصلاة عليها عن ابي حنيفة

قوله تعالى (٢٢٣) نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا إِلَانفْسِكُمْ وَأْتُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

أنى في محل نصب لأنه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث او أين او ظرف زمان إذا كان بمعنى متى والعامل فيه فاتوا وشتتم جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف إليها وإذا كان أنى بمعنى كيف فهو في محل نصب على المصدر ولا محل لشتتم وتقديره فاتوا حرثكم أي نوع شتم

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت رداً على اليهود حيث قالوا ان الرجل اذا اتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد احوال فكذبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فانزل الله اباحتها عن الحسن

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله (نساؤكم حرث لكم) وفيه وجهان - احدهما - ان معناه مزدور لكم ومحرث لكم عن ابن عباس والسدي - والثاني - ان معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فعذف المضاف وهذا في المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع والثالث معناه كحرث لكم فعذف كاف التشبيه كما قال الشاعر

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَا
نَيْدٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمَّ (١)

وقد سمي العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمة انشدني ابي

إِذَا أَكَلَ الْجَرَادُ حُرُوثَ قَوْمٍ
فَحَرِثِي هَمَّهُ أَكْلُ الْجَرَادِ

يريد امرأتي (فاتوا حرثكم) اي موضع حرثكم يعني نساؤكم (انى شتمت) معناه ممن أين شتمت عن قتادة والربيع وقيل كيف شتمت عن مجاهد وقيل متى شتمت عن الضحاك وهذا خطأ عند اهل اللغة لأن أنى لا يكون إلا بمعنى من أين كما قال أنى لك هذا وقيل معناه من أي وجه واستشهد بقول الكميث

أَنْتَى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ
مِنْ حَيْثُ لَا صَبُوءَ وَلَا رَيْبَ (٢)

(١) [جماعة من] (٢) النشر: ربح فم المرأة. والعمم: شجرة هجازية لها ثمرة حمراء تشبه بتان المغضوبة بها.

(٣) الاوب: الرجوع. الصبوة: الشوق. الزيب: العجاجة.

وليس في البيت شاهد لهم لانه لا يجوز ان يكون اتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا وأي وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيفوا استدلال مالك بقوله اتى شتم على جواز اتيان المرأة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرف لا يكون الا بحيث النسل فيجب ان يكون الوطء بحيث يكون النسل فأجيبوا عن ذلك بأن النساء وان كنّ لنا حرة فقد ابيح لنا وطؤهن بلا خلاف في غير موضع الحرف كالوطء فيا دون الفرج وما شبهه وقوله (وقدموا لأنفسكم) معناه قدموا الأعمال الصالحة التي أمرتم بها ودرغتم فيها لتكون ذخرا لكم عند الله ووجه اتصاله بما قبله انه لما تقدم الأمر بعدة اشياء قال بعدها وقدموا لأنفسكم بالطاعة فيا أمرتم به (واتقوا الله) واتقوا الله بترك مجاوزة الحد فيا بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه والتحذير من مخالفة ما الزموا وقيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن في اقتناء الولد الصالح يكون تقديما عظيما لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم به ينتفع بعد موته وقيل هو تقديم الأفراط لقوله من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا التحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطاء وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينها ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج بالعائفة ليكون الولد طاهرا صالحا (واعلموا انكم ملائكة) أي ملائكة جزائه يعني ثوابه إن أطعتموه وعقابه إن عصيتموه وإنما أضافه اليه على ضرب من المجاز (وبشر المؤمنين) بالثواب والجنة ولا يصح حمل القاء على الرواية لأن لفظ القاء يقع على معان مختلفة يقال لقي جهده ولقي حمامه ولأن في الآية اثبات القاء لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب اليه اهل التشبيه

قوله تعالى (٢٢٤) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

الفلة

يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضة له والمرأة عرضة للكناح والدابة المدة للسفر عرضة له وقال الشاعر
فَهَذِي لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ وَهَذِهِ لِلْهُوِيِّ وَهَذِي عُرْضَةٌ لِأَرْحَامِنَا
أي عدة وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الحيو والكسر واليمين والقسم والحلف واحد وقيل اخذ من القوة لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله «تلقاها عرابة باليمن» وقيل أخذ من الجارحة لأنهم كانوا عند الإيوان يضربون ايديهم على ايديهم فسمي الحلف بذلك وقيل أخذ من اليمن الذي هو البركة لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد

الاعراب

قوله ان تبروا في موضعه ثلاثة اقوال ﴿احدها﴾ ان موضعه جرّ بحذف اللام عن الحليل قال ابو علي جاز أن يكون المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جرّ وإن لم يجر ذلك في غير أن لأمرين ﴿احدهما﴾ ان الكلام قد طال بالصلة فصحت الحذف ﴿والآخر﴾ أن أن حرف وإذا حذف اللام صار كأن حرفا كما قد أقيم مقام حرف فعاقبه فهذا حسن حذف اللام مع أن دون المصدر غير الموصول في اللفظ بالفعل وأقول عنى بذلك انك إذا قلت جئتكم لضرب زيد لم يجر أن تحذف اللام فتقول جئتكم لضرب زيد وإذا قلت جئتكم لأن تضرب زيدا جاز أن تحذف اللام فتقول جئتكم أن تضرب زيدا ﴿والثاني﴾ ان موضعه النصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل

(١) [أي] . (٢) الافراط جمع الفرط : ما تقدمت من الاجر . ما لم يدرك من الولد . (٣) غلام لم يدرك العنت اي لم يجز عليه القلم . (٤) قائله الشماخ و صدره «اذا مساوية رفعت لمجد» وعرابة اسم رجل من الانصار .

وهو قول سيبويه وهو القياس واقول على القولين جميعا فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفي او لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الأول وهو النفي يكون في موضع النصب بأنه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الإثبات يجوز أن يكون مفعولا له ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال والعاقل فيه ما في قوله لأيمانكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كائنة لأن تبروا أي لبركم وذو الحال الأيمان ﴿ والثالث ﴾ ما قاله قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا أولى فعذف الخبر الذي هو أولى لأنه معلوم المعنى

﴿ النزول ﴾

نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يجعل لي أن أفعله فترت الآية

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الإيلاء وهو اليمين التي تحرم الزوجة فابتدأ بذكر الأيمان اولاً لتأسيس الحكم الإيلاء فقال (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله ولم تحلفوا به عن الحسن وطاوس وقتادة وأصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لأن المعترض بين الشيتين يكون مانعا من وصول احدهما إلى الآخر فالعلة مانعة كهذا المعترض ﴿ والثاني ﴾ ان عرضة معناه حجة فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم عين ثم ظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما قد سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع وأصله في هذا القول والأول واحد لأنه منع من جهة الاعتراض لعله او حجة ﴿ والثالث ﴾ ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وتتقوا المآثم فيها عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا به وان بررتم وبه قال الجياثي وابو مسلم وهو المروي عن أئمتنا نحو ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم قال ابو مسلم ومن أكثر ذكر شي في معنى فقد جعله عرضة له وتقول جعلتني عرضة لقومك قال الشاعر ﴿ ولا تجعليني عرضة للوالم ﴾ وتقديره على الوجه الأول والثاني لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعتراضك به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله بما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله (ان تبروا) قيل في معناه اقوال العرف الأول ﴿ لأن تبروا على معنى الإثبات أي لأن تكونوا برة أتقيا فإن من قلت يمينه كان أقرب إلى البر من كثرت يمينه وقيل لأن تبروا في اليمين ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى لدفع ان تبروا او ترك أن تبروا فعذف المضاف عن المبرد ﴿ والثالث ﴾ ان معناه ان لا تبروا فعذف لا عن أبي عبيدة قال وقد حذف لا لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس ﴿ فقلت يمين الله أبرح قاعدا ﴾ اي لا أبرح وأنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه أن بطل أن يكون جوابا للقسم وإنما يجوز والله الغوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان اثباتا لقال لا أقوم باللام والنون والمعنى في قول أبي العباس وأبي عبيدة واحد والتقدير مختلف (وتتقوا) أي تتقوا الإثم والمطاصي في الأيمان (وتصلحوا بين الناس) في الأيمان وتصلحوا بين الناس عطف على ماسبق ومعناه ولا تجعلوا الحلف بالله علة او حجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا لكي تكونوا من البررة والأتقيا والمصلحين بين الناس او لدفع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا اي بين الناس فإن من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى والإصلاح بين الناس (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بما في ضمائركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على ان

(الجزء الثاني) قوله تعالى لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم الى قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ٣٢٣ ج ٢

من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فله ان ينقض بينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فمئذ اكثر الفقهاء يجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره ليفعل فعلا او يستنع عن فعل ولا يبالي بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه لا يأثم بذلك والصحيح ان المقسم عليه يأثم لقول النبي من سألكم بالله فأعطوه ومن استأذكم بالله فأعيذوه

قوله تعالى (٢٢٥) لا يُؤْخَذُكُمْ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه يقال لنا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائدة فيه والنمى الكلبة إذا طرحها لأنه لا فائدة فيها واللغوية الكلبة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير اهله ولغو الطائر منطلقه قال ثعلبة بن صعيبر المازني

بَاكَرْتَهُمْ بِسَبَابِ جَوْنِ ذَارِعٍ
قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لُغُو الطَّائِرِ

واللغاء الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى واصل الحلم الأناة وهو في صفته تعالى الامهال بتأخير العقاب على الذنب

﴿ الاعراب ﴾

في أيمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤخذ وذو الحال اللغو بما كسبت يجوز أن يكون ما اسما موصولا ويجوز أن يكون حرفا موصولا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه اقسام اليمين فقال (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) اختلفوا في معنى اللغو فقيل هو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو ان يحلف وهو يرى انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقيل هو يمين الفضيان لا يؤخذكم بالحلف فيها عن ابن عباس ايضا وطاوس وبه قال سعيد بن جبير إلا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء فهي لغو ولا يجب فيها كفارة (ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) أي بما عزمتم وقصدتم لأن كسب القلب العقد والنية وفيه حذف اي من أيمانكم وقيل بأن تحلفوا كاذبين او على باطل عن ابراهيم (والله غفور) يغفر الذنوب (حليم) يمهل العقوبة على الذنب ولا يجعل بها

قوله تعالى (٢٢٦) لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ أَفَانُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٧) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

ألى الرجل من امر أنه يؤلى ابلا من الإولية والالوة وهي الحلف قال الشاعر

كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ مِنْ تَرَارٍ وَأَحْنَنَّا إِلَيْهِ مَقْسِمِنَا

واتلى وتألى بمعناه وفي التنزيل ولا يأتل أولوا الفضل منكم وقرأ ولا يتأل وجمع الالية الآيات والآيات كمشية وعشايا وعشيات وجمع الالوة الأبي كركوبة وركائب والتربص الانتظار ويقال تربصت به قال الشاعر

تَرَبَّصْ بِهَا رَبِّبَ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تَطْلُقُ يَوْمًا أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا

والذي الرجوع يقال فاه يفي فينا إذا رجع وفاه الفي إذا تحول عن جهة الفداء ب رجوع الشمس عنه والفرق بين الفي والظل ما قال المبرد ان الفي ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل في ظل وليس كل ظل فينا واهل الجنة في ظل لا في في لأن الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظل ممدود وجمع الفي افياء والفي غنائم المشركين افاه الله علينا منهم وهو من رجوع الشيء إلى حقه وفلان سريع الفي من غضبه أي الرجوع والعزم: هو العقد على فعل شيء في مستقبل الاوقات وهو إرادة متقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشيء يعزم عزمًا واعتزم وعزمت عليك لتفعلن أي اقسمت وعزم الراقى كأنه أقسم على الداء وما لفلان عزيمة اي ما يثبت على شيء لتلونه وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي الآفات لما يروجى من البرء بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء التأنيث إنفا حذفت لأنه لاحظ فيه للمذكر وهذا ليس بشيء لأن في الكلام اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الها في المؤنث يقال بعير ضامر وناقصة ضامر وامثاله كثيرة وقال سيويه انه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطلق اي ذات طفل وطالقي اي ذات طلاق فإذا أجرته على الفعل قلت طالقة قال الاعشى

أَيَا جَارَتِي بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ
كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ^(١)

واصل الطلاق من الانطلاق وطلقت المرأة عند الولادة فهي مطلوقة إذا تمخضت والطلاق الشوط من الجري والطلاق الجبل الشديد القتل والسيح من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المسوعات إذا وجدت وهي ترجع إلى كونه حيا لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه في الازل بأنه سميع ولا يوصف في الازل بأنه سامع إنفا يوصف به إذا وجدت المسوعات

الإعراب

يجوز في اربعة اشهر ثلاثة اوجه الجر على الاضافة وعليه القراءة وهذه الاضافة غير حقيقية فإن الاربعة في محل النصب وإن كان مجرور اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب ترَبَّصُ اربعة اشهر كقوله فشهادة احدهم اربع شهادات بالله ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم وترَبَّصُ اربعة اشهر كقوله ألم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا اي تكفتكم احياء وامواتا

المعنى

ثم بين تعالى حكم الايلاء لأنه من جملة الايمان والاقسام وشريعة من شرائع الإسلام يقال للذين يؤولون اي يعلفون وفيه حذف اي ان يعتزلوا عن وطء نساءهم على وجه الاضرار بهن (تربص اربعة اشهر) اي التوقف والتثبت في اربعة اشهر واليمين التي يكون الرجل بها موليا هي اليمين بالله عز وجل او بشيء من صفاته التي لا يشاركة فيها احد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الإمتناع من الجماع على وجه الغضب والضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن ابراهيم والشعبي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن سعيد ابن المسيب (فإن فاهوا) اي رجعوا إلى امر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليها وراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبا وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فائيا بالزعم في حال العذر إلا انه ينبغي ان يُشهد على فيثه عن الحسن وابراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعجز عن الجماع ويجب على الفائى عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقادة وقال الحسن وابراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله (فإن الله غفور رحيم) ومعنى غفور عندنا انه لا يشعه بعقوبة ومن حلف أن

(١) الفادى : الآتى بالندوة . الطارق : الآتى بالليل .

لا يجامع اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا ومن حلف أن لا يقربها وهي مرضعة مخافة ان تحبل فيضرب ذلك بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فإن امتنع جسده حتى يفي أو يطلق (وإن عزموا الطلاق) عزيمة الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا ان تستعدي فإن استعدت وانظره الحاكم اربعة اشهر فإنه يوقف عند الاشهر الاربعة ويقال له في أو طلق فإن لم يفعل جسده حتى يطلق وبه قال الشافعي إلا انه قال متى امتنع من الطلاق والفتنة طلق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه إذا مضت اربعة اشهر ولم يفي بانت منه بتطبيقه ولا رجعة له عليها وعليها العدة يحط بها في العدة ولا يحط بها غيره (فلن الله مسيع عليم) يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل يسمع ايلاءه ويعلم نيته وإنما ذكر عقيب الاول فلن الله غفور رحيم لأنه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفتي أو الطلاق بين انه إن فاء فلن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه ولا يتبمه بعقاب ما ارتكبه وذكرها هنا انه سميع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع اخبر بأنه لا يخفى عليه وانه يسمعه فكل لا يليق إلا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن

قوله تعالى (٢٢٨) وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتِهِنَّ أَوْ بَرِذَنَّهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

اللغة

القرء جمع قرء وجمعه القليل اقرء والكثير اقراء وقرء وصار بناء الكثير فيه اغلب في الاستعمال يقال ثلاثة قروء مثل ثلاثه شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل ووجه آخر وهو انه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة للاشعار بذلك فالقروء كثيرة إلا انها ثلاثة في ثلاثة في القسمة وهذا الحرف من الاضداد وأصله في اللغة يحتمل وجهين (١) احدهما (٢) الاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلاقط أي لم يجتمع رحما على ولد قط قال عمرو بن كلثوم

ذِرَاعِي عَيْطَلرُ أَدْمَاءُ يَكْرُ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنْبَانًا (١)

فعل هذا يقال اقراءت المرأة فهي مقرى إذا حاضت وانشد له قروء قروء الحائض وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويحيى على هذا ان يكون القروء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن (٢) والوجه الثاني (٣) ان اصل القروء الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارى الرياح اي وقت هبوبها قال الشاعر

شَنَنْتُ الْعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِبَهَا الرِّيحُ

اي لوقت هبوبها وشدة بردها والذي يدل على ان القروء الطهر قول الأعشى

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَائِمٌ غُرُورٍ تَشَدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمٌ عَزَائِكَا (٢)

مَوْرَثَةٌ مَالًا وَفِي الْأَرْضِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

فالذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل ويقال بعل يبعل ببعولة وهو بعل وسمي الزوج بعلا لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها وقوله أتدعون بعلاي ربا وقيل انه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لأنه مستبعل على شربه وبعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعا لأنه علاه منه ماضاق به ذرعه وبعل الرجل بظر لأنه

(١) قوله : ذراعي أي ذراعا محبوبته كذراعي والعيطل: الناقة الطويلة في حسن منظروسن . والادماء : الناقة البيضاء والبيكر: الناقة التي حملت بطناً واحداً . والهجان: البيضاء الغالصة البيضاء . (٢) جشمت الامر : اذا تكلفته على مشقة

ج ٢

استطى تكبرا وامرأة بعله لا تحسن لبس الثياب لأن الحيرة تستعلي عليها فتدهشها والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجل أي القوة وهو ارجلها اي اقواها وفرس رجيل قوي على المشي وسميت الرجل رجلا لقوتها على المشي ورجل من جراد قطعته منه تشبيها بالرجل لأنها قطعة من الجملة والراجل الذي يمشي على رجله وارتجل الكلام ارتجلا لأنه قوي عليه من غير ركوب فكرة وترجل النهار لأنه قوي ضياؤه بزول الشمس إلى الأرض ورجل شعره إذا طوله واصل الباب القوة والدرجة المترلة

الإعراب

ان كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف وتقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله تعالى إن ارادوا إصلاحا محذوف وتقديره إن ارادوا إصلاحا فبعولتهن أحق بردهن مثل الذي عليهن إضافة مثل غير حقيقية لأن الذي عليهن مفعوله

المعنى

ثم بين سبحانه حكم المطلقات والطلاق فقال (والمطلقات) اي المخليات عن جبال الأزواج بالطلاق وإنما يعي المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن في الآية بيان عدتهن (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقروء الأطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي واهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت أحدا من اهل بلدنا الا وهو يقول الاقراء الأطهار إلا سعيد بن المسيب والرومي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وبجاهد ورووه ايضا عن علي أن القروء الحيض والمراد بثلاثة قروء ثلاثة حيض وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه واستشهدوا بقوله عليه السلام للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك والصلاة إنما تترك في ايام الحيض واستشهد من ذهب إلى ان القروء الطهر بقوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) اي في طهر لم تجامع فيه كما يقال لقرءة الشهر. وبقول النبي (ص) لما طلق ابن عمر زوجته وهي حايض مرة فليراجمها فإذا طهرت فليطلق او ليسك وتلا النبي (ص) إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن لقبيل عدتهن فأخبر ان العدة الاطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها ولو طلقت حايضا لم تكن مستقبلة عدتها إلا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول ان من رأيت أن الاقراء التي سمى الله في القرآن إنما هي الطهر فيما بين الحيضين وليست بالحيض قال فدخلت على أبي جعفر فعدته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه وإنما بلغه عن علي عليه السلام فقلت اصلحك الله أكان علي يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القروء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امرأته طاهرة من غير جماع بشهادة عدلين قال إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج قال قلت إن اهل العراق يروون عن علي (ع) انه كان يقول هو احق بردها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة فقال كذبوا (ولا يجلهن) اي للمطلقات اللاتي تجب عليهن العدة (ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن) قيل اراد به الحيض عن ابراهيم وعكرمة وقيل اراد به الجبل عن ابن عباس وقادة وقيل اراد الحيض والجبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق (ع) قال قد قوض الله إلى النساء ثلاثة اشياء الحيض والطهر والحمل وهذا القول أعم فالأخذ به اولى وإنما لم يجلهن الكتمان لتلا يظلمن الزوج بسنح المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد إلى غيره كفضل الجاهلية عن قتادة وقوله (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى انها إذا لم تكن مؤمنة يفعل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد (وبعولتهن احق بردهن في ذلك) يعني ان ازواجهن أولى بمراجعتهم وهي ردهن إلى

(١) اي تطليقة واحدة فراجع صحيح البخارى ج ٧ ب ٤٣ (٢) في نسختين مخطوطتين كما في الوسائل «المالم

تقتل» بدل «المالم تطهر»

الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر له في مدة العدة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانتقضائها وفي هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك إلى رضا المرأة ولا إلى عقد جديد وأشهاد وهذا يختص بالرجعيات وإن كان أول الآية عاما في جميع المطلقات الرجعية والبائنة (إن أرادوا إصلاحا) لا أضرارا وذلك إن الرجل كان إذا أراد الأضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى وتركها مدة كما فعل في الأولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الأضرار وإنما شرط الإصلاح في إباحة الرجعة لا في ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادة الأضرار يثبت أحكام الرجعة وقوله (ولهن) أي للنساء على أزواجهن (مثل الذي لهم عليهن) من الحق (المعروف) وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمعة وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما أن للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وإن لا تدخل فراشه غيره وإن تحفظ ماله فلا تعال في إسقاطه وروي أن امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال إن لا يضرب وجهها ولا يقبحها وإن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وروي عنه (ص) أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح^(١) ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله (ولللرجال عليهن درجة) قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها أن يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقائدة وقيل معناه منزلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما أحب أن استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه أن المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روى عن الباقر (ع) قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها إن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه ولا تصوم تطوعا إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قلب ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم الناس حقا على المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له من الحق علي قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتك رجل أبدا وقال عليه السلام لو كنت أمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (والله عزيز حكيم) أي قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمة وقد قيل في الآية أن المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحاملة نسختا من هذه الآية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وأولات الأحمال أجلهن أن يضمن حملهن وقيل إنهما مخصوصتان من الآية كما ذكرناه في أول الآية

قوله تعالى (٢٢٩) الطلاق مرتان فإمساكك بعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به تلك حدود الله فلا تمتدوها ومن يمتد حدود الله فأولئك هم الظالمون (آية)

(١) [مدة] (٢) ضرب مبرح بكسر الراء أي شاق .

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر و حمزة إلا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله تخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله تخافونهم فوجه قراءة حمزة الا ان يخافا انه لا بنى الفعل للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شيء يتعدى اليه فاما ان من قوله ان لا يقيافا ان الفعل يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار في قوله يطو خافك الله عليه حرمة وموضع ان في الآية جرب بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيويه وأصحابه إلا أنه لما حذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقراءته مستقيمة على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغي ان يكون فإن خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خافه في القراءة لأنهم قد قرأوا إلا ان يخافا ولم يقولوا فإن خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأن مرين أحدهما ﴿ انه انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال إياك نعبد وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضطرون وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره ﴿ والآخر ﴿ ان يكون الخطاب في قوله فإن ختم مصروفا الى الولاية والفقهاء الذين يقومون بأمر الكفاية وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله انصرافا من الغيبة الى الخطاب لأن ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انما يراد به ان كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فاما من قرأ يخافا بفتح الياء فالمعنى انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة ان لا يقيما حدود الله حل الاقتداء.

﴿ اللغة ﴾

المرّة والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرّة المرور خلاف الوقوف والمرّة شدة القتل لاستمراره على الاحكام والإمساك خلاف الاطلاق وما بفلان مسكّة وتماسك اذا لم يكن فيه خير والمسك البخيل والمسك الإهاب لانه يسك البدن باحتوائه عليه والمسك السوار لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو الاطلاق وسرح الماشية في المرعى سرحا اذا أطلقها ترعى وسرحت الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لاتباعه السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والمسرح المسط لاطلاق الشعر به والسرياح الجراد لانطلاقه في البلاد وأن يخافا معناه ان يظنا قال الشاعر:

أَتَانِي كَلَامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وَمَا خِفْتُ يَا سَلَامَ إِنَّكَ عَائِي

يعني ما ظننت وأنشد الفراء:

إِذَا مِتُّ فَأَذْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرْوَةً
وَلَا تَدْفِنِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَذْوَعَهَا

وقال أبو عبيدة إلا أن يخافا معناه يوقنا فإن ختم ههنا معناه فإن ايقنتم

﴿ الإعراب ﴾

الطلاق رفع بالابتداء ومرتان الخبر وقوله فامسك خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليك امسك ولو كان في الكلام فامسكا بالنصب لكان جازيا على فامسكوهن امسكا بمعروف كما قال فامسكوهن بمعروف وان يخافا بموصول وصلة موضعا نصب بأنه مفعول له تقديره لمخافتها وان لا يقيما في موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك اقامة حدود الله

النزول

روى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان امرأة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجمها يضارها بذلك وكان الرجل في الجاهلية اذا طلق امرأته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثا والطلاق الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وروى ايضا انه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثة قال امسك بمعروف او تسريح باحسان وقوله إلا ان يخافا فانزل في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي وكان يجبرها وتبغضه فقال لها اتردين علي حديقته قالت نعم وأزيدة قال لاحديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام

المعنى

ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اي الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان وفي معناه قولان احدهما انه بيان تفضيل طلاق السنة وهو أنه إذا اراد طلاقها ينبغي ان يطلقها في طهر لم يقرب بها فيه بجراح تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد والثاني ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البيئونة مما لا يوجبها وفي الآية بيان انه ليس بعد التظليقتين الا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامرائي طلقوا دفعتين وقوله (فامسك بمعروف) تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التظليقتين امسك بمعروف أي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار بهن (او تسريح باحسان) فيه قولان احدهما انه الطلقة الثالثة والثاني انه يترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ولا يجمل لكم) خطاب للزواج (ان تأخذوا) في حال الطلاق والاستبدال (ما آتيتوهن) اي اعطيتوهن من المهر (شيئا) ثم استثنى الخلع فقال (الا ان يخافا الا يقيا حدود الله) معناه الا ان يظلم على ظنهما ان لا يقيا حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو ان يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله اذا قالت المرأة له لا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسا ولا وطن فراشك ولا دخلن عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ منها وعلى الجملة اذا خاف ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب وان لا تطيعه فيما يجب عليها فيحتمل ذلك ان يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه (فان ختم الايقيا حدود الله) اي فان ظننتم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام (فلا جناح عليهما) اي فلا حرج ولا إثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفي قوله عليهما وان كانت الاباحة للزوج وجهاً (احدهما) ان الزوج لو خص بالذكر لأوهم انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فين الاذن لهما في ذلك ليزول الايهام عن علي ابن عيسى والآخر ان المراد به الزوج وإنما ذكر معه المرأة لاقتراحها كقوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن وهذا اليعقوبية لان الذي يبيع الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية وأقول ان الذي عندي في ذلك ان جواز وقوع العصيان منها هو السبب في اباحة الخلع ورفع الجناح انما تعلق بالخلع لا باسبابه والوجه الأول اولى بالاختيار واشد ملائمة لظاهر الآية والوجه الاخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامة اذ لا يكون الاثنان واحدا في الحقيقة (فيا اقتدت به) اي بذلت من المال واختلف في ذلك فمئنا ان كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز ان يأخذ المهر وزيادة عليه وان كان منها فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن ربيع وعطا

والزهري والشعبي ورووه عن علي والخلع بالفدية على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان تكون المرأة عجزا او دمية فيضار بها الزوج لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له الفدا لقوله وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ﴿ والثاني ﴾ ان يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضار بها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تمضون لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴿ والثالث ﴾ ان يخافا الا يقيا حدود الله لسوء خلق أو قلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما مر تفصيله (تلك حدود الله) اي اوامره ونواهيه وما نصب من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة (فلا تمضوها) أي فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله) اي يتجاوزها بأن يخالف ما حد له (فأولئك هم الظالمون) واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف في أنها قوله أو تسريح باحسان أو قوله فإن طلقها ومن طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما أوجب في اللعان أربع شهادات فلواتى بالاربع بلفظ واحد لما أتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك لو رمى في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم تجزى عنه بلا خلاف وكذلك الطلاق

قوله تعالى (٢٣٠) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُسَيِّئُهَا الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

موضع أن في قوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا جرّ باضمار الجار وتقديره في أن يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقى النحويين وموضع أن الثانية وهو ان يقيا حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف في من ان يتراجعا ولم يحذف من المصدر الذي هو التراجع لطول أن بالصلة كما جاز الذي ضربت زيدا لظول الذي بالصلة ولم يحذف في المصدر كما لم يحذف في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو يريد ضاربه

﴿ النزول ﴾

الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله (ص) فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقتني فبنت غلاتي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وأن ما معه مثل هُدبة الثوب^(١) وأنه طلقني قبل ان يمسي فارجع الى ابن عمي فتبسم رسول الله وقال أتريدان ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوق عسيلته وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم التولية الثالثة فقال (فإن طلقها) يعني التولية الثالثة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال السدي والضحاك وقيل هو تفسير قوله أو تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) اي لا تحل هذه المرأة اي لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تزوج زوجا غيره ويجمعا واختلف في ذلك فقيل المقدم علم بالكتاب والوطء بالسنة عن الجياثي وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى يتزوج ويجمعا الزوج ولأن المقدم مستفاد بقوله زوجا غيره والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وإنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل

(١) اي قبيلة . (٢) الهدبة واحدة الهدب : خمل الثوب وطراوته . يقال لها بالفارسية دريشه . (٣) كناية عن الجماع تشبيها بالعدل وانما صرحت اشارة الى القدر الذي يعادل ولو بنصيبه العشرة .

حتى لا يجعلوا بالطلاق وان يشبهوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب (فإن طلقها) الزوج الثاني (فلا جناح عليهما ان يتراجعا) اي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع (ان ظنا) اي ان رجيا وقيل علما وقيل اعتقدا (ان يقيا حدود الله) في حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلاح وتلك اشارة الى الامور التي بينها في النكاح والطلاق والرجعة (حدود الله) او امره ونواهيه (بينها) يفصلها (لعمري يعلمون) خص العالمين بذكر البيان لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويمجوز ايضا أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرائيل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وتدل الآية على أنه إذا طلقها الثالثة فلا تحل له إلا بعد شرائط: الزوج الثاني ووطئه في القبل وفرقته وانقضاء عدتها. وصفة الزوج الذي يُجِلُّ المرأة للزوج الاول أن يكون بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا دائما واختلف في التحليل على ثلاثة أقاويل فمنهم من قال اذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تحل للأول عن مالك والاوزاعي والثوري وروى نحوه عن أبي يوسف واحتجوا بقوله لمن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال إذا لم يشترط في العقد حل وإذا شرطه يفسد ولا يحل عند الشافعي ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط وتحل للأول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب أبي حنيفة وأهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا تحل للأول وفي قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على أن النكاح بغير ولي جائز وان المرأة يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد اليها دون وليها

قوله تعالى (٢٣١) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِمَتَعَدُوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ وَآتُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

اللفظة

الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور والمراد بالمعروف هاهنا الحق الذي يدعو اليه العقل والشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزرع عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر

الإعراب

فبلغن أجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع باضافة إذا اليها وضاررا نصب على الحال من الواو في تمسكونه تقديره ولا تمسكونه مضارين واللام في لتمتدوا يمتاعن بتمسكونا وضاررا وهزوا مفعول ثان لتمتدوا وما أنزل موصول وصلة في محل نصب بالعطف على نعمة من الكتاب في محل نصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما انزل ومن يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل

المعنى

ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال (وإذا طلقتم النساء) وهذا خطاب للزوج (فبلغن أجلهن) البلوغ هاهنا بلوغ مقاربة اي قارين انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف هاهنا ان يسكنها على الوجه الذي اباحه الله من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك (او سرحوهن

(١) [معناه فان طلقها]. (٢) [لان بعد انقضاء العدة ليس للزوج الامساك فهذا كما تقول بلغت البلد اذا قربت منه (فامسكونه بمعروف) اي راجعوهن قبل انقضاء العدة].

بمعروف) اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املاك بانفسهن (ولا تمسكوهن ضاراً) اي لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة او بتضييق النفقة في العدة (لتتدوا) اي لتظلموهن (ومن يفعل ذلك) اي الامساك للمضارة (فقد ظلم نفسه) فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) اي لا تستخفوا باوامره وفروضه ونواهيه وقيل آيات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان (واذكروا نعمة الله عليكم) فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما بين لكم من الحلال والحرام (وما انزل عليكم من الكتاب) يعني العلوم التي دل عليها والشرائع التي بينها (يعظكم به) لتتظفوا فتتزوجوا بفعل ما امركم الله به وترك ما نهاكم عنه (واتقوا الله) اي معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) من افعالكم وغيرها

قوله تعالى (٢٣٢) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَآضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ آزَكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

العضل الحبس وقيل هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق والشدة والامر المفضل المستنع بصعوبته وعضلت الناقة فهي مفضلة اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضها وتقول عضل المرأة يعضلها عضلاً اذا منعها من التزويج ظلماً وعضل الداء الأطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدة داء عضال وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي

الإعراب

موضع أن من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بوصول الفعل لذلك يوعظ به مبتدأ وخبر وقوله من كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال من الضمير في يؤمن

النزول

نزلت في مقل بن يسار حين عضل اخته جلاء ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم بن عدي فإنه كان طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا بعقد آخر فمنها من ذلك فنزلت الآية عن قتادة والحسن وجماعة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت حم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبنا لأنه لا ولاية للأخ وابن العم عندنا ولا تأثير لعضلها فالوجه في ذلك ان تحمل الآية على المطلقة كما في الظاهر فكأنه قال لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضاراً بهن لا لرغبة فيهن فإن ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز ان يكون العضل محمولاً على الجبر والحيلولة بينهما وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية

المعنى

(واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) اي انقضت عدتهن (فلا تعضلوهن) اي لا تمنعهن ظلماً عن التزوج وقيل المراد به التخليه وقيل هو خطاب للأولياء ومنع لهم من عضلهم من عضلهم وقيل خطاب للأزواج يعني أن تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فييقن لا مسكات امساك الأزواج ولا مخليات تخلية الطلاق او تطولوا العدة عليهن (ان ينكحن ازواجهن) اي من رضين بهم ازواجاً لهم وقيل الذين كلنوا ازواجاً لهم من قبل

(اذا تراضوا بينهم بالمعروف) اي بما لا يكون مستنكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا (ذلك) اشارة الى ما سبق من الأمر والنهي (يوعظ به) يزجر ويخوف به (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) إنما خصهم بالذكر لأنهم الذين انتفعوا به او لأنهم اولى بالاتعاظ به وقيل لأن الكافر انما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان واعترافه بالله تعالى (ذلكم اذكى لكم) اي خير لكم وافضل واعظم بركة وأحرى ان يحللكم اذ كيا. (واطهر) اي اطهر لقلوبكم من الريية فانه لمل في قلبها جبا فاذا منعت من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب (والله يعلم) مالكم فيه من الصلاح في العاجل والآجل (وانتم لا تعلمون) وأنتم غير عالمين الا بما اعلمكم وليس لأحد ان يستدل بالآية على ان العقد لا يصح الا بولي لآنا قد بينا ان المراد بالعضل المنع وإذا حملنا الآية على انها خطاب للزواج سقط قولهم وهذا اولى لانه لم يجز للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين

قوله تعالى (٢٣٣) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيْمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

❀ القراءة ❀

قرأ أهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما آتيتم مقصورة الالف والباقون ما آتيتم وكذلك في الروم

❀ الحجة ❀

من رفع فلأن قبله لا تكلف فاتبعه ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر وهذا أمر قيل إن الأمر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل الا ترى إلى قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ويوكذ ذلك ان ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلها وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جله امرأ وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف وأما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي أن يكون اراد لا تضار كما روى في الشواذ عن ابان عن عاصم الا انه حذف احدى الراءين تخفيفا كما قالوا احست في احست وظلت ومست في ظلت ومست ومن قرأ آتيتم فالمراد ايتاء المهر كقوله وآتيتهم إحداهن قنطارا وقوله إذا آتيتوهن أجورهن وأما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما آتيتهم نقده او آتيتهم سوقه فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ثم حذف الما. من الصلة فكانه قال آتيت نقدا الف اي بذلته كما يقول آتيت جيلا أي فعلته ويؤيده قول زهير:

فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

فكما تقول آتيت خيرا فكذلك تقول آتيت نقدا وقد وقع آتيت موضع آتيت ويجوز ان يكون ما في الآية مصدا فيكون التقدير اذا سلمتم الايتان والايان المأني مما يبذل بسوق او نقد كقولك ضرب الأمير اي مضروبه

﴿ اللغة ﴾

الرضع مصّ الثدي بشرب اللبن منه يقال رَضِعَ وَرَضِعَ والمصدر الرَضْعُ والرَضْعُ والرَضْعُ والرَضْعُ ولنيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤميه لتلاييم الضيف صوت الشخب وارضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة مأخوذ من الانقلاب في قولك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته واكسى اي لبس والكسوة اللباس والتكليف الالزام الشاق واصله من الكلف وهو ظهور الأثر لأنه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف أي تحمّل والكلف بالشيء الايلاج به والوسع الطاقة مأخوذ من سعة المسلك الى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لأعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفظام لانفصال المولود عن الاعتداء بشي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من اصل واحد والفصل الفرق والتشاور مأخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شرت العسل أشوره شورا إذا اجتنيت من مكانه والمشورة استخراج الرأي من المستشار لانها تجتنى منه وأشار اليه إشارة أومي اليه والمشيرة الاصبع التي تسمى السبابة لأنه يُشار بها والشارة الهيئة واللباس الحسن لانه بما يشار إليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كلاجتناء.

﴿ الإعراب ﴾

عن تراض في موضع الحال تقديره فإن أرادا متراضين منهما في موضع جر صفة لتراض أن تسترضعا اولادكم معناه لا اولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث لا يكون إلا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لانه يجوز أن يكون مدعواً له إذ معنى دعوت زيدا لعمره خلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للاتباس وقوله بالمعروف جاز أن يتعلق بسلمت كأنه قال إذا سلمت بالمعروف ما أتيتهم ويجوز أن يتعلق بأتيتهم على حد قولك أتيتهم بزيد

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال (والوالدات) اي الامهات (يرضعن اولادهن) صيته صيغة الخبر والمراد به الامراي ليرضعن اولادهن كقوله يتربصن بأنفسهن وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال إذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل وقولك حسبك درهم معناه اکتف بدرهم تلم وقيل هو خبر بمعنى الأمر وتقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه وهذا أمر إستجاب لا أمر إيجاب والمعنى إنهن احق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ثم بين مدة الرضاع فقال (حولين كاملين) أي عامين تلمين أربعة وعشرين شهرا وإنما ذكر كاملين وإن كانت الثانية تأتي على إستيفاء العدة لرفع الابهام الذي يعرض في الكلام فإن الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان سنق وإن كان قد سار قريبا من شهر واقام قريبا من سنة وفي هذا بيان لأمرين ﴿ احدهما ﴾ مندوب ﴿ والثاني ﴾ فرض فالمندوب وهو ان يجعل الرضاع تمام الحولين والمفروض هو ان المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحق هل هو لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد لسته اشهر وإن ولد لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون وإن ولد لتسعة اشهر فاحد وعشرون يطلب بذلك تكملة ثلاثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لأنهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد إذا اختلف واليه رجعا إلى

الحولين من غير زيادة ولا نقصان ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر العلماء قالوا المراد بالآية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله (لمن اراد أن يتم الرضاعة) اي لمن اراد أن يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وإن تعاسرتم فترضع له أخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن اولادهن حولين ثم أنزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة يعني إن هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يمش به (وعلى المولود له) يعني الاب (برزقهن) يعني الطعام والادام (وكسوتهن) يعني لباسهن والمراد وزق الأم وكسوتهما ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك واكثر المفسرين (بالمعروف) يعني على قدر اليسار لأنه علم احوال الناس في الفنى والفقرو جعل حق الحضانة للأم والنفقة على الأب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لأنه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بسبب الارضاع وإنما تجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله (لا تكلف نفس إلا وسعها) اي لا يلزم إلا دون طاقتها (لا تضار والدة بولدها) اي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فتضربولده به لأن الوالدة أشفق عليه من الأجنبية (ولا مولود له بولده) اي لا يأخذه من أمه طلبا للاضرار بها فيضربولده فيكون المضارة على هذا معنى الاضرار اي لا تضر الوالدة ولا الوالد بالولد وإنما قال تضار والفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا يضار كل واحد من الأب والأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه والأب بأن لا ينفق او بأن ينتزعه من الأم والباء زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج بولدها ولو قيل في ولدها لجاز في المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع (ولا مولود له بولده) اي لا تمتع نفسها من الأب خوف الحمل فيضرب ذلك بالأب وقيل لا تضار والدة بولدها بأن ينتزع الولد منها ويترضع امرأة غيرها مع اجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا مولود له أي لا تمتع هي من الارضاع إذا أعطيت أجرة مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعة ترضعه غيرها ولا تمتع من روية الولد فيكون فيه مضارة بالوالد وقوله بولده بسبب ولده ايضا وليس بين هذه الأقوال تناف فالاولى حمل الآية على جميعها وقوله (وعلى الوارث) قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقاتدة والسدي وهو من يرثه إذا مات وقيل وارث الوالد عن قبيصة بن ذؤيب والأول أقوى (مثل ذلك) اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقاتدة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي على العصباء دون اصحاب الفرائض من الأم والأخوة من الأمر عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث من قاتدة وقيل على الوارث بمن كان ذا رحم محرم دون ذي رحم ليس بمحرم كابن العم وابن الأخت فيجب على ابن الأخت ولم يجب على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال عن ابي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث اي الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو ايضا مذهب الشافعي لأن عنده لا يجبر على نفقة الرضاع إلا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كأننا من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة واحمد واسحاق وقوله (فإن أرادا فصلا) أي قبل الحولين عن مجاهد وقاتدة وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل قبل الحولين او بعدهما عن ابن عباس (عن تراض منها) أي من الأب والأم (وتشاور) يعني اتفاق منها ومشاورة وإنما بشرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لأن الوالدة تعلم مسن تربية الصبي

ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك أدى إلى ضرر الصبي (فلاجناح عليها) اي لا حرج عليها إذا تناسك الولد فإن تنازعا رجعا إلى الحلين وقوله (وإن أردتم) خطاب للآباء (أن تسترضعوا اولادكم) اي لأولادكم ان تطلبوا لهم مرضع غير أمهاتهم لآباء. أمهاتهم الرضاع او لعله بهن من انقطاع لبن او غيره (فلاجناح عليكم) اي لا حرج ولا ضيق في ذلك (إذا سلمتم ما آتيتهم بالمعروف) أي إذا سلمتم إلى الأم أجرة المثل مقدار ما أرضعت عن مجاهد والسدي وقيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون ذلك الضرر عن أبي شهاب وهذا معنى قول ابن عباس وفي رواية عطا قال إذا سلمت أمه ورضي ابوه لعل له غنى يشتري له مرضعا وقيل إذا سلمتم أجرة المسترضعة عن الثوري وقيل إذا سلمتم أجرة الأم او الظئر عن ابن جريج ومعنى قوله آتيتهم ضمنتم والزمتم ثم أوصى بالتقوى فقال (واتقوا الله) يعني معاصيه او عذابه في مجاوزة ما حده لكم (واعلموا ان الله بما تعملون) اي بأعمالكم (بصير) اي عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله لا تكلف نفس إلا وسعها دلالة على فساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجوز أن يكلف مع عدم الجدة فإن لا يكلف مع عدم القدرة اخرى فإن في الخالين لا سبيل له إلى أداء ما كلف

قوله تعالى (٢٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

﴿ القراة ﴾

روي في الشواذ عن علي يتوفون بفتح الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى هو على حذف المفعول اي الذين يتوفون ايامهم او آجالهم واعمارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصيح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وأوتيت من كل شيء اي شينا قال الخطيئة

مَنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا كَصَوْنِكَ مِنْ رِذَائِ شَرَعِي (١)

اي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء استوفيته أخذته وافي

﴿ اللغة ﴾

يذر ويدع يترك ولا يستعمل منها الماضي استغني عنه بترك العلة في ذلك انهم تركوا الواوات في اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا على جهة الزيادة اصلا والأجل غاية الوقت في محل الدين ونحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت والأجل نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره وفعله من أجل كذا اي لعاقبة كذا وهي متأخرة عن وقت الفعل الذي دعت اليه والقطع من بقر الوحش يسمى أجلا وقد تأجل الصوار أي صار أجلا لتأخر بعضه عن بعض وأجل عليهم شرا أجلا اي جناه لأنه أعقبهم شرا والأجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والحجبر العالم بمخبر الخبر وأصله من السهولة والحجبار الارض السهلة واخبرت بالشيء لأنه تسهيل لطريق العلم به والحجبر الاكابر والمخبرة المراكرة وهو أن يزرع على النصف او الثلث او نحوه وذلك لتسهيل الزراعة

﴿ الإعراب ﴾

الذين مرتفع بالابتداء. ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على الحال من الواو في يتوفون ويذرون أزواجا عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتدأ وإذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من

(١) الشرعي: ضرب من البرود. (٢) الصوار: قطع البقر.

ان يكون هو او يكون له فيه ذكر فلا يجوز أن يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوه من ضربي خبر الابتداء. وقد قيل فيه أقوال **﴿﴾** أحدها **﴿﴾** ان تقدير خبر المبتدأ يتربص بعدمه لأن المعنى يتربصن أزواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا الذي يتعلق به الرجوع إلى المبتدأ كما جاز ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الأخفش **﴿﴾** والثاني **﴿﴾** ان يكون تقديره أزواجهم يتربصن عن أبي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذي هو أزواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف ان الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ اضرارهن وحسن وأما حذف المضاف إليه فلاقتضاء المبتدأ الرجوع إليه وقد جاء المبتدأ مضافا محذوفا كما جاء المفرد وذلك قوله تعالى لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل **﴿﴾** والثالث **﴿﴾** ان يكون تقديره يتربصن أزواجهم ثم كني عن الأزواج عن الكسائي وإنما قال وعشرا بالتأنيث تظليها لليالي على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ لأن ليلة كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين وقد علم المخاطب ان الأيام داخلة مع الليالي وأنشد سيبويه

فَطَافَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يَكُونُ النُّكْبَرُ أَنْ تُضِيفَ وَتَجَارًا (١)

فيا فعلن ما مع صلته في موضع الجر بنفي وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

﴿﴾ المعنى ﴿﴾

لما بين عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال (والذين يتوفون) منكم اي يقبضون ويموتون (ويدرون) اي يتكلمون (ازواجا) اي نساء (يتربصن بانفسهن) اي ينتظرن انقضاء العدة ويحسبن انفسهن عن التزويج معتدات (اربعة أشهر وعشراً) اي وعشر ليال وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها حرة كانت أو امة فإن كانت حرة فعدتها ايام من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر وعشر ووافقنا في عدة الأمة الاصم وخالف باقي الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا في عدة الحامل انها يوضع الحمل وان كان بعد على المقسول وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابي مسعود البدي وأبي هريرة وعندنا أن وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالأثمد وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهرى والامتناع من التزويج لا غير عن الحسن واحدى الروائين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب (فاذا بلغن اجلهن) اي آخر العدة بانقضائها (فلا جناح عليكم) قيل انه خطاب للأولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها عن التزويج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء عليكم (فيا فعلن في انفسهن) من النكاح واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله (بالمعروف) وقيل معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزا وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد (والله بما تعملون خبير) اي علم وهذه الآية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويدرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا إلى الحول غير اخراج وان كانت متقدمة في التلاوة عليه

قوله تعالى (٢٣٥) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي
أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا
مَعْرُوفًا وَلَا تَفْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (آية)

﴿ النزول ﴾

آية في الكوفي وآيتان في غيرهم يترك قولاً معروفاً للقرن

﴿ اللغة ﴾

التعريض ضد التصريح وهو ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد واصله من العرض من الشيء الذي هو جانبه وناحية منه وفي الحديث من عرض عرضنا^(١) ومن مشى على الكلا القيناه في النهر ومعناه مسن عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لا يبلغ الحد ومن صرح القيناه في نهر الحد والفرق بين التعريض والكناية ان التعريض تضمنين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والكناية المدول عن الذكر الاخص بالشيء الى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أقبح البخل تعرض بأن المخاطب بجمل (والثاني) كقولك زيدا ضربته كنيته عنه بالهاء والخطبة الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح أخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للإفهام والخطبة الرعظ المتسق على ضرب من التأليف وقيل الخطبة ما له أول وآخر مثل الرسالة والخطبة للحال نحو الجلسة والعمدة والاكتان الستر للشيء والكن الستر ايضاً والفرق بين الاكتان والكن ان الاكتان الاضمار في النفس ولا يقال كنيته في نفسي والكن في معنى الصون وفي التنزيل بيض مكنون والكاون يحتاج اليه في وقت الاكتان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبيل والسر في اللغة على ثلاثة أوجه الاخفاء في النفس والشرف في الحسب يقال فلان في سر قومه أي في صبيهم والجماع في الفرج قال امرؤ القيس

كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ السِّرَّ امْتَالِي
الْأُزَمْتُ بِسَبَابَةِ الْيَوْمِ أَنِّي

وقال الأعشى

وَلَا تَنْكِحَنَّ جَارَةَ إِنْ سِرَّهَا
عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنَّ أَوْ تَابَدَا^(٣)

والعزم عقد القلب على أمر تفعله وفي الحديث خير الأمور عوازمها يعني ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو الشد وفي المثل يا عاقِدُ أذْكَرُ حَلًّا وعقد اليمين خلاف اللغو

﴿ الإعراب ﴾

فيا عرضتم الجار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء ان تقولوا في موضع نصب بدل من سرا تقديره ولا تواعدوهن إلا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح فعذف على استخفافا كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن قال سيبويه ان الحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيهما للازواج عقبه بيان حال غير الازواج فقال (ولا جناح عليكم) أي لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال (فيا عرضتم به من خطبة النساء) المتعديت ولم تصرحوا به وذلك بأن تذكروا ما يدل على رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمتعدة اني أريد النكاح واني أحب امرأة من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة لي وانك لمعجبة جميلة فإن قضى الله شيئاً كان عن القاسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد (او أكنتم في أنفسكم) أي أسرتم وأضرتم في أنفسكم من نكاحن بعد مضي عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد (علم الله انكم ستذكرونهن) برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم اليهن غيركم فأباح لكم ذلك (ولكن لا تواعدوهن سرا) فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تواعدوهن في السر لأنها أجنبية والمواعدة في السر

(١) وفي النهاية : من عرض عرضناه . (٢) سَبَابَةٌ : امرأة من بني اسد (٣) تَابَدَ الرجل : طالت عزبته و قَلَّ حاجته

تدعو إلى ما لا يحل ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه الزنا عن الحسن و ابرهيم و قتادة وقالوا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزينة وهو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك ﴿ وثالثها ﴾ انه المهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس وسميد بن جبير ﴿ ورابعها ﴾ هو أن يقول لها اني ناكحك فلا تفوتيني نفسك عن مجاهد ﴿ وخامسها ﴾ ان السر هو الجماع فعناه لا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع ولا تذكره عن جماعة ﴿ وسادسها ﴾ انه اسرار عقدة النكاح في السر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الأقوال ما روي عن الصادق انه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال ومن السر أن يقول لها موعدك بيت فلان (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) يعني التعريض الذي أباحه الله وإلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولاً معروفاً (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي على عقدة النكاح يعني لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد به النهي عن العزم على النكاح بعد العدة لأنه أباح ذلك بقوله أو أكنتم (حتى يبلغ الكتاب أجله) معناه حتى تنقضي العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أي ما فرض في القرآن من العدة والأجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله وعبء بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أي فرض وهذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل ان هذا تشبيه للعدة بالدين المؤجل المكتوب أجله في كتاب فكما يتأخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة إلى انقضاء العدة (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من اسراركم وضائركم (فاحذروه) فاتقوا عقابه ولا تخالفوا أمره (واعلموا ان الله غفور) لعباده (حلیم) يهمل العقوبة المستحقة فلا يجعل بها

قوله تعالى (٢٣٦) لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تقرضوا بهن
فريضة و تمتوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً
على المحسنين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي تمسوهن بضم التاء وبالف في موضعين هاهنا وفي الأحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ ابو جعفر واهل الكوفة إلا أبا بكر وابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين والباقيون بإسكانها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسنى بشر ولم يطمشهن وانكحوهن والنكاح عبارة عن الوطء قال جرير
التار كون على طهر نساءهم
والتا كحون بسطى دجلة البقرا
وحجة من قرأ ولا تمسوهن ان فاعل وفعل قد يواد بكل واحد منها ما يواد بالآخر وذلك نحو طارت النعل
وعاقبت اللص وقال ابو الحسن يقال هو القدر والقدر وهم يختصون في القدر والقدر قال الشاعر (ألا يا قوم
للتواب والقدر) وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لثان وفي كتاب الله فسالت أودية بقدرها وقدرها وعلى
الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حتى قدره ولو حركت كان جائزاً وكذلك أمّا كل شيء خلقناه بقدر ولو
خفت كان جائزاً إلا أن رزوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح

﴿ اللمة ﴾

الموسع الذي يكون في سعة لغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال أوسع الرجل إذا كثرت ماله

واتسعت حاله واقترب إذا افتقر وفترت الشيء اقتربه قترا وقترته تقديرا إذا ضيقت الانفاق منه والقتار دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته والقتر الغبار والقير مسامير الدرع لقلتها وصفرها والقير ابتداء الشيب لقلته ويجوز أن يكون مشبها بالدخان أول ما يرتفع والقتر ناموس الصائد لأنها كالقتار وأصل الباب الإقلال وقدرت الشيء أقدره وأقدره قَدَرًا وقدرت على الشيء أقدر عليه قدرة وقدورا

﴿ الإعراب ﴾

ما لم تمسوهن موصول وصلة في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والعامل في الظرف طلق وجواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء. فلا جناح عليكم متاعا نصب على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف أي ممتعا متاعا وأما على المصدر أي متعهن متاعا وحقا ينتصب أيضا على أحد وجهين إما أن يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقا وإما أن يكون على التأكيد بمجمل الخبر فكأنه قال أخبركم به حقا أو أحقه حقا أو حق ذلك عليهم حقا كأنه قال إيجابا على المحسنين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض والميسر فقال (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) هذا إباحة للطلاق قبل الميسر وفرض المهر فرفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول لثلاثتهم أحد أن الطلاق في هذه الحالة محذور والمس كناية عن الوطء والمفروض صداقها داخلة في دلالة الآية وإن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن (أو) لم (تفرضوا لهن فريضة) لأن أو تنبي عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه أو لم تقدروا لهن مهرا مقدرا وإنما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وإن كان حكمها واحدا لأمرين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ لأن له أن يطلق التي لم يدخل بها أي وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا في طهر لم يجامعها فيه (ومتعهن) أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به (على الموسع قدره) أي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله (وعلى المقتر قدره) أي على الفقير الذي هو في ضيق بقدر إمكانه وطاقته والمتعة خادم أو كسوة أو رزق عن ابن عباس والشعبي والربيع وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب الشافعي وقيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه عن أبي حنيفة وأصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل إنما تجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة والمبارئة والملاعنة عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي العالية وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي وقد رواه أصحابنا أيضا وذلك محمول على الاستحباب وقوله (متاعا) أي ومتعهن متاعا (بالمعروف) أي وسطا ليس فيه اسراف ولا تقدير وقيل متاعا معتبرا بحال الرجل في اليسار والافتقار وقيل معتبرا بعالمها جميعا إذ لا يسوي بين حرة شريفة وبين أمة معتقة ليكون ذلك خارجا عن التعارف عن القاضي وقال أهل المدينة يوم الزوج به من غير أن يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال أهل العراق (حقا على المحسنين) أي واجبا على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية وإنما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا أنه لا يجب على غيرهم ودل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسنا فهو كقول هدى للمسنين

ج ٢ (الجزء الثاني) قوله تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ٣٤١

وقيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه وحكمه وطريقه عن أبي مسلم هذا كله في المطلقة فاما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة اجماعا وقال اكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى ابو علي الجبائي عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بمذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا في ذلك

قوله تعالى (٢٣٧) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لهنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

روي في الشواذ عن الحسن او يعفو الذي بيده بسكون الواو وعن علي^(١) ولا تنسوا الفضل

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي بسكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل وسكون اليا. فيه اكثر وأصل السكون في هذا إذا هو للألف نحو ان يسمى ثم شبهت اليا. بالألف لقرابها منها نحو قوله

كَانَ أَيْدِيَهُنَّ بِالمُومَةِ
أَيْدِي جَوَارِيَتَيْنِ نَاعِمَاتٍ

وقوله (كانَ أَيْدِيَهُنَّ بِالقَاعِ القَرِقِ) ثم شبهت الواو في ذلك باليا. قال الاخطل

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْهُو بِبَعْضِ حَدِيثِهَا
رَفَعْنَ وَأَنْزَلْنَ القَطِينِ المَوْلِدِ^(٣)

وقال «أبي الله أن أسو بأم ولا أب» وأما قوله تعالى ولا تنسوا فإنما هو نهي عن فعلهم الذي اختاروه وتظاهروا به كما يقال تغافل وتصام وتحسن هذه القراءة إنك إن أتيتهم الإنسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره كأنه أنسي فنسي قال الله سبحانه وما أنسانيه إلا الشيطان

﴿ الإعراب ﴾

فنصف ما فرضتم رفع تقديره فليكن نصف ما فرضتم وقوله يعفون في موضع نصب بأن إلا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعة الموتى بني فيستوي في الرفع والنصب والجزم وان يعفون موصول وصلة في محل النصب على الاستثناء او يعفو تقديره أو أن يعفو وهو في محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وان تعفوا في موضع الرفع بالابتداء وأقرب خبره وتقديره والعفو اقرب للتقوى واللام يتعلق بأقرب وهو بمعنى من أو ألى والألف واللام في النكاح بدل من الاضافة إذ المعنى او يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله فإن الجنة هي المأوى ومعناه هي مأواه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال (وإن طلقتموهن) يعني إن طلقتم ايها الرجال النساء (من قبل أن تمسوهن) اي تجامعوهن (وقد فرضتم لهن فريضة) اي اوجبتن لهن صداقا وقدرتم مهرا (فنصف ما فرضتم) اي فليكن نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى (إلا أن يعفون) يعني الحوائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن اي يترك ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وسائر اهل العلم (او يعفو) اي يترك ويهب الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروي عن ابي جعفر والي عبد الله وهو مذهب الشافعي غير ان عندنا الولي هو الأب او الجد مع

(١) قوله ايديهن اي النوق . و الموماة : المفاضة الواسعة او القلاة التي لأماء فيها . (٢) وبعده « ايدي جواد يتعاطين الورق » بصف ابلا بالسرعة . والقرق : المكان المستوي (٣) القطين : الخدم و الاتباع .

وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فاما من عداها فلا ولاية له إلا بتوليتهما إياه وقيل هو الزوج ورواه عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وابراهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب ابي حنيفة ورواه ايضا اصحابنا غير ان الأول اظهر وهو المذهب ومن جعل الفجر للزوج قال له ان يعفون عن جميع النصف ومن جعله للولي من اصحابنا قال له ان يعفون عن بعضه وليس له ان يعفون عن جميعه فإن امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحة عن ابي عبد الله (وان تعفوا اقرب للتقوى) خطاب للزوج والمرأة جميعا عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وإنما جمع لأنه خطاب لكل زوج وقول ابن عباس اقوى لعمومه وإنما كان الفجر اقرب للتقوى من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان معناه اقرب إلى أن يتقي احدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حق نفسه كان اقرب إلى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اقرب إلى ان يتقي معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان اقرب إلى أن لا يعصي الله بطلب ما ليس له (ولا تنسوا الفضل بينكم) اي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والافضال فتأخذوا بمر الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال . بين الله سبحانه في هذه الآية الحكم الذي لا يعذر احد في تركه وهو انه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بيّن طريق الفضل من الجانبين وندب اليه وحث عليه (إن الله بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) اي علم وروي عن سعيد بن المسيب ان هذه الآية ناسخة لحكم المتعة في الآية الأولى وقال ابو القاسم البلخي وهذا ليس بصحيح لأن الآية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا إذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها إذا طلقها واحد الحكيمين غير الآخر وأقول إذا بينا في الآية الأولى انها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر أو لم يفرض وقتلنا إن متعهن لا يحمل على العموم إذ لا متعة لمن فرض لها المهر وإن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقدير وحذف اي ومتعوا من طلقتم منهن ولم تقرضوا لهن فريضة وإنما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر من فرض لها المهر وحكمها في الآية الأخرى عليه وهذا ما سنح لي ها هنا ولم أر احدا من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق

قوله تعالى (٢٣٨) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحفظ ضبط الشيء في النفس ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان وأحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة والوسطى تأنيث الأوسط وهو الشيء بين الشئين على جهة الاعتدال واصل القنوت الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل اصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والأول احسن لحسن تصرفه في الباب لأن المداوم على الطاعة قانت وكذلك المداوم في صلواته على السكوت إلا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء ويقال فلان يقنت عليه أي يدعو عليه دائما

﴿ النزول ﴾

عن زيد بن ثابت ان النبي كان يصلي بالهجرة وكانت اتقل الصلوات على اصحابه فلا يكون وراه إلا الصف او الصفان فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فزلت هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات فقال (حافظوا على الصلوات) اي داوموا على الصلوات المكتوبات في مراقبتها بتمام اركانها ثم خص الوسطى تقضيا لشأنها فقال (والصلوة الوسطى) كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال اي والصلوة الوسطى

بخاصة فداوموا عليها ثم اختلف في الصلاة الوسطى على اقوال **١** احدها **٢** انها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله وهو قول أبي حنيفة واصحابه وذكر بعض ائمة الزيدية انها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام ورواه عن علي ويدل عليه سبب نزول هذه الآية وهو أنها وسط النهار وأول صلاة فرضت وروي عن علي قال قال النبي (ص) ان لله في السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سح كل شيء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تعلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعاء **٣** وثانيها **٤** أنها صلاة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي وابن مسعود وقتادة والضحاك وروي ذلك عن أبي حنيفة وروي مرفوعاً إلى النبي قالوا لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر لأنها تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر وروي عن النبي انه قال الذي تفرته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وروي بريدة قال قال النبي (ص) بَكَّرُوا بالصلاة في يوم النجم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله **٥** وثالثها **٦** انها المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات وروي الثعلبي بإسناده عن عائشة قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او اربعين سنة **٧** ورابعها **٨** انها صلاة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصران وروي عن النبي أنه قال من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى صلاة الفجر في جماعة كان كقيام ليلة **٩** وخامسها **١٠** انها صلاة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله وعطية وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي قالوا لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وبين الظلام والضياء ولأنها صلاة لا تجمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعين ويدل عليه من التذليل قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وهو مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله وقوموا لله قانتين يعني وقوموا فيها لله قانتين قال أبو رجا الطاردي صلى بنا ابن عباس في مسجد البصرة صلاة الغداة ففتت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي امرنا ان نقوم فيها قانتين اورده الثعلبي في تفسيره وروي بإسناده مرفوعاً إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت في صلاة الغداة حتى فارقت الدنيا **١١** وسادسها **١٢** انها احدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جسيما كما اخني ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع الأسما وساعة الإجابة في ساعات الجمعة عن الربيع بن خثيم وأبي بكر الوراق (وقوموا لله قانتين) قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء في الصلاة في حال القيام وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والاتفات في الصلاة وقيل ساكنين عن ابن مسعود وزيد بن ارقم والأصل فيه الإتيان بالدعاء او غيره من العبادات في حال القيام ويجوز ان يطلق في سائر الطاعات فإنه وان لم يكن فيه القيام الحقيقي فإن فيه القيام بالعبادة

قوله تعالى (٢٣٩) فَإِنْ خِضْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

الرجال جمع راجل مثل تجار و أصحاب و قيام في جمع تاجر و صاحب و قائم و الراجل هو الكائن على رجله

واقفا كان او ماشيا والركبان جمع راكب كالفارسان جمع فارس وكل شيء علا شينا فقد ركبته والركاب المطي وركبت الرجل اركبه ركبا اي ضربته بركبي واصبت ركبته ايضاً وهذا قياس في جميع الاعضاء نحو رأسته وبطنته وظهرته

الإعراب

رجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية في ما علمكم وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلته في موضع المفعول الثاني لعلّم

المعنى

لما قدّم سبحانه وجوب المحافظة على الصلاة عقبه بذكر الرخصة عند المنخافة فقال (فان خفتم) اي إن لم يكنكم ان تقوموا قانتين موفين الصلاة حقها لحرف عرض لكم (فرجالا) اي فصلوا رجالا على أرجلكم وقيل مشاة (او ركباناً) اي على ظهور دوابكم عنى بها صلاة الحرف وصلاة الحرف من العدو ركعتان في السفر والحضر الا المغرب فإنها ثلاث ركعات ويروى أن علياً صلى ليلة الهرب خمس صلوات بالإيمان وقيل بالتكبير وان النبي صلى يوم الأحزاب إياه (فإذا أمنتم) من الحرف (فاذكروا الله) اي فصلوا صلاة الأمن وقيل اذكروا الله بالشأن عليه والحمد له (كما علمكم) من أمور دينكم وغير ذلك من أموركم (ما لم تكونوا تعلمون)

قوله تعالى (٢٤٠) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (آية)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون بالنصب

الحجة

قال أبو علي حجة من قرأ وصية بالرفع انه يجوز أن يرتفع من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الإبتداء بالنكرة لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم وغير بين يديك ونحو قوله للمتسن المعروف أهل ومرحّب لأنها في موضع دعاء فجاز فيها الإبتداء بالنكرة لما كان معناها كمنى المنصب (والآخر) ان تضر له خبراً فيكون لأزواجهم صفة وتقدير الخبر المضر فليهم وصية لأزولجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اي ليوصوا وصية ويكون قوله لأزواجهم وصفاً كما كان في قول من اضر الخبر كذلك ومن حجتهم ان الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة أكثر وإذا كان خبراً تقدم على النكرة إذا لم يكن في معنى المنصب كقوله تعالى ولهم أعمال من دون ذلك ولدينا مزيد فإذا تأخرت فالأكثر فيها ان تكون صفاتاً وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولأن فرض النفقة كان لمن أوصى او لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن المعنى والذين تحضرهم الوفاة منكم فلذلك قال يتوفون على لفظ الحاضر الذي يتناول نحو قوله الذين يصلون فليعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم فأما قولهم ان الفرض كان لمن وان لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط في الوصية فلا ينكر ان يوجه الله على الورثة وقال قتادة والسدي كان يجب على الزوج الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والأقربين وقوله متاعاً نصب على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه على تقدير متعوهن متاعاً ﴿ والثاني ﴾ جعل الله لهم ذلك متاعاً لأن ما قبله دل عليه وقوله

غير إخراج منصوب على وجهين ﴿أحدهما﴾ أن يكون صفة لمتاع ﴿والثاني﴾ أن يكون مصدرا ووضوح موضع الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة إليك فكأنه قال متعوهن متاعا في مساكنهن وأقول إن تقديره غير مخرجات لإخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهن

المعنى

(والذين يتوفون منكم) أي الذين يقاربون منكم الوفاة لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى (ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) أي فليوصوا وصية لهن ومن رفع فعناه وصية من الله لأزواجهم أو عليهم وصية لهن (متاعا إلى الحول) يعني ما يتنفعن به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل هو مثل المتعة في المطلقات وكان واجبا في المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج (غير إخراج) أي لا يخرجن من بيوت الأزواج (فإن خرجن) بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثة وقيل إن المراد إذا خرجن بعد منضي الحول وقد مضت العدة فإن معنى إذا عن القاضي وغيره (فلا جناح عليكم) يا معشر أولياء الميت (فيا فعلن في أنفسهن من معروف) اختلفوا في رفع الجناح قيل لا جناح في قطع النفقة والسكنى عنهن عن الحسن والسدي قالوا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وإن ذلك كان واجبا لهن بالإقامة إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذي وجب لهن بالإقامة وقيل لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنة في البيت غير واجب ولكن قد خيّرنا الله في ذلك عن الجائني وقيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا أوجه وتقديره إذا خرجن من العدة بانقضاء السنة فلا جناح أن تزوجن وقوله من معروف يعني طلب النكاح والتدين (والله عزيز) قادر لا شيء يعجزه (حكيم) لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة وقال أبو عبد الله كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثلث فالمرأة ينفق عليها من نصيبها وعنه قال نسختها يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ونسختها آية الموارث

قوله تعالى (٢٤١) وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتِّينِ (٢٤٢) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (آياتان)

الإعراب

الوجه في انتصاب قوله حقا مثل ما بيّناه فيما قبل في قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين أي مثل هذا البيان بين لكم

النزول

قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره إلى قوله حقا على المحسنين قال بعضهم إن أحببت فطلت وإن لم ارد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

المعنى

لما قدم سبحانه بيان أحوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال (وللمطلقات متاع بالمعروف) اختلف فيه فقال سعيد بن جبيرة وأبو العالية والزهري إن المراد بهذا المتاع المتعة وإن المتعة واجبة لكل مطلقة وقال أبو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعا إلى الحول وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم وعندنا أنها مخصوصة بتلك الآية إن نزلت ما وإن كانت تلك متأخرة فنسوخة

لأن عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر وإن سمي لها مهر فاسمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لانصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله (ومتعوهن) وقوله (بالمعروف حقا على المتقين) مضي تفسيره وخص المتقين هنا كما خص المحسنين هناك (كذلك يبين الله لكم آياته) اي كما يبين الله لكم الأحكام والآداب التي مضت مما تحتاجون إلى معرفتها في دينكم يبين لكم هذه الأحكام فشبّه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي والبيان هو الالفة التي يفرق بها بين الحق والباطل (لعلكم تعقلون) معناه لكي تعقلوا آيات الله وقيل معناه لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الغريزي إنما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له وهذا كقوله تعالى إنا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جهالاً لأنهم آثروا هواهم على ما علموا انه الحق

قوله تعالى (٢٤٣) ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (آية)

اللغة

الروية هنا بمعنى العلم ومعنى ألم تر ألم تعلم وهذه الألف التوقيف وتر متروكة الهززة وأصله ألم ترا من رأى يرى مثل نأى ينأى إلا أنهم على اسقاط الهز هنا للتخفيف

الإعراب

حذر الموت نصب لأنه مفعول له وجاز ان يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذرا

المعنى

لما ذكر قوله يبين آياته للناس عقبه بذكر آية من آياته فقال (الم تر) اي ألم تعلم! يا محمد او أيها السامع أولم ينته علمك إلى خبر هؤلاء (الذين خرجوا من ديارهم) قيل هم من قوم بني اسرائيل فرّوا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن وقيل فرّوا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجاً بقوله عقيب الآية وقاتلوا في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك ان أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وإنما سمي حزقيل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبياً نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإني ان قتلت كان خيراً من أن تقتلوا جميعاً فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين فقال انهم ذهبوا ولا ادري أين هم ومنع الله ذا الكفل منهم (وهم الوف) اجمع اهل التفسير على ان المراد بالوف «ناكثة العدد» إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا موتاني القلوب لم يخرجوا عن تباعض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية آلاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة آلاف عن ابن روق وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل أربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء بن أبي رباح وقيل كانوا عدداً كثيراً عن الضحاك والذي يقضي به الظاهر أنهم كانوا أكثر من عشرة آلاف لأن بناء فقول للكثرة وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشرة آلاف ولا يقال عشرة الوف (حذر الموت) اي من خوف الموت (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قيل في معناه قولان

﴿ احدهما ﴾ ان معناه أماتهم الله كما يقال قالت السماء فهطلت مناه فهطلت السماء وقتل براسي كذا وقتل ييدي كذا ومعناه اشوت براسي وييدي وذلك لما كان القول في الاكثر استفتاحا للفعل كالقول الذي هو تسمية وما جراه مجراه مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت السماء فهطلت اي استفتحت بالهطلان كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله باماتهم ﴿ والثاني ﴾ ان معناه اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم الله بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس وقيل انه شمعون من انبياء بني اسرائيل (ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) لما ذكر النعمة عليهم بما اراهم من الآيات العظيمة في انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويمتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الانعام والاحسان مع ما هم عليه من الكفران وهذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لان احياء اولئك مثل احياء هؤلاء الذين احياهم الله للاعتبار

﴿ القصة ﴾

قيل ان اسم القرية التي خرجوا منها هربا من وبائها داوردان قَبْلَ واسط قال الكلبي والضحاك ومقاتل أن ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا ان الأرض التي نأتيها بها الربا فلا نأتيها حتى ينقطع منها الربا فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قدرتى معصية عبادك فأرهم آية في انفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعا وأمات دوابهم واتى عليه ثمانية ايام حتى انتفخت ارواح اجسادهم فخرج اليهم الناس فجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا واتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمرّ عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى اليه يا حزقيل تريد ان اريك آية واريك كيف احيى الموتى قال نعم فأحياهم الله وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت في قوم يمدونك ويسبحونك ويقدمونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى اليه الله قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا ياؤذن الله فعاشوا وسأل حمران بن اعين اباجعفر الباقري (ع) عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم فقال احياهم حتى نظر الناس اليهم ثم أماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم

قوله تعالى (٢٤٤) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ المعنى ﴾

اختلف في الخطاب بقوله (وقاتلوا في سبيل الله) فقيل توجه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فرّ من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لتلايلسكروا في الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين جوى ذكرهم على تقدرهم وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله (واعلموا ان الله سميع عليم) اي سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله

قوله تعالى (٢٤٥) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْفَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

فيضاعفه فيه أربع قرآآت قرأ أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأعاصم بالالف والنصب وقرأ ابن كثير وأبو جعفر فيضعفه بالتشديد والرفع وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرأ أبو عمرو والكسائي وحزمة يسط وبسطة وفي الأعراف أيضا بالسين وروي عنهم أيضا بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي للرفع في قوله فيضاعفه وجهان ﴿ احدهما ﴾ أن يعطفه على ما في الصلة والآخر ان يستأنفه فأما النصب في فيضاعفه فالرفع أحسن منه الا ترى ان الاستفهام انما هو عن فاعل الاقراض لا عن الاقراض وإذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اتقرضني فأشكرك لأن الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاء فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك انه لا كان المعنى أيكون قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرأ من يضل الله فلا هادي ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فأما القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منها في معنى الآخر وقوله اضاعفا منصوب على الحال وتقديره فيكثره فإذا هي اضاعف فيكون حال بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعمل يتصعد من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من السين حرفا في مخرجها في تصعد الطاء فتلازم الحرفان وصار كل واحد منها وفق صاحبه في التصعد فزال في الابدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه وهو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقت فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بسط فأبدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط وترك السين فلأنه الاصل ولأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته

﴿ اللغة ﴾

القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرد بعينه او يرد مثله بدلا منه وأصل القرض القطع بالتاب يقال قرض الشيء يقرض اذا قطعه بنابه واقرض فلان فلانا اذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضاعف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر تقول ضعت القوم اضاعفهم ضعا اذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم وضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منها ضعف وضعف الشيء ضعا وضعا والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء والتقبض التشنج وتقبض عنه اذا اشأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط اليه وقبض الانسان إذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة وكتب يبسط بالسين وبسطة بالصاد لأن القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك

﴿ المعنى ﴾

لما حث سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال عقبه بالتلطف في الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق في سبيل الخير فقال (من ذا الذي يقرض الله) أي يفتق في سبيل الله وطاعته والمراد به الأمر وليس هذا بقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير ونحن اغنياء بل

سمى تعالى الاتفاق قرضا تطلقا للدعاء الى فعله وتأكيذا للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء (قرضا حسنا) والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه عن الواقدي وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الاتفاق فلا يكون خيسا والأولى أن يكون جامعا لهذه الأمور كلها فلا تنافي بينها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي فيزيده له اي يعطيه مالا يعطيه الا الله وهو مثل قوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما بن الحسن والسدي وروي عن الصادق (ع) انه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله رب زدني فأنزله الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله رب زدني فأنزله الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا (فيضاعفه له اضعافا كثيرة) والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق عن اقوام بأن يقتره عليهم ويبسط الرزق على اقوام بأن يوسع عليهم عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او آجلا او كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق بموت واحد ويبسط لو ارثه (واليه ترجعون) وهذا تأكيد للجزاء قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) قال من تصدق بصدقة فله مثلاها في الجنة فقال ابو الدرداء الانصاري واسمه عمرو بن الدرداء يا رسول الله إن لي حديقتين ان تصدقت باحدهما فإن لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدرداء معي قال نعم قال والصدقة معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله فتزلت الآية فضاعف الله له صدقته الف والى ذلك قوله اضعافا كثيرة قال فرجع ابو الدرداء فوجد ام الدرداء والصدقة في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتحرج ان يدخلها فنادى يا أم الدرداء قالت لبيك يا أبا الدرداء قال اني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترت مثليها في الجنة وام الدرداء معي والصدقة معي قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها واسلموا الحديقة الى النبي فقال النبي كم نخلة متدل عذوقها لاني الدرداء في الجنة

قوله تعالى (٢٤٦) ألم تر إلى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم
انبث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

المشهور في عسيتم فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عسي بذلك وما اعساه وأعس به حكاه ابن الاعرابي وهذا يقوي قراءة نافع لأن عسي مثل حرج وشح وقد جاء فعل وقيل مثل نقم ونقم وورث بك زنادي وورثت فكذلك عست وعسيت فإن أسند الفعل الى ظاهر قياس عسيتم ان تقول عسي زيداً مثل رضى فإن قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسانع له ان يأخذ بالفتن معا ويستعمل احدهما في موضع والاخرى في موضع آخر كما فعل ذلك غيره

﴿ اللغة ﴾

الملا الجماعة الاشراف من الناس وروي ان رجلا من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الاعجاز صلعا فقال النبي او لك
الملا من قريش لو رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطمتهم ولاحترقت فعالك عند فاعلمهم وملأت الاونا.

(١) اي مشايخ عجرة عن العرب .

اترعه لانه يجتمع فيه مالا يكون مزيد عليه ومالات الرجل عاونته وقملاً واعلى ذلك اذا تماونوا وملاً الرجل ملاة فهو ملي بالامر إذا امكنه القيام به والملا الخلق لأن جميع افعال صاحبه يجري عليه يقال احسنوا املاككم اي اخلاقكم قال:

تَنَادَوْا يَا لَ بُهْتَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي مَلَأَ جَهَنَّا

واصل الباب الاجتماع فيالا يحتمل المزيد وإناسي الاشراف ملا لأنه لا مزيد على شرفهم وقيل لأن هيتهم تملأ الصدور والملا مقصورا المتع من الأرض قال الشاعر:

أَلَا غَيَّبَانِي وَأَرْفَعَا الصَّوْتِ بِالْمَلَأِ فَإِنَّ الْمَلَأَ عِنْدِي تَرِيدُ الْمُدَى بَعْدَا

✽ الاعراب ✽

من بنى اسرائيل الجار والمجرور في محل نصب على الحال والعامل فيه تر وذو الحال الملا ومن بعد موسى في موضع الحال ايضا وهو حال بعد حال او حال من الضمير في الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للسألة التي هي على لفظ الأمر اي ان تبعث لنا ملكا نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج والرفع في نقاتل بعيد يجوز على معنى فإننا نقاتل في سبيل الله وكثير من النحويين لا يجيز الرفع فيه وقوله الا تقاتلوا في موضع نصب لأنه خبر عسى وقوله وما لنا ان لا نقاتل قال ابو الحسن الأخش فيه وفي قوله وما لكم ان لا تأكلوا إن أن زائدة كأنه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لا تأكلون كقوله مالكم لا تنطقون وما لك لا تأمننا وقع الفعل المنفي موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قولك مالك تفعل وقد يقال ايضا في نحو ذلك ان المعنى وما لنا في ان لا نقاتل وما لكم في ان لا تأكلوا فكأنه حمل الآية على وجهين قال ابو علي والقول الثاني اوضح ويكون أن مع حرف في موضع نصب بالحال كقوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار وسد ان وصلتها ذلك المسد والحال في الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا أنه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله في وقوع الظرف موقع الحال قول أبو ذؤيب

يَعْتَرْنَ فِي حَدِّ الطَّبَاةِ كَأَنَّمَا كَسَيْتَ بَرُودَ بَنِي يَزِيدٍ الْأَذْرَعِ (٤)

وهذا كما يقال خرجت في الثياب اي خرجت لابسا ووجه ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جعدوا وتقديره وما لنا ان نترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استفهما وقد اخرجنا جملة في موضع الحال وتقديره وما لنا الا نقاتل مغرجين من ديارنا وذو الحال الضمير في الانقاتل وقليل المنصوب على الاستثناء من الموجب

✽ المعنى ✽

لما قدم تعالى ذكر الجهاد عقبه بذكر القصة المشهورة في بني اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قمردهم عنه تحذيرا من سلوك طريقهم فيه (الم تر) اي ألم ينته عليكم يا محمد (الى الملا) اي جماعة الاشراف (من بني اسرائيل من بعد موسى) اي من بعد وفاته (اذ قالوا لنبي لهم) اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شمعون سبته امه بذلك لأن امه دعت الى الله ان يرزقها غلاما فسمع الله دعاها فيه وهو شمعون بن صفية من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي وقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عن قتادة وقيل هو اشمويل وهو بالعربية اسمايل عن اكثر المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) اختلف في سبب سؤالم ذلك فقيل كان سبب سؤالم ذلك استدلال الجابرة لهم لما ظهر واعلى بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيرا من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت في بني اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله تعالى ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل

(١) بهتة: ابو عسى من سليم وهو بهتة بن سليم بن منصور. (٢) المدى: الغاية والمنتهى. (٣) [الجر] (٤) اي حمر الوحش

يقال حمر الفرس اذ ازل وكبا. الطباة جمع الطبة: حد السيف والسهم وغيرهما. الاذرع جمع الذرع اي كسيت الذراع بروداه.

نبياً فقالوا له إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك عن الربيع والكلبي وقيل ارادوا قتال العمالة فأسألوا ملكا يكون امير عليهم تنتظم به كلمتهم ويجمع امرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة بأحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا عن وهب وقال ابو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له امره وينبئه بالخبر من عنده فاجابهم نبيهم فقال (هل عسيتم ان كتب عليكم القتال) أي لعلكم ان فرض عليكم المحاربة مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) ان لا تقوا بما تقولون وتجنسوا فلا تقاتلوا وانما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كأخذ العهد عليهم ومعنى عسيتم قاربتم فإذا قلت عسيتم أن افعل كذا فعناه قاربته فعله (قالوا) يعني قال الملاء (وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله) معناه واي شيء لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال (وقد أخرجنا) لفظه عام ومعناه خاص اي قهه اخرج بعضنا (من ديارنا وابنائنا) اوطاننا واهالينا بالسبي والقهر على نواحينا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بأن قالوا انما كنا نزعج في القتال إذ كنا اعزاً لا يظهر علينا عدونا فاما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه اعداءهم فسمع الله دعوته واجاب مسأله فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال اي فرض فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي عرضوا عن القيام به وضيعوا امر الله (إلا قليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر على ما نبئته من بعد (والله عليم بالظالمين) هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا انفسهم بمعصية الله

قوله تعالى (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

اللفظة

اصطفاه اختاره واستصفاه بمناه واصله اصطفاه إلا ان الباء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما ان الصاد مطبقة فأبدلوا منها ليسهل النطق بها بعد الصاد والبسطة الفضيلة في الجسم والمال والجسم حده الطويل الرريض العميق بدلالة قولهم جسم جسامة أي ضخمة وهذا جسيم أي ضخم وهذا أجسم من هذا إذا زاد عليه في الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو الموثف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الأول

الإعراب

طالوت وجالوت وداود لا تنصرف لأنها اسما اعجمية وفيها سببان التعريف والعجبة فاما جاموس فلو سميت رجلا به لانصرف وان كان أعجميا لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول الجاموس ملكا فنصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت وأنشئ في موضع نصب لأنه خبر يكون والملك اسمه ونه في موضع الحال وذو الحال الملك تقديره أني يكون له الملك يستقر له علينا ويجوز ان يكون كان هنا تامة فيتعلق اللام بيبكون وانى في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن أحق في محل النصب على الحال ايضا تقديره اني يكون له ان يملك علينا ونحن احق منه بالملك ولم يؤت سعة في محل الحال ايضا عطف على نحن احق والعامل فيه الملك وذو الحال الضمير في أن يملك وتقديره ان يملك علينا غير موتى سعة مالية

المعنى

(وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أي جعله ملكا وكان طالوت من ولد بنيامين

ابن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لظوله ويقال كان سقا. وقيل كان
 خرنبدجا وقيل كان دباغا وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب
 وقيل في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نيا بعد ان جعله ملكا (قالوا
 انى يكون له الملك علينا) أي من اين له الملك وهذا اول اعتراضهم إذ انكروا ملكه (ونحن احق) أي اولى
 (بالملك منه) لأننا من سبط النبوة والمملكة واوتينا المال (ولم يوت سعة من المال) اي لم يعط احدنا شيئا مما يملك
 به الناس وهو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المالك وقيل معناه ولم يوت سعة من المال فيشرف به
 ويجبر نقصاً لو كان فيه حتى يساوي أهل الانساب فاعلمهم الله انه أعرف بوجود الحكمة منهم فإن المقصود في
 الملك والرئاسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك عن لسان نبيهم (قال ان الله اصطفاه) اي اختاره (عليكم)
 عن ابن عباس (وزاده بسطة) اي فضيلة وسعة (في العلم والجسم) وكان اعلم بني اسرائيل في وقته وأجلهم
 واتمهم واعظمهم جسداً واقواهم شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال رأسه قال وهب كان ذلك
 فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك (والله يوتي ملكه من يشاء) اي لا تنكروا ملكه وان لم يكن من اهل
 بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يوتي الملك من يشاء (والله واسع) قيل في معناه ثلاثة اقوال
 ﴿ احدها ﴾ انه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير أي كبير القدر ﴿ والثاني ﴾ ان
 الواسع بمعنى الموسع أي يوسع على من يشاء. من نعمه كما جاء أليم بمعنى مؤلم وسيع بمعنى مسع ﴿ والثالث ﴾
 ان معناه ذو سعة نحو عيشة راضية اي ذات رضا ورجل تامر اي ذو تمر ولا بن اي ذو لبن وقوله (عليم) اي
 عليم بمن ينبغي ان يوتي الفضل والمملكة اما للاستصلاح واما للامتعان وفي هذه الآية دلالة على ان الملك قد
 يضاف اليه سبحانه وذلك بأن ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك ويأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز
 ان يقال بعثه الله سبحانه ملكا وان لم يكن في البعثة كالأنبياء. ويقال في ملكه ايضا انه من جهة الله سبحانه
 لأن تصرفه صادر عن اذنه وفيها دلالة ايضا على ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثته وإنما يكون بحسب ما
 يعطيه الله من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الإمام ان يكون اعلم من رعيته وأكل وأفضل في خصال
 الفضل والشجاعة لأن الله علل تقديم طالوت عليهم بكونه اعلم واقوى فلو لا ان ذلك شرط لم يكن له معنى
 قوله تعالى (٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (آية)

اللغة

التابوت بالتاء لفة جمهور العرب والتابوه بالهاء. لفة الانتصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية
 والعزيمة وأخذ من السكون

الإعراب

موضع ان ياتيكم رفع المضى ان آية ملكه إتيان التابوت اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدأ وخبر في
 موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية

المعنى

(وقال لهم نبيهم ان آية ملكه) أي علامة تملكك الله اياه وحجة صحة ملكه (ان ياتيكم التابوت) وفي هذا
 دليل على انهم قالوا لرسولهم ان كان ملكه بأمر من الله ومن عنده فأتنا بعلامة تدل على ذلك فأجابهم بهذا

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن ابي جعفر ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعت فيه ابناها والقتة في البحر وكان في بني اسرائيل مظهرا يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة وادعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبين اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألوها نبيهم ان يبعث اليهم ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي أعداء بني اسرائيل من العاقلة غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم انتزع الله من ايديهم وردة على بني اسرائيل تحمله الملائكة عن ابن عباس وهو يروي ذلك عن ابي عبد الله وقيل كان التابوت الذي أنزله الله على آدم فيه صور الانبياء فتوارثه اولاد آدم وكان في بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة وكان في بركة التابوت خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة إلى بني اسرائيل وقيل كان تدر التابوت ثلاثة اذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب وكان من ششاد وكانوا يقدمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زف التابوت أي سار وكان الناس يسيرون خلفه فإذا سكن الأنين وقف فوقف الناس بروقوفه (فيه سكينتان من ربيكم) قيل في التابوت نفسه وقيل في باقي التابوت واختلف في السكينة فقيل ان السكينة التي كانت فيه ربيع هفافة من الجنة لها وجه كوجه الإنسان عن علي (ع) وقيل كان له جناحان ورأس كراس الهرة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروي ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه آية يسكنون اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل انها عصا موسى ورضاض الألواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الصادق وقيل هي التوراة وشي من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه ايضا لوحان من التوراة وقفيذ من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه هذه اقوال أهل التفسير في السكينة والبقية والظاهر ان السكينة أمانة وطمانية جعلها الله فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جائزة أن يكون بقية من العلم او شي من علامات الأنبياء وجائز ان يتضمنها جميعا على ما قاله الزجاج وقيل أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون على نبينا وعليها السلام يعني بما ترك موسى وهارون تقول العرب آل فلان يريدون نفسه انشدا بوعيدة

فَلَا تَبِكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتِ أَحَبَّةٍ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

يريد أبا بكر نفسه وقال جميل

بُشِينَةٌ مِنْ آلِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنُّ لَأَذْنِي لِأَوْصَالِ الْغَائِبِ

أي من النساء (تحمله الملائكة) قيل حملته الملائكة بين السماء والأرض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الأعداء على التابوت ادخلوه بيت الأصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوها ناحية من المدينة فأخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها على ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فبعثت الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سيبيا لحمله الى مكة (إن في ذلك لآية لكم) أي في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله سبحانه ملك طالوت عليكم (ان كنتم مؤمنين) مصدقين ولا يجوز ان يكون على تثبيت الايمان لهم لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين كما قرءتمون

* المعنى *

(فلما فصل طالوت بالجنود) في الكلام حذف لدلالة ما بقي عليه وهو فاتاهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها فصدّقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود أي المناكر واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك أنهم لما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد (قال) يعني طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق عن الكاذب في قوله عن الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكائهم قلة الماء وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعدوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المعاربة ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله (فمن شرب منه) الهاء كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء (فليس مني) معناه ليس من أهل ولايتي وليس من اصحابي ومن يتبعني (ومن لم يطعمه) اي ومن لم يطعم من ذلك الماء (فإنه مني) أي من اهل ولايتي وأوليائي وهو من الطعم الذي هو مايؤزّيه الذوق أي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام جميعا (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بالضم فضاه الا من شرب مقدار مل كفه (فشرّبوا منه) أي شربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وقاتدة وجماعة وقيل اربعة آلاف رجل وناق ستة وسبعون الفا ثم ناقق الاربعة الآلاف الا ثلاثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) معناه فلما تحطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم أصحابه وروي عن البراء بن عازب وقاتدة والحسن انما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد اهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون إلا أن الكافرين انزلوا وبقي المؤمنون على عدد اهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فلما رأوا كثرة جنود جالوت (قالوا) اي قال الكفار منهم (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عدة اهل بدر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) قال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم اشد ايقانا وأقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة إلى آخره (قال الذين يظنون انهم ملائقوا الله) أي راجعون الى الله والى جزائه قيل في يظنون

ثلاثة أقوال **أحدها** ان معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة

فَقَلَّتْ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْقِيِّ مُدَجِّجٌ
سُرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ^(١)

اي أيقنوا **والثاني** ان معناه يحدّثون نفوسهم وهو اصل الظن لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا أنه قد كثر على ما كان مع الشك **والثالث** يظنون انهم ملائقوا الله بالقتل في تلك الرقعة (كم من فئة) اي فرقة (قليلة غلبت فئة كثيرة) اي قهرت فرقة كثيرة (باذن الله) أي بنصره عن الحسن لأنه اذا أذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي اذن فيه (والله مع الصابرين) بالنصرة لهم على اعدائهم

قوله تعالى (٢٥٠) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

(١) المدجج : اللابس السلاح . سراة القوم : ساداتهم . المسرد : الدرع .

* اللغة *

البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء ورجل برز وامرأة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك منهما والافراغ الصب للسيال على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا وافرغ افرغا واصبح فورا. اد ام موسى فارغا اي خاليا من الصبر واصل الفراغ الخلو والتبئيت تمكين الشيء في مكانه للزومه اياه وقد يقال تبئته بمعنى حكم بوجوده ورجل تبئ المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه، وطعنه فائت فيه الرمح اي نفذ فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اي اقامها ورجل تبئ اي ثقة مأمون فيا روي والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الملاقاة ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر والالطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصرا لان الالطف يكون في اخذ طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من التواضع والنصر فعل الله والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حسب النفس عما تنازع اليه من الفعل وهو هنا حبا عما تنازع اليه من الفرار من القتال

* المعنى *

(ولما برزوا) اي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة (جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ) اي اصب علينا صبوا اي وقفنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الإوان. من جهة انه نهاية ما توجه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد من الآتية (وثبت اقدمنا) اي وقفنا للثبوت على الامر (وانصرنا) أينا (على) جهاد (القوم الكافرين) قوم جالوت

قوله تعالى (٢٥١) فَهَزَمُوهُمْ يَا ذنِ اللّٰهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتٰهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ لَمَفَّضَهُمْ بَعْضُ لِقَسَلَتِ الْاَرْضُ وَلٰكِن اللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلٰى الْعٰلَمِيْنَ (آية)

* القراءة *

قرأ ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع الله بالالف وفي الجمع مثله وقرأ الباقون بغير الف

* الحجة *

قال ابو علي دفاع يحتمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك الثاني ان يكون مصدرا للفاعل ويدل عليه قراءة من قرأ ان الله يدافع عن الذين آمنوا وكان معنى دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله وَلَقَدْ حَرَّصْتُ بِأَنْ اُدْفِعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفِعُ كأن المعنى حرصت بأن ادفع عنهم المنية والمنية لا تدفع فوضع ادفع موضع ادفع فإذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان

* اللغة *

الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال هربا منه فانهزموا انهزاما وتهزما السقاء اذا يس قمتدع لاندفاع بعضه عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهترم شاتك قبل ان تهزم فتهلك لدفع ضياعها بتذكيها واصل الدفع الصرف عن الشيء والدفاع السيل والدفعة اندفاع الشيء. جملة

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال (فهزمهم) ولا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبوا قال فاستجاب لهم ربهم فهزمهم بنصره اي دفعهم وكسروهم لأن ذكر الهزيمة بعد سوال النصرة دليل على

معنى الإجابة ومعنى هزموهم سببوا لهزيمتهم بأن فعلوا ما ألجأهم إليها فعلى هذا يكون حقيقة وقال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجته من منزله اذا الجأه الى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله (بأذن الله) اي بأمر الله وقيل بعلم الله (وقتل داود جالوت)

❖ القصة ❖

وكان من قصة داود على ما رواه علي بن ابراهيم بن هاشم عن الصادق (ع) ان الله اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشاراع وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بني اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا بأن أحضر^١ ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فالبسه درع موسى ففهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعى اقبل معه ومقلع^٢ قال فنادته ثلاث صغرات في طريقه يا داود خذني فاخذها في ميخلائه وكان حجر الفيضج وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التساج وفي جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الاحجار فرمى به في ميسنة جالوت ووقع عليهم فانهمزوا واخذ حجرا آخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهمزوا ورمى بالثالث الى جالوت فاصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرمى به بحجر من مقلع فوقع بين عينيه وخرج من قناه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهمز القوم عن آخرهم عن وهب وغيره من المفسرين (واتاه الله الملك) اي واعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك (والحكمة) قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة لانه لا يجوز ان يتأس من ليس بنبي^٣ لانه قلب ما توجه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر الا بحق ولا يدعو الا الى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا كان يفعل ما يفعل بامرهم ومشورته (وعلمه ما يشاء) معناه وعلمه امور الدين وما شاء^٤ امور الدنيا منها صنعة الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالخان (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) قيل فيه ثلاثة اقوال احدها لولا دفع الله مجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربو البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثاني معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن ابي عبدالله قال ان الله يدفع بن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وان الله يدفع بن يزكي من شيعتنا عن لا يزكي منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله يدفع بن يمح من شيعتنا عن لا يمح منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من معناه ما روي عن النبي انه قال لو لا عباد الله رُكع وصيان رُضع وبهائم رُتع لَصَبَّ عليكم العذاب صبا وروى جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ان الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم والثالث ان في معنى قول الحسن ما يزرع الله بالسلطان اكثر مما يزرع بالقرآن لأن من يمتنع عن الفساد لحوف السلطان اكثر ممن يمتنع منه لاجل الوعد والوعيد الذي في القرآن (ولكن الله ذو فضل على العالمين) اي ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم

قوله تعالى (٢٥٢) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (آية)

* اللغة *

الثلاثة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لأن التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره واصل التلو اي قاع الشيء بعد الشيء الذي يليه والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه والرسالة تحمیل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة

﴿ الإعراب ﴾

نتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة في تلك وذو الحال آيات الله أي متلوة عليك والباء في بالحق يتعلق بنتلو ايضا

﴿ المعنى ﴾

(تلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من اامة الوف من الناس دفعة واحدة واجنائهم دفعة واحدة بدعائهم ومن تملك طالوت وهو من اهل الحمول الذي لا يتقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآية علما على تملكه ونصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضحهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم (آيات الله) اي دلالات الله على قدرته (نتلوها عليك) نقرؤها عليك يا محمد (بالحق) بالصدق وقيل يقرأها جبريل عليك (بالحق) بأمرنا (وإنك لمن المرسلين) معناه وإنك لمن المرسلين بدلالة اخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخاطب أهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة أهلها الا يوحي من جهة الله والله لا يوحي الا الى انبيائه

قوله تعالى (٢٥٣) **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيْتَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ (آية)**

﴿ الإعراب ﴾

درجات منصوب على الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقديره رفع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره ورفع بعضهم فإذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم رفعا

﴿ المعنى ﴾

(تلك) بمعنى أولئك إلا أنه أراد به الإشارة إلى الجماعة فأتى بلفظ الأفراد الذي يكون للموتث المفرد كما يقال القوم خرجت أي أولئك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء في الكتاب (فضلنا بعضهم على بعض) وإنما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لأمر ﴿احدها﴾ لأن لا يقط غلط فيسوي بينهم في الفضل كما استروا في الرسالة ﴿وثانيها﴾ أن يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض ﴿وثالثها﴾ أن الفضيلة قد تكون بعد اداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه لموسى بلاسفير وكإرساله محمدا الى الكافة من الجن والانس وقيل أراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمل الأثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المعاباة أن المعاباة اختصاص البعض بالنفع على ما يوجبه الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى إلى حرمان

الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعوايه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي إنما تدعوايه الشهوة « منهم من كلم الله » أي كلمه الله وهو موسى « ورفع بعضهم درجات » قال مجاهد أراد به محمداً (ص) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن والإنس وبأن اعطاه جميع الآيات التي اعطاها من قبله من الأنبياء. وبأن خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة إلى يوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها قدمت وانقضت وبأن جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تأخير أشرف الرسل لأعظم الأمور (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أي الدلالات كإبراهيم الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار عما كانوا يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم (وأيدناه بروح القدس) قدم تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى وأتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يعني عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكروا في العدو نكايه عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتل الذين من بعد الأنبياء. بأن يلجئهم إلى الإيمان ويعينهم عن الكفر إلا أنه لم يلجئهم إلى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة والإلجاء والجزاء. لا يحسن إلا مع التخفية والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما أمرهم بالقتال (من بعد ما جاءتهم البينات) من بعد وضوح الحجة فإن المقصد من بعث الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره (ومنهم من كفر) بسوء اختياره (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كذلك تأكيداً وتنبهاً وقيل الأول مشيئة الإكراه أي لو شاء الله اضطروهم إلى حال يرتفع معها التكليف والثاني الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم (ولكن الله يفعل ما يريد) ما تقتضيه المصلحة وتوجيه الحكمة

قوله تعالى (٢٥٤) يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة إبراهيم لا بيع فيه ولا خلة وفي الطور لا تور فيها ولا تأثم وقرء الباقر جميعها بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أما من فتح بلا تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من تور أو تأثم ومن رفع جعله جواب أفيها تور أو تأثم وقد ذكرنا صدرا من القول على النفي فيما تقدم والمضيان متقاربان في أن النفي يراد به العموم والكثرة في القراءتين يدل على ذلك قول أمية « فلا تور ولا تأثم فيها » ألا ترى أنه يريد من نفي التور وإن كان قد رفعه ما يريد بنفي التأميم الذي فتحه ولم يتورنه فإن جعلت قوله فيها خبراً اضمرت للأول خبراً وإن جعلته صفة اضمرت لكل واحد من الإسمين خبراً

﴿ اللفظة ﴾

البيع هو استبدال المتاع بالثمن والبيع تقيض الشراء والبيع أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيع الصفقة على إيجاب البيع والبيعة الصفقة على إيجاب الطاعة واليتمان البايع والمشتري والخلة خالص المودة والحلل الانفراج بين الشئتين وخلته بالحلال أخله خللاً إذا شككته به واختلال

الحال انحرافها بالفقر والحليل الخالص المودة من الحلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل لأنه يستنع من الشوب في المودة بالنيصة والحليل ايضا المحتاج من الحلة والحل معروف لتخلله بحدته ولطفه فيما يناسب فيه والحل الرجل الخفيف الجسم والحل الطريق في الرمل وفي فلان حلة رائقة اي خصلة والحلة جنس السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا يقبل منها شفاعة

﴿ المعنى ﴾

لما قصَّ الله سبحانه اخبار الامم السابقة وثبت رسالة نبينا (ص) عقبه بالحث على الطاعة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا محمدا (ص) فيما جاء به (انفقوا مما رزقناكم) قيل اراد به الفرض كالزكاة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن ولأن ظاهر الامر يقتضي الاجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخي وهو الاقوى لأنه اعم ولأن الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم احوال يوم القيامة وشدائدها (من قبل ان يأتي يوم) اي يوم القيامة (لا يبيع فيه) اي لا تجارة (ولا حلة) اي ولا صداقة لأنهم بالمعاصي يصيرون اعداء. وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذه كقوله الاخلا. يومئذ بعضهم لبعض اعدو الا المتقين (ولا شفاعة) اي لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياءهم كما قال سبحانه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) انما ذم الله الكافر بالظلم وان كان الكفر اعظم منه لأنهم **﴿ احدهما ﴾** الدلالة على ان الكافر ضرَّ نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه **﴿ والآخر ﴾** انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والحلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور ووجه آخر في تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان فقيه هو الفقيه في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه

قوله تعالى (٢٥٥) **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**

آيتان بصري وآية واحدة عند غيرهم عدَّ البصري الحي القيوم آية برفضل الآية يذكر ابن انجويه القسوي في كتاب الترغيب بإسناد متصل عن أبي بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر اي آية في كتاب الله اعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنئك العلم والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية للساناً وشفتين تقدر الملك عنه ساق العرش وروي الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن عمر قال قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والاکرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى استشهد وبإسناده عن علي (ع) قال سمعت نبيكم على اعراف المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم ينمه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر

وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القران البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي إن فيها لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها وروي عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكره من مكره الدنيا وألف مكره من مكره الآخرة أبسر مكره الدنيا الفقرو أبسر مكره الآخرة عذاب القبر وعن أبي عبد الله قال إن لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي

✽ اللغة ✽

الحي من كان على صفة لا يستحيل معها ان يكون قادرا علما وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب لأجلها ان يدرك المدرجات اذا وجدت والقيوم اصله قيوم على وزن فيعمل الا ان الياء والواو اذا اجتمعا واولاها ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء قياسا مطردا والقيام اصله قيوم على وزن فيعمل فعمل به ما ذكرناه قال امية بن ابي الصلت

لَمْ يَخْلُقِ السَّمَا وَالنَّجُومَ وَالشَّمْسُ مَعَهَا قَمَرٌ يَعْوَمُ (١)
قَدَرَهَا الْمُهَيَّمِنُ الْقَيُّومُ وَالْحَشْرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَظِيمُ

والسنة النوم الخفيف وهو النعاس قال عدي بن الرقاع

وَسَنَانٌ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ (٢)

وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المفضل السنة في الرأس والنوم في القلب والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما واستنام اليه اي استأنس اليه واطمان اليه ناحيته وقال الليث يقال لكل من احرز شيئا او بلغ علمه أقصاه قد أحاط به ويقال وسع فلان الشيء يسهه سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به ويقال لا يسطك هذا اي لا تطيقه ولا تحمله الكرسي كل اصل يعتمد عليه قال الشاعر

تَحَفَّ بِهَيْمٍ يَبْضُ الْوُجُوهَ وَعُصْبَةً كَرَّاسِيٍّ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنْوِبُ
نَحْنُ الْكِرَّاسِيَّ لَا تَعُدُّ هَوَازِنُ وَقَالَ آخِرُ
وَقَالَ آخِرُ

مَالِي بِأَمْرِكَ كُرْسِيٌّ أَكَاتِمُهُ وَهَلْ بِكُرْسِيٍّ عِلْمُ الْقَيْبِ مَخْلُوقُ

وكل شيء تراكب فقد تكارس ومنه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الرأس ويقال كرسي الملك من كذا وكذا أي ملكه مشبه بالكرسي المعروف واصل الباب الكرسي تراكب الشيء بضمه على بعض وآده يؤوده اذا انقله وجهه وأدت المود أؤده أودا فأناد نحو عجة فانعاج والأود والأوداء على وزن الاعوج والوجاء والمعنى واحد والجمع الأود كالعوج والعلى اصله من الطو وهو سبحانه على بالاعتدال ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاعتدال لأن الرفعة في المكان والطو منقول الى معنى الاعتدال يقال فلان علا على قرنيه يعلو علوا فهو عال وعلا بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعنى ذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو بضم العين وكسرهما خلاف السفل وعلا في الأرض علوا تجبر ومنه قوله ان فرعون علا في الأرض اي تجبر وابنه تعالى العالي والمتعالي اي القادر القاهر لا يعجزه شيء وفلان من عليّة الناس اي من

(١) العوم : السباحة . وعام القمر : جرى . (٢) و قبله : «وكانها بين النساء اعارها» عينية أحور من جاذرجاسم

ووسنان صفة أحور . وورقت : اي وقفت . (٣) وفي المخطوطتين «من مكان كذا الى مكان كذا» .

اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشأن وقيل العظيم بمعنى العظيم كما قالوا في الخبر الصديق اي المعتق والاول اقوى

﴿ الإعراب ﴾

الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفي أي لم يصبح إله سوى الله وحقيقته الاثبات لإله واحد هو الله فكأنه قيل الله هو الإله دون غيره وارتفع هو في لا إله إلا هو على احد وجهين ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ بالابتداء كأنه قال ما إله الا الله ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ان يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتا او موجودا الا الله ويجوز في العربية نصب الله في قول لا إله إلا الله على الاستثناء.

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأمم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال (الله) اي من يحق له العبادة لقدرة على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الأقوال في اصله وفي معناه في مفتتح سورة الفاتحة (لا إله الا هو) اي لا احد تحق له العبادة ويستحق الألوهية غيره (الحي) قد ذكرنا معناه (القيوم) القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالأمور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب اي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل (لا تأخذه سنة) اي نعاس (ولا نوم) ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للعاقل انت نائم وانت وسان (له ما في السماوات وما في الارض) معناه له ملك ما فيها وله التصرف فيهما (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) هو استفهام معناه الإنكار والنفي أي لا يشفع يوم القيامة احد لاحد الا باذنه وامره وذلك ان المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فآخبر الله سبحانه ان احدا ممن له الشفاعة لا يشفع الا بعد أن يأذن الله له في ذلك ويأمره به (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) قيل فيه وجوه ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ أن معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة عن مجاهد والسدي ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه اي قدامه وما مضى فهو قدام الشيء فيحصل عليه على هذا التقدير لا ان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي يأتي بعدهم عن ابن جريج ﴿٥﴾ والثالث ﴿٦﴾ ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يأت كما يقال رمضان بين ايدينا (وما خلفهم) عبارة عما مضى كما يقال في سؤال قد خلفنا رمضان عن الضحاك (ولا يحيطون بشيء من علمه) معناه من علمه معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا ويقال اذا ظهرت آية هذه قدرة الله اي مقدور الله والإحاطة بالشئ علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة (إلا بما شاء) يعني ما شاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه (وسع كرسيه السماوات والارض) اختلف فيه على اقوال ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ وسع علمه السماوات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويقال للعلماء كراسي كما يقال اوتاد الارض لأن بهم قوام الدين والدنيا ﴿٣﴾ وثانيها ﴿٤﴾ ان الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وانما سمي كرسيًا لتكيب بعضه على بعض ﴿٥﴾ وثالثها ﴿٦﴾ أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيًا اي عبادا يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسماوات والارض وما فيهما ﴿٧﴾ ورابعها ﴿٨﴾ ان الكرسي سرير دون العرش وقد روي عن ابي عبد الله وقريب منه ما روي عن عطاء انه قال ما السماوات والارض عند الكرسي الا كحلقه خاتم في فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقه في فلاة ومنهم من قال ان السماوات والارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السماء وروى الاصمعي بن نباتة ان عليا قال ان السماوات والارض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن الله ملك منهم في صورة الآدميين وهي

أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للآدميين والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسرو وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة أحسن من الثور ولا اشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائكة من بني اسرائيل العجل وعبده ففضض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله ان عبدوا من دون الله بشي يشبهه وتخوف ان ينزل الله به العذاب (ولا يؤوده حفظها) أي لا يشق على الله ولا يتقله حفظ السموات والأرض وقيل الماء في يؤده يعود إلى الكرسي وهذا على قول من يقول أن السموات والأرض على الكرسي (وهو العلي) عن الأشباه والأضداد والامثال والانداد وعن إمارات النقص ودلالات الحدث وقيل هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء (العظيم) أي العظيم الشأن القادر الذي لا يمجزمشي وتعلم الذي لا يخفى عليه شي لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وزوى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرأ ابو الحسن الرضا (ع) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه

قوله تعالى (٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (آية)

﴿ اللغة ﴾

الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد وتقول غوي يغوي غيا وغواية إذا سلك طريق الهلاك وغوى إذا خاب قال الشاعر :-

وَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يُمَدِّمُ عَلَى الْغَيِّ لِإِنَّمَا

وغوى الفصيل يغوي غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنها في الأصل فعلوت وهو مصدر مثل الرجوت والرهوت والرحوت ويبدل على انها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من الياء يدل على ذلك قوله في طغيانهم يمعنون ثم ان اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طيغوت ثم قلبت الياء الفاتحة كها وانفتح ما قبلها فصارت طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فعلوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغيت وطواغ على حذف الزيادة والطواغي على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متلقة وعروت الرجل أعروه عروا إذا ألمت به متعلقا بسبب منه واعتراه هم إذا تعلق به وعروته الحمى تمره إذا علق به فالاصل في الباب التعلق قال الأزهرى العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيع والقيصوم وغيره وبه شبهت عرى الأشياء في لزومها والوثقى تأنيث الأوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الأعشى

وَمَبْسَمُهَا مِنْ شَتَبَتِ النَّبَاتِ غَيْرُ أَكْسٍ وَلَا مُنْفَصِمٍ (١)

﴿ التزول ﴾

يقال فصته فانفصم

قيل تزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكبره على الإسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الأنصار يدعى بالحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر ابو الحصين

(١) التَّبْسِيمُ : مقدم الاسنان . كَسَّ كَسًّا : كان قصير الاسنان صغيرها فهو كَسَّ .

رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فقال رسول الله (ص) ابعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبها فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد انها منسوخة بآية السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت امرأة من الأنصار تكون مقلاتاً فترضع اولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير إذا فيهم اناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فقتلت لا إكراه في الدين فقال خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فأجلوهم عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر اختلاف الأمم وانه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر والبعد قد خير فلا إكراه بقوله (لا إكراه في الدين) وفيه عدة أقوال (أحدها) أنه في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك (وتانيها) أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره (وثالثها) ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكروه عن الزجاج (ورابعها) انها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في التزول عن ابن عباس وغيره - (وخامسها) - ان المراد ليس في الدين إكراه من الله ولكن البعد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه (قد تين الرشد من النقي) قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسما والمعجزات التي ظهرت على يد النبي (فن يكفر بالطاغوت) فيه اقوال - (أحدها) - أنه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله - (وتانيها) - انه الكاهن عن سعيد بن جبير - (وثالثها) - أنه الساحر عن أبي العالية - (ورابعها) - أنه مردة الجن والانس وكلما يطعني - (وخامسها) - انه الأصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله (ويؤمن بالله) اي يصدق بالله وبما جاءت به رسله (فقد استمسك) تمسك واعتصم (بالعروة الوثقى) أي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يملكه شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله ورسوله وجرى هذه مجرى المثل الحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به (لا انفصام لها) اي لا انقطاع لمعنى كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائرکم

قوله تعالى (٢٥٧) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

اللغة

الولي من الولي وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون اولي بالنير من غيره وأحق بتدبيره ومنه الولي لأنه يلي القوم بالتدبير وبالأمر والنهي ومنه المولى من فوق لأنه يلي أمر البعد بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة ومنه المولى لابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي

اليتيم لأنه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لأنه يلي أمره بالنصرة والمعونة كما توجه الحكمة والمعاونة فجميع هذه المواضع الأولى والأحق ملحوظ فيها ووكى عن الشيء إذا أدير عنه لأنه زال عن ان يليه بوجهه واستولى على الشيء إذا احتوى عليه لأنه وليه بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها أنه يتولاهم بالمعونة على إقامة الحججة والبرهان لهم في هدايتهم كقوله (والذين اهتدوا زادهم الله هدى) وثانيها أنه وليهم في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مضافيهم وثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمشورة على الطاعة والمجازاة على الأعمال الصالحة

المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال (الله ولي الذين آمنوا) أي نصيرهم ومبينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الهدى والإيمان لأن الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الأدلة لهم عليه ورغبهم فيه وفعل بهم من اللطاف ما يقوي به دواعيهم الى فعله لأننا قد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر الى الإيمان فصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون هذه الأمور التي عددنا من جهة الله تعالى كما يصح من احدنا اذا اشار الى غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه فيه وعرفه ما له فيه من الصلاح ان يقول أنا دخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) أي متولى أمورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هاهنا واحد اريد به الجميع وهذا جائز في اللغة اذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر:

بِهَا حَيْفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا
فَبِجِلْدِهَا فِي مَعْنَى جُلُودِهَا وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ:

فَقَلْنَا أَسْلِمُوا وَأَنَا أَخُوكُمْ
فَقَدْ بَرَّتُ مِنَ الْإِخْنِ الصُّدُورِ

والمراد به الشيطان عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل (يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من نور الإيمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلال واصل اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت على ما تقدم ذكره من انهم يتفرونهم ويدعونهم الى ذلك ويؤيّنون فعله لهم فصح اضافته اليهم وهذا يدل على بطلان برهان قول من قال ان الاضافة الاولى تقتضي ان الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشيطان وعندهم لا فرقه بين الامرين في انها من فعله تعالى عن ذلك وايضا فلو كان الامر على ما ظنوا لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلاً للكفار ومُضِيفاً لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولي لفعل الامرين فيها ومثل هذا لا يخفى على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان - (احدهما) - ان ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي من ميراثه فمنته من الدخول فيه اخراج ومثله قوله في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن فيها قط وقوله ومنهم من يرد الى اذل العمر وقال الشاعر:

فَإِنْ تَكُنِ الْآيَامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهِنَّ ذُنُوبُ

ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر انه في قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والأول اقوى وقوله (أولئك اصحاب النار) الى آخره قد مضى تفسيره

قوله تعالى (٢٥٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْحِي وَيُبْئِي قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة أنا أحيي بآثبات الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة نحو أنا أخوك فإن كان بعدها همزة مكسورة نحو إن أنا إلا نذير حذفوا الألف اجماعاً

﴿ الحجة ﴾

الأصل في أنا الهمزة والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما ان الهاء تلتحق للوقف في مسلمونه وكما أن الهاء التي تلتحق للوقف تسقط في الرصد كذلك هذه الألف تسقط في الرصد وقد جاءت الفاء أمثلة في الرصد في الشعر نحو قول الأعمش:

فَكَيْفَ أَنَا وَإِنْتِحَالُ الْقَوَافِي " بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

وقول الآخر:

أَنَا شَيْخُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي حَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا^(١)

قال أبو علي وما روي في اثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزة فإني لا أعلم بين الهمزة وغيرها من الحروف فصلاً ولا شيئاً يجب من أجله اثبات الألف التي حكمها أن تثبت في الوقف

﴿ اللغة ﴾

في بئت أربع لغات بئت على وزن ظُرف وبئت على وزن حُذِر وبئت على وزن ذَهَبَ وبئت على وزن مالم يسم فاعله وهذا هو الأفصح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا إذا انقطع وتغير ويقال بهت الرجل أبهته بهتاناً إذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لأنها كالخيرة للمواجه بالكذب لأن تعبير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله أتأخذونه بهتاناً كأنه قال أتأخذونه ادعاء للكذب فيه

﴿ الإعراب ﴾

ألم تر إلى الذي إذا دخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أما ترى إلى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل رأيت كفلان في صنيعه كذا فلما دخلت إلى من بين حروف الجر لهذا المعنى لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رويتك إلى من هذه صفة ليدل على بُعد وقوع مثله على التعجب منه لأن التعجب إنما يكون بما استبهم سببه ولم تجر العادة به وقد صارت إلى هاهنا بمنزلة كاف التشبيه لما بيننا من العلة إذ كان ما ندر مثله كالذي يبعد وقوعه

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى أنه ولي المؤمنين وإن الكفار لا ولي لهم سوى الطاغوت تسلياً لبنيه (ص) قص عليه بعد قصة إبراهيم ونمرود فقال (ألم تر) يا محمد أي ألم ينته علمك ورويتك (إلى الذي حاج إبراهيم) أي إلى من كان كالذي حاج فكانه قال هل رأيت كالذي حاج أي خاصم وجادل إبراهيم وهو نمرود بن كنعان وهو أول من

(١) انتحل فلان شعر غيره إذا ادعاه لنفسه. (٢) تَذَرَيْتُ السَّنَامَا . علوت الدرود أي اعلاه

جبر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وإنما اطلق لفظ المعاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم تكن له فيه حجة لأن في زعمه ان له فيه حجة واختلف في وقت هذه المعاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القائه في النار وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق (ع) (في ربه) اي في ربه الذي يدعو الى توحيده وعبادته (أن آتاه الله الملك) اي لأن آتاه الله الملك المأمن من آتاه تعود الى المعاج لإبراهيم اي اعطاء الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطر الملك حمله على معاجة إبراهيم عن الحسن والجبائي والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل احد فاما الملك بتسليك الأمر والنهي وتبديل أمور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يوتي الله إلا من يعلم انه يدعو الى الصلاح والهدى والرشاد دون من يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه لطمه بالقبوب والسرائر تفويض الولاية الى من هذا سبيله لما في ذلك من الاستعداد وقيل ان الها تعود الى إبراهيم عن ابي القاسم البلخي ويسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لإبراهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والأمر والنهي كان من جهة الله لإبراهيم وإنما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر والقبلة لا من جهة ولاية شرعية (إذ قال إبراهيم ربي الذي يحبني ويميت) في الكلام حذف وهو إذ قال له نمرود من ربك فقال ربي الذي يحبني ويميت بدأ بذكر الحياة لأنها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لأن الإماتة هي أن يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقص بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر (قال انا احبي وأميت) اي فقال نمرود انا احبي بالتحلية من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حي وهذا جهل من الكافر لأنه اعتمد في المعارضة على العبرة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للبيت او الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه (قال إبراهيم فإن آتاني بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) قيل في انتقاله من حجة الى اخرى وجهان ﴿احدهما﴾ ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا عن إبراهيم فإنه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجج وعلامة تمام ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المتعمد عليها ﴿والثاني﴾ ان إبراهيم انما قال ذلك ليعين ان من شأن من يقدر على احياء الأموات واماتة الأحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بأني اردت اختراع الموت والحياة من غير سبب ولا علاج لاشبه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء انما بشرنا لليان والايضاح وليست أمورهم مبنية على تحاج الحصين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روي عن الصادق (ع) ان إبراهيم (ع) قال له احبي من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه ما قاله ثانيا (فبهت) الذي كفر اي تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فإن قيل فهلا قال له نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان ﴿احدهما﴾ انه لما علم بما رأى من الآيات انه لو اقترح ذلك لآتى به الله تصديقا لإبراهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك ﴿والثاني﴾ ان الله خذله ولفظ لإبراهيم حتى انه لم يأت بشبهة ولم يلبس (والله لا يهدي القوم الظالمين) بالمعونة على بلوغ البنية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المعاجة كما يهدي انبياءه ولولياؤه وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتأييده اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا يعارض قوله فاما نمرود فهديناهم لانا قد بينا معاني الهداية ووجهها قبل عند قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمؤمنين وفي هذه الآية دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كانت كذلك لما صحت المعاجة في اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجج وانه تعالى انما يعلم بأعماله التي لا يقدر عليها غيره وفي تفسير ابن عباس ان الله سبحانه سلب على نمرود بعوضة فعضت

شقيقه فاهرى اليها بيده ليأخذها فطارت في منخره فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه فمذبه الله بها اربعين ليلة ثم اهلكه

قوله تعالى (٢٥٩) **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُجِيبِي هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَعَلَّكَ تَبِينَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي ببت بالادغام والباقون بالاظهار وقرأ أهل العراق غير ابى عمرو وعاصم لم يتسن واقتدوا بحذف الهاء وصلا والباقون باثبات الهاء في الرصل ولم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرأ أهل الحجاز والبصرة ننشزها بضم النون الاولى وبالراء وقرأ أهل الكوفة والشام ننشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم ننشزها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرأ حزمة والكسائي قال أعلم موصولة الألف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الألف مرفوعة الميم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من ادغم لبث اجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا في همس ومن بين ولم يدغم فلتباين المخرجين لأن انطا. والداد. والثاء. من حيوات الظاء والذال والثاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالهاء في الرصل فيحتمل أمرين ﴿ احدها ﴾ ان يكون الهاء لاما من السنة فيمن قال شجرة سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون من السنة ايضا فيمن قال استنوا وسنوات او يكون من المسنون الذي يراد به المتغير كأنه لم يتسن ثم قلب على حد القلب في لم يتظن وحكي ان ابا عمرو الشيباني الى هذا كان يذهب في هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف ويسقط في الدرج واما قوله اقتده فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف ولكن لا ذكر الفعل دل على مصدره فاضمه كما اضمر في قوله ولا تحببن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر

غداً (٢) سراقاً للقرآن يدرسه والمرء عند الرشى ان يلقها ذئب

فالهاء في يدرسه للمصدر لا يجوز ان يكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى الى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية وكذلك قوله فبهديهم اقتده يكون اقتد الاقتداء فيضم لدلالة الفعل عليه ومن قرأ كيف ننشزها فعناه كيف نحيا يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصفت العظام بالاحياء قال تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك في قوله ننشزها ومن قرأ ننشزها بالراء فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن نشزوا نشزته فتقدير ننشزها زرع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المرأة وهو ان تنبو عن الزوج في العشرة فلا تلافه ومن قرأ قال اعلم على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من احياء الله وبشه اياه بعد وفاته ما شاهد اخبر عما يتبينه وتيقنه اي اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن علمته قيل ومن قال اعلم على لفظ الأمر فالمنى يؤول الى الخبر وذلك انه لما تبين له ما تبين من الأمر الذي لا مجال للشبهة عليه نزل نفسه منزلة

(١) اي في سورة الانعام . (٢) وفي بعض النسخ «هنا» بدل «غدا» ولعله اظهر

غيره فخطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى

أرمني بها البيدا إذا هجرت
وأنت بين القرو والماصير (١)

فقال أنت وهو يريد نفسه ومثله قوله

ودع هزيمة إن الركب مر محمل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فخطب نفسه كما يخاطب غيره قال أبو الحسن وهو أجود في المعنى

اللغة

اصل الحواء الحلاء. قال الراجز «يبدو خواء الأرض من خوائه» والحواء الفرجة بين الشينين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوي خوائفها خاوية إذا باد أهلها لخلوها منهم والحوى الجوع حوى يخوي حوى لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما. على عروشها أي سنى ابنتها قال أبو عبيدة هي الحيام وهي بيوت الأعراب وقال غيره خاوية على عروشها أي بقيت حيطانها لا سقف عليها وكل بناء عرش وعريش مكة ابنتها وعرش يعرش عرشاً إذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الحشب تحت الكرم ليمتد عليه يقال عرشته وعرشته واصل القرية الجمع من قرية الماء وسميت قرية لأجتماع الناس فيها الإقامة بها واني مجيبي من ابن مجيبي أو كيف مجيبي والعام الحول وجسمه الأعوام وهو حول يأتي بعد شتوة وصيفة لأن فيه سبعاً طويلاً وربما يمكن من التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفاً. خيار مال الرجل لأنه يجري في أخذه شيئاً يعد شيئاً كالسابع في الماء الجاري واعتام الموت النفوس أو لا فاولا كذلك واصل الباب السبح واللبث المكث يقال لبث فهو لابت وتلبث وتلبث إذا تمكث والحمار يقال للوحشى والاهلي واصله من الحمرة لأن الحمرة أغلب عليه وحمارة القيط شدة حره وحمير فو القرس حمراً إذا انتق وموت احمر شديد مشبه بحمرة النار والاسود والاحمر العرب والعجم لأن السواد أغلب على لون العرب كما أن الحمرة أغلب على لون العجم ومنه قول الأشعث ليلي غلبت عليك هذه العمراء. يعني العجم والتشرخلاف الطي والنشر إذاعة الحديث وحث العود بالمنشار والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل في الغيثة والنشرة الرقية والنشر بالزاي المرتفع من الأرض

الإعراب

أو حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الأول وتقديره أوأيت كالذي حاج إبراهيم فإيه أو كالذي مر على قرية وموضع الكاف نصب بتر ومعناه التعجب لأن كل ما خرج من بابيه لعظمه عن حد نظائره فهو بما يتعجب منه تقول ما أجعله أي قد خرج بجهله عن حد نظائره وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لندلت على مثل الأول منه في التعجب لما بينا أن ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لأنها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثلته شيء والاول اوجه لأنه لا يحكم بالزيادة الا لضرورة وقوله اني استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره أقادر ان يحيي ويجوز ان يكون مصدراً ليحيي وتقديره أي نوع يحيي أي أحياء يحيي وهذا اولى لأنه يكون سؤالا عن كيفية الأحياء لانكاراً لأصل الأحياء وموضع كم نصب بلبثت كأنه قال أياها سنة لبثت أم أقل أم أكثر وقوله ولنحطك دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال ولنحطك آية للناس فلنا ذلك لأن الواو لو اسقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل نصب على الحال من نشرو ونشرو ونشرو وذو الحال الضمير المستكن فيه

(١) هجر النهار: اشتد حره. والقرو: أسفل النخلة ينقر فيعمل فيه النبيذ. والماصير: الذي يبصر العنب. (٢) أي فيه.

منهم حدثني أبي عن جدي انه دفن التوراة في كرم فإن أرتسوني في كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فانخرجها فادسوا ذلك بما املى فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه إلا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله (قال) اي قال المار على القرية (أعلم) اي آتقن ومن قرأ أظلم فمضاه على ما تقدم ذكره من انه يخاطب نفسه وقيل انه امر من الله تعالى له (ان الله على كل شيء قدير) اي لم اقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه إنما قال ذلك لأنه ازداد بما شاهد وعين يقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضرورة ومعانية

قوله تعالى (٢٦٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قُلْ بَلَىٰ وَلَكِن لَّيَطْمِئِنُّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا أَيُّهَا السَّمَاءُ ادْعِيهِنَّ أَنْ ارْتَبِينَ لِيَعْلَمَنَّ أَنَّهُنَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ثُمَّ اجْعَلْ رِجْلَهُنَّ لِيَجْزِيَ الْكَلْبَ الْيَهُودِيَّ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحمة وخلف ورويس عن يعقوب فصهرن بكسر الصاد والباقون فصهرن بضم الصاد وروي في الشواذ عن ابن عباس فصهرن بكسر الصاد وتشديد الراء. وفتحها وعن عكرمة فصهرن بفتح الصاد وكسر الراء. وتشديدها وقرأ عاصم في رواية ابي بكر جزأ مثقلا مهوزا حيث وقع وقرأ ابو جعفر جزأ مشددا والباقون بالهمز والتخفيف

﴿ الحجة ﴾

يقال صرته اصوبه اي املته ومنه قول الشاعر ﴿ بصور عنوقها احوى زنيم ﴾ اي يميل عنوق هذه النعم تيس احوى وصرته اصوره قطمته قال ابو عبيدة فصهرن من الصور وقال هو القطع وقال ابو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير ايضا قال الشاعر

وَفَرَعٌ يَصِيرُ الْجَيْدَ وَحَفٌّ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْلِ قِنْوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ (٢٧)

ومعنى هذا يميل الجيد من كثرتة فقد ثبت ان الميل والقطع يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصهرن اليك بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله اضرب بهماك البحر فانطلق اي فاضرب فانطلق ومن قدر فصهرن على معنى فقطعهن لم يصح الى اضمار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه وقوله اليك ان جعلت صهرن بمعنى فقطعهن كان اليك متعلقا بخذاي خذالك اربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل وان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بخذوان وان يكون متعلقا بصهرن وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا بقوله فصهرن لأنه اقرب اليه ومن قرأ فصهرن بكسر الصاد وتشديد الراء فانه يكون من صرته يصره اي قطعته والمتدي من هذا الباب قليل وقد روي عن عكرمة ايضا فصهرن بضم الصاد فيكون من صرته يصره وهذا على القياس ومن قرأ فصهرن فهو فيلهن من صرى يصري تصرية اذا جس وقطع قال رَبِّ غَلَامٍ قَدْ صَرَّيْتُ فِي فِرْقَتِهِ مَاءَ الشَّبَابِ عُنْفُوَانَ شَرَّتِهِ (٢٨)

اي جسه وقلعه ومنه الشاة المصرة اي المحبوسة اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة من قرأ جزأ بالثقل فقد ذكرنا عند قوله تعالى قالوا اتخذنا هزا ومن قرأ جزأ بالتشديد فأصله جزأ ثم خفف هزته ثم إنك اذا وقفت كان لك السكون وان شئت الاشام فتقول الجزو وان شئت التشديد (فتقول) الجزو ثم انه وصل على وقفه فقال جزأ كما قال الشاعر:

بِإِزِلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْهَلٍ كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلِ (٢٩)

(١) التيس : الذك من المعز تيس احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة . (٢) فرع وحف : شعر كثير حسن . اللية صفة العنق . الكروم الدوالح : المثقلات (٣) الفقرة : الخرزة من خزرات الظهر . شرة الشباب : نشاطه (٤) بزل البعير : انشق نابه . ناقة وجناء او عيها : شدة اه . الكلكل : الكلب .

فاجرى الروصل مجرى الوقف

اللمحة

اطمأن يطمئن^١ توطأ والمطمئن من الأرض ما انخفض وتطامن واطمأن إليه إذا وثق به لسكون نفسه إليه وتوطي حاله بالأمانة عنده واصل البلب التروطة والطيء معروف وطاريطير طيرانا وطيرورة والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستمر ذلك في غيره وفي كل سرعة وتطير من الطيرة وهو زجر الطير بما يكره وطارير الانسان عمله الذي تقلده من خير او شر لأنه ببذلة طائر الزجر في البركة والتشوم وفجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفواد لانه طيار في جريه والجبل وتدمن او تاد الأرض وجبل فلان على كذا اي طبع ورجل ذو جبلة إذا كان غليظ الجسم والجبلة الأمة من الناس واجبل الخافر إذا بلغ الى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر إذا صب عليه القول والجزء بعض الشيء وجزأته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الأثنين من العشرة وقد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة ولا تنقسم العشرة عليها وان كانت الثلاثة جزءا من العشرة

الإعراب

العامل في إذ في المعنى اذكر اي و اذكر هذه القصة من الزجاج ويجوز ان يكون عطفا على قوله ألم ترى الذي حاج إبراهيم أي والم ترى إذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي الموتى والمعنى بأي حال تحيي الموتى وقوله ليطمنن قلبي اللام يتعلق بمعنى ارني تقديره أرني ليطمنن قلبي من الطير صفة لأربعة فاعلى هذا يكون من للتبويض والتبيين ويجوز أن يتعلق بفخذ فعل هذا لا يكون إلا للتبيين منهن اي جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء وقوله سعيما مصدر وقع موقع الحال وكأنه قال يسعين سعيما او ساعيات سعيما

المعنى

ثم ذكر تعالى ما اريه ابراهيم عيانا من احياء الموتى فقال (واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى) اختلف في سبب سؤال ابراهيم هذا على وجه **ا** احدها **١** ما قاله الحسن والضحاك وقناة وهو المروي عن أبي عبد الله انه رأى جيفة تقترقها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله ابراهيم فقال يارب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطيور ودواب البحر فأرنى كيف تحييها لأعين ذلك **٢** وثالثها **٢** ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة السني ان الملك بشر ابراهيم (ع) بأن الله قد اتخذ خليلا وأنه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى ان يفعل ذلك ليطمنن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذ خليلا **٣** ورابعها **٣** ان سبب السؤال منازعة غرود اياه في الاحياء إذ قال انا احيي وأميت واطلق محبوسا وقتل انسانا فقال ابراهيم ليس هذا يا احياء وقال يارب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم غرود ذلك وروي ان غرود توعد بالقتل ان لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمنن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحاق بن يسار **٤** ورابعها **٤** أنه احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الحواطر ووساوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه (قاله) أو لم تؤمن هذه الألف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ (٢)

أي قد آمنت لامعالة فلم تسأل ذا وهذه الألف إذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله أنت قلت للناس أي لم تقل (قال بلى ولكن ليطمنن قلبي) أي بلى أنا مؤمن ولكن سألت ذاك لازداد يقينا الى يقيني عن

(١) [اطمئنا اذا] (٢) المطايا كسجايا جمع مطية : الدابة السرية . اندى افضل تفضيل من الندى : المطرو والمراد السخاء . والراح جمع الراحة : الكف

الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لأعين ذلك ويسكن قلبي الى علم الصيان بعد علم الاستدلال وقيل
ليطمئن قلبي بأنك قد اجبت مسئلتني واتخذتني خيلا كما وعدتني (قال فخذ أربعة من الطير) مختلفة الاجناس
وإنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل انها الطاووس والديك والحمام والغراب أمر أن
يقطعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع)
(فصرهن اليك) اي قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه اضمهن اليك عن عطاء وابن زيد
وقد تقدم بيانه في وجه القراءة (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سمياً) وروي عن ابي عبد
الله (ع) ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الاكبر وحلقهن بالجبروت
والعظمة يأتينك سمياً ففعل ابراهيم ذلك وفرقهن على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبن يا ذن الله فكانت تجتمع
ويأتلف لحم كل واحد وعظمه الى رأسه وطارت الى ابراهيم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي
وقيل كانت اربعة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال
فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك ويسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعا الجراد
قبيح وجوابه أنه اراد بذلك الإشارة اليها والاياء لتقبل عليه إذا احيها الله وقيل معنى الدعاء هاهنا الاخبار
عن تكوينها احياء كقوله سبحانه كونوا قروداً خاسئين وقوله إيتيا طوعاً او كرها عن الطبري وقول من قال أنه
جعل على كل جبل طيراً ثم دعاه بعيد من الصواب والفائدة لأنه إنما طلب بالعلم به كونه قادراً على احياء
الموتى عياناً وليس في إتيان طائر حي اليه بالاياء ما يدل على ذلك وفي الكلام حذف فكانه قال فقطعن ثم
اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً فإن الله يميهن فإذا أحيهن فادعهن فيكون الاياء اليها بعد أن
صارت احياء فصل ابراهيم ذلك فنظر الى الريش يسمى بعضها الى بعض وكذلك العظام واللحم ثم اتينه مشياً
على ارجلهن فلتقى كل طائر رأسه وذلك قوله يأتينك سمياً وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن احمد
عن قوله تعالى يأتينك سمياً هل يقال للطائر إذا طار سمى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك وأنت تسمى
سمياً (واعلم ان الله عزيز) أي قوي لا يعجز عن شيء (حكيم) في افعاله وأقواله وقيل عزيز بذل الأشياء
له ولا يتبع عليه شيء حكيم افعاله كلها حكمة وصواب ومما يسأل في هذه الآية ان يقال كيف اجيب
ابراهيم إلى آيات الاخرة دون موسى في قوله (ارني انظر اليك) وجوابه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ انه
سأل آية لا يصح معها بقا التكليف من وقوع الضرورة التي لا يترضاها الشكوك بوجه وإبراهيم إنما سأل في
في شيء خاص يصح معه التكليف ﴿ والآخر ﴾ ان الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح في بعض الأحوال
الإجابة وفي بعضها المنع فيما تقدم فيه إذن

قوله تعالى (٢٦١) **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَظِيمٌ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

النبت الحشيش وكل ما ينبت من الأرض يقال نبت نباتاً ونباتاً وانبته الله انبأاً والنبوت شجر الحشيش
وانبت الغلام إذا راهق واستبان شعر عاتته والسنبلة على وزن فنتلة كقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار
فيه السنبل والاصل فيه الإسبال وهو ارسال السرو ونحوه فكما يسترسل الستر بالإسبال يسترسل الزرع بالسنبل
ولأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالإسبال والمائة معروفة يقال أمأت الغنم إذا بلغت مائة وأمايتها انا أي
وفيتها مائة والمأى الفساد بين القوم

المعنى

(مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله) قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل جبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع جبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآية عامة في النفقة في جميع ذلك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) واختاره ابو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالاتفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات فانها يجزى بالواحد عشرة امثالها (كمثل جبة انبتت) اي اخرجت (سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة) يعني ان النفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف ومتى قيل هل رأى في سنبله مئة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرئ القيس * ومسونة زرق * كمناب اغوال * وقوله تعالى طلما كأنه رؤوس الشياطين وايضا فقد رأى ذلك في الجاورس ونحوه (والله يضاعف لمن يشاء) أي يزيد على سبعائة لمن يشاء وقيل مضاه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء. وروي عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ص) رب زد امتي فقل قوله من ذالذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال رب زد امتي فقل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله (والله واسع) اي واسع للقدرة لا يضيق عنه ما شاء. من الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعفة (عليم) بما يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الاتفاق

النظم

اتصلت هذه الآية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحسب والمبر عن علي بن عيسى وقيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما أتى رسله من البيئات حث على الجهاد واعلم ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين أن في جهادهم والنفقة فيهم الثواب العظيم عن الزجاج

قوله تعالى (٢٦٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

اللفظة

المن هو ذكر ما ينص المروف كقول القائل احسنت الى فلان وانمشته ونحو ذلك وأصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه قولهم جبل منين اي ضعيف لانه مقطوع وسمي ما يكدر المروف بأنه منة لانه يقطع الحق الذي يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لأنها تجعل عن قطع الحق بها لظلمها والمنة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتجمل وصوله الى المضرور والخوف توقع الضرر وهو يرجع الى الاعتقاد والحزن الغم الذي يلفظ على النفس

المعنى

لما أمر الله تعالى بالاتفاق عقبه ببيان كيفية الاتفاق فقال (الذين ينفقون) أي يخرجون (أموالهم في سبيل الله) وقد تقدم بيانه (ثم لا يتبعون ما أنفقوا) أي نفقاتهم (منّا) أي منة على المطلق (ولا أذى) له والمن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن اليك ألم أغنك ونحوها والاذى أن يقول ألاحني الله منك ومن ابتلائي بك ويحتمل

أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتعبه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه في بعض اشتغاله بسبب اتفاقه عليه فكل هذا من المن والأذى الذي يكدر الصنعة وينقص النعمة ويبطل الأجر والثوبة وقوله (لهم أجرهم عند ربهم) إلى آخره قد مر تفسيره وقيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم وإنما قال عند ربهم لتكون النفس اسكن إليه وأوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص (ولا خوف عليهم) من فوت الأجر وتقصانه يوم القيامة (ولا هم يحزنون) لفوته ونقصانه وفي هذه الآية دلالة على انه يصح الوعد بشرط لأن مفهوم الكلام أن تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما أنفقوا من الأذى فلهم من الأجر كذا والوعد إذا كان مشروطاً فتم لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب وقد روي عن النبي (ص) انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يذكىه وله عذاب أليم

قوله تعالى (٢٦٣) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ

اللغة

الغني الواسع الملك والله غني بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها والغني ضد الحاجة يقال غني غنىً واستغنى وأغناه الله والغناء الكفاية للغني به عن غيره والغنية الاستغناء وقد غني القوم إذا تزلوا في مكان يغنيهم والمكان الذي يتزلون به مغني وقد غني فلان غنا. إذا بالغ في التطريب في الانشاد حتى يستغني. الشعران يزداد في نعمه وقد غنيت المرأة غنياً قال قيس بن الخطيم

أَجْدُ يَعْمرَةَ^(١) غُنْيَانِهَا فَتَهَجَّرُ أُمَّ شَانِنَا شَانِنَا

غنيناها غناؤها والتواني النساء لأنهن غنين بجمالهن وقيل بأزواجهن والحليم مر ذكره

المعنى

(قول معروف) أي كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نعو ان يقول صنع الله بك وأغناك الله عن المسألة وأوسع الله عليك الرزق وأشبه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول في إصلاح ذات البين عن الضحاک (ومغفرة) قيل فيه اقوال **أحدها** ان معناه سلامة من المعصية لأن حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة عن الجبائي **وثانيها** ان معناه ستر على السائل وسوآله **وثالثها** ان معناه عفو المسؤول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل في غير وقته أو يلطف في سوآله أو يسيء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه (خير من صدقة) يتبها أذى وإنما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيراً من الصدقة التي (يتبها أذى) لأن صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روي عن النبي (ص) انه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه يوقارولين أما بذل يسير أو رد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بآنس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما حوّلكم الله تعالى (والله غني) عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها ولا بشيء منها حاجة منه إليها وإنما أمركم بها ودعاكم إليها لحاجتكم إلى ثوابها (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته ولو وقع هاهنا موقع حليم حميد أو عليم لم يعصن

قوله تعالى (٢٦٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِكَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَاللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ فَتُلْهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ رُؤْبُهُ

فَأَصَابَهُ وَايْلٌ قَتَرَ كَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

اللغة

الرتاء والمرءة أصله من الروية كأنه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع في رثاء الناس بين هزتين ولا يجمع في ذوائب وإن حال بينهما الألف في كلا الموضعين لحنه الواحد ولأنهما مقتوصتان في الواحد فهو أخف لها والصفوان واحده صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهي الحجر الأملس والصفاء بمعنى الصفوان وذكر الكيمائي في جمع صفوان صفي وأنكر ذلك المبرد وقال إنما هو جمع صفا مثل عصي وعصا وقفي وقفا والتراب والتُّرْبُ واحد وترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله مكينا ذا متربة لأنه قعد على التراب للفقر وارتب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب والتُّرْبُ اللِّسَّةُ وقيل فيه اقوال منها ان الاتراب خرجوا إلى التراب في وقت من الزمان ومنها انهم صيان يلعبون في التراب ومنها انهم في الاشتباه كالتراب. والترائب عظام الصدر لأنها متشابهة والوايل المطر الشديد الوقع وبَلَّتِ السَّمَاءُ تَبَلًا وَبَلًا والوييل الشديد والوبال سوء العاقبة وأصل الباب الشدة والصلد الحجر الأملس قال الشاعر

وَلَسْتُ بِجُلْبٍ جُلِبَ رِيحٌ وَقِرَّةٌ^(١) وَلَا بِصَفَا صَلْدٍ عَنِ الْخَيْرِ مَعَزَلٍ

والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئا لصلابته والصلد البخيل وصد الزند صلودا إذا لم يور ناراً وفرس صلود إذا ابطأ عرقه وقَدَّ صلود إذا ابطأ عليها وأصل الباب ملامسة في صلابة

الإعراب

الكاف في قوله كالذي ينفق ماله في موضع نصب على الحال من الواو في تبطلوا. رثاء الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرثيا ويمجوز أن يكون مفعولا له. عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة صفوان وصلدا حال من تركه وذو الحال الماء. ولا يقدرُونَ جملة فعلية في موضع الحال والواو عائد إلى معنى الذي لأنه جنس لا إلى لفظه

المعنى

ثم أكد تعالى ما قدّمه بما ضرب من الأمثال فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن) أي بالمنة على السائل وقيل بالمنة على الله (والأذى) بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعمل المنان وعمل المنافق جسيما فإنها إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به فإنها لا يستحقان عليه ثوابا وهذا هو معنى الابطال وهو إيقاع العمل على غير الوجه الذي يستحق عليه الثواب فقال (كالذي ينفق ماله رثاء الناس) هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا أخرجوا المال للرثاء. (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا للكافر خاصة أي لا يصدق بوحدة الله ولا بالبعث والجزاء. وقيل انه صفة للمنافق لأن الكافر مطن غير مرأ. وكل مرأ. كافر او منافق (فشله كمثل صفوان) أي حجر أملس (عليه تراب فأصابه وابل) أي مطر عظيم القطر شديد الوقع (فتركه صلدا) حجرا صلبا أملس شبه سبطانه فعل المنافق والمنان بالصفاء الذي أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنان صدقة وقرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب فإن وجوه الأفعال تابعة لحدوث الأفعال فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها وليس في الآية ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر يبطل

(١) [الصلب]. (٢) الجلب: السحاب لا ماء فيه. القرية: البرد. قوله جلب ريح وقرة: عطف بيان

وزول بالمن فيما بعد ولا بالريا. الذي يحصل فيما يستقبل من الأوقات على ما قاله اهل الوعيد (لا يقدر على شي مما كسبوا) اي لا يقدر هو لا. على نفقتهم ولا على ثوابها ولا يطمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شي كما لا يحصل احد على التراب اذبه المطر عن الحجر فقد تضمنت الآية والآي التي قبلها الحث على الصدقة وإنفاق المال في سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضاة الله والنهي عن المن والأذى والريا والسعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها وبما جاء في معناه من الحديث مارواه ابن عباس عن النبي (ص) قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإني لأقبل عملا خالطه شي من الدنيا واهلها وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام او من عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا فقال كالذي ينفق ماله رثاء الناس إلى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله (ع) ما من شي أحب إلي من رجل سلف متي إليه يد أتبعته أختها وأحسن ربها له لأنني رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الاوائل (والله لا يهدي القوم الكافرين) اي لا يثيب الكافرين على اعمالهم إذ كان الكفر محبطا لها ومانعا من استحقاق الثواب عليها وإنما يثيب المؤمنين الذين يوقعون اعمالهم على الوجوه التي يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدي المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطي المؤمنين من زيادة اللطاف والتوفيق

قوله تعالى (٢٦٥) وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِبُّوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَمْثِينَ فَإِن لَمْ يُمْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (آية)

القراءة

قرأ عاصم وابن عامر برؤية بفتح الراء والباقون بضمها وروي في الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وأكلمها بالتخفيف والباقون بالثقل

اللغة

الربوة والربوة والربوة بالحركات الثلاث في الراء. والربوة الربية قال ابو الحسن والذي تختاره روية بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربا في الجمع والأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى توتني أكلمها كل حين اي ما يؤكل منها قال الاعشى:

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنَ السَّاءِ دَابِ أَهْلِ الْقِيَابِ وَالْآكَالِ

فالآكال جمع اكل مثل عنق واعناق والأكل الفعل والأكلة الطعمة والأكلة الواحدة قال الشاعر

مَا أَكَلْتُ إِذْ نَلْتَهَا بِغَنِيمَةٍ وَلَا جَوْعَةً إِذْ جَعْتَهَا بِغَرَامِ

ففتح الألف من الفعل بدلالة قوله ولا جوعة وإن شئت ضمنت وعنت الطعام وقال ابو زيد انه لذ وأكل اي له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشي مثله زائدا عليه وضعفه مثله زائدين عليه وقال قوم ضعف الشي مثله والطل المطر الصغار يقال أطلت السماء. فهي مطلة وروضة طلة ندية والطل ابطال الدم بأن لا يثار بصاحبه حل دمه فهو مطلول لأنه بمنزلة ما جاء عليه الطل فأذبه فكانه قيل غسله والطل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعبارة الناس له خلاف المستوى القفر لأن الخصب حيث تكون الأبنية وصار الطلل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على الشي وما بالناقة طل اي بها طرقت وهو الشحم وطل الرجل امرأته واصل الباب الطل المطر

﴿ الإعراب ﴾

ابتناء مرضاة الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار والمجرور في موضع الصفة لجنة واصابها وابل في موضع جر لأنها صفة بعد صفة وضمين حال من أكل قال الزجاج ارتفع طل على معنى فإن لم يصبا وابل فالذي يصبا طل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أي فيصيبها طل

﴿ المعنى ﴾

(ومثل الذين ينفقون) أي يخرجون (أموالهم) في أعمال البر (ابتناء مرضات الله) أي طلبا لرضاء الله (وتثبيتا من أنفسهم) بقوة اليقين والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وقيل معناه انهم يثبتون أي يضعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن أبي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بأنه لم يقل وتثبيتا وليس هذا بشي لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا وقوله (كمثل جنة برية) معناه كمثل بستان مرتفع من الارض وإنما خص البرية لأن نبتها يكون احسن وربها اكثر من المستغل الذي يسيل الماء اليه ويجمع فيه فلا يطيب ربه ألم ترى قول الأعشى (١)

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مَعْشَبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِيلٌ

فخص بها الحزن للمعنى الذي ذكرناه (أصابها وابل) أي أصاب هتمة الجنة مطر شديد (فأتت أكلها ضمين) أي فأعطت غلتها ضمفي ما تعطي إذا كانت بأرض مستغلة ويحتمل أن يكون معناه مرتين في كل سنة واحدة كما قال سبحانه توتى أكلها كل حين بإذن ربها ومعناه كل ستة أشهر فيما روي قال أبو عبد الله (ع) معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتناء مرضاة الله (فإن لم يصبا وابل) أي مطر شديد (فطل) أي أصابها مطر لين أراد به أن خيرها لا يخلف على كل حال ولا يرى الفبار عليها على كل حال وإنما ارتفع فطل على تقديره فالذي يصيبها طل (والله بما تعملون بصير) معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمرائي والمخلص^(٢) وفيه ترغيب وترهيب

قوله تعالى (٢٦٦) أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَكَهْ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (آية)

﴿ اللفظة ﴾

الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجتمه بكثرة فيه والنخيل معروف وقيل انه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهي شجرة التمر ويذكر ويونث قال الله سبحانه كأنهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر والانتغال الاختيار والتنخل التخيير واصل اللباب النخل للدقيق والضب ثمر الكرم ورجل غائب وعب ورجل غائب عتاب عظيم الأنف وتحت نقيض فوق وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت أي الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يشعر بهم ذلا والأنهار جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والاصابة الوقوع على المقصد والكبر حال زائدة على مقدار آخر والفرق بين الكبير والكثير ان الكثير مضمّن بمدد وليس كذلك الكبير تقول دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والضيف يجمع على ضفء وضفء والإعصار غبار يلف بين السماء والارض كالتغاف الثوب في العصر قال الشاعر

(١) أي في معلقته . وخبر ما في شعره من بعده وهو «يوماً باطيب منها نشر راحة» ولا باحسن منها اذ لنا الاصل «(٢) لغير

كما يتضاعف» [٣] [عن أبي مسلم]

﴿ ان كنت قد يحاقد لا تيت اعصارا ﴾ والمصبرات السحب والفكر جولان القلب بالحواطير يقال افكرو وفكرو وتفكرو بمعنى

﴿ الإعراب ﴾

قوله أيود أحدكم أن تكون عطف عليه باض فقال وأصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تتلقى مرة بلو ومرة بان فجاز ان تقدر احداهما مكان الأخرى لاتفاق المعنى فكانه قال أيود أحدكم لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي انه قد دلّ بأن على الاستقبال ويتضمن الكلام معنى لو على التمني كأنه قال قيل أوجب أحدكم متمنيا له والتمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنه يصح أن يتمني أن كان له ولد ويصح أن يتمني أن يكون له ولد والمجبة لا تقع إلا على المستقبل والفرق بين المودة والمجبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك أودّ لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم ولا يجوز أحب لو قدم ومن في قوله من نخيل للتبيين وهو في موضع رفع صفة لجنة تجري من تحتها الأنهار جملة في موضع رفع بكونها صفة لجنة إذا عادت الماء إلى الجنة أو في محل جر لكونها صفة لنخيل إذا عادت الماء إلى نخيل

﴿ المعنى ﴾

(أيود أحدكم أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل واعناب تجري من تحتها الأنهار) أي يشتمل على النخيل والاعناب والأنهار الجارية (له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر) أي ولحقه الشيخوخة وطمع في السن (وله ذرية ضعاء) أي اولاد صغار ناقصو القوة (فأصابها) أي أصاب تلك اللجنة (اعصار) أي ربيع شديدة تهب من الأرض نحو السام. مثل العمود وتسميها الناس الزوينة (فيه نار) أي في ذلك الاعصار نار (فاحترقت) تلك اللجنة وهذا مثل ضربه الله في الحسرة بسلب النعمة واختلاف فيه على وجه ﴿ احدها ﴾ انه مثل المرائي في النفقة لانه يتنفع بها عاجلا وينقطع عنه آجلا اخرج ما يكون اليه عن السدي ﴿ وثانيها ﴾ انه مثل المفرط في طاعة الله تعالى بما لا الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعاء الى ثمار اللجنة وقد احترقت فيكون اعظم حسرة لأن الكبير الذي قد ينس من سعي الشباب في كسبه فكان اضعف املا واشد حسرة كذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يوصله الى الجنة فحسرتة مثل ذلك ﴿ وثالثها ﴾ انه مثل الذي يختم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه تحتلها الآية (كذلك) أي كهذا البيان الذي بين لكم في امر الصدقة وقصة ابراهيم والذي مرّ على قرية وجييع ماسلف (بين الله لكم الآيات) أي الدلالات التي تحتاجون اليها في امور دينكم (لعلكم تتفكرون) أي تنظرون وتفهمون

قوله تعالى (٢٦٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ غَنِيمٌ (آيَةٌ)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير غير القواس ولا تيسموا بتشديد التاء فيها وفي اخواتها وهي احد وثلاثون موضعا من القرآن والباقرن تيسموا بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

كلاهما بمعنى واحد كأن ابن كثير ردّ الحرف الساقط في القراءة الاخرى وادغم لانه كان في الاصل تا. ان

تاء المخاطب وتاء الفعل فحذفت تاء الخطاب في القراءة العامة لتلا يتكرر حرفان مثلان وتحذف الكلمة

﴿ اللغة ﴾

التييم التعمد قال خفاف (فعمداً على عيني تيمت مالكا) وقال الأعشى

تِيَمَّتْ قَيْسًا وَكَمْ دَوَّهَ مِنْ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمِهِ ذِي شَرَنِ (١)

يقال امت الشيء خيفة ويَمَّتْ وَاَمَّتْ وَيَمَّتْه وتيمته بمعنى اي قصده ومنه الإمام لأنه المقصود التعمد والإمام ايضاً خيط البناء لأنه يمدد ويعتمد بالبناء عليه واليم لجة البحر لانه يعتمد به البعيد من الارض واليام الحمام لانها تعتمد الى او كارها بحسن هدايتها والخبيث الردي من كل شيء وخبت الفضة والحديد ما نفاه الكبير لأنه ينفي الردي واصله الرداءة والاعراض في البيع الحط من الثمن لميب فيه وذلك لاختفاء بعض الثمن بالحط له والعروض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للمين اطباق الجن والتمض النوم والغمض المطمن من الارض واصل الباب الخفاء والاعراض غمض البصر واطباق جن على جن قال روبة

أَرَقَّ عَيْنِي عَنِ الْأِعْمَاضِ بَرَقَ سَرِي فِي عَارِضِ نَهَاضٍ (٢)
ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع

﴿ الاعراب ﴾

قال الفراء الاصل في ان تعضوا ان مكسورة الهزة لأن الكلام في معنى الجزاء وهو ان اغضتم بعض الاعراض اخذتموه ومثل إلا ان يخافا الا ان يقيا حدود الله وانكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التي بمعنى المصدر نحو أن تأتيني خير لك والمعنى ولستم بأخذه الا لاعراضكم فيه

﴿ النزول ﴾

روي عن ابي عبد الله (ع) انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشيش فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي (ع) والبراء بن عازب والحسن وقتادة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب أن ينوي بالصدقة التقرب وأن يحفظها بما يبطلها من المن والاذى بين تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعاً فقال (يا ايها الذين آمنوا) خاطب المؤمنين (أنفقوا) اي تصدقوا (من طيات ما كسبتم) اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله (ص) فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبرر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال (ع) تسعة اعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السبايا وروت عائشة عنه أنه قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال سعيد بن عبيد بن عبيد بن رفاعة قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي (ع) من تجر بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا أمر بالشفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لأن المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان ديناً عليه الى ان يؤديه بتمامه وان كان مال المزكى كله ردياً فجاز له ان يعطي منه عن الجبائي وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرائض والنوافل والمراد به الانفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على أن ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه من الحلال غير المكتسب وإلا كان

(١) التيممة: المغاظة البعيدة. وذو شرن اي ذو خشونة. (٢) ارتقه بتشديد الراء: أسهره. عارض نهاض اي سحاب مرتفع في الجو (٣) العشف: اردء التمر. (٤) ونسى المخطوطتين «فق» بدل «علم».

ذلك لأنه يكون اشق عليه (وما اخرجنا لكم من الأرض) أي وأنفقوا واخرجوا من الثلات والشار ما يجب فيه الزكاة (ولا تيسوا الحيث منه تنفقون) أي لا تقصدوا الردي من المال أو ما كسبتموه أو اخرج الله لكم من الأرض فتفقون منه وقيل المراد بالحيث ههنا الحرام ويقوى القول الأول قوله (ولستم بأخذيه إلا ان تمضوا فيه) لأن الإغماض لا يكون إلا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ ان معناه لاتصدقوا بما لا تأخذونه من غرماثكم إلا بالمسامحة والمساهلة فالإغماض هاهنا المساهلة عن البراءة بن عازب ﴿ والآخر ﴾ أن معناه بما لا تأخذونه إلا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتاده ومثله قول الزجاج ولستم بأخذيه إلا في وكس فكيف تعطونه في الصدقة (واعلموا ان الله غني) عن صدقاتكم (حميد) أي مستحق للحمد على نعمه وقيل مستعد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم أي مستدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحمادي انه مع غناه عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حلیم كما ان حلياً بالآية المتقدمة اليق من حميد لأنه سبحانه لما أمر بالانفاق من طيات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه يحمده فاعله اذا فعله على ما امره به ومعناه انه يجازيه عليه

قوله تعالى (٢٦٨) الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة فيه يقال افقره الله افقاراً وافقر افتقاراً لان الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد والفقار عظام منتظمة في النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة والافتقار اعادة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لأنها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير ووعده بالخير وعدا وعدة وموعدة وموعدا وموعودا وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعد في الشر خاصة والوعيد يصلح بالتقييد للخير والشر معا غير أنه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا أبهم التقييد كما يقال وعدته باشيء لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاحش البخيل قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد (١)

قال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وانما سمي البخيل فاحشاً لانه مسي برده الاضياف والسؤال قال كعب اخي يا اخي لا فاحش عند بيتي ولا برم عند اللقاء هبوب (٢)

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال (الشيطان يعدكم الفقر) بالنفقة في وجوه البر والانفاق الجيد من المال وقيل بتأدية الزكاة عليكم في اموالكم (ويأمركم بالفحشاء) أي بالمعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردي وسماه فحشاً لأن فيه معصية الله تعالى فإن الغني اذا ترك الانفاق على وجه ذوي الحاجات من اقاربه وجيرانه أدى ذلك إلى التقاطع (والله يعدكم مغفرة منه) أي يعدكم بالانفاق من خيار المال ان يسر عليكم ويصفح عن عقوبتكم (وفضلاً) أي ويعدكم ان يخلف عليكم خيراً من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء . وروي عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك لمة وروي مثله عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال فلما الشيطان وعده بالفقر وامره بالفحشاء ولة الملك امره بالانفاق ونهيه عن المعصية (والله واسع) ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة بمعنى ان عطيته لا تضره ولا تنقص خزائنه (عليم) بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها

(١) يعتام أي يختار . و العقيلة من كل شيء . اكرمه . (٢) قيل ان اخي الاول مبنه و فاحش خبره و النداء جملة معترضة وحكى عن الاصمعيات « اخي ما اخي » وهو الظاهر . البرم : البخيل اللثيم . الهبوب : الذي يخافه الناس .

قوله تعالى (٢٦٩) **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آيَة)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب من يوت بكسر التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

من كسر التاء فإنه اراد من يوتيه الله الحكمة ففاعل يوت الضير المستكن فيه العائد الى الله كما هو في قوله يوت الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يوته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الها. العائد الى من الذي هو للجزء. وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضير العائد الى الموصول في نحو قوله أهدا الذي بعث الله رسولا والاولى أن يكون من على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزء. وأقول وبالله التوفيق يجوز ان يكون من للجزء. ههنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا أولا ليوتي ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير:

رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِيبُ
رَيْتَهُ وَمَنْ تَحْطِي يَعْمرَ فِيهِمْ

ومن قرأ ومن يوت بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضير المستكن العائد الى من ويوت مجزوم

بسن والجزء فقد أوتي خيرا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف تعالى نفسه فقال (يوتي الحكمة) اي يوتي الله الحكمة (من يشاء) وذكر في معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو الاصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطاء. وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقهاء عن ابي عبد الله (ع) وروي ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعة وتجل فائدته وهذا جامع للأقوال وقيل هو ما آتاه الله انبياءه واممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يوتيه من يشاء عن ابي علي الجبائي وانما قيل للعلم حكمة لأنه يستنع به عن التبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن التبيح ويروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا الا قَتَقَهُوا وَتَلَمَّوا فَلَا تَمُوتُوا جَهَالًا (ومن يوت الحكمة) أي ومن يوت ما ذكرناه (فقد أوتي) اي اعطي (خيرا كثيرا) وما يذكر إلا أولوا الأبواب) اي وما يتعظ بآيات الله الا ذوو العقول فإن قيل لم عقد بأولي الأبواب التذكر وكل مكلف ذولب قيل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما توجه عقولهم من طاعة الله في كل ما أمر به ودعا اليه وسمي العقل لبا لأنه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها

قوله تعالى (٢٧٠) **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا يَطَّالِعِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (آيَة)**

(١) المنايا جمع النية: الموت. العشواء: الناقة التي لا تبصر امامها يقال «هو يخبط خبط عشواء» اي يتصرف في الامور

* اللفظة *

النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله **يَهَّ عَلَيَّ كَذَا** ولا يشت بغير هذا اللفظ واصل النذر الحوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التصير في الأمر ومنه نذر الدم وهو العقد على سفكه للحوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب:

هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْزُرُ إِنْ لَقَيْتُ بِأَنْ أَشَدًّا

يقال نذرت النذر **أَنْذَرَهُ** و**أَنْذَرَهُ** ومنه الإندار وهو الإعلام بموضع العدو والحوف ليتقى والانصار جمع نصير مثل شريف وشراف والنصير هو المعين على العدو

* الإعراب *

ما بمعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره وما أنفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فإن الله يعلمه والعائد إلى المبتدأ من الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز ان يعود إلى النفقة لأنها موصولة ولا إلى النفقة والنذر لأن ذلك يوجب التثنية واقول يجوز أن يكون ما للجزاء ويكون منصوبا بأنفقتم ولا يحتاج فيه إلى حذف المفعول فيكون التقدير أي شيء أنفقتم أو نذرتم والفاء في موضع الجزاء من نفقة الجار والمجرور في محل نصب على الحال من أنفقتم وذو الحال ما

* المعنى *

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق والترغيب فيه فقال (وما أنفقتم من نفقة) أي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه ما أنفقتم في وجه الخير وسبل البر من نفقة واجبة أو مندوب اليها (أو نذرتم من نذر) أي ما أوجبتوه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاة أو صوم أو صدقة ونحو ذلك (فإن الله يعلمه) معناه يجازي عليه لأنه عالم فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء. إيجازاً للكلام (وما للظالمين) أي ليس للراضين النفقة والنذر في غير موضعها مثل ان ينفق رياء أو ضرارا أو شقاقا أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير حله أو بنذر في معصية أو يترك الوفاء به مع القدرة عليه (من انصار) من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم

قوله تعالى (٢٧١) **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (آية)

* القراءة *

قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعماهي بفتح النون وقرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمر ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نيماء بكسر النون والين وكذلك في النساء نعماء يعظكم وقرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحض بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع

* الحجة *

من قرأ **فَنِعْمًا** هي فحجته ان أصل الكلمة نيماء فجاء بالكلمة على اصلها كما قال ﴿نِعِمَّ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمَبْرُ﴾ ومن قرأ **فَنِعْمًا** بسكون العين لم يكن قوله مستقيا عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين والأول منهما ليس بعرف مد ولين والتقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو ذابة وأصم وتأمروني لأن ما في الحرف من

المد يصير عوضاً من الحركة وقد انشد سيبويه شعراً قد اجتمع فيه الساكنان على حذما اجتمعا في نعما وهو

كَانَهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَمَسَجِهِ مَرَّ عَقَابِ كَاسِرِ (١)

وانكره اصحابه ولعل من قرأ به أخفى ذلك كاخذه بالاخفاء في نحو بارئكم فظن السامع الاخفاء. اسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعما فإنه اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو وقال هي لفة النبي (ص) في قوله لعمر بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون خبر المبتدأ المحذوف وتقديره ونحن نكفر عنكم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلاما مستأنفا مقطوعا مما قبله ولا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون لعطف جملة على جملة واما من جزم فإنه يحمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم لأن قوله فلا هادي له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم وأما الياء والنون في قوله ونكفر فن قال ويكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد ومن قال ونكفر فإنه اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ثم قال باركنا حوله لنزبه من آياتنا

﴿ اللفة ﴾

الفرق بين الصدقة والزكاة ان الزكاة لا تكون إلا فرضا والصدقة قد تكون فرضا وقد تكون نفلا

والاخفاء الستر والحفي الإظهار خفا يخفيه خفيا اي أظهره قال امرئ القيس

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدُ

والخوفي من الريش ما دون القوادم لأنها تخفي بها والخفية عرين الأسد^(٢) لأنه يخفي فيها واصل الباب

الستر والابداء والاظهار والاعلان نظائر والاخفاء والاسرار والإغماض نظائر

﴿ الإعراب ﴾

قوله فنعما هي تقديره ان تبدوا الصدقات فنعم شيئا ابدأها فإهاها هنا مكررة موصوفة وهي في موضع نصب لأنه

تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم

المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة عليه ولأن الفعل المتقدم يدل على مصدره

ولأن قوله وان تخفوها فهو خير لكم أي الاخفاء خير لكم فكما ان هنا ضمير الاخفاء كذلك يجب ان

يكون ضمير الابداء مرادا هناك

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر تعالى صفة الانفاق ورغب فيه بقوله (إن تبدوا الصدقات) معناه ان تظهروا الصدقات وتعلنوها

(فنعما هي) أي فنعم الشيء ونعم الأمر اظهارها واعلانها اي ليس في ابدائها كراهة (وان تخفوها) أي تسروها

(وتوتوها الفقراء) اي تعطوها الفقراء وتودوها اليهم في السر (فهو خير لكم) اي فالاخفاء خير لكم وأبلغ

في الثواب واختلفوا في الصدقة التي يكون اخفاؤها أفضل من ابدائها ف قيل ان صدقة التطوع اخفاؤها أفضل

لأنه يكون ابعده من الرياء باخفائها واما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس

والتوري وكذا رواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق قال الزكاة باخفائها المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية

وغير الزكاة إن دفعه سرا فهو أفضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل عن الحسن وقتادة وهو

الأشبه بصوم الآية (ونكفر عنكم من سيئاتكم) معناه ونمح عنكم خطيئاتكم ونغفرها لكم ومن قرأ

(١) الشعر في الكتاب لسبويه ج ٢ ص ٤١٣ . و المسح هنا ذرع الارض بالسير . وعقاب كاسر كسرت جناحيها وقبضتها

عند انقضائها بقول - في وصف ناقة - كانها بعد طول السير و كلال الزاجر عقاب اه والشاهد في مسجته حيث اسكن الهاء

بالرفع فمناه ونحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من التبويض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصفات فاما على مذهبنا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله أن يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافاد انه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم ان من زيادة وقد يقال كل من طامى وخذ من مالي ما شئت فيكون للتعظيم والأول اولى ومما جاء في الحديث في صدقة السر قوله صدقة السر تطفى غضب الرب وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الامام العدل والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود اليها ورجلان تحابيا في الله واجتمعا عليهما وتفرقا عليهما ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لم تلم يمينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) معناه انه تعالى عالم بما تعملونه في صدقاتكم من اخفائها وعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه

قوله تعالى (٢٧٢) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (آية)

✽ الإعراب ✽

ما تنفقوا من خير فلا نفسكم شرط وجزاء وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله قيل لفظه نفى ومعناه النهي اي لا تنفقوا كقوله لا يمسه إلا المطهرون وقيل هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهو خبر على ظاهره وابتغاء نصب لأنه مفعول له وما تنفقوا من خير يوف إليكم شرط كالأول ولذلك حذف النون في الموضعين

﴿ التزول ﴾

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير اهل دينهم فأترل الله تعالى هذه الآية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت اسما بنت أبي بكر مع رسول الله في عمرة القضاء فجاءتها أمها فتبلة وجدتها تسألانها وهما مشركان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأذن رسول الله (ص) فإنكما السألتا على ديني فاستأذنته في ذلك فأترل الله هذه الآية عن الكلبي

﴿ المعنى ﴾

(ليس عليك هداهم) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه **﴿١﴾** احدها **﴿٢﴾** ان معناه ليس عليك هداهم بمنع الصدقة عنهم لتحلهم به على الايمان وهو نظير قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع **﴿٣﴾** وثانيها **﴿٤﴾** ان معناه ليس عليك هداهم بالحمل على النفقة في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وأبي علي الجبائي وتقديره ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب والجنة وإنما عليك أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي لأنه كان يتم بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الايمان لطمه بما يؤول اليه أمرهم من العقاب الدائم فسأله الله تعالى بهذا القول **﴿٥﴾** وثالثها **﴿٦﴾** ان المراد ليس عليك ان تهدي الناس بعد ان دعوتهم وأنذرتهم وبلقتهم ما أمرت بتبليغهم ونظيره ان عليك إلا البلاغ وليس المعنى ليس عليك أن تهديهم إلى الايمان والطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك (ولكن الله يهدي من يشاء) إنما علق الهداية بالمشيئة لمن كان المعلوم منه انه يصلح بالالطف أي بلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وأبي القاسم البلخي وأكثر اهل العلم وقيل معناه يهدي إلى طريق

(١) وفي جملة من النسخ «استأمرته» بدل «استأذنته» في الموضعين .

الجنة عن الجبائي (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي ما تنفقوا في وجوه البر من مال فلا أنفسكم ثوابه والقرض فيه الترغيب في الاتفاق لأن الإنسان إذا علم أن منفعة انفاقه عائدة إليه مختصة به كان يسمح بالاتفاق وأرغب فيه وأحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله لأن المنفعة في عطائه عائدة إلى المعطي ومختصة به دون الله ومعظم المنفعة في عطية العبد ترجع إليه وتختص به دون المعطي (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) أي إلا طلب رضوان الله وهذا اخبار من الله عن صفة اتفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلبا لرضاء الله تعالى وقيل إن معناه النهي وإن كان ظاهره الخبر أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاة الله وفي ذكر الوجه هنا قولان ﴿أحدهما﴾ ان المراد به تحقيق الاضافة لأن ذكر الوجه يرفع الإبهام انه له ولغيره وذلك أنك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على أنك تصرف الروهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص وكنت بذلك محققا للاضافة ومزيلا لإبهام الشركة ﴿والثاني﴾ أنك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف في الذكر من فعلته له لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه ثم كثرت حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول وجه الرأي ووجه الأمر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وإنما تريد أشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفركم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشيء وإنما حسن اليكم مع التوفية لأنها تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافرا وافيا في الآخرة عن ابن عباس (وانتم لا تظلمون) يمنع ثوابه ولا ينقصان جزائه كقوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص

قوله تعالى (٢٧٣) لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن والباقون بكسرها

﴿ اللغة ﴾

قال ابو زيد حببت الشيء أحسبه وأحسبه حسبانا وحببت الشيء أحسبه حسابا وحسابة وحسبانا وأحسبت الرجل إحسابا إذا اطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتطيه حتى يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة والحصر هو منع النير وليس كالأول لأنه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله فإن أحصرتم والضرب المشي في الأرض والسياء العلامة التي يعرف بها الشيء وأصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الحسف للرفع فيه بتحميل ما يشق ومنه سوم الماشية إرسالها في المرعى والتصف ترك السؤال يقال عف عن الشيء وتغف عنه إذا تركه ومنه قول روية ﴿فف عن اسرارها بعد الصق﴾ أي تركها والالحاف الاحاح في المسئلة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسئلة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الانسان في التغطية

﴿ الإعراب ﴾

العامل في قوله للفقراء محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم قال علي بن عيسى وهذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره

لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لأن الاتفاق لها من حيث هو عائد إليها والفقراء من حيث هو واصل اليهم وليس من باب وقته على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لأنه لا يفصل بين العامل والممول فيه بالأجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه «لا يستطيعون ضربا» جملة في موضع الحال من احصروا وضربا مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال أيضا وذو الحال الفقراء والحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون أي لا يسألون ملحقين ويجوز أن يكون مصدرا لأن الحلاف سؤال على صفة

﴿ النزول ﴾

قال ابو جعفر (ع) نزلت الآية في اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون اليهم فعملوا انفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله فحث الله الناس عليهم وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا امسى

﴿ المعنى ﴾

لما أمر سبحانه بالنفقة ورغب فيها بأبلغ وجوه الترغيب وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله أي منعوا أنفسهم من التصرف في التجارة للمعاش اما لحوف العدو من الكفار واما للمرض والفقراء واما للاقبال على العبادة وقوله في سبيل الله يدل على انهم حبسوا أنفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة (لا يستطيعون ضربا) أي ذهابا وتصرفا (في الارض) لبعض ما ذكرناه من المعاني وقيل لمنع أنفسهم من التصرف في التجارة أي الزموا أنفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرني الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا يستطيع أن أبرح منه أي لا أبرح منه لالزامي نفسي طاعة الأمير (يحسبهم الجاهل) أي يظنهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم (اغنياء من التصف) أي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله وطعنا في جزيل ثوابه (تعرفهم بسيماهم) أي تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن السدي والربيع وقيل لما يرى من التخشع والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد (لا يسألون الناس الحافا) قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا وليس معناه انهم يسألون من غير الحلاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر ارباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التصف في المسئلة ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنياء لأن السؤال في الظاهر يدل على الفقر وقوله أيضا تعرفهم بسيماهم ولو سألو لعرفوا بالسؤال قالوا وإنما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد أن له مثلا ما رأيتة وانما تريد انه ليس له مثل فيرى فعناه لم يكن سؤال فيكون الحاح كقول الاعشى

لَا يَفْغِزُ السَّاقَ مِنْ آتِنِ وَمِنْ نَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلِيَّ شَرُّ سَوْفِهِ الصَّفْرِ (١)

ومعناه ليس بساقها آتينا ولا نصب فيغزها ليس ان هناك آتينا ولا يغمز وفي الحديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويجب الخليم المتصف من عباده ويغض الفاحش البذي السائل الملتصق وعنه (ع) قال ان الله كره لكم ثلاثا قيل وقال، وكثرة السؤال واضاعة المال ونهي عن عقوق الامهات ووأد البنات^(٢) وعن منع وهات وقال (ع) الأيدي ثلاث فيد الله العليا ويد المعطي التي تليه ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ومن سأل وله ما يفنيه جاءت مسئلته يوم القيامة كدوحا أو محوشا أو خدوشا في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما أو عدلها من الذهب (وما تنفقوا من خير) من مال وقيل معناه في وجوه الخير (فإن الله به عليهم) أي يجازيكم عليه

(١) مضى هذا البيت في صفحة ٢٥٨ . (٢) أي قتلهن (٣) الكدح دون الخدش والتخدش دون الخمش .

قوله تعالى (٢٧٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

الإعراب

سراً وعلانية حالان من ينفقون وتقديره مسرّين ومعلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف مكان والعامل فيه ما يتطرق به اللام من لهم

النزول

قال ابن عباس نزلت الآية في علي (ع) كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا وبواحد ليلا وبواحد سرا وبواحد علانية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وابي جعفر (ع) وروي عن ابي ذر والاوزاعي انها نزلت في النفقة على الحيل في سبيل الله وقيل هي عامّة في كل من اتفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فإننا نقول الآية نزلت في علي (ع) وحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق إلى ذلك

المعنى

ثم بيّن سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) في هذه الحالات اي ينفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينة للصدقات ولا وقت لها سواها (فلهم اجرهم عند ربهم) أتى بالقاء ليدل على ان الجزاء إنما هو من اجل الانفاق في طاعة الله ولا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء (ولا خوف عليهم) من احوال يوم القيامة وافزعها (ولا هم يحزنون) فيها وقيل لا خوف من فوت الأجر وتقصانه عليهم ولا هم يحزنون على ذلك

قوله تعالى (٢٧٥) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آية)

اللغة

اصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو إذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال وأرنب الرجل إذا عامل في الربا ومنه الحديث من اجبى فقد اربى واصل التخبط الحبط وهو الضرب على غير استواء حَبَطَتْهُ أَخْبَطُهُ حَبَطًا والحبط ضرب البعير الارض بيده والتخبط ايضا بمعنى يقال تخبط البعير الارض إذا ضربها بقوائمه ويقال للذي يتصرف في امر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِيبُ نِيَّتُهُ وَمَنْ تَخْطِي يُعَمَّرُ فِيهِمْ (١)

والتخبط المس بالجنون والتخبيل لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش والحباط داء كالجنون لأنه اضطراب في العقل يقال به حَبَطَ من جنون ويقال بخلان مسّ وآسّ وأوتق أي جنون والسُّلوف التتقدم يقال سلف يتسلف سلوفا ومنه الأهم السالفة اي الماضية والسالفة أعلى العنق والاسلاف الأعطاء قبل الاستحقاق يقال اسلفته المال اسلافا وسلافة الحمر صفوها لأنه اول ما يخرج مسن عصيرها والعود الرجوع وعبادة المريض المصير اليه

ليعرف خبره والعود من الميدان لأنه يعود إذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كل شيء إليه المصير والآخرة معاد الناس والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة والميد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود في السنة أو الأسبوع والعائدة الصلة لأنها تعود بالنفع على صاحبها

الإعراب

« كما يقوم بالكاف في محل نصب على المصدر والموصول حرف تقديره لا يقومون إلا مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان ومن المس يتعلق يتخبط ومن للتبيين

المعنى

لما حثَّ الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل والآجل عقبه بذكر الربا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق في المال فقال (الذين يأكلون الربا) في الدنيا (لا يقومون) يوم القيامة (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) معناه إلا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون فيكون ذلك اشارة لأهل الموقف على انهم اكله الربا عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وقيل ان هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السودا يوضع عقله ربما يخيل الشيطان اليه امورا هائلة ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله ونسب ذلك إلى الشيطان مجازا لما كان ذلك عند وسوسته عن ابي علي الجبائي وقيل يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض عن ابي الهذيل وابن الاخشيد قالوا لأن الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب ألم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لا تكفي الربا يعرفون بها يوم القيامة كما ان على كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته اشارة تليق به فيعرف بها صاحبها وذلك معنى قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقال النبي في شهداء أحد زملوهم بدمائهم وثيابهم وقال (ع) يبعث أمي يوم القيامة من قبورهم غرا محجلين من آثار الرضوخ. وروي عنه (ع) انه لما قال أسري بي إلى السماء رأيت رجلا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء. أكلة الربا ورواه اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء رأيت اقواما يريد احدهم أن يقوم ولا يقدر عليه من سخطهم بطناه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد في الآية متوجه إلى كل من أربى وإن لم يأكله ولكنه تعالى تبه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بما للربا وإنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية والمراد بالأكل في الموضوعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الأكل (ذلك) اي ذلك العقاب لهم بأنهم (قالوا إنما البيع مثل الربا) مضاه بسبب قولهم إنما البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدني في الأجل وأزيدك في المال فيتراضيان عليه ويعملان به فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء. يضمنون بذلك ان الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء. فذمهم الله به وألحق الوعيد بهم وخطأهم في ذلك بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) اي أحل الله البيع الذي لا ربا فيه وحرم البيع الذي فيه الربا والفرق بينهما ان الزيادة في احدهما لتأخير الدين وفي الآخر لأجل البيع وايضا فإن البيع بدل البدل لأن الثمن فيه بدل المشتمن والربا زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل

او زيادة في الجنس والمنصوص عن النبي (ص) تحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال (ع) الا مثلا بمثل يدا بيد من زاد واستراد فقد اربى لاخلاف في حصول الربا في هذه الاشياء الستة وفي غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا ان الربا لا يكون إلا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربا فقد قيل هي ان فيه تعطيل المعاش والاجلاب والمتاجر إذا وجد الربى من يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق (ع) إنما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضاً او رفاً (فن جاءه موعظة من ربه) معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه (فانتهى) اي فاتجر وتذكر واعتبر (فله ما سلف) معناه فله ما أخذ وأكل من الربا قبل النهي لايئزمه رده قال الباقر (ع) من ادرك الإسلام وتاب بما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما أكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وقال في موضع آخر قد جاءكم موعظة لأن تأنيت غير حقيقي فإن الموعظة والرعة بمعنى واحد (وامره إلى الله) معناه وامره بعد مجيء الموعظة والتحريم والانتها. إلى الله إن شاء عصبه عن أكله وثبته في انتهاه عنه وإن شاء خذله وقيل معناه وامره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب وهو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذ به بما سلف من الربا (ومن عاد) إلى أكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من ان البيع مثل الربا (فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلهدا توعدهم بمذاب الأبدي ولا خلاف بين الفقهاء ان الربا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة واما اهل الجاهلية فإنهم كانوا يرون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر زيادة فيه ولا خلاف في تحريمه وما جاء في الحديث في الربا ما روي عن علي (ع) انه قال لعن رسول الله (ص) في الربا خمسة آكله وموكله وشاهديه وكتبه وعنه (ع) قال إذا أراد الله بقربة هلاكاً ظهر فيهم الربا وعنه (ع) قال الربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينيكح أمه وروي جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام

قوله تعالى (٢٧٩) **يَحَقُّ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحق نقصان الشيء حالاً بعد حال يقال محقه الله يحقه محققاً فأنحق وامتحق اي هلك وتلف بذهابه حالاً بعد حال والمحاق آخر الشهر لانحطاق الهلال فيه والأثم المتأدي في الإثم والأثم الفاعل للإثم

﴿ المعنى ﴾

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (يحق الله) اي ينقص الله (الربا) حالاً بعد حال إلى أن يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب بملكه وقيل للصادق (ع) وقد يري الرجل يربي فيكثر ماله فقال يحق الله دينه وإن كثر ماله وقال ابو القاسم البلخي يحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه والتسمية بالفسق (ويربي الصدقات) اي وينسي الصدقات ويزيدها بأن يشر المال في نفسه في العاجل وبالأنجر عليه والثواب في الأجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي (ع) انه قال ان الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب ويربها لصاحبها كما يربي احدكم مؤهراً او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل احد والنكته في الآية ان المرابي إنما يطلب بالربى زيادة المال ومانع الصدقة إنما يمنعا لطلب زيادة المال

✽ الحجة ✽

قال سيويه أذنت اعلمت وأذنت والتأذين النداء. والتصويت بالأعلام قال وبعض العرب يجري أذنت مجرى أذنت الذي معناه التصويت والنداء. قال أبو عبيدة أذنتك بحرب فأذنت به تاذن اذنا أي علمت فمن قرأ فأذنوا بحرب من الله فقصر فالمعنى اعلوا بحرب من الله والمعنى انكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب مع الله ورسوله ومن قرأ فأذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله واذا امرؤا باعلام غيرهم اعلواهم ايضا لا محالة ففي امرهم باعلام ما يعلمونهم ايضا انهم حرب ان لم يمتنعوا عما نهوا عنه وليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهو في الابلاغ أكد

➤ الإعراب ➤

ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقي من الربا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم والتقدير فلکم رؤوس أموالكم غير ظالمين ولا مظلومين

➤ النزول ➤

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) ان الوليد بن المغيرة كان يربى في الجاهلية وقد بقي له بقايا على تقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فزلت الآية وقال السدي وعكرمة تزلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عبيد بن ناس من تقيف فجاء الإسلام ولها اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه الآية فقال النبي (ص) على ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضمه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم اضمه دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليش فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من تقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عبد بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي (ص) على الطائف وصالح تقيفا اسلم هؤلاء الاخوة الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب الى النبي بالقصة فانزل الله الآية

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربا فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) في امر الربا وفي جميع ما نهاكم عنه (وذرؤا ما بقي من الربا) اي واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوه واقتصروا على رؤوس أموالكم وقوله (ان كنتم مؤمنين) معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فإنه يكون حربا وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به وبما فيه من المفسدة التي يعلها الله (فان لم تفعلوا) اي فإن لم تقبلوا امر الله ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربا بعد نزول الآية بتركه (فاذنوا بحرب من الله ورسوله) اي فأيقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الآخرة لمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فأذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية بدوي عن ابن عباس وقتادة والربيع أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب وإلا قتل وقال الصادق كل الربا يوجب بعد اليقظة فإن عاد ادب وان عاد قتل (وإن تبتم) من استحلال الربا واقررتم بتحريمه (فلکم رؤوس أموالكم) دون الزيادة (لا تظلمون) باخذ الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) بالنقصان من رأس المال

قوله تعالى (٢٨٠) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان وقرأ زيد بن جبير يعقوب ميسرة بضم السين مضافاً الى الهاء وروى ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فان الاصل في القراءتين تصدقوا فخفض في احدهما بحذف احدى التائين وفي الأخرى بالادغام

﴿ اللغة ﴾

النظرة التأخير وهو اسم قام مقام الانظار مثل آخرة يقال بته بأخرة وبنظرة اي بنسيئة ورايت فلانا بأخرة الناس اي في آخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والنسي والسعة وما روي من قراءة من قرأ الى ميسرة فلم يجزه البصريون لأن مفعول لا يجي في الأحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل

بشئ الزمي لا إن لا إن لزمته على كثرة الواشين أي معون (١)

وروي

أبلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري

والاول جمع معونة ومالك جمع مالكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيويه فربما اطلق القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف او حرفان

﴿ الإعراب ﴾

كان هذه هي التامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وإن كان ذو عسرة غريبا لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروي ذلك في الشواذ عن أبي فنظرة مرفوعة لأنها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه للجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع بأنه مبتدأ وخبره خير لكم

﴿ المعنى ﴾

لما امر سبحانه باخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المسر فقال (وان كان ذو عسرة) معناه وان وقع في غرمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريبا لكم ذو عسرة (فنظرة) اي فالذي تعاملونه به نظرة (الى ميسرة) اي الى وقت اليسار اي فالواجب نظرة صيته صفة الخبر والمراد به الأمر اي فانظره الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال ابو علي الجبائي هو التعمد بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب انظار المسر على ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله (ع) وثالثها ﴿ ﴾ انه واجب في دين الربا خاصة عن شريح وابراهيم النخعي (ع) وثالثها ﴿ ﴾ انه واجب في دين الربا بالآية وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر (ع) الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الإمام فيقضي منه من سهم التارمين إذا كان اتفق في المعروف (وأن تصدقوا خير لكم) معناه وان تصدقوا على المسر بما عليه من الدين خير لكم (ان كنتم تعلمون) الخبر من الشر وقيرون ما لكم مما عليكم وما جاء في معنى الآية من الحديث قوله (ع) من انظر مصرا او وضع عنه اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وروي بريدة عنه انه قال من انظر مصرا كان له بكل

(١) [وقرأ نافع ميسرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان] (٢) [وسقط التاء عند الإضافة كقوله و اقام الصلوة]

(٣) [بشئ مرثم بشئ كجبهة علم امرأة .

يوم صدقة وفي هذه الآية دلالة على ان الانسان ان علم ان غريمه معسر حرم عليه جسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وانا يجب عليه انظاره انتظارا لليسارة وان الصدقة برأس المال على المعسر خير وافضل من انتظار يسره وروى عن ابن عباس وابن عمر ان آخر ما نزلت من القرآن آي الربا

قوله تعالى (٢٨١) **وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها

﴿ الحجة ﴾

حجة أبي عمرو قوله إن الينا إياهم فأضاف المصدر إلى الفاعل فهذا بمنزلة **تُرْجَعُونَ** وأب مثل رجع ومن حجته قوله وإنا إليه راجعون، فالينا مرجعهم

﴿ الإعراب ﴾

يوما منصوب لأنه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه إلى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة لقوله يوما وتوفي كل نفس ما كسبت في موضع نصب بأنه عطف على صفة يوم إلا انه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه

﴿ النزول ﴾

هذا آخر آية نزلت من القرآن وقال جبرائيل ضحيا في رأس الثمانين والمأتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله (ص) ليتني اعلم متى يكون ذلك فأنزل الله تعالى سورة النصر إذا جاء نصر الله والفتح فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعت إلي ثم بكى بكاء أشديدا فقيل يارسول الله أوتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأمن هول المطلع وأمن ضيق القبور وظلمة اللحد وأمن القيامة والاهوال فعاش رسول الله (ص) بعد نزول هذه السورة عاما تاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه إلى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن فعاش رسول الله (ص) بعدها ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم إلى آخرها فسيت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكلت لكم دينكم الآية فعاش بعدها احدا وعثمان يوما ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله (ص) بعدها احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول حين بزغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة لسنة واحدة من ملك اردشير بن شيرويه بن ابرويزن هرمز بن انوشروان بنفسه هو (ص) حيا وميتا

﴿ المعنى ﴾

ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آي الحدود والاحكام فقال (واتقوا يوما) معناه واحذروا يوما واخشوا يوما (ترجعون فيه إلى الله) تردون جميعا إلى جزاء الله ويقال إلى ملك الله لنفعمكم وضركم دون

غيره ممن ملكه إياه في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد ولا يغيب احد عن علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم أينما كنتم وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وإنما خص يوم القيامة بهذه الصفة لأن الناس إذا حشروا انقطع أمرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم أمر ولا نهي كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (ثم توفي كل نفس ما كسبت) قيل فيه وجهان أحدهما توفي جزاء ما كسبت من الأعمال والثاني توفي ما كسبت من الثواب والعقاب لأن الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال (وهم لا يظلمون) معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزداد عليهم ما يستحقونه من العقاب

قوله تعالى (٢٨٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَرْتُمْ بَدِينَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخُسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضِعِفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ فُلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاتِ إِن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّاهِدَاتُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَقَلُّوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده إن تضل بكسر الهززة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة فتذكر بالتشديد والرفع وقرأ الباقر فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقر بالرفع وقرأ ابو جعفر ولا يضار بتشديد الراء وتكئينها والباقر لا يضار بالنصب والتشديد

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حمزة إن تضل إحداها بكسر الهززة هو انه جعل إن للجزء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونها وصفا للمتكورين وهما المرأتان في قوله فرجل وامرأتان فقوله رجل وامرأتان خبر مبتدأ محذوف وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل مرتقا بالابتداء وامرأتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجل وامرأتان ولا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين ألا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت ان الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لأن الشرط جملة يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين إن مكانهم في الارض أقاموا الصلاة واللام التي هي في قوله ان تضل فيمن جعل ان جزاء في موضع جزم وإنما حركت بالفتح

لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزا في القياس واما قوله فتذكر ققياس قول سيويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء في فتذكر مبتدأ محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر احدهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير في قوله احدهما واما الأصل في تذكر فهو من الذكر الذي هو ضد النسيان وذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهزب او ضفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر وذلك نحو فرحته وافرحته فمن قرأ فتذكر كان ممن جعل بالتضعيف ومن قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سايب والمفعول الثاني في قوله فتذكر احدهما الأخرى محذوف والمعنى فتذكر احدهما الأخرى الشهادة التي تحملتها واما قراءة الاكثريين وهو ان تضل بفتح الالف فإن يتعلق فيها بفعل مضر دل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلاثة أشياء الأول هو ان قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلا وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان انما هو بهذا الفعل والثاني ما قاله ابوالحسن وهو ان تقديره فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادة رجل وامرأتين فحذف المضاف واقم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضر خبر المبتدأ الذي هو فرجل وامرأتان اي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل في ان وموضع اضراره فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره لان تضل احدها فتذكر فإن قيل فإن الشهادة إنما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيويه قد قال امر بالاشهاد لأن تذكر احدها الأخرى وانما ذكر ان تضل لأنه سبب الاذكار كما يقول القائل اعدته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائط ولكنه اخبر بعله الدعم وسببه وقوله فتذكر او فتذكر بالنصب مخطوف على الفعل المنصوب بأن واما قراءة من قرأ إلا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكانه قال الا ان تقع تجارة حاضرة مثل قوله وإن كان ذو عسرة واما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يخل اسم كان من احد شيئين احدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فعواه التباعد فاضر التباعد لدلالة الحال عليه كما يقال إذا كان غدا فاتي والآخر ان يكون اضر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة مثل ذلك قول الشاعر

فَدَى لِبَنِي ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ نَأَقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَا كِبَ أَشْنَمَا

اي اذا كان اليوم يوما واما قوله لا يضار فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان اصله لا يضار فادغمت الراء في الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق ﴿الثاني﴾ ان اصله لا يضار بفتح الراء الأولى فادغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضر به وكذلك الشاهد والأول ابين واما قراءة ابي جعفر بتسكين الراء مع التشديد فيه نظر ووجهه انه اجري الوصل مجرى الوقف كقولهم ﴿بيازل وجنا او مهل﴾ وقد تقدم امثاله^(٢)

اللغة

تقول دايت الرجل مداينة إذا عاملته بدن اخنت منه او اعطيته وتدائن القوم او الزجلان بمعناه قال الشاعر^(٣)

دَايَنْتُ أَرَوِي^(٤) وَالْدَيُونَ تَقْضِي فَطَلَّتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضًا

ويقال دنت وادنت إذا اقترضت وادنت إذا اقترضت قال^(٤)

أَدَانَ وَأَنْبَأَهُ الْأَوْلُونَ بِأَنَّ الْمُدَانَ مَلِيٌّ وَفِي

والاملال الاملاء يقال أمل عليه وامل عليه بمعنى والبس النقص ظلما يقال بجمه حقه يبخسه بجمسا وثمان

بجس ناقص عن حقه والبخس قفوة العين لأنه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة قال الشاعر:

تَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتَخْمِلُ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

وانما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول من الاباء. ابي يأبي ولم يأت مثله في اللغة لأنَّ فَعَلَ يَفْعَلُ لا يَأْتِي الا ان يكون في موضع العين من الفعل او اللام حرف من حروف الخلق والقول فيه ان الالف من ابي اشبهت الهزلة فجاء. يَفْعَلُ منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء. في اللبن ومنه قوله ان المعجربين في ضلال وسعر وقيل اصله الذهب بحيث لا يوجد وقيل ومنه ان اذا ضلنا في الارض والسأم الملل يقال سَمُّ يَسَامُ سَأَمًا إذا ملَّ من الشيء وضجر منه قال زهير:

سَمِئَتْ تَكَالِيفُ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُرُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يَسَامُ

واقسط اي اعدل والتسقط العدل يقال اقسط إذا عدل وقسط يَقْطِطُ قُسُوطًا إذا جار والقسط الحصاة

المعنى

لما أمر سبحانه بانظار المسرور تأجيل دينه عقبه ببيان احكام الحقوق الموجبة وعقود المدينة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (إذا تداينتم) اي تعاملتم وداين بعضكم بعضا (بدين) قيل فيه قولان (١) أحدهما (٢) انه على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (٣) والآخر (٤) انه إذا قال بدين لأن تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم مسن الدين الذي هو الجزاء. وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين قيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك (إلى أجل مسمى) اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الآية وردت في السلم خاصة وكان يقول أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم وانزل فيه اطول آية من كتابه وتلا هذه الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سَلَمًا كان او غيره وعليه المفسرون والفقهاء (فاكتبوه) معناه فاكتبوا الدين في صلحٍ لثلاث يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذي له الحق ان يكون حقه موثقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعد به من الجحود فلا يستوجب النعمة والعقوبة ووجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك اقزم للشهادة وابد من السهو واقرب إلى الذكر واختلف في هذا الأمر فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعي وهو الأصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب وبدل على صحة القول الاول قوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتقن أمانته والمفهوم من هذا الظاهر فان ائتمنه على ماله ان يأتمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) يعني وليكتب كتاب المدينة او البيع بين المتعاقدين كاتب بالتسقط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار ولا يستبدل ولا يكتب شيئا يضر بأحدهما إلا بطله (ولا ياب كاتب) اي ولا يمتنع كاتب من (ان يكتب) الصك على الوجه المأمور به (كما علمه الله) من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه إياه فلا يخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض أم لا فقيل هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك قال الشيخ ابو جعفر الطوسي (ره) وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لأنه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب في حال فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب إذا أمر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضرب بصاحب الدين إن امتنع فاذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو

في سعة إذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجبا ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك (فليكتب) امر للكاتب اي فليكتب الصك على الوجه المأمور به وكانت الكتابة على عهد رسول الله (ص) فيهم قلة فلذلك اكد بقوله فليكتب اذ الجمع بين الأمر بالشئ والنهي عن تركه أدعى إلى فعله من الاقتصار على احدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال سبحانه (وليمل الذي عليه الحق) يعني المديون يُقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فليكتب (وليتق الله ربه) اي الذي عليه الحق في الاملاء (ولا يبخر) أي ولا ينقص (منه) اي من الحق (شيئا) لان قدره ولا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الاملاء فقال (فإن كان الذي عليه الحق سفيفا) اي جاهلا بالاملاء من مجاهد وقيل صغيرا فلان السدي والضحاك وقيل عاجز الحق عن ابن زيد (أو ضعيفا) أي ضعيف العقل من عتبه أو جنون وقيل شيخا خرفا (أو لا يستطيع ان يعمل هو) اي مجنوننا وقيل عتيا اخرس عن ابن عباس وقيل الأقرب ان يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفية المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يعمل الاخرس ونحوه ثم يدخل في كل واحد من هو في معناه وقيل السفية المبذر والضعيف الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يعمل المجنون عن القاضي (فيلسل وليه بالعدل) قيل معناه فليمل ولي الذي عليه الحق اذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لأنه اعلم بدينه فيمل بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالشهاد فقال (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعني اطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم اي من أهل دينكم وقال مجاهد معناه من الأحرار العالمين البالغين المسلمين دون العبيد والكفار والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وانما اشترط الإسلام مع العدالة وبه قال شريح والليثي وابو ثور وقيل هذا امر للقضاة بأن يلتزموا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند إنكار المدعى عليه فيكون السين في الحالتين سين السؤال والطلب (فإن لم يكونا رجلين) يعني فإن لم يكن الشهيدين رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليكن رجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان (من ترضون من الشهداء) عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود ويدل ايضا على اننا لم نتعبد بالشهاد مرضيين على الاطلاق لقوله من ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وانما تعبدنا بالشهاد من هو مرضي عندها في الظاهر وهو من نرضى دينه وامانته ونعرفه بالستر والصلاح (ان تضل احدهما) اي تضي احدى المرأتين (فتذكر احدهما) انة اما كرر ليكون الفاعل مقدا على المفعول والسيان عن الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين والتقدير فتذكر احدها الأخرى الشهادة التي تحملها ومن قرأ فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو بهذا المعنى ايضا اي يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان او فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لأن النسيان يظلب على النساء اكثر مما يظلب على الرجال وقيل هو من الذكر اي يجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينة والاول اقوى فان قيل لم كرر لفظه احدها وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين ﴿١﴾ احدها ﴿٢﴾ انة اما كرر ليكون الفاعل مقدا على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وذلك مكروه ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ ما قاله الحسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل احدى الشهادتين اي تضيع بالنسيان فتذكر احدى المرأتين الاخرى لئلا يتكرر لفظ احدها بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة اذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا اي ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال (ولا ياب الشهداء إذا دعوا) وفي معناه ثلاثة اقوال ﴿٥﴾ احدها ﴿٦﴾ ان معناه ولا يتمتع الشهداء إذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وهذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضررا ﴿٧﴾ والثاني ﴿٨﴾ ان معناه إذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن قتادة والربيع ﴿٩﴾ والثالث ﴿١٠﴾ ان معناه إذا دعوا إلى اثبات الشهادة وإلى

اقامتها عن ابن عباس والحسن وعن أبي عبد الله (ع) وهو اولى لأنه أعم فائدة (ولا تسأموا) اي ولا تضجروا ولا تملوا (ان تكتبوه) أي تكتبوا الحق (صغيرا) كان الحق (أو كبيرا) وقيل ان هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق (إلى أجله) أي إلى أجل الدين وقيل معناه إلى أجل الشاهد أي إلى الوقت الذي تجوز فيه الشهادة والأول أقوى (ذلكم) الكتاب او كتابة الشهادة والصك (اقسط) اي أعدل (عند الله) لأنه سبحانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه (واقوم للشهادة) أي اصوب للشهادة وابعد من الزيادة والنقصان والسهو والفظ والنسيان وقيل معناه احفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ (وادنى ألا تقاتلوا) اي اقرب إلى أن لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل (إلا أن تكون تجارة) معناه إلا أن تقع تجارة اي مداينة ومبايعة حاضرة حالة يدا بيد ومن قرأ بالنصب فمعناه إلا ان تكون التجارة تجارة (حاضرة تدبرونها بينكم) اي تتناقلونها من يد إلى يد نقدا لا نسيئة (فليس عليكم جناح) اي حرج وضيق (ألا تكتبوها) ومعناه فليس عليكم إثم في ترك كتابتها لأن الكتابة للوثيقة ولا يحتاج الى الوثيقة إلا في النسيئة دون النقد (واشهدوا إذا تبايعتم) اي واشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم وهذا أمر على الاستجاب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء وقال اصحاب الظاهر الاشهاد فرض في التبايع (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اصله يضار بكسر الراء الأولى عن الحسن وقتادة وعطا وابن زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة فعلى هذا فعنى المضارة أن يكتب الكاتب ما لم يعل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه او بأن يمتنع من اقامة الشهادة وقيل الأصل فيه لا يضار بفتح الراء الأولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابة في حال عذر لا يتفرغ اليها ولا يضيّق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى اثبات الشهادة واقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والأول أبين لقوله (وان تقاتلوا فإنه فسوق بكم) فالفساق أشبه بغير العدل وبين حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهدا ليشهد أو دعا كتابا ل يكتب وهو مشغول وقال غيره معناه وان تقاتلوا مضارة للكاتب والشهيد فإن المضارة في الكتابة والشهادة فسوق بكم اي خروج عما أمر الله سبحانه (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (ويعلمكم الله) ما تحتاجون اليه من أمور دينكم (والله بكل شيء عليم) اي عليم بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الآية خاصة مائة وعشرون حكما

قوله تعالى (٢٨٣) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَمُضْئِكُمْ بَعْضًا فَلَیْؤَدِ الَّذِي أُوْتِیْنَ اٰمَانَتَهُ وَلَیَّتَقِ اللّٰهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبًا وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (آیة)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير واو عمرو فرهن على وزن فقل والباقون فرهان على وزن فعال

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الرهن مصدر ولما نقل فسمي به كسر كما تكسر الاسماء وجمع على بنايين من ابنية الجموع وهو فقل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير ويخفف العين من رهن كما خفف في رسل وكتب ومثل رهن ورهن سقت وسقت وقال الأعشى

آلَيْتُ لَا أُعْطِيهِ مِنْ اَبْنَانِيَا رُهْنًا فَيُفْسِدُهُمْ كَنْ قَدْ اَفْسَدَا

﴿ اللغة ﴾

يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته رهنا وانا ارهنه إذا وضعته عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته ايضا وفعلت فيه اكثر قال (١)

يُرَاهِنُنِي فَيُرَهِنُنِي بَيْنَهُ وَارَهْنُهُ بَيْنِي بِمَا أَقُولُ

قال الاصمعي من روى بيت ابن همام

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَارَهَنْتُهُمْ مَالِكًا

قد احتجنا الرواية وارهنهم مالكا كما تقول وثبت اليه واصك عينه ونهضت اليه واخذ بشعره وتقول ارهنت لهم الطعام اي ادمت لهم وارهنته بمعناه والطعام راهن وراه وقد ارهنت في ثمن السلعة إذا أسلفت فيه قال: ﴿عَيْدِيَّةٌ أَرَهَنْتُ فِيهَا الدَّنَاتِيْرَ﴾ واما قول النبي (ص) لا يفلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جتتك بفكاكه الى شهر وإلا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال (وان كنتم) ايها المتدينون المتبايعون (على سفر) اي مسافرين (ولم تجدوا كتابا) للصك ولا شهودا تشهدونهم (فرهان مقبوضة) تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فإن لم يقبض لم ينقذ الرهن بالاجماع (فإن أمن بعضكم بعضا) اي فإن أمن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به واتسنته على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن (فليؤد الذي اتسنت) اي الذي عليه الحق (أمانته) بأن لا يحدد حقه ولا يخسر منه شيئا ويؤديه اليه وافيًا وقت محله من غير مظل ولا تسويف و اراد بقوله امانته اي ما اوتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول (وليتق الله ربه) معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيا اتسنت عليه بجعوده او النقصان منه (ولا تكسوا الشهادة) يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة إذا دعوا اليها (ومن يكتمها) اي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي إلى اقامتها (فإنه آثم قلبه) اضاف الآثم إلى القلب وان كان الآثم هو الجملة لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لأن العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب ولأن اضافة الإثم إلى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الإيمان إلى القلب ابلغ في المدح قال تعالى أو تلك كتب في قلوبهم الإيمان (والله بها تعملون) اي ما تسرونه وتكتمونه (عليهم) وروي عن النبي (ص) انه قال لا ينقض كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبرأ مقعده من النار وكذلك من كتم الشهادة وفي قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المدينة ليسا واجبين وانما هما على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية وما قبلها من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم ومعادهم وتطعيمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه بصيرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر

قوله تعالى (٧٨٤) فَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

(١) وهو أجيعة بن الجلاح (٢) عيضية : نوق من كرام النجائب منسوبة الي فعل منجب . والقائل : رذاذ الكلبى

اوله : ظلت تجول بها البلدان ناجية (٣) [لا ينقضى لا ينقضى]

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب فينغز ويغزب بالرفع وقرأ الباقر بالجزم فيها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي وجه قول من جزم أنه أتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى أنهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها فمن ذلك أن ما كان معطوفاً على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع وعلى هذا ما جاء في التذييل نحو قوله وكلاً ضربنا له الأمثال وقوله فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة فكذلك ينبغي أن يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلاً لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الأول وقطعه منه على أحد وجهين إما أن يجعل الفعل خبراً لمبتدأ محذوف وإما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها

﴿ المعنى ﴾

(الله ما في السموات وما في الأرض) اللام لام الملك أي له تصريف السموات والأرض وما فيها وتديروها لقدرة على ذلك ولأنه الذي أبدعها وأنشأها فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كما يشاء. (وإن تبدوا ما في أنفسكم) وتعلنوه أي تظهروا ما في أنفسكم من الطاعة والمعصية (أو تخفوه) أي تكتمونه (يحاسبكم به الله) أي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه أن تظهروا الشهادة أو تكتموها فإن الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة وقيل إنها عامة في الأحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال قوم إن هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ورووا في ذلك خبراً ضيفاً وهذا لا يصح لأن تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإما المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والآراء وغير ذلك مما هو مستور عنا فإما ما يدخل في التكليف من الوسوس والمواجس وما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله (ص) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها فلي هذا يجوز أن تكون الآية الثانية بينت الأولى وأزالتهن من صرف ذلك إلى غير وجهه وظن أن ما يحظر بالبال أو تتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك وقوله (فينظر لمن يشاء) أي ينظر لمن يشاء منهم زحمة وفضلاً (ويغزب من يشاء) منهم ممن يستحق العقاب علاناً (والله على كل شيء قدير) من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية عام في جميع الأشياء والقول فيما يحظر بالبال من المعاصي إن الله تعالى لا يؤاخذ به وإنما يؤاخذ بما يعزم الإنسان ويعقد قلبه عليه مع إمكان التحفظ عنه فيصير من أفعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بأفعال الجوارح وإنما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإن العزم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار إن المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها وهذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده

﴿ النظم ﴾

ذكر في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه ﴿ أحدها ﴾ أنه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السور بالتوحيد والموعظة والاقرار بالجزء. ﴿ والثاني ﴾ أنه لما قال والله بكل شيء عليم أتبعه بأنه لا يخفى عليه شيء لأن له ملك السموات والأرض عن أبي مسلم. ﴿ والثالث ﴾ أنه لما أمر بهذه الوثائق بين أنه إنما يعتد بها لأنه لا يرجع إلى المكلفين لأنه لا يرجع إليه فإن له ما في السموات وما في الأرض

قوله تعالى (٢٨٥) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ﴾

من قرأ كتابه على الواحد ففيه وجهان ﴿١﴾ أحدهما ﴿٢﴾ أنه بمعنى القرآن ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ أنه بمعنى الجنس
فيوافق القراءة الأخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسماء بمعنى الكثرة نحو قوله وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيظها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف
والاختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولأن أكثر القراء عليه ومن قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا يفرق
الرسول أو كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند
ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا أي ويقولون ربنا أبصرنا

﴿ الإعراب ﴾

غفرانك نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن
الهلل في الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة واحكام الشرع واخبار الأنبياء ختم السورة بذكر تعظيمه
وتصديق نبيه (ص) بجميع ذلك فقال (آمن الرسول) أي صدق محمد (ص) (بما أنزل إليه من ربه) من الاحكام
المذكورة في السورة وغيرها (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي صدق بآياته وصفاته
ونفي التشبيه عنه وتزبيبه عما لا يليق به (وملائكته) أي وبملائكته وبأنهم معصومون مطهرون (وكتبه)
أي وبأن القرآن وجميع ما أنزل من الكتب حق وصدق (ورسله) وبجميع أنبياءه (لا نفرق بين احد من
رسله) أي ويقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله أهل
الكتاب من اليهود والنصارى (وقالوا سمعنا وأطعنا) معناه سمعنا قولك وأطعنا أمرك إذا جعلته راجعا إلى الله
أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعا إلى النبي (ص) وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع
القائلين المطيعين وذلك خلاف ما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا (غفرانك ربنا) أي يقولون
يا ربنا اغفر لنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك (واليك المصير) معناه والى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى
جزائه مصيرا إليه كقول ابراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين ومعناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أمرني به ربي وهذا
هو اقرار بالبعث والنشور

قوله تعالى (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
أَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَمْ يَلْمَسْنَا مِنْ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوسع ما دون الطاقة ويسمى ذلك وسعا بمعنى انه يسع الإنسان ولا يضيق عنه واخطأنا أي كسبنا خطيئة
وقال ابو عبيدة اخطأ وخطى؛ لفتان والفرق بين اخطأ وخطى ان اخطأ قد يكون على وجه الائم وغير الائم فاما
خطى فالائم لا غير قال الشاعر

وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الْأَمِيرَ إِذَا هُمُ
وَالْأَصْرُ فِي اللُّغَةِ الثَّقَلُ قَالَ النَّابِغَةُ

يَا مَنَعَ الضَّمِيمَ أَنْ يَغْشَى سُرَاتِهِمْ
وَأَلْهَمَ الْأَصْرَ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا غَرَقُوا (٢)
وكل ما عطفك على شيء من عهد او رحم فهو إصر وجمعه اصار ويقال أصره بأصره أصرا والاسم الإصر
قال النابغة

يَا أَبْنَ الْحَوَاضِنِ وَالْحَاضِنَا
أَيْ عَهْدِكَ وَالْأَصْرَةَ صَلَةَ الرَّحْمِ لِلْعَطْفِ بِهَا قَالَ الْكَمَيْتُ

نَضَحْتُ أَدِيمَ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
وَأَصْلُ الْبَابِ الْعَطْفُ فَالْأَصْرُ الثَّقَلُ لِأَنَّهُ يَعْطِفُ حَامِلَهُ بِثِقَلِهِ عَلَيْهِ

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه فيما أمر ونهى لا يكلف إلا دون الطاقة فقال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) اي لا يأمر
ولا ينهى أحدا إلا ما هو له مستطوع وقيل ان معنى قوله إلا وسعها إلا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها
طاقتها بلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينه وهذا قول حسن وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة في تجوز تكليف
العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان
معناه إلا ما يسعها ويحل لها وهذا خطأ لأن من قال لعبد لا أمرك إلا بما اطلق لك ان تفعله لكان ذلك غيا منه
وخطأ لأن نفس امره اطلاق فكانه قال لا اطلق لك ولا أمرك إلا بما امرك وقوله (لها ما كسبت) معناه لها
ثواب ما كسبت من الطاعات (وعليها) جزاء (ما اكسبت) من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب
كسبا من حيث حصل بكسبه (ربنا لا تؤاخذنا) قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليل للدعاء عن الحسن وقيل
تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء (ان نسينا او اخطأنا) قيل فيه وجوه أحدها ان المراد بنسينا
تركنا كقوله تعالى نسوا الله فسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله وتنسون انفسكم ومنه
قول الشاعر

وَلَمْ أَكُ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيًا (٥) وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرُّوعِ لِلطُّعْنِ نَاسِيًا

اي تاركا والمراد باخطأنا لمي اذنبنا لأن المعاصي توصف بالخطأ من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها
متممدا فكانه تعالى امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقتضات والثاني معنى قوله ان
نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الأمر والعقلة عن الواجب واخطأنا اي تعرضنا لاسباب يقع عندها

(١) فاعله عبيد بن الابرص جاهلي قديم . و لحي فلانا : لامة وسبه . (٢) الضميم : الظلم . وسراة القوم : ساداتهم .

(٣) بَلَّ رَحْمَهُ : وصله . (٤) [ألا ما اطلق لك] . (٥) القالي : المبيض .

الخطأ ويحسن الدعاء. بذلك كما يحسن الاعتذار منه والثالث ان معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اي ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغلطة او اخطأنا اي فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واظهار الفقر إلى مسأته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المواخذة بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيا بعد (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على احد الأجوبة وقوله رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر أمثاله والرابع ما روي عن ابن عباس وعطاء. ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين او متعمدين وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) قيل فيه وجهان **١** احدها **٢** ان معناه لا تحمل علينا عملا نعجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي **٣** والثاني **٤** ان معناه لا تحمل علينا تقلا عن الربيع ومالك وعطاء. يعني لا تشدد الأمر علينا (كما حملته على الذين من قبلنا) اي على الأمم الماضية والقرون الخالية لأنهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها وحرمت عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم. واخذ عليهم من اليهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفا عنها (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قيل فيه وجوه **٥** احدها **٦** ان معناه ما يتحمل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه اني لا اطيقه **٧** والثاني **٨** ان معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا وأجلا **٩** والثالث **١٠** انه على سبيل التبعيد وان كان تعالى لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل (واعف عنا) ذنوبنا (واغفر لنا) خطايانا اي استرها (وارحمنا) بانعامك علينا في الدنيا والآخره وادخال الجنة (انت مولانا) اي ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا (فانصرنا على القوم الكافرين) اي اعنا عليهم بالقهر لهم والظبة بالحجة عليهم وقد روي عن النبي (ص) ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء. فطت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا الدعاء ففي الحديث المشهور عن النبي (ص) قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اي كفتنا قيام ليلته وعن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله (ص) انتهى به إلى سدره المنتهى واعطى ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المقححات **١١** وعن ابن المنكدر رفعه إلى النبي (ص) قال في آخر سورة البقرة آيت انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي باسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سمع نقيضا يعني صوتا فرجع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فقل عليه ملك وقال ان الله يشرك بنورين لم يعطها نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأها أحد إلا أعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل إذا تطعم سورة البقرة جد فينا أي عظم

(١) وفي جملة من النسخ «عهداً» بدل «عملاً». (٢) أي الذنوب العظام التي تقمهم اصحابها في النار اي

تلقينهم فيها

سورة آل عمران

هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آياتها مائتان إلا آية شامي ومائتان في الباقيين خلافاً في سبع آيات عد الكوفي ألم آية والانجيل الثانية آية وترك وأنزل الفرقان وعد البصري موصولاً إلى بني اسرائيل آية وترك الشامي التوراة والانجيل الاول وعد مقام ابراهيم هو ابو جعفر وترك ابو جعفر ما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا ما تحبون (٤)

فضلها

روى ابى بن كعب عن رسول الله (ص) قال من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها ما نال من جبرئيل جبرئيل بن عباس قال قال رسول الله (ص) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس ، بريدة قال قال رسول الله (ص) تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران فإنها الزهراوان وانها تظللان صاحبها يوم القيامة كأنها غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف

تفسيرها

قوله تعالى (١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألم (٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٣) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِمَّن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

خمس آيات بلا خلاف إلا ان الكوفي عد ألم آية وترك وأنزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك

القراءة

قرأ ابو جعفر والاعشى (٥) والبرجمي عن ابى بكر عن عاصم ألم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقر موصولاً وبفتح الميم وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والاعشى وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي (ص) الحي القيام وروي عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة

الحجة

قال ابو علي اتفاق الجميع على اسقاط الألف الموصولة في اسم الله تعالى دل على ان الميم ساكنة كما أن سائر حروف التهجى مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام التعريف والدليل على ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيويه ان حروف التهجى يجتمع فيها الساكنان نحو حاميم عين سين قاف وذلك انها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين واما من قطع الألف فكأنه قد الوقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد قال ابن جني انه صفة على فيعال

(١) اى آية ٤٨ (٢) اى آية ٤٩ (٣) اى آية ٩٧ (٤) اى آية ٩٢ . (٥) هو ابو يوسف الاعشى من رواية ابى بكر بن

من قام يقوم ومثله من الصفة الفيداق وأصله من القيوم التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو يا. وادغم فيها اليا. وقرأة الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظر في كلامهم لأنه ليس في كلامهم افعيل بفتح الهمزة ولو كان اعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربي وهو افعيل من نَجَلٍ يَنْجَلُ إذا أثار واستخرج ومنه نَجَلُ الرجل لولده لأنه استخرجهم من صلبه ومن بطن امرأته قال الاعشى

أَنْجَبَ أَرْمَانَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

أي انجب والداه ازمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف اليه الذي هو اذ كقولهم حينئذ ويومئذ بالفاعل وقيل له انجيل لأن به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل توراة وهي فوعة من وري الزند إذا قذح وأصله ووراة فأبدلت الواو التي هي الفا. تا. كما قالوا التَّجَاهُ والتَّخَمَةُ والتُّكْلَانُ والتُّرَاثُ من الوجه والوَخَامَةُ والوَكْلُ والورثة فهي من وري الزند إذا ظهرت ناره وذلك من نَجَلٍ يَنْجَلُ إذا استخرج لما في الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل لكتاب نبينا (ص) الفرقان لأنه فرَّق بين الحق والباطل فالعاني كما ترى معتنقة وكلها الاظهار والابراز والفرق بين الاشياء وقال علي بن عيسى النجل الأصل فكان الانجيل أصل من أصول العلم وقال غيره النجل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التوراة يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النَّجَلِ وهو من السمة يقال عين نجلا. وطعنة نجلا. وكأنه قد وسع عليهم في الانجيل ما ضيق على اهل التوراة وكل محتمل

الإعراب

مصدقا نصب على الحال وقوله من قبل أي من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناء على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التوراة والانجيل اي هاديين ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره مما هدى

التزول

قال الكلبي ومحمد بن اسحاق والربيع بن أنس نزلت اوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله (ص) وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤول اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرن إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقهم وجرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله (ص) المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الجبَّات جُبَّ وأردية في جمال رجال بلحراث بن كعب يقول بعض من رأيهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله (ص) فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله (ص) دعوهم فصلوا إلى المشرق فتكلم السيد والعاقب رسول الله (ص) فقال لهما رسول الله (ص) أسلما قالا قد أسلما قبلك قال كذبتا ينعكما من الإسلام دعاوكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصوه جميعا في عيسى فقال لهما النبي (ص) السم تعلمون انه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا بلى قال السم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال السم تعلمون ان ربنا قيم على كل شي ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال السم تعلمون ان الله لا ينجي عليه شي في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يمجد قالوا بلى

قال السثم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحبل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذي كما يُغذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكروا فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية

✽ المعنى ✽

ان الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايان أيضاً فقال (ألم) وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه وفي محله في اول سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروي عن ابن عباس انه قال الحي القيوم اسم الله الاعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (ع) في حمل عرش بلقيس من سبا الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه (نزل عليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ بالصدق في اخباره ﴿ والثاني ﴾ بالحق اي بما توجه الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين (مصدقا لما بين يديه) اي لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتاده والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهره كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقا ههنا قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه مصدقا لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته (ص) من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو عند الله علام الغيوب ﴿ والثاني ﴾ ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وبناتوا به من الكتب ولا يكون مصدقا للبعض ومكذبا للبعض (وانزل التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (من قبل) اي من قبل انزال القرآن (هدى للناس) مفعول له اي دلالة وبيانا وقيل يعني به الكتب الثلاثة اي ليهتدي اهل كل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل إن هدى للناس حال من الكتاب اي هاديا للناس (وانزل الفرقان) يعني به القرآن وانما كثر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائدة غير فائدة الاخرى فإن الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحج وغيره من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيدان من شأنه ان يكتب وروي عبدالله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) انه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يُصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الأدلة الفاصلة بين الحق والباطل عن ابي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد (ص) على من حاجه في امر عيسى وقيل المراد به النصر (ان الذين كفروا بآيات الله) اي بحججه ودلالاته (لهم عذاب شديد) لما بين حججه الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك بوعيد من خالف فيه وجعله ليتكامل به التكليف (والله عزيز) اي قادر لا يتسكن احد ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزازي منيعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عزّ بزأي من غلب سلب لأن الغالب يمتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز اي تمتنع من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شي (ذو انتقام) اي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهاى لأحد منعه والانتقام مجازاة المسي على اساءته (ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء) لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الأدلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شي فيكون في ذلك تحذير من الاعتزاز بالاستسرار بمعصيته لأن المجازي لا تخفى عليه خافية فان قيل لم قال لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ولم يقل لا يخفى عليه شي على وجه من الوجوه فيكون اشدّ مبالغة قلنا لان الغرض ان يُعلمنا انه يعلم ما يستسر به في الارض او في السماء والافصح بذكر ذلك اعظم في النفس واهول في الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شي فان قيل لم لم يقل انه عالم بكل شي في الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه لا يخفى عليه شي يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وانما لا يخفى عليه شي لأنه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما وما

٤٠٨ (سورة آل عمران) قوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء. الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب

ج ٢

يصح ان يكون معلوما لانهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه

قوله تعالى (٦) 'هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آية)

﴿ اللغة ﴾

التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشيء في التأليف واصلها من صاره يصورها اذا اماله لانها مائلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصيغة ان الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل شيئا على بنية والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحمً والمشينة هي الارادة

﴿ الإعراب ﴾

كيف في موضع نصب على المصدر تقديره أي نوع يشاء. وجملة يشاء في موضع الحال من يصور أي يصوركم في الارحام أي يخلق صوركم في الارحام شائيا مريدا أي نوع اراده

﴿ المعنى ﴾

(هو الذي يصوركم) أي يخلق صوركم في الارحام (كيف يشاء) على أي صورة شاء. وعلى أي صفة شاء. من ذكر اوانسى او صبيح او دميم او طويل او قصير (لا إله الا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في افعاله ودلت الآية على وحدانية الله وكمال قدرته وقام حكيمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيدمن انواع البدائع من غير آله ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء. بعوضة ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد (ع)

قوله تعالى (٧) 'هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

المحكم مأخوذ من قولك احكمت الشيء اذا ثقفته واتقنته وأم الكتاب اصله ومكة أم القرى ويقال لطم الجيش أم واصله أممة ولذلك يجمع على اممات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا فيفض اخذ من الشبه لانه يشبه به المراد والزيج الميل وازاغه اماله والتزيغ التبايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار أي اختبرته وقيل مضاه خلصته والتأويل التفسير واصله المرجع والمصدر من قولهم آل امره الى كذا يرزول أولا اذا صار اليه وأولته تلويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى:

عَلَىٰ أَنهَا بَكَتْ تَأْوَلَّ حُبَّهَا تَأْوَلَّ رَبِّي السِّقَابِ فَاصْحَبَا

أي كان حبها صغيرا فأل الى العظم كما آل السب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبر والراسخون

الثابتون يقال رسخ رسوخاً اذا ثبت في موضعه وارسخه غيره

الإعراب

منه آيات جملة من مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من انزل وتقديره انزل الكتاب محكما ومتشابهاً أم الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها صفة لايات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدأ محذوف وتقديره ومنه آيات اخر ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخرفارقت اخواتها والاصل الذي عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى والصغر فلما عدل عن مجرى الالف واللام واصل افضل منك وهي بما لا تكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي إنما لم تصرف لأنه صفة وهذا غلط لأن قولهم مالٌ بُدِّ وَحُطِّمٌ منصرفان مع كونها صفة وابتداء نصب لأنه مفعول له في الموضعين وكلٌ من عند ربناء مبتدأ وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه منه عند البصريين ولا يجوزون إنما كلا فيها على الصفة وأجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه اسما كان او صفة وإنما بني قبل على الغاية ولم يبن كل وإن حذف من كل واحد منها المضاف اليه لأن قبل ظرف يُعَرَّفُ وَيُنَكَّرُ ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف اليه والاعراب الذي يدل على تنكيده بالانفصال وليس كذلك كل لأنه معرفة في الافراد دون نكرة فاما ليس غير فشبّه بحسب لما فيه من معنى الأمر

المعنى

لما تقدم بيان ازال القرآن عقبه بيان كيفية ازاله فقال (هو الذي اتزل عليك) يا محمد (الكتاب) أي القرآن (منه) أي من الكتاب (آيات محكمات من أم الكتاب) أي اصل الكتاب (وأخر متشابهات) قيل في المحكم والمتشابه اقوال **١** احدها **٢** ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقرون اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوح نحو قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم بمقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لا لباسه نحو قوله وأضله الله على علم فإنه يفارق قوله وأضلهم السامري لأن اضلال السامري قبيح واضلال الله تعالى حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم تشبهه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وإنما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور ألا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء. والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه **٣** والثاني **٤** ان المحكم والناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس **٥** والثالث **٦** ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجه واحد والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً عن محمد بن جعفر بن الزبير والي علي الجبائي **٧** ورابعها **٨** ان المحكم ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد **٩** وخامسها **١٠** ان المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وإنما وحد أم الكتاب ولم يقل من أمهات الكتاب لوجهين **١١** احدهما **١٢** انه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال من أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نعم نظيره **١٣** والثاني **١٤** ان الآيات بمجموعها أصل الكتاب وليست كل آية محكمة أم الكتاب وأصله لأنها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لأن شأنها واحد في انها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها ولو أراد ان كل واحد منها آية على التفصيل لقال آيتين (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وإنما يحصل الزيغ بشك او جهل (فيتبعون ما تشابه منه) أي يحتجون به على باطلهم (ابتغاء للفتنة) أي لطلب الضلال والاضلال وفساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضغاء الخلق عن مجاهد

وقيل لطلب الشرف والمال كما سمي الله الملئ قننة في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هاهنا الكفر وهو المروي عن أبي عبد الله وقول الربيع والسدي "وابتغاء" تأويله "ولطلب" تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة اكل^(١) محمد على حساب الجمل وابتغاء عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تأويلا اي عاقبة وقول العرب تأول الشيء إذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم تأويله انهم طلبوا تأويل بعثهم وحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه إلا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون إلا تأويله واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وفد نجران لما حاجوه في أمر عيسى وسألوه فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعني انهم قالوا ان الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء البدن كان في وقته به كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على ان القديم تعالى ليس بذي اجزاء واعضاء وإنما يضاف الروح اليه تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل^(٢) هذه الأمة واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل هم المنافقون عن ابن جريج وقيل بل كل من احتج بالمشابهة لباطله فالآية فيه عامة كالحرورية والسبائية عن قتادة (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) اي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله والالراسخون في العلم فإنهم يعلمونه (ويقولون) على هذا في موضع النصب على احوال وتقديره قائلين (أمانا به كل من عند ربنا) كقول ابن المفرغ الحميري

الرَّبِيعُ بَبْكِي شَجْوَةٌ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامَةٍ

أي والبرق يبكي ايضا لامعا في غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار أبي مسلم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) فإنه قال كان رسول الله افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التأويل والتزويل وما كان الله ليتزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله وبما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم والقول الآخر ان الراو في قوله والراسخون واو الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون أمانا به فيكون مبتدأ وخبرا وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والجبائي وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بمدة اكل^(٣) هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك ما استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يعني الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا (وما يذكر) أي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه إلى المحكم (إلا أولوا الأنباب) أي ذوو العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى في القرآن المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الحواطر في استنباط المعاني وقال القاضي الماوردي قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله آر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه ايضا بأنه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمضى الأحكام الاتقان والمنع أي

(١) (٢) الاكل بالضم وضمين : الرزق و العظ من الدنيا (٣) الحرورية : الخوارج . السبائية : اتباع

هو ممنوع باتقانه واحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابهاً أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه

قوله تعالى (٨) رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٩) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ (آيَات)

اللغة

الهاء تليق الشيء من غير مثناة والهاء والنحلة والصلة نظائر وفي لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والبدال ولدن بفتح اللام والبدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولد بحدف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت

الإعراب

اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزء دخلت على ما يليه فأغنت عن في لأن حروف الأضافة متواخية لما يجمعها من معنى الأضافة وقد كان يجوز فتح أن في قوله إن الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لأن الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به

المعنى

(ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكروهم الله في الآية الأولى وذكر في تأويله وجوه **أحدها** ان معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتسيل قلوبنا عن الايمان بعد إذ وفقتنا بالطائف حتى هديتنا اليك وهذا دعاء بتمثيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تحل بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكانهم قالوا لا تحل بيننا وبين نفوسنا بمنك التوفيق والالطاف عنا فتزيغ ونضل وإما يمنع ذلك بسبب ما يكتبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم **وثانيها** ان معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه سبحانه لأن ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجساً إلى رجسهم ولم يزدهم دعائي إلا فرارا **وثالثها** ما قاله ابو علي الجبائي ان المراد لا ترغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك وهو ما ذكره الله من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للإسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنع الكافرين كما قال تعالى أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ومن ذلك كتابته الايمان في قلوب المؤمنين كما قال أولئك كتب في قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هي سعات الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم سألوا الله ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب **رابعها** أن الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضى ذلك انه تعالى سئل عما لولا المسئلة لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانتقاع اليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب ان لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق وقال ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكيا عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فإن قيل هلا جاز على هذا أن يقول ربنا لا تظلمنا ولا

تَجْرَ علينا فالجواب إنما لم يجز ذلك لأن فيه تسخطا من السائل وإنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه (وهب لنا من لدنك رحمة) اي من عندك لطفًا نتوصل به إلى الثبات على الايمان إذ لا نتوصل إلى الثبات على الايمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك وقيل نعمة (إنك أنت الوهاب) المعطي للنعمة الذي شأنه الهبة والعطية (ربنا) اي ويقولون ياسيدنا وخالقنا (انك جامع الناس) للجزاء (ليوم) اي في يوم (لا ريب فيه) أي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن أقرارهم بالبعث (إن الله لا يخلف الميعاد) أي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وإن خالف آخر الكلام اوله في الخطاب والنية فيكون مثل قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا إنك لا تخلف ما وعدته وقيل انه على الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله تعالى

قوله تعالى (١٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الوقود الحطب والوقود ايقاد النار

﴿ المعنى ﴾

ثم بين تعالى حال الذين في قلوبهم زيغ فقال (إن الذين كفروا) بآيات الله ورسله (لن تغني) أي لن تدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً) قال ابو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد وهي على اصلها لا ابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غنا ابتداء وانتهاء وقيل معناه من عذاب الله شيئاً (وأولئك هم وقود النار) أي حطب النار تتقد النار بأجسامهم كما قال في موضع آخر **حَصَبُ جَهَنَّمَ**

قوله تعالى (١١) **كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يُدَوِّبُهُمْ** **وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (آية)

﴿ اللغة ﴾

الدَّابُّ العادة يقال دَابَّ يَدَابُّ دَابًا ودَابًا إذا اعتاد الشيء وتَمَرَّنَ عليه والدَّابُّ الاجتهاد يقال دَابَّ في كذا دَابًا ودَوَّوْبا إذا اجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا إلى العادة لأنه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير
لَأَرْجَحَنَّ بِالْفَجْرِ نَمَّ لَادَنْبِنَ إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفْلٌ (١)
والذنب والجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب والذنب تلو الشيء يقال ذنبه يذنبه إذا تلاه والذنب الدلو لأنها تالية للجبيل في الجنب والذنب النصيب لأنه كالدلو في الانعام والذنب الفرس الوافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمي بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب

﴿ الإعراب ﴾

الكاف في قوله كذاب متعلق بمحذوف وتقديره عادتهم كمادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بأنها خبر مبتدأ ولا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صلة الذين قد انقطعت بالخبر ولكن جاز أن يكون في موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسامهم كما تتقد بأجسام آل فرعون كذبوا جملة

(١) حكى عن الشراح : الطفل بكسر الطاء اي الان بمعنى ولادة طفل النافه .

في موضع الحال والفاعل فيه المعنى في دأب آل فرعون وقد مقدرة معه

المعنى

عادة هؤلاء الكفار في التكذيب وبما أنزل اليك (كذاب آل فرعون) أي كعادة آل فرعون في التكذيب برسولهم وما أنزل اليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والنسدي وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار في قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون في قهر موسى عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في انزال العذاب بهم بما سلف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع والكسائي وأبي عبيدة وقيل كما مر آل فرعون وشأنهم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب (والذين من قبلهم) يعني كفار الأمم الماضية (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذة لأنها أخذ بالذنب فلا أخذ بالذنب عقوبة (والله شديد العقاب) لمن يعاقبه

قوله تعالى (١٢) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ (آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء. فيها والباقون بالتاء.

الحجة

من اختار التاء فلعله قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فلتصرف في الكلام والانتقال من خطاب المواجهة الى الخبر بلفظ الغائب وبوئده قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قل للذين آمنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير في ستغلبون للمشركين لأن اليهود اظهروا السرور بما كان من المشركين يوم احد فطلى هذا لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب

اللغة

الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم وهم خلفه لأنه آخر الائمة فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اساء النار وقيل اخذ من الجهنام وهي البئر البعيدة القمر والمهاد القرار وهي الموضع الذي يتشهد فيه اي ينام فيه مثل الفراش

التزول

روى محمد بن اسحاق بن يسار عن رجاله قال لما اصاب رسول الله قريشا بيدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يامعشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يفرنك انك لقيت قوما اغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروى ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل نزلت في مشركي مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود لما قتل الكفار بيدر وهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به فقلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة في ستين راكبا فوافقهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا

واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر ما اصاب القرون الخالية بالكذب للرسل من العذاب حذر هؤلاء من ان يحل بهم ما حل بأولئك فقال تعالى (قل للذين كفروا) اما مشركي مكة او اليهود على ما تقدم ذكره (ستغلبون) اي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا (وتحشرون) اي تجمعون (الى جهنم) في الآخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ سيفلون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون من غير المطاطين وانهم قوم آخرون ويمكن ان يكونوا اياهم قال الفراء يقال قل لعد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء فلا يجوز ان يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين (وبش المهاد) اي بنس ما مهد لكم وبش ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بش القرار عن الحسن وقيل بش الفراش المهديهم وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) لان مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه بين اخبارا كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما ان كل واحد منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول كذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الضبرين وهو انهم سيفلون ثبت صدقه في الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم

قوله تعالى (١٣) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَابِ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (آية)

القراءة

قرأ اهل المدينة والبصرة عن ابي عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء

الحجة

قال ابو علي (ره) من قرأ يرونهم بالياء فلأن بعد الخطاب غيبة وهو قوله فنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم اي ترى الفنة المقاتلة في سبيل الله الفنة الكافرة مثلهم ومما يؤكده الياء قوله مثلهم ولو كان على التاء لكان مثلكم وان كان قد جاء وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ورأيت هنا هي المتعدية الى مفعول واحد ويدل على ذلك تقيده برأى العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثلهم على الحال لا على انه مفعول ثان واما مثل فقد يفرد في موضع التثنية والجمع فمن الافراد في التثنية قوله ﴿وَسَاقِيَيْنِ مِثْلِ زَيْبِلٍ وَجَعَلِ﴾ ومن افراده على الجمع قوله انكم اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرأ ترونهم فللخطاب الذي قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونهم مثلهم فالضير في ترونهم للمسلمين والضير المنسوب للمشركين اي ترون ايها المسلمون المشركين مثل المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونهم فوجه ما قاله ابن جني ان رأيت وأرى اقوى في اليقين من رأيت وأرى تقول أرى ان سيكون كذا اي هذا غالب ظني وأرى ان سيكون كذا اي اعلمه واتحققه

اللغة

قد ذكرنا معنى الفنة عند قوله كم من فنة قليلة غلبت فنة كثيرة والاتقاء والتلاقي والاجتماع واحد والايدي

القوة ومنه قوله تعالى وداود ذا الأيد يقال إيدته أيده أي قوته وأيدته أيدهم تأييدا بمعناه والعبارة الآية يقال اعتبرت بالشيء اعتبارا وعبارة والعبور النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر وسميت الآية عبارة لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل والمعتبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بما رأى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى إلى المخاطب والعبارة تفسير الرويا والتعبير وزن الدراهم وغيرها والعبارة الدمعة واصل الباب النفوذ

الإعراب

قوله فنة تحمل ثلاثة أوجه من الأعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فنة كذا وأخرى كذا والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير

وَكُنْتُ كَذِبِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَبِيحَةٍ
وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتِ
أَنشَدَ بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ وَقَالَ ابْنُ مَفْرُوحٍ
وَكُنْتُ كَذِبِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَبِيحَةٍ
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةَ
وَقَالَ آخِرُ

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَيْنِ شَامِتٍ
وَأَخْرُ مَثْنِي بِالَّذِي بَكُنْتُ أَصْنَعُ

ولا يجوز أن يقول مرتت بثلاثة صريع وجريح بالجر لأنه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فإن قلت مرتت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فإن زدت فيه اختلفوا جاز الأوجه الثلاثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله رأى العين يجوز أن يكون مصدرا ليرى والعين في موضع الرفع بانه الفاعل ويجوز أن يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونهم أمامكم

التزول

نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله (ص) والمهاجرين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل في جيش رسول الله (ص) سبعين بعيرا والحيل فرسين فرس للمقداد بن أسود وفرس لمروث بن أبي مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي (ع) وابن مسعود انهم كانوا الفا وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة إلى الف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر أول مشد شهده رسول الله (ص) وكان سبب ذلك غير ابي سفيان

المعنى

لما وعد سبحانه الظفر لأهل الإيمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والظفر فقال (قد كان لكم آية) قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أي كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الرقعة وقيل للمشركين واليهود آية أي حجة وعلامة ومعجزة دلالة على صدق محمد (ص) (في فتنين التقتا) أي فرقتين اجتمعتا بدر من المسلمين والكافرين (فنة) فرقة (تقاتل) تعارب (في سبيل الله) في دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه (وأخرى) أي فرقة أخرى (كافرة) وهم المشركون من أهل مكة (يرونهم مثليهم) أي ضعفهم (رأى العين) أي في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم

(١) أزد ابو حنيفة من اليمن . وشنوثة : قبيلة كانت مع معاوية في وقعة صفين . وعثمان قبيلة كانت مع علي (ع) فيها .

قَالَ اللَّهُ فِي أَعْيُنِهِمْ حَتَّى رَأَوْهُمْ سِتْمَانَةَ وَسِتَّةَ عَشْرِينَ رَجُلًا تَقْوِيَةً لِقُلُوبِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ قِيلَ لَهُمْ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَفْلِبُوا مِائَتِينَ فَأَرَاهُمْ اللَّهُ عِدْدَهُمْ حَسَبَ مَا حَدَّثَهُمْ مِنَ الْعَدَدِ الَّذِي يَلْزِمُهُمْ أَنْ يَقْدُمُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يَجْحَرُوا عَنْهُمْ وَقَدْ كَانُوا ثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْعَدَدُ الْقَلِيلُ عَلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَقِيلَ إِنَّ الرُّبُوبِيَّةَ لِلْمُشْرِكِينَ يَعْنِي يَرَى الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ ضَعْفِي مَا هُمْ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ الْقِتَالِ قَتَلَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَجْتَرُّوا عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْصُرُوا فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الْقِتَالِ كَثُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَجْبِنُوا وَقَتَلَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ لِيَجْتَرُّوا عَلَيْهِمْ وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَإِذْ يَبْكُوكُمْ إِذَا التَّقِيمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلَقُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ الْآيَةُ وَذَلِكَ أَحْسَنُ سَبَابِ النَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْحَذْلَانِ لِلْكَافِرِينَ وَهَذَا قَوْلُ السُّدِيِّ وَإِنَّمَا يَتَأْتِي هَذَا الْقَوْلُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ فَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ فَلَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا قَوْلُ الْأَوَّلِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْحَطَابُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا وَهُمْ الْعَبْيُونَ بِقَوْلِهِ قَسَلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتَلْبُونَ وَيَحْشُرُونَ وَهُمْ يَهُودُ بَنِي قَيْنِقَاعَ فَكَأَنَّهُ قَالَ تَرَوْنَ أَيُّهَا الْيَهُودُ الْمُشْرِكِينَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهُمْ عَلَيْهِمْ فَلَا تَفْتَرُوا بِكَثْرَتِكُمْ وَاخْتَارَ الْبَلْخِيِّ هَذَا الْوَجْهَ أَوْ يَكُونُ الْحَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا الرَّؤْمَةَ أَي تَرَوْنَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلِي الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ الْفَرَاءُ يَحْتَمِلُ قَوْلَهُ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ يَعْنِي ثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ لِأَنَّكَ إِذَا قَلْتَ عِنْدِي أَلْفٌ وَأَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِهَا فَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى الْفَيْنِ لِأَنَّكَ تَرِيدُ أَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِهَا مِضَافًا إِلَيْهَا لَا بِعَنَى بَدَلًا مِنْهَا فَكَأَنَّكَ قَلْتَ أَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِهَا وَإِذَا قَلْتَ أَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِهَا فَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَكَذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْمَعْنَى يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ مِضَافًا إِلَيْهِمْ فَذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَمْثَالِهِمْ قَالَ وَالْمَعْجَزُ فِيهِ إِذَا كَانَ مِنْ جِهَةِ غَلْبَةِ الْقَلِيلِ الْكَثِيرِ وَأَنْكَرَ هَذَا الْوَجْهَ الزَّجَاجُ لِمُخَالَفَتِهِ لظَاهِرِ الْكَلَامِ وَمَا جَاءَ فِي آيَةِ الْإِنْفَالِ مِنْ تَقْلِيلِ الْأَعْدَادِ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَصِحُّ تَقْلِيلُ الْأَعْدَادِ مَعَ حُصُولِ الرُّبُوبِيَّةِ وَارْتِفَاعِ الْمَوَاقِعِ وَهَلْ هَذَا إِلَّا قَوْلٌ مِنْ جَوَازِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ أَجْسَامٌ لَا يَدْرِكُهَا أَوْ يَدْرِكُ بَعْضَهَا دُونَ بَعْضٍ قَلْنَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّقْلِيلُ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَظُنُّوهُمْ قَلِيلًا الْعَدْلًا أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِمَا يَدْرِكُهُ الْإِنْسَانُ جَمَلَةٌ غَيْرُ الْعِلْمِ بِمَا يَدْرِكُهُ مَفْضَلًا وَأَنَا قَدْ نَدْرِكُ جَمْعًا عَظِيمًا بِأَسْرِهِمْ وَنَشْكُ فِي أَعْدَادِهِمْ حَتَّى يَقَعَ الْخِلَافُ فِي حَرَزِ عِدْدِهِمْ فَفَعِلَ هَذَا يَكُونُ الْوَجْهَ تَأْوِيلُ تَقْلِيلِ الْأَعْدَادِ وَقَوْلُهُ (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ) النَّصْرُ مِنْهُ سَبْعَانَةٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ نَصْرٌ بِالْغَلْبَةِ وَنَصْرٌ بِالْحُجَّةِ فَالنَّصْرُ بِالْغَلْبَةِ إِذَا كَانَ بِغَلْبَةِ الْعَدَدِ الْقَلِيلِ لِلْعَدَدِ الْكَثِيرِ عَلَى خِلَافِ مَجْرَى الْعَادَةِ وَبِأَنَّ أَمْدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَقَوَى بِهِ نَفْسَهُمْ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَدَّةِ وَالنَّصْرُ بِالْحُجَّةِ وَهُوَ وَعَدَهُ الْمُتَقَدِّمُ بِالْغَلْبَةِ لِأَحَدِي الطَّائِفَتَيْنِ لَا مَحَالَةَ وَهَذَا مَا لَا يَطْلُغُهُ إِلَّا عِلْمُ الْغُيُوبِ (إِنْ فِي ذَلِكَ) أَي فِي ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ قَتْلِهِمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَتَقْلِيلِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ (لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ) أَي لِذَوِي الْعُقُولِ كَمَا يَقَالُ لِفُلَانٍ بَصِيرٌ بِالْأُمُورِ وَلَا يَرَادُ بِهِ الْأَبْصَارُ بِالْحَوَاسِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ سَائِرُ الْحَيَوَانَ

قوله تعالى (١٤) زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَأْتَبِ (آيَةٌ)

— اللغۃ —

الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس إلى المشتى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتها. والشهوة من فعل الله ولا يقدر عليها احد من البشر وهي ضرورية فينا فإنه لا يمكننا دفنها عن نفوسنا والقناطر جمع قنطار وهو

المال الكثير العظيم وأصله من الاحكام يقال قنطرت الشيء أحكمته والقنطر الدائمة وقيل أصله من القنطرة وهو البناء المقود للعبور والمقنطرة المحصلة من قناطر كقولهم دراهم مدرهمة أي مجعولة كذلك ودنانير مدرة وقيل إنما ذكر المقنطرة للتأكيد وقد يوتى بالمفعول والفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله حجراً محجوراً ونسباً منسياً والفاعل كقولهم شعرشاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتأكيد وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في مشيها والاختيال من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبرا والمسوومة من قولهم أسمت الماشية وسومتها إذا رعيتها واليسيا الحسن والسيما بمعناه قال الشاعر:

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً لَهُ سِيَمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصْرِ

والسيما العلامة وهو اصل الباب والمآب المرجع من الأوب وهو الرجوع

المعنى

ثم أنزل الله تعالى ما أخبر به عن السبب الذي دعا الناس إلى العدول عن الحق والهدى والركون إلى الدنيا فقال (زين للناس حب الشهوات) أي حب المشتبهات ولم يرد بها نفس الشهوة ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فوالله ما أجد آدمً للدينا بمن خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل إليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديداً للتكليف كما قال سبحانه إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقيح عن أبي علي الجبائي ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال (من النساء) لأن الفتنة بين أعظم وقال النبي (ص) ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء. وقال النساء جائل الشيطان وقال أمير المؤمنين (ع) المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها وهي عقرب حلوة للسمعة ثم قال (والبنين) لأن جهم يدعو إلى جمع الحرام وقال النبي (ص) للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولدٍ قال نعم لي منها غلام ولوددت ان لي به حفنة من طعام أطعمها من معي من بني جبلة فقال لئن قلت ذلك انهم لثمرة القلوب وقررة العين وانهم مع ذلك لمجنبة مبجلة مخزونة (والقناطر) جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل الف ومائتا أوقية عن معاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل الف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار او اثنا عشر الف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون الفا من الدراهم او مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون الف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو مل مسك ثور ذهباً عن أبي نصره وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (والمقنطرة) المضاعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطر عن الفراء. وقيل هي الأموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هي من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيها جميعاً وجميع الأقوال يرجع إلى الكثرة (والخيل المسومة) قيل معناه الأفراس الراعية عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسن من السياميا وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس (المعدة للجهاد عن ابن زيد (والأنعام) وهي جمع النعم وهي الإبل والبقر والغنم من الضان والمز ولا يقال لحسن منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها يظن عليه جملة وتفصيلاً (والحراث) معناه الزرع هذه كلها محببة إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين ان ذلك كله مما يتمتع به في الحياة ثم يزول عن صاحبه والمرجع إلى الله فأجدر بالإنسان أن يزهد فيه ويرغب فيما عند ربه فقال (ذلك متاع الحياة الدنيا) يعني كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحياة الدنيا ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) يعني حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الإياب

قوله تعالى (١٥) قُلْ أَوْ نَبِّشْكُمْ بِغَيْرِ مَنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القرآن والباقون بكسر الراء.

﴿ الحجة ﴾

الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالرئمان والحمران ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران والكفران

﴿ الإعراب ﴾

منتهى الاستفهام في أو نبشكم عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله بغير من ذلك ثم ابتداء فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية في اعراب جنات الرفع والجر فالجر على أن يكون آخر الكلام عند ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بالفين ولا خيك مائتين حتى يقول بمائتين ولو قدمت قلت ومائتين لأخيك لجاز وخالدين نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما صغر تعالى الدنيا وزهد فيها في الآية الأولى عظم الآخرة وشرفها ورغب فيها في هذه الآية فقال (قل) يا محمد لأمتك (أو نبشكم) أخبركم (بغير من ذلكم) بأنفع لكم مما سبق ذكره في الآية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها (للذين اتقوا) ما حرم الله عليهم (عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت أشجارها الأنهار وعلى القول الآخر أخبركم بغير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتداء فقال جنات أي ذلك الخير جنات تجري من تحت أنبيتها الأنهار ويين الله بهذا ان انهار الجنة جارية ابدأ ليست كأنهار الدنيا التي يجري ماؤها تارة وينقطع أخرى (خالدين فيها) أي مقيمين في تلك الجنات (وأزواج مطهرة) من الحيض والنفاس وجميع الأقدار والادناس والطبائع الذميمة والأخلاق اللثيمة (ورضوان من الله) ووراء هذه الجنات رضوان من الله (والله بضير بالعباد) أي خبير بأفعالهم واحوالهم

قوله تعالى (١٦) الَّذِينَ يَفْعَلُونَ رِبًّا أَمْ آتًا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقْنَا عَذَابَ النَّارِ
(١٧) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ [آياتان]

﴿ اللغة ﴾

المفخرة هي السر للذنوب برفع التبعة والذنوب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما أوجب عليه من للعبادات والصادق المنبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر أصله الحفا. الحفا. الشخص في ذلك الوقت والسحر منه ايضاً الحفا. سبه والسحر الرثة الحفا. موضعها

(الجزء الثالث) قوله تعالى شهد الله انه لا إله إلا هو وأولو العلم قائما بالقسط الى قوله فإن الله سريع الحساب ٤١٩

﴿ الإعراب ﴾

يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز أن يكون جرّاً على الصفة للذين اتقوا

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال (الذين يقولون) اي المتقين القائلين (ربنا إننا آمنّا) صدقنا الله ورسوله (فاغفر لنا ذنوبنا) اي استرنا علينا وتجاوزها عنا (وقنا) اي وادفع عنا (عذاب النار) ثم وصفهم بصفات آخر ومدحهم واثني عليهم فقال (الصابرين) اي على فعل ما أمرهم الله به وترك ما نهاهم عنه وإن شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية (والصادقين) في إيمانهم واقوالهم (والقانتين) قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القانتين بالواجبات عن القاضي (والمنفقين) اموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكاة المفروضة والتطوع بالانفاق (والمستغفرين بالاسحار) المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن أبيه (ع) عن ابي عبد الله (ع) وقيل السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس وقيل المصلين صلاة الصبح في جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه ويدعون عن الحسن وروى عن أبي عبد الله ان من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من اهل هذه الآية وروى أنس بن مالك عن النبي (ص) انه قال ان الله عز وجل يقول اني لأهم بأهل الارض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتجهدين وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالاسحار صرفته عنهم

قوله تعالى (١٨) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (١٩) إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي أن الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروى عن ابن عباس قال انه لا إله إلا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه الكسر في إن لأن الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح ان جعله بدلا والبدل وإن كان في تقدير جملة فإن العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيئين ﴿ احدهما ﴾ من قوله انه لا إله إلا هو فكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو وإن شئت جعلته من بدل الاشتغال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل وإن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز في العربية فتحها جميعا وكسرهما جميعا وفتح الأولى وكسر الثانية وكسر الأولى وفتح الثانية فمن فتحها اوقع الشهادة على أن الثانية وحذف حرف الإضافة من الأولى وتقديره شهد الله انه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الاسلام ومن كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم لله تعالى كما قيل لبيك

٤٢٠ (سورة آل عمران) لغة واعراب ومضى قوله تعالى شهد الله انه لا إله الا هو واولوا العلم قائما بالقسط

إن الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لأن معنى شهد معنى قال قال المورج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الأولى وكسر الثانية وهو الأجد وعليه أكثر القراء. أوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية ومن كسر الأولى او فتح الثانية اعترض بالأولى وأوقع الشهادة على الثانية

اللغة

حقيقة الشهادة الإخبار بالشيء عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة بمعنى الدين هاهنا الطاعة واصله الجزاء. وسميت الطاعة ديناً لأنها للجزاء. ومنه الدين لأنه كالجزاء. في وجوب القضاء. والإسلام اصله السلم (المعناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لأنها اتقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد فالإسلام هو تأدية الطاعات على السلامة من الادغال والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح من الإيمان وعندنا الإيمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي (ص) من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك التكبير عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان وهو الإسلام فالإسلام هو الإيمان ونظير ذلك قولنا الإنسان بشرو الإنسان حيوان على الصورة الإنسانية فالحيوان على الصورة الإنسانية بشر والاختلاف ذهاب احد النفسين إلى خلاف ما ذهب اليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان فاما الاختلاف في الأجناس فهو امتناع أحد الشيتين أن يسد مسد الآخر فبما يرجع إلى ذاته والبغي طلب الاستعلاء. بالظلم وأصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها

الإعراب

قيل في نصب قائما قولان (١) أحدهما (٢) انه حال من اسم الله تعالى مؤسدة لأن الحال المؤسدة يقع مع الأسماء. في غير الإشارة تقول انه زيد معروف وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اي قائما بالعدل (والثاني) انه حال من هو من قوله لا إله الا هو وبميا نصب على وجوب (٣) أحدهما (٤) على انه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اتوا الكتاب للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف كأنه لما قيل وما اختلف الذين اتوا الكتاب دل على (٥) وما بغي الذين اتوا الكتاب بفعل بغي عليه

المعنى

لما قدم تعالى ذكر ارباب الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال (شهد الله انه لا إله الا هو) أي اخبر الله بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنفته وبديع حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبيّن ذلك فإن الشاهد هو العالم الذي يبيّن ما عليه ومنه شهد فلان عند القاضي اي بيّن ما عليه فانه تعالى قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبيّن انه لا يقدر احد ان ينشئ شيئا واحدا ما انشأه (والملائكة) اي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته (واولوا العلم) أي وشهد اولوا العلم بما ثبت عندهم وتبين من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير شهد الله انه لا إله الا هو (قائما بالقسط) وشهدت الملائكة انه لا إله الا هو قائما بالقسط وشهد اولوا العلم انه (لا إله الا هو) قائما بالقسط والقسط العدل الذي قامت به السموات والأرض ورواه اصحابنا ايضا في التفسير واولوا العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور وتدبير الخلق وجزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة وانما كرر قوله لا إله الا هو لأنه بيّن بالاول انه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالثاني انه القائم برزق الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله

(العزيز الحكيم) مرّ تفسيره وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلما. لأنه تعالى قرن العلم بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصّهم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهادة وقعت عليه وما جاء في فضل العلم والعلما من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي (ص) انه قال ساعة من عالم يتكلم على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما. وروى انس بن مالك عنه (ص) قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لأهله قرابة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في القرية والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند الغرباء. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتفى آثارهم وينتهي إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجتماعها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيطان البحار وهوامها وسباع الارض وانعامها والسما ونجومها الا وان العلم حياة القلوب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعباد منازل الاحرار ومجلس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام والعلما امام العمل والعمل تابعه يلهم السعداء ويحرم الاشقياء. وما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس عن النبي (ص) قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة. الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله (ص) وهي عشية عرفة حتى اسبح ما يقوله فنجست ناقتي بين ناقه رسول الله وناقه رجل كان الجنبه فسعته يقول شهد الله انه لا إله إلا هو الآية فما زال يرددها حتى رفع. غالب القطنان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجدهم بهذه الآية شهد الله انه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بلفك فيها؟ قال لا احداثك بها إلى سنة فكنت على باب ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) يحيا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبي هذا عهدا عندي وانا احق من وفي بالعهد ادخلوا عبي هذا الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنفا فلما نزلت شهد الله انه لا إله إلا هو الآية خررن سجدوا وقوله (ان الدين) اي الطاعة (عند الله) هو (الاسلام) وقيل المراد بالاسلام التسليم لله ولاولياته وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين (ع) في خطبة له انه قال لانسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل رواه علي بن ابراهيم في تفسيره قال ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رايه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفرانه بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تقفر وان الحسنة في غيره لا تقبل (وما اختلف الذين اتوا الكتاب) معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد (ص) لما كانوا يجدونه في كتبهم بنصه وصفته ووقت خروجه (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال (بغيا بينهم) اي حسدا وتقديره وما اختلف الذين اتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم والعلما المذكور يجوز ان يراد به البيئات التي هي طرق العلم فيدخل فيه المبطلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفة محمد (ص) وكنته عنادا وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب اليهود والكتاب التوراة لما عهد موسى (ع) اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلاثة قرون واختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في امر عيسى (ع) عن محمد

ابن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الجنس ومعناه كتب الله المتقدمة واختلفوا بعدها في الدين عن الجبائي (ومن يكفر بآيات الله) أي بحججه وقيل بالتوراة والانجيل وما فيها من صفة محمد (ص) وقيل بالقرآن وما دل عليه (فإن الله سريع الحساب) أي لا يفوته شيء من أعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء. وحقيقة الحساب أن تأخذ مالك وتعطي ما عليك

قوله تعالى (٢٠) **فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْإِبَادِ [آية]**

﴿ القراءة ﴾

حذف عاصم وحمة والكسائي الياء. من اتبعن اجتزا. بالكسرة واتباعا للمصحف واثبتها الباقون على الاصل

﴿ الحجة ﴾

حذف الياء. في اواخر الآي أحسن لأنها تشبه التوافي ويجوز في وسط الآي أيضا وأحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فإن لم يكن نون جاز أيضا نحو قولك هذا غلام. وما أشبه ذلك والاجود اثبات الياء. وإذ شئت اسكنت الياء. وان شئت فتحتها

﴿ الإعراب ﴾

ومن اتبعن في محل الرفع عطفا على التاء. في قوله أسلمت ولم يؤكّد الضمير فلم يقل أسلمت أنا ومن اتبعن ولو قلت أسلمت وزيد لم يحسن إلا أن تقول أسلمت أنا وزيد وإنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عرضا من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل

﴿ المعنى ﴾

لما قدم الله سبحانه ذكر الايمان والاسلام خاطب نبيه فقال (فإن حاجوك) المعنى فإن حاجك وخاصك النصراني وهم وفد نجران (فقل) يا محمد (أسلمت وجهي لله) وفيه وجهان ﴿أحدهما﴾ ان معناه انقدت لأمر الله في اخلاص التوحيد له. والحجة فيه انه الزمهم على ما اقرؤا من ان الله خالقهم اتباع أمره في ان لا يعبدوا إلا اياه ﴿والثاني﴾ ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه وذكر الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لأنه لا يتبعض فيما يحتاج إلى العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم ومعنى وجهي هنا نفسي وأضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشيء أشرف ما فيه لأنه يجمع الحواس وعليه يظهر آية العز والسرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شيء هالك إلا وجهه (ومن اتبعني) أي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما أسلمت (وقل) يا محمد (لذذين أوتوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والأُمِّيِّينَ) أي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركو العرب وقد مرّ تفسير الأُمِّيِّينَ واشتقاقه عند قوله ومنهم أميون (أسلمتم) أي أخلصتم كما أخلصت لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف والتهديد فيكون متضمنا للأمر فيكون معناه أسلموا فإن الله تعالى أزاح العلل وأوضح السبل ونظيره فهل أنتم متهون أي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه بمواعظ أقبلت وعظي يدعوه إلى قبول الوعظ (فإن أسلموا فقد اهتدوا) إلى طريق الحق (وإن تولوا) أي كفروا ولم يقبلوا وأعرضوا عنه (فإنما عليك البلاغ) معناه فإنما عليك أن تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك أن لا يتولوا

(والله بصير بالعباد) معناه هاهنا انه لا يفوته شيء من أعمالهم التي يجازيهم بها لأنه بصير بهم أي عالم بهم وبسائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الايمان والكفر
 قوله تعالى (٢١) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقِطَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آياتان]**
 ﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة يقاتلون بالالف وقيل إننا قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه وقاتلوا الذين يأمرون والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء. وإنما لم يجزئ ليت الذي يقوم فيكرمك وجزاء الذي يقوم فيكرمك لأن الذي إنما دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت تبطل معنى الجزاء. وليس كذلك ان لأنها بمنزلة الابتداء.

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب وحسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان ابوا فصل في هذه الآية كفرهم فقال (ان الذين يكفرون) اي يمحذون حجاج الله تعالى وبيناته (ويقتلون النبيين) قيل هم اليهود فقد روي عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة فقال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرأ (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) ثم قال (ع) يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وثلاثين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنان عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) اي اخبرهم بأن لهم العذاب الاليم وانما قال بشرهم على طريق الاتباع والاستعارة والبشارة تكون في الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولأنها مأخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وانما قتل الانبياء اسلافهم فالجواب لانهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فأجملوا معهم وقيل معناه بشر هو لا. بالعذاب الاليم لأسلافهم وقوله بغير حق لا يدل على ان في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تأكيد التفتي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يوجب خيره والغرض في ذلك انه لا خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال ابو ذؤيب

مَتَفَلِّقٌ أَنَسَاوُهَا عَن قَانِي ۖ كَالْقَرِطِصَاوِ غَيْرُهُ لَا يَرْضَعُ (١)

اي ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقد وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان وقد استدلل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي (ص) انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لأن من شرط حسن انكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة ومتى ادى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا

(١) [بآيات الله]. (٢) الانساء جمع النساء : عرق يخرج من الوردك فيستبطن القنغذين فاذا سمنت الدابة انفلقت فخذاه بلعمتين عظيمتين وجرى النساء بينهما واستبان . أحمرقاني : شديدا الحمر . الصاوي اليابس . الغبر : بقية اللبن في الضء وقاني كالقرط كنى به عن حلة تسمى الاتان .

والوجه في الآية والأخبار التي جاءت في معناها ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لا يؤدي إلى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وإن تعقبه القتل لأنه ليس من شرطه ان يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن (أو لك الذين) كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء والأمرين بالمعروف (حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة) يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى (ع) واراد بيطلاتها في الدنيا انها لم تعن دماهم واموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مشوة فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر وانما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به (وما لهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب

قوله تعالى (٢٣) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (٢٤) ذلك بأنهم قالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفكرون [آياتان]

﴿ اللغة ﴾

النصيب الحظ من الشيء وهو القسم الموصول لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبير وبالدلالة والحكم والخبير الذي يفصل الحق من الباطل مأجود من الحكمة وهي المنع والفرور الاطماع فيما لا يصح غره يغره غرور ا فهو مفرور والفرور الشيطان لأنه يغر الناس والغار الغافل لأنه كالمغتر والفرارة الدنيا تفر اهلها والفر الغمر الذي لم يجرب الامور ومصدره الفرارة لأنه من شأنه ان يقبل الفرور والفرور الخطر اخذ منه والفر آثار طي الثوب اطوه على غره أي على آثار طيه والفرزق الطائر فرخه والافتراء الكذب وفرى فلان كذبا يغريه فرية والفرى الشق وفرية مفرية اي مشقوقة وقد تفرى خرزها اي تشفق وفريت الارض سرتها وقطعتها

﴿ الإعراب ﴾

يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب ايضا على الحال من يتولى اياما نصيب على الظرف لأن مس النار يكون في تلك الايام ومعدودات صفة الايام

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين انهم اذا عَضَّتْهم الحجة فرؤوا الى الضجة واعرضوا عن المحجة فقال (ألم تر) معناه ألم ينته علمك (الى الذين اوتوا نصيباً) اي اعطوا نصيباً اي حظاً من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعا اليها اليهود فايقوا لطلهم بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمد (ص) وصدقته وانما قال اعطوا نصيباً من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقاده دعوا الى القرآن لأن ما فيه موافق لما في التورية من اصول الديانة وركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها (ليحكم بينهم) يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان معناه ليحكم بينهم في نبوة محمد (ص) عن ابي مسلم وجاعة والثاني ان معناه ليحكم بينهم في امر ابراهيم وان دينه الاسلام والثالث معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلاً وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمها لشرفها ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرها فرفعوا امرها الى

رسول الله فحكّم عليها بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرّت عليها يا محمد ليس عليها الرجم فقال لهم رسول الله بيني وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا رجل اعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشي من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يارسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله (ص) وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليها البينة رجما وان كانت المرأة حبلية انتظر بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله (ص) باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (ثم يتولى فريق منهم) أي طائفة منهم عن الداعي (وهم معرضون) عن اتباع الحق (ذلك) معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فأنه تعالى بيّن العلة في اعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جرّأهم على الجحد والانكار (بأنهم قالوا لن تمسنا النار) أي لن تصيبنا النار (إلا أياماً معدودات) وفيه قولان أحدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوماً عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن قال سبعة ايام والثاني انهم ازادوا اياماً منقطعة عن الحيائي (وغيرهم في دينهم) أي أطعمهم في غير مطعم (ما كانوا يفترون) أي افتراءهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرهم على قولين أحدهما قولهم نحن ابناؤه واهبوا عن قتادة والآخر قولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودات عن مجاهد وهذا لا يدل على خلاف ما نذهب اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الصلاة من ليل النار لأننا نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه بايمانه لا يكون الا منقطعاً وان لم يحط علماً بقدر عقابه ولا تقول ايام عقابه بعدد ايام عصيانه كما قالوا وبين القولين برون ظاهر

قوله تعالى (٢٥) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [آية]

﴿ اللغة ﴾

كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه جاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لأن تقديره أي حال يكون حال من اعتر بالدعاوى الباطلة حتى آذاه ذلك الى الخلود في النار ونظيره قول القائل (انا اكرمك وان لم تجي فكيف اذا جتني) معناه فكيف اكرامي لك اذا جتني يريد عظم الاكرام والتقدير فكيف حالهم اذا جمعناهم أي في وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف

﴿ المعنى ﴾

ثم أكد سبحانه ما تقدم فقال (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم) أي وقت جمعهم وحشرهم (ليوم) أي لجزء يوم (لا ريب فيه) لا شك فيه لمن نظر في الأدلة اذ ليس فيه موضع ريبه وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جتته ليوم الخميس أي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطي جتته في يوم الخميس هذا المعنى (ووفيت كل نفس ما كسبت) فيه قولان أحدهما ان معناه ووفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت أي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزدون على ما استحقوه من العقاب

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُدْرِكُ الْخَيْرُ بِإِنِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٧) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آيتان]

﴿ فضل الآية ﴾

روى جعفر بن محمد (ع) عن ابيه عن آبائه عن النبي (ص) انه قال لما اراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهادته وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تطعن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن بآب تهبطننا إلى دار الذنوب والى من يعصيك ونحن مملقات بالظهور وبالعرش فقال وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة مكتوبة إلا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت اليه بصيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والاقضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعدته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة إلا ان يتوب وقال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوماً لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي أوقية من تير وكان علي بابي يرصدني فاشفقت ان يجسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب يا رحمان الدنيا ورحيمها تعطني منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء اقض عني ديني فإن كان عليك مل الأرض ذهباً لأداه الله عنك

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد الباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة انها سواء وأنشد لابن رعلو الفسائي

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَأَحَ مَيِّتٌ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيبًا كَأَسْفًا بِاللَّهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

فجمع بين اللتين وما مات وما لم يميت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يميت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول ألا ترى انه قل ما جاء
وَمَنْهَلٌ فِيهِ الْفَرَابُ مَيِّتٌ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَأَسْتَقَيْتُ
فهذا قد مات

﴿ اللغة ﴾

الترع قلع الشيء عن الشيء يقال ترع فلان إلى اخواله أي ترع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم يشبه لهم والنزاع الحنين إلى الشيء والنزوع عن الشيء الترك له الايلاج الادخال يقال اولجه قولج ولوجا وولجا وولجة والولجة بطانة الرجل لأنه يطلمه على دحلة أمره والتولج كناس الظبي لأنه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم

* الإعراب *

اللهم بمعنى يا الله والميم المشددة عند سيويه والخليل عوض عن يا لأن يا لا يوجد مع الميم في كلامهم فلم ان الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضة التي في اولها ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء اصله يا الله أم نجير فالقيت الهزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم انما اصله هل أم واعترض على قول الخليل بان الميم انما تراد مخففة في مثل قم وابنهم وبأنها اجتمعت مع يا في قول الشاعر

وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَقُولِي كَلِمًا
سَبَّحْتَ أَوْ صَلَّيْتَ يَا اللَّهُ

أُرَدِّدُ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلِّمًا

وقال علي بن عيسى هذا ليس بشي لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتني لما كانت النون عوضا من حرفين في قمتوا أو ضربتوا فاما قمتن وذهب فالنون هناك عوض من حرف واحد ولما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر ولما هلم فإن الأصل فيه ان حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضاف قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لأن اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجبة توتى الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير توتى الملك من تشاء ان توتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه وكذا الباء في بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال ايضا والعامل فيه توتى وتنزع وتمز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها

* النزول *

قيل لما فتح رسول الله (ص) مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المناقون واليهود هيهات من اين لمحمد (ص) ملك فارس والروم ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس ونزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس ابن مالك وقيل ان النبي (ص) خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان مناق قال النبي (ص) سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان ابن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا نبجّ ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله (ص) واخبره خبر هذه الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب واما ان يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحجّ ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة مسن بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجتلك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نجب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله (ص) المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان كأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتها حتى كان كأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق اضاء بها ما بين لابتها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بأبي انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله (ص) إلى القوم وقال رأيتكم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي

الاولى فبرق الذي رأيتهم اضاوت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها انياب الكلاب فأخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتهم اضاوت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتهم اضاوت لي منها قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب واخبرني جبرائيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمينكم وبعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم إنما تحضرون الحندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وانزل الله في هذه القصة قل اللهم مالك الملك توتني الملك الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف

المعنى

لما ذكر سبحانه مكايده اهل الكتاب علم رسوله حاجتهم وكيف يجيبهم إذا سألوا واجابوا فقال (قل) يا محمد (اللهم) يا الله (مالك الملك) مالك كل ملك وملك كل مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك أمر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير (توتني الملك من تشاء) تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان توتيه (وتنزح الملك ممن تشاء) ان تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت ومعناه وتقطع الملك ممن تشاء ان تقطعه عنه على ما توجه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل توتني الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه عن صناديد قريش ومن الروم وفارس فلاتقوم الساعة حتى يفتتحها اهل الإسلام عن الكلبي وقيل توتني النبوة والإمامة من تشاء من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم وازالة ايديهم فإن الكافر والفاسق وان غلب أو ملك فليس ذلك بملك يوتيه الله لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه (وتعز من تشاء) بالايان والطاعة (وتذل من تشاء) بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعطيه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واضرابه من المقتولين يوم بدر في القلب وقيل تعز من تشاء من أوليائك بانواع العزة في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والآخرة لأن الله تعالى لا يذل اوليائه وان افقرهم وابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة يعزهم ويجلهم غاية الاعزاز والاجلاك (بيدك الخير) اللامر للجنس اي الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من الخير والشر لأن الآية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن في هذه الحالة إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا في الخير وهذا كما يقال أمر فلان بيد فلان (انك على كل شيء قدير) اي قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واعادة ما كان موجودا (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) قيل في معناه قولان ﴿احدها﴾ ان معناه ينتقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين ﴿والآخر﴾ معناه يدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي (وتخرج الحي من الميت) اي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فأحياكم (وتخرج الميت من الحي) اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) (وترزق من تشاء بغير حساب) معناه بغير تقدير

كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادة المقتر أن لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخالفة نقصان لما عنده فإنه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب جزء من كذا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الألف وقيل ان المراد بن يشاء ان يوزقه، اهل الجنة لأنه يوزقهم رزقا لا يتناوله الحساب ولا العد ولا الإحصاء من حيث انه لا نهاية له وبطابقه قوله فأولئك يدخلون الجنة يوزقون فيها بغير حساب

قوله تعالى (٢٨) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّوُوا مِنْهُمْ قُتِيَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ [آية]

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وسهل تقيّة وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقرن تقاء وامال الكسائي تقاء وقرأ نافع وحزمة بين التفضيم والإمالة والباقرن بالتفخيم

﴿ الحجة ﴾

الاجود في تقاء التفضيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الإمالة لتوذن ان الالف منقلبة من الياء. وتقاء وزنها فعلة نحو تودة وتحمّة فيها جميعا مصدرا إتقى تقيّة وتقاء وإتقاء وتقوى واصلها وقا. الا ان الواو المضمومة ابدلت تا. استتقالا لها فانهم يفرّون من ضمة الواو الى الهززة والى التاء. فاما التاء فلقر بها من الواو مع انها من حروف الزيادات وأما الهززة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس

﴿ الاعراب ﴾

معنى من ابتداء الناية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادنى كما تقول زيد دونك ولست تريد أن زيدا في موضع مستقل أو انه في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والحسة كاستتقال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف وهو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله ان تتقوا في محل الجرياء. محذوف أو في محل النصب بمحذوف الباء على ما مر أمثاله

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه انه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والإذلال نهى المؤمنين عن موالاته من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين دون اعدائه الكافرين فقال (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) أى لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء. لنفوسهم وان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ولا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء. وقوله (من دون المؤمنين) معناه يجب ان يكون الموالاته مع المؤمنين وهذا نهى عن موالاته الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهى عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي وهو الذي يظفر من ارتضى فطه بالمعونة والنصرة

ويجزي على وجهين ﴿أحدهما﴾ المين بالنصرة ﴿والآخر﴾ المان بقوله تعالى ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله أي معان بنصرته وقوله (ومن يفعل ذلك) معناه من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين (فليس من الله في شيء) أي ليس هو من اولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال إلا ان تتقوا منهم تقاة والمعنى إلا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقيه منه ودفعاً عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان التقيه جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال اصحابنا انها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الافعال في قتل المؤمن ولا يعلم او يطلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد انها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً ويجوز أحياناً من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها وقد يكون تركها افضل وان كان فاعلها معذوراً ومغفوا عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي (قده) ظاهر الروايات تدل على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده وروي الحسن ان مسيلة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما اتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمداً رسول الله قال نعم ثم قال افتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال اما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضله فهيناً له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقيه رخصة والافصاح بالحق فضيلة وقوله (ويحذركم الله نفسه) يعني اياه فوضع نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي وذكر «نفسه» لتحقيق الاضافة كما يقال احذروا الأسد اي صوته واقتراسه دون عينه (وإلى الله المصير) معناه وإلى جزاء الله المرجع وقيل إلى حكمه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آية]

﴿ اللغة ﴾

الصدر معروف وهو اعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرجل لميله إلى الصدر والصدار شبيهه بالبقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير ينطى الصدر وما حاذاه

﴿ الاعراب ﴾

يعلمه الله جزم لأنه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان اولم يكن ومعناه يعلمه كائناً ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما في السموات على الاستئناف

﴿ المعنى ﴾

لا تقدم النهي عن اتخاذ الكفار اولياء خوفاً من الابطان بخلاف الاظهار فنيا نهوا عنه فقال سبحانه (قل) يا محمد (ان تخفوا) اي ان تستروا (ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم وانما ذكر الصدر لأنه محل القلب (او تبدوه) اي تظهروه (يعلمه الله) فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك (يعلم ما في السموات وما في الأرض) وانما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما في السموات

(الجزء الثالث) قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا إلى قوله إن الله لا يحب الكافرين ٤٣١

وما في الأرض على التفصيل يعلم الضير (والله على كل شيء قدير) فيقدر على اخذكم ومجازاتكم

قوله تعالى (٣٠) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُ كُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (آية)

اللغة

الأمدة الناية التي ينتهي إليها قال النابتة

إِلَّا لِشَيْئِكَ أَوْ مِنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ

الإعراب

في انتصاب يوم وجوه (١) أحدها (٢) انه منصوب يحذركم أي يحذركم الله نفسه يوم تجد (٣) والثاني (٤) بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد (٥) والثالث (٦) اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما هاهنا بمعنى الذي لأنه عمل فيه تجد فهي في موضع نصب ويحتمل أن يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله وما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله يود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا أو مكسورا والرفع جائز على ضعف وأقول ان جواب لو هنا محذوف وتقدير الكلام تود ان بينها وبينه أمدا بعيدا لو ثبت ذلك لأن لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وان مع اسمه وخبره بمثالة مصدر فيكون تقديره لو ثبت ان بينها وبينه أمدا بعيدا فيكون في ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو هذا مما سنح لي الآن وهو واضح بحمد الله تعالى ومنه

المعنى

لما حذر العقاب في الآية المقدمة بين وقت العقاب فقال (يوم تجد كل نفس ما عملت) في الدنيا (من) طاعة و (خير محضرا) ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعملت نفس ما أحضرت ثم اختلفت في كيفية وجود العمل محضرا فقبل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن أبي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فأما أعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضرة (وما عملت من سوء) معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا (تود لو أن بينها وبينه) أي بين معصيتها (أمدا بعيدا) أي غاية بعيدة أي تود انها لم تكن فعلها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل (ويحذركم الله نفسه) قد مر ذكره (والله رؤوف بالعباد) أي رحيم بهم قال الحسن ومن قام رأفته بهم ان حذرهم عقابه على معاصيه

قوله تعالى (٣١) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٢) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آيتان)

اللغة

المحبة هي الإرادة إلا انها تضاف إلى المراد تارة وإلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيدا واحب اكرام زيد ولا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وإنما كان كذلك لقوة تصرف

المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعولت تلك المعاملة في الاضافة ومحبة الله تعالى للبدني ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته لطاعته وقالوا أحببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حبيت وقال عنقوة

وَلَقَدْ نَزَّلْنَا فَلَا تَطَّيْنِي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ

فجاء به على الأصل وحكى الزجاج عن الكسائي حبيت من الثلاثي وقوله ويفر لكم لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما جاز ادغام اللام في الراء في هل رأيت لأن الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للانحلال في الطاعة اتباع الداعي فيما دعاه اليه بأمره أو إرادته ولذلك قد يكون الإنسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه اليه وإن لم يقصد ان يعطيه لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء إلى المعصية فقد أطاع الداعي اليها

﴿ النزول ﴾

قال محمد بن جعفر الزبير نزلت الآياتان في وفد نجران من النصارى لما قالوا إنا نعظم المسيح حبا لله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان الايمان به لا يجدي إلا إذا قارنه الايمان برسوله (ص) فقال (قل) يا محمد (إن كنتم تحبون الله) كما تزعمون (فاتبعوني يحببكم الله ويفر لكم ذنوبكم) وقيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدد لكم حبا عن ابن عباس وقيل إن كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فطمت ذلك أحبكم الله ويفر لكم (والله غفور رحيم) اي كثير المفرة والرحمة (قل أطيعوا الله والرسول) أي قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك اشارة صدق الدعوى (فإن تولوا) أي فإن أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإن الله لا يحب الكافرين) معناه أنه يفضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الإثبات وذلك أبلغ لأنه لو قال يفضهم لجاز أن يتوهم انه يفضهم من وجه ويحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه إذا لم يحب الكافرين من أجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذا كفرهم لأنه لو أراد لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم

قوله تعالى (٣٣) **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**
(٣٤) **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الاصطفاء الاختيار والاجتبا. نظائر هو اقل من الصفة وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأذناس وقد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية ومعنى الذرية وأصلها عند قوله ومن ذريتي^(١)

﴿ الاعراب ﴾

يحتمل نصب ذرية على وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون حالا والعامل فيها اصطفى ﴿ والثاني ﴾ أن يكون على البدل من مفعول اصطفى

* المعنى *

(إن الله اصطفى) أي اختار واجتبي (آدم ونوحا) لنبوته (وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) أي على عالمي زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله واسئل القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الأمور الجليلة التي رتبها الله لهم في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة وأسكنه جنته واسجد له ملائكته وأرسله إلى الملائكة والإنس واختار نوحاً بالنبوة وطول العمر واجابة دعائه وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار ابراهيم بالحلة وتبريد النار واهلاك غرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل أراد به نفس ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقيل آل ابراهيم اولاده اسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وفيهم داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا لأنه من ولد اسماعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون المتسكون بدينه وهو دين الإسلام عن ابن عباس والحسن وأما آل عمران فقيل هم من آل ابراهيم ايضا كما قال (ذرية بعضها من بعض) فهم موسى وهارون ابنا عمران وهو عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن المشم بن امون من ولد سليمان بن داود وهو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذي ينتسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة أهل البيت وآل محمد (ع) على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد (ص) الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاؤا بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبيا أو إماما ويقال الاصطفاء على وجهين ﴿احدهما﴾ انه اصطفاه لنفسه أي جعله خالصا له يختص به ﴿والثاني﴾ انه اصطفاه على غيره أي اختصه بالتفضيل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب انه إذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاعخبار بما يكون من حسن شمائلهم وأفعالهم والتشويق اليهم كما يكون من جلالة اقدارهم وزكا. خلاصهم ليكون ذلك داعيا للناس إلى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة والسلام لأن العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله (ذرية) أي اولادا واعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الإسلام أي دين بعضها من دين بعض كما قال المنافقون والمناققات بعضهم من بعض أي في التناصر والتعاوض على الضلال وهو قول الحسن وقناة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابراهيم وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي (والله سميع عليم) فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه سميع لما تقوله الذرية عليهم بما يضررونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في مطومه من استقامتهم في اقوالهم وأفعالهم ﴿والثاني﴾ ان معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليهم بنا تضرره ونبه بذلك على استحصان ذلك منها

﴿النظم﴾

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابراهيم وعيسى واختلف اقوال النصارى واليهود فيها بين تعالى أن من أطاع الرسول قال فيها ما يقوله هو وقيل انه لما أمر بطاعة نبيه (ص) وأبى ذلك المشركون بين تعالى انه كما اصطفاه لرسالة اصطفى من قبله من الأنبياء فلا وجه لإنكارهم رسالته

قوله تعالى (٣٥) إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً
فقبل مني إنك أنت السميع العليم (٣٦) فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى
والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنتى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروي عن علي (ع) وقرأ الباقون وضعت
على الحكاية

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بضم التاء جعله من كلام أم مريم ومن قرأ بإسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قول
من أسكن التاء قوله والله أعلم بما وضعت ولو كان من قول أم مريم لقالت وانت أعلم بما وضعت لأنها
تخاطب الله تعالى

﴿ اللفظة ﴾

معنى للحرر في اللفظة يحتمل أمرين ﴿ أحدهما ﴾ المتق من الحرية يقال حررته تحريراً اعتقته أي
جعلته حراً ﴿ والآخر ﴾ من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريراً أي أخلصته من الفساد واصلحته
والتقبل اخذ الشيء على الرضا به كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الخط وضعت المرأة الولد بمعنى
ولدت والموضع مكان الوضع والضة الحسامية لأنها تضع من قدد صاحبها والإيضاع في السير الرفق فيه لأنه
حط عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مرّ تفسيرهما في أول الكتاب

﴿ الإعراب ﴾

في موضع "إذ قالت" اقوال ﴿ أحدها ﴾ انه نصب بإذ ذكر عن الاخفش والمبرد ﴿ والثاني ﴾
انه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج ﴿ والثالث ﴾ انه متعلق بسميع عليم فيصل فيه معنى الصفتين
تقديره والله مدرك لقولها ونيتها إذ قالت عن علي بن عيسى ﴿ والرابع ﴾ ان إذ زائدة فلا موضع لها من
الإعراب عن أبي عبيدة وهذا خطأ عند البصريين ومحرراً نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في
بطني محرراً والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه واصطفى آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال (إذ قالت امرأة عمران) وقد
مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين أحدهما عند عمران بن هشام من ولد سليمان بن داود
وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران أبي موسى وبينها الف وثمانمائة سنة وكان بنو
ماثان رؤوس بني إسرائيل والأخرى كانت عند زكريا واسمها اشياح واسم ايها قاقود بن قبيل فيجي ومريم
ابنا خالة (رب إني نذرت لك ما في بطني) أي أوجبت لك بأن أجعل ما في بطني (محرراً) أي خادماً للبيعة
يخدم في متبذاتنا عن مجاهد وقيل محرراً للعباد مخلصاً لها عن الشعبي وقيل عتيقاً خالصاً لطاعتك لا استعمله في
منافعي ولا اصرفه في الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا هو كان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم

عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخبر فإن أحب أن يقيم فيه أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد أمسك عنها الولد حتى أيست فيينا هي تحت شجرة إذ رأت طائرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمريم وروي عن أبي عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت بها قالت رب إني نذرت لك ما في بطني محررا (فتقبل مني) أي نذري قبول رضا (إنك انت السميع) لما أقوله (العليم) بها أنوي فلماذا صحت الثقة لي (فلما وضعها) قيل إن عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجو أن يكون غلاما فلما وضعها خجلت واستحيت و (قالت) منكسة رأسها (رب إني وضعها أنثى) وقيل فيه قولان ﴿أحدهما﴾ ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى ﴿والآخر﴾ ان المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنها أنثى لأن سميها اضعف وعقلها انقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها في السؤال بقولها واني اعينها بك (و الله اعلم بما وضعت) اخبار منه تعالى بأنه اعلم بوضعها لأنه هو الذي خلقها وصورها وعلى القراءة الأخرى وانت يا رب اعلم مني بما وضعت (وليس الذكر كالأنثى) لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له وإنما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والسيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل ارادت ان الذكر افضل من الأنثى على الصوم واصلاح للاشياء والماء في قوله وضعها كناية عن ما في قوله ما في بطني وجاز ذلك لوقوع ما على موث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام (واني سميتها) أي جعلت اسمها (مريم) وهي بلقتهم العابدة والخادمة فيا قيل وكانت مريم افضل النساء في وقتها واجلتهن وروى الثعلبي بإسناده عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) خافت عليها ما يفلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل انما استعاذتها من طعنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقها الله تعالى وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى أبو هريرة ان النبي (ص) قال: «من مراردا إلا والشيطان يمته حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها وقيل إنها استعاذت من اغواء الشيطان الرجيم إياها عن الحسن

قوله تعالى (٣٧) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد أبو بكر وحده والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من خفف كفلها قوله تعالى أيهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لأن الكفالة مسندة إليه ومن شدد كفلها ففاعله الضير العائد إلى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمد

والقصر في زكريا لعتان

﴿ اللغة ﴾

انما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لأن فيه معنى كرم ومثله وأنبثها نباتا حسنا لأن فيه معنى فنبت وقال ابو عمرو ولا نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سييوييه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وطهور وولوغ ووقود إلا ان الأكثر في وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج في قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن يقال كفلته أكفله كفلا وكفولا وكفالا فأنما كافل إذا تكفلت موتته ومنه الحديث وانت خير المكفولين اي أحق من كفل في صفه وارضع حتى نشأ والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول له هو الذي له الدين والمكفول به هو الدين والكفيل هو الذي ثبت عليه الدين والمحراب مقام الإمام من المسجد وأصله أكرم موضع في المجلس واشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال

رَبَّةٌ مَحْرَابٍ إِذَا جِئْتَهَا
لَمْ الْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلْمًا

ويقال للمسجد ايضا محراب ومنه ما يشاء من محاريب اي مساجد وقيل انه اخذ من الحرب لأنه يحارب فيها الشيطان

﴿ المعنى ﴾

(فتقبلها ربها) مع انوثتها ورضي بها في النذر الذي نذرتة حنة للعبادة في بيت المقدس ولم يقبل قبلها انشى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها في تربيتها والقيام بشأنها عن الحسن وقبوله اياها انه ما عرتهاعلة ساعة من ليل او نهار (بقبول حسن) أصله بتقبل حسن ولكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس (وانبتها نباتاً حسناً) اي جعل نشوئها نشواً حسناً وقيل سَوَى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام عن ابن عباس وقيل انبتها في رزقها وغذائها حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاجبار (وكفلها زكريا) بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا وجعله كفيلها فيقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه وضمن القيام بأمرها وقالوا ان أم مريم آتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأخبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لأن خالتها عندي فقالت له الاخبار انها لو تركت لأحق الناس بها لتركها ولدتها ولكننا نقترح عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا اقلامهم في الماء فارتفع قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فسهمهم زكريا وقرعهم وكان رأس الأخبارون بينهم فذلك قوله وكفلها زكريا وزكريا كان من ولد سليمان بن داود وفيه ثلاث لغات المد والقصر وزكريى مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها فقال محمد بن اسحاق ضمها إلى خالتها ام يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غصاً طرياً عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن (قال يا مريم أنى لك هذا) يعني قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالتعجب منه (قالت هو من عند الله) اي من الجنة وهذه تكريمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقاً للعادة فإن عندنا يجوز ان تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الانبياء من

الأولياء والأصفياء. ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين ﴿أحدهما﴾ ان ذلك كان تأسيسا لنبوة عيسى عن البلخي ﴿والآخر﴾ انه كان بدعا. زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) تقدم تفسيره

﴿النظم﴾

ووجه اتصالها بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لأنه تفضل بيتدى به من يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستئناف

قوله تعالى [٣٨] هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) فَنادته الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَسَدًّا وَحُصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

﴿القراءة﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناده الملائكة على التذكير والإمالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحزمة إن الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي يُبَشِّرُكَ بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد

﴿الحجة﴾

من قرأ فناده بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول هي الرجال ومن قرأ فناده فاعلى المعنى ومن فتح آن كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار وأوصل الفعل في موضع نصب عنلى قياس قول الخليل في موضع الجر ومن كسر اضمر القول كأنه نادته فقالت إن الله فحذف القول كما حذف في قول من كسر في قوله فدعا ربه اني مغلوب واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يُبَشِّرُكَ وَيُبَشِّرُكَ واحد وقال الزجاج هذا من بَشَّرَ يُبَشِّرُ إذا فرح واصل هذه كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السروز

﴿اللفظة﴾

الهيئة تملك الشيء من غير ثمن والسيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الاعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته لما لكه هذا إذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا اطلق فلا ينبغي الا الله والحصور المنتع عن الجماع ومنه قيل للذي يمتنع ان يُخْرَجَ مع ندمائه شيئا للنفقة حصور قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْوَارٌ^(٣)
ويقال للذي يكتم سره حصور

﴿الإعراب﴾

هنالك الاصل فيه الظرف من المكان نحو رأيت ههنا وهناك وهنالك والفرق ان هنالك للتقريب وهنالك للتبديد وهناك لما بينها قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من هاهنا قلت كذا اي من هذا الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك وانما بني لدن ولم بين عند وان كان بمضاه لانه استبهم استبهم الحروف لانه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لذلك وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين من هاهنا

(١) [فَإِنْ أَنْ] (٢) السوار : الذي يواظب تديبه اذا شرب .

لتبيين الصفة وليس المراد التبويض لأن النبي (ص) لا يكون إلا صالحا

المعنى

(هنالك) اي عند ذلك الذي رأى من فاكهة الصيف في الشتاء. وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة (دعا زكريا ربه) قال (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) اي طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله طيبة أي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وانما أنت طيبة وانما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر

أَبْوَلُكَ خَلِيفَةً وَلَدْتَهُ أُخْرَى
وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذَاكَ الْكَمَالُ

(انك سميع الدعاء) بمعنى قابل الدعاء. ومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده اي قبل الله دعاءه وانما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان اهلا ان يسمع منه فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يقبل بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبرائيل عن السدي فعلى هذا يكون المعنى ان النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن وانها ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل نادته جماعة من الملائكة (وهو قائم يصلي في المحراب) اي في المسجد وقيل في محراب المسجد (ان الله يشرك بيحيى) ساء الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي بيحيى فقيل لأن الله احيا به عُقْرَ امِّه عِيسَ بن عباس وقيل انه تعالى احياه بالايمان عن قتادة وقيل لأنه تعالى احيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد يحيى (مصدقا بكلمة من الله) اي مصدقا بعيسى وعليه جميع المفسرين واهل التأويل إلا ما حكى عن ابي عبيدة انه قال بكتاب الله كما يقولون انشدت كلمة فلان أي قصيدته وانطالت وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلام الله من غير أب وقيل إنها سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكلف التصديق به فكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احدى معجزات عيسى (ع) واقوى الاسباب لاظهار امره فإن الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده (وسيدا) في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقوى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير وقيل مضاعفا عن الخليل وقيل سيدا للمؤمنين بالترئاسة عليهم عن الجبائي والجميع يرجع إلى اصل واحد وهو انه اهل لتسليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الاحوال (وحضورا) وهو الذي لا يبأى النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقاتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ومعناه انه يحصر نفسه عن الشهوات اي يمنعه وقيل الحضور الذي لا يدخل في اللعب والباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء لانه عيب وذم ولأن الكلام خرج منخرج المدح (ونبيا من الصالحين) اي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الانبياء لأن الانبياء كلهم كانوا صالحين وفي هذه الآية دلالة على ان زكريا إنما طمع في الولد لما رأى تلك المعجزات وهو ان كان عالما بأنه تعالى يقدر على ان يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز ان يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها قوي ظنه في انه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحة كما ان ابراهيم وان كان عالما بأنه تعالى يقدر على احيا الموتي سأل ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على ان الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به

قوله تعالى (٤٠) قَالَ رَبِّ انى يَكُونُ لى غُلامٌ وَّقدْ بَلَغَنى الكِبَرُ وَامرأتى عاقِرٌ

قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (آية)

* اللغة *

العافر من الرجال الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد يقال عقرت تعقر عقرًا فهي عافر قال عبيد
 أَعَاقِرٌ مِثْلَ ذَاتِ رِحْمٍ أَمْ غَائِمٌ مِثْلَ مَنْ يَجْتَبِ (١)
 والمقردية فرج المرأة إذا غضبت نفسها وبيضة المقر آخر بيضة والمقرمطة القوم والمقر اصل كل شيء ويقال
 غلام بين القلومية والقلومة وهو الشاب من الناس والقلمة والاعتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام غلاما
 لأنه في حال يطلب في مثلها النكاح والقيم منبع الماء من الآبار لأنه يطلب الظهور

* المعنى *

(قال) زكريا (يارب) فه عز وجل لا لجبرائيل (أنى يكون) أي من أين يكون وقيل كيف يكون
 (لي غلام) أي ولد (وقد بلغني الكبر) أي أصابني الشيب ونالني الهرم وإنما جاز أن يقول بلغني الكبر لأن
 الكبر بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان أيضا يأتي الكبر بمرور السنين عليه ولوقلت بلغني البلد بمعنى
 بلغت البلد لم يميز لأن البلد لا يأتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت
 امرأته بنت ثمان وتسعين سنة (وامرأتي عافر) أي عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره
 الله بأن يهب له ذرية طيبة بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أعطياها
 الله إياه وهما على ما كانا عليه من الشيب أم بصرفهما إلى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن ويحتمل أن
 يكون اشتبه الأمر عليه أعطيه الولد من امرأته المعجوزة من امرأة أخرى شابة فقال الله (كذلك) وتقديره
 كذلك الأمر الذي انتابا عليه وعلى تلك الحال (الله يفعل ما يشاء) معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هين عليه
 كما انشأكما ولم تكونا شيئا فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه آخر وهو انه إنما قال ذلك على سبيل
 الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك
 بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجباً من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب من انه كيف أجابه
 الله إلى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك ومن زعم انه إنما قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه مسن قبل
 الشيطان أو خيلت اليه ان النداء كان من غير الملائكة فقد أخطأ لأن الأنبياء لا يد أن يعرفوا الفرق بين كلام
 الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام

قوله تعالى (٤١) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا
 وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالنَّسِيِّ وَالْإِبْكَارِ (آية)

* الإعراب *

في وزن آية فيه ثلاثة اقوال أحدها **فَعْلَةٌ** الا انه شذ من جهة اعلال العين مع كون اللام حرف
 علة وإنما القياس في مثله اعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية **والثاني** **فَعْلَةٌ** وتقديره
 آية الا انها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي **والثالث** **فَاعِلَةٌ** منقوصة قال علي بن عيسى وهذا
 ضعيف لأن تصغيرها آية ولو كانت فاعلة لقالوا **أَوَّيَّةٌ** إلا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة والرمز الإيما
 بالفتين وقد يستعمل في الإيما بالحاجب والعين واليد والأول اغلب وقال جوبة بن عابد

كَانَ تَكَلَّمَ الْإِبْطَالِ رَمْرًا وَغَمَمَةً لَهُمْ مِثْلُ الْهَرِيرِ (٢)

والشي من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر

(١) اراد بذات رحم الولوداي لا تستوى التي تلدوالتي لا تلدولا يتساوى من خرج فنتم ومن خرج فرجع خابياً .

(٢) الغممة : صوت الإبطال عند القتال . الهرير : صوت الكلب دون النباح .

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَىٰ يَسْتَطِيعُهُ وَلَا النَّيَّ مِنَ بَرْدِ العَشِيِّ يَذُوقُ
والعشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر الليل والعشاء طعام العشي والعشاء مقصراً ضعف العير
وأصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى وأصل التعجيل بالشيء يقال ابكر وبكر
بكوراً ومنه الباكورة

✽ المعنى ✽

ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً وقيل ليتعجل السرور
به عن الحسن (قال رب اجعل لي آية) أي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في اسماء
لسانه عن الكلام إلا إيماناً من غير آفة حدثت فيه بقوله (قال آيتك) أي قال الله ويحتمل أن يكون المراد قال
جبرائيل آيتك أي علامتك (ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا) أي إيماناً عن قتادة وقيل الرمز تحريك
الشفتين عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا عن عطاء (واذكر
ربك كثيراً) أي في هذه الأيام الثلاثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف انه لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح
له وذلك أبلغ في الإعجاز (وسبح) أي تزه الله واراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل كما يقال فرغت من
سبحتي أي صلاتي (بالعشي والابكار) في آخر النهار وأوله

قوله تعالى (٤٢) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأُكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ
عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٣) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ (آيتان)

✽ المعنى ✽

قدم تعالى ذكر امرأة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال (وإذ قالت الملائكة)
إذ هذه معطوفة على إذ في قوله إذ قالت امرأة عمران أو يكون معناه اذكر إذ قالت الملائكة وقيل يعني جبريل
وحده (يا مريم إن الله اصطفىك) أي اختارك والطف بك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفىك لولادة
المسيح عن الزجاج (وطهرك) بالآيمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبیر وقيل طهرك
من الأذناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل
طهرك من الاخلاق الذميمة والطبائع الرديئة (واصطفىك على نساء العالمين) أي على نساء عالمي زمانك لأن
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها وعلى آبيها وبعليها وبنيتها سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر (ع) وروي
عن النبي (ص) انه قال فضلت خديجة على نساء أممي كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال أبو جعفر معنى الآية
اصطفىك من ذرية الأنبياء وطهرك من السفاح واصطفىك لولادة عيسى (ع) من غير فعل وخرج بهذا من أن
يكون تكريراً إذ يكون الاصطفاً على مضمينين مختلفين (يا مريم اقنتي لربك) أي اعبديه واخلصي له العبادة
عن سعيد بن جبیر وقيل معناه أديمي الطاعة له عن قتادة وقيل أطيلي القيام في الصلاة عن مجاهد (واسجدي
واركبي مع الراكمين) أي كما يعمل الساجدون والراكمون لا أن يكون ذلك امرأها بأن تعمل السجود
والركوع معهم في الجماعة وقدم السجود على الركوع لأن الواو لا توجب الترتيب فإنها في الأشياء المتغايرة
نظيرة الثنية في المتأثلة وإنما توجب الجمع والاشتراك وقيل معناه واسجدي لله شكراً واركبي أي وصلي مع
المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة عن الجبائي

قوله تعالى (٤٤) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ

أَقْلَامَهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (آية)

اللغة

الانبياء الأخبار الواحد نبأ والايعاء هو القا. المعنى الى الغير على وجه ينجي والايعاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه لي ارسل اليه ملكا والايعاء الالهام ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وقوله بأن ربك أوحى لها معناه التقى اليها معنى ما اراد منها قال المعراج

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتْ

والايعاء الايساء. قال ﴿ فَأَوْحَتْ إِلَيْنَا وَالْأَنْمِلُ رُسُلَهَا ﴾ ومنه قوله تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكبرة وعشيا اي أشاد اليهم والوحي الكتابة قال روضة «لَقَدَرُ كَانَ وَحَاءُ الْوَاهِي» وقال ﴿ فِي سُورٍ مِنْ رَبِّنَا مَوْجِيَةٌ ﴾ والقلم الذي يكتب به والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدر والقلم قص الظفر ومقالم المرح كموبه واصله قطع طرف الشيء

الإعراب

قال ابو علي إذ في قوله إذ يلغون متعلق بكنت و إذ في قوله إذ قالت الملائكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز ايضا أن يكون متعلقا بكنت كأنه قال وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة وهذا إما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانية بدلا من الأولى فإن لم تقدّر هذا التقدير لم يجوز وإنما يجوز البدل في هذا إذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملائكة ليكون البدل المبدل منه في المعنى

المعنى

(ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى (من انباء الغيب) اي من اخبار ما غاب عنك وعن قومك (نوحه اليك) اي نلقيه عليك معجزة وتذكيرا وتبصرة وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بدراسة الكتب او التعلم او الوحي والني (ص) لم يشاهد هذه القصص ولا قرأها من الكتب ولا تعلمها إذ كان نشوءه بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب فوضع الله أن اوحى اليه بها وفي ذلك صحة نبوته (وما كنت) يا محمد (لديهم) عندهم (إذ يلغون اقلامهم) التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء. على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم اقداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة (أنهم يكفل مريم) وفيه حذف اي لينظروا أنهم تظهر قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب من الله نبيه (ص) من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة وقيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا (وما كنت لديهم إذ يختصمون) فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حد المحصومة وفي وقت التشاح قولان ﴿ أحدهما ﴾ حين ولادتها وحملها اياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا قول الأكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الآية دلالة على ان القرعة مدخلا في تيز الحقوق وقد قال الصادق (ع) ما تقارع قوم ففوضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج سهم المحق وقال أي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر أول من سوهم عليه مريم ابنة عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلغون اقلامهم الآية والسهام ستة ثم استهموا في يونس ثم كان عبد المطالب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر ان يرزقه الله غلاما ان يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه ورسول الله في صلبه فجاء بشرة من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشر فلم ترل السهام

تخرج على عبد الله ويزيد عشرة فلما ان اخرجت مائة خرجت السهام على الاوبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثا فخرجت على الاوبل فقال الآن علمت ان ربي قدرضي بها فنحرها

قوله تعالى (٤٥) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٦) وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

﴿ القراءاة ﴾

ذكرنا القراءاة في يشرك والقول فيه

﴿ اللغة ﴾

المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقدار وطهر والمسيح الذي احد شقي وجهه ممسوح لآعين له ولا حاجب ولذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح بكسر الميم وتشديد السين نحو الشريز الدجال عن ابراهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر « إِذِ الْمَسِيحُ يَقْتُلُ الْمَسِيحًا » والوجه الكرم على من يسأله فلا يردده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد يقال وجّه الرجل يوجّه وجهه وجاهة قوله وجاهة عند الناس وجاهة اي منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب والشيخ ومنه اكهل النبت اذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر

وَلَا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيًّا (١) أَمَارِسُ الْكَهْلَةَ وَالصَّبِيَّا

ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلاثين سنة

﴿ الاعراب ﴾

وجيها منصوب على الحال المعنى يشرك الله بهذا الولد ووجهها ويكلم في موضع النصب ايضا على الحال عطفا على وجيها وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل المضارعة يفعل فاعلا قال الشاعر

بَاتَ يَفْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ (٢) يَقْصِدُ فِي اسْوَقِهَا وَجَائِرٍ

اي قاصد اسوقها وجائر وكهلا حال من يكلم

﴿ المعنى ﴾

(إذ قالت الملائكة) قال ابن عباس يريد جبرائيل (يا مريم إن الله يبشرك) يخبرك بها يسرك (بكلمة منه) فيه قولان احدهما انه المسيح سمه كلمة عن ابن عباس وقادة وجماعة من المفسرين وانما سمي بذلك لأنه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه الآية وقيل سمي بذلك لان الله بشر به في الكتب السالفة كما يقول الذي يخبرنا بالأمر اذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي فمما جاء من البشارة به في التوراة اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح وقيل لأن الله يهدي به كأيدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد (اسمه المسيح) فالاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد الى الكلمة لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى واختلف في انه لم سمي بالمسيح فقيل لانهم مسح بالبركة واليمن عن الحسن وقادة وسعيد وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لأنه مسح بدهن زيت يورك فيه وكانت الانبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لأنه مسحه جبرائيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى

به وقيل لأنه كان يسمح عين الأعمى فيصبر عن الكلبي وقيل لأنه كان لا يسمح ذاعامة بيده الأبرى عن ابن عباس في رواية عطا والضحاك وقال أبو عبيدة هو بالسريانية مشيحا فمرته العرب ليعسى بن مريم) نسبة إلى أمه ردا على النصارى قولهم انه ابن الله (وجيها) إذا جاء وقدر وشرف (في الدنيا والآخرة ومن المقربين) إلى ثواب الله وكرامته (ويكلم الناس في المهد) أي صغيرا والمهد الموضع الذي يهد لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله انى عبد الله أتاني الكتاب الآية ووجه كلامه في المهد انه تبرئة لأمه مما كذفت به وجملة له بالمعجزة التي ظهرت فيه (وكهلا) أي ويكلمهم كهلا بالوحي الذي يأتيه من الله اعلمها الله تعالى انه يبقى إلى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب في الأحوال لأن ذلك مناف لصفة الأول (ومن الصالحين) أي ومن النبيين مثل ابراهيم وموسى وقيل ان المراد بالآية ويكلمهم في المهد دعاء إلى الله وكهلا بعد نزوله من السماء ليقول الدجال وذلك لأنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي ظهور المعجزة في المهد قولان ﴿احدهما﴾ انها كانت مقرونة بنبوة المسيح لأنه تعالى اكل عقله في تلك الحال وجعله نبيا وأوحى إليه بما تكلم به عن الجانبين وقيل كان ذلك على التأسيس والإرهاص كنبوته عن ابن الأخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز أيضا أن يكون معجزة لمريم قتل على طهارتها وبرائة ساحتها إذ لا مانع من ذلك وقد دلت الأدلة الواضحة على جوازه وإنما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية ومعجزة لأن في ذلك ابطالا لمذهبهم لأنه قال إني عبد الله وهذا يناقض قولهم انه ابن الله فاستمروا على تكذيب من اخبر انه شاهده كذلك

قوله تعالى (٤٧) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَوَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آية)

﴿الاعراب﴾

فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للأمر الذي هو كن لأن الجواب يجب بوجود الأول نحو إني فأكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فيقوم لانه يكون على تقدير قم فإنك ان قم تقوم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كن فيكون النصب عطفا على يقول

﴿المعنى﴾

(قالت) مريم يا (رب انى يكون) أي كيف يكون (لي ولد ولم يمسنى بشر) لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل انما قالت استفهاما واستعظاما لقدرة الله لأن في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسه بشر او يقدر لها زوجها ثم يرزقها الولد على مجرد العادة (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) أي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهو حكاية ما قال لها الملك أي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يسك بشر (إذا قضى أمرا) أي خلق أمرا وقيل إذا قدر أمرا (فإنما يقول له كن فيكون) وقيل في معناه قولان ﴿احدهما﴾ انه اخبار بسرعة حصول مراد الله في كل شيء أراد حصوله من غير مهلة وإلحاح ولا تكلف سبب ولا أداة وانما كُنْ بهذا اللفظ لانه لا يدخل في وهم العباد شيء أسرع من كن فيكون ﴿والآخر﴾ ان هذه الكلمة كلمة جعلها الله علامة للسلافة فيما يريد احداثه وإيجاده لما فيه من الصلحة والاعتبار وانما استعمل لفظة الأمر فيما ليس بأمرهنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل الأمور في أنه لا كلفة فيه على الأمر

قوله تعالى (٤٨) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
(٤٩) أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُمرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آيات)

عدّ أهل الكوفة التوراة والانجيل آية ولم يعدوا بني إسرائيل لتكرّر الاستئناف بأن المفتوحة وعدّ غيرهم
بني إسرائيل ولم يعدوا الانجيل طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره ومطلّما ورسولا

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء. والباقون بالنون وقرأ نافع إنّي اخلق بكسر الالف
والباقون أنّي بالفتح وقرأ أهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وابو جعفر كهيئة الطائر فيهما والباقون
طيرا بغير الف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ويعلمه عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرأ ونعلمه جله على نحو نحن قدرنا بينكم الموت ومن
فتح أنّي اخلق جعلها بدلا من آية كأنه قال وجئتكم بأنّي اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين ﴿٤٨﴾ احدها ﴿٤٩﴾
الاستئناف وقطع الكلام ما قبله ﴿٤٨﴾ والآخر ﴿٤٩﴾ انه فسر الآية بقوله أنّي اخلق كما فسر الوعد في قوله وعدّ
الله الذين آمنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه مسن تراب وهذا الوجه أحسن لأنه
في المعنى كمن فتح وأبدل من آية ومن قرأ طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فأفرد لذلك فسر
او اراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم

﴿ اللغة ﴾

الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والذلّ والطين معروف وطنت الكتاب جعلت عليه طينا لأختمه به
وطيئت البيت تطينا والهيئة الحال الظاهرة ها. فلان بها. هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفعا والنفخة للماء
والكلمة الصبي قال سويد بن ابي كاهل

كَهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ أبيضَتْهَا فَهَوَّ يَلْحِي نَفْسَهُ لِمَا نَزَعَ (١)

والادخار الاقتعال من ادخر وجوز النحويون تدخرون بالذال

﴿ الإعراب ﴾

موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصبا بالطف على وجهها ويحتمل ان يكون لاموضع له من الإعراب لأنه
عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على فوحيه اليك
وهذا لا يجوز لأنها تخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ونجمله رسولا فحذف لدلالة البشارة
عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفا على وجهها لا انه في ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه يرسل
رسولا وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا يأتي قد جتكم ولو قرأت بالكسر إني قد جتكم لكان صوابا
والمعنى يقول إني قد جتكم وموضع أنّي اخلق لكم يحتمل أن يكون خفضا ورفعا فالخفض على البدل من آية
والرفع على ما ذكرناه قبل وبما تأكلون جائز ان يكون ما هنا بمعنى الذي أي بما تأكلونه وتدخرونه ويجوز
أن يكون بمعنى المصدر أي أنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول أجود

(١) يلحى نفسه اي يلومها . لما نزع بمعنى لما ترك .

﴿ المعنى ﴾

(ويعلمه الكتاب) اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزء . وقيل اراد به بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر (والحكمة) اي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي (ص) انه قال أوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين (والتوراة والإنجيل) ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تبيينها عن جلاله موقعها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقطع هاهنا قصة مريم وولادتها ويأتي تمام قصتها في سورة مريم وابتدأ بقصة عيسى فقال (ورسولا إلى بني إسرائيل) وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدور عليه (اني قد جتكم) أي قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم بأني قد جتكم (بآية) اي بدلالة وحجة (من ربكم) دالة على نبوتي ثم حذف الباء فوصل الفعل (أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) معناه وهذه الآية اني اقدر لكم واصور لكم من الطين مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) اي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع آخر فيها اي في الهيئة المقدرة (فيكون طيرا باذن الله) وقدرته وقيل بأمر الله تعالى وإنما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرادون ما قبله لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه ما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طير حتى يكون لحما ودما وخلق الحياة فيه فما لا يقدر عليه غير الله فقال باذن الله ليعلم انه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى وفي التفسير انه صنع من الطين كهيئة الحفاش ونفخ فيه فصار طائرا (وأرى الأكمة) اي الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقناعة وقيل هو الأعمى عن الحسن والسدي (والأبرص) الذي به وضع وقال وهب وربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون الفا من أطاق منهم أن يبلفه بلفه ومن لم يطق آتاه عيسى يمشي اليه وإنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان (وأحي الموتى باذن الله) إنما اضاف الأحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل انه أحيى اربعة أنفس عازر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخوته انطلقوا بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك ارسلتني إلى بني اسرائيل ادعهم إلى دينك واخبرهم بأني أحيي الموتى فأحيى عازرا فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره فدعا الله عيسى (ع) فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له أتحيها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاثت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان لأنسام بن نوح قد عاش خمس مائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل وقال الكلبي كان يحيي الأموات بياحي يا قيوم وإنما خص عيسى (ع) بهذه المعجزات لأن الغالب كان في زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة اظهر كما ان الغالب لما كان في زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا (ص) البيان والبلاغة والفصاحة فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلام من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتمون اليه (وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) اي اخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه كأن يقول للرجل تغديت بكذا وكذا ورفعت إلى الليل (١) كذا وكذا (إن في ذلك) اي فيما ذكرت لكم (لآية) اي حجة ومعجزة ودلالة (لكم إن كنتم مؤمنين) بافه

(١) [قال نعام عازر] (٢) وفي بعض المخطوطة «ودفعت إلى البيت» مكان «ودفعت إلى الليل» .

إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لا بد أن يكون قبل العلم بالرسول وفي الآية دلالة على أن عيسى (ع) كان مبعوثاً إلى جميع بني إسرائيل وقوله أني أخلق لكم يدل على أن العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافاً لقول المعجزة لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى.

قوله تعالى (٥٠) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِتُّكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (٥١) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (آيات)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لا تبرهن ولهذا لا تكون مقلدين للنبي (ص) وإن كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق للفعل بتحسينه والتحریم هو حظر الفعل بتقيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج

﴿ الإعراب ﴾

مصداقاً نصب على الحال وتقديره وجتتكم مصداقاً لأن اول الكلام يدل عليه ونظيره جتته بما يجب ومعرفة ولا يكون عطفاً لا على وجيها ولا رسولا لقوله لما بين يدي ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم ويستشهد بقول لبيد

تَرَاكَ أَمَكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حَامِئاً (١)

قال معناه او تعلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه او تعلق نفسي حماها وخطأ أبو عبدة من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان البعض لا يكون بمعنى الكل ﴿ والثاني ﴾ انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك

﴿ المعنى ﴾

(ومصداقاً لما بين يدي) اي لما انزل قبلي من التوراة وما فيه البشارة بي ومن ارسل قبلي من الأنبياء (ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) هذا معطوف على معنى قوله مصداقاً وتقديره ولا صدق ما بين يدي من التوراة ولا حل لكم كما تقول جتته معتذراً ولاجتلب عطفه وقيل ان الذي أحل لهم لحوم الإبل والشروب وبعض الطيور والحيتان ما كان قد حرم على بني إسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل أحل لكم الست عن الكلبي (وجتتكم بآية من ربكم) اي بحجة تشهد بصديقي (فاتقوا الله) في مخالفتي وتكذبي (وأطيعوا) كما أمركم الله به (إن الله ربي وربكم) أي مالكي ومالككم وإنما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني اليه فأنا عبده كما انكم عبيد له (فاعبدوه) وحده (هذا صراط مستقيم) أي دين الله أي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب وفي الصراط المستقيم في سورة الحمد

قوله تعالى (٥٢) فَلَمَّا أَحْسَسَ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٣) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٤) وَمَكْرُؤًا مَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (ثلاث آيات)

(١) او يمتلق بمعنى الى ان يمتلق . الحمام : الموت . (٢) [من] . (٣) وفي التبيان « الثروب » بالناء الثلاثة بدل الشين وهو الظاهر . و الثرب : الشمع الرقيق الذي على الكرش والامعاء .

اللغة

الإحساس الإدراك بالحاسة والحس القتل لأنه يحس بألمه والحس العطف لإحساس الرقة على صاحبه والأنصار جمع نصير كالإشراف جمع شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حنظلة

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِينَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ

يعني النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة هذا حقيقة وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق أي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد أي معد للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لا تتفاهه والمكورة من النساء المتلفة الخلق وحد المكر حَبَّ يَحْتَدِعُ بِهِ الْعَبْدُ لِإِيْقَاعِهِ فِي الضَّرِّ والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالبعد والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الوهق^(١)

الإعراب

قيل إن إلى بمعنى مع كقولهم الذود إلى الذود أي مع الذود قال الزجاج لا يجوز أن يقال أن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر وإنما معنى هذا أن اللفظ لو عبر عنه بمعاقاد هذا المعنى لا أن إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجوز أن يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية ومع يضم الشيء إلى الشيء والحروف قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناها واحد من ذلك قوله تعالى وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ وَلَوْ كَانَتْ عَلَى هَاهُنَا لَأَدَّتْ هَذِهِ الْفَائِدَةَ وَاصِلٌ فِي أَمَّا هُوَ لِلْوَعَاءِ وَاصِلٌ عَلَى لَمَّا عَلَا الشَّيْءُ فَقَوْلُكَ التَّمْرُ فِي الْجِرَابِ لَوْ قُلْتَ عَلَى الْجِرَابِ لَمْ يَصِحْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَازَ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ لِأَنَّ الْجَذْعَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمَصْلُوبِ لِأَنَّهُ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ أَقْطَارِهِ وَلَوْ قُلْتَ زَيْدٌ عَلَى الْجَبَلِ أَوْ فِي الْجَبَلِ يَصْلِحُ لِأَنَّ الْجَبَلَ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى زَيْدٍ فَعَلِيَ هَذَا مَجَازٌ هَذِهِ الْحُرُوفُ

المعنى

(فلما احس) أي وجد وقيل ابصر ورأى وقيل علمه (عيسى منهم الكفر) وانهم لا يزدادون إلا اصراراً على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعريف عما في اعتقادهم من نصرته (قال من انصاري إلى الله) وقيل إنه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري إلى الله وفيه أقوال * أحدها * أن معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريج * والثاني * أن معناه من انصاري في السبيل إلى الله عن الحسن لأنه دعاهم إلى سبيل الله * والثالث * أن معناه من اعواني على إقامة الدين المؤدي إلى الله أي إلى نيل ثوابه كقوله اني ذاهب إلى ربي سيهدين وبما يسأل على هذا ان عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعة من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل أيضاً يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحججة ولتمييز الموافق من المخالف (قال الحواريون) واختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال * أولها * أنهم سموا بذلك لقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير * وثانيها * أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن أبي نجيح عن أبي ارقطة * وثالثها * أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك

(١) الوهق : حبل في طرفه عقدة يجعل في عنق الدابة (٢) الذود : ثلاثة ابعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة . وهذا مثل معناه اذا ضم القليل إلى القليل يصير المجموع كثيراً .

عن ابن عباس ز السدي * ورايها * انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم كأنه ذهب إلى تقا. قلوبهم كنفاء الثوب الأبيض بالتحوير ويروي عن النبي (ص) أنه قال الزبير بن عتي وحواريي من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون الأنصار وقال الكلبي وابو روق الحواريون أصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال تعالى سيامهم في وجوههم من اثر السجود (نحن أنصار الله) معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك أي اعوان رسول الله «ص» او اعوان دين الله (أما بالله) أي صدقنا بالله انه واحد لا شريك له (واشهد) يا عيسى (بأننا مسلمون) أي لنا كن شهيدا عند الله اشهدوه على اسلامهم لأن الانبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبئت من كل أمة شهيدا (ربنا) أي يا ربنا (أما بما أنزلت) على عيسى (واتبعنا الرسول) أي اتبعناه (فاكتبنا مع الشاهدين) أي في جملة الشاهدين بجميع ما نزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد (ص) وامته عن ابن عباس وقد ساءهم الله شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس أي من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وروي أنهم اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا اطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمانا بك واتبعنا قال أفضل منكم من يصل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يفسلون الثياب بالكرا. وقوله (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر الآية ومعناه دبروا لقتل عيسى (ع) (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم وسمى المجازاة على المكر مكرًا كما قال الله تعالى الله يستهزئ بهم وجاء في التفسير ان عيسى بعد اخراج قومه اياه من بين اظهريهم علا اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فتموا بقتله وتواطوا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى إلى السماء وقال ابن عباس لما أراد ملك بني اسرائيل قتل عيسى (ع) دخل خوخته وفيها كوة فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء وقال الملك لرجل منهم خيبت ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فالتى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب اسروه ونصبوا له خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فأخذوا رجلا يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على المسيح وذلك ان عيسى جنح الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصبح الديك ويبيني بدراهم بسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين اليهم فقال ما تبطلوا لي ان أدلكم عليه فبطلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فالتى الله عليه شبه عيسى (ع) لما دخل البيت ورفع عيسى فأخذ فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يفتتوا إلى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى (ع) واتى على ذلك سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مرهم لتجمع لك الحواريين وتبشهم في الأرض دعاة فهبطوا اشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبشهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النار فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلفظ من ارسله عيسى «ع» اليم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي افضل المعاونين وقيل

انصف الماكرين وأعد لهم لأن مكرم ظلم ومكره عدل وانصاف وإنما اضاف الله المكر الى نفسه على مزاجه الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثاني لبس باعتداء وإنما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة كقوله تغلب فيه القلوب والأبصار والمطابقة كقوله ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

قوله تعالى (٥٥) اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافك إلى ومطهرك من الذين كفروا واولئك الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (آية)

﴿ الإعراب ﴾

العامل في إذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذلك إذ قال الله وتمثله ذلك واقع إذ قال الله ثم حذف واقع وهو العامل في إذ واقامت إذ مقامه وعيسى في موضع الضم لأنه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع المجبة والتعريف

﴿ المعنى ﴾

لمآبئ سبحانه مأثم به قوم عيسى من المكربه وقتله عقبه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك) وقيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد به اني قابضك برفك من الأرض إلى السماء من غير وفاة يموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تأويلان ﴿ احدها ﴾ اني رافك الي وافيا لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً ﴿ والآخر ﴾ اني متسلك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلكه ﴿ وثانيها ﴾ اني متوفيك وفاة نوم ورافك الي في النوم عن الربيع قال رفته نائماً ويدل عليه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل اية يبيتكم لأن النوم اخو الموت وقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية ﴿ وثالثها ﴾ اني متوفيك وفاة نوم عن ابن عباس ووهب قال امامته الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم والتأخير أي اني رافك ومتوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مرهوي عن الضحاك ويدل عليه ما روي عن النبي (ص) أنه قال ان عيسى بن مريم لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد صح عنه «ص» انه قال كيف اتمم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فلي هذا يكون تقديره اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء وقوله (ورافك الي) فيه قولان ﴿ احدها ﴾ اني رافك إلى سنائي وسي رفته اولى السماء رفا اليه تفخيماً لأمر السماء يعني رافك لموضع لا يكون عليك الا امري ﴿ والآخر ﴾ أن معناه رافك الي كرامتي كما قال حكاية عن ابراهيم (ع) اني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى حيث أمرني ربي سى ذهابه الى الشام ذهاباً إلى ربه وقوله

(ومطهرك من الذين كفروا) وفيه قولان ﴿٥٦﴾ أحدهما ﴿٥٦﴾ مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم فإنهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كقلافة النجاسة من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم ومجاراتهم ﴿٥٧﴾ والآخرة ﴿٥٧﴾ ان تطهيره من كفره يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي وقوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) معناه وجاعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعنى به النصرارى قال ابن زيد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا أذل من النصارى ولهذا أزال الملك عنهم وإن كان ثابتا في النصرارى على بلاد الروم وغيرها فهم أعز منهم وفوقهم إلى يوم القيامة وقال الجبائي فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة كما للروم وقيل المعنى به أمة محمد (ص) وإنما ساهم تبعاً وان كانت لهم شريعة على حدة لأنه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى أما صورة فإنه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما معنى فلان نبينا (ص) كان مصداقاً بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الانبياء متحدة في أبواب التوحيد فلي هذا هو متبع له إذ كان معتقداً اعتقاده وقائلاً بقوله وهذا القول أوجه لأن فيه ترغيباً في الإسلام ودلالة على ان أمة محمد (ص) يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة ولأن من دعاه إليها لا يكون في الحقيقة تابعا له (ثم الي مرجعكم) أي مصيركم (فأحكم بينكم) فأقضي بينكم (فيا كتبتم فيه تختلفون) من امر عيسى

قوله تعالى (٥٦) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٧) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٨) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (ثلاث آيات)

(- القراءة -)

قرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيههم بالياء والباقون بالنون

(- الحجة -)

من قرأ بالنون فهو مثل فأعذبهم ويمسنة قوله ذلك نتلوه عليك من الآيات ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم في قوله إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافك أو صار من لفظ الخطاب إلى الغيبة كقوله فأولئك هم المضعفون بعد قوله وما آتيتم من زكاة

(- الاعراب -)

نتلوه عليك في موضع رفع بأنه خبر ذلك ويجوز أن يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعل هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الآيات في موضع رفع بأنه خبره وانشدوا في مثله
عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجْوَتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ (١)
تقديره والذي يجملين طليق

﴿ المعنى ﴾

(فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر

(الجزء الثالث) قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله ثم نبهنا فنجعل لعنة الله على الكاذبين ٤٥١

والسبي والخسف والجزية وكل ما فعل بهم على وجه الاستخفاف والاهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار (وما لهم من ناصرين) اي اعوان يدفون عنهم عذاب الله تعالى (واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) اي يوفى عليهم ويستم «اجورهم» اي جزاء اعمالهم (والله لا يحب الظالمين) اي لا يريد تعظيمهم واثبتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجة على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط (ذلك) اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى وغيرهم (تتلوه عليك) نقرأ عليك ونكلمك به وقيل نأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي (من الآيات) أي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذا علمتم بما لا يعلمه الاقارى كتاب او معلم ولست بواحد منها فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي (والذكر الحكيم) القرآن المحكم وانما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلا لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال

قوله تعالى (٥٩) **إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٠) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦١) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدِئِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (ثلاث آيات)**

اللفظة

المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت اتعالى اي جئت واصله المجي الى ارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهاق قولان ﴿احدهما﴾ انه بمعنى الالتعان وافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا بهله الله اي لعنه الله وعليه بهله الله اي لعنه الله ﴿والآخر﴾ انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد «نظر الدهر اليهم فابتهل» اي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة عن رحمة الله عقابا على مصيئته ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بمأص من طفل او بهيم او نحوهما

— الإعراب —

قوله خلقه من تراب لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ بعلامة من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقال الهلال والله أي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ وخبره قوله من ربك

— النزول —

قبل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معها قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآيات قرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول

الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمداً في غد فإن غدا بولده وأهله فأحذروا مباهلتهم وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي (ص) أخذاً بيد علي بن أبي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه يميشيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي (ع) وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال أبو حارثة للمباهلة فقال لا إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله (ص) على الفي حلة من حلال الأوقاف قسمة كل حلة أربعون درهماً فإذا نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درهماً وثلاثين درهماً وثلاثين فرساً إن كانت باليمن كبد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً وروي أن الأسقف قال لهم إني لأرى وجوها لو سألوها الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبهلوا فهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة وقال النبي والذي نفسي بيده لو لأعثنوني لمسخوا قرده وخنازير ولا يضطرم الوادي عليهم ناراً ولما حال الحول على النصارى حتى بهنكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد بخران لم يلبث السيد والقاب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي وأهدى القاب له حلة وعصاً وقدحا ونعلين واسلماً

—* المعنى *

ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم في المسيح أنه ابن الله فقال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي مثل عيسى في خلق الله إياه من غير أب كمثل آدم في خلق الله إياه من غير أب فليس هو بأبدع ولا أعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا وأقرؤوا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال (خلقته) أي أنشأه (من تراب) وهذا أخبار عن آدم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبل أحد من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله أحد من التراب (ثم قال له) أي لا آدم وقيل لعيسى (كن) أي كن حياً بشراً سوياً (فيكون) أي فكان في الحال على ما أراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحاً وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لأن الله احتج على النصارى ودل على جواز خلق عيسى من غير أب كخلق آدم من غير أب ولا أم (الحق من ربك) أي هذا هو الحق من ربك أضاف إلى نفسه تأكيداً وتعليلاً أي هو الحق لأنه من ربك (فلا تكن) أيها السامع (من المترين) وقد مر تفسيره في سورة البقرة (فمن حاجك) معناه فمن خاصمك وجادلك يا محمد (فيه) أي في قصة عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي عن قتادة معناه وقيل فمن حاجك في الحق والماء فيه عائدة إلى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى (تعالوا إلى حجة) أي هلموا إلى حجة أخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب (ندع أبناءنا وأبنائكم) أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين قال أبو بكر الرازي هذا يدل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله وإن ولد الابنة ابن في الحقيقة وقال ابن أبي علان وهو أحد أئمة المعتزلة هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لأن المباهلة

لا يجوز إلا مع البالغين وقال أصحابنا إن صغر السن وتقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية وقد كانت سنهما في تلك الحال سنّاً لا يمنع معاً أن يكونا كاملَي العقل على أن عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لم عن سوام ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم وبما يؤيده من الأخبار قول النبي (ص) إناي هذان إمامان قاما أو قعدا (ونساءنا) اتفقوا على أن المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر المباحلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء وبمضده ما جاء في الخبر أن النبي (ص) قال فاطمة بضعة مني يريني ماراها وقال إن الله يفضب لفضب فاطمة وهرضى لرضائها وقد صح عن حذيفة أنه قال سمعت النبي (ص) يقول إناي ملك فبشرتني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سألت النبي (ص) إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها قالت قال لي ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك (ونساءكم) أي من شتم من نسائكم (وانفسنا) يعني علينا خاصة ولا يجوز أن يكون المعنى به النبي (ص) لأنه هو الداعي ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه وإنما يصح أن يدعو غيره وإذا كان قوله وانفسنا لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجه وولديه في المباحلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه وبما يعضده من الروايات ما صح عن النبي أنه سئل عن بعض أصحابه فقال له قائل فلي فقال ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله لبريدة الأسلمي يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه إن الناس خلقوا من شجرتي وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة وقوله (ع) بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل إن هذا لمي المواساة فقال يا جبرائيل انه مني وأنا منه فقال جبرائيل وأنا منك (وانفسكم) يعني من شتم من رجالكم (ثم نبه) أي تنصع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لمن الله الكاذب (فجعل لعنة الله على الكاذبين) منا وفي هذه الآية دلالة على أنهم علموا أن الحق مع النبي لأنهم امتنعوا عن المباحلة وأقروا بالذلل والخزي لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي (ص) متيقناً بنزول العقوبة بدونه دون ما أدخل أولاده ونحو أسائه في ذلك مع شدة شفافته عليهم

قوله تعالى (٦٢) **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (٦٣) **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** (آيتان)

اللغة

القصصُ القصة وفعل بمعنى مفعول كالتقصُّ والتقصُّ والتقصُّ جمع القصة ويقال اقتصصت الحديث وقصصته قصاً وقصصارويته على جهته وهو من اقتصصت الأثر أي اتبعته ومنه اشتق القصص والقصص الخبر الذي تابع فيه المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافه لأنه كالإدبار عنه بعد الإقبال عليه وأصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه والإفساد إيقاع الشيء على خلاف ما توجه الحكمة والإصلاح إيقاع

على ما توجه الحكمة والفرق بين الفساد والقيح ان الفساد تغير عن المقدار الذي تدعو اليه الحكمة وليس كذلك القبيح لأنه ليس فيه معنى المقدار وإنما هو ما توجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة

﴿ الإعراب ﴾

ما من إله إلا الله دخول من فيه لمصوم النفي لكل إله غير الله وإنما افادت من هذا المعنى لأن أصلها لا ابتداء الغاية فدل على استغراق النفي لا ابتداء الغاية إلى انتهائها وقوله لم يجوز أن يكون هو فصلا وبسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع من الأعراب ويكون القصص خبر إن ويجوز أن يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن

﴿ المعنى ﴾

(ان هذا هو القصص الحق) معناه ان هذا الذي اوحينا اليك في امر عيسى (ع) وغيره هو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند (وما من إله إلا الله) وما لكم أحد يستحق إطلاق اسم الإلهية الا الله وان عيسى ليس بإله كما زعموا وإنما هو عبد الله ورسوله ولو قالوا ما إله إلا الله بغير من لم يفد هذا المعنى (وان الله هو العزيز) أي القادر على الكمال (الحكيم) في الأقوال والأفعال والتقدير والتدبير (فإن تولوا) أي فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعماتيت به من الدلالات والبيانات (فإن الله عليهم بالفسدين) أي بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على افسادهم وإنما ذكر ذلك على جهة الوعيد وإلا فانه تعالى عليهم بالمعصية والمصلح جميعا ونظيره قول القائل لغيره أنا عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليهم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبأنهم لا يقدمون على مباهلك لمعرفتهم بنبوتك

قوله تعالى (٦٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك تقول العرب للقصيدة كلمة، يروى ان حسان بن ثابت كان إذا قيل له انشدنا قال هل انشد كلمة الحويدرة يعني قصيدته التي أولها «بَكَرَتْ سَمِيَّةٌ غَدْوَةً قَتَمَنَعٌ» ومعنى سواء أي عدل وسوى بمعناه قال زهير

أروني خُطَّةً لَا ضَمِّمَ فِيهَا
يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
فَإِنْ تَرَكَ السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ (١)

وقبل سواء مستو هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه إلى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم ليس بصفة وإنما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر

﴿ الأعراب ﴾

موضع ان لا نصب فيه وجهان - « احدهما » - ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة فكانه قال تناولوا إلى أن لا نصب الا الله « والآخر » ان يكون في موضع رفع على تقدير هي ان لا نصب الا الله

(١) الخطبة : العال والشأن . وقوله بني حنينا اي يا بني حنينا .

ج ٢ (الجزء الثالث) قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تتعجبون في ابراهيم الى قوله والله يعلم وانتم لا تعلمون ٤٥٥

ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هي المخففة من المثقلة فكأنه قال انه لا نعبد الا الله كقوله أفلا يرون
ألا يرجع اليهم قولا وعلى هذا يثبت النون في الخط ويكون ان من العوامل في الأسماء وعلى الأول يكون من
العوامل في الأفعال ولا يثبت في الخط النون ولو قرئ أن لا نعبد الا الله بالأسكان فان مفسرة كالتي
في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي

(- النزول -)

قيل في سبب نزول الآية اقوال « احدها » انها نزلت في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد
ومحمد بن جعفر بن الزبير « وثانيها » انها نزلت في يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا
ايضا « ثالثها » انها نزلت في الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن أبي علي الجبائي وهذا اولي لمومه

(- المعنى -)

لما تمّ الحجاج على القوم دعاهم تعالى الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كلف على الحق فقال
(قل) يا محمد (يا اهل الكتاب تعالوا) أي هلموا (الى كلمة سواء) اي عدل (بيننا وبينكم) اي عادلة
لا ميل لها كما يقال رجل عدل اي عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة
لغير الله وهي (أن لا نعبد الا الله) لأن العبادة لا تحقق إلا له (ولا نشرك به) في العبادة (شيئاً ولا
يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله) اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى رباً فإنه كان بعض
الناس وقيل معناه ان لا نتخذ الأحرار ارباباً بأن نطيعهم طاعة الأرباب لقوله اتخذوا احرارهم ورهبانهم
ارباباً من دون الله وروي عن ابي عبد الله انه قال ما عبدوم من دون الله ولكن حرّموا لهم حلالاً وأحلّوا
لهم حراماً فكان ذلك اتخاذهم ارباباً من دون الله وقد روي ايضاً انه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن
حاتم ما كنا نعبدكم يا رسول الله فقال (ص) اما كانوا يحلون لكم ويمحرمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال
النبي (ص) هو ذاك (فإن تولوا) اي عرضوا عن الإقرار بالعبودية وان احداً لا يستحق العبادة غيره
(فقولوا) انتم ايها المسلمون مقابلة لا عرضهم عن الحق وتجديداً للإقرار ومخالفتهم (اشهدوا بأننا مسلمون)
اي مخلصون مقرّون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما أتى به النبي والأنبياء من الله وقيل مقيمون
على الإسلام وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن وتعليمه كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجّة
ليعلم المبطل ان مخالفته لا يؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة

قوله تعالى (٦٥) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٦) هَا أَنْتُمْ هُوَ لِأَمْ حَاجُّكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (آيتان)

﴿ القراة ﴾

قرأ اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بنعير مد ولا همز ولا بقدر خروج الالف
الساكنة وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر من غير مد على وزن هاهنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز

﴿ الحججة ﴾

الكلام في المد والمهمز كثير والوجه ان من حقق فلي الاصل لانها حرفان ها وانتم ومن لم يد ولم يهز فلتخفيف من غير اخلال

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة في صورة الحججة والجدال هو قتل لخصم الى المذهب بحجة او شبهة او ايها في الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هي البيان الذي شهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد

﴿ الاعراب ﴾

ها انتم ها للتنبية وقد كثر التنبية في هذا ولم يكثر في هانت لان ذا منهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبية لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر في الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم يجوز ان يكون حاجبتم على ان يكون هو لا عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هو لاء على ان اولاه بمعنى الذين وما بعده صلة له

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس والحسن وقادة ان اجار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في ابراهيم فقالت اليهود ما كان اولا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) اي لم تنازعون وتجادلون فيه وتدعوت انه على دينكم (وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) اي من بعد ابراهيم (افلا تعقلون) ان الإقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة في العقل فكيف يجوز الإقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فان قيل لو دل نزول التوراة والانجيل بعد ابراهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القرآن بعده على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه منسب باسم الاسلام غير ان اليهود ادعوا ان الاسلام هو اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية والتوراة والانجيل انزلتا من بعد ابراهيم واسمه فيما اسم الاسلام وليس في واحد منها انه كان على دين اليهودية والنصرانية واما القرآن وان كان منزلا بعده ففيه وصف ابراهيم بدين الاسلام ونفي اليهودية والنصرانية عنه ففي هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وان محمدا (ص) وامته الذين لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقد قيل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودي اسم لمن تمسك بالتوراة واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصراني اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفرقين واخبر ان التوراة والانجيل ما انزلنا الا من بعد ابراهيم فكيف يكون متمسكا بمحكمها واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القرآن اذ الاسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام كما وصفه الله به فان قيل فهل كان ابراهيم متمسكا بشرائع الاسلام كلها التي نحن عليها قلنا انه كان متمسكا بدين الاسلام وبعض احكام شريعة نبينا (ص) لا بجميعها لان

من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلاة ولم يكن ذلك في شريعته وإنما قلنا أنه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة لأن اصحاب النبي (ص) في بدو الإسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل نزول تمام القرآن والواحد منا مسلم على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام الشريعة (ها انتم) يا معشر اليهود والنصارى وهو في الظاهر تنبيه على انفسهم والمراد به التنبيه على حاله اذ التنبيه إنما يكون فيما قد ينفل عنه الانسان دون ما يعلمه (حاجبتم) جادتم وخاصتم (فيا لكم به علم) معناه حاجبتم ولكم به علم لوجود اسمه في التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) أي فلم تحاجون في دينه وشرعه وليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه وإنما أنكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموا (والله يعلم) شأن ابراهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لأنه العالم بجميع المعلومات (وانتم لا تعلمون) ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٨) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمِنِينَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة واولى الذي هو بمعنى افضل من غيره لا يثنى ولا يُجمع لأنه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل اولى من غيره اي بأن يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو احق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الأول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة الإمام

﴿ المعنى ﴾

ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) نزه ابراهيم وبراه عن اليهودية والنصرانية لأنها صفتا ذم قد دل القرآن والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى نصرانيا فإن الدين عند الله الإسلام واليهودية ملة محرقة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرقة عن شرع عيسى فها صفتا ذم جرتا على فرقتين ضاليتين (ولكن كان حنيفا) اي مائلا عن الأديان كلها الى دين الإسلام وقبل معناه مستقيما في دينه (مسلم) اي كائنا على دين الإسلام (وما كان من المشركين) قيل ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا وقيل ان معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركو العرب (إن أولى الناس بإبراهيم) يعني ان احق الناس بنصرة ابراهيم بالحجة او بالمعونة (للكذين اتبعوه) في وقته وزمانه وتولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره وعلت كلمته (وهذا النبي والذين آمنوا) يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئة كل عيب عنه أي هم الذين ينبغي

لم أن يقولوا انا على دين ابراهيم ولهم ولايته (والله ولي المؤمنين) لأنه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لأنه يتولى نصرته ما أمر الله به من الدين وانما افرد الله النبي (ص) بالذكر تعظيماً لأمره واجلالاً لقدره كما افرد جبرائيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية وتعود اليه الكتابة فإن التقدير والذين آمنوا به وفي هذه الآية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب وبعض ذلك قول امير المؤمنين ان اولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤا به ثم تلا هذه الآية وقال ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله اتم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلاثاً ثم نظر اولي ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول في كتابه ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية رواه علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه

قوله تعالى (٦٩) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

وَدَّتْ أي تمت فلما كان بمعنى تمنى صلح للماضي والحال والاستقبال فلذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والإرادة لأنها لا يعلقان الآ بالمستقبل فلا يجوز أن يقال ارادوا لو يضلونكم لأن الإرادة مجري مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فأما التمني فهو تقرير شيء في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين وَدَّ لو تضره وبين وَدَّ أن تضره ان أن للاستقبال وليس كذلك لو

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال (ودت) اي تمت وقيل ارادت (طائفة) أي جماعة (من أهل الكتاب) اي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة (لو يضلونكم) أي يهلكونكم بإدخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله إذا ضللتنا في الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورنا (وما يضلون إلا انفسهم) معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فإن المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الإسلام الى غيره من الأديان فيبقى عليهم إثم الكفر وبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يمتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم (وما يشعرون) اي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله تعالى يهدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي

قوله تعالى (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (آيتان)

(١) وفي بعض النسخ «اعلمهم» بتقديم الهم على اللام وهو الظاهر . (٢) [هم اليهود دعوا حذيفة و عماداً و معاذاً

﴿ الإعراب ﴾

لم أصله لما حذف الألف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفاً ولدلالة الفتحة عليها وكذلك بم وعم

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله الفريقين فقال (يا اهل الكتاب لم تكفرون) بما يتلى عليكم من (آيات الله) يعني القرآن (وانتم تشهدون) اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الإقرار بها من التوراة والانجيل اذ فيها ذكر النبي والاعبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني آيات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني بالآيات ما في كتبهم ان ابراهيم كان حنيفاً مسلماً وان الدين هو الاسلام وانتم تشهدون ذلك وقيل يعني بها ما يتلى عليهم من غرائب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على نبوة محمد (ص) وانتم تشهدون ان الأول لمعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتهم بصحة دين الاسلام (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال « احدها » ان المراد به تحريفهم التوراة والانجيل عن الحسن وابن زيد « وثانيها » ان المراد به اظهارهم الاسلام وابطاغم النفاق في قلوبهم من اليهودية والنصرانية لانهم تداعوا إلى إظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكاً للناس عن ابن عباس وقتادة « وثالثها » ان المراد به الايمان بوسى وعيسى والكفر بمحمد « ورابعها » ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمداً حق بما يظهره من تكذيبه عن الجاني واي مسلم (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد (ص) وما وجدتموه في كتبكم من نفته والبشارة به (وانتم تعلمون) انه حق وإنما نزلت هذه في طائفة من علمائهم لأن الكتان إنما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وانتم تعلمون الأمور التي تصح بها التكليف والأول أصح لما في الآية من الذم على الكتان

قوله تعالى (٧٢) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٣) وَلَا تَوَدُّونَا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهَدَىٰ اللَّهُ فِرْعَوْنَ أَوْ نُوحًا أَوْ إِبْرَاهِيمَ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ يَبْدِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٤) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير أن يوتى احد مدودا والباقون أن يوتى بغير مد واستفهام

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ أن يوتى احد فتقديره لا تؤمنوا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذف الجار من أن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً وفي قول سيبويه نصباً فأما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا وأنت قد أوصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد

به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به اللذة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذي يسكن فيه الإنسان ويفترشه وواحد الابرار تقول يرت والدي فأنابر واصله برر ولكن الرأ ادغمت للتضيف

✽ الإعراب ✽

بني المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره تغلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلالة ما تقدمه عليه وبش المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدمه عليه تقديره بش المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد أيضا مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا لمن عند الله لأن خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا وهو بمعنى أنزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة او صدقة عن الفراء وخالدين فيها منصوب على الحال أي مقدرًا لهم الخلود فيها = [التزول] =

نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزلت الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال فانزل الله تعالى لا يفرنك الآية

✽ المعنى ✽

(لا يفرنك) يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يفرنك ايها الإنسان او ايها السامع (تقلب الذين كفروا) اي تصرفهم (في البلاد) سالمين غانمين غير مؤاخذين بأجرهم أعلم الله تعالى ان ذلك ما لا ينبغي أن يبطوا به لأن مأواهم ومصيرهم إلى النار يكفرهم ولا خير بخير بعده النار وقوله (متاع قليل) معناه تصرفهم في البلاد والنعم متاع قليل اي يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول وسأه متاعا لأنهم متعوا به في الدنيا (ثم مأواهم) أي مصيرهم ومرجعهم (جهنم) وبش المهاد) اي سا. المستقر هي ثم أعلم تعالى ان من اراد الله واتقاه قلبه الجنة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) لكن للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير إنما هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله) بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للابرار والنزول ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (وما عند الله) من الثواب والكرامة (خير للابرار) مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول وما عند الله تعالى دائم لا يزول ويروى عن عبد الله ابن مسعود انه قال ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة فأما الأبرار فقد قال الله وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اننا ننسلي لهم خير لأنفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك إذا كانت تدوم على فجورها

قوله تعالى (١٩٩) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل الحشوع السهولة من قولهم الحشعة وهي السهولة في الرمل كالرطوبة والحشع من الأرض الذي لا يهتدي له

عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على اقوال « احدها » ان معناه ولا تصدقوا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والبيان والحجة إلا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل إنما قال ذلك يهود خيبر ليهود المدينة لتلايعترفوا به فيلومونهم به^(١) لأقرارهم بصحته وقيل معناه لا تصترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم وقوله . او يحاجوكم^(٢) عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود وقوله قل إن الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . كلام الله جواباً لليهود ورداً عليهم أي قل يا محمد ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يوتى أحد مثل ما أوتوا وهذا معنى قول الحسن^(٣) وأبي علي الفارسي « وثانيها » أن يكون قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده من الله ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله أن يوتى احد مثل ما أوتيتم أيها المسلمون كقوله بين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم لانه لا حجة لهم ويكون هدى الله بدلا من الهدى والخبران لا يوتى احد مثل ما أوتيتم وهذا قول السدي وابن جرير وقال ابو العباس المبرد ان لا لست ما حذف هاهنا ولكن الإضافة هنا معلومة فحذفت الأول واقيمت الثانية مقامه والمعنى (قل ان الهدى هدى الله) كراهة (أن يوتى احد مثل ما أوتيتم) أي من خالف دين الله لأن لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله بين الله لكم كراهة أن تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود أن يوتى احد مثل ما أوتيتم من النبوة (او ان) (يحاجوكم) بذلك (عند ربكم) إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجاني وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما أمر الله بهم فسر الهدى فقال أن يوتى احد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم فالهوتى هو الشرع وما يحاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به في العقل فهذه اربعة اقوال « وثالثها » ان يكون الكلام مسن اول الآية إلى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم وهو دين الإسلام ولا تصدقوا بأن يوتى احد مثل ما أوتيتم من الدين فلا نبي بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة ولا تصدقوا بأن يكون لأحد حجة عليكم عند ربكم لأن دينكم خير الأديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين من الله تعالى عند تلبس اليهود عليهم لتلا يزلوا ويدل عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فيبين الله تعالى انهم هم المدحسون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله (قل ان الفضل بيد الله) قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي أوتيتها محمد (ص) ومن معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله أي في ملكه وهو القادر عليه العالم بحله (يوتيه من يشاء) وفي هذه دلالة على ان النبوة ليست بمستحقة وكذلك الإمامة لأن الله سبحانه علقه بالمشية (والله واسع) الرحمة جواد وقيل واسع المقدر يفعل ما يشاء . (علم) بمصالح الخلق وقيل يعلم حيث يجعل رسالته (يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم) مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنينا إذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها إلا علام الغيوب وفيها دفع لمكائدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم

قوله تعالى (٧٥) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَعْمَلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٦) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء. وروي نحوه عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهاء. مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب أبي عمرو والباقون بالكسر والإشباع

﴿ الحجة ﴾

أما سكون الهاء. فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز وغلط الزجاج الراوي فيه عن أبي عمرو قال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيفا وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقتهم وأما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسرة عن الياء. وأما الإشباع فعلى الأصل

﴿ اللفظة ﴾

القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في أول السورة والدينار أصله دينار بنونين فقلبت إحدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للثخنة وجمعه دنانير ودمت ودمت لغتان مثل ممت وممت ولكن من كسر الدال والميم قال في المضارع تامت وتدام وهي لفة ازد السراة ووفى ووفى لغتان وأهل الحجاز يقولون أوفيت وأهل نجد يقولون وقيت

﴿ الإعراب ﴾

الفرق بين أن تقول تأمنه بقنطار وبين أن تقول على قنطار أن معنى الباء الصاق الأمانة ومعنى على استعمال الأمانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين (أحدهما) الأضراب عن الأول على جهة الإنكار للأول وعلى هذا الوجه يكون من أوفى بعهده مكفية نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى أي بلى قد قدم زيد قال الزجاج ها هنا وقف تام ثم استأنف من أوفى إلى الآخرة لأنهم لما قالوا ليس علينا في الأيمن سبيل قيل بلى عليهم سبيل (الثاني) الأضراب عن الأول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا تكون مكفية والفرق بين بسلى ونعم أن بلى جواب النبي ونعم جواب الإثبات أنما جاز أمالة بلى لمشابتها الاسم من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أنه توقف عليها كما توقف على الاسم ﴿ والآخر ﴾ أنها على ثلاثة أحرف ولذلك خالفت لا في الإمالة

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس قال يعني بقوله من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام أودعه رجل الفاء ومائتي أوقية من ذهب فادأه إليه فمدحه الله سبحانه ويعني بقوله من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك فنخاص بن عازوراء وذلك أن رجلا من قريش استودعه دينارا فخانته وفي بعض التفاسير أن الذي يؤدي الأمانة النصارى والذين لا يؤدونه اليهود

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه معائب القوم وأن فيهم من تحرج عن الصب فقال (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه أي تجعله أمينا على قنطار أي مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التي مضى ذكرها في أول السورة) يؤده اليك عند المطالبة ولا يجنون فيه (ومنهم من إن تأمنه بدينار) أي على ثمن دينار والمراد جعله أمينا على قليل من المال (لا يؤده اليك) عند المطالبة وهم كفار اليهود بالإجماع (أما دمت عليه قائما) معناه إلا أن تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل إلا أن تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل إلا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه

والملازمة عن السدي قال ما دمت عليه قائماً أي مُلحاً عن ابن عباس (ذلك) أي ذلك الاستحلال والحياة (بأنهم قالوا ليس علينا في الامين سبيل) هذا بيان اللمة التي كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة ويبيعون إلى الحياة أي قالت اليهود ليس علينا في أموال العرب التي أصبنا سبيل لأنهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك أنهم عاملوا جماعة منهم ثم أسلم من له الحق وامتنع من عليه الحق من أداء الحق وقالوا إنما عاملناكم وانتم على ديننا فإذا فارقتهم سقطت حقاكم وادعوا أن ذلك في كتبهم فأكذبهم الله في ذلك بقوله (ويقولون على الله الكذب وهم يطمون) أنهم يكذبون لأن الله أمرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج وإغاسمهم أميين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكة وهي أم القرى ثم الله تعالى رد عليهم قولهم فقال (بلى) وفيه نفي لما قبله وإثبات لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك ولا أجه ولا إرادته بل أوجب الوفاء بالعهود واداء الأمانة (من أوفى بعهده) يحتمل أن يكون الهاء في بعهده عائدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه بعهده الله وعهده الله إلى عباده أمره ونهيته، ويحتمل أن يكون عائدة إلى مَنْ ومعناه من أوفى بعهده نفسه لأن العهد يضاف ثلثة إلى العاهد وثلاثة إلى المعهود له (واتقى) الحياة ونقض العهد (فإن الله يحب المتقين) معناه فإن الله يحبّه إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين ليبين الصفة التي يجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب اليهود وروي عن النبي أنه قال لما قرأ هذه الآية قال كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها موداة إلى البر والفاجر وعنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ألتسن خان وعنه (ص) قال من ألتسن على أمانة فادأها ولو شاء لم يؤدّها زوجته الله من الحور العين ماشاء.

قوله تعالى (٧٧) **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)**

التزول

نزلت في جماعة من أجداد اليهود أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحبي بن الأخطب وكمب بن الأشرف كتبوا ما في التوراة من أمر محمد وكتبوا بأيديهم غيره وحفظوا أنه من عند الله لثلاث تفوتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الأشعث واعترف بالحق وردّ الأرض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلمة عن مجاهد والشعبي

المعنى

ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الحيثة فقال (إن الذين يشترون بهد الله) أي يستبدلون (بعهد الله) أي بأمر الله وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه (وأيمانهم) أي وبالآيمان الكاذبة (ثمنًا قليلاً) أي عوضاً نزرًا وساء قليلاً لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد ما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانتقاد للحق (أولئك لا خلاق لهم) أي لا نصيب وافر لهم في نعيم الآخرة (ولا يكلمهم الله) فيه قولان (١) أحدهما (٢) أنه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوؤهم وقت الحساب لهم عن الجاني

﴿وَالْآخِرُ﴾ انه لا يكلمهم اصلا وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله ايهم استهانة بهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر إليّ يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر إذا عدّي بعرف إلى لا يفيد الروية لأنه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف (ولا يزكّهم) أي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الازكيا. عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والآزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بأنهم أزكيا. ولا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفره فجرة عن القاضي (ولهم عذاب أليم) مؤلم موجه وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلاه هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح بإسناده من عدة طرق عن ابي ذر الففاري عن النبي (ص) قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكّهم ولهم عذاب اليم المئان الذي لا يعطي شيئا إلا منة والمنفق سلتمه بالخلف الفاجر والمسبل ازاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص) قال من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان أورده مسلم أيضا في الصحيح

قوله تعالى (٧٨) وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آية)

اللغة

أصل اللي القتل من قولك لويت يده اذا قتلها ومنه لويت القوم لويًا وليانا إذا مطته حقه قال الشاعر
تُطَلِّينَ لِيَّانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ وَأَحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ التَّقَاضِيَا
ومنه الحديث ليّ الواجد ظلم والألسنة جمع اللسان على التذكير كحمل واحمرة ويقال السن على التأنيث كعناق وأعتق والفرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا وحسبت لا يحتمل اليقين أصلا

الإعراب

لفريقا نصب بأنه اسم ان واللام للتأكيد دخلت على اسم ان إذا كان مؤخرًا ولا يجوز ان تزيد في الدار ثلثا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاء في القوم كلهم اجمعون فكلمهم تأكيد للقوم واجمعون تأكيد للكل

التزول

قيل نزلت في جماعة من اجار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي (ص) وغيره وأضافوه إلى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرقوا التوراة والإنجيل وضربوا كتاب الله ببعضه ببعض وألقوا به ما ليس منه وأسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس

المعنى

(وان منهم) أي من أهل الكتاب وهو عطف على قوله وان من أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار (لفريقا) أي طائفة (يلوون ألسنتهم بالكتاب) معناه يحرّفون الكتاب عن جهته ويمدولون به عن القصد

بالستهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الجهة لياً باللسان وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل يفسرونه بخلاف الحق (لتحسبوه من الكتاب) أي لتظنوه ايها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المتزل على موسى ولكنهم يفترونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله (وما هو من عند الله) وفي هذا دليل على ان المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفي بأنها ليست من عند الله وكما لا يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لا اطلاق النفي بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز ان يكون من عند الله لا اطلاق النفي بأنه ليس من عند الله (ويقولون على الله الكذب) في نسبتهم ذلك إلى الكتاب (وهم يطمون) ان ذلك كذب وقيل وهم يطمون ما عليهم من العقاب

قوله تعالى (٧٩) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ (٨٠) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آيَاتَان)

(- القراءة -)

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة تلمون بالتشديد والباقون تلمون وقرأ عاصم غير الاعشى والبرجمي ٢٥ وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الراء والباقون بالرفع

(- الحجة -)

حجة من قال تلمون بالتشديد ان التعليم أبلغ في هذا الموضع لأنه إذا علم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بتوك عمله داخل في جملة من وتبع بقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحجة من قرأ تلمون ان العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه مما يكون داعياً إلى التمسك بعلمه والعمل به ما لا يدركه العالم المعلم في تدريسه ومن قرأ يأمركم فعلى التقطع من الأول اراد ولا يأمركم الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر ان يأمركم ان تتخذوا وبما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانتقاع من الأول وبما يقوي النصب ما جاء في السير ان اليهود قالوا للنبي (ص) يا محمد أتريد ان تتخذك رباً فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يوْتيه الله الكتاب ولا ان يأمركم

◀ اللغة ▶

البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهو لا بشر كما تقول هذا خلق وهو لا خلق وإنما وقع المصدر على القليل والكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء والقراب ونحوه والرباني هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره واصلاحه إياه يقال رب فلان أمره ربابة وهو ربان إذا دربه واصلحه ونظيره نَسَ يَنْعَس وهو نعان واكثر ما يجي فلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانياً لأنه بالعلم يرب الأمر ويصلحه وقيل انه مضاف إلى علم الرب وهو علم الدين الذي يأمره به إلا انه غير في الإضافة يدل على هذا المعنى كما قيل في الإضافة إلى البحرين بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياتي فقيل لصاحب علم الدين الذي أمر به الرب رباني

(١) [فإن قالوا انها من عنده خلقا وفلا وليست من عنده انزالا ولا أمراً فالجواب لو كانت كذلك لكانت من عنده] ٢٥ اي من جميع طرقه الا من طريق هذين

﴿ النزول ﴾

قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورتيس وفد نجران قال يا محمد أتريد ان نعبدك ونتخذك إلهًا فقال
مطذ الله أن اعبد غير الله أو أمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثي ولا بذلك أمرني فأنزل الله الآية عن ابن عباس
وعطا وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لأحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لأهله فأنزل الله الآية

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر أهل الكتاب وانهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء. نزههم الله عن ذلك فقال (ما كان
لبشر) يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا أن نتكلم بهذا أي لا ينبغي
وقيل لا يجوز معناه لبشر ولا يحل له (أن يوتيئه الله) ان يعطيه الله (الكتاب والحكمة والنبوة) أي العلم
أو الرسالة إلى الخلق (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي اعبدوني من دونه أو اعبدوني معه
من العبادي وقيل معناه ليس من صفة الأنبياء الذين خصهم الله لرسالته واجتباهم لنبوته وانزل عليهم كتبه
وجعلهم حكما. علماء ان يدعوا الناس إلى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي (ص) عن
مثل هذا القول لا على وجه التهمي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي وعبيد بخلافه لأنه بمعنى العبودية
ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره (ولكن كونوا ربانيين) فيه حذف أي
لا ينبغي لهذا النبي ان يقول للناس اعبدوني ولكن ينبغي ان يقول لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال (احدها)
أن معناه كونوا علماء فقهاء. عن علي وابن عباس والحسن (وثانيها) كونوا علماء. حكما. عن قتادة والسدي
وابن أبي رزينة وثالثها كونوا حكما اقباه عن سعيد بن جبير (ورابعها) كونوا مدبري امر الناس
في الولاية بالإصلاح عن ابن زيد (وخامسها) كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك
أي أنفق من مالك عن الزجاج وروي عن النبي انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك
إلا والله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما بقول الرباني العالم
بالحلال والحرام والأمر والنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لأن
القرآن نزل بلقمتهم وروي عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة وقد ذكرنا
اشتقاقه قبل (بما كتتم تعلمون الكتاب) أي القرآن (وبما كتتم تدرسون) أي الفقه ومن قرأ بالتشديد
اراد تعلمونه لسواكم فيفيد انهم يطمون ويطمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت
إليه في قوله بما كتتم تعلمون لأحد ثلاثة أشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال أنفقوم
بالماء او يريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقت الباء موقع في او يريد كونوا ممن يستحق أن
يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بأن تعلموا بما علمتم وذلك الإنسان انما يستحق الوصف بأنه عالم إذا
عمل بعلمه وبدل عليه قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء (ولا يأمركم) أي ولا يأمركم الله عن الزجاج
وقبل ولا يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يأمركم عيسى ومن نصب الرأ عطفه على أن يوتيئه الله فمعناه
ولا كان لهذا النبي أن يأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين إربابا) أي آلهة كما فعله الصابئون والنصارى
(يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) الف انكار اصله الاستفهام وانما استعمل في الانكار لأنه ممالو

(الجزء الثالث) قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ٤٦٧

ج ٢

أقربه المخاطب لظهرت فصيحة فلذلك جاء على السؤال وان لم يكن الفرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى إنما يبعث النبي (ص) ليدعو الناس الى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين الى الكفر

قوله تعالى (٨١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨٢) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

الترجمة

قرأ حمزة وحده لما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم على

﴿ الحجة ﴾

الوجه في قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام انه يعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا ويكون ماعلى هذا موصولة والمائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته وهي قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهي قوله مامعكم لأنه بمنزلة ما اوتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين لأنه في معنى لا يضيع اجرهم ويجوز أن يكون ماعلى هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام قال لما آتيتكم فإن ما فيه يحتمل تأويلين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون موصولة ﴿ والاخر ﴾ ان يكون للجزء فمن قدر ما موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول ما تقدم ذكره في قراءة حمزة وأما الراجع الى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في الما فيمن قدر ما موصولة لام ابتداء وهي المتلقية لما اجري مجرر من قوله واخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به وتؤمنن متعلق بقسم محذوف المعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود الى الذي آتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحوه قولك لَمَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهُ لِتَأْتِيَنَّهُ وَالذِّكْرُ الَّذِي فِي لَتَنْصُرُنَّهُ يَعُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَإِذَا قَدَرْتَ مَا لِلْجَزَاءِ كَانَتْ مَا فِي مَوْضِعِ نَصَبِ بَأْتِيَتُمْ وَأْتَيْتَكُمْ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالشَّرْطِ وَجَاءَ كَمْ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالْمَطْفِ عَلَى آتَيْتَكُمْ وَاللَامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى مَا يَلَا بِكُونَ الْمُتَلْقِيَةُ لِلْقَسْمِ وَلَكِنْ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ اللَامِ فِي لَتْنِ لَمْ يَتَّهِ الْمُنَاقِقُونَ وَالتَّلْقِيَةُ قَوْلُهُ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ كَمَا أَنَّهَا فِي قَوْلِهِ لَتْنِ لَمْ يَتَّهِ الْمُنَاقِقُونَ قَوْلُهُ لَتَنْصُرُنَّ بِهِمْ وَهَذِهِ اللَامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى أَنْ لَا يَمْتَدَّ الْقَسْمُ عَلَيْهَا فَلِذَلِكَ جَازَ حَذْفُ تَارَةِ وَاثْبَاتِهَا تَارَةً كَمَا قَالَ وَأَنْ لَمْ يَتَّهِوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَلْحَقُوا هَذِهِ اللَامُ إِنَّ مَرَّةً وَلَا تَلْحَقُ أُخْرَى كَمَا أَنَّكَ كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ وَاللَّهُ لَوْ فَطَلْتُ لَفَطَلْتُ وَوَاللَّهُ لَوْ فَطَلْتُ لَفَطَلْتُ

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا وما اخذ من صهده عليهم اجمعين فقال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) العامل في إذ محذوف وتقديره واذا ذكر إذ أخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذا قالت

الملائكة وروي عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس وقتادة ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (ص) أن يخبروا أممهم ببعثه ونفته ويشروهم به ويأمرهم بتصديقه وقال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (ع) على الأول والآخِر فأخذ الله ميثاق الأول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق تقديره واذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوه فيما بعد وماؤفوا به وتركوا كثيرا من شربته وحرّفوا كثيرا منها وقوله (لما آتيتكم) بفتح اللام إذا كانت ما موصولة فتقديره الذي آتيتكموه أي أعطيتكموه (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول) أي نبي وقيل يعني محمد (ص) (مصدق لما معكم) أي لما آتيتكم من الكتب (لتؤمنن به) أي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه أو يريد لتؤمنن بالذي آتيتكموه ولتنصرن الرسول وعلى هذا يكون المعنى انه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاووس وإذا كانت ما للجزء فتقديره أي شيء آتيتكم ومما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط ابتلاؤه أيام الكتاب والحكمة ومجيء الرسول والجزء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فأغنى جواب القسم عن الجزء كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره ان الله تعالى قال لم مما آتيتكم كتابا وحكمة ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فأقروا بذلك واعطوا عليه موافقتهم وهذا أشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الأنبياء ليأخذوا على أممهم بتصديق محمد إذا بعث ويأمرهم بنصرته على أعدائه ان ادر كوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون معنى قوله جاءكم أممكم واتباعكم وإنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم ومن قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أوتوه أي لأجل ما أوتوه من الكتاب والحكمة ولا أنهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي أن يكون الإيتاء سابقا لأخذ الميثاق وقوله لتؤمنن متعلق بأخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع الى معنى الشرط والجزء وقوله ولتنصرنه أي البشارة للأمم به قال ابي قال الله لأنبيائه (أقرتم به) وصدقتموه (وأخذتم على ذلكم إصري) معناه وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فإن أوتيتهم هذا فخذوه وقيل معناه وأخذتم العهد بذلك على أممكم (قالوا) أي قال الأنبياء وأمهم (أقرنا) بما امرتنا بالإقرار به (قال) الله (فاشهدوا) بذلك على أممكم (وانامعكم من الشاهدين) عليكم وعلى أممكم عن علي وقيل فاشهدوا أي فاعلموا ذلك انامعكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كتابة عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآية من مشكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه اعرابها وتحقيقتها وشقوا الشر في تدقيقها ولا تراها في موضع اوجز لفظا وأكثر فائدة وأشد تهذبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق (فن تولى بعد ذلك) أي فن اعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم والمقصود بهذه الأمم دون النبيين لأنه قد مضى ازمانهم وجاز ذلك لأن أخذ الميثاق على النبيين يتضمن الأخذ على أممهم وقد روي عن علي (ع) انه قال لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه وأمره بأن يأخذ العهد بذلك على

قومه (فأولئك هم الفاسقون) ولم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر الى أفحش مراتب الكفر بتردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن أمر الله الى حال توبقه وفي الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي ما هو اكبر وما هو اصغر بالإضافة اليه

قوله تعالى (٨٣) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٤) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٥) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (ثلاث آيات)

—* القراءة *

قرأ أبو عمرو ويغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيها ابن عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيها جميعا

﴿ الحجعة ﴾

من قرأ بالتاء فيها فلأن اول الآية خطاب للنبي ومن قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم أفغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لأنهم غيب وقد تقدم القول في يرجعون وترجعون

﴿ الإعراب ﴾

أفغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كما لو قيل او غير دين الله يبغون الآ ان الفاء ربت فكأنه قيل أبعثتلك الآيات غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقصا وقع الحال وتقديره طامعين وكارهين كما يقال أتاني ركضا اي راكضا ولا يجوز ان تقول اتاني كلاما اي متكلما لأن الكلام ليس بضرب من الأتيان والركض ضرب منه

﴿ النزول ﴾

عن ابن عباس قال اختص اهل الكتاب إلى رسول الله (ص) فيما اختلفوا بينهم من دين ابراهيم كل فرقة زعمت أنهم اولى بدينه فقال النبي (ص) كلالا الفرقتين بري من دين ابراهيم ففضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله يبغون

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بين عقبيه ان من يتبع غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال أفغير دين الله يبغون أي أبعثتلك هذه الآيات والحجج يطلبون دينا غير دين الله (وله اسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه أسلم من في السماوات والأرض بحاله الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس - « وثانيها » - اسلم اي

ج ٢
أقر بالمبودية وإن كان فهم من اشرك بالعبادة كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابي العالية - « وثالثها » - أسلم المؤمن طوعاً والكافر كرهاً عند موته كقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما وأوا بأسنا عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله - « ورابعها » - ان معناه استسلم له بالانقياد والذكر كقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج - « وخامسها » - ان معناه اكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائمين عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله قال كرها أي فرأمن السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لأهل السماوات خاصة وأما أهل الأرض فمنهم من اسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً (واليه ترجعون) أي إلى جزائه تصيرون فبادروا إلى دينه ولا تخالفوا الإسلام (قل آمنا بالله) خطاب للنبي (ص) وأمر له بأن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله (وما انزل علينا) الآية كما يخاطب رئيس القوم بأن يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فإن قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعدما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما أمر به ونهى عنه وأيضا فإن أهل الملل المخالفة للإسلام كانوا يقرّون كلهم بالإيمان ولكن لم يقرّوا بلفظ الإسلام فهذا قال ونحن له مسلمون (ومن يتبع غير الإسلام) أي يطلب (ديناً) يدين به (فلن يقبل منه) بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله (وهو في الآخرة من الخاسرين) أي من المالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال وفي هذه الآية دلالة على ان من ابغى الإسلام ديناً يقبل منه فذلك على ان الدين والإسلام والإيمان واحد وهي عبارات من معبر واحد

قوله تعالى (٨٦) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٧) أَوَلَيْكَ جَزَاءُ أَنَّمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٨) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (أربع آيات)

اللغة

الخلود في اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقيل للثاني خوالداً ما دامت في مواضعها وإذا زالت لا يستى خوالداً والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد فلان في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة والآن نظار التأخير للمبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الإعمال ان الإعمال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله

(الإعراب) -

كيف أصله الاستفهام والمراد به هنا الإنكار لأنه لا تقع هذه الهداية من الله أي لا يهديهم الله كقوله

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أي لا يكون قال الشاعر
 كَيْفَ تَوَمَّأَ عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا يَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءَ^(١)

وانما دخله معنى الإنكار مع ان اصله الاستفهام لأن المسؤل يسأل عن اغراض مختلفة فقد يسأل للتمجيز عن اقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار وانما عطف قوله شهدوا وهو فعل على إيمانهم وهو اسم لأن الإيمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان آمنوا وشهدوا وأجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فإن الله غفور رحيم لأنه يشبه الجزاء إذ كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فإن الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون في موضع خبر الذين لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله أو لك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل في الكلام والاسبق إلى الألف

= [النزول] =

قبل نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المحذرين زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه ان يسألوا رسول الله (ص) هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآية الى قوله إلا الذين تابوا فحسبنا اليه رجلا من قومه فقال اني لأعلم انك لصدوق ورسول الله اصدق منك وان الله اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن إسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل نزلت في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي (ص) قبل مبثته ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغيا عن الحسن والجبائي وابي مسلم

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى ان الإسلام هو الدين الذي به النجاة بين حال من خالفه فقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) فيه وجوه - « احدها » - ان معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد إيمانهم - « وثانيها » - انه على طريق التبعية كما يقال كيف اهديك الى الطريق وقد تركته أي لا طريق يهديهم به الى الإيمان الآ من الوجه الذي هدام به وقد تركوه ولا طريق غيره - « وثالثها » - ان المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويشيهم والحال هذه وقوله (وشهدوا ان الرسول حق) عطف على قوله بعد إيمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد ان آمنوا وشهدوا ان الرسول حق (وجاءهم البينات) أي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يشيهم ولا يهديهم الى طريق الجنة لأن المراد الهداية المختصة بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله ولما تود فهديتهم والمراد بالإيمان هاهنا اظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على انهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به (أو لك جزاؤهم) على أعمالهم (ان عليهم لعنة الله) وهي ابعادة إياهم من رحمته ومغفرته (والملائكة والناس اجمعين) وهي دعاؤهم عليهم باللعنة وبأن يبعدهم الله من رحمته (خالدون فيها) أي في اللعنة نخلودهم فيها استحقوا باللعنة وهو العذاب (لا يخفف عنهم العذاب) لا يسهل عليهم (ولا هم ينظرون) أي ولا يميلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت

إلى وقت آخر وانما نفى انظارهم للتوبة والانابة لما علم من حالهم انه لا ينبغي ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التوبة ليست بواجبة وان علم انه لو ابقاه لتاب واناب عند اكثر المتكلمين (الالذنين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان وأصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يشتوا على الإسلام وهذا أحسن من قول من قال: وأصلحوا أنهم لم بعد التوبة وصلوا وصاموا فإن ذلك ليس بشرط في صحة التوبة إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع (فإن الله غفور) يغفر ذنوبهم (رحيم) يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه وان ما لا يجوز المواخذة به اصلاً لا يجوز تعليقه بالمغفرة وان ما يعلق بالمغفرة ما يكون له المواخذة به

قوله تعالى (٩٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ [آية]**

= [النزول] =

قيل نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله (ص) قبل مبثته ثم كفروا به بعد مبثته عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن عن قتادة وعطاء وقيل نزلت في احد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فتمت ما اردنا الرجعة رجعتنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله (ص) مكة دخل في الإسلام من دخل منهم قبلت توبته فقتل فيمن مات منهم كافراً إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية

= [المعنى] =

لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه الله بما لا يقبل منها فقال (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفراً إلى كفرهم (لن نقبل توبتهم) لأنها لم تقع على وجه الإخلاص وبدل عليه قوله وأولئك هم الضالون ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية اليأس لأنها تكون في حال الإلجام ومعناه انهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقاتدة والجبائي وقيل لأنها اظهرت الإسلام توبة فاطلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الأمة (وأولئك هم الضالون) عن الحق والصواب وقيل لما لكون المذبذبون

قوله تعالى (٩١) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ الْأَرْضِ ذَّهَبًا وَكَوْراً قَدِي بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آية]**

= [اللغة] =

الميل أصله الملاء وهو تطفيح الإناء ومنه الملاء الاشراف لأنهم يملون العين هية وجلالة ومنه رجل ملى بالامر وهو املاً به من غيره فملى اسم للمقدار الذي يملأ والميل المصدر والغدية البدل من الشيء في

ازالة الأذية ومنه فدا الأسير لأنه بدل منه في ازالة القتل والأسر عنه اذا كسر مدّ وإذا فتح قصر تقول فدى لك أو فداً لك ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء اشغال من الفدية

﴿ الأعراب ﴾

ذهبا منصوب على التمييز وإنما استحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة او ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افندي به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لأن الكلام اذا امكن حمله على فائدة يحمل عليها ولا يحمل على الزيادة وقال إذا دخلت الواو في مثل هذا كان الرفع في التأكيذ كقولك لا آتيك وإن اعطيني لأنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال ولو جعلنا الواو زائدة لأوهم ذلك انه لا يقبل منه ملء الأرض ذهباً في الافتداء ويقبل في غيره

= [المعنى] =

(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) أي على كفرهم (فلن يقبل من احد ملء الأرض ذهباً) أي مقدار ما يملأ الأرض من الذهب (ولو افندي به) بذله عوضاً ومعناه ان الكافر الذي يعتقد الكفر وان أظهر الإيمان لا ينفعه الانفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه في الآخرة لو وجد اليه السبيل قال قتادة يجيء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً لكنت تفندي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أسير من ذلك فلم تفعل ورواه أيضاً انس عن النبي (أو لك ملء عذاب أليم وما لم من ناصرين) قد ذكرنا معناه

قوله تعالى (٩٢) لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (آية)

= [اللغة] =

البر أصله من السعة ومنه البرّ خلاف البحر والفرق بين البرّ والخير ان البرّ هو النفع الواصل الى الخير مع التقصد الى ذلك والخير يكون خيراً وان وقع عن سهو وضدّ البرّ العقوق وضدّ الخير الشر

= [المعنى] =

(لن تناولوا البر) أي لن تدركوا بر الله تعالى بأهل طاعته واختلف في البرّ هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطاء وقيل معناه لن تكونوا ابرارا أي صالحين اتقياء عن الحسن (حتى تنفقوا مما تحبون) أي حتى تنفقوا المال وإغنا كُنْهِي بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبون المال وقيل معناه ما تحبون من نفائس اموالكم دون اذلالها كقوله تعالى ولا تيسموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو الزكاة الواجبة وما فرضه الله في الأموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة وقد روي عن أبي الطفيل قال اشترى علي ثوباً فأعجبه فصدق به وقال سمعت رسول الله يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن أحب شيئاً فحصله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة وروي ان ابا طلحة قسم

حائطا له في اقراره عند نزول هذه الآية وكان أحب امواله اليه فقال له رسول الله (ص) بخ بئخ ذلك مال ا رابع لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله (ص) اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جاربه كان يحبها وتلا هذه الآية وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته الله تعالى لنكحتها و اضاف أبو ذر الثفاري ضيفا فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلا فاخرج وأتني بخيرها فذهب فبجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتي بهذه فقال وجدت خير الايل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو ذر في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمرك ان يذهب بخيرها او شرها من هلك او موت والوارث ينتظر ان تضع رأسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت ان لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكن ان الله يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما أحب من مالي فأحببت ان اقدمه لنفسي وقال بعضهم دلم بهذه الآية على الفتوة فقال لن تناولوا البر أي بري بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي (وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) جاء بالفاء على جواب الشرط وان كان الله يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان * احدهما * ان تقديره وما تنفقوا من شيء فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم لا يخفى عليه شيء منه * والاخر * ان تقديره فان الله يعلمه الله موجودا على الحد الذي يفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما أطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والاولى ان يكون المراد لن تناولوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن ابن عمر ان النبي (ص) سئل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق البذل المال وهو شحيح بأهل الدنيا ويخاف الفقر

[النظم]

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر في الآية الأولى لن يقبل من احدكم ملء الأرض ذهابا واصل ذلك بقوله لن تناولوا البر حتى تنفقوا لثلا يوردي امتناع غناء الغدية الى الفتور في الصدقة وما جرته مجراها من وجوه الطاعة

قوله تعالى (٩٣) كُلُّ الطَّامِ كَانَ حَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آيتان)

اللفظة

الافتراء افتراء الكذب وأصله قطع ما قدر من الأديم^(٢) يفريه فرياً اذا قطعه وعلى الاستعلاء ومعناه هنا اضافة الكذب إلى النبي (ص) من جهة انه أمر بالمر بأمر به الله وأوجب ما لم يوجهه الله وفرق بين من كذب عليه وكذب له لأن من كذب عليه يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز أن يكون فيما يريد

التزول

انكر اليهود تحليل النبي لحوم الإبل فقال كل ذلك كان حلالاً لإبراهيم قالت اليهود كل شيء تحرمة فإنه محرم على نوح وإبراهيم وهلم جرا حتى انتهى الينا فتزلت الآية عن الكلبي وإبي روق

(- المعنى -)

(كل الطعام) أي كل المأكولات (كان حلالاً) أي كان حلالاً (لبني إسرائيل) أو إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (إلا ما حرم إسرائيل) أي يعقوب (على نفسه) اختلفوا في ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع المرق الذي يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرم المروق ولحم الإبل وهو أحب الطعام إليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تبعداً لله تعالى وسأل الله أن يبيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما حلتها الظهور عن عكرمة واختلف في أنه عرّف كيف حرّمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذرو قبل نص ورد عليه وقيل حرّمه كما يحرم المنتظر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه (من قبل أن تنزل التوراة) معناه أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراة على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التوراة فقيل أنه حرّم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب (ع) عن السدي وقيل لم يحرم الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً وصب عليهم رجوا وهو الموت وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم في التوراة وإنما هو شيء حرّموا على أنفسهم اتباعاً لأبيهم وأضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله وقال قل يا محمد (فأتوا بالتوراة فاتلوها) حتى يتبين أنه كما قلت لا كما قلتم (إن كنتم صادقين) في دعواكم فاحتج عليهم بالتوراة وأمرهم بالإتيان بها وإن لم يقرأوا ما فيها فإن كان في التوراة أنها كانت حلالاً للأنبياء وإنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على إتيان التوراة لعلهم بصدق النبي (ص) وبكذبهم وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحة نبوة نبينا محمد إذ علم بأن في التوراة ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراة وقراءتها (فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك) أي فمن افتري الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجة وظهور البيّنة (فأولئك) هم المفترون على الله الكذب وهم الظالمون لأنفسهم بفعل ما أوجب العقاب عليهم وإنما قال من بعد ذلك مع أنه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد بيان أنه إنما يؤخذ به بعد إقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه

(- النظم -)

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنها تفصيل للجملة المتقدمة فإنه ذكر الترغيب في الإنفاق من المحبوب والطعام مما يجب فرغّب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل أنه لما تقدم محاجتهم في ملة إبراهيم وكان فيما انكروا على نبينا (ص) تحليل لحم الجزور وادّعوا تحريمه على إبراهيم (ع) وإن ذلك مذكور في التوراة فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم

قوله تعالى (٩٥) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (آية)

◆ اللغة ◆

الاتباع لحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق فالقوة للأول والثاني يستمد منه والتابع ثلث متدبر بتدبير الأول متصرف بتصرفه في نفسه واصل الحنيف الاستقامة وانما وصف المائل القدم باحرف تفاعلاً وقيل أصله الميل فالحنيف هو المائل الى الحق فيما كان عليه ابراهيم من الشرع

➤ المعنى ➤

ثم بين تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال (قل صدق الله) في أن كل الطعام كان حلالاً لبني اسرائيل إلا ما حرّم اسرائيل على نفسه وفي أن محمداً (ص) على دين ابراهيم وان دينه الاسلام (فاتبعوا ملة ابراهيم) في استباحة لحوم الايبل والبانها (حنيفاً) أي مستقيماً على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطهيب ما كمله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل ماثلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى دين الحق (وما كان من المشركين) برأ الله تعالى ابراهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى اليه بزعمهم انهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر أن ابراهيم كان بريئاً من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا (ص) لم يكن متعبداً بشريعة من تقدم من الأنبياء ولكن وافقت شريعته شريعة ابراهيم فذلك قال فاتبعوا ملة ابراهيم والا فإله تعالى هو الذي اوحى بها اليه واوجها عليه وكانت شريعة له وانما رغب الله في شريعة الاسلام بانها ملة ابراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن اليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون إلى اتباع ملة ابراهيم «ع» فذلك خوطبوا بذلك

قوله تعالى (٩٦) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٧) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَافِ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (آيات)

➤ القراءة ➤

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر وابي جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها

◆ الحجة ◆

قال سيويه حجّ حجاً مثل ذكر ذكرًا فيحج على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحجج السنون واحدها حجّة قال ابو علي يدل على ذلك قوله ثانياً حجج قال الحجّة من حج البيت الواحدة قال سيويه قالوا حجّة ارادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الأصل ولكنه اسم له فقوله لم يجيئوا بها على الأصل اراد انه للدفة من الفعل ولكن كسروه فحطوه اسماً لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجرى فيه الغزوة وكان القياس

﴿ اللغة ﴾

أول الشيء ابتداءه ويجوز أن يكون المبتدأ له آخر ويجوز أن لا يكون آخره لأن الواحد اول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم اهل الجنة له لول ولا نهاية له واصل بكة البك وهو الزحم يقال بكه بكه بكه اذا تزحم وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لأنها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم ولم يهلوا والبك دق الصق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة ولبدال الميم من الباء كقوله ضربة لازب ولازم ويجوز أن يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيء ومك المشاش مكا اذا تمشش بفيه فسميت مكة بذلك لقلة ماؤها وأصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا أو بركا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنوّه ومنه البركة شبة الحوض يمك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده

﴿ الإعراب ﴾

قوله تعالى مباركاً نصب على الحال بالظرف من بكة على معنى الذي استقر بيك مباركاً ويجوز أن يكون من الضمير في وضع كأنه قيل وضع مباركاً وعلى هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير الأول واما رفع مقام ابراهيم فلأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي مقام ابراهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من آيات عن ابي مسلم ومن استطاع اليه سبيلاً في موضع جرّ بدلا من الناس وهو بدل البعض من الكل

﴿ النزول ﴾

قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء والارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فأنزل الله تعالى ان اول بيت

﴿ المعنى ﴾

(إن اول بيت وضع للناس) أي بني للناس ولم يكن قبله بيت مبني وإنما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والارض من تحتها وهو خلقه الله قبل الارض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروى عن ابي عبد الله (ع) قال انها كانت مائة بيضاء يعني درة بيضاء وروى ابو خديجة عنه (ع) قال ان الله انزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي أسه وهو بجبال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فأمر الله تعالى ابراهيم (ع) واسماعيل (ع) ببنيان البيت على القواعد وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يمحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنها اول بيت مبارك وهدي وضع للناس عن علي (ع) والحسن وقيل اول بيت رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول شيء خلقه الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الأرض من تحتها وروى ابو ذر أنه سئل النبي (ص) عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس (الذي بيك) قيل بكة المسجد ومكة الحرم كله يدخل فيه البيوت عن الزهري وضرة بن ربيعة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل بكة بطن مكة عن ابي عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلدة وعليه الاكثر وقيل بكة هي مكة والعرب

تبدل الباء ميا مثل سبد رأسه وسمده عن مجاهد والضحاك (مباركا) يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا
لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقيل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة
عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لأنه يغفر فيه الذنوب ويمحو حمله على الجميع اذ لا تنافي (وهدي
للعالمين) أي دلالة لهم على الله تعالى لاهلاكه كل من قصده من الجابرة كأصحاب القبل وغيرهم
وباجتماع الظبي في حرمة مع الكلب والذئب فلا يتغر عنه مع نفرته عنه في غيره من البلاد وبالحاق الجمار على
كثرة الرماة فلولا انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستئناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء
المرضى بالبيت وبأن لا يعطوه طير إعظاما له إلى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به إلى جهة
صلاتهم او يهتدون إلى الجنة بحجه وطوافه (فيه آيات بينات) أي دلالات واضحات والماء في فيه عائد إلى
البيت وروي عن ابن عباس أنه قرأ فيه آية بيته (مقام ابراهيم) فجعل مقام ابراهيم وحده هو الآية وقال أثر
قدميه في المقام آية بيته والأول عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام ابراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم
والمشاعر كلها واوركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابراهيم في سورة البقرة
وسئل الصادق (ع) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود والباب قيل ولم سمي الحطيم قال لأن الناس
يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم وقال (ع) إن تهيأ لك أن تصلي صلاتك كلها الفرائض
وغيرها عند الحطيم فافعل فإنه افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلاة في الحجر افضل وروي من ابي حمزة
الثمالي قال قال لنا علي بن الحسين أي البقاع افضل فقلنا الله تعالى ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع
ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في
ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئا وقال الصادق (ع) الركن اليماني بابنا الذي ندخل
منه الجنة وروي انه من روي من ماء زمزم احداث له به شفاء وصراف عنه دا. قال المفسرون ومن تلك الآيات
مقام ابراهيم (ع) وأمن الداخل فيه وأمن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على الكعبة إلا اعتق
وإذا كان النيث من ناحية الركن اليماني كان الحصب باليمن وإذا كان من ناحية الركن الشامي كان الحصب
بالشام وإذا عم البيت كان في جميع البلدان وسائر ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله (ومن دخله كان آمنا)
عطف على مقام ابراهيم وفي مقام ابراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يرى فيه أثر قدميه ولا يقدر احد أن يجعل
الحجر كالطين إلا الله وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابراهيم ومن دخل مقام ابراهيم
يعني الحرم كان آمنا وقيل فيه أقوال **ح** احدها **ح** ان الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض
لمن لاذ بالحرم والتجأ اليه وإن كثرت جريته ولم يزد الإسلام إلا شدة عن الحسن **ح** وثانيها **ح** انه خبر
والمراد به الأمر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم
فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وعلى هذا يكون تقديره
ومن دخله فأمنوه **ح** وثالثها **ح** ان معناه من دخله عارفا بجميع ما أوجه الله عليه كان آمنا في الآخرة من
العذاب الدائم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأجمت الأمة على ان من اصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد
فيه ثم لما بين الله فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الإسلام فقال (ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا) ومعناه والله على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت أي من وجد اليه
طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه
بلوغ مكة بأي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول اليه والمروي عن أئمتنا انه وجود الزاد والراحلة
ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع إلى كفاية إما من مال او ضياع او حرفة مع الصحة في النفس وتخلى السرب

(الجزء الرابع) قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الى قوله وما الله بغافل عما تعملون ٤٧٩

من الموانع وامكان السير (ومن كفر) معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجباً عن ابن عباس والحسن (فإن الله غني عن العالمين) لم يتعبد بهم بالعبادة لحاجته اليها وإنما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعنى به اليهود فإنه لما نزل قوله ومن يتبع غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمرنا بالحج فلم يججوا وعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء. فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة وقد روي عن ابي امامة عن النبي (ص) انه قال من لم يجسه حاجة ظاهرة من مرض حابس أو سلطان جائر ولم يجح فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً وروي عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج

« النظم »

وجه اتصال الآية بما قبلها ان الله تعالى أمر أهل الكتاب باتباع ملة ابراهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمة وما يتعلق به في قوله ان أول بيت وضع للناس

قوله تعالى (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ
(٩٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آَمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

البعية الطلب يقال بعيت الشيء أبغيه قال عبد بن الحساس

بِغَاكَ وَمَا تَبَغِيهِ حَتَّىٰ وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاوَدْتَهُ أَمْسِرَ مَوْعِدًا

أي طلبك وما تطلبه ويقال إبغني بكذا بكسر الهزة أي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وإذا قلت أبغني بفتح الهزة فمعناه أعني على طلبه ومثله احملي لي واحلب لي واحلبي لي اعني على الحلبه والعوج بفتح العين ميل كل شيء منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الأرض ومنه قوله لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً

﴿ الإعراب ﴾

من آمن في موضع نصب بأنه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها راجعة إلى السبيل

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطباً للنبي بأمره بخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة (قل يا أهل الكتاب) أي قل يا محمد لهم (لم تكفرون بايات الله) أي بالمعجزات التي أتاه محمد (ص) والعلامات التي واقتت في صفته ما تقدمت البشارة به وسأهم أهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يجزمثل ذلك في أهل القرآن لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا يبنى عن ذلك بل يجوز أن يراه به يا أهل الكتاب المحرف عن وجهته ﴿ والثاني ﴾ الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يقرب بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد

٤٨٠ (سورة آل عمران) قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا الى قوله فقد هدي إلى صراط مستقيم

به التوبيخ وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سؤال يعجز عن اقامة العذر فكأنه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم (والله شهيد على ما تعملون) أي حفيظ على اعمالكم محصر لها ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم فيها وقال عز اسمه في هذا الموضع قل يا أهل الكتاب وفي موضع آخر يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم في موضع على بجهة التلطف في استدعائهم إلى الإيمان واعرض عن خطابهم في موضع آخر وأمر سبحانه نبيه استخفافاً بهم لصددهم عن الحق (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) أي لم تتعنون المؤمنين عن دين الإسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صددهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يُغرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصية فينساخون عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناه لم تصدون بالكذب بالنبي (ص) وان صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الأصم (تبغونها عوجاً) أي تطلبون لسبيل الله عوجاً عن سمت الحق وهو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالاً بالشبه التي تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامة أي على غير الوجه الذي ينبغي أن يطلب وقوله (وانتم شهداء) فيه قولان « احدها » - ان معناه انتم شهداء بتقديم البشارة بحمد في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدوله عنه - « والاخر » - المراد وانتم عقلاء كما قال أوالقي السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك انه يشهد الذي يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين (وما الله بغافل عما تعملون) هذا تهديد لهم على الكفر

قوله تعالى (١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠١) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (آيَاتان)

❖ اللغة ❖

الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والواجبة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله مجيباً إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به ولم يجوز أن يكون مطيعاً له وأصل الاعتصام الامتناع وعصمه يعصه إذا منعه ولا عاصم اليوم من أمر الله أي ولا مانع والعصام الحبل لأنه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال

❖ النزول ❖

نزلت في الأوس والخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينهم بذكر حروبهم في الجاهلية ليقتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله وكيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن

❖ المعنى ❖

ثم حذر المؤمنين عن قبول قواهم فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للأوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ (ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب) معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) اي يرجعوك كفاراً بعد إيمانكم ثم أكد تعالى الأمر وعظم الشأن فقال (وكيف تكفرون) اي وعلى اي حال يقع منكم الكفر (وانتم تتلى عليكم آيات الله) وهذا استبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله

وفيهم داع يدعوهم إلى الإيمان وقيل هو على التعجيب اي لا ينبغي لكم ان تكفروا مع ما يقرأ عليكم في القرآن المجيد من الآيات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه (ص) (وفيكم رسوله) يعني محمدا ترون معجزاته والكفر وان كان فظيما في كل حال فهو في مثل هذه الحالة اقطع ويجوز ان يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي (ص) بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع امته لأن آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا (ومن يعتصم بالله) اي يتمسك بكتابه وآياته وبدينه وقيل من يمتنع بالله عن سواه بأن يعصده لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والملاك بالإيمان بالله وبرسوله (فقد هدي إلى صراط مستقيم) اي إلى طريق واضح قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فأما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فأبقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلالة وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد شاهدوا في نفسه (ص) معجزات كثيرة منها انه كان يرى من خلفه كما يرى من قدومه ومنها انه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الأرض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه وكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطوله أحد وإن طال ومنها انه كان بين كفيه خاتم النبوة ومنها انه كان إذا مر بوضع يعلمه الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا إلى غير ذلك من الآيات

قوله تعالى (١٠٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٣) وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آيتان)

— (اللفظ) —

تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاة ووقاة ووقاة حملة على قياس وجوه واجوه وان كان هذا المثال لم يجز منه شيء على الأصل نحو تخمة وتكاة غير انه حملة على الأكثر من نظائره والحبل السبب الذي يوصل به إلى البنية كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر او نحوها ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة قال الاعشى

وَإِذَا تَجَوَّزَهَا جِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْآخِرَى إِلَيْكَ جِبَالَهَا

ومنه الحبل للحمل في البطن واصل الحبل المقبول قال ذو الرمة

هَلْ حَبْلٌ خَرَقَاءَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرْمُومٌ أَمْ هَلْ لَهَا آخِرَ الْأَيَّامِ تَكْلِيمٌ

وشفا الشيء مقصور حرفه ويشي شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه واشفى المريض على الموت من ذلك

﴿ الإعراب ﴾

قوله وانتم تعلمون جملة في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اي واعتصموا في حال اجتماعكم اي كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا اصله نجي لا تفرقوا فحذف احد التاءين كراهة لاجتماع المثليين والمعدوثة الثانية لأن الاولى علامة للاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى فانقذكم منها الكناية في منها عادت إلى الحضرة وترك شفا ومثله قول العجاج

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي تَقْضِي
طَوَيْنَ طَوِيًّا وَطَوَيْنَ عَرَضِي
تَوَكَّ الطول واخبر عن الليالي

(- التزول -)

قال مقاتل افتخر رجلا من الأوس والحزرج ثعلبة بن غنم من الأوس وأسمد بن زرارة من الحزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدين ومنا سعد ابن معاذ الذي اهتر عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الحزرجي منا أربعة احكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينها فغضبا وتفاخرا وناديا فجا. الأوس إلى الأوسي والحزرج إلى الحزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي (ص) فركب حمارا وأتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا

المعنى

لما نهى تعالى عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الآية ما يجب قبوله فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) معناه واتقوا عذاب الله أي احتسروا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقى ينبغي أن يحتس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه **أحدها** ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) **وثانيها** انه اتقا. جميع معاصيه عن أبي علي الجبائي **وثالثها** انه المجاهدة في الله تعالى وان لا تأخذ فيه لومة لائم وان يقام له بالقسط في الخوف والأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين **أحدهما** انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وأبي عبد الله **والآخر** انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاير وسنكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه إذا وجه قوله واتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا له بالحق في الخوف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لأنه لا يستتبع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال إلا من اكراه وقلبه مطمئن بالإيمان وقوله (ولا تموتن إلا وانتم مسلمون) وقد ذكرنا في سورة البقرة أن معناه لا تتركوا الإسلام وكونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وانما كان بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وإنما النهي في الحقيقة عن ترك الإسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التمسك منه بالموت إلا انه وضع كلام موضع كلام على جهة التصرف والإبدال بحسن الاستعارة وزوال اللبس وروى عن ابي عبد الله (ع) وانتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبي (ص) منقادون له (واعتصموا بجل الله) أي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى جبل الله اقوال **أحدها** انه القرآن عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروى ذلك مرفوعا **وثانيها** انه دين الله الإسلام عن ابن عباس وابي زيد **وثالثها** مارواه ابا بن تغلب عن جعفر ابن محمد (ع) قال نحن جبل الله الذي قال واعتصموا بجبل الله (جميعا) والاولى حمله على الجميع والذي يورده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) انه قال ايها الناس إني قد تركت فيكم جبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي اهل بيتي الا وانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والاتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تفرقوا عن رسول الله (ص) عن الحسن وقيل عن القرآن بتوك العمل به (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم) قيل ازاد ما كان بين الأوس

(الجزء الرابع) قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير إلى قوله وأولئك هم المفلحون ٤٨٣

والخروج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة إلى ان ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الاحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى اخفظوا نعمة الله ومنتها عليكم بالإسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما أعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم بجمعكم على الإسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم (فأصبحتم بنعمته) أي بنعمة الله (إخواننا) متواصلين وأحابيا متحابين بعد ان كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخرين لأن اصل الاخ من توخيت الشيء إذا قصدته وطلبته (وكنتم على شفا حفرة من النار) أي وكنتم يا اصحاب محمد (ص) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها وبينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن ارسل اليكم رسولا وهداكم للإيمان ودعاكم اليه فنجوتم بإجابته من النار وإنما قال فأنقذكم منها وإن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها واعرابي يسمع فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير قبضه (كذلك بين الله) أي مثل البيان الذي تلي عليكم بين الله لكم الآيات أي الدلالات والجمع فيها امرهم به ونهاهم عنه لظلمت تهتدون أي لكي تهتدوا إلى الحق والصواب

قوله تعالى (١٠٤) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آياتان)

﴿ اللغة ﴾

الامة اشتقاقها من الام الذي هو القصد في اللغة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعة ومنها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لأنه يأتي به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله إنا وجدنا آباءنا على أمة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى واذكر بعد أمة وإلى أمة معدودة ومنها القامة يقال رجل حسن الأمة أي القامة ومنها النعمة ومنها الامة بمعنى الام

﴿ الإعراب ﴾

منكم أمة من هاهنا للتبويض على قول اكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف وإنكار المنكر ليسا بفرضين على الأعيان وهما من فروض الكفايات فأى فرقة قامت بها سقطا عن الباقيين ومن قال انها من فروض الاعيان قال ان من هاهنا للتبيين ولتخصيص المخاطبة دون سائر الأجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقول الشاعر
أخو رغائب يعطيها ويسلبها
يأبى الظلامه منه النوفل الزفر (١)

(٢) لأنه وصفه باعطاء الرغائب والنوفل الكثير الإعطاء والزفر الذي يحمل الانتقال

﴿ المعنى ﴾

(ولتكن منكم أمة) أي جماعة (يدعون إلى الخير) أي إلى الدين (ويأمرون بالمعروف) أي بالطاعة (وينهون عن المنكر) أي عن المعصية (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون وقيل كل ما أمر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره

العقل او الشرع وهذا يرجع في المعنى إلى الأول ويروى عن أبي عبد الله (ع) ولتكن منكم أئمة وكنتم خير أئمة أخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعها ومحلها من الدين لأنه تعالى علق الفلاح بها واكثر المتكلمين على انها من فروض الكفايات ومنهم من قال انها من فروض الأعيان واختاره الشيخ ابو جعفر (ره) والصحيح ان ذلك إنما يجب في السمع وليس في العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكد وما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبي (ص) قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن درة ابنة ابي لمب قالت جاء رجل إلى النبي (ص) وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجلب كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغيثون فلا تغاثون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعة وترك التفرق فقال سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) في الدين وهم اليهود والنصارى (واختلفوا) قيل معناه تفرقوا ايضا وذكرهما للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر «متى أدن منه ينأ عني ويبعد» وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة (من بعد ما جاءهم البينات) اي الحجج والكتب وبين لهم الطرق (وأولئك لهم عذاب عظيم) عقوبة لهم على تفرقهم واختلافهم بعد مجي الآيات والبيانات والآية تدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك مذموم قبيح منهي عنه

قوله تعالى (١٠٦) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَهِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

﴿ الأعراب ﴾

العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصلت صفة بينة وبين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها في معنى يعدون كما يقال المال يزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم (١٠٧) فيقال لهم اكفرتم فعذفت لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به وقد يحدف القول في مواضع كثيرة استثناء بما قبله من البيان كقوله ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقالة ومثله كثير

﴿ المعنى ﴾

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أي ثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الإيمان والطاعة وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله (فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم) أي يقال لهم اكفرتم بعد إيمانكم واختلف فيمن عنوا به على القوال (واحداهما) أنهم الذين كفروا بعد اظهار الإيمان بالافتقار عن الحسن (وتانيها) أنهم جميع الكفار لامراضهم مما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حين اشهدهم على أنفسهم

الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبي بن كعب رضي الله عنه وثالثها رضي الله عنه انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي (ص) بعد إيمانهم به أي بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي رضي الله عنه ورابعها رضي الله عنه انهم اهل البدع والاهواء من هذه الأمة عن علي (ع) ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد ويروى عن النبي (ص) انه قال والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض ممن صحبني اقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعد إيمانهم ارتدوا على اعقابهم القهقري ذكره الثعلبي في تفسيره فقال ابو امامة الباهلي هم الخوارج ويروى عن النبي (ص) انهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية والألف في أكفرتم اصله الاستفهام والمراد به هنا التقرير اي لم كفرتم وقيل المراد التبرير اي قد كفرتم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بلفظ الذوق على التوسع ومعناه انظروا ما صار اليه عاقبتكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون اي بكفركم (واما الذين ابيضت وجوههم) وهم المؤمنون (ففي رحمة الله) اي ثواب الله وقيل جنة الله (هم فيها خالدون) اعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تأكيداً لتسكين المعنى في النفس وقيل إنما أعادها لأنه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله إياهم في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها وسمى الله تعالى الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل والوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلاً وقيل إنما جاز أن يكون تفضلاً لأنه بمنزلة إنجاز الوعد في انه تفضل مستحق لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لأن الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لأنه جر إليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه اشراقها واسفارها بالسرور بنيل البغية والظفر بالنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور أثر الحزن عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله وجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وفي هذا القول عدول عن عميقة اللفظ من غير ضرورة والأصح الأول

قوله تعالى (١٠٨) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ

(١٠٩) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (آيتان)

المعنى

(تلك آيات الله) اي تلك التي قد جرى ذكرها جميعاً الله وعلاماته وبياناته (نتلوها عليك بالحق) نقرأها عليك بالحق يا محمد (ص) وعلى أمتك ونذكرها لك ونعرفك إياها ونقصها عليك (بالحق) اي بالحكمة والصواب (وما الله يريد ظلماً للعالمين) معناه لا يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه او ينقصهم من الثواب عما استحقوه وإنما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم والحاجة إليه من دفع ضرر وجر نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علواً كبيراً وكيف يجوز أن يظلم احداً وهو الذي خلقهم وأنشأهم وابتدعهم وآتاهم من النعم ما لا تسو اليه همهم وعرضهم بها بلا هو أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكاً وحلقاً (وإلى الله ترجع الأمور) اختلفوا في كيفية رجوع الأمور إلى الله تعالى فقيل ان الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا أموراً وجعل لهم تصرفاً ويزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع اليه كله كما قال لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موقع المضمرة في قوله وإلى الله ترجع الأمور قولان رضي الله عنه احدها رضي الله عنه ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه رضي الله عنه والآخر رضي الله عنه ليكون أفخم في الذكر والموضع موضع التفتيح وليس كقول الشاعر

لَأَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَقَصَ الْمَوْتَ ذَا النِّعَى وَالْفَقْرَ

لأن البيت مفقود إلى الضبير والآية مستغنية عنه

قوله تعالى (١١٠) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آية)

—* المعنى *

لما تقدم ذكر الأمر والنهي عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم ترغيباً في الاقتداء بهم فقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل فيه اقوال ^(١) أحدها ^(٢) أن معناه انتم خير أمة وإنما قال كنتم لتقدم البشارة لهم في الكتب الماضية عن الحسن وبعضه ما روي عن النبي (ص) أنه قال انتم وبيتم سبعين أمة انتم خيرها واكرمها على الله ^(٣) وثانيها ^(٤) أن المراد كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج ^(٥) وثالثها ^(٦) أن كان هاهنا تامة وخير أمة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير أمة وخلقتهم خير أمة ^(٧) ورابعها ^(٨) أن كان مزيدة دخولها كخروجها إلا أن فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا محالة لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله تعالى واذكروا إذ انتم قليل وفي موضع آخر اذ كنتم قليلاً فكثرتكم ونظيره قوله وكان الله غفوراً رحماً لأن مغفرته المستأنفة كالملازمة في تحقيق الوقوع ^(٩) وخامسها ^(١٠) أن كان بمعنى صار كما في قول الشاعر
فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ تَوَسَّدَ قَبْلَهُ (١)

ومعناه صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله فتصير هذه الحاصل على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسدي وقيل تزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة عن عكرمة وقيل أراد بهم اصحاب رسول الله (ص) خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنهم يعم سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال (تأمرمون بالمعروف) بالطاعات (وتنهون عن المنكر) عن المعاصي ويسأل فيقال إن التبسيع أيضاً يعرف أنه تبسيع فلم يخص الحسن باسم المعروف وجوابه إن التبسيع جعل بمنزلة ما لا يعرف لحواله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر يعرف لبنائه وعلو قدره (تؤمنون بالله) أي بتوحيده وعدله ودينه (ولو آمن أهل الكتاب) أي لو صدقوا بالنبي (ص) وبما جاء به (لكان خيراً لهم) أي لكان ذلك الإيمان خيراً لهم في الدنيا والآخرة لأنهم ينجون بها في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة (منهم) أي من أهل الكتاب (المؤمنون) أي المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا وبالشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى (واكثرهم الفاسقون) أي الخارجون عن طاعة الله تعالى وإنما وصفهم بالفاسق دون الكافر الذي هو اعظم لأن الغرض الايذان بأنهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق في نبوة نبينا وقيل لأنهم في الكفار بمنزلة الفاسق العصاة لخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي اشنع وأفظع

قوله تعالى (١١١) لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يُوَلُّكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

(١١٢) ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنْ قَتَلَهَا فَمَنْ كَفَرَ بِهِ فَقَدْ أُضِلَّ لِمَا كَفَرَ بِهِ وَسَيُجْزَى بِمَا كَفَرَ بِهِ عَذَابًا أَلِيمًا (آياتان)

الإعراب

إلا أذى استثنا. متصل وقوله أذى في تقدير النصب ومعناه لن يضروكم إلا ضرراً سيراً فلا أذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثنا. منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً إلا حمياً وغساقاً قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن فيه الاستثنا. الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع وإن يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء. وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستثنا ولم يجزم على العطف لأن سبب التولية القتال وليس كذلك منع النص لأن سببه الكفر ولأن الرفع اشكل برووس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء من قوله بحبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره إلا أن يعتصوا بحبل من الله وأنشد

رَأْتَنِي بِحَبْلِيهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعًا الْفَوَادِ فَرُوقُ (١)

أراد رأيتني أقبلت بحبلها فحذف الفاعل في الباء وقال آخر

قَصِيرُ الْخَطْوِ يُحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مَقِيدًا أَنِّي بِقَيْدِ

أراد انني قيدت بقيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد وإنما يجوز حذف الشيء للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه وادل عليه حذف مع صلته لأنه معها بمنزلة شيء واحد والوجه ﴿ الآخر ﴾ ان الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف وقيل في هذا الاستثنا. انه منقطع لأن الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ فعامل الإعراب موجود والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاماً فكل انقطاع ففيه ازالة الإيهام الذي يلحق الكلام فقوله لا يسمعون فيها لغوا قد يوهم أنهم من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاماً فليلحظ ذلك للإخطاء إلا سلاماً وكذلك قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً قد يتوهم انه لا يقتل مؤمناً على وجه فقيل لذلك إلا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قديرتوهم انه من غير جواز موادة فقيل إلا بحبل من الله وقيل إن الاستثنا. متصل لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم

النزول

قال مقاتل ان رؤوس اليهود مثل كعب وأبي رافع وأبي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم كعب الله بن سلام واصحابه فأتبهم لإسلامهم فزلت الآية

المضى

(لن يضروكم إلا أذى) وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة إلا أذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي (وان يقاتلوكم) اي وان يجاوزوا عن الإيذاء باللسان

الى القتال والمعاربة (يولوكم الادبار) منهزمين (ثم لا ينصرون) اي ثم لا يعاونون لكفرهم ففي هذه الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ص) لوقوع مُخْبَرِهِ على وفق خبره لأن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين إلا بالسب والظعن (ضربت عليهم الذلة) اي اثبت عليهم الذلة وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والحيام عن ابي مسلم وقيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده أي الزمها اياه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لها منعة ابدا وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية ولقد ادركهم الإسلام وهم يؤدون الجزية إلى المجوس (ايما تقفوا) اي وجدوا ويقال اخذوا وظفر بهم (إلا بجبل من الله) اي بعهد من الله (وجبل من الناس) اي وعهد من الناس على وجه النعمة وغيرها من وجوه الأمان عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي العهد جبلا لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالجبل (وبأوا بغضب من الله) اي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه استرجعوا غضبا من الله (وضربت عليهم المسكنة) اي الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلا فسمى الذلة مسكنة عن ابي مسلم وقيل المراد به الفقر لأن اليهود ابدا يتفارقون وإن كانوا أغنيا. وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الآية في سورة البقرة

[النظم]

وجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم امر المعاربة لأن الأمر قد تقدم بالإنكار المنكر وقيل انه لما تقدم ان اكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن مضرتهم

قوله تعالى (١١٣) لَيْسُوا سِوَا مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٤) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآيَاتُ الْمُرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

قبل في واحد آناه قولان ✽ احدهما ✽ أَنِي مِثْلُ نَجْمِي وَالْآخِرَانِي مِثْلُ مَعِي قَالَ الشَّاعِرُ
حُلُوٌّ وَمَرٌّ كَمَطْفِ الْقَدَحِ مَرَّتُهُ بِكَلِّ إِنِّي قَضَاءُ اللَّيْلِ يَنْتَعِلُ^(١)
وحكي الأخفش انو بالواو والمسارة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والمجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الإبطاء وهو مذموم والمجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الأناة وهي محمودة

✽ النزول ✽

قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد (ص) إلا شارنا فأنزل الله ليسوا سوا إلى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل إنها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى (ع) فصدقوا بمحمد (ص) عن عطاء

[المعنى]

(ليسوا سوا) اختلفوا في تقديره والقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله (من اهل الكتاب) ابتداء

كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب (أمة قائمة) كبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبيّن اقترافهم فقال (من اهل الكتاب امة قائمة) فحصل بهذا بيان الاقتراف وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم بنجر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا وكذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبحل والجنين فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث ومثله قوله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر

رَأَيْتُ النَّوْائِيَّ الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي فَأَعْرَضَنِي عَنِّي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ^(١)

قال الزجاج والرماني وليس الأمر كما قال لأن ذكر اهل الكتاب قد جرى فأخبر الله انهم غير متساويين ولأن هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا
وَلَمْ يَقُلْ أَمْ غَيٍّ وَقَالَ آخِرُ

أَوَاكُ فَلَا أَدْرِي أَهَمُّ هَمَّتَهُ
وَذُوَاهُمُ قَدِمًا خَاشِعٌ مَتَضَائِلُ^(٢)

ولم يقل أم غيره لأن حاله في التغير يبنى ان المهم غيره أم غيره فلي هذا يكون رفع امة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة وعلى القول الأول رفع بالابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ما بنا حاجة هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج إلى أن يقدر وامة غير قائمة وقد تقدم صفتهم في قوله ويكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء وقوله امة قائمة فيه وجوه * احدها * ان معناها جماعة ثابتة على أمر الله عن ابن عباس وقادة الربيع * وثانيها * عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج * وثالثها * قائمة بطاعة الله عن السدي - « ورابعها » - ان التقدير ذو امة قائمة أي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد للناطقة (وهل ياتم ذو امة وهو طائع) أي ذو طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظاهر وحكم بالخذف من غير دلالة (يتلون آيات الله) يقرأون كتاب الله وهو القرآن (آتاء الليل) ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل أراد به وقت صلاة العتمة لأن اهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي نسمى ساعة النفلة (وهم يسجدون) قيل اراد السجود المعروف في الصلاة فلي هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لمطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون بنبر السجود فببر بالسجود عن الصلاة لأن السجود يبلغ الأركان في النواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال أي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي أيضا (يؤمنون بالله) أي بتوحيده وصفاته (واليوم الآخر) المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة (ويأمرون بالمعروف) بالاقراء بنبوة محمد (ص) (وينهون عن المنكر) عن إنكار نبوته (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات

«١» الغانية : المرأة الفنية بحسنها وجمالها عن الزينة «٢» فخذف «٣» التضائل : التصاغر .

٤٩٠ (سورة آل عمران) قوله تعالى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه الى قوله ولكن انفسهم يظلمون

بالموت وقيل معناه يعملون الأعمال الصالحة غير متتالين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها (وأولئك من الصالحين) أي من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبي (ص) انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتها عليهم وقال ابو عبد الله ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض وقال (ع) عليكم بصلاة الليل فانها ستة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن اجسادكم

قوله تعالى (١١٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (آية)

— (القرأة) —

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيها والباقون بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يخبر

— (الحجة) —

وجه القرأة بالياء ان يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في أن حكمهم واحد

— (الإعراب) —

وما فعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما جوزى بما ولم يجاز بكيف لأن ما أمكن من كيف لأنها تكون معرفة ونكرة لأنها للجنس و(كيف) لا تكون إلا نكرة لأنها للعالم والحال لا يكون إلا نكرة لأنها للفائدة

﴿ المعنى ﴾

(وما فعلوا من خير) أي من طاعة (فلن تكفروه) أي لم يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفراً على الاتساع لأنه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكرين على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنيقضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر في الأصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة في المنعم عليه بتضييع حقها (والله عليم بالمتقين) أي بأحوالهم فيجازيهم وإنما خص المتقين بالذكر وان كان عليا بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على انه لا يضيع شيء من عملهم قل أم كثر لأن المجازي عليهم بكل ذلك وهذه الآية تدل على ان شيئاً من أعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافاً لقول من قال بالأحباط

قوله تعالى (١١٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٧) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (آيتان)

اللغة

يقال اغنى عنه إذا دفع عنه ضرر الولاه لنزل به وإذا قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئين صار بدلا من الآخر في نفي الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فإن اخص بال ينفي الحاجة فذلك غني وكذلك الغنى بالجاء والأصحاب وغير ذلك فأما الغنى في صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادراً على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا تجوز عليه الحاجة أصحاب النار إنما سوا بذلك للملازمة فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها وقد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكه وأصحاب الرجل أتباعه وأعدائه وأصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفة وأصل المصاحبة المصاحبة الملازمة والنار أصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور واعتماد علوي والرياح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتفاع والارتفاع والراحة من التعب ومنه الروح لأنها كالريح في الطاقة ومنه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس والبريد الشديد وأصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصرير صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصرير صوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قمعة والصريرة شدة الصياح

(المعنى) -

لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين فقال (إن الذين كفروا بالله ورسوله لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من) عذاب (الله شيئاً) وإنما خص الأموال والأولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق وأعز الأشياء عليهم فإذا لم يغنيا عن الإنسان شيئاً فغيرها غناؤه أبرد (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي دائمون ثم ضرب مثلاً للإِنفاقهم فقال (مثل ما ينفقون) أي شبه ما ينفقون من الأموال (في هذه الحياة الدنيا) قبل هو ما ينفقون على الكفار في عداوة الرسول وقيل هو ما انفقه أبو سفيان وأصحابه بيذر وأحد لما تظاهروا على النبي (ص) وقيل هو ما انفقته سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون (كثلك اهلاك لريح) فيها صرّ فحذف الاهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ربيع فيكون تشبيه ذلك للإِنفاق من الحرث بالرياح (فيها صرّ) قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس أيضاً (أصابت حرث قوم) أي زرع قوم (ظلّموا أنفسهم) بالمعاصي فظلّمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلّموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة أو في غير وقتها فجاءت الريح (فأهلكته) تأديباً لهم من الله في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه (وما ظلّمهم الله) في اهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلّمهم وقيل في قتلهم وسيهم لأنهم استحقوا بكفرهم (ولكن انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك

قوله تعالى (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْكُلُونَ خَبَالًا وَلَا ذُؤُلًا مَّا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

اللغة

البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذة من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهي تقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر

أُولَئِكَ خُلُصَاتِي نَعَمٌ وَبِطَانَتِي وَهَمٌّ عَيْبَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ قَرِيبٍ
لا يألونكم أي لا يقصرون في أمركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال ألا يألوا ألو إذا فتر وضعف
وقصر وما ألوته خيرا وشرأ أي ما قصرت في فعل ذلك وقال امرؤ القيس

وَمَا الْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ مِدْرِكِ أَطْرَافِ الْخَطُوبِ وَلَا أَلِيٍّ (١)
أي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح الباء وسكونها للجنون لأنه فساد العقل
ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب اعادة المال لفساد الزمان قال زهير

هَذَاكَ إِنْ يَسْتَخْبِلُوا الْمَالَ يَجْلُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا يَعْطُوا وَإِنْ يَسْرِوْا يَغْلُوا
واصل العنت المشقة عنت الرجل يمت عنتاً دخلت عليه المشقة وأكمت عنت صعبة المسلك لمشقة
السلوك فيها واعتت فلان فلانا حمله على المشقة الشديدة فيما يطالبه فيه ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لاعتكم

الإعراب

من دونكم من التبعيض والتقدير لاتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين
الصفة فكأنه قال لاتخذوا بطانته من المشركين وهذا أولى لأنه أعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن الكافر بطانة على
كل حال وقيل ان من هاهنا زائدة وهذا غير حسن لأن الحرف إذا صح حمله في الفائدة لا يحكم فيه
بالزيادة وقوله خبالا نصب بأنه المفعول الثاني لأن الألو يتعدى إلى مفعولين ويجوز أن يكون مصدر الألو
المعنى يجلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عتتم يجوز أن يكون نصبا بأنه صفة لبطانة ويجوز ان يكون
لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة ومهله في قوله ما عتتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم

[التزول]=

نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقراية
والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين
ويخالطونهم عن مجاهد

[المعنى]=

نهى الله المؤمنين عن موالاته الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال (يا ايها الذين آمنوا)
أي صدقوا (لا تتخذوا بطانة من دونكم) أي لاتخذوا الكافرين أولياء وخواص من دون المؤمنين تفشون
اليهم اسراركم وقوله من دونكم أي من غير أهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواصلتهم فقال (لا يألونكم
خبالا) أي لا يقصرون فيما يوذي إلى فساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يتقون
في القائم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله (ودوا ما عتتم) معناه تمنوا إدخال المشقة عليكم
وقيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعتوكم في دينكم أي يحملونكم على المشقة فيه عن ابن عباس

وقوله (قد بدت البغضاء من افواههم) معناه ظهرت إمارة العداوة لكم على ألسنتهم وفي فحوى اقوالهم وفتلات كلامهم (وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر) مما يبدون بألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي بها يتميز الولي من العدو (ان كنتم تعلمون) اي تعلمون بفضل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم تعلمون مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء قد آتاكم الله من البيان الشافي

قوله تعالى (١١٩) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَوَمَّنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ عَنُقِكُمْ الْأَتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتَايِعْتِكُمْ إِنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمِ يَدَاتِ الصُّدُورِ (آية)

= [اللفظة] =

العَضُّ بالأُستنان معروف ومنه العَضُّ علف الأُمصار لأن له مضغة في العَضِّ يسمن عليها المال ورجل عَضٌّ لزاز الخضم لأنه يعضه بالخصومة والأتامل اطراف الأصابع واصله النمل المعروف فهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل غل اي غام لأنه ينقل الأحاديث الكريهة كتنقل النملة في الخفاء والكثرة

✽ الإعراب ✽

قال الأزهري يحتمل ان يكون اولاء. منادى كأنه قال يا اولاء. وقال غيره ها للتنبية وانتم مبتدأ واولاء خبره وتحبونهم حال وقال الزجاج جائز ان يكون اولاء. في معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم وجائز ان يكون تحبونهم حالا وتوتمنون عطف على يحبون ولا يجوز ان يقول ها قومك اولاء. لأن المضر أحق بالهاء التي للتنبية لأنه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوة المؤمنين تأكيذاً للنهي عن مصافقتهم فقال (ها أنتم اولاء. تحبونهم) وقد مر ذكر معناه في الإعراب وتقديره ها أنتم الذين تحبونهم او ها أنتم اولاء. محبين إذا قلنا انه بمعنى الحال اي تنبها في حال محبتكم ايامهم ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لأنكم تريدون لهم الإسلام وتدعونهم إلى الجنة (ولا يحبونكم) لأنهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك (وتوتمنون بالكتاب كله) الكتاب واحد في معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس ويجوز ان يكون مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتبت الله التي انزلها على انبيائه وفي افراده ضرب من الإيجاز واشعار بالتفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث توتمنون بما انزل على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) وعليهم و سائر الانبياء وهم لا يصدقون بكتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا (واذا خلوا) مع انفسهم (عضوا عليكم) اي اطراف الأصابع (من الغيظ) اي من الغضب والحنق لما يرون من إئتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله ايامهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر

إِذَا رَأَوْنِي أَطَالَ اللَّهُ غَيْظَهُمْ عَضُوا مِنَ الْغَيْظِ أَطْرَافَ الْأَبَاهِمِ
 وقول ابي طالب (يعضون غيظا خلفنا بالانامل) (قل) يا محمد لهم (موتوا بنيظكم) صبغته صبغة الامر
 والمعنى الدعاء عليهم فكأنه قال امانكم الله بنيظكم وفيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء
 إلا وقد إستحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ لما ترون من علو كلمة الاسلام إلى ان
 تموتوا (ان الله علم بذات الصدور) أي بما يضررونه من النفاق والغيظ على المسلمين

قوله تعالى (١٢٠) . إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ
 تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وابوعمر و يعقوب لا يَضْرُك خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد
 والراء وقرأ الحسن وابو حاتم يعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا يَضْرُك فهو من ضاره يضيره ضيراً ومن قرأ لا يَضْرُك فهو من ضَرَّه يضره ضراً والضير
 والضَر بمعنى واحد وقد جاء في القرآن لا ضير وإذا مسك الضر ولا يضررك اصله لا يضررك نقلت ضمة
 الراء الأولى الى الضاد وأدغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعاً لأقرب الحركات اليها والعرب
 تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظرون التضعيف قال الزجاج وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعاً قوله
 إِنْ تَمَسَّكُمْ على لغة اهل الحجاز وقوله يضررك على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يَضْرُك ولا يَضْرُك فن قال
 بالفتح فلأن الفتح خفيف يستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين

﴿ اللفظة ﴾

الكيد والمكيدة المكر الذي ينتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به واصله للمشقة يقال
 رأيت فلانا يكيد بنفسه اي يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكائدة لا يراد ما فيه من المشقة

﴿ المعنى ﴾

ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال (إن تمسكم حسنة) اي تصيبكم ايها المؤمنون نعمة
 من الله تعالى عليكم بها من الفة او اجتماع كلمة او ظفر بالاعداء (تسوهم) اي تحزنهم (وإن تصيبكم سيئة)
 اي محنة بإصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة وما يؤدي اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقادة
 والربيع وجماعة من المفسرين (وان تصبروا) على إذا هم وعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله والجهاد في
 سبيله (وتتقوا) الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعته (لا يضرركم) ايها الموحدون (كيدهم) اي مكر
 المناقبين وما يمتثلون به عليكم (شيئاً) أي لا قليلاً ولا كثيراً لأنه تعالى ينصركم ويدفع شرهم عنكم (إن
 الله بما تعملون محيط) اي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن اصل المحيط بالشيء هو المطيف به
 من حوايه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه

قوله تعالى (١٢١) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢٢) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (آياتان)

﴿ اللفظة ﴾

التبوءة اتخاذ الموضع للغير يقال بَوَّأت القوم منازلهم وبوأت لهم ايضاً أي اوطنتهم واسكنتهم ايها وتبؤواهم اي توطنوا ومنه المباءة المراح لأنه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بوأت بالذنب اي رجعت به محتملاًه والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلاً والفشل الرجل الضعيف

﴿ الاعراب ﴾

العامل في إذ محذوف وتقديره واذا ذكر إذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فتنين التقتا اي في نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة إذ غدا النبي (ص) عن ابي مسلم وقيل العامل فيه قوله محبط وتقديره والله عالم بأحوالكم واحوالهم إذ غدوت من اهلك وتبوى حال من غدوت

﴿ المعنى ﴾

واذا كرا يا محمد (إذ غدوت من اهلك) اي خرجت من المدينة غدوة (تبوى المؤمنون مقاعد) اي تبوى المؤمنون مواطن (للقنال) وقيل معناه تجلسهم وتقدم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف في أي يوم كان ذلك فقبل يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن أبي اسحاق وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن (والله سميع) اي يسمع ما يقوله النبي (ص) (عليم) بما يضمره لا أنهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للراكي وتهديد للغاوي وقيل سميع يقول المشيرين على النبي (ص) عليهم بضائرهم وقيل سميع بجميع المسوعات عليهم بجميع المعلومات (إذ همت) اي قصدت وعزمت (طائفتان) اي فرقان (منكم) اي من المسلمين (ان تفشلا) اي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب مهمهم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فعما به ولم يفعلاه (والله وليها) اي ناصرهما روي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما أحب انهما لم تكن لقوله والله وليها وقال بعض المحققين هذا هم خطرة لا هم عزيمة لأن الله تعالى مدحها واخبر انه وليها ولو كان هم عزيمة وقصد لكان ذمهم اولى من مدحهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع احوالهم وأمورهم

ذكر غزوة احد * عن ابي عبد الله (ع) انه قال كان سبب غزوة احد ان قريشاً لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون قال ابو سفيان يامعشر

قريش لا تدعوا نساءكم يبيكين على قتلاكم فإن الدمة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما
غزوا رسول الله (ص) يوم أحد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس
والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك جمع اصحابه وحثمهم على الجهاد فقال عبد
الله ابن ابي سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة
والعبد والأمة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودرؤنا وما
خرجنا الى عدونا قط إلا كان الظفر لم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله
ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطعمون فينا وانت فينا لا حتى نخرج
اليهم فنقاتلهم فن قتل منا كان شهيداً ومن نجنا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله رأيه وخرج
مع نفر من اصحابه يتبوؤن موضع القتال كما قال تعالى واذ غدوت من اهلك الآفة وقعد عنه عبد الله بن
ابي سلول وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافقت قريش الى احد وكان رسول الله عباً اصحابه وكاتوا سبع مائة
رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتي كمينهم من ذلك
المكان فقال لعبد الله بن جبير واصحابه ان رأيتمونا قد هزمتنا حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا
المكان وان رأيتمونا قد هزمتنا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزمو ما كركم ووضع ابو سفيان خالد
ابن الوليد في مائتي فارس كميناً وقال اذا رأيتمونا قد اختلطنا فخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا
وراءهم وعباً رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين (ع) وحمل الأنصار على مشركي قريش فانهمزوا
هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله (ص) في سوادهم وانحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله
ابن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله (ص) ينتهبون
سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم اصحابنا وبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن
رسول الله (ص) قد تقدم الينا ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى آخلوا مراكرهم
وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبدلي من بني عبد
الدار فقتله علي (ع) واخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي وسقطت الراية فأخذها مسافع بن ابي طلحة
فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم الى عبد لهم اسود يقال له ثواب فاتمى اليه
علي (ع) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعنتها بالجذماوين الى صدره ثم
التفت الى ابي سفيان فقال هل اعذرت في بني عبد الدار فضربه علي على رأسه فقتله وسقط اللواء فأخذتها
عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر
قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا
بها وانهمز اصحاب رسول الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله
الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال اوتي انا رسول الله ابي ابن نفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت
هند بنت عتبة في وسط العسكر فكما انهمز رجل من قريش دفعت اليه ميلاً ومكحلة وقالت إنما انت امرأة
فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهمزوا ولم يثبت له أحد وكانت هند قد
اعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً او علياً او حمزة لا عطيتك كذا وكذا وكان وحشي عبداً لجبير بن

مطمع حبشياً فقال وحشي اما محمد فلم اقدر عليه واما علي فرايته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكملت
 لجزية فرايته يهد الناس هدأ فرابي فوطي على جرف نهر فسقط واخذت حربتي فهزتها ورميته بها فوقعت
 في خاصرته وخرجت من نبتة فسقط فأتيته فشقت بطنه وأخذت كبده وجئت به الى هند فقلت هذه كبد
 حمزة فأخذتها في فيها فلا كتبها فجعله الله في فيها مثل الداعضة وهي عظم رأس الركة فلفظتها ورمت بها
 فقال رسول الله (ص) فبعث الله ملكا فحملة وردة الى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذا كبره وقطعت
 أذنيه وقطعت يده ورجله ولم يبق مع رسول الله إلا ابو دجانه سبأك بن خرشة وعلي فكلما حملت طائفة على
 رسول الله (ص) استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع اليه رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار وانحاز
 رسول الله (ص) الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي (ع) يقاتلهم حتى اصابه
 في رأسه ووجهه وبديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اوردته علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرائيل
 ان هذه هي المواساة يا محمد فقال محمد انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منك قال ابو عبد الله نظر رسول
 الله (ص) الى جبرائيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى
 الا علي وروى ابن أبي اسحاق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم
 الاربعاء في شوال سنة ثلاث من الهجرة وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف
 من الشهر وكسرت ربيعة رسول الله (ص) وشج في وجهه ثم رجع المهاجرون والأنصار بعد الهزيمة وقد قتل
 من المسلمين سبعون وشد رسول الله بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حمزة اعظم
 مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابي وقاص كان يرمي بين يديه وهو (ع) يقول ارم فداك ابي وأمي
 - [النظم] -

لما أمر تعالى بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بنصرة المسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم
 ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه وان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لم تصبروا
 نزل بكم ما نزل يوم احد حيث خالفتم امر رسول الله (ص) وذكر ابو مسلم انه منصل بقوله قد كان لكم آية
 في فتنب كما تقدم ذكره

قوله تعالى (١٢٣) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
 (١٢٤) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رِبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ
 (١٢٥) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ قُورَيْهِمْ هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٦) وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
 النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (اربع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عاصم منزلين مشددة الزاي وقرأ الآخرون منزلين مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم
 مسوامين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ منزليين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولأن الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما منزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها لأن تنزل مطاوع نزل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقتال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلا نهم سوّموا الخليل ومن قرأ مسومين فلا نهم سوّموا وقال مسومين مملدين ويكون مرسلين من سوّم الخليل إذا ارسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان اختيار الكسر لتظاهر الاخبار بأنهم سوّموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله (ص) سوّموا فإن الملائكة قد سومت

= [اللغة] =

بدرما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدرأ لأن هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي هو اسم للموضع وكل شي تم فهو بدر وسمي بدر السماء بدرأ لتهاه وامتلائه وعين بدرأ ممتلئة يقال استكفيتها الامر فكفاني وكفأك هذا الامر اي حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والإمداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال والمد في السير هو الاستمرار عليه وامتد بهم السير اذا طال واستمر وأمدت الجيش بمدد وأمد الجرح فهو ممد اذا صارت فيه المدة ومد النهر إذا جرى يقال مد النهر ومدته نهر آخر ويقال مدته في الشر ومدته في الخير واصل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين بالماء اذا جاشت به ومنه الفوارة لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها ومنه جا على الفور أي على ابتداء الحمى قبل ان تبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشيء بحدة

﴿ الإعراب ﴾

وانتم اذلة في موضع نصب على الحال وان يدكم ربكم في موضع رفع بانه فاعل ان يكفيكم امدادكم وقوله من فورهم هذا في موضع جر صفة لفورهم وقوله ولتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشري لكم لأن تقديره لتبشروا به ولتطمئن

﴿ المعنى ﴾

ثم بين الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال (ولقد نصركم الله) ايها المؤمنون (بيدر) بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وباللقاء الرب في قلوب اعدائكم (وانتم اذلة) اي ضفاء عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة وثلاث عشر رجلا وكان المشركون نحوا من الف رجل وروي عن بعض الصادقين انه قرأ وانتم ضفاء وقال لا يجوز وصفهم بأنهم اذلة وفيهم رسول الله (ص) وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وقيل سعد بن معاذ (فاتقوا الله) اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته (لعلكم تشكرون) اي لتقوموا بشكر نعمته (اذ تقول) خطاب للنبي (ص) اي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك (ان يكفيكم ان يدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) هو اخبار بأن النبي (ص) قال لقومه ان يكفيكم يوم بدر ان جعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الإمداد بالملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فعناه يدكم ربكم بتمام خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف فعناه بخمسة آلاف اخر وقيل

ان الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم احد وَعَدَّهم الله المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك (مزلين) اتزلهم
الله من السماء الى الارض لنصرتكم (بلي) تصديق للوعد اي يفعل كما وعدكم ويزيدكم (ان تصبروا) معناه
ان صبرتم على الجهاد وعلى ما امركم الله (تعالى) (وتتقوا) معاصي الله ومخالفة رسوله (ص) (ويأتوكم)
يعني المشركين ان رجعوا اليكم (من فورهم هذا) اي من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع
والسدي وعلى هذا فإنها هو من فور الابتدار لهم وهو ابتداؤهم وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد والبي
صالح والضحاك وكانوا قد غضبوا يوم احد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه (يبددكم بخمسة
آلاف من الملائكة) اي يعطكم مدداً لكم ونصرةً وانما قال ذلك لأن الكفار في غزوة احد ندموا بعد
انصرافهم لم يُبصروا المدينة وهموا بالرجوع فأوحى الله الى نبيه (ص) ان يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع
اليهم وقال لهم ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجتم الكفار
امدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فاخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم
من الجراح فاخبر المشركين من مرسول الله انه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان رجعوا ان تكون الغلبة
للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان تأخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فسدوا نعيم بن مسعود الاشجعي حتى
يصددهم بتظيم امر قريش واسرعوا في الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قال
قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن خمسة آلاف جميعهم منهم ثلاثة آلاف المزلين
على ان الظاهر يقتضي ان الإمداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لأن قوله اذ تقول للمؤمنين الآية يتعلق بقوله ولقد
نصرتكم ببدر الآية ثم استأنف حكم يوم احد فقال بلي ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا اي ان رجعوا
اليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن
دينار عن عكرمة قال لم يدوا يوم احد ولا بئلك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يمدوا
بالملائكة في سائر الحروب فالجواب ان ذلك تابع للمصلحة فإذا علم الله في إمدادهم المصلحة أمدهم وقوله
(مسومين) بالكسر اي معلمين اعلوا انفسهم ومسومين بالفتح سؤمهم الله اي اعلمهم قال ابن عباس والحسن
وقتادة وغيرهم كانوا اعلوا بالصوف في نواصي الخيل واذنابها وقال عروة تزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلقي
وعليهم عمامة صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمامة بيض وادسلوا اذنابها بين اكتافهم قال السدي
مضى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة اي المرسل في المرعى (وما جعله الله الا بشري لكم) اي وما
جعل الله الإمداد والوعد به فالله عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على
الإمداد وبشري لكم اي بشارة لكم لتستبشروا به وتطمئن قلوبكم به اي وتسكن قلوبكم فلا تخافوا
كثرة عدد العدو وقلة عددكم (وما النصر) أي وما المعونة (الامن عند الله) ومعناه ان الحاجة الى الله تعالى
لازمة في المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبكم وخذلان عدوكم
بضف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر بالإمداد الملائكة الا من عند الله (العزير) اي القادر
على انتقامه من الكفار بايدي المؤمنين (الحكيم) في تدييره للمؤمنين للعالمين وانما قال ذلك ليعلمهم ان
حربهم للمشركين انما هو لاوعزاز الدين وقيل العزير المنيع باقتداره والحكيم في تدييره للخلق

فصل وجيز في ذكر مغازي رسول الله (ص)

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاة وأول غزاة غزاها غزوة الايواء ثم غزوة
بواط ثم غزوة المشيرة ثم غزوة بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة
ذي امر ثم غزوة احد ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة

دومة الجندل^١ ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات غزوة بدر الكبرى وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة وأحد وهو في شوال سنة ثلاث من الهجرة والحنديق وبني قريظة في شوال سنة أربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان ثمان وحنين والطائف في شوال سنة ثمان فاول غزوة غزاها بنفسه فقاتل فيها بدر وآخرها تبوك واما عدد سراياه فستة وثلاثون سرية على ما عد في مواضعه

قوله تعالى (١٢٧) لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ
(١٢٨) كَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (آيتان)

— (اللغة) —

الكبت الحزى وهو مصدر كبت الله المدون أي اخزاه وأذله وقال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للغور الذي يدخله والخائب المتقطع عما امل ولا يكون الحية الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل والياس قد يكون قبل الامل وقد يكون بعده والياس والرجاء نقيضان يتماقبان كتماقب الحية والظفر

﴿ الإعراب ﴾

نصب او يتوب عليهم على وجهين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الأمر شيء اعتراضا بين المخطوف والمخطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والآخر أن يكون اوبعني إلا أن فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لأمر الله لرضائك بتدييره فيهم

﴿ المعنى ﴾

(ليقطع طرفا من الذين كفروا) اختلف في وجه اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله (وما النصر الا من عند الله) ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأسر والقتل وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم الله ببدر اي ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا وقيل ومعناه ذلك التديير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر واما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر تتل فيه صناديدهم وروساؤهم وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقاتلة وقيل هو يوم احد قتل فيه منهم ثمانية عشر رجلا واما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بقطع الطرف ولأن الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار (او يكبتهم) معناه او يخزيهم بالحية بما املوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائي والكلسي وقيل يصرعهم الله على وجوههم وقيل يظفركم عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة (فينقلبوا خائبين) لم ينالوا مما املوا شيئا (ليس لك من الأمر شيء) قيل هو متصل بقوله وما النصر إلا من عند الله فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منها ويكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء عن ابي مسلم وقيل انه اعتراض بين الكلامين وقوله او يتوب عليهم متصل بقوله ليقطع طرفا فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم او يكبتهم او يتوب عليهم

او يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب وليس لك اي ليس اليك من هذه الاربعة شي وذلك الى الله تعالى واختلف في سبب نزوله فروي عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد ما كان من كسر رباعية الرسول وشجته حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم (ص) وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه الله انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وإنما ذلك الى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجته في وجهه عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً فمات كافراً قبل ان يحول الحول وادى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قية فدعا عليه فكان حنفة ان سلب الله عليه تيساً فنطحه حتى قتله وروي انه كان يسبح الدم على وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فملى هذا يسكن ان يكون على وجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبره تعالى انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقيل انه استأذن ربه في يوم احد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعض عن ابي علي الجبائي وقيل اراد رسول الله (ص) ان يدعوا على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله عن ذلك وتاب عليهم ونزلت الآية ليس لك من الأمر شي اي ليس لك ان تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما رأى رسول الله (ص) والمسلمون ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدد الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن ادانا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولننثلن بهم مثله لم يثلها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحاق والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من قراء اصحاب رسول الله واميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله (ص) الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد ليعلّموا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعاً عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر فوجد رسول الله (ص) من ذلك رجداً شديداً وقتت عليهم شهراً فنزل ليس لك من الأمر شي عن مقاتل والاصح انها نزلت في احد لأن اكثر العلماء عليه ويقضيه سياق الكلام وانما قال ليس لك من الأمر شي مع ان له (ص) ان يدعوهم الى الله ويؤذي اليهم بتبليغهم لأن معناه ليس لك شي من امر عقابهم واستيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى تقع انابتهم فجاء الكلام على الايجاز لأن المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وايضا فانه لا يعتد بما له (ص) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكانه قال ليس لك من الأمر شي على وجه من الوجوه وقوله (او يتوب عليهم) قيل في معناه وجهاً احدهما او يلفظ لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والآخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب والعقاب (او يعذبهم) اي يعذبهم الله تعالى ان لم يتوبوا (فانهم ظالمون) اي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فانما هو الى الله وليس للنبي (ص) من ذلك شي وانما اليه الهدايا والدعاء فكانه قال لا ترفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم

قوله تعالى (١٢٩) وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (آية)

❖ اللغة ❖

انما ذكر لفظ ما لأنها أعم من من فإنها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لأنها تفيد الجنس ولو قال من في
السماوات لم يدخل فيه الا العقلاء إلا ان يحصل على التغليب وذلك ليس بحقيقة

* المعنى *

لما قال تعالى ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بأن الامر كله له فقال (وفتح ما في السهوات وما في الارض) ملكا وملكاً وخلقا واقتدارا على الجميع يعرفهم كيف يشاء . ايجاداً وافناءً واعادة (يغفر لمن يشاء) من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلاً (ويعذب من يشاء) اي ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبى المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلاً ويدل عليه مفسراً قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . ولولا ذلك لكننا نجوز الغفر على الجميع عقلاً وقيل انما ابهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة فلم يبين من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لا عدلاً وقيل انما علق الضمان او العذاب بالمشيئة لأن المشيئة مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما تقتضي الحكمة مشيئة وسئل بعضهم كيف يعذب الله عباده بالأجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته إذ لا تكون رحمته بركة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الآية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ممن لم يتب

قوله تعالى (١٣٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣١) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (ثلاث آيات)

* المعنى *

لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب وهو الربا فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (لا تأكلوا الربوا) ذكر الاكل لأنه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيًا عنه والربا . الزيادة على اصل المال بالتأخير عن الاجل الحال وقيل هو ربا جاهلية عن عطا ومجاهد (اضعافا مضاعفة) قيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتأخير اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها انه يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقتراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وانما اعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره في سورة البقرة لأمرين احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطر له وشدة التحذير منه والثاني لتأكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضفاف المضاعفة (واتقوا الله) اي اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه (لعلمكم تفلحون) لكي تنجحوا بادراك ما تملونه وتفوزوا بشواب الجنة (واتقوا النار) اي اتقوا الافعال الموجبة لدخول النار التي (أعدت للكافرين) أي هيئت واتخذت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار بأعداد النار لهم انهم معظم أهل النار فهم العمدة في اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التسع فهو كقوله أعدت للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار بأعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين بأسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار اياهم ومثله في القرآن كثير والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر

﴿١٦﴾ [اذالا من من عذاب الله خسر واليأس من رحمته كفر كما قال سبحانه فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا يئأس من روح الله] (٢) [في صفة الجنة].

ج ٢ (الجزء الرابع) قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم إلى قوله والله يحب المحسنين ٥٠٣

لا يدل على ان ما عداه بخلافه (واطيعوا الله) فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا فلا يعذبكم وتما يسأل على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيان ﴿١﴾ احدهما ﴿٢﴾ ان المقصد بها طاعة الرسول فيادعا اليه مع القصد لطاعة الله ﴿٣﴾ والثاني ﴿٤﴾ انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع إلى ذلك بأمر الله

« النظم »

وقد قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان ﴿١﴾ لاتصال الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربا وغيره ﴿٢﴾ والثاني ﴿٣﴾ ما قاله محمد بن اسحاق بن يسار انه معاتبه للذين عصوا رسول الله لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكرهم فخالقوا واشتغلوا بالثنية وكان ذلك سبب هزيمة أصحاب رسول الله (ص)

قوله تعالى (١٣٣) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والشام سار عوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق

﴿ الحجة ﴾

والفرق بينها استئناف الكلام إذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم إذا قرئ بواو لأنه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن عطفا بالواو كما جاء في التنزيل ثلاثة رابعهم كلهم وقال سبعة وثامنهم كلهم

﴿ اللغة ﴾

اصل الكظم شد رأس القربة عن ملتها تقول يكظمت القربة اذا ملاتها ماء ثم شددت رأسها وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً وكذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم وكظم البعير إذا لم يجتم بالكظامة القنائة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلائها تحت الأرض وفي غريب الحديث لأنني عبيدة عن اوس بن ابي اوس انه رأى النبي (ص) اتى كظامة قوم فترضاً ومسح على قدميه ويقال أخذ بكظمه اي مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بسكره ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم

(- المعنى -)

لما حذر الله تعالى عن الأفعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث على الأفعال الموجبة للثواب فقال (وسارعوا) اي بادروا (إلى مغفرة من ربكم) باجتنب معاصيه ومعناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس وقيل إلى اداء الفرائض عن علي بن ابي طالب (ع) وقيل إلى الهجرة عن ابي العالية وقيل إلى التكبير الأولى عن انس بن مالك وقيل إلى أداء الطاعات عن سعيد بن جبيرة وقيل إلى الصلوات

(١) [الأطرافة منهم قتلوا]

ج ٢

الحسن عن يان وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة عن عكرمة (وجنة) أي وإلى جنة (عرضها السوات والأرض) واختلف في معناه على أقوال أحدها أن المعنى عرضها كعرض السوات السبع والأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبلخي وإنما ذكر العرض بالعلم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة ومعناه إلا كخلق وبمث نفس واحدة وقال الشاعر

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِمَجْنُوبٍ سُلِّيَ نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارٍ (١)

أي عذير نعام وقال آخر

حَسِبْتَ بِنَعَامٍ رَاحِلَتِي عَنَّا قَا وَمَا هِيَ وَيَبَّ غَيْرِكَ بِالْعَنَّا قٍ (٢)

أي صوت عناق وثانيها أن معناه ثمنها لو بيعت كسمن السوات والأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وأنه لا يساويها شيء وان عظم عن أبي مسلم الأصفهاني وهذا وجه مليح إلا أن فيه تصفا وثالثها أن عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وإنما أراد سمتها وعظمتها والعرب إذا وصفت الشيء بالسمة وصفته بالعرض قال امرؤ القيس

بِلَادٍ عَرِيضَةٍ وَأَرْضٍ أَرِيضَةٍ (٣) مَوَاقِعَ غَيْثٍ فِي فِضَاءٍ عَرِيضٍ

وقال ذوالرمة (فأعرض في المكابر واستطالاً) أي توسع فيها ويسأل فيقال إذا كانت الجنة عرضها كعرض السوات والأرض فإن تكون النار فجوابه أنه روي أن النبي (ص) سئل عن ذلك فقال سبحان الله إذا جاء النهار فابن الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء ويسأل أيضاً فيقال إذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب أنه قيل أن الجنة فوق السوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك وقيل إن الجنة فوق السوات السبع والنار تحت الأرضين السبع عن قتادة وقيل إن معنى قولهم أن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء وجهة السماء لأن السماء تحويها ولا ينكر أن يخلق الله في العلو أمثال السماوات والأرضين فإن صح الخبر أنها في السماء الرابعة كان كما يقال في الدار بستان لاتصالها بها وكونه في ناحية منها أو يشرع إليها بابها وإن كان أضعاف الدار وقيل إن الله يريد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السوات والأرض يوم القيامة لا في الحال عن أبي بكر أحمد بن علي مع تسليم أنها في السماء وقوله (اعدت للمتقين) أي المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفطهم الطاعات ويجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبة وإنما أضيف للمتقين لأنهم المقصودون بها وإن دخلها غيرهم من الأطفال والمجانين فطلى وجه التبعية وكذلك حكم الفساق لو غنى عنهم وقيل معناه أنه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمير وهذا يدل على أن الجنة مخلوقة اليوم لأنها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة (الذين ينتفون في السراء والضراء) صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان ﴿أحدهما﴾ أن معناه في اليسر والسرعة عن ابن عباس أي في حال كثرة المسال وقلته ﴿والثاني﴾ في حال السرور والإعتماد أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن انفاق المال في وجوه البر (والكاظمين الفيض) أي المتجرعين للفيض عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك (والعافين عن الناس) يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز الضور والتجاوز عنه مما لا يؤدي إلى الإخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين (والله يحب المحسنين) أي من فعل ذلك فهو محسن والله يحبّه بإيجاب الثواب له ويحتمل أن يكون الإحسان شرطاً مضموماً إلى هذه الشرائط قال الثوري الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فأما من أحسن إليك فإنه متاجرة كنتقد السوق خذ مني وهات

(١) قائله شفيق وينسب إلى اعشى أيضاً. العذير العال التي يعاو لها المرء بعذرها لها. وسلى اسم موضع. وفاق الطائر: صوت وانه يقول: هزمناهم شرهزيمة وكانت حالهم مثل حال الطائر الذي في أرض قفرة إذا أتاه الصياد. (٢) قائله الصهوى البغام صوت الظبية أو النانة واستعاره هنا للدمع والعناء: انشئ الهز (٣) أرض أريضة زكية بينة الإريضة.

﴿ فصل ﴾

فأول ما عدّد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء. وما يؤيد ذلك من الأخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي (ص) انه قال السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من أغصانها قادت إلى الجنة والبخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قادت إلى النار وقال علي (ع) الجنة دار الأسخياء. وقال (ع) السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عدّ تعالى بعد ذلك من أخلاق أهل الجنة كظم الغيظ ومما جاء فيه من الأخبار ما رواه ابوامامة قال قال رسول الله من كظم غيظه وهو قادر على انفاذه ملاءه الله يوم القيامة رضا وفي خبر آخر ملاءه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً وقال أيضاً كظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله في وجه عدوه وملاً الله قلبه رضى وفي خبر آخر ملاءه الله قلبه يوم القيامة أمناً واماناً وقال (ع) ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر العافين عن الناس وروى ان رسول الله (ص) قال ان هولاء في امتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت وفي هذا دليل واضح على ان الضر عن المعاصي مرغّب فيه مندوب اليه وإن لم يكن واجبا وقال النبي (ص) ما عفا رجل عن مظلمة قط إلا زاد الله بها عزاً ثم ذكر سبحانه انه يحب المحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن أيضاً الفاعل للأفعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وروى ان جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتبأ للصلاة فقطع الأبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية ان الله تعالى يقول والكاذبين الغيظ فقال لما قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله

قوله تعالى (١٣٥) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّاهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
(١٣٦) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (آيَاتان)

[اللغة] =

اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظيم القبح او رأي العين فيه ولذلك قيل للطويل المفرط انه فاحش الطول وافحش فلان اذا افصح بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصرشدة البرد فكأنما هو ارتباط الذنب بالإقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء وقال الخطيب يصف الخيل عوايس بالشعث الكفاة إذا انتقوا علاتها بالمخصرات اصرت (١) اي إذا اختاروا بقية جريها بالسياط ثبتت على جريها

* الإعراب *

والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جملة على جملة فطى القول الأول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعاً الى الأولين ويكون محله رفعاً على المدح وقوله إلا الله يرتفع الله حملاً على المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جمع وتقديره وهل يضر الذنوب احد إلا الله او هل رأى احد يضر الذنوب الا الله ومعناه لا يضر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقع الضمى ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين اجرهم

(١) [يبين الله] (٢) الضم من لم يتأهدهم بالسط والتنظيف . والكفاة جمع الكسى : الشجاع . و الانتقاء : الاختيار . الملاة : بقية جرى الفرس .

﴿ النزول ﴾

روي أن قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك اقل كذا فسكت رسول الله (ص) فنزلت الآية فقال الا اخبركم بخير من ذلكم وقرأ عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفي ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بني إسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت في نهبان التمار اتته امرأة بتناع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه وذهب بهالى بيته فضمها الى نفسه قبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي (ص) وذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطاء

﴿ المعنى ﴾

(والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس قيل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصفائح عن القاضي عبد الجبار ابن احمد الهمداني وقيل الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة وباطنة الا انها لا تكاد تقع الاعلى الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا أو ظلموا أنفسهم قولاً (ذكروا الله) اي ذكروا وعيد الله فانجزوا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فاننا نأتينا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله تعالى وبلغ كرمه وجزيل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبد وقد اذنب ذنبا اعتذر الي ومن يقبل عذرك سواي واذا سئل ان العباد قد يفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يفرها الا الله وايضا فإنه اراد سبحانه غفران الكبائر العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها (ولم يصرّوا على ما فعلوا) اي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفي فان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما يؤثر عند ترك الاصرار وقد روي عن النبي (ص) انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير ابن عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله (وهم يطمون) يحتمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان معناه وهم يطمون الخطيئة ذا كرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائي والسدي ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه وهم يطمون الحجة في انها خطيئة فاذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم به كان الاثم موضوعا عنهم ممن تزوج امة من الرضاع والنسب وهو لا يعلم به فانه لا ياثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد وهم يطمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحك (او لك) اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين يتقون في السراء والضراء الى آخر الكلام اي هؤلاء (جزاؤهم) على اعمالهم وتوبتهم (مغفرة من ربهم) اي ستر لذنوبهم (وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) قد مر تفسيرها في سورة البقرة (ونعم اجر العاملين) هذا يعني ما وصفه من الجنات وانواع الثواب والمغفرة

بستر الذنوب حتى تصير كأنها لم تعمل في زوال العار بها والمقوبة عليها والله تعالى متفضل بذلك لأن اسقاط لعقاب عند التوبة تفضل منه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لأنه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة

- [النظم] -

قيل إن الآية اتصلت بما قبلها لأنها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقان بين تعالى ان الجنة للمتقين لمنفقين في السراء والضراء الى آخر الآية ولن عشر ثم تاب ولم يصر

قوله تعالى (١٣٧) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٨) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (آيتان)

❖ اللغة ❖

السنة الطريقة الموصولة ليقضى بها ومن ذلك سنة رسول الله (ص) قال لبيد

مِنْ مَشْرِئِ سَنَّتِ لَمْ أَبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سَنَةٌ وَإِمَامُهَا

وقال سليمان بن قسة

وَإِنَّ الْأَوْلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا

وأصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء إذا صبّه حتى يفيض من الإثاء وسن السكين بالسن إذا أمره عليه لتحديده ومنه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي إليها السبب المتقدم وليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجمل هي الأولى في العدة والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء إلى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرهبة إلى الحسنة بدلا من السيئة

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة بين ان ذلك عادته في خلقه فقال (قد خلت) أي قد مضت (من قبلكم) يا اصحاب محمد (ص) وقيل هو خطاب لمن انهمز يوم أحد (سنن) من الله في الأمم السالفة إذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وتبعية آثارهم في الديار للاعتبار والاتعاظ عن الحسن وابن اسحاق وقيل سنن أي أمثال عن ابن زهد وقيل سنن أم والسنة الأمة عن المفضل وقال الشاعر

مَا عَينَ النَّاسِ مِنْ فَضْلِ كَفْضِكُمْ وَلَا تَأَوَّأُوا مِثْلَكُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

وقيل معناه أهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم لتمظنوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في التكذيب والانكار طريقهم فيحل بكم من العذاب ما حلّ بهم وأراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الآخرة بأليم العذاب وعظيم النكال (هذا) إشارة إلى القرآن (بيان للناس) أي دلالة

وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة وقيل إشارة إلى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم سنن أي هذا الذي عرفكم بيان للناس عن ابن لبيد اسحاق واختاره البلخي والطبري (وهدي) قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان اظهر المعنى للغير كأننا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق النقي (وموعظة للمتقين) وإنما خص المتقين به مع كونه بياناً وهدى وموعظة للناس كافة لأن المتقين هم المتفهمون به والمهتدون بهداه والمتظنون بمواعظه

قوله تعالى (١٣٩) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(١٤٠) إِنْ يَنْسَخْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (آياتان)

-(القراءة)-

قرأ أهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيها وكذلك قوله من بعد ما أصابهم القرح والباقون بفتح القاف

-(الحجة)-

قال ابو علي قرح وقرح مثل ضمف وضمف والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسن قرح يقرح قرحاً وقرحاً فهذا يدل على انها مصدران ومن قال ان القرح الجراحات باعابانها والقرح ألم الجراحات قيل ذلك منه إذا أتى فيه برواية لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس

✽ اللغة ✽

الوهن الضعف والوهن والموهن ساعة تمضي في الليل الأعلون واحده الأعلى وموتته العليا وجمه العليات والعلى والفرق بين المس والمس ان المس لصوق بإحساس والمس لصوق فقط والدولة الكرة لفریق بنيل المراد وادال الله فلانا من فلان إذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء إذا صار من بعضهم إلى بعض وضم الدال في الدولة وفتحها لفتان وقيل الضد في المال والفتح في الحرب

-(الإعراب)-

وأنتم الأعلون جملة في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أي منصورين على الأعداء ويحتمل أن يكون لاموضعها في الإعراب لأنها اعتراض بوعده مؤكداً وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون مع ذلك وقوله يعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام وتقديره ويعلم الله الذين آمنوا نداولها ويجوز أن يمل في نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير ويعلم الله الذين آمنوا

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآية تسلياً للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة وابن أبي نجيح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بجيـل من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال

النبي اللهم لا يملن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يبتدك بهذه البلدة إلا هو لا نفر فأنزل الله تعالى الآية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وغلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (ص) أصحابه بطلب القوم وقد أصابهم من الجراح ما أصابهم وقال (ص) لا يخرج أولا من شهد معنا بالأمر فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ودليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم الآية

= [المعنى] =

ثم حثَّ الله تعالى المسلمين على النجدة ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم العلة في الحال وحسن العاقبة في المال فقال (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا عن قتال عدوكم (ولا تحزنوا) بما يصيبكم في أموالكم وأبدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الأخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنمة (وأنتم الأعلون) أي الظافرون المنصورون والتالون عليهم في العاقبة وقيل أراد وأنتم الأعلون في المكان (إن كنتم مؤمنين) معناه إن من كان مؤمنا يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقتة بالله ويحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدني لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسلية المؤمنين فقال (إنه يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) معناه إن يصيبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل إن يصيبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر وقال أنس بن مالك أتى رسول الله (ص) بعلي (ع) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم أحد صعد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله (ص) اللهم انه ليس لهم أن يعلونا فمكث أبو سفيان ساعة وقال يوما بيوم وإن الأيام دول وإن الحرب سجال فقال (ع) أجيبوه فقالوا لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي (ص) والله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال (ص) الله تعالى أعلى وأجل (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) أي نصر فهاجرة لفرقة وصرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن اسحاق وإنما يصرف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين أحيانا وتشديدها عليهم أحيانا لا بنصرة الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصر تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وإنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم اليها ولتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذ تفتى لذاتها ويطمن مقيمها ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وإنما جعل الدولة مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الإيمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحججة فإنه لو كانت الدولة أبدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمن والقال على أن كل موضع حضره النبي (ص) لم يخل من ظفر أما في ابتداء الأمر وأما في انتهائه وإنما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله (وليعلم الله الذين آمنوا) المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الأيام نداؤها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالإيمان ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد

عدوم أي يعاملهم معاملة من يفهم هذه الحال وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيميزون فإذا أظهره علمهم متميزين ويكون التغيير حاصلًا في المعلوم لافي العالم كما أن أحدنا يعلم القدر قبل مجيئه على معنى أنه سيجي فإذا جاء علمه جائيًا وعلمه يومًا لا غدا فإذا انقضى فإنما يعلمه إلا مس لا يومًا ولا غدا ويكون التغيير واقعا في المعلوم لافي العالم وقيل معناه وليعلم أولياء الله الذين آمنوا وإنما أضاف إلى نفسه تفخيما وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وإيمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الإخلاص والنفاق ومعناه يعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذلك أحدهما عن الآخر وقوله (ويتخذ منكم شهداء) قيل فيه قولان * أحدهما * أن معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد عن الحسن وقادة وابن اسحاق * والآخر * ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلاله القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وجميع شهيد عن أبي علي الجبائي وإنما سموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها وأما في جمع الشهيد فلأنهم بذلوا الروح عند شهود الواقعة ولم يفروا (والله لا يحب الظالمين) ظاهر المعنى وفائدته أنه تعالى بين أنه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لا أحد المعاني التي ذكرها ولیمحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد

قوله تعالى (١٤١) وَلِيْمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (آية)

اللغة

أصل التمهيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومحصته اعحصه محصا إذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا أي اذهبها عنا لأنه تخليص الحسنة بتكفير السيئات وأصل المحق فناء الشيء حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان وانحق الشيء انمحاقا وامتحق الشيء وتمحق إذا ذهبت بركنه حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالا بعد حال

المعنى

ثم بين تعالى وجه المصلحة في مداولة الأيام بين الناس فقال (وليمحص الله الذين آمنوا) قيل في معنى الآية أقوال * أحدها * ولیمحص الله أي وليبتلي الله الذين آمنوا (ويمحق الكافرين) ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي * وثانيها * ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج - « وثالثها » - ينجي الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى وإنما قابل بين التمهيص والمحق لأن محص هو لا باهلاك ذنوبهم نظير محق أو لئلك باهلاك انفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين ومحق الكافرين وإنما يمهصهم بالمداولة لشبهتين - « أحدهما » - أن في تخليصهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا لهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الأجر ويحط به عنهم كثيرا من أثقال الوزر - « والثاني » - أن في ذلك لطفًا لهم بعصمهم عن اقتراف نفوسهم الأثم

قوله تعالى (١٤٢) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَكَمَا يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٣) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آيَاتان)

﴿ اللغة ﴾

الفرق بين التمني والإرادة ان الإرادة من أفعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا او ليت
لم يكن وقيل إن التمني معنى في القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الأول

﴿ الإعراب ﴾

ام في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل أحسبتم وهو استفهام على وجه الإنكار والفرق بين
لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال وإذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان أصلها لم
مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكدة بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على المظروف الصرف عن المظرف
إذ ليس المعنى على نفي الثاني والأول وإنما هو على نفي اجتماع الثاني والأول وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا
بإضمار أن والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرأ ويعلم الصابرين بالكسر
عطفًا على الأول

﴿ المعنى ﴾

لما حثَّ الله على الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلوى والاختبار
قال (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) المراد به الإنكار أي أظننتم أيها المؤمنون انكم تدخلون الجنة (ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) أي ولما يعلم يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر
للسابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وإنما جاز ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون
العلم لما في ذلك من الإيجاز في انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه وتقديره ولما لم يكن المعلوم من الجهاد الذي
أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشبهه (ولقد كنتم) يا اصحاب محمد (ص) (تمنّون الموت) أي تمنون
الموت فحذف إحدى التائين للتخفيف وذلك ان قوما من فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة
بعد بدر قبل احد فلما رأوه يوم احد عرض كثير منهم عنه فانهمزوا فاتهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد
والربيع وقتادة والسدي (من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه) الهاء في تلقوه ورأيتموه راجعة إلى الموت أي
من قبل ان تلقوا أسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لأن الموت لا يرعى ونحو ذلك قول الشاعر
(والموت تحت لواء آل محمد) أي أسباب الموت وقيل الهاء راجعة إلى الجهاد (وانتم تنظرون) قيل انه تأكيد
للرواية كما يقال رأيت عيانا فرأيتة بعيني وسمته بأذني لأن لا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه
وانتم تأملون الحال في ذلك كيف هي فلي هنا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وانتم تنظرون إلى
محمد (ص) وفيه حذف أي فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لم يئناوا
منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمني المعاصي كما
لا يجوز ارادتها ولا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تسنوا الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا

قوله تعالى (١٤٤) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ [آيَةٌ]

﴿ اللغة ﴾

محمد أخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجه
إلا المستولي على الأمر في الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه وحببه (ص) باسمين مشتقين من اسمه تعالى
محمد (ص) واحد واليه أشار حسان بن ثابت في قوله :

نَبِيٌّ أَنَا بَعْدَ بَأْسٍ وَقَتْرَةٍ مِنْ الدِّينِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ بَعْدُ
أَلَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ يَرْهَانَهُ وَاللَّهُ أَعْلَىٰ وَأَمَجَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِجَلِّهِ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره انقلبون إن مات أو قتل لأن الشرط لما انعقد
به صار جملة واحدة وخبراً واحداً فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام فكذلك
تقديمه في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر :

حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تَدَلَّجَ اللَّيْلُ لِأَيْزَلٍ أَمَا مَكَ يَبْتَ مِنْ يُيُوفِي سَائِرِ

﴿ النزول ﴾

قال اهل التفسير سبب نزول هذه الآية انه لما أُرْجِفَ بأن النبي (ص) قد قتل يوم احد واشيع ذلك
قال أناس لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهم
بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعفهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله (ص) ناهم عن
الاخلال به وأمر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات ابن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا
مكاني فإنا لا نزال غالبين ما نبتم بمكاني وجاءت قريش على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة
بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار فقالت هند :

تَحْنُ بِنَاتُ طَارِقٍ نَمَشِي عَلَى النَّمَارِقِ إِنْ تَقْبَلُوا نُعَانِقِي أَوْ تَدْبِرُوا نَفَارِقِ
فِرَاقٍ غَيْرِ وَأَمَقِي^(١)

وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصفي اول من لقيهم بالأحاشيش^(٢) وعييد أهل مكة فقاتلهم قتالا
شديدا وحميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بجمته ويضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني
فأخذه ابو دجانة ساك بن خرشة الأنصاري فلما أخذ السيف اعتم بعامة حمراء وجعل يفتخر بتخترها ويقول
أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي أَنْ لَا أَقِيمَ الدَّهْرَ فِي الكَيْوَلِ^(٤)

أَضْرَبَ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

فقال رسول الله (ص) انها ليشية ينفضاها الله ورسوله إلا في هذا الموضع ثم حمل النبي (ص) واصحابه

(١) ادلج القوم : ساروا ليلا . (٢) النمرقة : البساط . الوامق : العقب . (٣) الاحاشيش : موضع بين مكة ومكة

امبال . (٤) الكيول : آخر صفوف الجيش في الحرب

على المشركين فهزمهم وقتل علي بن ابي طالب (ع) اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هنداً وصواحبها هازبات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دون أخذهن شيء فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي واصحابه يتهبون بالنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا امر الرسول وقال بعضهم ما بقي من الأمر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالمسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي (ص) من خلفهم فهزمهم وقتلهم ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر وكسر انفه ورباعيته وشجته في وجهه فاقبله وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذبت مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله (ص) حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله (ص) وقال اني قتلت محمداً وصاح صائح ألا ان محمداً قد قتل ويقال ان ذلك الصائح كان ابليس لعنه الله فانكف الناس وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس ويقول إلى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن لبيبة عبيد الله فيست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجهه فردها رسول الله مكانها فسادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله (ص) أدركه ابي بن خلف الجمعي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه احد منا فقال دعوه حتى إذا ذنا منه وكان أبي قبل ذلك يلتقي رسول الله فيقول عندي رمكة اعلقها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعن في عنقه وخذشه خدشه فدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بريئة ومضر لقتلهم اليس قال لي اقتلك فلو برق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوماً حتى مات قال وفشا في الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين لبت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من ابي سفيان وبمضهم جلسوا والقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر غم أنس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابراء اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرف عينه تحت المغفر تزهرا فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله فأشار إلي أن أسكت فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بأبائنا وامهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى وما محمد إلا رسول الآية

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه انه لا ينبغي أن يترك امر الله تعالى كان الرسول بين اظهروا ولم يكن فقال (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعني انه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة

(١) الرمكة : الفرس او البرذونة تتخذ للنسل . الفرق بكيمال . معروف بالمدينة وهو ستة عشر طلا . (٢) [الطنمة]

ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم أو قتلهم فاقصدوا بهم ثم أكد ذلك قال (أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) معناه أفان أمانته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد إيمانكم فسي الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقري لأن الردة خروج إلى أقبح الأديان كما ان الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشي والألف في قوله أفان مات الف انكار صورته صورة الاستفهام ومثله آتخار الفساد على الصلاح والخطأ على الصواب وفي قوله مات أو قتل دلالة على ان الموت غير القتل لأن الشيء لا يطف على نفسه فالقتل هو تفض بنية الحياة والموت فساد البنية التي تحتاج إليها الحياة وقيل الموت معنى يضاد الحياة والصحيح الأول (ومن ينقلب على عقبيه) يعني من يرتد عن دينه (فلن يضر الله شيئا) لأنه لا يعجز عليه للضار بل مضرة عائدة عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم (وسيجزي الله الشاكرين) أي يثيب الله الشاكرين على شكرهم نعم الله واعتراضهم بها وقيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هي شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعد لأن قوله فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعد فكانه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن ففعله يعود إليه

﴿ فصل في ذكر ما جاء في اسم محمد (ص) ﴾

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يبنون اسم النبي (ص) فروى ابو هريرة عن النبي قال ألم تروا كيف صرف الله عني لمن قريش وشتمهم يشتمون مذمما وأنا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عن أبياته عن النبي (ص) انه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه واوسعوا له في المجلس ولا تبجروا له وجها وما من قوم كان لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمدا واحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم وما من مائدة وضمت فحضرها من اسمه محمد أو احمد الا حمدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين وعن انس بن مالك قال كان النبي في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه رسول الله فقال الرجل انما ادعو ذاك قال رسول الله تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) لا تجمعو بين اسمي وكنيتي أنا ابو القاسم الله يعطني وانا أقسم ثم رخص في ذلك لابي (ع) وابنه وعن علي بن ابي طالب قال قال لي رسول الله ان ولدك غلام نحلته اسمي وكنيتي

قوله تعالى (١٤٥) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزِيَ الشَّاكِرِينَ (آية)

﴿ الإعراب ﴾

كتابا نصب على المصدر لعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فقدره كتب الله ذلك كتابا وقال الأخص الام في قوله وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله منقولة عما دخل عليه في غيره وقدره وما كان لنفس لتموت أي لأن تموت

﴿ المعنى ﴾

(وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله) ومعناه ما كان لنفس لتموت إلا بإذن الله ومثله وما كان

الله ان يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولداً وقوله وما كان لكم ان تنتبوا شجرها معناه ما كتبت لتنتبوا شجرها لأن ابناء الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففي الآية أخبار بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي (ص) من جهة انه بإذن الله ومعناه انه إن مات فأغاب موت بإذن الله وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته وقيل ان فيه حصاً على الجهاد من حيث لا يموت احد إلا بإذن الله اي لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلاً قد حضر ولا يقدم الجهاد اجلاً لم يحضر فلا معنى للانزهاً وقوله بإذن الله يحتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ يعلم الله - « والثاني » - بأمر الله وقال ابو علي الجبائي فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحياة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله (كتاباً موجلاً) معناه كتب الله لكل حياً أجلاً ووقتها لحياته ووقتها لموته لا يتقدم ولا يتأخر وقيل حتماً موقناً وحكماً لازماً مبرماً (ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها) قيل في معناه اقوال - « احدها » - ان المراد من عمل للدنيا لم نخرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن اسحاق أي فلا يفتقر بحاله في الدنيا - « وثانيها » - من أراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نوته منها فينبى ان حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطة لأنهم مبذولة للبر والفاجر عن ابي علي الجبائي - « وثالثها » - من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوازل مع مواصلة الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لا إحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب من يقول بالاحباط (ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها) أي ومن يرد بالجهاد واعماله ثواب الآخرة نوته منها فلا ينبغي لأحد ان يطلب بطاعته غير ثواب الله ومثله قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقريب منها قول النبي من طلب الدنيا بعمل الآخرة فاله في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتمل ان تكون زائدة ويحتمل ان تكون للتبويض لأنه انما يستحق الثواب على قدر العمل (وسنجزي الشاكرين) أي نعطيهم جزاء الشكر وفي تكراره قولان - « احدهما » - انه للتأكيد وللتنبية على عظم منزلة الشاكرين « والثاني » ان معناه وسنجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن اسحاق وروى ابان بن عثمان عن ابي جعفر (ع) انه أصاب علياً (ع) يوم احد ستون جراحة وان النبي (ص) أمر أم سليم وأم عطية ان تدأوا به قائلنا انا لا نعالج منه مكاناً الا انفتق مكان آخر وقد خفنا عليه فدخل رسول الله (ص) والمسلمون يمدونه وهو قرحة واحدة فبصل يمسحه بيده ويقول ان رجلاً لقي هذا في الله فقد ابلى واعذر وكان القرحة الذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علي (ع) الحمد لله إذ لم افرو ولم اولى الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله وسنجزي الله الشاكرين من اللزقي في الدنيا وسنجزي الشاكرين قال ابو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان اجل الانسان انما هو أجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لأنه لا ينقطع بالقتل عن الأجل الذي اخبر الله بأنه أجل لموته وقال ابن الاخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان اجلين أجلاً يموت فيه لا محالة واجلاً هو موهبة من الله ومع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جعله الله أجلاً لموته والأقوى الأول

- [النظم] -

اتصل قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بما قبله لأنه حث على الجهاد وقيل لأنه تسلية عما

لحق النفوس من الوجوم بموت النبي (ص) وقيل للبيان بأن حالم لا تختلف في التكليف بان يموت النبي (ص) فنبني ان يتمسك بأمره في حياته وبعد وفاته

قوله تعالى (١٤٦) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٧) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٨) فَأَتَيْهِمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير كائناً على وزن كاعين وابو جعفر يلبس الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كائين على وزن كعين وقرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير الف وهي قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهي قراءة ابن مسعود

◆ الحجة ◆

اصل كائناً اي دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى ان من كان وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة فقلت قلب الكلمة الواحدة فصار ككائن فحذفت الياء الثانية كما حذفت في كبتونة فصار ككائن مثل كعفن ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدلت من طائي فصار كائناً ثم لبنت الهمزة على قراءة ابي جعفر قال الشاعر

وَكَائِنٌ رَدَدْنَا عَنْكُمْ مِنْ مَدَجِّجٍ
يُحْيِيْ أَمَامَ الْقَوْمِ يَرُدِّيْ مَقْنَمًا (٢)

وقال آخر

وَكَائِنٌ إِلَيْكُمْ قَادٍ مِنْ رَأْسِ فِتْيَةٍ
وقد حذفت الياء من اي في قول الفرزدق

تَنَوَّرَتْ نَسْرًا وَالسَّمَاءُ كَيْنٌ أَيُّهَا
علي من الغيث استهلكت مواجره (٣)

واما قتل فيجوز ان يكون مسنداً الى ضمير نبي واذا اسند هذا الى الضمير احتمل هذا معه ربيون امرين «أحدهما» ان يكون صفة لنبي فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعاً بالظرف بلا خلاف لأن الظرف اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيويه ايضاً «والآخر» الا تجعله صفة ولكن حالاً من الضمير في قتل والأحسن ان يكون الاسم الذي اسند اليه قتل قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقاً بقتل وعلى القيلتين الآخرين اللذين هما الصفة والحال متعلقاً في الأصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه ربيون فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرأ قتل وحجة من قرأ قتل قوله افان مات او قتل وحجة من قرأ قاتل ان القاتل قد مدح كما يمدح المقتول قال تعالى وقتلوا وقتلوا ومن جعل قوله معه ربيون صفة أضمر للمبتدأ الذي هو كائين خبراً وموضع الكاف الجارة هي في كائين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف في قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا

(١) بان قدمت الياء المشددة على الهمزة (٢) المدجج اللابس السلاح . المقنع : الذي عليه بيضة العديد (٣) تنوّرت اي نظرت من بعد . و النسر : كوكب . والسما كان ايضاً كوكبان نيران يقال لاحدهما الرامح وللآخر الاعزل ، والبراد با لغيث هنا السحاب . استهل المطر : انصب مع صوت . مواطرجع الماطرة : ذات المطر . والضمير يرجع الى الغيث

= [اللغة] =

الوهن الضعف وقال وما ضعفوا من حيث أن أنكسار الجسم بالخوف وغيره والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكينة وهي الحالة السيئة يقال فلان بات بكينة أي بنية سوء^(١) والأسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما التقدير وقيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان والأول أظهر يقال اسرفت الشيء أي نسبته لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه

-(المعنى)-

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله (وكأين من نبي) أي وكم من رسول (قاتل) أي حارب أو قتل (معه ربيون كثير) ذكرنا تقديره في الحجة وقيل في ربيون اقوال **➤** أحدها **➤** أنهم علماء فقهاء صدر عن ابن عباس والحسن **➤** وثانيها **➤** أنهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة **➤** وثالثها **➤** أنهم منسوبون إلى الرب ومعناه المتسكون بعبادة الله عن الأخص وقال غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب **➤** ورابعها **➤** أن الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن أبي جعفر **➤** وخامسها **➤** أن الربيون الاتباع والرانيون الولاة عن ابن زيد ومن أسند الضير الذي في قتل إلى نبي فالمعنى كم من نبي قتل ذلك النبي وكان معه جماعة كثيرة فقاتل أصحابه بعده (وما وهنوا) وما فقرؤا ومن أسند قتل إلى الربيين دون ضير نبي فالمعنى ما وهن باقتهم بعد ما قتل كثير منهم في سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل نبي قط في معركة وإلى الأول ذهب ابن اسحاق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبي المقتول والذين معه لا يهنون بئس الله سبحانه لو كان قتل النبي كما أرجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل فما وهنوا أي فما جنبوا عن قتال عدوهم (وما ضعفوا) أي ما فقرؤا (وما استكانوا) أي وما خضعوا لعدوهم عن الزجاج (والله يحب الصابرين) في الجهاد قال ابن الأنباري أي فقد كان واجبا عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم (وما كان قولهم) عند لقاء العدو (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) والمعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أي إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقوله ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضير يعود إلى النبي ومن معه على أحد القولين وإلى الربيين في قول الآخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا أي استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها (واسرافنا في أمرنا) أي تجاوزنا الحد وتفريطنا وتقصيرنا رغب الله تعالى أصحاب الرسول في أن يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولاً يدل على الضعف فيقطع الأعداء فيهم (وثبت أقدامنا) في جهاد عدوك بتقوية القلوب وفعل اللطف التي معها تثبت الأقدام فلا تزول للانزهاض وقيل معناه ثبتنا على الدين فثبتت به أقدامنا (وانصرنا على الملوك وأعوانهم الكافرين) بالقاء العرب في قلوبهم وامتدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال (فأنابهم الله) يعني الذين وصفهم اعطاهم الله (ثواب الدنيا) وهو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهرهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنية وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة و يجوز أن يكون ما آتاهم في الدنيا من الظفر والفتح والنصر وأخذ الغنية ثوابا مستحقا لهم على طاعتهم لأن في ذلك التعظيم لهم والاحلال ولذلك تقول ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز أن يكون اعطاهم الله ذلك تفضلا منه تعالى أو ملهم فيه من اللطف فيكون تسميته بآنه ثواب مجاز أو توسعا والثواب هو النفع الحاصل المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل (والله يحب المحسنين) في أقوالهم وأفعالهم والمحسن فاعمل الحسن وقيل المحسن الذي يحسن إلى نفسه بطاعة ربه وقيل الذي يحسن إلى غيره

(١) [الوهن] . (٢) [وبغية أي بحالة سوء] . (٣) وفي بعض النسخ مطوطة «خير» بدل «صبر» .

قوله تعالى (١٤٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَدُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٥٠) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (آياتان)

❖ اللفظة ❖

الطاعة موافقة الإرادة المرغوبة في الفعل وبالترغيب يفصل عن الإجابة وإن كان موافقة الإرادة حاصلة وفي الناس من قال الطاعة هي موافقة الأمر والأول أصح لأن من فعل ما يقتضي العقل وجوبه أو حسنه كان مطيعاً لله وإن لم يكن هناك أمر

❖ الإعراب ❖

يودوكم جزم لأنه جواب الشرط فتقبلوا عطف عليه وخاسرين نصب على الخلل وبل حقيقته الاضراب عن الأول إلى الثاني

❖ النزول ❖

قيل نزلت في المناققين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وارجعوا إلى دينهم عن علي (ع) وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريج

❖ المعنى ❖

ثم أمر سبحانه بترك الائتار لمن تبطهم عن الجهاد من الكفار وقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (إن تطيعوا الذين كفروا) أي إن أضيفتم إلى قول اليهود والمناققين ان محمداً (ص) قتل فارجعوا إلى عشائركم (يودوكم على أعقابكم) أي يوجعكم كفاراً كما كنتم (فتقبلوا) أي ترجعوا (خاسرين) لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان والنار بالجنة (بل الله مولاكم) أي هو أولى بأن تطيعوه وهو أولى بنصرتكم (وهو خير الناصرين) إنما قال ذلك وإن كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهاراً في الحجة أي إن اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يطلب وغيره يجوز أن يطلب وإن نصر فهو الناصر في الحقيقة إن شاء أمدكم بأهل الأرض وإن شاء نصركم بللقاء الرعب في قلوب أعدائكم

قوله تعالى (١٥١) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَيَسْـَٔئِلُ الْمُؤْمِنِينَ الشَّاكِرِينَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر وابو جعفر والكسائي ويعقوب وأبو حاتم الرُّعْبُ بضمين والآخرون بتسكين العين وقد تقدم القول في مثله

❖ اللفظة ❖

السلطان هنا معناه الحجة والبرهان وأصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشيء التقوية على الشيء مع الإغراء به والسلطة حدة اللسان مع شدة الصبح للقوة على ذلك مع إثارة فطنه والسيط الزيت لقوة استعماله بحديثه واللقاء أصله في الإيعين يدل عليه قوله والقي الأرواح فالتقوا

حبا لهم واستعمل في غير عين اتساعا إذ ليس الرعب بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة مني ومثل الإلقاء في ذلك الرمي قال سبحانه الذين يرمون أزواجهم أي بالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين وكذلك قوله

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ حَوْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

والمثوى المنزل وأصله من الثواء وهو طول الإقامة وأن المثوى ربة البيت والثوى الضيف لأنه مقيم مع القوم

﴿ النزول ﴾ =

قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بنس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك التقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وستأتي هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فترت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه أن من جملة نصرته للمؤمنين إلقاء الرعب في قلوب المشركين فقال (سنلقي) أي سنقذف (في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف والفرع (بما أشركوا بالله) أي بشركهم بالله وقولهم عليه مالا يجوز من النبد والشريك (ما لم ينزل به سلطانا) أي برهانا وحجة يعني لم يجعل لهم في ذلك حجة (ومأويهم) أي مستقرهم للنار) يعذبون بها (وبنس مشى الظالمين) معناه وبنس مقام الظالمين النار وروي أن الكفار دخلوا مكة كالمهزمين مخافة أن يكون لرسول الله واصحابه الكفرة عليهم وقال رسول الله (ص) نصرت بالرعب مسيرة شهر

قوله تعالى (١٥٢) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرِيكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (آية)

— (اللفظ) —

الحس القتل على وجه الاستئصال وأصله من الإحساس ومنه هل تحس منهم من أحد وسبي القتل حسا لأنه يبطل الحس والفشل الجبن

﴿ الإعراب ﴾

صدق يتعدى إلى مفعولين وجواب إذا في قوله حتى إذا فشلتم قيل فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه محذوف وتقديره حتى إذا فشلتم امتعنتم ﴿ والثاني ﴾ انه على زيادة الواو والتقديم والتأخير وتقديره حتى إذا تنازعت في الأمر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما أسلمنا وتله للجبن ونادينا ومعناه نادينا والواو زيادة وحتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وأنشد:

حَتَّى إِذَا قَلَّتْ بَطُونُكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُوهَا
وَقَلْبَتُمْ ظَهَرَ الْحَجْنُ لَنَا إِنَّ اللَّيْمَ الْعَاجِزُ الْحَبُّ (٣)

والبصريون لا يجيزون هذا ويؤولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ في الكلام وأحسن

(١) الطوى: هومن طويت البئر اذا بنيتها بالصجارة . (٢) قبل بطنك: ضم (٣) الحجن: الترس يقال قلب له ظهر الحجن اذا تحول عن الصداقة الى العداوة . الغب العداوة .

[النزول] =

ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذكور في الآية كان يوم أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أخل الرماة بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وفي ذلك تزلت الآية

المعنى

ثم بين تعالى انه صدقهم وعده فقال (ولقد صدقكم الله وعده) معناه وفي الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان الوعد قول رسول الله للرماة لا تدحوا هذا المكان فإنما لاتزال غالبين ما تبتم مكانكم (إذ تحسونهم) أي تقتلونهم (بأذن الله) أي بطله وقيل بطفه لأن أضل الأذن هو الاطلاق في الفعل واللفظ تيسير للفعل كما ان الأذن كذلك فحسن اجراء اسمه عليه (حتى إذا فشتم) معناه جبتم عن عدوكم وكفتم (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم (وعصيت) أمر نبيكم في حفظ المكان (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والفتنة واكثر المقربين على ان المراد بالجميع يوم أحد وقال ابو علي الجبائي معناه اذ تحسونهم يوم يبد حتى إذا فشتم يوم أحد وتنازعتم وعصيتهم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر والأولى أن يكون حكاية عن يوم أحد على ما بيناه وجواب إذا هاهنا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره حتى إذا قطعتم ذلك ابتلاكهم وامتحنكم ورفع النصرة عنكم (منكم من يريد الدنيا) يعني الفتية وهم الذين أدخلوا المكان الذي رتبهم النبي (ص) فيه وأمرهم بلزومه (ومنكم من يريد الآخرة) أراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه أي يقصد مجيئه إلى ما عند الله وروى عن ابن مسعود قال ما كنت أدري ان احدا من اصحاب رسول الله (ص) لم يهجم الله تعالى حتى تزلت فينا هذه الآية يوم أحد (ثم صرفكم عنهم) قد ذكرنا في اضافة انصرافهم إلى الله سبحانه وجوه (١) واثباتها (٢) ان معناه رفع النصرة عنكم ووكلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبي (ص) فانهم من عن جفرتين حرب (٣) وثالثها (٤) ان معناه لم يأمركم بما وعدتهم من فورهم لئيتيكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخي وقوله (لئيتيكم) معناه لئيتيكم أي يعاملكم معاملة المختبر المظاهرة في العدل وذلك انه تعالى إنما يجازي عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم (ولقد عفا عنكم) أي صغح عنكم بعد أن خالفتم أمر الرسول وقيل عفا عنكم تبصم بعد ان أمركم بالتبصم لهم عن البلخي قال لا بلغوا حمرا الأسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو علي الجبائي هو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه والأولى أن يكون عاما في الجميع فإنه لا يتنع أن يكون الله تعالى قد عفا لهم عن المعصية (والله ذو فضل على المؤمنين) أي ذو من ونبهة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل بأن لا يتأصلهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى الواحدي باسناده عن سهل بن سعد الساعدي قال خرج رسول الله يوم أحد وكسرت ربايته وهشت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنته تغسل عنه الدم وعلي بن ابي طالب (ع) يسكب عليها بالمجن فلما رأته فاطمة ان الماء لا يزيد الدم إلا كثرة اخذت قطعة حمير فأحرقت حتى إذا صار رمادا الزمته الجرح فاستمسك الدم

قوله تعالى (١٥٣) اذ تصعدون ولا تلون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فانابكم عما ينهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خير مما تعملون (١٥٤) ثم انزل عليكم من بعد النعم امانة نطسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخشون في انفسهم ما لا يريدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما اقلنا همها قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليتبلي الله ما في صدوركم وليحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور (آيات)

[القرائة]=

قرأ اهل الكوفة غير عاصم تغشى طائفة بالتا. والباقون يغشى باليا. وقرأ اهل البصرة كله لله بالرفع والباقون بالنصب

الحجة ٤ -

قال ابو علي حجة من قرأ يغشى بالياء اذ يفشىكم الناس امانة والناس هو الفاشي ولأن يغشى اقرب الى الناس فاستناد الفعل اليه أولى ويقال غشيتي الناس وغلب علي الناس ولا يسهل غشيتي الامنة وحجة من قرأ بالتا. ان الناس وإن كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام بذلك قوله الذي مررت به زيد ابو عبد الله وقال

وَكَانَهُ لَهَقَ السَّرَاةَ كَانَهُ مَا حَاجِيهِ مُضَيَّرٌ بِسَوَادٍ

فجعل الخبر على الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة اجمعين في انه للإحاطة والعموم فالوجه أن لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة التي عمرو في رفعه كله وابتدأه به انه وإن كان في اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الاسماء نحو قوله وكلهم آتية يوم القيامة فردا فابتدأ به في الآية

اللغة *

الفرق بين الإصعاد والصعود ان الإصعاد في مستوى من الأرض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة

إذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول الشاعر

هُوَ أَيِّ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجَنَائِي بِمَكَّةَ مُوْتِقٌ (١)

وروي عن الحسين انه قرأ تصعدون بفتح التاء والمين وقال إنهم صعدوا في الجبل فرارا وقال الفراء الاصعاد الابتداء في كل سفر والانهيار الرجوع عنه ولا تلون اي لا تعرجون على احد كما يفعل المنهزم ولا يذكر هذه

إلا في النفي لا يقال لويت على كذا واصله من لي الصق للالتفات والناس الوسن وناقعة نعوس توصف بالساحة في الدد

الإعراب *

قوله اذ تصعدون العامل في اذ قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به ايضا وقيل يتعلق بقوله فانابكم ولا تحزنوا منصوب بكسي وامة مفعول انزل ونطسا بدل منها وطائفة الأولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها يظنون وقد اهتمهم انفسهم في موضع رفع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهتمهم انفسهم خبرا والواو في وطائفة واو الحال على تقدير يغشى الناس طائفة في حال ما اهتم طائفة منهم

(١) اللهب: الايض. سراة كل شيء. ظهره ووسطه قوله ما حاجيه: ما زامته وحاجيه بدل من الضمير في كانه اي كان حاجيه ضمير بسواد. والشاهد في آيات الخبر اعني «ضميراً» مفرداً حلا على المبدل منه دون البديل (٢) الشمر في جامع الشواهد:

انفسهم فالجملة في موضع الحال ويجوز النصب على ان يجعل الراو واو العطف كما تقول ضربت زيدا وعمرا
اكرمه فيكون منصوبا على اضمار فعل الذي قد ظهر تفسيره

المعنى

ثم ذكر تعالى المنهزمين من اصحاب رسول الله يوم احد فقال (إذ تصعدون) معناه ولقد غفا عنكم إذ
تذهبون في وادي احد للانهزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع (ولا تلوون على احد) أي لا تقيسون على من
خلقتهم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على أحد (والرسول) يعني محمدا (ص) (يدعوكم في
أخراكم) أي يتناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إليّ عباد الله ارجعوا إليّ أنا رسول الله يقال فلان جاء في آخر
الناس وأخرة الناس وأخرى الناس إذا جاء خلفهم (فانابكم غميا بغم) اختلف فيه على أقوال **﴿** احدها **﴾**
ان معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب أن غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ
عصيته ووضيعة أمره فالغم الأول لهم والثاني للنبي (ص) واختاره الزجاج **﴿** وثانيها **﴾** ان معناه غم على
غم او غم على غم أو غم بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال ما نزلت بزيد حتى فعل
أي مع زيد و اراد به كثرة الغم بالنديم على ما فعلوا وبما أصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به
من عقاب الله **﴿** وثالثها **﴾** ان الغم الأول القتل والجراح والثاني الارجاب بقتل محمد (ص) عن قتادة
والربيع **﴿** ورابعها **﴾** اثابكم غميا يوم احد بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لأن
ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين لنا توجب المجازاة بالكرامة دون الغم **﴿** وخامسها **﴾**
ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم إلى حمراء الأسد فجعل هذا الغم عرضا
عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن علي المغربي وإنما قيل في الغم ثواب لأن اصله ما يرجع إلى المجازاة
على الفعل طاعة كان او معصية ثم كثرت في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر

وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِثْرِهِمْ طَرِبَ الْوَالِدُ أَوْ كَالْمُخْتَبِلِ

وقيل انه مما وضع مكان غيره كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي ضعه موضع البشارة فهو

كما قال الشاعر

أَخَافُ زَيْدًا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهُمْ سُودًا أَوْ مَدْحَرَجَةً سُمْرًا

(لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) معناه فعل بكم هذا الغم لتلا تحزنوا على ما فاتكم
من الضيعة ولا تتركوا أمر النبي (ص) ولتلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد في سبيل الله وليكن غمكم
بان خافتم النبي فقط وتقديره ليشفلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد غفا
عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن غم الله تعالى يذهب كل حزن (والله خير بما تعملون) فيه ترغيب
في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر ما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا وأقبلوا يصتذرون إلى رسول الله
(ص) فأنزل الناس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الأرض وكان المنافقون لا يستقرون حتى طارت
عقولهم فقال (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا) لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها
المؤمنون بعد ما نالكم من يوم احد من الغم امانة يعني أمانة نعاساً أي نوماً وهو بدل الاشغال عن امانة لأن النوم
يشتمل على الأمن لأن الحائف لا ينام ثم ذكر سبحانه ان تلك الأمانة لم تكن عامة بل كانت لأهل الاخلاص
وهي لأهل النفاق والخوف والسهر فقال (يفتنى طائفة منكم) يعني المؤمنين التي عليهم النوم وكان السبب
في ذلك تواعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقعده المسلمون تحت الجحف متهئين للحرب فأنزل الله الأمانة
على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين ازعمهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء

الظن فليز عنهم النوم عن ابن اسحاق وابن زيد وقتادة والربيع (وطائفة قد اهتمهم انفسهم) أي وجماعة قد شغلهم انفسهم وقيل حملتهم على الهتم ومنه قول العرب همك ما أهك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل شغلهم نفسه عن غيره (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) أي يتوهمون ان الله لا ينصر محمداً وأصحابه كظنهم في الجاهلية وقيل كظن أهل الجاهلية وهم الكفار والمكذوبون يوعد الله ووعيده فكان ظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) فهذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانتكار أي أنطع أن يكون لنا الثلبة على هؤلاء أي ليس لنا من ذلك شيء وقيل ان معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الأمر الينا ماخرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن أبي ومثب بن قشير واصحابها عن الزبير بن العوام وابن جريج (قل) يا محمد (ان الأمر كله لله) ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عجل النصر وربما أخره لضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالأمر في الموضعين النصر (يخفون في انفسهم ما لا يبديون لك) أي يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك (يقولون لو كان لنا من الأمر) أي من الظفر كما وعدنا (شيء ماقتلنا هاهنا) أي ماقتل اصحابنا شكاً منهم فيما وعده الله تعالى نبيه من الاستملاء على أهل الشرك وتكذيباً به (قل) يا محمد لهم في جواب ذلك (لو كنتم في بيوتكم) ومنازلكم (لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم) قيل فيه قولان ﴿احدهما﴾ ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتخلفتم عن القتال لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير ولو تخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون ﴿والثاني﴾ ان معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتال أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم وذلك ان ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم انهم لا يجتارون ذلك علم انهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب ان يكون تعالى قادراً على ما علم انه لا يفضله والقول بذلك كفر (وليتلي الله ما في صدوركم) أي يجتبر الله ما في صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة لأن المجازاة إنما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلين مظهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفهم عنكم ليتليكم وليتلي ما في صدوركم (وليمحص ما في قلوبكم) أي يخلص وقيل هذا خطاب للمناققين أي يأمرهم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وتنكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه ليتلي اولياؤه الله ما في صدوركم كما في قوله الذين يجارون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة ناساً ليظهر عند هذه الأحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في قلوبكم أي يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التمهيص خاص للمؤمنين دون المنافقين (والله عليم بذات الصدور) معناه ان الله لا يتليكم ليعلم ما في صدوركم فإن الله عليم بذلك وإنما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر

قوله تعالى (١٥٥) **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (آية)

(المضى) -

ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم أحد أيضا فقال (إن الذين تولوا منكم) أي إن الذين تولوا الدبر على المشركين بأحد منكم أيها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا إلى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وسيدهم رسول الله وجمع المشركين ورئيسهم أبو سفيان وإنما استزلهم الشيطان أي طلب زلتهم عن القتيبي وقيل ازل واستزل بمعنى (بيض ما كسبوا) من معاصيهم السالفة فلحقهم شرمها وقيل استزلهم بحجبتهم للفتنة مع حرصهم على بقية الحياة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤذي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور وقيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكبرها القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج (ولقد عفا الله عنهم) أعاد تعالى ذكر الضم تأكيذا لطمع المذنبين في العفو ومنعاهم عن اليأس وتحسينا لظنون المؤمنين (إن الله غفور حلیم) قد مرّ معناه وذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي (ص) يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلي (ع) وأبو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقد اختلف في الجميع إلا في علي (ع) وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال ورأيتني أصعد في الجبل كأنني أروى ولم يرجع عثمان مسن الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (ص) لقد ذهبت فيها عريضة

قوله تعالى (١٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَا خَافِيَنَا إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُبَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٧) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَنْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٨) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالياء. وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم ميم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا وقرأ الباقر ميم بضم الميم وقرأ مما يجمعون بالياء. حفص عن عاصم والباقر يجمعون بالياء.

🕌 الحجة 🕌

قال أبو علي حجة من قرأ بالياء. قوله ولا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرأ بالياء. إن قبلها أيضا غيبة وهو قوله وقالوا لإخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والأشهر الأقيس في ميم ضم الميم والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل بفضل في الصحيح وانشدوا

ذَكَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَدَارِ ابْنَ عَامِرٍ وَمَا صَرَ مِنْ هَمْرِي ذَكَرْتُ وَمَا فَضِلُّ

وأما يجمعون بالياء فالعنى على تجمعهم أيها المقتولون في سبيل الله أو الماتون ومعنى الياء أنه لمنفرة من الله خير مما يجمعه غيركم

🔹. اللفظة .🔹

الضرب في الأرض السيد فيها وأصله الضرب باليد وقيل هو الايتال في السيد وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب وطلب

* الإعراب *

قوله وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض وضع إذا موضع إذ لأحد أمرين أما لأنه متصل بلا تكونوا كهؤلاء إذا ضرب اخوانهم في الأرض وأما لأن الذي إذا كان مبعها غير موقت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لا كرم من الذي اكرمك إذا زرته لأبهام الذي ولا يجوز لا كرم من هذا الذي اكرمك إذا زرته لتوقيت الذي من أجل الإشارة إليه بهذا وقوله ليحبل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام فيه يتعلق بلا تكونوا أي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليحبل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة من أبي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء فيه مجواب القسم في قوله لمخفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وقد اجتمع شيئان كل واحد منها يحتاج إلى جواب وكان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله ولئن بتم تحتل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله لا إلى الله جوابا كقولك والله إن تم أو قتلتم لتحشرون إلى الله ﴿ والثاني ﴾ ان تكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها وتكون الثانية جوابا لقسم محذوف والنون لا بد منها في الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة ان ذكر القسم دليل على انه من مواضع التأكيد فإذا جازت في غيره من الأمر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمته في القسم لأنه أحق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف الاسم إليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت ان زيدا يقوم وليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم ولا يكسر لها إن نحو قد علمت ان زيدا يقوم ويلزمها النون في المستقبل

* المعنى *

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في اقوالهم وافعالهم فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يريد عبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام (وقالوا لاخوانهم) من أهل النفاق (إذا ضربوا في الأرض) أي سافروا فيها لتجارة أو طلب معاش فتأوا عن السدي وابن اسحاق وإنما خص الأرض بالذكر لأن أكثر سفارهم كان في البر وقيل اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى سراييل تقيكم الحرّ وقيل لأن الأرض تشتمل على البر والبحر (أو كانوا غزى) أي غزاة محاربين للعدو قتلوا (لو كانوا) مقيمين (عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليحبل الله ذلك حسرة في قلوبهم) معناه قالوا هذا القول ليبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا الغز والفتنة فصار حسرة في قلوبهم واللام على هذا في ليحبل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببا لالزام الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الحية فيما أملوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والفتنة (والله يحيي ويميت) أي هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ولا رادّ لما قضى ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد خشية القتل فإن الأحياء والاماتة بيد الله سبحانه فلا حياة لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر الله حياته (والله بما تعملون بصير) أي مبصر وقيل علم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حث سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادّة بأن قال (ولئن قتلتم) أيها المؤمنون (في سبيل الله) أي في الجهاد (أو تمتم) قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم (مغفرة من الله ورحمة) والمغفرة الصفع عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهاتان (خير مما يجمعون) من الأموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تغزية المؤمنين

(١) وفي التبيان هكذا « مع ما اذ كان ذكر القسم قد انبأ انه من مواضع التأكيد لزمته فيه »

وتسليتهم عما اصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال (ولئن متم او قتلتم
لابي الله تحشرون) اي سواء متم او قتلتم فان مرجعكم الى الله فيجزى كلا منكم كما يستحقه المحسن على
إحسانه والمسي على إساءته فاثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا
تركوا إلى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب إلى الإمام الحسين بن علي ؑ

فَإِنْ تَكُنْ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أَنْشِثَتْ فَقَتَلَ أَمْرِي بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلَ

﴿ سؤال ﴾ إن قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينها ولا يقول
احد الدرّة خير من البعرة ﴿ فجوابه ﴾ ان الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى انهم يتكفرون بالجهاد في سبيل
الله محبة للاستكثار من الدنيا وإيثارا للمقام فيها فطلى هذا جاز ذلك

قوله تعالى (١٥٩) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْتَفَضُوا
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آية)

اللغة

الفظ الغليظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظاة وأنت فظّ علي وزن فعل إلا انه أدغم
كسب والفظاظاة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع فان أصل الفظاظاة الجفوة
والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفريق وشاورت الرجل مشاوره وشوارا والاسم
المشورة وقيل المشورة وفلان حسن المشورة والصورة أي الهيئة واللباس وانه لصير شير وهو حسن الشارة
ومعنى قولهم شاورت فلانا أظهرت في الرأي ما عندي وما عنده وشرت الدابة أشورها إذا امنحتها فحرفت
هيئتها في سيرها وشرت العسل وأنشوته إذا أخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الشاعر

كَانَ الْقَرْنَفَلُ وَالزَّنَجِيلُ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيَا مَشُورًا (١)

وقال عدي بن زيد

وَفِنَاءُ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٌ مِثْلِ مَاذِي مُشَارٍ (٢)

والعزم عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك يعني
اقسمت عليك والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الأمر اليه والثقة ببحس
تدييره وأصله الاتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج اليه ممن يستند اليه ومنه الوكالة لأنه عقد على الكفاية
باليابة والوكيل هو المنكل عليه بتفويض الأمر اليه

(الإعراب) -

فبما رحمة ما زائدة بإجماع المفسرين ومثله قوله عما قليل جاءت مامو كدة للكلام ودخولها تحسن النظم

كدخولها لاتزان الشعر في نحو قول عنترة (٣)

يَأْشَاءُ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرَمِ

وقال الفرزدق

(١) الأري : السمل (٢) وفي الصحاح « في سماع » بدل « وفناء » . آذن له : استمع له . البأذي : السمل الأري

(٣) في مملكته (٤) القنص : الصيد وما زائدة والمراد بالشاة امرؤة شهبها بها .

نَادَيْتُ أَنْكَ إِنْ مَجَّوْتِ فَبَعْدَمَا يَأْسٍ وَقَدْ نَفَرْتِ إِلَيْكَ شَعُوبٌ^(١)

وذلك ليتمكن المعنى في النفس فجرى مجرى التكرير

—* المعنى *

ثم بين سبحانه ان مساهلة النبي (ص) ايامه ومجاورته عنهم من رحمة تعالى حيث جملة لين المطف حسن الخلق (فبا رحمة) أي فبرحمة (من الله لنت لهم) معناه ان لنتك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم مع سباحة اخلاقك وكرم سجينك بالحجج والبراهين (ولو كنت) يا محمد (فظا) أي جافيا سيء الخلق (غليظ القلب) أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رافة (لانفضوا من حولك) أي لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الغظظة والغلظة وان كانا متقاربين لأن الغظظة في الكلام نفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه (فاعف عنهم) ما بينك وبينهم (واستغفر لهم) ما بينهم وبينني وقبل معناه فاعف عنهم فرارهم من أحد واستغفر لهم من ذلك الذنب (وشاورهم في الأمر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في قائدة مشاورته ايامه مع استغنائاه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العباد على أقوال «أحدها» ان ذلك على وجه التطيب لنفسهم والتألف لهم والرفع من أقدارهم ليعين انهم ممن يوثق بأقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحاق «وثانيها» ان ذلك لتقتدي به امته في المشاورة ولم يروها نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم عن سفيان بن عيينه «وثالثها» ان ذلك لأمرين لا لجلال أصحابه ولتقتدي امته في ذلك عن الحسن والضحاك «ورابعها» ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة لينبذ الناصح من الناس «وخامسها» ان ذلك في امور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بآرائهم عن ابي علي الجبائي (فاذا عزمت) أي فاذا عقدت قلبك على الفعل وامضائه ورووا عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فاذا عزمت بالضم فلي هذا يكون معناه فاذا عزمت لك ووفقتك وارشدتك (فتوكل على الله) أي فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه (ان الله يحب المتوكلين) يعني الواثقين به والمعتمدين عليه والمنقطعين اليه الواكلين أمرهم الي لطفه وتدييره وفي هذه الآية دلالة على اختصاص نبينا بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجبنا أمره (ص) انه كان أجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان أدنام إلى التواضع وذلك انه كان أوسط الناس نسبا وأوفرهم حسبا وأسخام وأشجعهم وأزكام وأفصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخسف النعل ويركب الحمار ويطلب الناصح ويجب دعوة الملوك ويجلس في الأرض ويأكل على الأرض وكان يدعو إلى الله من غير زئور ولا كهر ولا زجر^(٢) ولقد أحسن من مدحه في قوله :

فَأَحَلَّتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِهَا أَرَبًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

وفي الآية أيضا ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الأمور ونهيمهم عن الغظظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعائهم إلى التوكل عليه وتفويض الأمر اليه وفيها أيضا دلالة على ما نقوله في اللطف لأنه سبحانه تبه على أنه لولا رحمة لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما أجابوه فيبين ان الأمور المنفرة منفية عنه وعن سائر الأنبياء ومن يجري مجرام في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم أيضا عن الكباير لأن التنفير في ذلك أكثر

(١) الشعوب: اسم للنبيه. (٢) [قال] (٣) زأز زمرأ : صاح و غضب . كهر كهرأ : استقبله بوجه هابس

قوله تعالى (١٦٠) **إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (آية)

= [المعنى] =

لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال (ان ينصركم الله) على من ناواكم (فلا غالب لكم) أي فلا يقدر احد على غلبتكم وإن كثر عدد من يناوئكم وقل عددكم (وإن يخذلكم) أي يمتنعكم معونته ويحل بينكم وبين اعدائكم بمصيبتكم إياه (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) الما عائدة إلى إسم الله على الظن والمعنى على حذف المضاف وتقديره من بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم ومن هاهنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام أي لا ينصركم احد من بعده وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يعني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ظاهر المراد وتضمنت الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصر والتقدير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذي يؤمن معه ان يكلمهم الى أنفسهم فيهلكوا قال ابو علي الجبائي وفي الآية دليل على ان من غلبه اعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يحصل على امان من غلبة الفجار وهذا إنما هو في النصر بالقلبة فأما النصر بالحجة فإن الله نصر المؤمنين من حيث هدام الى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القاسم البلخي المؤمنون منصورون ابداً إن غلبوا فهم المنصورون بالقلبة وإن غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي النصر بالقلبة ثواب لأنه لا يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس بضواب كيف تصرف الحال لأن الله تعالى امرنا ان نصر الفتنه المبني عليها وقد لا تكون مستحقة للثواب فأما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على عدو في وقت الحاجة اليها لأنه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونته لم يكن خاذلاً له

قوله تعالى (١٦١) **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْفُرَ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (آية)

-(القراءة) -

قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم النون وقرأ الباقون بضم الياء وفتح النون

-(الحجة) -

من قرأ يغل فعناه يخون . يقال غل في الضيعة يغل اذا خان فيها واغل بجمناه . وقال النمر بن تولب

جَزَى اللهُ عَنَّا جَمْرَةً بِنْتِ نَوْفَلٍ جَزَاءً مُغِبِلٌ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ

بِمَا سَأَلَتْ عَنِّي الْوَشَاةَ لِيَكْذِبُوا عَلَيَّ وَقَدْ أَوْلَيْتُهَا فِي النَّوَابِ

ومن قرأ يقل فعناه على وجهين * احدهما * ما كان لني ان يحون أي ينسب إلى الخيانة أي يقال له غلت كقولك أسقته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة :

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ بِمَا أَبَتْهُ تُكَلِّمُنِي أَحْبَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وقال الكمي

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرْتَنِي بِجُحُومِ وَطَائِفَةٌ قَالَتْ مُسِيءٌ وَمَذْنِبٌ

أي نسبتني إلى الكفر * والآخر * ما كان لني ان يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيماً للذنب قال ابو علي الفسوي الحجة لمن قرأ ان يقل إنما جاء في التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وما كان ليأخذ أخاه وما كان لنفس ان تموت وما كان لله ليضل قوماً وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد أن يضرب وما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه إلى المفعول به فكذلك قوله وما كان لني أن يقل بسند الفعل فيه إلى الفاعل ويروي عن ابن عباس أنه قرأ يقل قليل له ان عبد الله قرأ يقل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال وقد كان النبي يقتل فكيف لا يحون

[اللغة] =

أصل الغلول من الغل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انزل الماء في اصول الشجر والغلول الخيانة لأنها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغفل ومنه

الغل الحقد لأنه يجري في النفس كالغفل ومنه الغليل

حرارة العطش والغلة كأنها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لأنها شمار تحت البدن

* النزول *

روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المنعم فقال بعضهم لعل النبي (ص) أخذها وفي رواية الضحاك عنه ان رجلاً غل بمخيط أي بآبرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية وعن مقاتل انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلباً للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال رسول الله أغنستم انانقل ولا نقسم لكم فأنزل الله الآية وقبل انه قسم المنعم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا أقسم النبي ولم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فنزلت الآية وقبل نزلت في اداء الوحي كان النبي (ص) قرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يطوي ذلك فأنزل الله الآية

* المعنى *

لما قدم تعالى أمر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال (وما كان لني ان يقل) وتقديره وما كان لني الغلول لأن ان مع الفل بمعنى المصدر أي لا تجتمع

(١) قوله واسقيه اي قلت للدار الذي فيه المحبوبة سقاك الله . قوله مما ابته اي من تبييحي اياه .

النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحاق وتقديره ما كان له ان يفل
 امتة فيا يودي اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغل كقوله ما كان الله ليأخذ من ولد معناه
 ما كان الله ليأخذ ولدا وعلى القراءة الأخرى ما كان لنبي أن يخون أي يخونه اصحابه أو بمعنى يكتمونه
 شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه بالذكر وان كان لا يجوز ان يفل غيره من إمام أو أمير
 للمسلمين لوجهين * أحدهما * لعظم خيائته وانها أعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس
 من الأوثان وإن كان اجتناب جميع الأرجاس واجبا * والآخر * ان النبي إنما خص بالذكر لأنه
 القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى وأجدر وقوله (ومن
 يفل بأن بما غل يوم القيامة) معناه انه يأتي حامل على ظهره كما روي في حديث طويل إلا لا يظن أحد
 بعير يأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء إلا لا يظن أحد فرسا يأتي به على ظهره له حمحة فيقول يا محمد
 يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابي حميد احمد الساعدي وابن
 عمر وقتادة وقال الجبائي وذلك ليفضح به على رؤوس الأشهاد وقال البلخي فيجوز ان يكون ما تضمنه
 الخبر على وجه المثل كان الله اذا فضحه يوم القيامة جر من ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد
 روي في خبر آخر ان النبي (ص) كان يأمر مناديا فينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار
 وشنار يوم القيامة فجاء رجل بكبة شمر فقال اني اخذتها لا خيط بردعة بعيري فقال النبي (ص) اما نصيبي منها
 فهو لك فقال الرجل اما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والأولى ان يكون معناه ومن يفل يواف بما غل
 يوم القيامة فيكون حمل غلوه على عنقه اماره يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى يوم القيامة بمصيبة
 لم يتب منها او أراد الله تعالى ان يعامله بالعدل اظهر عليه من مصيبته علامة تليق بمصيبته ليعلمه اهل القيامة
 بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه تعالى
 في كل من وافى القيامة بطاعة فإنه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف بها (ثم توفي كل نفس ما كسبت) اي
 يعطي كل نفس جزاء ما عملت تاما و(فيا) وهم لا يظلمون) اي لا ينقص احد مقدار ما يستحقه من الثواب
 ولا يزداد احد عن مقدار ما استحقه من العذاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله لو عذب
 اوليائه لم يكن ذلك منه ظلما لأنه قد بين انه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما

قوله تعالى (١٦٢) أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومآواه جهنم
 وبئس المصير (١٦٣) هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون (آيتان)

* اللفظة *

باء اي رجح يقال باء بذنبه يوبوء اذا رجح به وبوائه منزلا اي هياته له لأنه يرجع اليه والسخط من
 الله هو ارادة العقاب لمسئته ولعنه وهو مخالف للفيض لأن الفيض هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز
 اطلاقه على الله تعالى المصير المرجع ويفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشيء الى حال قد كانت عليها
 والمصير انقلاب الشيء الى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير العطين خزفا ولا يقال رجح العطين خزفا لأنه

لم يكن قبل خرفا والدرجة المرتبة والدرجان مشي الصبي لتقارب الرتب والترقي في العلم درجة بعد درجة
اي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة

✽ النزول ✽

لما امر رسول الله (ص) بالخروج إلى أحد قعدته جماعة من المنافقين واتبعوا المؤمنين فانزل الله
تعالى هذه الآية

= [المعنى] =

لما بين تعالى ان كل نفس توفي جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه بيان من كسب الخير والشر فقال
(أفمن اتبع رضوان الله) وفيه أقوال ✽ احدها ✽ ان معناه أفمن اتبع رضوان الله في العمل بطاعته كمن باء
بسخط منه في العمل بمعصيته عن ابن اسحاق ✽ وثانيها ✽ أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء
بسخط من الله في فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لأنه اشبه بما تقدم ✽ وثالثها ✽ أفمن
اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيله (كمن باء بسخط من الله) في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي
وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول (وماواة جهنم) أي مصيره مرجعه جهنم (ويؤس المصير)
أي المكان الذي صار إليه والمستقر والآية استفهام والمراد به التقرير والفرق بين الفريقين أي ليس من
اتبع رضوان الله أي رضاه كمن باء بسخطه (هم درجات) أي هم ذوو درجات (عند الله) فالؤمنون ذوو
درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيصة وقيل في معناه قولان ✽ احدهما ✽ ان المراد اختلاف مراتبهم
أهل الثواب والعقاب بما هو لواء من النعيم والكرامة ولا وكلك من العقاب والمهانة وعبر عن ذلك بدرجات
مجازا وتوسعا - « والثاني » - ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة طبقات بعضها أعلى
من بعض كما جاء في الخبر ان أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم في افق السماء والناذرركات
بعضها اسفل من بعض ومثله في حذف المضاف قول ابن هرمة انشده سيبويه

أَنْصَبُ لِلْمَيْتَةِ تَعْتَرِيهِمْ رَجَالِي أَمْ هُمْ دَرَجُ السُّيُولِ

أي هم ذوو درج (والله بصير بما يعملون) أي عليم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله تعالى
وتحذيرهم عما يوجب سخطه واعلام بأن اسرار العباد عنده علانية وفيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل
لديه إذ لا يخفى شيء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية

قوله تعالى (١٦٤) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ (آية)

﴿ اللغة ﴾

أصل المن القطع يقال منته منته إذا قطعه والمن النعمة لأنه يقطع بها عن البلية يقال من فلان علي بكذا
أي استغفني به مما أنا فيه والمن تكدير النعمة لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لأنه يقطع
بها الأعمال

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال (لقد من الله) أي انعم الله (على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا) صهر خص المؤمنين بالذكر وان كان (ص) مبعوثا الى جميع الخلق لأن النعمة عليهم اعظم لا هتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله (من أنفسهم) فيه اقوال « احدها » ان المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته وكونه أميا لم يكتب كتابا ولم يقرأه ليطمأن ما أتى به وحي منزل ويكون ذلك شرفا لم وداعيا إياهم الى الإيمان « وثانيها » ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب « وثالثها » انه عام لجميع المؤمنين والمراد بأنفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبروا شأنه وقوله (يتلو عليهم آياته) يعني القرآن (وزكيمهم ويطههم الكتاب والحكمة) مضى بيانه في سورة البقرة (وإن كانوا من قبل لني ضلال مبين) يعني انهم كانوا في ضلال ظاهر بين أي كفارا وكفرهم هو ضلالهم فأقدم الله بالنبى (ص)

قوله تعالى (١٦٥) **أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

﴿ الإعراب ﴾

إنما دخلت الواو في اولما لمطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لأن له صدر الكلام وانما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انها وصلت التفريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال (اولما اصابتكم مصيبة قد اصابتم مثلها) أي حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلا وكانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثلها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا وأسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدي وقد اصابتم ايها المسلمون يوم بدر مثلها وقيل قتلتم منهم بيدر سبعين وبأحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره اهل السير فإنه لا خلاف بينهم انه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور (قتلتم أني يكون هذا) أي من أي وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله (ص) وينزل عليه الوحي وهم مشركون وقيل انهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائي وقوله (قل هو من عند أنفسكم) أي قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند أنفسكم أي بخلافكم امر ربكم وتركم طاعة الرسول (ص) وفيه اقوال « احدها » ان ذلك بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد وكان النبي (ص) دعاهم إلى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى أن يقصدوهم فيها قالوا **سكنا نخنع من ذلك في الجاهلية ونحن الآن في الإسلام وأنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع وأعز**

ج ٣ (الجزء الرابع) قوله تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان إلى قوله والله أعلم بما يكتبون ٥٣٣

عن قتادة والربيع « وثانيها » ان ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليهم انكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فأنا نأخذ الفداء ونتنفع به وإذا قتل منا فبما بعد كنا شهداء عن علي (ع) وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر (ع) « وثالثها » ان ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول الله (ص) به من ملازمة مراكزهم (ان الله على كل شيء قدير) اي فهو قادر على نصركم فيما بعد وإن لم ينصركم في الحال لمخالفكم

قوله تعالى (١٦٦) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٧) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَوْا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَا لَوْ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْتَمَعُوا قَاتَلُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَ مَيْدَانِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُبُونَ (آيَاتان)

﴿ الإعراب ﴾

الفاء إنما دخلت في قوله فبإذن الله لأن خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لأنه مطلق بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فن أجل انه كريم اي لأجل قيامه صح انه كريم ومن أجل كرمه قام

﴿ المعنى ﴾

(وما أصابكم) ايها المؤمنون (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يعني يوم أحد من النكبة بقتل من قتل منكم (فبإذن الله) اي بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اي اعلام وقيل بتخليه الله بينكم وبينهم التي تقوم مقام الاطلاق في الفصل برفع الموانع والتسكين من الفعل الذي يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك أمر رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يكون المراد بالاذن هاهنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه اللفظ لأن الله لا يبيح المعاصي ولا يطلقها وقتل الكافر المسلم من أعظم المعاصي فكيف يأذن فيه (وليعلم الله) (المؤمنين الذين ناقوا) معناه وليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به إلا ان الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق (وقيل لهم) أي للمنافقين (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) قالوا إن عبد الله بن أبي المنافقين معه من اصحابه انخذلوا يوم احد نحو من ثلثائة رجل وقالوا علام نقتل أنفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تتخذوا نبيكم (ؤادفوا) عن حريمكم وأنفسكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه اقيموا معناه كثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وبمنزلة القتال (قالوا لو نعلم قتالا لا تبناكم) يعني قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك إبلا لهدرهم في ترك القتال والرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدكم الله الله يعني عنكم وقيل إنما القائل لذلك رسول الله ﷺ يدعوهم إلى القتال عن الأعداء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان) يعني بإظهار هذا القول صاروا اقرب إلى الكفر إذ كانوا

قبل ذلك في ظاهر احوالهم اقرب إلى الايمان حتى هتكوا الستر فلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه واللام بمعنى إلى يعني هم إلى الكفر اقرب منهم إلى الايمان كقوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الى هذا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ذكر الأفواه تأكيداً لأن القول قد يضاف اليها وقيل إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالا لا تبصناكم واضرارهم انه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبي (ص) وقيل معناه يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول والايمان ما ليس في قلوبهم فان في قلوبهم الكفر (والله أعلم بما يكتمون) أي بما يضررونه من النفاق والشرك

قوله تعالى (١٦٨) الَّذِينَ قَالُوا لَا إِخْوَانِيهِمْ وَآمَدُوا لَوْ اطَّاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤْا
عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (آية)

❖ اللفظة ❖

الدرء الدفع يقال دره عنه اي دفع عنه قال الشاعر

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي (١)
أَهْدَا دِينَهُ أَبَدًا وَدِينِي

❖ الاعراب ❖

موضع الذين يحتمل أن يكون نصبا على البدل^(٢) من الضير في يكتمون ويحتمل ان يكون رفا على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا

— (المعنى) —

(الذين قالوا) يعني المنافقين (لاخوانهم) في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن أبي واصحابه قالوا في قتل أحد (وقعدوا) هم يعني هؤلاء القائلون عن جابر وقتادة والسدي والربيع (لو أطاعونا) في القعود في البت وترك الخروج الى القتال (ما قتلوا) قل لهم يا محمد (ص) (فادروا) اي فادفوا (عن انفسكم الموت) ان كنتم صادقين في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلهم في قهر بيوتهم وانما الزعم الله دفع الموت عن انفسهم بمقاتلتهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب في السلامة من القتل يجب ان يمكنه ان يدفع عن نفسه الموت فينبغي أن يدفعه هذا القائل فإنه اجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغي ان يجعل ذلك عذرا في القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب ان يكون على الله التكلان .

قوله تعالى (١٦٩) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٧٠) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧١) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (ثلاث آيات بلاخلاف يرزقون آية ويحزنون آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ الكسائي وحده إن الله لا يضيع بكم الألف والباقون بالفتح

(١) الوضين : البطان المريض المنسوج من سيور او شعر وقيل ان الوضين للهودج بمنزلة العزام للسرر .

(٢) [من الدين ناقوا و يحتمل ان يكون رفا على البدل]

﴿ الحجة ﴾

من قرأ قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح للقليل والكثير^(١) ووجه الفتح في أن ان المعنى ويستبشرون بأن الله لا يضع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير قص ونجس ووجه الكسر على الاستئناف = [اللغة] =

أصل البشارة من البشارة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده ولحقت الشيء والحقته غيري وقيل لحقت ولحقت لعتان بمعنى واحد وجاء في الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء أي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر إذا كانت خالصة من وجوه القبح لأن المنفعة على ضربين - أحدهما - منفعة اغترار وحيلة - « والآخر » - منفعة خالصة من شائبة الإساءة والنعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبي (ص) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاؤه انفع من وجهين - « أحدهما » - حسن النية في دعائه إلى الحق ليستجيب له « والآخر » بقصده الدعاء إلى حق يعلم ان يستجيب له المدعو وإنما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة في الجلالة وعظم المنزلة

﴿ الإعراب ﴾

أحياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي بل أحياء ولا يجوز النصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون في موضع رفع صفة لأحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو اولى من رضى عطفاً على بل أحياء لأن النصب يثنى عن اجتماع الرزق والفرح في حال واحدة ولورفع على الاستئناف لكان جائزاً وقال الخليل موضع أن لا خوف عليهم جرّ بالباء على تقدير بأن لا خوف عليهم وقال غيره موضعه نصب على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتغال مثل قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه

﴿ النزول ﴾

قبل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وقيل نزلت في شهداء احد وكانوا سبعين رجلاً اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان ابن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الأنصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقرون (ع) وكثير من المفسرين انها تناول قتلى بدر وأحد وما قيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار بإسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله المدينة واهدى له هدية فأبى رسول الله (ص) ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن اقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يعمد^(٢) وقال يا محمد ان أمرك هذا الذي تدعوا اليه حسن جميل فلو بعثت رجلاً من اصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله (ص) اني أخشى عليهم أهل نجد فقال ابو براء انا لم جار فابمشهد فلبدعوا الناس إلى امرك فبعث رسول الله (ص) المنذر ابن عمرو اخبني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة

(١) [تقول قتلت القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيداً ضربة فيصلح للقلة ووجه التثنية ان المقتولين كثير و فعل يختص به الكثير دون القليل] (٢) [لما حذف حرف الجر وصل الفعل اليه فنصبه كما قيل امرتك الضير أي بالخير و قيل موضع ان لا خوف عليهم جرّ على انه] (٣) أي من الإسلام.

ابن اسماء بن صلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على رأس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم لبعض انيكم يبلغ رسالة رسول الله اهل هذه الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال حرام يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزرت ورب الكعبة ثم اجتصرخ عامر بن الطفيل بنبي عامر على المسلمين فأبوا ان يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد عقد لم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وعصبة ورجالاً وذكواناً فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فأنهم تركوه وبه رمق فأرثت بين القتلى فماش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الأنصار احد بن عمرو بن عوف فلم ينههما بمصاب اصحابهما الا الطير يحوم حول المسكر فقالوا والله ان لهذا الطير لساناً فأقبلا لينظرا اليه فاذا القوم في دماهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن امية ما ذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكنني ما كنت لأرغب بنفسني عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية أسيراً فلما اخبرهم انه من ضم أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على ابيه فقدم عمرو بن امية على رسول الله واخبره الخبر فقال رسول الله (ص) هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفاً فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه قال حسان بن ثابت يمرض ابا براء على عامر بن الطفيل

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرَعَكُمْ	وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ ^(٣)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ يَا بِي بَرَاءُ	لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأُ كَعْمَدٍ ^(٤)
أَلَا أَبْلِغُ رَيْبَةَ ذَا الْمَسَاعِي	فَمَا أَحَدَّثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءُ	وَخَالَكَ مَا جَدُّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك

لَقَدْ طَارَتْ شُعَاعًا كُلَّ وَجْهِ	خَفَارَةٌ مَا آجَارَ أَبُو بَرَاءُ
بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ	دُعَاءَ الْمُسْتَفِيكِ مَعَ النِّسَاءِ
وَتَنوِيَةِ الصَّرِيخِ بَلِيٍّ وَلَكِنْ	عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صِدْقُ اللَّقَاءِ ^(٥)

فلما بلغ ربيعة ابن ابي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخرعن فرسه فقال هذا عمل ابي براء ان مت فدمي لعمي ولا يتبعن سواي وان عشت فأرى فيه رأيي قال فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآناً بلغوا قومنا عناباًنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعد ما قرأناها وأنزل الله تعالى ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله الآية

(١) اخفروه : نقض عهده و غدره . (٢) ارتث مجهولاً : حمل من المعركة جزيها وفيه رمق . (٣) الذوائب : الاشراف
(٤) تهكم بفلان : استهزأ به . (٥) تنويه الصريخ : دعاؤه الى القتال . (٦) والظاهر «سواء»

- [المعنى] -

لما حكى الله سبحانه قول المناهقين في المقتولين الشهداء تثبيطا للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعد الله للشهداء من الكرامة وخصهم به من النعيم في دار المقامة فقال (ولا تحسبن) والخطاب للنبي او يكون على معنى لا تحسبن ايها السامع او ايها الإنسان (الذين قتلوا في سبيل الله) اي في الجهاد وفي نصرة دين الله (امواتا) اي موتي كما مات من لم يقتل في سبيل الله في الجهاد (بل احياء) اي بل هم احياء وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات الآية وقوله (عند ربهم) فيه وجهان « احدهما » انهم بحيث لا يملك لهم احد نفعا ولا ضرا الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى « والآخر » انهم عند ربهم احياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابي علي الجبائي وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر ان النبي (ص) قال لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وروي عنه انه قال لجعفر بن ابي طالب وقد استشهد في غزاة موته رايت له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وانكر بعضهم حديث الأرواح وقال الروح عرض لا يجوز أن يتنعم وهذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح ويدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن وليست من الحياة في شيء لأن ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى (يرزقون) من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقيل يرزقون النعيم في قبورهم (فرحين بما آتاهم الله من فضله) اي يسرون بما اعطاهم الله من ضرور نعمه في الجنة وقيل في قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) اي يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء في الدنيا على مناهجهم من الايمان والجهاد لعلهم بأنهم ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله إلى مثل ما صارواهم اليه يقولون اخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريج وقتادة وقيل انه يوثق الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من اخوانه فيسر بذلك ويستبشركا يستبشرا اهل الغائب بقدمه في الدنيا عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا في الفضل الا ان لم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم عن الزجاج (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اي يستبشرون بأن لا خوف عليهم وذلك لأنه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لأن الله قد أجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالآخرة (يستبشرون) يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذين وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله (بنعمة من الله وفضل) النعمة عبارتان يعبر بها عن معنى واحد قيل في تكراره قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم من المضاعفة في الأجر ﴿ والآخر ﴾ للتأكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) اي يوقر جزاءهم وإنما ذكر ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعد

الموت ضرورة وإنما يعلمونه في دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالشاهدة ولا الخبر كالمأينة فلن مع الضرورة واليمان يتضاعف سرورهم ويشد ارتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطله البتة وان الاتابة لا تكون إلا من قبله تعالى وذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه وما روي في الأخبار من ثواب الشهداء أكثر من ان يحصى أعلاها اسنادا ما رواه علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال بينما أمير المؤمنين يخطب ويحضهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته العضايا ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألني عنه فقال الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار فإذا تجهزوا لغزورهم باهى الله بهم الملائكة فإذا ودعهم اهلهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله بكل رجل اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلا ضُف له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يبدون الف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا وإذا صاروا بعصاة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسته وفوقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حثهم الملائكة بأجنتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرجبا بالروح الطيب الذي اخرج من البدن الطيب أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل أنا خليفته في أهله من أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني ويحمل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث يشاء تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعا والشام يلا نورها ما بين الحافقين في كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعاً من ذهب على كل باب سبعون خرفة مسبلة في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمه الدر والزبرجد مرمولة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعاً على كل فراش زوجة من الحور العين عراً اتراباً فقال اخبرني يا أمير المؤمنين عن العروبة فقال هي الفنجة الرضية الشهية لها سبعون ألف وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهم تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بأيديهم الاكوبة والأباريق فإذا كان يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لقرجلوا لهم لما يرون من بهائمهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقدمون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين القامن اهل بيته وجميرانه حتى ان الجارين يتخاصمان ايها اقرب جوارا فيقدمون معي ومع ابراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله عز وجل في كل يوم بكرة وعشيا

قوله تعالى (١٧٢) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا اسَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٣) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٤) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلَهُمْ لَمْ يَمَسَّهُمْ مِنْهُمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (ثلاث آيات)

اللغة

استجاب وأجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الإجابة وأجاب فعل الإجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من

الكبد ومنه ماء قراح أي خالص والقراح من الأرض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقرحت عليه كذا أي اشتيته عليه لخلوصي على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقص الصفار ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح لخلوص ألمه إلى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار حسبنا الله أي كافينا الله وأصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحساب وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي وأصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكمهم الرحيم بهم وهو في صفة غيره وإنما يعتد بالوكيل

-(الاعراب)-

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الأعراب الجرّ على ان يكون نعتاً للمؤمنين والأحسن والأشبه بالآية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين أحسنوا منهم وانقوا اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعني الذين استجابوا اذا ذكروا وكذلك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانها نعت لموصوف واحد قوله لم يسهم سوء في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا

= [النزول] =

لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد ليلفوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى إذالم يبق منهم إلا الشريدتر كتموهم فارجموا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله (ص) فأراد أن يهرب العدو ويربهم من نفسه واصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال الأعصاب تشدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها أنكأ للعدو وأبعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع مابهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله الا لا يخرجن احد إلا من حضر يومنا بالأمر وإنما خرج رسول الله (ص) ليهرب العدو وليبفهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي أصابهم لم يروههم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلاً حتى بلغ حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله (ص) قال هل من رجل يأتينا بجبر القوم فلم يحببه احد فقال أمير المؤمنين أنا أتيك بجبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فإنهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (ع) على ما به من الألم والجراح حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع وأخبر رسول الله (ص) بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد (ص) إن الله عز وجل يأمر ان تخرج ولا يخرج مملك إلا من به جراحة فأقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداونونها فأنزل الله تعالى على نبيّه (ص) ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح حتى بلغوا حمراء الأسد وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابي السائب ان رجلاً من أصحاب النبي (ص) من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً قال شهدت أحداً أنا وأخي لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو قلنا لا تقوتنا غزوة مع رسول الله فوالله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله (ص) وكتبنا ابسر جرحاً من أخي فكنت إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله (ص) إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الجزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهمه صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد (ص) والله لقد عز علينا ما أصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعطاك فيهم ثم خرج

من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لبي ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجموا الرجعة إلى رسول الله (ص) وقالوا قد أصبنا حدًا أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم فلما رأى ابا سفيان مجدا قال ما وراءك يا مجيد قال محمد (ص) قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من الحق عليكم ما لم أر مثله قط فقال ويملك ما تقول قال فانا والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فانا والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت آياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كَادَتْ تَهْدِي مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاِحِلَتِي
تَرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةٌ
فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضُ مَائِلَةٌ
وَقَلْتُ وَيْلَ لِبَنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ السَّبِيلِ ضَاحِيَةٌ
مِنْ جَيْشٍ أَحَدٌ لِأَوْخَشٍ تَنَابِلَةٌ

إِذْ سَأَلَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خَرَقٍ مَعَاذِيلِ
لَأَسْمَا بِرَبِّسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
إِذَا تَنْطَمَطَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْخَيْلِ
لِكَلِّ ذِي إِزْبَةِ مِنْهُمْ وَمَقُولِ
وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَثَبْتُ بِالْقَيْلِ (١)

قال فتى ذلك ابا سفيان ومن معه وسمّ به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون عني محمداً رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه زيبيا بعكاظ غدا إذا وافيتونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فأخبروه أنا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابا سفيان إلى مكة وسمّ الركب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول ابي سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعونة ابن المغيرة بن العاص والي قوة الجمحي وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة تزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج ابا سفيان في اهل مكة حتى مجئته من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له فلقني نعم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابا سفيان إني واعدت محمداً واصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فشبطنهم ولك عندي عشرة من الاوبل أضعا على يد سهيل بن عمرو فألقى نعم المدينة فوجد الناس يتجهزون ليعاد ابي سفيان فقال لهم بش الرأى رأيكم أتوكم في دياركم وقرارك فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا وقد جموا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد فكره رسول الله (ص) والذي نفسي بيده لا اخرجن ولو وحدي فأما الجبان فإنه رجع واما الشجاع فإنه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فأقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابا سفيان من مجئته إلى مكة فساهم اهل مكة جيش السويق ويقولون إنما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافق السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن الباقر (ع)

(١) الاجرد: الفرس القصير الشعر. و ابا بيل: الفرق. وردى الفرس: رجعت الارض بعوافرها. والتنابل جمع تنبال: القصير القامة. ومعاذيل جمع معزل: الضعيف الاحمق وكذا الخرق وتنطيط البحر: اضطرب وعلت امواجه. والوخش: ذوال الناس واسقاطهم. (٢) [اصحاب رسول الله الخروج فقال].

المعنى

(الذين استجابوا لله والرسول) اي اطاعوا الله في اوامره وأطاعوا رسوله (من بعد ما اصابهم القرح) اي نالهم الجراح يوم أحد (للذين أحسنوا منهم) بطاعة رسول الله وإجابته إلى الغزو (واتقوا) معاصي الله لهم (أجر عظيم) اي ثواب جزيل (الذين قال لهم الناس) في المعنى بالناس الأول ثلاثة اقوال **الاول** أحدهما **الثاني** أنهم الركب الذين دسهم ابو سفيان إلى المسلمين ليجنّبوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحاق وقد مضت قصتهم **الثاني** انه نعيم بن مسعود الاشجعي وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله **الثالث** أنهم المنافقون عن السدي (ان الناس قد جمعوا لكم) المعنى به ابو سفيان واصحابه عند اكثر المفسرين اي جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الآلات والرجال وإنما عبر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لامرئ **احدهما** انه قد جاءهم من جهة الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم وسمي باسمهم **والآخر** انه لتفضيم الشأن فإخشروهم اي خافوهم ثم بين تعالى ان ذلك القول زادهم إيمانا وثباتا على دينهم واقامة على نصرته نبههم بأن قال (فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اي كافينا الله وولينا وحفيظنا والمتولي لأنرنا ونعم الوكيل اي نعم الكافي والمعتمد والمجبا الذي يوكل اليه الأمور (فانقلبوا) اي فرجع النبي ومن معه من اصحابه (بنعمة من الله وفضل) اي بعافية من سوء وتجارة رابعة (لم يسهم سوء) اي قتل عن السدي ومجاهد وقيل النعمة هاهنا الثبوت على الايمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان أقل ما يفعله الله فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لأن النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقيح (واتبعوا رضوان الله) بالخروج إلى لقاء العدو (والله ذو فضل عظيم) على المؤمنين وقد تضمنت الآية التنبية على ان كل من دهمه امره فينبغي ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق (ع) انه قال عجب لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) فإني سمعت الله يقول بعقبها (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يسهم سوء) وروي عن ابن عباس انه قال آخر كلام ابراهيم (ع) حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية

قوله تعالى (١٧٥) **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** (آية)

الإعراب

مُ من ذلكم للخطاب لا للضمير فلا موضع لها من الاعراب وقوله يُخَوِّفُ يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال

المعنى

ثم ذكر ان ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال (إنما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه) والمعنى إنما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف اولياءه المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وابو علي الفارسي وغيرهما أن تقديره ويخوفكم اولياءه اي من اوليائه بدلالة قوله (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) اي إن كنتم

مصدقين بالله فقد أعلمتكم اني أنصركم عليهم ومثله قوله لينذر بأساً شديداً اي لينذركم بأساً شديداً فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المناقين الذين هم أولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس اليهم ويهيبهم ويعظم أمر العدو في قلوبهم فيقدموا عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لأنهم يتقون بالنصر الموعود ونظيره قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والأول أصح

قوله تعالى (١٧٦) وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ الْأَبْجَلِ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٧) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ نافع في جميع القرآن يُحْزِنُ بضم الياء وكسر الزاي لإاقوله لا يحزنهم الفزع الأكبر فإنه فتحها وضم الزاي وقرأ الباقون في جميع القرآن بفتح الياء وضم الزاي وقرأ ابو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح الياء في جميع القرآن لإاقوله لا يحزنهم فإنه ضم الياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال سيويه تقول فتن الرجل وقتته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنه وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته جعلته داخلا ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته هاهنا تغيير قولك حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت أحزنته وأفتنته قال وقال بعض العرب أفتنت الرجل وأحزنته إذا جعلته فاتنا وحزينا فغيروا فعل قال ابو علي فهذا الذي حكيت عن بعض العرب حجة نافع فأما قراءة لا يحزنهم الفزع الأكبر فيشبه أن يكون اتبع فيه أثرا واحداً الأخذ بالوجهين

﴿ الإعراب ﴾

قوله شيئاً نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الياء كأنه قال بشي مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئاً من نقص مال ولا غيره

﴿ المعنى ﴾

لما علم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان إياهم خصّ رسوله بضر من التعليم في هذه الآية فقال (ولا يحزنك) ايها الرسول (الذين يسارعون في الكفر) يعني المناقين عن مجاهد وابن اسحاق وقوماً من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبي علي الجبائي (انهم لن يضروا الله شيئاً) بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار وإنما قال ذلك على جهة التسلية لئيبه (ص) لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الإيمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعهم إلى الكفر وامتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فأمنه الله من ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصود عليهم (يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة) اي نصيباً في الجنة وإذا كانت الإرادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بأن لا يكون الشيء فلا بد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له في تكليفهم وان يعاقبهم في الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم (ولهم عذاب عظيم) هذا ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى نسب اليهم المسارعة إلى الكفر وإذا كان ذلك

قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبه اليهم ثم استأنف تعالى الاخبار بأن من اشترى الكفر بالايمن وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال (إن الذين اشتروا الكفر بالايمن) اي استبدلوا الكفر بالايمن وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وإنما شبه استبدالهم الكفر بالايمن بشراء السلعة بالثمن (لن يضروا الله شيئاً) إنما كثر هذا لأنه إنما ذكر في الآية الأولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة إلى الضلالة وذكر في هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالمعاصي دون المعصية والفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لا تكون إلا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة إذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها (ولهم عذاب أليم) اي مؤلم

قوله تعالى (١٧٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنَالِيهِمْ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنَالِيهِمْ لِيُزَادُوا فِي آثَامِهِمْ وَهُمْ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يدخلون ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرأ حمزة كلها بالياء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء إلا قوله فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء إلا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف كل ما في هذه السورة بالياء إلا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ، ولا يحسبن الذين يدخلون فإنها بالياء غير ان عاصماً فتح السين وكسرها الكسائي

الحجة والاعراب

من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بانه فاعل وإذا كان الذين فاعلاً ويقضي حسب مفعولين او ما يستد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيداً منطلق وحسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى إنما ننلي لهم خيراً لانفسهم قد سد مسد مفعولين للذين يقتضيهما يحسبن وما يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى الذي فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا ان الذي ننليه لهم خيراً لانفسهم ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ما ننلي بمثالة الاملاء فيكون مصدراً وإذا كان مصدراً لم يقتض راجعاً اليه وقال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح أن ويقبح الكسر مع الياء وهو جائز على قبحه لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لبعده الله منطلق يجوز على بعه حسبت ان عبد الله منطلق وقال ابو علي الوجه فيه ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء وتدخل كل واحد منها على الابتداء والحجر فكانه قال لا يحسبن الذين كفروا للآخرة خيراً لهم واما قراءة حمزة بالياء من تحسبن وفتح أن فقد خطأه البصريون في ذلك لأنه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى ولا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيراً لهم ومثله في الشعر

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكٌ وَأَجِدُ
وَلَكِنَّهُ بِنْيَانٌ قَوْمٍ تَهْدَمُ

قال ابو علي لا يجوز ذلك لأنك إذا ابدلت إن من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيراً من حيث كان المفعول الثاني ولم ينصب احد من القراء وإذا لم يصح البدل لم يجز فيه الإكسر ان على ان يكون ان وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن

اللغة

الإملاء اطالة المدة والملي الحين الطويل والملا الدهر والموان الليل والنهار لطول تعاقبها

النزول

زلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطاء

المعنى

ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال (ولا يحسبن) اي لا يظنن (الذين كفروا إننا نملي لهم خيراً لأنفسهم) اي ان اطالتنا لأعمارهم وامهالنا ايامهم خير لهم من القتل في سبيل الله بأحد لأن قتل الشهداء اذاهم إلى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتداء سبحانه فقال (إننا نملي لهم) اي اننا نطيل عمرهم ونترك المعالجة لعقوبتهم (ليزدادوا اثماً) اي لتكون عاقبة امرهم بازيادهم الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وهم إننا أخذوه ليكون لهم سرورا وقررة عين ولكن لما علم الله انه يصير في آخر أمره عدواً وحزناً قال كذلك ومثله في قول الشاعر

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدَوْرُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

وقول الآخر

أَمْ سَأَلَ سَمَّاكَ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

وقول الآخر

فَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِينَ

وقول الآخر (لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَجْتُوا لِلْحِرَابِ) ولا يجوز أن يكون اللام لام الارادة والقرض لوجهين (١) احدهما ان ارادة التبيح قبيحة وتلك عنه سبحانه منفية « والآخر » انها لو كانت لام الارادة لوجب أن يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وما أمرنا إلا ليعبدوا الله والقرآن يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الآية فيمن علم منه انه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخي معناه ولا يحسبن الذين كفروا ان املائنا لهم رضا بأفعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لأننا نملي لهم وهم يزدادون إثماً يستحقون به العذاب الأليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس اي ذرأنا كثيراً من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء أفعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلا شراً ووعظي إلا فساداً ونظيره قوله حتى أنسوكم ذكري ومعلوم ان الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بُعثوا إلا للتذكير والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه إنما أضيف اليهم لأن دعاءه إياهم لما كان لا ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم فأضيف الانساء اليهم وفي هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا وروي عن أبي الحسن الأخفش والاسكافي انها قالوا ان في الآية تقديماً وتأخيراً وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا أننا نملي لهم ليزدادوا إثماً انما نملي لهم خيراً لأنفسهم وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون انما الأخيرة مفتوحة الهمزة لأنها معمول ليحسبن على هذا القول وان يكون انما الأولى مكسورة الهمزة لأنها مبتدأ على هذا القول والتقديم والتأخير لا يغيران الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه القراءة لأن القراء قد أجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الأولى (ولهم عذاب مهين) يعنيهم في نار جهنم

قوله تعالى (١٧٩) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَاِنْ تَوَمَّنُوْا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ (آية)

= [القراءة] =

قرأ أهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليسيز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الأولى

- [الحجة] -

ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما ان مَيَّرَ فعل متعد إلى مفعول واحد ويقال مزته فلم يتميز وزلته فلم يميزل والتضعيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض لأن عاض متعد إلى مفعولين كما في قول الشاعر

عَاضَهَا اللَّهُ غُلَامًا بَعْدَ مَا شَابَتِ الْأَصْدَاغُ وَالضَّرْسُ نَقْدًا (١)

فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتمدى إلى ثلاثة مفاعيل ففوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ميزوماز

﴿ التزول ﴾

قيل ان المشركين قالوا لآبي طالب ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فإن وجدنا مخبره كما اخبر آمتنا به فذكر ذلك للنبي (ص) فأنزل الله هذه الآية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن ابي العالية والضحاك

- (المعنى) -

(ما كان الله ليدرز المؤمنين) اي ليدع ومناه لا يدع الله المؤمنين (على ما أنتم عليه) يا أهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن يجوز في حكم الله ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتعبدكم (حتى يميز الخبيث من الطيب) أي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحاق وابن جريج وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليدركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقولهم حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بهم واختلف في انه بأي شيء يميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بأن ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجيائي وقيل بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بأن ينصر الله المؤمنين ويكثرهم ويميز الدين وبذل الكافرين والمنافقين عن ابي مسلم وقيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه ويتميز ممن ينقلب على عقبيه (وما كان الله ليطلعمكم على الغيب) أي ما كان الله ل يظهر على غيبه أحدا منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اي يختار من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه على علم الغيب ويعرفه إياه (فآمنوا بالله ورسوله) كما أمركم (وان تومنوا) أي تصدقوا (وتتقوا) عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه (فلکم) في ذلكم (اجر عظيم) وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يصلح جماعة لرسائله فيختار منهم من يشاء اما لانه أصلح وبالتالي أقوم وعن المنفردات أبعد واما لأنهم قد تساوا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوة ليست مستحقة ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل

(١) الصدىغ : ما بين العين و الاذن و الشعر المتدلى على هذا الوضع . وقد الضرس : انكسروا انتكل

قوله تعالى (١٨٠) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (آية)

-(القراءة)-

ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الأول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شرا له اي كان الكذب شرا له وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خير لهم فدخلت هو فضلا لأن تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل مخاطب وهو النبي والذين يبخلون مفعول أول لتحسين وخيرا لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد مجل الذين يبخلون خيرا لهم وهو فصل وإنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى لأن هذه الأفعال انما تدخل على المبتدأ والخبر وإذا كان الخبر مفردا فيجب ان يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لأنه توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يبعثون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقرن بالتاء على الخطاب

﴿ المعنى ﴾

(ولا يحسبن) الباخلون (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) اي اعطاهم الله من الاموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل (هو خيرا لهم بل هو شر لهم) وعلى القراءة الأخرى لا تحسبن ايها السامع اولاً تظنن يا محمد فخطاب له والمراد غيره مجل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم أي ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقا في عنقه والآية نزلت في مانعي الزكاة وهو المروي عن ابي جعفر وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي انه قال ما من رجل لا يؤدي الزكاة إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وقال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل اعطاه الله إياه فيبخل به عنه إلا اخرج الله له من جهنم شجاعاً يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الآية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيامة طوقا من نار عن النسخي وقيل معناه يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من أموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لأغناقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عن ابن مسلم قال والعرب تبع بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله فتحرير رقبة ويروي عن ابن عباس ايضا ان المراد بالآية الذين يبخلون بيان صفة محمد (ص) والفضل هو التوراة التي فيها صفته والارل اليق بسياق الآية (وقه ميراث السماوات والارض) معناه يموت من في السماوات والارض ويبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك إلا ملكه وقد تضمنت الآية الحث على الاتفاق والمنع عن الامساك من قبل ان الأموال إذا كانت بمعرض الزوال اما بالموت أو بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ونفيره نفعه (والله بما تعملون خبير) هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لأجره والسلامة من الأوثم والوزر.

« النظم »

الوجه في اتصال الآية بما قبلها هو انهم كما يجلوا بالجهاد يجلوا بالانفاق والزكاة عن علي بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كسوا أمر محمد (ص) ويجلوا ببيانهم

قوله تعالى (١٨١) لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨٢) ذَلِكَ يَمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (آيتان)

-(القراة)-

قرأ حزمة سيكتب بضم اليا. وقتلهم بالرفع ويقول بالياء. وقرأ الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون

-(الحجة)-

الوجه في قراة من قرأ سنكتب ان النون هاهنا بعد الاسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ولو قال سيكتب بالياء لكان في الافراد كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي وقوله ونقول معطوف على سنكتب والوجه في قراة حزمة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فالونه عطفه على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بأنه مفعول به

« اللغة »

يقال سمع يسبح سماعا إذا أدرك بحاسة الاذن والله يسمع من غير ادراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لأجلها السموعات إذا وجدت والسماع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله تعالى سميع فيما لم يزل وسماع عند وجود السموع وكونه سميحا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه حيا وكونه مدركا بصفة زائدة على كونه حيا وكونه سامعا مبصرا عالما بمعناه وقال ابو القاسم البلخي فائدة كونه سميحا بصيرا انه يعلم السموعات والبصرات وهو لا يثبت للتقديم تعالى صفة الادراك وقال الخليل كل ما تزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا انه توسع وجاء في الخبر حتى تذوق من عسيلته ويذوق من عسيلتك كنى بذلك عن الجباع وهذا من الكنایات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشيء اذا بردته بالمبرد

﴿ الإعراب ﴾

موضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لأنها في موضع خبر المبتدأ وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت ايديكم «وأن الله إنما فتح ان لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء وتقديره وبان الله فوضعه فهو جر»

﴿ النزول ﴾

لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وقائله حي ابن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي (ص) مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم الى الإسلام والصلاة والزكاة فقال فنحاص ان كان

﴿ الحجة ﴾

من حذف فلان واو المطف أغنت عن تكرار العامل ومن أثبتها فإنما كرر العامل تأكيداً وكلاهما حين

﴿ اللغة ﴾

القربان مصدر على وزن عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسماً كالبرهان والسلطان وهو كل يربى يقرب به اليد إلى الله والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور قال امرؤ القيس
 لَمِنْ طَلَلٍ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسَبِ يَمَانٍ (١)
 تقول زبرت الكتاب إذا كتبه وزبرت الرجل إذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على كنف الأسد
 وزبرت البئر إذا أحكمت طيتها بالحجارة فهي مزبورة والزبر العقل وإنما جمع بين الزبر والكتاب ومعناها
 واحد لأن أصلها يختلف فهو كتاب بضم حروف بعضها إلى بعض وزبور لما فيه من الزجر على خلاف
 الحق وإنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر

﴿ الإعراب ﴾

الذين قالوا محله جرّاً ردّاً على الذين قالوا ان الله قدير على تقدير وسع قول الذين

﴿ النزول ﴾

قبل نزلت الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا
 وفنحاص بن عازورا قالوا يا محمد (ص) ان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان
 تأكله النار فإن زعمت ان الله بعثك الينا فنجننا به نصدقك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبى وقيل ان الله
 أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم
 عيسى ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بها بغير قربان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر قولهم الآخر فقال (الذين قالوا) لنبيهم (ان الله عهد الينا) أي أمرنا وقيل اوصانا في كتبه
 وعلى السن رسله (أن لا نؤمن لرسول) أي لا نصدق رسولا فيما يقول من انه جاء به من عند الله تعالى
 (حتى يأتينا بقربان) أي حتى يجيئنا بما يقرب به إلى الله من صدقة أو برّ تقبل منه وقوله (تأكله النار) بيان
 لعلامة التقبل فإنه كان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فأكله وكان يكون ذلك دلالة على
 صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس (قل) يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم رسل من قبلي) يعني
 جاء اسلافكم (بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون
 وتطلبون منهم (وبالذي قلمت) مناهة وبالقربان الذي قلمت (فلم قلمتموه) أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع
 من قتلهم اليهود من الأنبياء يعني لم قلمتموه وانتم مقرّون بأن الذي جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم
 عليكم (ان كنتم صادقين) فيما عهد إليكم مما ادعيتوه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى
 ان النبي (ص) لو أتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين اتوا به
 وبغيره من المعجزات وإنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوهم من القربان الذي تأكله النار لعله تعالى بأن في

(١) الطلل: الموضع المرتفع. وشجا الرجل: احزنه. اطربه (ضد). والسبب اليماني: سف النخل

الإتيان به مفسدة لم والمعجزات تابعة للمصالح ولأن ذلك اقتراح في الأدلة على الله والذي يلزم في ذلك أن يزيح عنهم بنصب الأدلة فقط (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) هذاتسوية للنبي (ص) في تكذيب الكفار اياه وذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل (جاؤوا بالبينات) أي بالمعجزات الباهرات (والزبر) أي الكتب التي فيها الحكم والزواجر (والكتاب المنير) قيل المراد به التوراة والانجيل لأن اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرقت ما جاء به موسى من صفة النبي (ص) وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى أيضا جحدت ما في الانجيل من نعمته وغيرت ما أمرهم به فيه والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي إلى الحق

قوله تعالى (١٨٥) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ (آية)

= [اللفظة] =

يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما ينتبط به فقد فاز وتأويل فاز تباعد عن المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التغال وانما المفازة المنجاة كما سما اللذيع سليبا والأعشى بصيرا

= [المعنى] =

ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين رسله على اعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال (كل نفس ذائقة الموت) أي ينزل بها الموت لا محالة فكانها ذاقته وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكراته كقوله تعالى حتى إذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله (ع) لقتلوا أمواتكم شهادة أن لا إله إلا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان القتل لا ينفك عن الموت الذي هو فضل الله وقيل ان المراد بالموت هنا انتفاء الحياة والقنيل قد انتفت الحياة منه والمقتيل فهو داخل في الآية (وإنما توفون أجوركم) معناه وانما تعطون جزاء أعمالكم وافيال (يوم القيامة) ان خيرافخيرا وثوابا وان شرافشراوعقابا فإن الدنيا ليست بدار جزاء وإنما هي دارعمل والآخرة دار جزاء وليست بدارعمل (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة) أي يوعد عن نار جهنم ونجى عنها وأدخل الجنة (فقد فاز) نال المنية وظفر بالبقية ونجا من الهلكة (وما الحياة الدنيا إلا متاع الفرور) معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها إلا متعة متمكوها الفرور واللداع المضحىل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجائع ولا تركنوا اليها ولا تغترّوا بها فإنها هي غروروصاحبها مفرور وقيل متاع الفرور القوارير وهي في الأصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية دلالة على ان أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره ولذلك قال (ع) موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان يتصل حياتهم إلى وقت المجازاة وإذاقيل أليس من قولكم لا بد من القطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحياة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت قول ابي علي وابي هاشم فعند ابي علي الموت معنى يضاد الحياة وعند ابي هاشم عدم الحياة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول

قوله تعالى (١٨٦) **لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** (آية)

﴿ الإعراب ﴾

اللام في قوله لتبلون لام التأكيد وفيه معنى القسم والنون تأكيد للقسم وإنما ضمت الواو في لتبلون ولم تكرر لالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو حرف الاعراب لفتحت نحو هل تفرون زهداً

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان هجو النبي (ص) والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبب بنساء المسلمين فقال (ص) من لي بالبن الأشرف فقال محمد بن سلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة وأتوا برأسه إلى النبي (ص) آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله ابا بكر اليه ليستمده وكتب اليه كتاباً فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى ان غده فم أبو بكر بضربه ثم ذكر قول النبي (ص) لا تفتانن بشي حتى ترجع فكف عنه عن عكرمة ومقاتل

[- المعنى -]

ثم بين تعالى ان الدنيا دار محنة وابتلاء وانها انما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال (لتبلون) أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد (في أموالكم) بذهايبها ونقصانها (و) (انفسكم) ايها المؤمنون بالقتل والمصائب مثل ما نالكم يوم أحد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرائض والقرب التي امرنا بها وانما سماه بلوغاً مجازاً فإن حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وإنما يفعل ذلك لتمييز المحق من المبطل عن ابي علي الجبائي (وتسمع من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين اشركوا) يعني كفار مكة وغيرهم (اذى كثيراً) يعني ما سمعوه من تكذيب النبي (ص) ومن الكلام الذي يثمه « وان تصبروا وتتقوا » يعني ان صبرتم على ذلكم وتمسكنم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعاً يبلغ الاثم « فإن ذلك من عزم الأمور » أي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من محكم الأمور

قوله تعالى (١٨٧) **وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَتًّا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم لَيَّبِنَهُ بالياء ولا يكتُمونه بالياء ايضاً والباقون بالياء فيها

(١) شبه الشاعر بفلانة: قال فيها النسب ووصف بها منها

(٢) افتات برأيه: استبد به.

- (الحجة) -

حجة من قرأ بالثناء قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تبدون إلا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرأ بالياء ان الكلام حمل على النسبة لأنهم عُيِبَ

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عنهم تقض الميثاق واليهود بعد حكايتهم عنهم التكذيب بالرسول قال (وإذ أخذ الله ميثاق الذين آتوا الكتاب) قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اراد اليهود والنصارى وقيل اراد به كل من آتوا علماء بشي من الكتب (لتبينه للناس) أي لظهوره للناس والهاء عائدة إلى محمد (ص) في قول سعيد ابن جبير والسدي لان في كتابهم ان محمدا رسول الله (ص) وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عائدة إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبي (ص) لأنه في الكتاب عن الحسن وقادة (ولا تكتُمونه) أي ولا تخفونه عند الحاجة (فبذوه وراء ظهورهم) ومعناه صَيَمُوهُ وتركوه وراء ظهورهم فلم يعملوا به وإن كانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشئ ولا يعاب به زماه بظهره قال الفرزدق

فَمِمَّ بَنٍ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظَهْرٍ وَلَا يَبَأُ عَلَيَّ جَوَابَهَا

(واشتروا به ثمنا قليلا) أي استبدلوا بعهده الله عليه ومخالفته وميثاقه عوضا يسيرا من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لأنفسهم من المأكلة والرثا والهدايا التي اخذوها من شحوتهم (فبئس ما يشترتون) أي بئس الشئ ذلك اذ يستحقون به العذاب الأليم وان كان نفعاً عاجلاً ودلت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتابه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الأمور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمار قال اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فآلقته على يابه فقلت ان رأيت ان تحدثني فقال او ما علمت اني تركت الحديث فقلت إما ان تحدثني وإما ان احدثك فقال حديثي قلت حديثي الحكم بن عيينة عن نجرم الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب (ع) يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا

قوله تعالى (١٨٨) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِنِقَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آية)

- (القرأة) -

قد ذكرنا اختلاف القرأة في تحسبن وتحسبنهم فيما قبل

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بأنه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شي قال ابو الحسن لا يعجبني قرأة من قرأ الأولى بالياء لأنه لم يوقعه على شي ويرى انه لم يستحسن ان لا يمدي حسب لأنه قد جرى مجرى اليمين في نحو علم الله لافلن ولقد علمت لتأتين

(١) [أي طرحوه خلف ظهورهم] (٢) [وسفلتهم] والتحوت الاذائل السفلة

منبتي وظنوا ما لهم من محبص فكما ان القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء نحوه
 وَمَا خَلَّتْ أَبْيِي بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ عَرِاضُ الْمَذَاكِي الْمُسْتَقَاتِ الْقَلَابِصَا (١)
 وانما هو وما ابقي بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الأول وعدي إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعدية الأول اليها كما استغنى في قوله

بِأَيِّ كِتَابٍ أَوْ بِآيَةٍ سُنَّةٍ تَرَىٰ جِبَّهُمْ عَارًا عَلِيًّا وَتَحْسَبُ

بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر اليها والفاء زائدة فالتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذي هو يحسبن تعدى إلى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحسبون وأثبتها كما ثبتت في تَمُودٌ وَتَحَاجُوتِي ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الأول من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الحقيقة ألا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهب لم يلزمك الحذف فاجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الأول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتني أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولها على المبتدأ والخبر كدخول هذه الأفعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول اني ذاهب ومما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليهما لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني فاعلا فأما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو إلا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما وأما قراءة حمزة بالتاء فهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لأن ما يجيء من بعد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله (فإذا هلكت فمعد ذلك فاجزعي)

النزول

نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم اياهم إلى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله (ص) فإذا رجعوا اعتذروا وأجروا أن يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل أنت يهود خيبر إلى النبي (ص) فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتادة

المعنى

ثم بين سبحانه خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) أي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق (ويحيون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أي بالايمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتان

(١) هارضة هراضاً في السير : صار حيا له . المذاكي من الضمير : التي قد أتى عليها بعد قروها سائة او ستان ، المُنسفة بفتح النون : الناقة التي شد عليها السناف وهو جبل يشد على البعير حتى يثبت التصديروا نأما يفعل ذلك اذا خصم بطن

امر النبي (ص) واحبوا ان يحمدوا بأنهم أئمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الخجة
فلامه مني لاعادتمو قال ابو القاسم البلخي ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحبائه وأهل الصلاة والصوم وليسوا اولياء
الله ولا أحبائه ولا أهل الصلاة والصوم ولكنهم أهل الشرك والنفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر «ع»
وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والاقوى ان يكون المعنى بالآية من
اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يسيئوا امر محمد ولا يكتموه وعليه اكثر أهل التأويل وقوله لا تخلف الميعاد
مجازة من العذاب اي لظنهم بمنجاة وبعد من النار (ولم عذاب اليم) أي مؤلم موجع

قوله تعالى (١٨٩) **وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (آية)

—* المعنى *

لما ذكر سبحانه في الآية المتقدمة من فرح بمصيبة زكها وأحب أن يحمد بما لم يفعل وأخبر انه لا نجاة
لهم من عذابه قال (ولله ملك السموات والأرض) أي هو مالك ما في السموات والأرض بمعنى انه
يملك تدبيرها وتصرفها على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه
في الخلاص منه (والله على كل شيء قدير) فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك من أراد اهلاكه وعلى الانتشاء
والافناء كما يشاء

قوله تعالى (١٩٠) **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**
لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٩١) **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ**
فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
(١٩٢) **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** (١٩٣) **رَبَّنَا**
أَنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ
عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٤) **رَبَّنَا وَأِنَّا لَمَّا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا**
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (خمس آيات)

—* فضلها *

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب (ع) ان رسول الله (ص) كان
إذا قام من الليل استاك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والأرض الى قوله فقنا عذاب
النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي (ص) انه لما نزلت هذه الآيات قال ويل لمن لا كما بين فكيفه ولم يتأمل
ما فيها وورد عن الأئمة من آل محمد (ص) الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي
الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن
معوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (ع) وذكر ان النبي قال كان يوثق بطهور فيخبر عند رأسه ويوضع

سواك تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره الى السماء وتلا الآيات من آل عمران إن في خلق السموات والارض الآيات ثم يستن^(١) ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه^(٢) يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران وقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران وقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي ركعتين ثم يخرج الى الصلاة

﴿ اللغة ﴾

اللّب العقل سمي به لأنه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه سبحانه معناه تزئينا لك من أن تكون خلقتها باطلا وبراهة مما لا يليق بصفانك قال الشاعر

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْحَمْرُ

والأبرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته وإياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبرصلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وأبر الرجل على اصحابه أي زاد عليهم

﴿ الإعراب ﴾

الذين يذكرون في موضع جر صفة لأولي الأبواب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم ايضا. في موضع نصب على الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا اي ومضطجعين لأن الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط اي مسنقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل والباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وخبر أن في قوله إنك من تدخل النار فقد أخزيتك جملة مركبة من الشرط والجزاء والأصل فيها جملتان كل واحدة منها من فعل وفاعل لأن موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله أن آمنوا يحتمل أن يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو بنادي بأن آمنوا

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه بأن له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال (إن في خلق السموات والارض) اي في إيجادها بما فيها من العجائب والبدائع (واختلاف الليل والنهار) اي تماقبا وعجي كل واحد منهما خلف الآخر (لايات) اي دلالات على توحيد الله وصفاته العلى (الأبواب) اي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والارض ان وجودها متضمن باعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودها وحدوثها على ان لها محدثا قادرا ودل ابداعها بما فيها من البدائع والأمر الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدئها عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم

(١) اي يستنك . (٢) [وسجوده على قدر ركوعه ثم]

ج ٢

كما ان الابدان لا يصبح اولا من قادر ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على ان لها صانعا قادرا حكما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه اولي الاباب فقال (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اية هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلق السموات والارض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين اي في سائر الاحوال لان احوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد امروا بذكر الله تعالى في جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والسقيم يصلي جالسا وعلى جنبه اي مضطجعا فسوى الصلاة ذكرا رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لانه غير ممنوع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلاة وهو قول ابن جريج وقتادة (ويتفكرون في خلق السموات والارض) اي ومن صفة اولي الاباب ان يتفكروا في خلق السموات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) اي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل والباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون (سبحانك) اي تنزهها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقها عبثا ولا لبا بل تعريضا للشوا وبالامن من العقاب (فقتلنا عذاب النار) بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على ان الكفر والقبائح والضلال ليست خلقا لله لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكاية عن اولي الاباب الذين رضي اقوالهم بانه لا باطل فيما خلقه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها غير مضافة اليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولي الاباب الذين وصفهم بانهم ايضا يقولون (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) قبل فيه وجوه * احدها * ان معناه فضحته واهنته فيكون منقولاً من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون في ضنفي * وثانيها * قول المفضل ان معناه اهلكته وأنشد

أَخْزَى الْإِلَهَ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهُهُ وَاللَّابِيسِينَ مَلَأَسَ الرَّهْبَانَ

* وثالثها * ان معناه اهلكته عملا ووقفته موقفا يسئحيا منه فيكون منقولاً من الخزية التي معناها الاستحياء وقال ذو الرمة

خِزَايَةٌ أَدْرَكَتُهُ بَعْدَ جَوْلَتِهِ مِنْ جَانِبِ الدَّفِّ مَخْلُوطًا بِهِ الْغَضَبُ

واختلف اهل التأويل في المعنى بهذه الآية فروي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج ان الاخزاء يكون بالتأيد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله ان الخزي يكون بالدخول فيها وروى عنه عمرو بن دينار وعطاء انه قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار وان دون ذا خزيًا وهذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحه ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز المعفو عن المذنبين لأن على قول من قال ان الخزي هو الخلود في النار

فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب وعلى قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه وإن كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار ويجوز حمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين وعلى قول من جمعه من الخزاية التي هي الاستحيا فيكون أخزاه المؤمنين محمولة على الاستحيا وأخزاه الكافرين على الإهانة والخلود في النار وقوله (وما للظالمين من أنصار) أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صح من شفاعته النبي (ص) والآليات لأهل الكباير لأن الشفاعة على سبيل المسألة والخضوع والتضرع إلى الله وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي (ص) أنه قال ليصيب أقواماً شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميين رواه البخاري بإسناده في الصحيح عن أنس بن مالك وفيما رواه أبو سعيد الخدري عنه (ع) قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حملاً قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة في جهنم السيل ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الأخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر (ربنا إنا سمعنا منادياً) قيل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريج واختاره الجبائي وقيل أنه القرآن عن محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره الطبري قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (ص) ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال مخبراً عن الجن إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشاد ولن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (ص) ودعوته جاز أن يقول سمعنا منادياً وإن كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا منادياً نداء مناد لأن المنادي لا يسمع وقوله (ينادي للإيمان) معناه إلى الإيمان كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا ومعناه إلى هذا وكقول الرازي

أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتْ

ومثله قوله بأن ربك أوحى لها فالمعنى ربنا اننا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله (أن آمنوا بربكم) معناه بأن آمنوا بربكم فخدف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم (فآمننا) أي فصدقنا الداعي فيما دعا إليه من التوحيد والدين واجبناه (فاغفر لنا ذنوبنا) معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك (وكفرنا سيئاتنا) معناه أمحها بفضلك ورحمتك إيانا (وتوفنا مع الأبرار) معناه واقبضنا إليك في جملة الأبرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله وكفرنا سيئاتنا وقد اغنى عنه قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين أحدهما أن معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداءً بكفرنا إن تبنا والثاني أن معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفرنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون ابتداءً ومن سبب التكفير لا يكون إلا عند فصل من العبد والأول اليق بذهبتنا (ربنا آتانا ما وعدتنا على رسلك) هذه حكاية عن تقديم وصفهم بأنهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب (ولا تخزنا) أي لا تفضحنا أو لا تهلكنا (يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) وهو كلام مستأنف بدلالة أنه كسر إن والمعنى إنك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وعدك فإن قيل ما وجه المسألة في إنجاز الوعد والمعلوم أنه يفعل لا محالة فالجواب عنه من وجوه أحدها أن ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال وقيل رب احكم بالحق واختاره

ج ١

علي بن عيسى والجبائي رحمهما الله والثاني رحمهما الله ان الكلام خرج مغرج المسألة والمراد الخبر أي توفنا مع الأبرار لتوتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لانهم علموا ان ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه رحمهما الله والثالث رحمهما الله معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن أتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لأنهم قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في انفسهم وشهدها ثم سأله أن يوتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد ذكروا انفسهم وشهدوا بانهم استوجبوا كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين رحمهما الله والرابع رحمهما الله انهم انما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله في أن يوتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز ان يكونوا مع ما وصفهم الله به غير آتقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا اليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا اليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبري وقال الآية مختصة بمن هاجر من اصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على اناتك وحلمك وقوي ذلك بما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات وإلى هذا أومى ابو القاسم البلخي ايضا

قوله تعالى (١٩٥) فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفر عنهم سيئاتهم ولا ذلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وعامر

✽ الحجة ✽

أما تقديم قاتلوا على قتلوا فلأن القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرر الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قاتلوا فلأن قتلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير وأما تقديم قاتلوا على قاتلوا فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون اولاً في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ ويمكن ان الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يهتوا ولم يضرغوا للقتل الذي وقع بهم كقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله

✽ اللفظة ✽

الإضاءة الإهلاك صاع الشيء يضيغ ضياغاً اذا هلك واضاع وضيغ بمعنى ومنه الضيعة للقرية واما قولهم كل رجل وضيغته فان الضيعة هنا بمعنى الحرفة هاجر فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار اي تركها الأولى والثانية وتهجر الرجل اي تشبه بالمهاجرين

✽ الإعراب ✽

من في قوله من ذكر او انثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم أي لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث فهو بيان لجنس من أضيف اليه العمل ويقال انها مؤكدة بمعنى النهي في لا أضيع اي لا أضيع عمل

ذكر وأنشئ منكم وبعضكم مبتدأ وقوله من بعض في موضع رفع بأنه خبره وثوابا مصدر مؤكد لأن معنى ولا دخلنهم جنات ولا يبينهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لأن معنى قوله حرمت عليكم أمهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد

﴿ النزول ﴾

روي أن أم سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء. فأُتزل الله هذه الآية قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي (ص) والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم وحذا حذوهم من المسلمين

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الإجابة فقال (فاستجاب لهم ربهم) أي أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم (اني لا اضيع) أي بأني لا أبطل (عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) رجل أو امرأة (بعض من بعض) في النصرة والدين والموالاتة فحكمت في جميعكم حكما واحدا فلا أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الايمان وهذا يتضمن الحق على مواظبة الأدعية التي في الآيات المتقدمة والإشارة إلى انها ما تصد الله تعالى بها وندب اليها وذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها (فالذين هاجروا) إلى المدينة وفارقوا قومهم من أهل الكفر (واخرجوا من ديارهم) أخرجهم المشركون من مكة (وأوذوا في سبيلي) أي في طاعتي وعبادتي وديني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين (وقاتلوا) في سبيل الله (وقتلوا) فيها (لا كفرن عنهم سيئاتهم) يعني لا محوئها عنهم ولا تفضلن عليهم بغوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضل من الله (ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت ابنتها وأشجارها (ثوابا) أي جزاء لهم (من عند الله) على أعمالهم (والله عنده حسن الثواب) أي عنده من حسن الجزاء على الأعمال مالا يبلغه وصف واصف ولا يذكره نعت ناعت مما لا رأث عين ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير

قوله تعالى (١٩٦) لَا يَغْرَنَّكَ تَلْبُؤُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٧) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّمَادُ (١٩٨) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطنكم ولا يستخفنك واما نذهبن بك أو زينك خيفة في الجميع والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف

= [اللغة] =

الترود ايها حال السرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم وليس كل ايها غرورا لأنه قديتوهه تغرورا فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما ان الغرر قبيح كله لأنه ترك الجزم فيا يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أي عظيم والمتاع النفع الذي يتعجل

به اللة اما بوجود اللة او بما يكون به اللة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهادالذي يكن فيه الإنسان ويفترشه وواحد الابرار يقول برت والدي فأنا بر واصله بررولكن الرأ ادغمت للتضيف

❖ الإعراب ❖

بني المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخسة شر ونحوه ومتاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلالة ما تقدم عليه وبش المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدمه عليه تقديره بش المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد أيضا مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لأن خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا وهو بمعنى أنزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة او صدقة عن الفراء وخالدين فيها منصوب على الحال أي مقدرًا لهم الخلود فيها = [النزول] =

نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزلت الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال فأنزل الله تعالى لا يفرنك الآية

❖ المعنى ❖

(لا يفرنك) يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يفرنك ايها الإنسان او ايها السامع (تقلب الذين كفروا) اي تصرفهم (في البلاد) سالمين غانمين غير مؤخذين بأجرامهم أعلم الله تعالى ان ذلك مما لا ينبغي أن ينبطوا به لأن مأواهم ومصيرهم إلى النار يكفرهم ولا خير يجير بعده النار وقوله (متاع قليل) معناه تصرفهم في البلاد والنعم متاع قليل اي يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول وسأهم متاعا لأنهم متعوا به في الدنيا (ثم مأواهم) أي مصيرهم ومرجعهم (جهنم) وبش المهاد) اي ساء المستقر هي ثم أعلم تعالى ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) لكن الاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير إنسا هي للؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلوا من عند الله) بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للأبرار والنزول ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (وما عند الله) من الثواب والكرامة (خير للأبرار) مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول وما عند الله تعالى دائم لا يزول ويورى عن عبد الله ابن مسعود انه قال ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة فأنا الأبرار فقد قال الله وما عند الله خير للأبرار واما الفجار فقال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا اننا نملي لهم خيرا لأنفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك إذا كانت تدوم على فجورها

قوله تعالى (١٩٩) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ كُنُفًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آية)

❖ اللة ❖

أصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهي السهولة في الرمل كالربرة والخاشع من الأرض الذي لا يهتدي له

لأن الرمل يعني آثاره والخاشع الخاضع يبصره والخشوع هو التذلل خلاف التصعب

-(الإعراب)-

خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عائد إلى مَنْ وقيل هو حال من الضمير في انزل اليهم
المجرور بأولى والأول احسن

-(التزول)-

اختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعام جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله أُخْرِجُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخٍ لَكُمْ مَاتَ بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على بلج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من أرض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبى (ص) عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن اسحاق وقيل نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ما يتناوله عن مجاهد

[- المعنى]-

لما ذمَّ تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالإيمان وإظهار الحق والصدق فقال (وإن من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى (لمن يؤمن بالله) أي يصدق بالله ويقرُّ بوحديته (وما أنزل اليكم) أيها المؤمنون وهو القرآن (وما أنزل اليهم) وهو التوراة والانجيل (خاشعين لله) أي خاضعين له مستكينين له بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله (لا يشعرون بآيات الله ثمنا قليلا) أي لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والمأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى في قوله أو لتلك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولكن ينقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به ويتهون عما نهاهم عنه ثم قال (أو لتلك) يعني هؤلاء الذين وصفناهم (لهم اجرهم عند ربهم) معناه لهم ثواب أعمالهم وأجر طاعتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم الله يوم القيامة (إن الله شريع الحساب) وصف الحساب بالسرعة لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد أن عملوها فلا حاجة به إلى إحصاء عدد فيقع في الإحصاء إبطاء. وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معا فإذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم في حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبي علي الجبائي وإنما خصَّ الله تعالى هذه الطائفة بالوعد لبيان ان جزاء أعمالهم موفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم

قوله تعالى (٢٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

❁ اللغة ❁

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالهدى ثم استعمل في كل مقيم

في ثغر يدفع عنن وراه من ارادهم بسوء والرباط ايضا اسم لما يشد به

✽ المعنى ✽

لما حكى الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين فيما تقدمت حيث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي صدقوا الله ورسوله (اصبروا وصابروا ورابطوا) اختلف في معناه على وجوه **➤** احدها **➤** ان المعنى اصبروا على دينكم أي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو وصابروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وإنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعل إذا يأتي لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين أيضا يعني أعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة **➤** وثانيها **➤** ان المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدوي إياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي **➤** وثالثها **➤** أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان معنى رابطوا أي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لأن المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلوات واكمل التحيات وعن جابر بن عبد الله وابي سلمة ابن عبد الرحمن وروي عن النبي (ص) انه سئل عن أفضل الأعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الأول وقوله (واتقوا الله لعلمكم تفلحون) معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يأمركم به لكي تفلحوا بنعيم الأبد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البنية والوصول إلى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناولها المكلف لأن قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كجهادة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه للدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والانتباه بجميع الأوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح

هذا آخر المجلدة الثانية من كتاب مجمع البيان لطوم القرآن

من المجلدات المشر من الأصل

وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه العبدان المتمسكان بحبل الله المتين السيد هاشم الرسولي

المحللاني والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي وفقهما الله

تعالى لمرضاته وعفى عن جرائم

اعمالهما بعفوه

وغفرانه

فهرس المجلد الاول من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الأول والثاني حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورتي البقرة وآل عمران

صفحة

صفحة	صفحة	ب كلمتنا
١٠٤	٦٣	ج ترجمة المؤلف
١٠٦	٦٤	١ كلمة في التفسير
١٠٨	٦٥	٩ مقدمة الكتاب
١١٠	٦٩	١٧ تفسير فاتحة الكتاب
١١١	٧٠	
١١١	٧١	﴿سورة البقرة﴾
١١٤	٧٢	٣٢ تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ألم
١١٥	٧٥	٣٤ ذلك الكتاب لا ريب فيه
١١٦	٧٥	٣٧ الذين يؤمنون بالغيب
١١٧	٧٧	٣٩ والذين يؤمنون بما أنزل إليك
١١٩	٧٨	٤٠ أو تلك على هدى من ربهم
الذي قيل لهم	٨٠	٤١ إن الذين كفروا
١٢٠	٨٤	٤٣ ختم الله على قلوبهم
١٢١	٨٤	٤٥ ومن الناس من يقول آمنا
على طعام واحد	٨٦	٤٦ يخادعون الله والذين آمنوا
إن الذين آمنوا	٨٨	٤٧ في قلوبهم مرض
١٢٧	٩٠	٤٨ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
١٢٨	٩٠	٥٠ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
١٢٩	٩١	٥٠ وإذا لقوا الذين آمنوا
منكم في السبت	٩٢	٥١ الله يستهزئ بهم
١٣٠	٩٤	٥٢ أو تلك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
١٣٠	٩٥	٥٤ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً
فذبوها وما كادوا يفعلون	٩٥	٥٥ صم بكم عمي فهم لا يرجعون
١٣٦	٩٦	٥٦ أو كصيب من السماء
١٣٨	٩٩	٥٨ يسكاد البرق يخطف أبصارهم
١٤١	١٠٠	٥٩ يأبأ الناس عبداً ربكم
١٤٢	١٠٢	٦٠ الذي جعل لكم الأرض فراشا
أولا يعلمون إن الله يعلم	١٠٢	٦١ وإن كنتم في ريب مما نزلنا
ما يسرون وما يعنون	عن نفس شيئا	على عبدنا

صفحة	صفحة	صفحة
٢١٢	١٧٩	١٤٣
اذ قال له ربه اسلم	ما ننسخ من آية او ننسها	تفسير ومنهم اميون لا يعلمون
٢١٣	١٨٢	الكتاب
ووصى بها ابراهيم بنيه	ألم تعلم ان الله له ملك	١٤٥
٢١٤	السموات والارض	فويل للذين يكتبون الكتاب
ام كنتم شهداء اذ حضر	١٨٣	١٤٧
يقرب الموت	ام تريدون ان تسألوا رسولكم	وقالوا لن نتمنا النار إلا
٢١٤	١٨٤	اياما معدودة
تلك امة قد خلت	وذكر كثير من اهل الكتاب	١٤٧
٢١٥	١٨٥	بلى من كسب سيئة وأحاطت
وقالوا كونوا هودا او نصارى	واقبوا الصلاة وآتوا الزكاة	به خطيته
٢١٧	١٨٥	١٤٨
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا	وقالوا لن يدخل الجنة	واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل
٢١٨	١٨٦	١٥١
فان آمنوا بمثل ما آمتم به	بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن	واذا اخذنا ميثاقكم
٢١٩	١٨٧	١٥٢
صبغة الله ومن احسن من الله صبغة	وقالت اليهود ليست النصارى	ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم
٢١٩	على شي	١٥٤
قل اتحاجوننا في الله	١٨٩	اولئك الذين اشتروا الحياة
٢٢٠	ومن اظلم ممن منع مساجد	الدنيا بالآخرة
ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل	الله ان يذكر فيها اسمه	١٥٤
٢٢٢	١٩٠	ولقد آتينا موسى الكتاب
تلك امة قد خلت	وفه المشرق والمغرب	١٥٦
٢٢٢	١٩٢	وقالوا قلوبنا غلف
سيقول السفهاء من الناس	وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه	١٥٧
٢٢٣	١٩٢	ولما جاءهم كتاب من عند الله
وكذلك جعلناكم امة وسطا	بديع السموات والارض	مصدق لما معهم
٢٢٦	١٩٥	١٥٩
قد زى قلب وجهك في السماء	وقال الذين لا يعلمون لولا	بئسما اشتروا به انفسهم
٢٢٨	١٩٦	١٦١
ولئن اتيت الذين اتوا الكتاب	يكلمننا الله	واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
٢٢٩	١٩٧	١٦٢
الذين آتيناهم الكتاب	إنا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا	ولقد جاءكم موسى بالبينات
٢٢٩	١٩٨	١٦٢
الحق من ربك	الذين آتيناهم الكتاب	واذا اخذنا ميثاقكم
٢٣٠	١٩٨	١٦٣
ولكل وجهة هو موليا	يا بني اسرائيل اذكروا	قل إن كانت لكم الدار الآخرة
٢٣١	١٩٨	١٦٤
ومن حيث خرجت فول	نعمتي التي انعمت عليكم	ولن يتمنوه ابدًا بما قدمت ايديهم
وجهك شطر المسجد الحرام	واتقوا يوما لا تجزي نفس عن	١٦٤
٢٣١	نفس شيئا	١٦٦
ومن حيث خرجت فول وجهك	١٩٩	قل من كان عدوا لجبريل
شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم	واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات	الى قوله فان الله عدو للكافرين
٢٣٣	فاتمهم	١٦٨
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم	٢٠٢	١٦٨
٢٣٤	واذ جعلنا البيت مثابة للناس	او كلما عاهدوا عهدا
فاذكروني اذ كركم	٢٠٥	١٦٩
٢٣٤	واذ قال ابراهيم رب اجعل	ولما جاءهم رسول من عند الله
يا ايها الذين آمنوا	هذا بلدا آمنا	١٧٠
٢٣٥	٢٠٦	على ملك سليمان
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله	واذ يرفع ابراهيم القواعد	١٧٧
٢٣٧	من البيت	ولو انهم آمنوا واتقوا
ولنبلونكم بشي من الخوف	٢٠٩	١٧٨
٢٣٨	ربنا واجعلنا مسلمين لك	يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
الذين إذا أصابتهم مصيبة	٢١٠	١٧٨
ان الصفا والمروة من شعائر الله	ربنا وابعث فيهم رسولا منهم	ما يود الذين كفروا من
٢٤١	ومن يرغب عن ملة ابراهيم	اهل الكتاب
ان الذين يكتمون ما انزلنا	٢١١	
٢٤١		
من البيئات		
٢٤١		
إلا الذين تلبوا واصلخوا		
٢٤٢		
ان الذين كفروا وما توارم كفارا		

صفحة	صفحة	صفحة
٣٣٧	٣٦٨	٣٣٧
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء	او كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها	وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
٣٣٩	٣٧١	٣٩٤
لا جناح عليكم ان تطلقتم النساء ما لم تمسوهن	واذ قال ابراهيم رب اني كيف تحيي الموتى	واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله يا ايها الذين آمنوا اذا تدابرتهم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
٣٤١	٣٧٣	٣٩٩
وان تطلقتموهن من قبل ان تمسوهن	مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله	وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فراهن مقبوضه
٣٤٢	٣٧٤	٤٠٠
حافظوا على الصلوات والصلاة للوسطى	الذين ينفقون لاهلهم في سبيل الله	فهو ما في السماوات وما في الارض
٣٤٣	٣٧٥	٤٠٢
فان خفتهم فرجالاً او ركباناً والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهن	يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى	امن الرسول بما انزل اليه من ربه لا يكلف الله نفساً الا وسعها
٣٤٥	٣٧٧	
والملقات متاع بالمعروف الى قوله لعلكم تعقلون	مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله	
٣٤٦	٣٧٨	٤٠٥
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقاتلوا في سبيل الله	ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب	الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الى قوله في الارض ولا في السماء
٣٤٧	٣٧٩	٤٠٨
من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً الم تر الى الملا من بني اسرائيل وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً	يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم	هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
٣٤٩	٣٨١	٤٠٨
وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً	الذي يقرض الله قرضاً حسناً ويأمركم بالفحشاء	هو الذي انزل عليك الكتاب ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
٣٥١	٣٨٢	٤١١
وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً	يوتي الحكمة من يشاء	ان الذين كفروا لن تضفي عندهم اموالهم ولا اولادهم
٣٥٢	٣٨٢	٤١٢
وقال لهم نبينهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً	وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر	كذاب آل فرعون والذين من قبلهم
٣٥٤	٣٨٣	٤١٣
قلنا فصل طالوت بالجنود ولما برزوا لجالوت وجنوده فهزمهم باذن الله	ان تبدوا الصدقات فنعما هي ليس عليكم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء	قل للذين كفروا استظلمون تعد كان لكم آية في فتنتي الثقتا
٣٥٥	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	للفقراء الذين أحصروا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	زين للناس حب الشهوات قل او نبشركم بخير من ذلكم الذين يقولون ربنا آمتنا الى
٣٥٦	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	الذين يقولون ربنا آمتنا الى قوله والمستغفرين بالاسحار
٣٥٧	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الله سريع الحساب
٣٥٨	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	فان حاجوك فقل اسئلت وجهي لله
٣٥٩	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٠	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦١	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٢	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٣	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٤	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٥	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين
٣٦٦	٣٨٤	٤١٤
تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض	الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار	ان الذين يكفرون بايات الله الى قوله وما لهم من ناصرين

صفحة	صفحة	صفحة
٤٢٤	٤٤٦	٤٢٤
ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً	ومصدقاً لما بين يدي من التوراة	أفغير دين الله يبغون إلى قوله
من الكتاب إلى قوله ما كانوا	إلى قوله خير العاكرين	وهو في الآخرة من الخاسرين
يفترون	٤٤٩	٤٧٠
٤٢٥	٤٥٠	كيف يهدي الله قوما كفروا
فكيف إذا جمعناهم ليوم	فأما الذين كفروا فاعذبهم	بعد إيمانهم إلى قوله فإن الله
لا ريب فيه	عذاباً شديداً إلى قوله والذكر الحكيم	غفور رحيم
٤٢٦	٤٥١	٤٧٢
قل اللهم الملك الملك إلى قوله	ان مثل عيسى عند الله كمثل	إن الذين كفروا بعد إيمانهم
وترزق من تشاء بغير حساب	آدم إلى قوله فنجعل لعنة الله	إن الذين كفروا وماتوا وهم
٤٢٩	على الكاذبين	كفار
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء	٤٥٣	٤٧٣
٤٣٠	ان هذا هو القصص الحق إلى	لن تناولوا البر حتى تنفقوا
قل إن تخفوا ما في صدوركم	قوله فإن الله عليهم بالمفسدين	مما تحبون
أو تبدوه يعلمه الله	٤٥٤	٤٧٤
٤٣١	قل يا اهل الكتاب	كل الطعام كان حلالاً لبني
يوم تجد كل نفس ما عملت	يا اهل الكتاب لم تحاجون	إسرائيل إلى قوله فأولئك
من خير محضرا	في ابراهيم إلى قوله والله	هم الظالمون
٤٣١	يعلم وانتم لا تعلمون	٤٧٦
قل إن كنتم تحبون الله	ما كان ابراهيم يهودياً ولا	قل صدق الله فاتبعوا ملة
فاتبعوني إلى قوله فإن الله	٤٥٧	إبراهيم حنيفاً
لا يحب الكافرين	نصرانياً إلى قوله والله ولي المؤمنين	٤٧٦
٤٣٢	٤٥٨	٤٧٦
إن الله اصطفى آدم ونوحاً	وددت طائفة من اهل الكتاب	إن اول بيت وضع للناس
إلى قوله والله سميع عليم	يا اهل الكتاب لم تكفرون	إلى قوله فإن الله غني عن العالمين
٤٣٤	٤٥٨	٤٧٩
إذ قالت امرأة عمران رب اني	بآيات الله إلى قوله وما الله	قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
نذرت لك ما في بطني محرراً	تعلمون	بغافل عما تعملون
إلى قوله وإني أعيدها وذريتها	٤٥٩	٤٨٠
من الشيطان الرجيم	وقالت طائفة من اهل الكتاب	يا أيها الذين آمنوا إلى قوله
٤٣٥	إلى قوله والله ذو الفضل العظيم	فقد هدي إلى صراط مستقيم
فتقبها ربها بقبول حسن	٤٦١	٤٨١
٤٣٧	٤٦١	٤٨١
هنالك دعا زكريا ربه إلى	تؤمن اهل الكتاب من ان	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
قوله ونبياً من الصالحين	تأمنه بقطار يؤده إليك إلى	حق تقافته إلى قوله لعلكم
٤٣٨	قوله فإن الله يحب المتقين	تهتدون
قال رب انى يكون لي غلام	٤٦٣	٤٨٣
قال رب اجعل لي آية	ان الذين يشتركون بهد الله	ولتكن منكم امة يدعون
٤٤٠	وإيمانهم ثمناً قليلاً	إلى الخير إلى قوله وأولئك
واذ قالت الملائكة يا مريم	٤٦٤	لهم عذاب عظيم
ان الله اصطفاك	وان منهم لفريقا يلوون	يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
٤٤٠	ألسنتهم بالكتاب	٤٨٤
ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك	ما كان لبشر أن يوتيئه الله	إلى قوله هم فيها خالدون
٤٤٢	الكتاب والحكم والنبوة	٤٨٥
اذ قالت الملائكة يا مريم ان	إلى قوله بعد اذ انتم مسلمون	تلك آيات الله نتلوها عليك
الله يبشرك بكلمة منه	وإذ اخذ الله ميثاق النبيين	بالحق إلى قوله وإلى الله ترجع
٤٤٣	٤٦٧	الأمور
قالت رب انى يكون لي ولد	إلى قوله فأولئك هم الفاسقون	٤٨٦
ويعلمه الكتاب والحكمة	إلى قوله فأولئك هم الفاسقون	كنتم خير أمة أخرجت للناس
٤٤٤		
إلى قوله ان كنتم مؤمنين		

